إصدارات مركز أبوسليم للدراسات

الخصومة في مهدية السودان

كتاب في تاريخ فكرة المهدية إسلامياً وسودانياً

بروفيسور
محمد ابراهيم ابوسليم

اصدارات مركز ابوسليم للدراسات

(٣)

الخصومة فى مهدية السودان

كتاب فى تاريخ فكرة المهدية اسلامياً وسودانياً

بقلم :

بروفيسور. محمد ابراهيم ابوسليم



الطبعة الاولى - الخرطوم ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م



بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

الى روح الإمام المهدى

الذى زرع اعظم ثورات المهدية فى ثرى السودان والذى الهم بعمله

الخلاق بمادة هذا الكتاب

والى

ارواح الشهداء من الجانبين ، من جانب المهدى ومن جانب المعارضين له

، اذ الكل استشهدوا فى سبيل ما يعتقدون ، وليتقبلهم الله برحمته .


DAWAYA
SUDANESE BOOKS

بسم الله الرحمن الرحيم

تنويه

هذا المؤلف هو آخر عمل كان الوالد ابوسليم يعتزم نشره ، وقد اجتهد فى الأيام الأخيرة لإعداده رغم مرضه ، ولذلك رأينا إبداء الملاحظات التالية ليكون القارئ على بينة .

- ألغينا فهرس الأعلام والبلدان والموضوعات بصفحاته السبع والعشرين ، لأنه لم يتمكن من مراجعته وترقيم صفحاته وسيتم معالجة ذلك فى الطبعات القادمة .

- على الرغم من مراجعتنا للكتاب فى صورته النهائية ربما تظهر بعض الأغلاط الإملائية والطباعية التى لا تفوت على فطنة القارئ .

الوليد ابوسليم

تقديم

ليست هنالك من قضية فى تاريخ الاسلام والمسلمين فى القديم والحديث قد اثارت من الجدل والحجج مثلما اثارته قضية المهدية . ومن الواضح ان ارتباطها بتطلعات عامة الناس إلى عهد جديد تملأ فيه الارض عدلاً بعد ان ملئت جوراً هو مصدر بقائها فى العقول ودافع دورانها فى التاريخ . وعلى الرغم من تجسدها كواقع سياسى فى مراحل مختلفة من تاريخ المسلمين فهى فى جوهرها فكرة دينية ولكن الاشارة اليها فى القرآن الكريم والسنة المشرفة مبشرة ، ومن ثم احتاج دعاتها - والمعارضون لها فى ذات الوقت - إلى جهد كبير لرصد الحجج الدينية من جانب ومحاولة تفنيدها من الجانب الآخر لما قد رسخ فى حياة المسلمين من ان اى فكرة لاتستند إلى اساس شرعى من الكتاب او السنة لايكتب لها النجاح . ولو كان فى القرآن نص واضح لحسم الامر ، ومن ثم اتجهت الانظار الى الحديث الشريف فتشعبت الآراء وكثر الوضع فى الحديث لتلبية وجهات النظر المختلفة حيث يعوز الصحيح من الاحاديث . وظل ذلك دأب دعاة المهدية ومعارضيها على مدى الزمان . وقد برز ذلك فى انصع صورة فى تاريخنا المعاصر مع اعلان الامام محمد احمد المهدى مهديته فى السودان فى بداية الثمانينيات من القرن التاسع عشر . وكان ذلك ايذانا باستئناف الجدال الكبير حول المهدى والمهدية شمل اعداداً كبيرة من العلماء والفقهاء كما شغل قدراً كبيراً من جهد المهدى نفسه . وهذا الكتاب الذى بين يديك ايها القارئ الكريم تسجيل دقيق لهذا الجدال الكبير بين انصار المهدية ومعارضيها : وهذا الكتاب موسوعى لايكتفى بتسجيل ما دار حول مهدية السودان بل يلقى نظرة فاحصة وشاملة لفكره المهدية منذ ان كانت رابطاً آخر حلقات السلسلة باوائلها . وهو من هذه الناحية عمل علمى نافع يصل الحاضر بالماضى ويربط الافكار المعاصرة بجذورها الممتدة فى اعماق التاريخ ليصبح بذلك مرجعاً لاغنى عنه للمهدية فى صورتها المعاصره ولفكره المهدية عامة فى حياة المسلمين .

وهذا النهج الموسوعي فى التأليف هو السمة الغالبة على انتاج الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم . وهو نهج عرفناه عنه منذ عهد الطلب الباكر قبل ما يربو على الخمسين عاماً . ولعل هذا المنحى العقلى هو الذى حدا به منذ ان تخرج فى جامعة الخرطوم فى منتصف خمسينيات القرن

الماضى الى الالتحاق بمكتب المحفوظات والسجلات الذى كان ملحقاً آنذاك بوزارة الداخلية قبل ان يتطور على يديه وتحت رعايته ليصبح دار الوثائق القومية المنوط بها حفظ الوثائق والسجلات الخاصة بالسودان رسمياً وشعبياً .

وكان الدكتور ابوسليم قد تلقى العلم فى المرحلة الجامعية على اساتذة اجلاء عرفوا بسعة العلم وعمق التجربة والتضلع فى مجالات البحث العلمى فهم الاستاذ الدكتور مكى شبيكة والدكتور عبدالله الطيب والدكتور ساندرسن والدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين وغيرهم . كان من حسن حظه ان كان اول من تعامل معه فى حياته العملية حيث التحق بقسم المحفوظات المؤرخ الانجليزى الشهير ب. م. هولت الذى كان يشرف آنذاك على المحفوظات وهولت متخصص فى تاريخ السودان ولاشك ان ابا سليم قد وجد فيه بغيته مثلماً وجدها فى استاذى التاريخ بالجامعه من قبل ساندرسن وثيوبولد . ومن المؤكد ان صله ابى سليم الوثيقة والحميمة بالوثائق لما يقرب من الخمسين عاماً قد رسخت فيه ذلك المنحى الموسوعى الذى عرفناه عنه . وشاهدنا على ذلك تنوع الموضوعات التى كانت مجال بحثه ومادة مؤلفاتة . فهو لم يقصر جهده على مجاله الاثير - المهدية - بل امتد ليشمل سلطنة الفونج وسلطنة الفور وغيرها من مجالات تاريخ السودان وثقافته وتراجم بعض علمائه .

وكان لنزعته الادبية دورها البارز فى تحقيق ديوان توفيق صالح جبريل فى اربعة اجزاء وفى تحقيق كتاب النخيل للقاضى عبد الله احمد يوسف وكتاب نعوم شقير فى تاريخ وجغرافية السودان وكتابه الآخر عن الامثال فى مصر والسودان والشام وكتاب الابانة النورية لاحمد بن ادريس الرباطابى وغيرها .

وقد تجلت كل هذه القدرات في تأليف هذا الكتاب ، الذى هو في جوهره ثمرة ناضجة لحصيلة من المعارف والتجارب قضى ابوسليم العمر كله فى جمع شتاتها ولم اطرافها من كل حدب وصوب. كانت المقدمات لتلك الدراسات المستوعبة ولكل وثائق عصر الامام المهدى التي تم جمعها فى سبعة مجلدات ، ووثائق عصر الخليفة التى صدر منها حتى الان المجلد الاول وبقيتها جاهزة قيد الطبع واردف ابوسليم هذا الجهد التوثيقى بجهد بعض لايقل عنه فى مجال الدرس والتحليل للحياة

الفكرية للمهدية مع ابراز جهد بعض العلماء المعاصرين لها مثل الشيخ الحسين ابراهيم الزهرا والحسن العبادى وعثمان دقنة ومن اليهم .

ولعل اهم ما يميز منهج ابى سليم فى البحث العلمى – هو ما يتجلى فى هذا الكتاب وفى غيره من مؤلفاته – هو الربط الدقيق بين التحليل العلمى والتوثيق . ونلحظ ذلك في ثنايا هذا الكتاب الذى يجمع بين عرض المؤلف لمختلف الآراء والاتجاهات ووصف الاحداث فى امانة وصدق ، وبين مناقشتها وتحليلها مما يبرز شخصية المؤلف ونظرته الموضوعية بقضايا العصر وكل ذلك مدعوم بالوثائق والنصوص المحققة مما يجعل العلاقة بين الرأى والوثيقة علاقة تكامل تضئ فيها الفكره الوثيقة وتمنح فيها الوثيقة السند الواقعى للفكرة . ولعل مما يضفى على اعمال ابي سليم العلمية قيمة مضاعفة اسلوبه الواضح الدقيق فى استعمال اللغة وتطويعها لحمل ما يريده من فكره وقد تجلى ذلك فى اعظم صوره فى هذا الكتاب .

جزى الله اباسليم خير الجزاء على ما قدم ويقدم لامته ومنحه القدرة لمزيد من البذل فى خدمة العلم والوطن ، وانه اكرم مسئول وهو على كل شئ قدير .

عون الشريف قاسم

فبراير ٢٠٠٣

مقدمة

كان مرامنا بعد ان فرغنا من «الحركة الفكرية فى المهدية» ان نضع كتابا يتناول الامامة والخلافة فى المهدية نرمى فيه الى بيان هذين المدلولين اللذين يكونان عصب فكرة مهدية السودان من الوجهة النظرية والعقدية والتنظيمية وتناول سائر وظائف المهدية من عسكرية ومدنية والوصول من بعد الى تعريف شامل ودقيق للمهدية . وقد حددنا أبواب وفصول الكتاب بشكل مفصل ودقيق وجمعنا بيانات كثيرة وكتبنا اطرافاً نشرت فيما بعد بشكل مقالات فى اوقات متفرقة ، وبمجموعتى الخاصة بدار الوثائق ملف بمشروع هذا الكتاب. ولكن عزمنا تحول الى تطوير فصل الحوار بين العلماء حول المهدية الذى عقدناه في «الحركة الفكرية» ، وكان مما شجعنا على التحول اننا جمعنا مادة طيبة من جانبى المؤيدين والمعارضين اثرت مضمون الحوار وزادت اتساعه . ثم وضعنا كتابينا «العالم المجاهد الحسن سعد العبادى» و«عالم المهدية الحسين ابراهيم زهرا واعماله» فتوسع أفق الموضوع وبرز دور العلماء من جانبى المؤيدين والمعارضين واثراؤهم لفقه المهدية واتضحت قضايا لم تكن مدروكة وأمور كانت تعرض على غير حقيقتها .

وكان من جوانب هذا التطور فى رؤيتنا اننا ادركنا ان عبارة الحوار التى اعتمدناها فى «الحركة الفكرية» تقصر عن وصف موضوع ما جرى بين انصار المهدية ومعارضيها ، لأن الحوار يعنى تبادل الرأى فى جو من السلامة وغايته الوصول الى وفاق او قدر منه على الأقل . اما فى حال الخلاف حول المهدية فكل فريق بما عنده وحيث يقف ، هؤلاء مؤمنون بما جاء به المهدى ، واولئك منكرون ، ولا لقاء ولا أمل فى توسط، وليس بين الفريقين الا السيف فى الوغى وهذا الذى يكتبه المؤيدون والمعارضون ، كل فى فلكه يدور مؤيداً او معارضاً. لذلك رأينا ان عبارة «الخصومة» أقرب الى وصف الحال وعليها صار عنوان دراستنا .

وقد جعلنا سفرنا فى كتابين ، كتاب المهدية وكتاب الخصومة ، فى الكتاب الاول أرخنا لفكرة المهدية بشكل متصل ومتسع منذ نشأتها فى تاريخ الاسلام حتى جئنا الى مهدية السودان وأوفينا عرضها بقدر ما بلغ جهدنا، وفى الكتاب الثانى أرخنا للخلاف والخصومة ، بيد ان الكتابين متداخلان ، لأن ضرورة العرض والبيان وتكملة الصورة هنا وهنالك تدفعنا الى العبور من جانب من كتاب الى جانب من الكتاب الآخر .

ويقع الكتاب الأول فى ثلاثة أطراف ، اولها المهدية فى تاريخ الاسلام ، وثانيها التأريخ لفكرة المهدية فى السودان ، وثالثها مهدية مهدى السودان .

وقد تناولنا فى الطرف الاول ظهور لفظ المهدى فى المجتمع العربى وتطوره ، ومنشأ الفكرة واتساعها ومواقف الطوائف الاسلامية كالشيعة الامامية والزيدية والعباسيين واهل السنة والصوفية والدعاة الذين

وصلوا الى الحكم تحت راية المهدية وما اختطوا من أمور كعبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية وابن تومرت . وقد تناولنا ما ذهب اليه ابن خلدون فى انكار المهدية وابن عربى فى تبنيه مهدى الصوفية، وهما العمدتان فى الامر، كل بوجهه . وكذلك تعرضنا الى العلماء واهل التصوف الذين كتبوا فى الموضوع واتينا بأوجه نظرهم ، وقد وقفنا هنا وقفة طويلة عند مهدية الشيخ عثمان دان فوديو وجماعته واستعرضنا ما توفر لنا من ادبياتهم وحللنا مواقفهم ، وذلك لأن ما كتبوه اسهام مهم من جانب مسلمى افريقيا فى موضوع اسلامى شغل الناس ، ولأن دولتهم وطدت دعائم الاسلام فى شمال نيجريا واصبح تراثهم سداً منيعاً ضد التبشير المسيحى على حساب الاسلام . وقد بينا ان موقف عثمان كان اولاً موقف عالم وصوفى ملتزم بمقولات السيوطى والشعرانى وانه فى النهاية انكر مقولاتهما وانكر اليوم المحمدى واسقط كل توقيت لمجئ المهدى . ولم يعن الشيخ عثمان بمكان ظهور المهدى لأنه يسلم بأن الظهور فى مكة اعتماداً على حديث السيدة ام سلمة الذى يستشهد به . اما خلفاؤه فقد اتخذوا من الفكرة اداة تعبئة تستهدف الجيل الذى جاء بعد الشيخ عثمان . ثم انا كنا من القائلين بأن مهدية الفوديين كانت المنبع الثانى لمهدية السودان، الا ان موقفنا تعدل بعد نظرنا فى أدبيات الفوديين ومراجعة قضية الوصل بين المهدية والفودية التى اخذت زخماً على ايدى فئة من المؤلفين الفولانيين . ونرجو ان نؤكد ان موقفنا لا ينبع من جهوية ولا ينتقص من فئة وانما هو موقف ازاء قضية تأريخية تعالج بالمستند والمنهج .

ثم انا عرضنا فى فصل من فصول هذا الطرف ، وهو الفصل الثالث ، أهم قضايا المهدية عند المتحدثين عن المهدى كالحديث المنسوب الى السيدة ام سلمة زوج الرسول والذى يعتبره البعض أهم حديث يستند عليه ، وتكفير منكر المهدية ، والعيسوية ، والسفيانى ، والقحطانى ، وحسنية المهدى وحسينيته ، وما الى ذلك من أمور . وفى ظننا اننا قدمنا هنا للقارئ مرجعاً مهماً يضعه فى مرقى متقدم ازاء أهم ما يختلف فيه المختلفون .

وفى الطرف الثانى أرخنا لفكرة المهدية فى السودان ، وكان البدء حمد النحلان الذى دفعه الوجد الصوفى وظرفية المكان الى اعلان المهدية فى مكة المكرمة . ثم تناولنا روافد المهدية فى السودان كالسمانية والادريسية والسنوسية والميرغنية ودعاة المهدية فى السودان وصعيد مصر والمتحدثين عن ختم الولاية ووزير المهدى . وقد ذكرنا اثنيه من رجال الصوفية فى السودان ألفوا فى موضوع المهدى وهما الشيخ اسماعيل ابن عبدالله الولى مؤسس الطريقة الاسماعيلية والشيخ ابراهيم الكباشى مؤسس فرع من امقادرية ، وقد تيسر لنا الوقوف على مؤلفى الشيخ اسماعيل وعرض محتوياتهما ، اما مؤلف الكباشى فقد استعصى الوصول اليه وسقط ذكره – بكل أسف – فى كتاب يؤرخ للمهدية فى السودان .

والطرف الثالث مهدية المهدى . وكان هذا أصعب أطراف الكتاب وأدقها لأنه تطلب ان نجمع أموراً متناثرة فى كتب التاريخ بمختلف توجهاتها وفى آثار الامام المهدى ومحررات الخليفة والامراء ثم وضعها فى نسق موضوعى يصور المهدية كما ارادها مؤسسها . وبالطبع فان هذا الطرف يرتكز على ما تقدم من فصول الكتاب . لقد تابعنا مولد المهدى فى جزيرة الاشراف بدنقلا وانتقال الاسرة حتى استقرت فى كررى، وتابعنا تعليمه حتى اكمله فى خلوة الغبش ، ثم تابعنا امره فى رباط الشيخ محمد شريف خاضعاً لسلطانه ثم خروجه الى المجتمع فى خدمة الطريقة السمانية ، ثم كيف تعدل توجهه نتيجة لاحتكاكه بالحياة العريضة للناس وتكوين جنينية القيادة الدينية فيه ، ثم كيف أصبح داعية لتنقية الدين واصلاح المجتمع ثم كيف انتقل الى المهدية ، وكانت وقفتنا هنا طويلة لتحليل المواقف . وقد قدمنا دراسة لثلاثة من الوثائق توضح ماهية المهدية التى ارادها ، وهى حضرة التنصيب ثم منشور الدعوة الاول الذى صدر فى ابا ثم منشور الدعوة الثانى الذى صدر فى قدير ثم المنشور المعدل منه . وهكذا التمسنا مصادر كثيرة ومعلومات مستفيضة لتصوير مولد المهدية وحبوها وتطورها الى دعوة اكتسبت جماهيرية عريضة ، ثم تعرضنا الى قضايا هامة ، منها : اسباب قيام الثورة المهدية والتى خالفنا فيها الوجهه التقليدية بيد المؤرخين ودعونا الى ان يكون استنباط الاسباب قائماً على الفئة التى اسست المهدية وليس من حال السودان العام ، ومنها علاقة السودان بالسلطنة العثمانية لنجوز او ننفى ان يكون خروج المهدى عليها جرماً دينياً ، ومنها تسويد الضباط الانجليز عن قصد صورة الادارة المصرية حتى لا تعود هذه الادارة بعد القضاء على المهدية وينفرد الانجليز بالسودان ، وتشويه صورة المهدية نفسها انتقاماً لفشلهم فى انقاذ غردون ولتأليب الرأى العام فى انجلترا ضد المهدية ، ومنها تصور المهدى لفكرة المهدية فى الاسلام ، ومنها موقع الخليفة عبدالله فى قيادة المهدية . وقد وقفنا عند قضايا مثل الغاء المذاهب والطرق والحظر على العلوم . وفى هذا الطرف اوردنا مختصراً لفكرة مهدية السودان بدأناه بوصف سمت المهدى شكلاً وفكراً ومزاجاً ثم انتقلنا الى وصف مهديته ثم انتقلنا الى الخلافة ثم الوزارة ثم الامامة . وهكذا نكون قد عرضنا المهدية عرضاً شاملاً . ثم انتقلنا الى وفاة المهدى المفاجئة وكيف آلت القيادة للخليفة عبدالله بناءاً على امر قاطع للمهدى فى آخر رمق له وان هذا يمثل انتقال المهدية من مرحلة الداعية الى مرحلة المؤسسة . وقد نفينا القول بأن الاشراف طالبوا بالخلافة لكبيرهم محمد شريف بعد وفاة المهدى وذهبنا الى ان مطلبهم كان امتيازاتهم المادية والمعنوية . ثم تعرضنا الى القوى الاخرى المعارضة للخليفة واهمها القيادات الدينية والقيادات القبلية والادارة المصرية .

اما الكتاب الثاني والذي هو المقصد والمرمى من البحث كله فهو عن الخصومة ، وسبيلنا في العرض ان نأتي بدراسات المواقف في الطرف الأول من الكتاب وان نأتي بنصوص الأدبيات في الطرف الثاني . وهدفنا في الدراسة ان نبين خلفيات المؤلفين ومواقعهم الاجتماعية وما يسوقون من قضايا وآراء ومستوى العرض . واحياناً نأتي بدراسة دون ان ننقل النص المعنى ، وذلك اذا كان كبيراً مثل كتابي الحسين زهرا والحسن العبادي في المهدية ونصيحة العوام وتعقيب زهرا عليها . وبعض الأدبيات التي ننقلها ليست متصلة بالمهدية ، ونحن نسوقها لأنها تنير لنا جانباً ، مثل مبشرات الختم التي تبين اعتماد محمد عثمان الميرغني في تبني فكرة الختم على التلقي من الرسول وهو نفس ما اعتمده المهدي في مهديته . ولم نأت بنصيحة ولد دوليب التي تتعرض الي المهدية ولا اتينا بدراسة لها ، لأنها لا تعرض امراً جديراً بالتناول ، وانما تعرض سباباً فجاً .

ولاعطاء فكرة عن اوجه الخصومة نعطى هذه اللمحة القصيرة :

قال محمد احمد انه المهدي فانبرى قوم يقولون ان فكرة المهدية لا اصل لها في الدين وانها خرافة اختلقها طلاب الحكم ، وقال قوم انها حقيقة مؤكدة . والطعن في فكرة المهدية قديم ، وفيه كلام كثير . وكان ابن خلدون أكثر وأدق من تكلم في النفي . والمعارضون في السودان لم يركزوا على نفي الفكرة كثيراً لقوة انتشار الفكرة في السودان وتسليم الناس بها ، بل وكانت المهدية قد نجحت جماهيرياً ولم تكن ثمة فائدة في الدق على نقطة ميتة .

وقال البعض ان فكرة المهدية ثابتة ولكن محمد احمد ليس مؤهلاً لها لأن علامات المهدي لا تنطبق عليه. وقال المهدي ان فكرة المهدي قائمة على احاديث ثابتة الا ان احاديث العلامات مختلقة وضعها المتحدثون وان من شأنها ان تقيد مشيئة الله لأنها تحدد مكاناً وزماناً وظرفاً ورجلاً بأوصاف ، والله قادر على ان يرسل المهدي كيفما شاء ووقت ما يريد . وقال ان الأقوال في العلامات مضطربة ومتناقضة ولا يمكن ان تكون مشيئة الله على هذا الاضطراب .

وقال المهدي اقوالاً انكرها المعارضون ، منها رؤيته الرسول وتلقيه منه ، ولكن الرجل لم يكن مبتدع هذه الرؤية ، بل قال بها علماء واولياء ، وقد ذكر العبادي في «الانوار السنية» كثيراً من الأولياء قالوا انهم كانوا يلتقون بالرسول . وقال الشعراني انه كان يلتقي بالرسول بل وقال ان مهدي الشيعة المنتظر محمد الحسن العسكري استقر معه في منزله اياماً . وقال السيوطي انه : التقى بالرسول أكثر من سبعين مرة وصحح عليه الأحاديث . وفي السودان قال محمد عثمان الميرغني الختم انه التقى بالرسول وروى في

مبشراته اموراً على لسان الرسول . وذهب الى نفس الأمر احمد الطيب البشير وروى اقوالاً على لسان الرسول ايضاً . فالامر كما ترى يتردد على السنة الاولياء ويقبله الناس مسلمين به . وقال العلماء ان ما جاء فى لقاء ولى بالرسول لا يترتب عليه حكم لأنهم جعلوا اللقاء فى حكم الحلم .

واستنكر المعترضون قول المهدى بتكفير من ينكر مهديته ، ولكنهم سكتوا عن حديث يرويه ابن خلدون فى هذا المعنى ، وان كثيراً من المتحدثين عن المهدى ذكروا ذلك .

واستنكر بعضهم ان يأتى شخص بجديد يضاف الى الاسلام او يعدل فيه لأن الاسلام جاء كاملاً على يد الرسول . ولكن المهدى لا يطلب جديداً ولا تعديلاً وانما العودة بالاسلام الى نقائه فى عهدى الرسول والخلفاء الراشدين .

وقد اثار العلماء الغاء المذاهب والطرق الصوفية واقتصار مصادر العلم على مصنفات بعينها .

هذه مجرد امثلة فى حدود مقدمتنا وسوف يقف القارئ على أوجه كثيرة للاختلاف .

اننا نعرض فى الطرف المخصص للأدبيات ثلاثة أنماط :

١- أدبيات دينية وتاريخية عامة فى موضوع المهدية لكى نعطى خلفية عامة لفكرة المهدية وما كان يدور بين المفكرين الاسلاميين حولها . وهنا نقدم فصل ابن خلدون فى الطعن فى فكرة المهدية ومختصر الشعرانى لأقوال ابن عربى ومختصرنا لكتابه عنقاء مغرب .

٢- أدبيات سودانية تتصل بفكرة المهدى كخبر حمد النحلان ومروية ابن ادريس وبعض أدبيات الختمية فيها ذكر للمهدى او تناول للامور على الوجه الذى استند عليه المهدى فى بناء مهديته .

٣- أدبيات كتبت للطعن فى مهدية المهدى او الدفاع عنها . وهذه تتصل بالقضية التى نحن حيالها اتصالاً مباشراً .

وهناك أدبيات لم تصل الينا ، فقد ضاع ما رد به علماء السودان والفقرا على المهدى عندما كتب اليهم بمهديته مؤيدين او معارضين لأنها أحرقت فى ابا بأمر محمد سعيد باشا الذى جاء الى الجزيرة بعد خروج المهدى منها الى قدير . وقال نعوم شقير فى ذلك ان أغلب العلماء قبلوا والقليل اعترض . ولكننا نفتقر الى اسماء هؤلاء واولئك ، ثم انا لا نريد مجرد القبول او الرفض وانما نريد الدواعى التى أدت الى القبول او الرفض . وهذا ما كان مضمناً فيما أحرقه محمد سعيد . كذلك ضاع بعض ما كتبه العلماء المعارضون فيما بعد . وكل ما نعرفه عنهم وعما قالوا او كتبوا هو ما اورده نعوم شقير . وهناك مقولات كثيرة لم تضبط وذهبت الى التراب مع الصدور . ومن جانب آخر لم نصل الى منشور السلطان عبدالحميد ومنشور مجلس الوزراء المصرى فى رفض المهدية . وقيل ان لعلماء المغرب فتوى معارضة ولكننا لم نصل

الى حقيقتها ، وفى غالب ظننا ان من روى خبرها كان متوهماً. كذلك نفتقد ما كتبته الصحف المصرية – ما عدا ما جاء فى العروة الوثقى – لأنها ليست متاحة لنا .

لقد حاولنا فى هذا العرض الذى نسوقه للمهدية ان نبرز المهدية كما طرحها المهدى ، وقد تتبعنا لذلك اخبار المهدية عبر اسفارها واستنطقنا أدبيات المهدى الثرة الى المدى الذى بلغه اجتهادنا. كذلك تتبعنا اخبار المعارضين للمهدية وجمعنا قدراً من أدبياتهم ونظرنا فى هذه الأدبيات نظرة فاحصة ليكون عرضنا للخصومة وتقويمها قائمين على النظر الموضوعى الدقيق . وقد اتينا فى الكتاب الثانى من السفر بهذه الأدبيات ودراستنا لها. اننا ننظر الى المهدية من الداخل ، نصف دواعيها ومراميها وغاياتها ونرسم هيكل بنائها ونتتبع الجزئيات ونتحسس كل نبض . ولم نقبل ، او نرفض ، خبرا او رأيا او خاطرة الا بعد نظر وتمحيص. وانا لنرجو ان نكون قد وفقنا فيما اردنا وصورنا المهدية وما دار حولها على حقيقتها . ومع ان هذه الصورة الحقيقية مهمة كمطلب فى حد ذاته فانها ضرورة بالأكثر عندما نحدد مواقف المؤيدين والمعارضين .

الكتاب الاول

المهدية

الفصل الاول

المهدية في الاسلام : نشأتها واتساعها وتطورها

«المهدى» اسم مفعول من هدى ، والهدى هو الرشاد فى النفس وتبصير العباد الى طريق معرفة الله . وقد اوجز معناه الحسين ابراهيم زهرا ، عالم المهدية وقاضيها، فقال : «المهدى مشتق من الهدى ، وهو تبصير الله عباده وتعريفهم معرفته فيقروا بربوبيته ، فالمهدى هو الذى هداه الله الى الحق وبه سمى المهدى» (١) . والى قريب من هذا ذهب المهدى بالمهتدى فقال : «فالمهتدى هو الذى يسلك ويسلّك ويقرب من الله ويقرب لجميع الخيرات والمراقى» (٢) . وقال ابن الاثير فى النهاية ونقله ابن منظور فى اللسان : المهدى الذى هداه الله الى الحق ، وقد استعمل فى الاسماء حتى صار كالاسماء الغالبة ، وبه سمى «المهدى» الذى بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجئ فى آخر الزمان» (٣) . هذا هو المعنى العام ، اما فى المعنى الخاص فان هناك جانباً عقدياً يتباين مدلوله حسب ألوان الداعين لها .

وقد اختلف فى اصله ومدخله فى الاسلام . فالبعض قال بأن اصل العبارة من اليهودية وانها تسربت الى الاسلام عن طريق بعض من دخل الاسلام من اليهود ، وقد ذهب الى ذلك المستشرقان المشهوران قولدزيهر فى كتابه «العقيدة والشريعة فى الاسلام» وفان فلوتن فى كتابه «السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات» (٤) . وقيل ان مصدرها من اليهودية جاء عبر المسيحية . وقال البعض بأن فكرة المخلّص ظهرت فى مجتمعات كثيرة فى صور متعددة ، واحياناً مرتبطة بأشخاص لها مكانتها التراثية ، وبالتالى لا يستبعد ان تظهر بنفس السبيل فى المجتمع الاسلامى مرتبطاً بشخص له وهج يملأ قلوب المخلصين او الذين يرجون الخلاص من الواقع المرير بقوة مدبرة من قبل الله. وربما قوى هذا المنحى اعتقاد المسلمين بأن المسيح لم يصلب كما يعتقد المسيحيون وانما

---

(١) د. محمد ابراهيم ابوسليم : عالم المهدية الحسين زهرا واعماله (المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان ، الخرطوم ١٩٩٩) ص ٢٠٢ .

(٢) الآثار الكاملة للامام المهدى ، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم (دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم ١٩٩٠) مجلد ٣ ، رقم ٣٣٢ ، ص ٩٤ .

(٣) سعد محمد حسن : المهدية فى الاسلام منذ اقدم العصور حتى اليوم (دار الكتاب العربى بمصر ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣) ص ٤٧ – محمد بن اسماعيل : المهدى حقيقة ... لا خرافة (مكتبة التربية الاسلامية لاحياء التراث الاسلامى ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م) ص٦٩.

(٤) د. احمد محمود صبحى ، نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنا عشرية (دار المعارف بمصر ، بغير تاريخ) ، ص ٢٩٩ .

رفع وانه عائد ، وهذه العودة مرتبطة باقامة العدل المطلق على يديه . واذا كانت الرسالة السماوية قد ختمت بمحمد عليه الصلاة والسلام فلا أمل يرتجى من السماء الا بعودة الذى رفع ليعود لخلاص البشرية . وذهب البعض الى ان عودة المسيح بالعدل هى الأصل فى منشأ فكرة المهدية وان المتكلمين بالمهدية من المسلمين تفادوا عبارة المسيح بدافع الحرج منها لظلالها المسيحية واستقروا على عبارة المهدى المنتظر (٥) . وقال بعض آخر بأن استبداد الامويين بالحكم وتغليبهم المصلحة الخاصة والأسرية على المصلحة الدينية وقهرهم لمخالفيهم من اجل الملك فى مجتمع يسود فيه التفكير الدينى ويتمسك بالمثل العليا التى وضعت فى عهد النبى والخلفاء الراشدين هو الذى جعل القلوب تنزع الى السماء منتظرة الفرج الالهى على يد مخلّص يملأ الارض فى ظل هذه النزعة الدينية قسطاً ويحقق العدل المطلق . وذهب رأى آخر الى ان اللفظ فى اصله عربى جاهلى وانه تطور فى مراحل حتى بلغ مفهومه العقدى ، والى هذا ذهب سعد محمد حسن فى كتاب «المهدية فى الاسلام» (٦) ، وعليه بنى ماديلونق فى مقاله فى «موسوعة الاسلام الجديدة» (٧) . وذهب بعض آخر الى ان الفكرة من باب الأساطير ولا اساس لها من الاسلام اصلاً . وهذا ما يتبناه احمد امين والنشاشيبى (٨) .

والحالة التى تعنى معنى الهداية اللغوية بحق هى اطلاق لفظ المهدى على من يدخل الاسلام من اهل الديانات الاخرى ، وأوضح مثلين لذلك محمد المهدى الحنفى الذى كان قبطياً اسمه هبة الله واسلم ، وقد اصبح من مشاهير العلماء بمصر وتولى مشيخة الازهر من ١٨١٢ الى ١٨١٥ ، ومحمد العباسى المهدى ، وقد اصبح شيخا للأزهر ومفتياً للديار المصرية قبيل الثورة العرابية ثم بعدها (٩) .

هذا مختصر سريع لاتجاهات الباحثين فى تاريخ فكرة المهدية . اما بالنسبة الى دعاة المهدية

(٥) نفسه .

(٦) المهدية فى الاسلام ، ص ٤٧ .

(7) Madelung ,W.Al - Mahdi . The Encyclopaedia of Islam (The New Edition) .

وكل قول فى هذا الكتاب ينسب الى ماديلونق يرجع الى هذا المقال .

(٨) نظرية الامامة ، ص ٤١٦ .

(٩) المهدية فى الاسلام ، ص ٤٧ .

فى الاسلام فان الفكرة تستند على قاعدة دينية مرجعها الاحاديث والاخبار وما يؤول من الآيات ، وهى مقررة من الازل بتقدير الله لتكون حلقة من حلقات الدورة الكونية التى انتقلت من عبادة الأوثان الى الانبياء ثم الى الرسل واخيرا الى الرسول الكريم ، فيجئ المهدى فى دوره ليقيم العدل المطلق ويحقق العقيدة الخالصة وكعلامة من علامات الساعة .

لم ترد كلمة «المهدى» فى القرآن الكريم ، ولكن وردت فيه مشتقات للفظ مثل : هُدًى ، يهدى ، اهتدى ، هداية ، هادى . وأقرب هذه المشتقات الى معنى المهدى لفظا «الهدى» و«اهتدى» ، وقد وردا فى آيات كثيرة . وعدم ورود اللفظ فى القرآن أوصد الباب امام الاستشهاد الصريح من القرآن . الا ان دعاة المهدى ولجوا الى مبتغاهم بالاعتماد على هذه المشتقات والوصول بها الى ان للمهدية سنداً من القرآن ، وبتأويل الآيات او تفسيرها تفسيراً باطنياً . وقد بدأ ذلك الشيعة وتوسعوا فيه ، ثم حذا حذوهم المتصوفة وجاءوا بالمزيد من التأويل . ثم فتح هؤلاء فتحا جديدا هو باب الفيض الذى تطلق به الأقوال بغير سند من القرآن الكريم او الحديث او الخبر ، والمرجعية فيه صدوره من الذى يأتيه هذا الفيض .

ولم ينقل صحيحا مسلم والبخارى ، وهما الأكثر حرصا فى الرواية والأقدم تصنيفا ، حديثاً فى المهدى ، ولكن مصادر الحديث الأخرى والتى توصف بأنها أقل تشدداً من مسلم والبخارى مثل سنن ابى داود والترمذى وابن حنبل وابن ماجة روت جملة من الأحاديث . وما ورد فى هذه المصادر نفسها قليل جداً بالنسبة الى ما أورده كتب الحديث المتأخرة . وقد توسع اهل المذاهب والنحل والصوفية فى مدى الاحاديث ومدلولها ، وتعد «تذكرة القرطبى» ، والذى لم يطبع بعد ، من أوسع المصنفات فى احاديث المهدى . ومصنف «المهدى الموعود المنتظر عند علماء اهل السنة والامامية» للشيخ نجم الدين جعفر بن محمد العسكرى مستودع آخر فيه مئات الأحاديث . وهو يتألف من جزأين ، وفى الجزء الثانى وحده ٤٢٠ حديثا ، اما الجزء الاول فلم يتيسر لنا بيان احصائه لأن من استعاره منا آثر نفسه به وسافر به الى مصر . ولكنه على اى حال بنفس حجم الجزء الثانى وربما بنفس القدر من المحتوى .

ويبدو ان الاحاديث عن المهدى بدأت تروى بعد وفاة معاوية بن ابى سفيان وكجزء من الصراع

الذى احتدم بين البيت الاموى وقريش الحجاز الذين كانوا يعملون على اعادة الخلافة الى المدينة وجعلها تسير فى المحور الذى ادارها به الخلفاء الراشدون بعيداً عن أبهة الملك والاستبداد الاسرى. ولكن ذلك ، وان كان مهما من الناحية التاريخية ، لا يدعو فى حد ذاته الى الطعن فى الاحاديث المتصلة بالمهدى ، لأن جمع الحديث قد بدأ اصلاً فى وقت متأخر عن الفتنة التى اعقبت وفاة معاوية. ومن المؤكد ان عمر بن الخطاب منع تدوين الحديث للخوف من ان يختلط الحديث بالقرآن . وكان اول خليفة أعطى الاشارة لجمع الحديث هو الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز ، وقد فعل ذلك بعد تردد . وكانت خطوته هذه بداية حركة جمع الحديث .

ويمكن ان نراقب تطور مضمون كلمة المهدى من واقع استعمالاتها . ففى المرحلة الأولى حافظ الاستعمال جانب اللغة بحكم ان المهدى هو من هداه الله فى نفسه وللخير فى غيره فأجرى حياته وعمله على وفق الهداية. وبهذا المعنى اللغوى ، ودون ارتباط ما بمعنى عقدى ، استعمل كلقب تشريف وتعظيم فى الجاهلية وصدر الاسلام ، ومن هنا كان وصف حسان بن ثابت للرسول بعبارة المهدى فى أبيات مشهورة فى رثائه واضفاء بعض الشعراء العبارة على بعض خلفاء بنى امية كالوليد وهشام باعتبار انهم اهل الفضل والعدل . قال حسان :

جزعاً على المهدى اصبح ثاوياً   يا خير من وطئ الحصا لا تبعد

بأبى وامى من شهدت وفاته   في يوم الاثنين النبى المهتدى

وقال الفرزدق لسليمان : هو المهدى قد وضح السبيل . وقال فى هشام : هو المهدى والحكم الرشيد .

ومنه دعاء سليمان بن صرد ، وكان شيعيا ، للحسين بن علىّ بعد مقتله : «اللهم ارحم حسينا الشهيد ابن الشهيد ، المهدى ابن المهدى» (١٠) . فانه لم يعن حكماً ولا معنى عقدياً وانما اراد اكبارهما واكبار جهادهما ومضمون ما مضيا فيه . ثم تقدم المضمون بمعنى الحاكم الذى يزيل ظلم من سبقه ويقيم العدل ، ومن هؤلاء سليمان بن عبد الملك الذى شجع على الاعتقاد بمهديته وعمل على اظهار انه الحاكم العادل الذى يمحو ظلم من تقدمه . وفاز عمر بن عبد العزيز من قبل

---

(١٠) المهدية فى الاسلام ، ص ٤٧ ، نظرية الامامة ، ص ٤٠١ .

المسلمين عامة بالاعتراف بكونه الخليفة العادل المتناهى الاستقامة، وهذا ما اوحى الى بعضهم بالقول بأنه المهدى ، وان كان البعض نفى عنه صفة المهدى وان اثبت له حسن السيرة والاستقامة والعدل. وفى ذلك يقول الامام احمد بن حنبل انه من الخلفاء الراشدين وانه لا ريب انه كان راشداً مهدياً ولكنه ليس بالمهدى الذى يخرج آخر الزمان (١١) . ومنهم حسن البصرى. ونحن هنا ازاء حالة فريدة ، وهى الفارق بين ان يكون المرء المهدى حسن السيرة وان يكون المهدى العقدى . والعباسيون جاءوا الى الحكم بدعوى انهم يزيلون ظلم بنى امية ويقيمون العدالة الموعودة من آل البيت . واستناداً على حديث عباسى المصدر فيما نعتقد اتخذ اول خلفائهم لقب السفاح ، والثانى لقب المنصور ، ومهد المنصور لولى عهده فسماه المهدى صراحة ، وقد انصرف الأخير بعد ارتقائه الحكم الى التصرف وكأنه المهدى حقاً الذى ينشر العدل . والمهدى فى حالتى الامويين والعباسيين حاكم من نفس الاسرة يزيل ظلم من سبقه ويقيم العدل الذى ينشده المسلم فى حاكمه ، فهو مهدى، او مصلح من الداخل ، وهذا بخلاف الدعوة الى ازالة الظلم واقامة العدل بازالة البيت الحاكم ووضع الخلافة فى يد من هو أحق بها ويتمتع بالأهلية لتولى اعبائها .

وهاهنا نأتى الى المضمون التالى وهو الذى يعيد الاسلام الى سيرته الاولى على نهج الخلفاء الراشدين ويعود بالخلافة الى المدينة المنورة ، وهذا هو مبنى ثورة عبد الله بن الزبير الذى دعا لنفسه بالخلافة بعد وفاة معاوية بن ابى سفيان ، ولكن دون ان يسمى نفسه مهديا، وآزره فى ذلك اهل مكة والمدينة بخلاف بنى هاشم ، وعلى ما يقول ماديلونق فان الطرف الاول من الحديث المنسوب الى السيدة ام سلمة بُنِى على دعوة عبد الله بن الزبير باقامة الخلافة فى مكة واهتداء اهلها الى من هو اهل للقيادة ومبايعته بين الركن والمقام – على كره منه – بينما بُنِى الطرف عن جيش اموى أخواله من كلب الذى يخسف به بين مكة والمدينة على الهجوم الذى كان متوقعاً من بنى امية بالشام وهزيمته بالخسف، اى بقدرة الله حفظاً لصاحب الحق واهل الحرمين . ويمكن ان يقال ان الطرف عن أبدال الشام وعصائب العراق يقوم على اجتماع الناس حول عبد الله ونصرته . وقد ذهب ماديلونق الى ان عبد الله نفسه وتابعيه عبد الله بن صفوان والحارث بن ابى ربيعة

(١١) المهدية حقيقية ، ص ٧٢ .

المخزومى هم الذين اشاعوا هذه الامور .

ويأتى المختار الكيسانى ليجعل المهدى فى مضمون عقدى يرتبط بشخص من بيت معين، ذلك لأن المختار اعلن فى الكوفة مهدية محمد ابن الحنفية ، وهو من ابناء علىّ بن ابى طالب ولكن من زوجة غير السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ، ومن هنا نشأت الفرقة المعروفة فى تاريخ الاسلام بالفرقة الكيسانية . ولكنْ سرعان ما انتقل العقد الى ابناء فاطمة ، فسلم بذلك اهل السنة والصوفية والشيعة وان كان كل يتخذ طريقه الخاص فى المعتقد .

وعلى يد الشيعة من بعده جاء وجه آخر من المضمون فيرتبط المهدى بامام الشيعة وسلطته العليا التى تقوم على مستند دينى باعتبار الامامة ركناً من اركان الاسلام لا يتم الاسلام الا بالتسليم به ، ومن هنا صار الاعتقاد فى المهدى ايضاً شرطاً عند الشيعة لا يستقيم الاسلام الا به، ومن هنا ايضا جاء تكفير منكر المهدية عندهم .

اما الصوفية فكانوا فى اول امرهم مشغولين عن الدنيا والحكم بوجدهم الصوفى والمجاهدة والاحوال ، وقد غلب عليْهم الزهد ، ومن اول خطو الزهد الابتعاد عن الحكم . وكان من قال منهم بالمهدى يجعله فى اطار مفهوم اهل السنة . الا ان المتأخرين منهم انتقلوا بالمهدى الى عالمهم المتسع الذى لا تحده حدود فأصبح المهدى يمثل السلطة العليا الجامعة بحكم تلقيه الاحكام مباشرة من النبى وعن طريق ملك وبالالهام اللدنى وفق نظرياتهم حتى أصبح ما يقوم به هو ذات ارادة الرسول . وقد نفوا لذلك كونه مجتهداً او مبتدعاً . والمهدى عندهم ليس حاكماً ولا ولياً وانما هو فى مرقى أعلى من الولاية ويأتى الحكم كجانب من مهمته .

وفى نفس الوقت ظهر معارضون لفكرة المهدى ، ولكن صوتهم كان خافتا، وذلك لسببين، اولهما ان الزخم كان دائما حليف الدعاة ومن يتحركون للوصول الى الحكم عن سبيلها والذين كانوا يبنون دعاويهم على مظالم الحكم وطغيانه والوعد بوضع عادل مطلق العدالة ، وثانيهما ان آراء هؤلاء ظلت آراء شخصية ولم تتحول الى معتقد يجتمع الناس حوله . وكان من المعارضين حسن البصرى الذى رفض الفكرة وذهب الى ان عيسى هو المهدى ، اى انه اعترض على مهدى الطوائف الذى يقوم على ان المهدى من هذا البيت او ذاك . وكان ممن ينكرون على عمر بن عبد العزيز صفة

المهدية مع اعترافه له بالفضل . ومن المعترضين محمد ابن خالد الجندى اليمنى الذى اختلق فيما يقول ماديلونق ، وتسنده بعض الأخبار ، حديث «لا مهدى الا عيسى» ليفسد الامر على الشيعة . وسوف نرى فيما بعد كيف حاول حسن العِدوى ان يفسد القول بمهدية محمد الحسن العسكرى ابعاداً للمهدية عن الشيعة .

وأظهر المعترضين من غير شك هو ابن خلدون الذى اخذ جملة من الأحاديث المروية فى المهدى وجمع المطاعن فى اسانيدها – فعل ذلك فى مقدمته المشهورة ثم خصص كتاباً كاملاً هو «شفاء السائل» ينفى فيه الفكرة جملة وتفصيلاً . وهو الوحيد الذى تفرغ لذلك وأوضح ما يرى بشجاعة وروية . ويلاحظ هنا ان المؤرخين لابن خلدون لا يهتمون بما قال عن فكرة المهدى، وذلك بالرغم من اهمية ما قال وكونه الفريد فى ذلك .

وعلى مر الزمان تطورت الفكرة على أيدى الطوائف واتسعت الاحاديث حسب عقائد هذه الطوائف وظروفها الاجتماعية والزمانية والمكانية . بعض قال ان المهدى يولد فى المدينة ويظهر فى مكة ، وقال قوم انه يظهر فى المشرق ويتجه بالرايات السود الى مكة ، واهل المغرب قالوا انه يظهر بالمغرب ويتجه بالرايات الصفر شرقا ، واهل الشام قالوا ان هؤلاء واولئك يلتقون بالشام وان عيسى ينزل فيه . وقال انصار المهدى بالسودان ان ظهور المهدى بالسودان بجهة ماسا بجبل قدير بجبال النوبا وتكون البيعة الاولى بها ثم تكون البيعة الكبرى بمكة ، وقال بعض هؤلاء ان بيعة مكة بيعة معنوية للخاصة ، فلا يشترط ان تتم فى مكة بعد فتحها . وتصور كل ان يكون المهدى بحال يتفق مع ما يواجهه او ما يصبو اليه من امور . ومن ذلك ان بعضهم قالوا انه يفتح القسطنطينية ، وكان ذلك املاً عظيماً وحسماً يتمناه المسلمون للمواجهة التاريخية بين المسلمين والروم لصالح المسلمين ، وبعضهم قالوا انه يفتح الاندلس ويعيد اليه المسلمين ، وهو حلم مغربى ، وبعضهم قال انه اتساع الاسلام الى كل ربوع العالم بعد ان يفتحها المهدى . وكان أكثر من طلب هذه الفكرة هم الصوفية ، ويصور هؤلاء واولئك المد الاسلامى على يد المهدى اما بدخول كل البشر فى الاسلام وتطبيق كامل الشريعة عليهم ، واما بحكم المسلمين بالشريعة الاسلامية الخالصة وحكم المسيحيين بالانجيل الاصلى واليهود بالتوارة الصحيح ، حسبما يرى المسلمون وفق نظرتهم الى هذين

الكتابين المنزلين . وهذا هو مضمون القول بأن المهدى سيضع يده على تابوت السكينة فى غار فى انطاكية ومعه التوارة والانجيل بالوجه الذى انزلا وبراءً مما ادخل فيهما من تحوير (١٢) . وبعض ذهب الى غلبة طائفته او مذهبه ، كالشيعة الذين ذهبوا فى بعض اقوالهم الى ان مهديهم سوف يفرض المذهب الشيعى على الجميع ، او بعض الحنفية الذين قالوا ان المهدى منهم وان مذهبهم سوف يسود الجميع على يد المهدى . وبعض الطرق الصوفية كالخلوتية، ومنهم السمانية ، قالت ان المهدى يكون منهم . ذلك لأن المهدية تحقق خصوصية كبيرة لمن تظهر بينهم ، وهذا هو سبب تنافس الفرق والمذاهب والطوائف ، لأن اتفاق المهدى لأى منها تأكيد على متانة المذهب او القضية على نحو حاسم ومناصرة للقضايا الخاصة بهم وخصوصياتهم فى دائرة التنافس . ولما كانت كل فرقة ترى ان المهدى يظهر فى زمانها ووفق ما تواجهها من ظروف فقد جاءت العلامات والشروط مرتبطة بالزمن والظرف والقضايا التى تشغل هذا المجتمع او ذاك ، وبذلك يقترن بالتحول بالحكم من جهة الى اخرى ،وكيفية الى ثانية ، والكلام عن الساعة واشراطها ، مع الكلام عن المهدى ومضمون رسالته، الا العلماء ، فان مدركهم ومشغلهم ليس طلب الحكم ، كما هو الحال عند الدعاة، وانما هو المهدى وموقعه الصحيح من الاسلام ، ولذلك راحوا يجمعون الاحاديث والأخبار وينظرون فيها على هدى مناهجهم ، ولذلك ذهب بعضهم الى تخليص فكرة المهدى من الشوائب والخرافات لينتهى الى تصور خالص كما فعل ابن حجر الهيتمى ، وبعضهم الى التوفيق بين العلامات والروايات لينتهى الى امر جامع ، لا لمناصرة طرف او تصور ، وانما للوصول الى ما يجمع حول ذات المهدى . وقد اقترنت الفكرة فى كل وقت باقتراب الساعة والانذار به والوصول بالبشرية فى آخر الامر ، وبعد نوبة كاسحة من فساد العقيدة وظلم يملأ الدنيا ، الى دنيا العدل المطلق والعقيدة الخالصة .

وبتراكم الاحاديث والاخبار وما تصوره من تصورات أصبحت المهدية فكرة جذبت اليها الرؤى والآمال وجمعت الأسباب والعلامات من شتى الاحوال والظروف بحيث أصبح من المستحيل ان تتفق فى شخص او زمن او حال ، واضحت صورتها صورة طوبائية لا يمكن تطبيقها على ارض

---

(١٢) ماديلونق ، وانظر الشبلنجى والصبان اناه .

الواقع . وبالتالى لا يمكن الاتفاق حول مهدية شخص وفق العلامات والشروط وصار المحك فى الواقع قوة القائل بها وايمان الاتباع ويقينهم وقوتهم عند الاصطراع .

وفى اطار فكرة المهدى المنتظر، الذى يأتى على هذا الوجه أو ذاك، تتولد قضايا متعددة ، منها وصف المهدى الجسمانى والخلقى والذى لا بد ان يتفق شبهه مع جسم الرسول وخلقه ، مع استحياء فى الأمرين لتنزيه الرسول من ان يشبهه احد ، وان يواطئ اسمه واسم ابيه اسم الرسول واسم ابيه ، او ابنه فيما قال بعض الشيعة ، وفى هذا كلام كثير يساق . ومنها القحطانى الذى يسوق العرب بعصاه فيما نشهد فى حديث يروى عن ابى هريرة (١٣) ، وهذا الذى ثار عبد الرحمن الاشعث على هداه ، ومنها السفيانى الذى يمثل فى بدايته استنكار اسرة معاوية لهيمنة اسرة مروان ثم معارضة اهل الشام لأهل مكة والمدينة ، وهو الخصم الأبدى للمهدى ويقتل فى النهاية انتصاراً للحق (١٤) ، ومنها عيسى بن مريم ونزوله وعلاقته بالمهدى ومختلف القضايا التى تثار حوله(١٥) ، ومنها قصة الدجال ، وختم الولاية ، والعصمة ، والغيبة ، والولاية المطلقة ، والخلافة الكبرى ، والاختلاف فى نسبة المهدى الى الحسن او الحسين ابنىّ علىّ بن ابى طالب ووجه هذا وذاك ، والقول بالتلقى المباشر عن الرسول يقظة وحكم ذلك قبولاً ورفضاً ، وارتباط المهدى بالحكم العادل والجنة الموعودة فى الدنيا وارتباطه من وجه آخر بفناء الدنيا بحكم انه من علامات الساعة ، والبرنامج الذى يقدمه كل مدع فى اطار الاحاديث المتواترة او التى تختلق ، والى آخر هذه الأمور .

وقد اشتط مختلقو الاخبار والاحاديث فجاءوا بما هو أبعد عن حد المعقول ، كبناء الاحاديث بوحى ما تم فى واقعة ، مثل الرايات السود من المشرق ، وهى مستوحاة من رايات دعاة العباسيين، وانحسار الفرات عن جبل من الذهب والذى لا معنى له ، ومثل الاحاديث التالية :

– يحج الناس معا ويعرفون (من عرفة) معا على غير امام ، فبينما هم نزول اذ اخذهم داء الكلب فسارت القبائل بعضهم الى بعض فاقتتلوا حتى تسيل العقبة (اى بمنى) دما فيفزعون الى

---

(١٣) نظرية الامامة ، ص ٤٠٧ .

(١٤) انظر الفقرة عن السفيانى فى الفصل الثالث .

(١٥) انظر الفقرة عن العيسوية فى الفصل الثالث .

خيرهم فيأتونه وهو ملصق وجهه الى الكعبة يبكى كأنى انظر الى دموعه والى آخر ما روى الشيخ الانبابى فى فتواه ، وهو حديث يرد ضمن أحاديث المهدى .

– ومن علاماته ريح ترسل على الناس حمراء يموت منها آلاف وتحدث فى الناس صعقة باطنية تموت منها آلاف وتسقط منها آلاف من النساء الحبالى .

– يقود المهدى جيشاً من البربر ويعبر الى الاندلس (حلم مغربى منذ أخرج العرب من الاندلس) وينتصر انتصاراً ساحقاً ويخطب فى مسجد سافيل ويتلقى بيعة المسلمين ويفتح سبعين مدينة من مدن الروم ثم يفتح كنيسة الذهب ، ولكن اتباعه سوف يتنافسون حول قسمة عصا موسى التى سوف يجدونها هناك ، وبالتالى يجد الروم الفرصة ويهزمون المسلمين ويطاردونهم حتى الفيوم فى مصر ، ثم يستعيد المسلمون النوبة وينتصرون .

نقول ان الرواة ذهبوا الى كل هذا والى ما هو أبعد لأنهم اطلقوا للخيال عنانه وذهبوا كل مذهب دون رادع مع ان ذلك بعيد عن ان يصدر عن الرسول . ومن الغريب ان يجمع ذلك ويردده أجل العلماء دون اعتراض او توقف . ويقول محمد فريد وجدى فى ذلك : « والناظرون فى هذه الاحاديث من أولى البصائر لا يجدون فى صدورهم حرجاً من تنزيه رسول الله من قولها ، فان من الغلو والخبط فى التواريخ والاغراق فى المبالغة والجهل بأمور الناس والبعد عن سنن الله المعروفة ، ما يشعر المطالع لأول وهلة أنها احاديث موضوعة ، تعمد وضعها رجال من اهل الزيغ او المشايعين لبعض اهل الدعوة من طلبة الخلافة فى بلاد العرب او المغرب» (١٦) .

وذهب بعض المتحدثين من الشيعة والصوفية الى اعتماد بعض الفاظ من القرآن او غيره على انها المفتاح لوقت ظهور المهدى ومكانه وتحديد ذلك بحساب الجمل ، ومن ذلك ان ابن عربى حدد خروج المهدى فى خ ف ج وجعل ذلك حسب حساب الجمل فى ٦٨٣هـ ، فلما مضى أوّله على ان المراد ان مولده يكون فى هذه السنة وان خروجه يكون فى ٧١٠هـ ، اى انه يخرج مهديا وهو فى السادسة والعشرين ، وهو سن نحسب انه لم يقف عنده ، ولو وقف عند سن خروجه لقال اربعين لأنه سن النبوة . ولكن ابن عربى طلب الخروج من المأزق . وهذا لم يتم ايضا . وقد أكثر ابن عربى

---

(١٦) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ، مادة المهدية .

من التوهيمات التى تأتى من بحر الفيض وعرض نفسه لسهام ابن خلدون الذى يقول : «يعينون فيه الرجل والمكان بأدلة واهية وتحكمات مختلفة فينقضى الزمان ولا اثر لشئ من ذلك» (١٧) . وممن فعل ذلك فى السودان الشيخ محمد شريف نور الدائم ، فانه حدد نهاية المهدية بعبارة «ليستخلفنهم» وانتهى منها الى تاريخ ، وهذا ايضا لم يقع. وقد انتقد اقطاب التشيع المعتدل هذا الوجه من التحديد ونددوا بالموقتين (١٨) . وبناء على تجربته الخاصة ابطل الشيخ عثمان دان فوديو توقيت مجئ المهدى ووقوع اشراط الساعة كما بينها الشعرانى والسيوطى مع انه اعتمدهما فى اول تناوله للمهدية . ومهدى السودان استنكر التوقيت وسائر الشروط والعلامات باعتبار انها مقيدة لارادة الله، لا لفوات الميعاد الذى حدده الشعرانى لظهور المهدى كما فعل دان فوديو . وقد دعم مراده بعبارتين من ابن عربى وابن ادريس .

المهدى عند الطوائف :

ان مواقف الطوائف والمذاهب حيال المهدى المنتظر قد تباينت حسب مواقفها العقدية ، وانا لنرجوا ان نسوق عرضاً مختصراً بما يعين القارئ على تتبع مناقشتنا للقضايا واصحابها .

مهدى الشيعة :

مطلب الشيعة الذى يفرق بينهم وبين اهل السنة اعتقادهم فى خلافة علىّ بن ابى طالب بمقتضى تخليف النبى له فى غدير خم فيما يذهبون ، وهو عائد من حجة الوداع ، وقد حملوا على ابى بكر الصديق وعمر بن الخطاب ومن جاء بعدهما باعتبارهم مغتصبين لهذا الحق ، وذهب غلاتهم الى كفرهم ونعتوا ابابكر الصديق وعمر بصنمى قريش . وقالوا ان النبى افضى على علىّ علوماً واسراراً انفرد بها من بين الصحابة وانه صار مستودع الحكمة . ثم تطورت دعوة الشيعة الى ان تكون الامامة فى ابناء علىّ من فاطمة ، اى ان الجانب الفاطمى صار هو الغالب ، تأكيداً للحق من طريق النسبة الى الرسول . وهم لا يسمون رأسهم خليفة كما يفعل اهل السنة وانما يسمونه اماماً لأنه لا يلى لمجرد الخلافة تعاقبا . واهم ما نتج من هذا التخليف سلسلة الائمة

---

(١٧) مقدمة ابن خلدون ، فصل فى امر الفاطمى وما يذهب اليه الناس فى شأنه وكشف الغطاء عن ذلك ، انظر الفصل ادناه . وكل قول ينسب الى ابن خلدون فى هذا السفر يرجع الى هذا الفصل .

(١٨) المهدية فى الاسلام ، ص ٨٩ .

السبعة من ولد فاطمة وعليّ الذين يتفق عليهم والائمة الخمسة الذين جاءوا من بعدهم فى قول الاثنا عشرية . ثم هنالك الزيدية وهم على مذهب شيعى مستقل، ثم هناك الاسماعيلية الذين يعتقدون فى امامهم اسماعيل بن جعفر الصادق ، وبعضهم ذهب الى الوهيته . وأغلب نشوء الفرق بين الشيعة يرجع الى الخلاف حول الانتقال من امام الى آخر بأمور يراها هذا الطرف واخرى يراها طرف آخر . وقد أكثر الشيعة من تأويل الآيات وقالوا بالمعنى الظاهر للآيات والمعنى الباطنى لها واعتبروا ان المعنى الباطنى هو الأصل والمقصود والذى لا يصل اليه الا ائمتهم وعلماؤهم ، ثم اكثروا من وضع الاحاديث والطعن فى احاديث اهل السنة - كل ذلك لينتهوا الى دعم مذهبهم . وجاراهم خصومهم فى وضع الاحاديث المعارضة لهم والمناقضة لدعاويهم .

والامامة عند الشيعة ركن اساسى لا يقوم الاسلام الا به ، ويتولى الامام الامر بحق الهى مدبر، وهو الحبر الأعظم والمعلم المعصوم ، وله كثير من خصائص الانبياء ، وليس لجمهور المسلمين الا القبول به ، ولا يحق لهم القول فى اختيار الامام لأن ذلك ليس من المصالح العامة التى تفوض الى نظر الانسان . ولا يحق لهم التعقيب على ما يصدر منه لأنه المرجع الدينى المؤسس بتوجيه العناية الالهية . وقد خلق الشيعة فقهاً خاصاً بهم ومرجعية دينية خاصة وتنظيماً دينياً هرمياً فى قمته الامام وقاعدته العامة . وأكثر من خدم فقههم الامام جعفر الصادق والذى ينسب اليه المذهب الجعفرى الذى عليه أغلب الشيعة .

وكان الشيعة من أقدم الفرق الاسلامية اخذاً بفكرة المهدى وأكثرهم تعلقاً بها ، وقد توافقت المهدية مع شكل امامهم ومضمونه ومع وجودهم فى المعارضة طوال تاريخهم . ولطول عهدهم وتنوع البلاد التى عملوا بها والظروف المختلفة التى تعرضوا اليها تسنى لهم ان يضيفوا الكثير الى فكرة المهدية حتى غدا أثرهم هو الطاغى على الفكرة .

ولكن اهل السنة لم يأخذوا ببعض اضافاتهم مثل الغيبة والعصمة ، وان سلموا ببعضها مثل القول بأن يكون المهدى من سلالة فاطمة . وعلى خلاف ما يعتقد فان الشيعة استفادوا من آراء اهل السنة حول المهدى وموقفهم منه . وقد جاء الأثر الأقوى للشيعة على اهل السنة فى موضوع المهدية عن طريق ابن عربى الذى كان عالماً بآراء الشيعة وبث منها فى فكرة المهدية واصبحت قراءته

قاعدة المتكلمين من العلماء والصوفية . وقد انتهى الصوفية من بعد الى ما يشبه امامة الشيعة ومهديهم فى قولهم بمهدى خاتم الاولياء الذى يملك جماع الأهلية والسلطة الدينية والدنيوية .

ولكن هناك فرقاً واضحاً بين مهدى الشيعة ومهدى الصوفية ، اذ بينما يعول الصوفية على رؤية مهديهم للرسول والتلقى عنه مباشرة فيما يتعرض له يعول الشيعة على اسرار وخصائص مهديهم وعصمته ولا يقولون بالرؤية والتلقى فيها .

وكان المختار بن عبيد الله الثقفى اول دعاتهم الى المهدية ، وقد اعلن مهدية محمد ابن الحنفية فى الكوفة ، معقل شيعة علىّ ، اثناء الحرب الأهلية التى تلت وفاة يزيد بن معاوية . وقد بدأ المختار ثائراً على بنى امية فى الكوفة مع مسلم بن عقيل ، وبعد اندحار حركتهم ومقتل مسلم تمكن من الخروج سالماً ولحق بابن الزبير فى مكة ، ثم سعى لدى بنى هاشم ليقود حركة باسمهم ففشل لأن هؤلاء كانوا يتقون شر ابن الزبير الذى كان دائم الضغط عليهم للبيعة له ولا يطمئنون الى المختار ، ولكنه فى النهاية وصل الى صفقة مع محمد ابن الحنفية وذهب بها الى الكوفة ليعلن مهديته هناك ، وبذلك اسسس الحركة الكيسانية التى كانت اسماً لابن الحنفية وفعلاً للمختار .

وابن الحنفية ابن لعلىّ بن ابى طالب من زوجة غير فاطمة بنت الرسول ، وقد نسب الى اهل امه فقيل ابن الحنفية . وعندما جاء المختار كان الحسن بن علىّ قد مات والحسين قد استشهد، وكان ابن الحنفية هو الوحيد من ابناء علىّ على قيد الحياة . وقال البعض انه أصبح بعد موت اخويه وارث ابيه معنويا ، ولا يبدو جلياً مما يروى وجه الصفقة التى عقدت بين المختار وبين ابن الحنفية ، ولكن الاول هو الذى ظل مسيطراً على الحركة ويوجهها . قيل نوى ابن الحنفية اللحاق به فخشى المختار من مغبة وجوده معه وقال اذا جاء نضربه بالسيف فاذا كان المهدى حقيقة لا ينفذ السيف فيه، واذا لم يكن فالأمر لله ، فخاف ابن الحنفية على نفسه والغى مشروع الانضمام . وابن الحنفية هو راوى الحديث : المهدى منا اهل البيت يصلحه الله فى ليلة، وكان يرى نفسه ذلك المهدى ، وكان فخوراً باللقب . اما المختار فقد ادعى النبوة فى آخر الامر ونكل بالشيعة ثم ادعى الالوهية . وبعد موته انقسمت الكيسانية فاعترف بعضهم بموته، ورفض بعض آخر موته وقالوا انه اختفى بجبل رضوى – على سبع مراحل من المدينة – وانه سوف يظهر مهدياً لاقامة العدل ، وبذلك بدأت فكرة

الغيبة – غيبة الامام حتى يجيئ أوانه .

وقد نشط الشيعة من بعد المختار يطورون الفكرة ويعمقونها حسب تتابع الظروف ، وكثير من الصور التى نقف عليها فى حال المهدى ترجع اليهم .

ومن حركات الشيعة ان زيداً بن علىّ بن ابى طالب اعلن مهديته فى الكوفة ، ولكنه لقب نفسه بالمختار لتعارض اسمه مع ما هو وارد فى علامات المهدى . ومنها حركة محمد بن عبد الله ابن الحسن المشهور بالنفس الزكية الذى تزعم الهاشميين فى آخر الدولة الاموية . وكان عالماً تقياً اعتقد بمهديته وعاونه الهاشميون بما فيهم العباسيون ، وكان ابو جعفر المنصور يسير فى ركابه . وقيل فى ذلك ان العباسيين كانوا يدفعونه الى المقدمة ويشجعونه على الخروج ليتخلصوا منه ويهيئوا لأنفسهم الجو ليركبوا الموجة على حسابهم . ثم خرج ايام المنصور وقتل ، وكان مقتله ضربة مفجعة للعلويين . الا انه ترك اثراً قويا فى مسار المهدية ويقال ان كثيرا من العلامات التى تروى ترجع اليه.

والشيعة يسمون مَهديهم القائم او العائد ، وهذا مأخوذ من فكرة الغيبة . وجريا على هذا لقب عبيد الله ، مؤسس الدولة الفاطمية ، خليفته محمد القاسم بالقائم .

وحسب معتقد الاثنا عشرية انتقلت الامامة من امام الى امام حتى محمد بن الحسن العسكرى الملقب عندهم بالقائم والمهدى وصاحب الزمان ، ولكن اختلف تاريخيا فى امره . وقال المعتقدون بأمره انه دخل سرداباً فى سامرا وظلوا قرناً وراء قرن ينتظرون عودته .

وممن دعم مهديته من الصوفية حسن العراقى فيما نقل الشعرانى عنه ، فانه قال بمولد المهدى فى ٢٥٥هـ ، وهو تاريخ مولد محمد بن الحسن العسكرى ، وقد كره حسن العدوى هذا الدعم لمهدية الشيعة فأضاف الفا وجعل مولده فى ١٢٥٥هـ ، وذلك ليفسد التقاء الشعرانى بمشهد شيعى . وذهب بعض الشيعة الى ان مهديهم سيحكم العالم بمذهبهم وان المسيح سوف يصلى وراءه توافقا مع مرتبة مهديهم ، اذ هو الأفضل بعد النبى .

العباسيون والمهدية :

توافقت فكرة المهدى المنتظر مع حركة بنى العباس من جانب انها تدعو الى اسقاط دولة بنى امية وجعل الحكم فى آل بيت النبى . والعباسيون يعدون فى هذا البيت حسب التعريف الاسرى عند

عند العرب ، وعلى هذا تمكنوا من قيادة الموجة والوصول الى الحكم وبناء دولتهم بينما وجد العلويون انفسهم بعيدين عن السلطة التى عملوا للوصول اليها بعد اسقاط بنى امية . وعندما ثار العلويون ضدهم باعتبار انهم الأحق بالحكم بحكم القرابة الى الرسول وبحكم انهم ابناء عليّ نافحهم العباسيون بجدارتهم وبأن وراثة النبى عند العباس وليست عند عليّ . وفى اطار انهم من آل البيت فان كل الأحاديث التى تدعو الى آل البيت دون تخصيص جهة بغيرهم تشملهم فيما تشمل العلويين . وفى دعم آل العباس وضعت أحاديث كثيرة ، منها : عن ابن عباس : «منا اهل البيت اربعة : منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدى» ، قيل له بيّن الاربعة فقال ابن عباس : اما السفاح فربما قتل انصاره وعفا عن عدوه ، واما المنذر أراه قال فانه يعطى المال الكثير ولا يتعاظم فى نفسه ويمسك القليل من حقه ، واما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر مما كان يعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرهب منه عدوه على مسيرة شهر ، واما المهدى فانه الذى يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً وخأمن البهائم السباع وتلقى الأرض الخ . وقد نقله ابن خلدون . ومنها : سيخرج من صلب هذا الرجل (رجل من الصحابة كان بجانبه) فتى يملأ الأرض جوراً وظلماً ، وسيخرج من صلب هذا (العباس وكان بجانبه) فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فاذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمى فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدى . وقد نقله ابن خلدون ايضا . ومنها حديث ام الفضل : اخرج ابو نعيم عن ابن عباس ان ام الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال : انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فأتينى به . قالت فلما ولدته اتيته به فأذن فى اذنه اليمنى واقام فى اذنه اليسرى والبأه من ريقه وسماه عبد الله ، وقال اذهبى بأبى الخلفاء ، قالت فأخبرت العباس فأتاه فذكر له ذلك فقال هو كما اخبرتك ، هذا ابو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتي يكون منهم المهدى حتى يكون منهم من يصلى بعيسى بن مريم . وقد نقل ذلك الضرير فى رسالته . ومنها : يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ او يمكن لآل محمد ، نقله ابن خلدون . ومنها حديث الرايات المشهور : انا اهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وان اهل بيتى سيلقون بعدى بلاءً وتشريداً وتطريداً حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطون فيقاتلون وينصرون

فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من اهل بيتى فيملؤها قسطاً كما ملأوها جوراً ، وهذا ينقله ابن خلدون .

وبنفوذ العباسيين وردت فى السير والاخبار ما يمجد العباس بتركيز ويصف قربه الى الرسول واعتزازه به ، ومع ان العباس كان رجلاً عظيم الشأن الا ان المرء يحس بطعم السياسة ويشم رائحتها فيما يروى .

وروى العلويون من جانبهم احاديث تخصصهم فى الفضل والحق فى الحكم ، منها : قال علىّ للنبى : أمنا المهدى ام من غيرنا يا رسول الله ؟ فقال : بل منا ، بنا يختم الله كما بنا فتح وبنا يستنقذون من الشرك ، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة كما بنا الف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك ، قال علىّ : أمؤمنون ام كافرون ؟ قال : مفتون وكافر ! نقله ابن خلدون . ومنها : نحن ولد عبد المطلب سادات اهل الجنة ، انا وحمزة وعلىّ وجعفر والحسن والحسين والمهدى . ويلاحظ فى الحديث الأخير ان العباس لا يرد بين السادات . وفى الحديث الذى قبله فان «منا» يعنى من علىّ والرسول ، وذلك دون العباس وبنيه. وقراءة الأحاديث التى سقناها باعتبار انها تدعم العباسيين تبين كيف انها تركز بكثير من الاشارات على بنى العباس وما قاموا به .

وبالعودة الى التاريخ نجد مفارقة عجيبة ، اذ بينما كانت الدعوة العقدية الى آل البيت تتجه الى تخصيص الامام فى سلالة فاطمة انتقل التنظيم الفاعل عملياً الى بنى العباس ، وقد تم ذلك بشكل لم يكن متوقعا . ذلك لأن ابا هاشم عبد الله بن محمد الحنفية كان بعد وفاة ابيه يقود من المدينة التنظيم الاقوى من الكيسانية . وقد اعتبرته جماعات من الشيعة الامام الهاشمى . ثم انه قام فى آخر عمره برحلة الى الشام ثم مر فى طريق عودته على فلسطين وحل ضيفا فى الحميمة على علىّ ابن عبد الله بن العباس ومات فى ضيافته . وقبل وفاته عرض قيادة الحركة على علىّ هذا ولكنه رفضها فاعطاها لابنه محمد الذى قبل المهمة ونشط لها . وقد قام بخطوة كانت تاريخية وبعيدة الأثر ، وهو انه بَعُدَ عن العرب وعن الكوفة المرصودة بأعين الأمويين ونقل مركز الحركة الى مرو وبذلك جعل الصدارة للخراسانيين (١٩) . ويبدو ان ابا هاشم كان فى حالة يأس من امر

---

(19) Shaban , M. A Islamic History - A New interpretation vol 11. 750- 1055 AD/132-448 AH (cambridge University Press .1992) p . 181 .

دعوته وشاء ان ينقلها الى العباسيين ليقفل الطريق على ابناء فاطمة - ابناء الضرة - او لأنه لم يأنس فيهم حسن القيادة ، ولم ير اتباع ابى هاشم بأسا فى انتقال القيادة الى العباسيين الذين هم طبعا من آل البيت .

وعند انتصار العباسيين وقع تطور آخر ، ذلك لأن القوة الحقيقية للثورة كانت بيد القادة العسكريين من الخراسانيين ، وكان هؤلاء يتوجسون من الامامة التى كانت الرغبة الثورية للشيعة، لأنها تضع القوة فى يد الامام خالصة وتمهد لتصفيتهم ، وقد فعل ذلك عبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية ، اذ صفى من مهدوا له ووطدوا سلطانه . لذلك اختار القادة العسكريون أضعف بنى العباس للقيادة وهو ابو العباس السفاح وفرضوا عليه صفة امير المؤمنين بدل الامام وعارضوا اعطاءه سلطات ابى مسلمة الخلال بعد مقتله واعتبروا ان امير المؤمنين مجرد رمز بأقل قدر من السلطة الدينية . وقد رضخ العباسيون لمشيئة العسكريين لضعف موقفهم داخل آل البيت، ولكن ابا جعفر المنصور تمكن من نقل السلطة من العسكريين الى يديه واخضاع العلويين واقرار الخلافة فى بيته .

وعندما جاء العباسيون الى الحكم جاءوا بكل وهج آل البيت وحاولوا ان يضعوا دولتهم تحت مظلة الافكار التى نشروها فى حدود ما سمح به العسكريون . فقد سموا وزيرهم ابا مسلمه الخلال، وكان داعية عظيماً ، وزير آل محمد ، وتولى الوزارة للسفاح على هذا الاساس . واعلن ابو العباس ، اول خلفائهم ، فى مسجد الكوفة انه السفاح ، ويقصد بذلك ، لا القاتل فيما تعنى العبارة الآن او قاتل بنى امية كما زعم البعض ، وانما الجواد الذى يبذل المال . وقد ورد السفاح بهذا المعنى فى الحديث السابق ، ومن ذلك تدرك وقعه الذى اراده ابو العباس . وقد خاطبه شاعره سديف بأنه المهدى . وجاء ابو جعفر بعده ، ولكن العلويين كانوا قد تحركوا واصبحوا ينافحون وظهر منهم محمد بن عبد الله الحسين الملقب بالنفس الزكية بوهج عظيم فنافحه ، وقد ضربه ابو جعفر بغير هوادة وقتله . وقد قيل انه لقب نفسه بالمنصور وابنه بالمهدى بعد هذا الانتصار ، وربما كان وصفه فى الحديث الموضوع بأنه يعطى النصر على عدوه ويرهب منه عدوه على مسيرة شهر مفصلاً على هذه الواقعة . ولم يكن ابو جعفر يؤمن حقيقة بمهدية ابنه ولكنه اراد ان يقوى جانبه ويضعف الجانب الآخر . وعندما اعتلى ابنه المهدى الخلافة تصرف وفق لقبه وبما يوحى بأنه الحاكم

العادل الجواد فأطلق سراح المسجونين وقرب العلماء وبذل العطاء للمساكين ولأهل مكة والمدينة ومد حبال التقرب الى العلويين ودعاتهم . ولكنه فى النهاية انتكس نزولاً على الواقع وضرب منافسيه . ومن الملفت ان بعض اهل السنة اعتمدوا مهديته ليتقوا بها شر دعاة المهدية ويأمنوا من الفتن . والى هذا ذهب الضرير فى رسالته (٢٠) . وهكذا تجد مهدية المهدى العباسى دعماً من وجهة منافحة الآخرين .

على انه كان من الصعب على العباسيين ان ينجحوا فيما كانوا يدعون من مهدية ويستمروا فى ادعائها ، لأن المهدية اصلاً راية معارضة ، ومن المستحيل تحقيقها فى واقع الحياة وارضاء المطالبين بها وتحقيق ما تدعو اليه . وقد نجح العلويون بحكم قرابتهم للرسول وحسن دعايتهم وفدائهم مقابل الاتجاه الدنيوى للعباسيين فى سحب البساط من تحت اقدام العباسيين وأبعدوهم عن الحلبة .

مهدى اهل السنة :

نشأ مذهب اهل السنة فى قلب العالم الاسلامى وفى اطار التيار العام لحراك الاسلام . وقد سلم اهل السنة بانتقال القيادة من الخلافة الراشدة الى الامويين ثم الى العباسيين وانتقالها من خليفة الى من يليه بالوجهة التى تمت ، ووضعوا الاعتبار الاكبر لاستقرار المجتمع ، وهذا ما يجعل فكرهم وموقفهم يختلف عن المذاهب والفرق التى نشأت معارضة لهذا التيار العام والحركات التى قامت فى اطراف العالم الاسلامى بتوجهات تدعو الى قلب هذا التيار العام وتحويله .

واعتبر اهل السنة رأسهم خليفة للرسول ، لا اماماً مثل الشيعة ، وهم لا يحيطونه بأمور عقدية تجعل موقعه اصلاً من اصول الدين ، وهو رأس المسلمين فى امور الدين والدنيا ، وطاعته واجبة على المؤمنين، بيد ان هذه الطاعة مقيدة بطاعة الخليفة نفسه لله ، فان حاد قوّم ، فان تمادى عزل . ولكن . الفقهاء شددوا فى امر العزل حتى لا يفتحوا باباً للفتنة وذهب البعض الى عدم جوازه . وهناك باب واسع فى الكلام على الخارجين على الخليفة وكيفية التعامل معهم (٢١) . ومن هنا قالوا

---

(٢٠) الامين الضرير : هدى المستهدى الى بيان المهدى والمتمهدى ، انظر ادناه ، وكل قول ينسب الى الضرير فى هذا السفر يرجع الى هذا المصدر .

(٢١) انظر ذلك فى فتوى محمد احمد هاشم ادناه ، وفى نصيحة العوام تحقيق المؤلف ، ص ٣٩ -٤٢ .

بتحريم الخروج على الخليفة ، وهو الخط الذى سار عليه العلماء فى دفعهم مهدية مهدى السودان .

وذهب بعض المفكرين الى ان قوة فكرة المهدية وضرورتها جاءت الى اهل السنة من هذا الباب الذى اوصدوه تقية من الفتنة ، اذ طالما انه لا خلاص من ظلم الخلفاء وجورهم بالثورة عليهم فلا يبقى الا رجاء فرج السماء بظهور المهدى الذى يملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً وظلما، وممن ذهب الى هذا صراحة يوسف بن يحيى الدمشقى فى كتابه الذى وضعه فى المهدى ، فانه قال انه لا أمل فى رفع ما وقع على المسلمين من ظلم واصلاح حالهم الا بظهور المهدى (٢٢) .

وخليفة اهل السنة مهمته قيادة المسلمين واقامة العدل فيهم والزود عن الاسلام ولكنه ليس المرجع فى امور الدين ولا يحمل المؤهل الدينى الذى يحمله امام الشيعة او مهدى الصوفية القائمين على مرجعية أبعد من ملكة الانسان العادية . ولذلك يحتل العلماء مركزاً رئيسيا فى هذا الجانب ، ولذلك ذهب العلماء الى ان العلماء - لا الخلفاء - ورثة الانبياء والى انهم اولى الامر بما يحملون من مسئولية البشر وانتهوا الى ان تخليف الخليفة يتم بالنص من الخليفة السابق وببيعة اهل الحل والعقد . غير ان هذه القاعدة وضعت التخليف فى ايدى فئة قليلة بالمركز وجعل الاختيار يدور فى دائرة ضيقة مغلقة فى اسرة ، وقد اعترض عليه من قبل المعارضين ، وانت ترى ان هذا من نقاط الخلاف بين المهدى والعلماء الذين معه من جهة وبين العلماء الذين يدافعون عن الخلافة العثمانية . وذهب اهل السنة فى نظرهم الى الاعتماد على ظاهر الشرع والالتزام به وعدم الأخذ بالباطن وما يجئ من ورائه ولم يعولوا على تأويل الآيات، وعموما كانوا اهل الفطرة والأقرب الى الواقع .

وقد اخذوا فكرة المهدية فى اطار اتجاههم هذا ومزاجهم ، فهم يعتمدون الفكرة لتواتر الأحاديث عنها ، وقد نظروا فى هذه الأحاديث بوجه ما يأخذ به علماء الحديث اعتماداً على السند وانتهوا الى ما هو متفق عليه وما هو حسن وضعيف ومرفوض وما الى ذلك من أحكام الحديث . والقاعدة عندهم ان المهدى من نسل الرسول وانه يقيم العدل المطلق بين العباد ويعيد الدين الى نقائه الذى كان عليه فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين . ولكنهم لا يرون للمهدى من العقد ما يراه الشيعة والمتصوفة، وطالما ان الاسلام قد اكتمل على يد الرسول ، اليوم اكملت لكم دينكم ، وطالما ان القرآن هو الصحيفة المكتملة للدين المكتمل القويم فلا معنى لأن يدخل المهدى شيئاً جديداً او ان

---

(٢٢) المهدية فى الاسلام ، ص ٤٠٦.

يغيّر فيه ، فمهدى اهل السنة اذاً مصلح مجدد فى اطار تقويم الحكم واقامة العدل . وقد جاءت رسائل العلماء المعارضين لمهدى السودان معبرة عن هذا الاتجاه .

ويلاحظ بعضهم بحق ان كبار علماء اهل السنة لم يتحمسوا للكلام عن المهدى او تعمدوا الابتعاد عنه . فالغزالى لم يتكلم عنه . والايجى سكت عنه فى مواقفه . والتفتازانى لم يذكره وهو يعدد علامات الساعة . وهذه مناسبة تدفع للكلام عن المهدى اذ هو عند المتحدثين عنه من علامات الساعة . ويميل بعض المحدثين من اهل السنة الى نفيه ، مثل احمد امين والنشاشيبى (٢٣) . ولكن علماء اهل السنة جاءوا اليه من باب الحديث وباب التفسير . وباستعراض ما كتب وما جمع هنا يمكنك ان تدرك الى اى حد انشغل علماء اهل السنة وجمهورهم بالمهدى وظهوره .

مهدى الصوفية :

ترجع مرجعية الصوفية فيما يذهبون اليه من رأى او عمل الى ما جاءهم – فيما يقولون – عن الرسول وعليّ بن ابى طالب ، الذى خصه الرسول فى نظرهم بأسرار ومعارف عالية ، متسلسلاً من شيخ الى شيخ . ومرجعهم الأكبر فى كل وقت هو القطب ، والذى هو المركز فى مملكة الصوفية الروحانية وبين يديه مدار الكون ، وهو يسمى ايضا غوثاً باعتباره ملجأ الملهوف والمنقذ للبشرية بما يملك من القوة الروحانية . ومن تحته يجئ الأوتاد والأبدال والنجباء .

ولا يعتمد المتصوفة على النقل والمعنى الحرفى ، وقد رفضوا القياس العقلى باعتبار ان العقل البشرى يقصر عن ادراك الحقائق ومدار الذوق ، وبالتالى فان ما يجئ بالنقل والقياس هو الشريعة، والشريعة علم الظاهر الذى هو فى متناول الجميع ، اما الحقيقة فتأتى عن طريق الذوق ولا يكون منالها الا لأهل المشاهدة . وقد ذهبوا يؤولون الآيات ويطلبون من ورائها باطنا لا يدركه الا الخاصة ، وهذا الباطن هو الحقيقة .

وقد سبق ان قلنا ان الصوفية كانوا فى اول امرهم مشغولين بالوجد والنقاء القلبى والزهد عن الدنيا وانهم دخلوا فى الأواخر فى امر المهدية . وكان ذلك نتيجة منطقية لتبنيهم المملكة الروحانية التى تسيطر على مصائر العالم ، والتى على رأسها القطب ، بيد انهم صعدوا من القطب الى قطب الأقطاب والولاية الكبرى وختم الولاية والخلافة الكبرى ، اى انهم دعوا الى رأس تكون عنده

(٢٣) نظرية الامامة ، ص ٤١٦ .

الأقطاب والولاية الكبرى وختم الولاية والخلافة الكبرى ، اى انهم دعوا الى رأس تكون عنده المرجعية الدينية الكبرى ، لا بالاجتهاد القائم على القياس العقلى ، وانما على الكشف والتلقى المباشر عن الرسول . وبذلك أسقط الصوفية فكرة الاجتهاد والابتداع ، بل وحرموا ذلك على الولى، وذهب غلاتهم الى ان الولى لا يحتاج الى الشريعة لأنه اصبح فوقها وفوق مجمل التراث الاسلامى، وان الولى بمفرده يستطيع ان يعيد الشريعة اذا ضاعت . ذلك ما قال الغلاة ، ولكن الاتجاه الغالب عند المتصوفة هو الالتزام بالشريعة والعمل بها .

وقد جاء الصوفية الى المهدية عن طريقين ، اولهما طريق الولاية التى تترقى الى الختم والمهدى ، وثانيهما انتقال آراء الشيعة اليهم والالتقاء معهم فى مرجع أعلى له سلطة عليا جامعة مستمدة من خصوصيته . وقد لعب ابن عربى الدور الأكبر فى هذا المسار ، فانه نقل آراء الشيعة وتصوراتهم الى الصوفية وتبنى فكرة ختم الولاية ووضع قالب مهدى الصوفية . وقد عد بينهم الشيخ الأكبر والمرجع الذى يؤخذ منه . وممن سلك سبيله من متصوفة المغرب ابن قسى وعبد الحق بن سبعين وابن ابى واطيل ، والشعرانى والسيوطى وغيرهما من مصر . وحسب السياق الذى وضعه ابن ابى واطيل لمدار الكون فان العالم يبدأ بالضلال ثم ينتقل الى النبوة ثم الى الخلافة ثم الى الملك الذى يأتى بالتجبر والتكبر ، ثم الى الضلال ثم الولاية الكاملة – اى ان الولاية الكاملة تأتى بعد الضلال كما جاءت النبوة بعد الضلال – ثم الدجال . وقد عرض الشيخ محمد شريف نور الدائم فى قصيدته نسقا من هذا القبيل(٢٤) .

ويعتمد الصوفية فى تفسيرهم للآيات وتبنى احكامهم على الفيض الذى يأتى بغير سبب او ادلة او قياس . ومهدى الصوفية فوق ختم الولاية ، وهو فى مرتبة الخلافة الكبرى . وهو لا يعتمد على القياس ولا يجتهد ولا يبتدع وانما يتلقى ما يفعل من الرسول مباشرة ، وهو يقفو اثر الرسول لا يحيد عنه ، وما يفعله ويمضيه هو ما كان يفعله الرسول ويمضيه لو واجه الواقعة نفسها .

وقد عرض ابن عربى افكاره عن المهدى فى «الفتوحات المكية » و«عنقاء مغرب» . وفيهما يروى

---

(٢٤) انظر ذلك فى قصيدته ادناه .

يأتيه . ويحسب عليه اعتماده على الرموز واستخراج نبوآت منها عن طريق حساب الجمل عن زمن ظهور المهدى . فهذا من قبيل التنجيم وواقعا لم يتم ، وعرضه الى هجوم ابن خلدون . وقد جاءت مهدية مهدى السودان من بحر مهدى الصوفية ، وعلى هذا بنى الحسين زهرا كلامه وحاول ان يثبت ان المهدى جاء فى قالب مهدى ابن عربى . الا ان المهدى لم يكن مجرد متبع او ناقل وانما ابتدع اموراً من اجتهاده وبنى قالباً متميزاً وزرعه فى مجتمع السودان ، وهذا هو محور كلامنا فى فصل تال .

فكرة مجملة :

تلك كانت التيارات الكبرى فى تاريخ المهدية ، وهناك تيارات او مواقف لطوائف صغرى نورد طرفاً منها لتكملة الصورة : فالزيدية ، وهم فئة من الشيعة من حيث تشيعهم لأحد احفاد علىّ ، وان كانوا مستقلين فى رؤاهم وسبيلهم ، يستنكرون الفكرة ، لأن المهدية لا تنفصل فى مفهومهم عن الامامة ذاتها . فكل فاطمى عادل شجاع عندهم امام ومهدى فى نفس الوقت ، ولكن دون اعتقاد فى المعنى العقدى للمهدى المتعارف لدى الآخرين .

والسلفية يعتقدون فى المهدى وظهوره ، فابن تيمية اعتمد صحة احاديث المهدى مستنداً الى صحيح احمد بن حنبل والترمذى وابى داود . كذلك ذهب الامام محمد بن عبد الوهاب الى صحة الفكرة اعتماداً على صحة الأحاديث الواردة فيها .

وفى شكل مختصر نشير الى المؤلفات عن المهدى . كان اول من ذكر المهدى اصحاب الحديث ، الا ان البخارى ومسلما لم يرويا احاديث عنه ، واعتماداً على ذلك ضعف المعارضون قضية المهدى باعتبار ان احاديثه لم ترد فى هذين الصحيحين المعتمدين بينما ذهب المؤيدون يروون احاديث منهما فيها اشارة الى المهدى وان كانت بغير تصريح . وقال بعض ان سكوت الصحيحين لا يعنى الغاء الأحاديث الصحيحة التى وردت فى غيرهما . وقد اجمل كتاب «المهدى حقيقية ... لا خرافة» شأن اصحاب الحديث على هذا الوجه (٢٥) :

١- الصحابة الذين رووا احاديث المهدى ٣١ صحابياً .

٢- الائمة الذين خرجوا الأحاديث والآثار الواردة فى المهدى ٣٨ اماماً .

---

(٢٥) المهدى حقيقة ، ص ٥٥ – ٥٨ .

٣- العلماء الذين صححوا او حسنوا الاحاديث من القدماء والمحدثين ، ذكر منهم ٦٣ عالماً .

٤- علماء افردوا الاحاديث بالتصنيف ، وقد ذكر منهم : ٣١ عالماً .

وممن يذكر من هؤلاء :

ابو نعيم الاصفهاني مصنف كتاب «صفة المهدى» ، وهو الذى يشار اليه احيانا بالأربعين حديثا فى المهدى . وكان كتابه مستنداً لمن جاء بعده وعليه اعتمد ابن خلدون كثيراً ، وقد لخصه السيوطى فى عَرفه (بفتح العين) .

النكجى الشافعى وكتابه «البيان فى اخبار المهدى صاحب الزمان » .

جلال الدين يوسف بن يحيى بن على السلمى المقدسى الشافعى وكتابه «عقد الدرر فى اخبار المهدى المنتظر»، وهو الذى ذهب الى انه لا أمل فى الاصلاح الا بظهور المهدى ، وقد نشر كتابه بتحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (٢٦) .

جلال الدين السيوطى وكتابه «العَرف الوردى فى اخبار المهدى »، وله كتاب «الكشف فى مجاوزة هذه الامة الألف ». وقد اعتمد السيوطى فى «العرف» اساساً على «صفة المهدى» لأبى نعيم ، وزاد عليه من مصادر اخرى .

ابن حجر الهيتمى ، وليس العسقلانى كما يقال احيانا ، وكتابه «القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر» ، وهو المقصود هنا ، ونحن نورد نبذة عن كتابه هذا ادناه ، وكتابه الآخر «الصواعق المحرقة» مشهور، وهو فى نقد اقوال الشيعة فى الخلافة وفيه كلام عن المهدى(٢٧) .

على المتقى الهندى وكتابه «البرهان فى علامات مهدى الزمان » وكتابه الآخر «تلخيص البيان فى علامات مهدى آخر الزمان» .

على القارى الهروى وكتابه «المشرب الوردى فى مذهب المهدى» ، وهو ممن ذهب الى افضلية المهدى على ابى بكر الصديق وعمر بن الخطاب. وقد اوردناه ادناه نبذة عن هذا الكتاب.

---

(٢٦) نشر مكتبة عالم الفكر ، القاهرة ، ١٣٩٩ .

(٢٧) عثر مساعد قيدوم على نسخة من هذا الكتاب عند حسين نقيب الاشراف بكسلا وارسلها الى الخليفة فأمر بجمع امثاله وارساله اليه بغير اطلاع ، راجع الحركة الفكرية فى المهدية للمؤلف ، ص ١٧٢ .

محمد بن عبد الرسول البرزنجي وكتابه «الاشاعة لأشراط الساعة».

القاضى محمد بن على الشوكانى وكتابه «التوضيح فى تواتر ما جاء فى المهدى المنتظر والدجال والمسيح» .

محمد صديق حسن خان وكتابه «حجج الكرامة فى آثار القيامة» وكتابه الآخر «الاذاعة لما كان وما يكون بين يدى الساعة» ، وهو ممن رد على ابن خلدون .

عبد الله بن محمد القرطبى ، المحدث المفسر، مصنف كتاب «التذكرة» والذى يعد من أوسع المصنفات فى احاديث المهدى ، وهو ما يزال مخطوطا ، وتوجد منه نسخة فى المتحف البريطانى . وقد نحا القرطبى نحو التوفيق بين الأحاديث . وكان من اثر القرطبى انه وطد فى الفكر المهدوى ظهور المهدى فى جبل ماسا بالمغرب الأقصى ، وجاء من بعده مغاربة دعموا قوله ، ومن هؤلاء ابن عربى وابن قسى وابن ابى واطيل .

ومن المؤلفين عبد الرحمن العيدروسى ، وهو من أحفاد الحسين بن علىّ ، وقد أيد القول بأن المهدى يكون من بنى الحسين .

ومنهم القاضى النعمان وكتابه «شرح الاخبار» ، وقد وضع فيه اخبار المهدى المنتظر من كل المدارس والاتجاهات وجعلها فى قالب عبيد الله المهدى وخلفائه، وهكذا يكون كتابه من باب اقوال الفاطميين فى مهديهم .

ويذكر الحسن العبادى فى كتابه «الانوار السنية» كثيرا ممن تناولوا المهدى فى آثارهم .

ويورد الصادق المهدى عرضاً لأحاديث المهدى بوجه مفيد وغير مسبوق يستخلص منه اتجاهات دعاة المهدية فى الاسلام وينتهى منه الى قالب مهدى السودان المتميز (٢٨) .

---

(٢٨) الامام عبد الرحمن المهدى ، مداولات الندوة العلمية للاحتفال المئوى (مكتبة مدبولى القاهرة ٢٠٠٢ م) ص٦٨ -٧٠ .

الفصل الثانى

مواقف

فيما يلى نتناول ابن عربى وابن خلدون لما لهما من اهمية فى تناول فكرة المهدية ، وابن تومرت وعبيد الله المهدى باعتبار انهما وصلا الى الحكم تحت راية المهدى وخطّ كل منهما رسماً فى ارض الواقع ، وكتابين فى المهدى على وجه النموذج وهما «المشرب الوردى» للقارى و«القول المختصر» لابن حجر الهيتمى ، ومواقف الشعرانى والسيوطى من مؤلفى الصوفية ، والشبلنجى والصبان اللذين جاءا الى المهدى استطراداً من الكلام عن آل بيت الرسول ، والفوديين الذين ساروا على هدى الشعرانى ثم اسقط كبيرهم توقيته .

محى الدين بن عربى :

هو محى الدين بن علىّ بن محمد بن عربى الطائى ، وكنيته ابو عبد الله . لقب بالطائى لأنه من اسرة تنسب الى حاتم الطائى الذى يضرب به المثل فى الكرم . ويقال انه يوصف عند المغاربة بالحاتمى تمييزاً له عن القاضى ابى بكر بن العربى من اهل الاندلس . وهذا ما عليه كاتب المقالة عنه فى «موسوعة الاسلام الجديدة» . ويشار اليه عادة عند المشايعين له بالشيخ الأكبر، وعلى هذا جرى الحسين ابراهيم زهرا فى كتابه «الآيات البينات » .

ولد ابن عربى فى مرسية بالاندلس فى ٥٦٠هـ/١١٦٥م . وكان ابوه عالماً وصديقاً للفيلسوف الاسلامى المشهور ابن رشد، ومن هنا قال بعض المؤرخين بالصلة بين ابن عربى وابن رشد. وقد اخذ العلم على شيوخ كثيرين وتبحر فى القراءة على مختلف المدارس والمذاهب الا ان اعتماده فى ما كتب كان عن طريق الفيض والتلقى المباشر عن الرسول . ويذكر ابن عربى انه فتح عليه بعد مرض وهو فى اول عمره .

بدأ حياته كاتبا لبعض الحكام الا انه قضى عمره من بعد متجولاً ودارساً. خرج من الاندلس لأول مرة وذهب الى تونس وهو ابن ثلاثين واتصل بعبد العزيز المهداوى ، ثم ذهب الى فاس ، وهنا كتب «كتاب الاسراء» . ثم عاد الى الاندلس ، وفى اثناء مقامه هنا كتب «مواقع النجوم». ثم عاد الى تونس ومنها ذهب الى القاهرة ثم الى القدس ثم الى مكة حاجاً . وهنا قضى عامين ، وفيه كتب «تاج الرسائل» و «روح القدس» و «ترجمان الاشواق» وبدأ كتاب «الفتوحات المكية» . ثم غادر

مكة الى بغداد ، ومنها الى الموصل ثم الى قونية . ثم ذهب الى القدس ، ومنه الى القاهرة ، ثم الى مكة ، ثم الى قونية ، وهنا كتب «رسالة الأنوار» . ثم ترك قونية وذهب الى دمشق حيث واجه هجوم المتشددين فى نقده واتهامه . وهنا كتب «فصوص الحكم». وأكمل «الفتوحات المكية» . وقد توفى فى دمشق فى ٦٣٨هـ/١٢٤٠م وله مقام يزار الى اليوم .

كتب ابن عربى كتبا كثيرة بالشعر والنثر ، وكان فى مؤلفاته المنثورة يورد كثيرا من شعره ، وبعض نثره شعر منثور ، وهو يلجأ الى هذا لأن الشعر أبلغ فى التعبير عن الوجدان الدينى . وفى أدبيات السودان عبر اسماعيل الدقلاشى فى كتابه عن التصوف بالشعر فى مواضع الوجدان والعمق ، وفعل ذلك ايضا الشيخ عبدالمحمود نور الدائم . ويذكر بروكلمان لابن عربى ٢٣٩ قطعة ، ولكن بعض كتبه مكرر فى هذا الاحصاء لتعدد اسماء كتبه ولأن الناسخين كانوا يفردون اطرافا من الكتب ويجعلونها كتبا مستقلة . ويرى كاتب المقالة فى «موسوعة الاسلام الجديدة» ان مؤلفاته تبلغ ٤٠٠ قطعة – هكذا بشكل محدد! ويرد ثبت لمؤلفات ابن عربى فى كتاب «تاريخ وتصنيف مؤلفات ابن عربى» للاستاذ عثمان يحيى ، وهو باللغة الفرنسية وصدر فى دمشق فى ١٩٦٤م .

وأغلب اعمال ابن عربى فى التصوف ، وبعضه فى التفسير والحديث . الا ان تفسيره فيضى لا يستند على مستند نقلى وانما على ما يرد عليه من فيض ربه ، وهو من هذا الوجه موصول بالتصوف .

وفى الفتوحات اودع ابن عربى كل تصوراته الصوفية . وهو يقع فى ستة فصول و ٥٦٠ بابا . وللفتوحات تلخيصات وشروح كثيرة اهمها للشعرانى . وهذا نشر محققا فى القاهرة منذ سنوات . وكتاب «الفصوص» طبع عدة مرات فى القاهرة ، ولعل اهم طبعاته ما كان بتحقيق ابى العلا عفيفى. ويذكر بروكلمان له نحو ٣٥ شرحا ، ومنه شرح ابن عربى نفسه الذى سماه «مفتاح الفصوص» ، وانما شرح ابن عربى الفصوص لأنه قال انه اصلاً لم يكن من تاليفه وانما املاه عليه الرسول . ومعظم كتب ابن عربى ما يزال مخطوطاً .

ويجد ابن عربى الآن قدراً من العناية باعتباره صوفياً مفكراً .

يذهب ابن عربى مثل اغلب صوفية الاسلام الى القول بأن العقل البشرى محدود ولا يصل الا الى الظواهر . وقد قسم العلم الى ثلاثة اقسام :

١- علم يمكن الحصول عليه بالعقل بناء على النظر والتفكير والاستدلال .

٢- علم يحصل عليه بالحال عن طريق الذوق .

٣- علم الاسرار ، وهو العلم الذى تنفثه الروح فى الروع ، وهو فى بعضه مثل العلم الذى تأخذه بالعقل والحال ، وفى بعضه من الاخبار ، اى مما جاء به الرسل . وعلم الاسرار فوق طوق البشر ويأتى من الله بواسطة ملك او فيضاً بغير واسطة ، وهو ينال بعد تربية صوفية عليا على يد شيخ بصير . والذى يصل هذه المرتبة يعرف كل شئ . والقياس العقلى لا يصل الى المعرفة لمحدوديته . وكل ما جاء به الرسل يقبل ولا يناقش . وابن عربى نفسه بلغ مرتبة العارف ، ويأتيه العلم اما فيضاً واما املاءاً من الرسول او تلقيا عنه . فلما يقوله نفس المكانة لما يقوله الرسول لأن الولى قالب الرسول . ولكنه ليس نبيا . ومعرفته تستند ايضا على القرآن والذى فسره بعيداً عن النص اعتماداً على الفيض . وقد تكلم عن السفر الى الله ، والمسافر هو السالك ، وهو ظاهراً مع الناس وباطناً مع الله .

هذه الآراء ومثلها جلبت عليه هجوم بعض العلماء واتهامه بالبدعة والكفر، ومن هؤلاء ابن تيمية وتاج الدين السبكى وابن خلدون ، وحديثا اتباع محمد عبد الوهاب . وكان نقد ابن خلدون نقداً هادئاً فى المقدمة مبينا انه جاء الى المهدية بغير طريق الحديث النبوى وان نبوآته لم تتم ، الا انه شدد عليه فى «شفاء السائل» وعد آراءه كفراً ولغواً . ولكن اشياع ابن عربى من الصوفية عدوه القدوة ولقبوه بالشيخ الأكبر . وما تزال الخصومة حوله محتدمة .

وذهب الدكتور كامل مصطفى الشيبى فى كتابه الجيد «الصلة بين التصوف والتشيع» (١) الى انه من الاوائل الذين وضعوا فكرة وحدة الوجود ، وانه كان عالماً متبحراً فى آراء الشيعة ، وانه نقل هذه الآراء الى التصوف ، وانه نظم دولة للأولياء تقوم على الاوتاد والأبدال . ويظن البعض انه اخذ افكاره عن الاسماعيلية .

اما عن المهدية فان ابن عربى تناولها فى «الفتوحات المكية» فى فصل فى الجزء الثالث سماه «فى معرفة منزل وزراء المهدى الظاهر فى آخر الزمان الذى بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من آل البيت المطهر من الحضرة المحمدية» ، وقد نقلنا ادناه ضمن الأدبيات اطرافا من

(١) ج ٢، ص ١٦٧ وما بعدها .

هذا الفصل اعتماداً على الشعرانى . ثم تناول ختم الولاية فى «عنقاء مغرب» ، وهو كتاب صغير الحجم ، ملئ بالنبوآت والرموز وما يشبه التنجيم ، ولا ننكر انا وقفنا فيه على لفظ «المهدى» ، ولكن المهدى عنده هو ختم الولاية نفسه . وله قصيدة فى المهدى من ٨٣ بيتاً ويليها فصل يتكلم فيه عن مولده ونسبه ومسكنه وما يكون من امره . وهذا الأخير فى مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (٢) .

وعلى ما ترى من الأقوال التى نقلناها من الفتوحات وعنقاء مغرب فان ابن عربى لا يروى الأحاديث والأخبار كمستند يستشهد به كما يفعل العلماء وانما يروى مضمونها ممزوجاً بذوقه وتصوراته الذاتية . وقد وضع المهدى فى مرتبة ختم الولاية المحمدية ، فهو أعلم الخلق بالله ولا يكون فى زمانه ولا بعد زمانه أعلم منه بالله وبمواقع الحكم ، فهو والقرآن اخوان كما ان المهدى والسيف اخوان ، كما قال ! ويقول ابن عربى فى هذا الختم ايضا : «ان الختم الذى يحمل لواء الولاية ولا يكون المنتهى للمقام والغاية انه كان ختماً لا يعرف وكان له الامر لا يرد ولا يصرف فى روحانية متجسدة وفردانيّة متعددة ختم امراً جسيماً فاستتر وختم امراً مقامياً فظهر . فان بعده ولى فليس له المقام العلى ، فانه من جملة اتباعه وصحابته واشياعه» . ويقول : «فليس الختم بالزمان وانما باستيفاء مقام العيان، وان كان ولا بد ان يقارن حركة ملك هى زمانه ووقته واوانه» .

ان آراء ابن عربى وتصوراته تهمنا فى هذا الموضع لأن فكرة المهدية تطورت على يديه واخذت ابعاداً جديدة ، لأنه مزج بين تصوراته الثرة وبين افكار الشيعة وتصورات الصوفية وخرج بقالب دولة الاولياء ، وللصلة الوثيقة بين ما رسمه وبين ما اخذ به مهدى السودان . صحيح ان مهدى السودان لم يقل فى اى موقع انه اخذ منه او بنى على منواله - وفى الحقيقة ولا من غيره - بل ولا ينبغى ان يقول ذلك لأن مستنده التلقى المباشر من الرسول ، ولكن تصور المهدى يصب فى نفس تصور ابن عربى ومستنده على التلقى المباشر وبلغ بذلك مرحلة المعرفة التى عناها ابن عربى ، وبالتالى فهو لا يعتمد على فقه الفقهاء ولا يسلك سبيلهم فى النظر ، وليس هو بمجتهد ، ولا بمجدد، وبالتالى لا يدرك حقيقته العلماء ، لأن مستند هؤلاء هو القياس العقلى المحدود ، وانما يدركها اهل المشاهدة ، وبالتالى - ايضاً - يدرك المهدى كل الامور ويصل الى الشريعة الحقة التى

---

(٢) تحت رقم : التصوف ج ، رزم ص ٤٤٥ .

كان يفعلها الرسول لو كان حياً . ثم ان الحسين زهرا اعتمد صورة ابن عربى هذه للمهدية فى رسالته وذهب يبرهن على ان قالب المهدى هو قالب ابن عربى ذاته للمهدية .

وبينا يتكلم ابن عربى عن المهدى ووزرائه فى الفتوحات فان كلامه فى عنقاء مغرب عن ختم الولاية ، وقد يظن المتعجل من هذا ان ختم الولاية بخلاف المهدى ، ولكنهما امر واحد فيه المهدى هو الصفة وختم الولاية هو المرتبة . وابن عربى هو مبتدع فكرة ختم الولاية ، وقد جعله لنفسه ، وربما لجأ الى هذا تحوطاً من ضرب الحاكم له فيما اذا اعلن نفسه مهديا. وعلى منوال ختم الولاية عند ابن عربى تبنى احمد التجانى ، مؤسس الطريقة التجانية ، فكرة قطب الأقطاب وختم الولاية المحمدية ، وقد اعتبر نفسه بهاتين الرتبتين فى أعلى مراقى الولاية . وقد حدد بنفسه صفة الرتبتين ومقاميهما ، وقد ذهب الى انه الأصل الذى تفرعت عنه القطبية . وكان ابن عربى مصدر التجانى واتباعه فى كلامهم عن ختم الولاية ، وهم يعتمدون عليه مؤلين كلامه او جره لينطبق على التجانى . كما ان اتباع التجانى اوردوا علامات مستندين على اقوال مختار الكنتى عن ابيه فى كتاب «الطرائف والتلائد» ، والذى هو ترجمة لأبيه ، واعتمد التجانى نفسه على حضرة نبوية اخبره فيها النبى بأنه قطب الاقطاب وختم الولاية (٣) ، اى أعلى مراقى الولاية ، وذهب محمد عثمان الميرغنى الى انه ختم الولاية ، اى أعلى مراتبها ، وهذه المرتبة عنده دون مرتبة المهدى الذى لا يعلوه الا الرسول . وفى امر ختمه نفى عن نفسه ختم الولاية الذى لا ولى بعده . ولابن وفا المصرى مذهب مماثل فى الامر جعله له ابنه بعد وفاته . ومحمد الكبير الكتانى مؤسس الطريقة الكتانية فى المغرب ذهب الى انه قطب الأقطاب .

وقد راجت كتابات ابن عربى فى السودان ، واستند المؤيدون للمهدى والمعارضون له على اقواله للحكم على احوال المهدى لمطابقتها لأحوال المهدى المنتظر وشروطه . وكان اعتماد الاوائل أكثر لتوافق ابن عربى والمهدى على مهدى الصوفية . وقد دست على ابن عربى نبوءة تقول : «فان ظهر الامر بمجمع البحرين ولاح السر لذى عينين قام سمى النبى وعن يمينه سمى الولى وذلك عند انعدام الخاء من حروف الهجا . . . فاذا ظهر الانسان بالماء وكانت الشمس بالجوزاء اخذ هيكس

---

(3) Abun - Nasr , Gamil The Tijaniyya , A Sufi Order in the Modern World (Oxford University Press 1965) pp. 28 - 29 .

الظما وامت به جنود الارض والسما وسال وادى منا وذلك فى التاسع لذى الحجة ، وقد ظهرت على المعاند الحجة حتى اذا جاء الفرد صفر ظهر الفساد فى البشر . . . . وغردون مولد الانشا يقبل عند بى الانتشا ، فاياك اياك اذ ذاك ، اذا كانت القطوف دانية» . لقد املانى هذه النبوءة محمد السيد بن الخليفة عبد الله وقرأها لى من محفوظه محمد المهدى بن الخليفة عبد الله ، ثم وقفت على نصها فى مخطوط «نصيحة الحق الموافق لهداية عبد الرحيم» الذى كتبه يوسف احمد محمد عوض السيد للسيد عبد الرحمن المهدى ، وقد قدم للنبوءة بقوله : «هذه رسالة الامامة الكبرى فى المهدى عليه السلام للشيخ الاكبر سيدى محى الدين بن عربى» (٤) . ونصحح أولا الاسم «عبد الرحيم» ، فان المقصود «عبد الرحمن» ، اى عبد الرحمن المهدى ، وكان يلقب بين الانصار بالصادق . وهذه النبوءة من بحر ما نعرضه ليوسف هذا فى أدبيات ما بعد المهدية ، وكان على ما يبدو واسع الخيال ويحسن تدبيج الأمور والتفصيل على الوجه الذى يريد . وقد اخذ اطرافاً من هذه الفقرة من عنقاء مغرب وزاد من عنده اطرافا فصلها على حوادث المهدية .

ابن خلدون :

هو عبد الرحمن بن محمد بن ابى بكر بن محمد بن خلدون ، جده البعيد من حضرموت باليمن ، ولذلك لقب نفسه بالحضرمى ، والأقرب وائل بن حجر الصحابى وراوى بعض الأحاديث . استقرت اسرته بالأندلس فى تاريخ لم يجمع عليه وبرزت بقرمونة ثم اشبيلية واتصلت بخدمة الملوك واسهمت فى السياسة ولعبت بدور فى الفتن والصراعات السياسية . ثم اتبعوا بنى حفص الى تونس ودخلوا فى خدمتهم ، وهذا هو الذى أهل ابن خلدون لولوج خدمة الحكام وعالم السياسة . وشذ ابوه عن الاسرة فانقطع للعلم وابتعد عن السياسة .

ولد ابن خلدون فى ٧٣٢هـ/١٣٣١ - ١٣٣٢م واقبل على تحصيل العلم من صغره على ابيه وغيره من العلماء حتى جاء الطاعون وحصد الناس وأتى على جل اساتذته وهرب من البلدة من نجا منهم ، فقطع تعليمه ودخل الحياة العملية فى الوظائف الديوانية والسياسية متنقلاً بين بلاد المغرب، ومن حاكم الى آخر ، ومتقلباً من وضع الى آخر ، ومن موقف الى نقيضه ، ورأى عن كثب اضطراب السياسة وتقلب الأحوال وانقلاب القوى وصعود الممالك وزوالها . ثم انصرف الى الكتابة

(٤) انظر هذه الرسالة ادناه .

فى قلعة نائية بعيداً عن السياسة وأعاصيرها زهاء اربعة أعوام ووضع مصنفه المشهور «كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر» فى سبعة مجلدات وظل يراجع فيه وينقح لسنوات . وفى مقدمة هذا المصنف ، وهو المشهور بمقدمة ابن خلدون ، وضع خلاصة تجاربه وحصيلة نظره فى المجتمع الانسانى واهتدى منها الى فلسفته فى نشأة الدول وزوالها . ثم هاجر الى مصر وعمل بها فى وظائف التدريس والقضاء والتقى بتيمور لنك فى الشام وحاول التفاوض لتسوية ولكنه لم ينته الى شئ . وقد توفى بمصر سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥ - ١٤٠٦م .

وكان ابن خلدون شاعرا ، وقد خلف شعراً كثيراً ، وكتب عن حياته كتاباً مهماً رصد فيه تقلبات حياته وتبريراته ازاءها ورصد الحوادث التى اتصل بها . وكان عالماً متمكناً فى الحديث ، مجيداً بالأخص فى الرواية . وهذا الذى مكنه من تناول الأحاديث الواردة فى المهدى والطعن فيها من جهة الرواة . وقد اضاف الدكتور على عبد الواحد وافى الى ذلك تمكنه فى التراسل الديوانى .

اتجه ابن خلدون نحو التأليف فى التاريخ خدمة للمؤرخين ، وكان جوهر ما يرتكز عليه هو ضرورة النظر فى الأمور بالتمحيص ومن ثم الوصول الى قبول الأمور او رفضها بعيداً عن التشيع والميل بالهوى والتوهيمات واستناداً على القوانين التى تخضع لها الظواهر الطبيعية والقوانين التى تنظم المجتمع الانسانى . وفى عرضه للتاريخ على هذا المنحى ومستنداً على زاده من تجاربه انتهى الى علم الاجتماع وفلسفة خاصة بالتاريخ تمضى على منوال متكرر من البداوة الى الحضارة ثم الاضمحلال وقاعدة العصبية التى تقوم عليها الدول والدعوات . ويعارض هذا المنحى فى الفكر الاسلامى ابو عبد الله ابن الأزرق . وفى مقدمة جيدة يجرى محقق كتابه «بدائع السلك» مقارنة بين فلسفة ابن خلدون فى التاريخ وفلسفة ابن الأزرق فيقول: «كانت غاية ابن خلدون ان ييسر التاريخ وان يرى فى حوادثه فلسفة او مذهباً يجمع بين الحوادث فى شجرة العلل ، والعلل تضطرد عنده على طريقة العادة . والعادة هى ما يحدث فى كل المناسبات ، والعادة تسير فى مسارها المنتظم ، سنة الله فى خلقه ، ولا يخرق العادة سوى تدخل القدرة الخالقة . وبدون هذا التدخل يعيش المجتمع فى جبرية مطلقة . فالمكان هو المكان والزمان هو الزمان والاشياء متكررة ومعادة ، وحوادث المكان والزمان تتشابه وتتلاحق فى الشرق وفى الغرب ، ولكن تدخل الله «باد» . وقد حدث

حين قاد هذا التدخل الامة العربية ... . ولم تكن هذه ابداً غاية ابن الأزرق . انه بدأ كما بدأ ابن خلدون من نفس المنطلق يفسر الظواهر الاجتماعية ويحاول تحليل العوارض الذاتية ويطبق نفس المنهج الاستقرائي الاصولي الذى طبقه ابن خلدون ولكنه لم يتوقف عند التفسير المادى للظواهر كما هو . ان التاريخ لا يتوقف والدورة الحضارية لا تنتهى بل يعود الزمان ويمتلأ المكان اذا ما صلح الراعى والرعية ، اذا لم يحدث الصراع بين الحاكم والمحكوم . ولهذا لم يوافق ابن الأزرق على نظرية ابن خلدون فى اطوار الدولة . ان الدولة تعيش ابداً اذا تحققت العدالة بين الحاكم والمحكوم (٥) .

حظيت مقدمة ابن خلدون بعناية المستشرقين والمحدثين من العرب باعتباره فيلسوفا متميزاً فى علم الاجتماع وفلسفة التاريخ . وقد طبعت المقدمة عدة طبعات اقدمها طبعة بولاق وأحسنها طبعة لجنة البيان العربى التى حققها وشرحها وعلق عليها الدكتور على عبد الواحد وافى - رحمه الله - واتى فيها بالثغرات والأطراف الناقصة فى الطبعات السابقة وقدم لها بمقدمة متميزة . ثم اشرف وافى نفسه على طبعة دار الشعب التى صدرت بالقاهرة . وترد خلاصة دراسته لابن خلدون فى كتابه «عبد الرحمن بن خلدون ، حياته وآثاره ومظاهر عبقريته» .

ولكننا نلاحظ ان الذين يتناولون جوانب فكر ابن خلدون او مقدمته لا يعنون بالقدر اللائق بفصله عن الفاطمى ، اى قوله فى المهدى المنتظر ، مع ان هذا من أبرز ما كتب فى موضوع خطير شغل المجتمع الاسلامى على طول تاريخه وافضى الى حركات عنيفة كانت لها نتائجها.

عقد ابن خلدون فى مقدمته فصلا عن المهدى ، ولعل ان يكون ذلك من خير ما كتب فى اللغة العربية من حيث استيعابه للقضايا وتناوله لمستند الأقوال سواء كان حديثاً او خبراً وبيانه لتطور الفكرة ووضوح الرؤية فيما يتصدى له وشجاعته فى المأخذ .

يبدأ ابن خلدون بمقدمة سريعة لفكرة المهدى ، وهى مقدمة - على صغرها - جامعة شاملة. واول رأيه ان الفكرة قائمة على المشهور وليس الحق . وهذه العبارة مهمة لأنها تدل على صلب رأيه ، وهو نفى الفكرة من أصلها . والمعتمد الأساسى للفكرة عنده هو الأحاديث التى خرجها الائمة

---

(٥) بدائع السلك فى طبائع الملك ، تحقيق د. على سامى النشار (منشورات وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، سلسلة التراث رقم ٥٣ ، سنة ١٩٧٨) ، ص ٦٢ .

وتكلم فيها المنكرون وربما عارضوها ببعض الاخبار . ومهمته هى رصد هذه الاحاديث وبيان ما قيل فيها تأييداً وطعناً وبالتالى ابراز القضية بمؤيديها ومعارضيها والوصول بها الى الغاية وهى ضعف مستند الاحاديث المروية . واذا ما انتهى من الاحاديث انتقل الى موقف المتصوفة المتأخرين وتبنيهم لفكرة المهدية وما اضافوه اليها . وانما قال «المتأخرون» لأن اوائل الصوفية انشغلوا ، فيما يقول ، بأمور المجاهدة والتعبد وتربية النفس ولم يتعرضوا لأمور غيرها . والمتصوفة المتأخرون لم يسلكوا فى تناولهم مسلك الحديث وانما اعتمدوا « نوعا من الاستدلال ، وربما اعتمدوا فى ذلك على الكشف الذى هو اصل طرائقهم» .

وهو لذلك يحتكم فى تناولهم الى المنطق بينما احتكم فيما سبق الى ضعف الحديث . ثم تناول حركات المهدية الى عهده ، وبذلك يعطى ابن خلدون فكرة شاملة لفكرة المهدية ويحدد الأوجه التى سيتناولها بالتفصيل فى المرحلة التالية من فصله ، وهى :

أ- الاحاديث :

استعرض الاحاديث الواردة فى المهدى - والتى كانت طوع نظره - بأسانيدها حديثا حديثا ومبينا ازاء كل حديث ما للمعترضين من المطاعن وما لهم من الانكار . فاذا ضعف السند ضعف الحديث . وهذا بخلاف تناول ماديلونق الذى يتناول الاحاديث من الوجهة التاريخية ويحاول الوصول بها الى خلفياتها . وفى النهاية ينتهى ابن خلدون الى نتيجة حاسمة : «فهذه جملة الاحاديث التى خرجها الائمة فى شأن المهدى وخروجه فى آخر الزمان ، وهى كما رأيت لم يخلص منها من النقد الا القليل او الأقل منه» . ثم يأخذ حديث «لا مهدى الا عيسى ابن مريم» ويتناول مسنده بالتقصى وينتهى الى قوله : « وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب» . ثم يتناول تأويله بأن المقصود انه لم يتكلم فى المهد الا عيسى فيقول : « يحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به او الجمع بينه وبين الأحاديث ، وهو مدفوع بحديث جريج ومثله من الخوارق » . ويلاحظ ان ابن خلدون لم يذكر هذا الحديث مع جملة الاحاديث ، وهذا يعنى انه لا يعتمده من بينها . ومن المفيد ان نذكر ان كلاماً كثيراً يدور حول هذا الحديث ومنه الى العلاقة بين المهدى والمسيح . ويذهب ماديلونق الى ان هذا الحديث من وضع محمد بن خالد الجندى اليمنى . ونرجو ان يرجع القارئ فى هذا الامر الى فقرة العيسوية فى الفصل التالى .

٢- المتصوفة والشيعة :

تعرض بشكل سريع الى مواقف الامامية والرافضة من الشيعة من الامامة وتطور افكارهم . ثم انتقل الى المتصوفة المتأخرين والذين تلقفوا كثيراً من افكار الشيعة مثل القول بالقطب والأبدال ولحقوا بهم بالقول بالمهدى . ثم ذكر أكثر المتكلمين من هؤلاء المتصوفة فى المهدى وهم عنده ابن عربى فى كتابه «عنقاء مغرب» – لاحظ انه لا يذكر «الفتوحات المكية» – وابن قسى فى كتاب «خلع النعلين» وعبد الحق بن سبعين وابن ابى واطيل تلميذه فى شرحه لكتاب «خلع النعلين» . ثم خلص الى ان «أكثر كلامهم فى شأنه الغاز وامثال ، وربما يصرحون فى الأقل او يصرح مفسرو كلامهم. وحاصل كلامهم فيه على ما ذكر ابن ابى واطيل : «ان النبوة بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال والعمى وانها تعقبها الخلافة ، ثم يعقب الخلافة الملك ، ثم يعود تجبراً وتكبراً وباطلاً » . وعلى هذا القياس تكون امور الولاية التى هى للمهدى ، قبلها الضلال كما كان قبل النبوة ، ثم تأتى الولاية الكاملة كما اتت النبوة الكاملة ، فان للولاية مراتبها ، ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الاولياء اى حائز الرتبة التى هىّ خاتمة الولاية . ثم يجمل رأى ابن عربى بما نقله عن ابن ابى واطيل وما نقل عن الكندى فيما زعم ان المهدى يعيد فتح الاندلس وبما جعلوا فى ذلك من رموز ويختم بقوله : «الى كلام من امثال هذا يعيّنون فيه الوقت والرجل والمكان بأدلة واهية وتحكمات مختلفة فينقضى الزمان ولا اثر لشئ من ذلك فيرجعون الى تحديد رأى منتحل كما تراه من مفهومات لغوية واشياء تخيلية واحكام نجومية . فى هذا انقضت أعمار الأول منهم والأخر» . ثم يتكلم عن موقف معاصريه من المتصوفة ، فقد «انتقلوا الى ظهور رجل مجدد لاحكام الملة ومراسيم الحق ويتحينون ظهوره لما قرب من عصرنا» . فاذا ما انتهى من استعراض كل ذلك ، بالاحتكام الى السند فى موضع الحديث والى العقل فى موضع مذاهب الصوفية ، رجع الى الاحتكام الى اصل رأيه فى الدعوات ومن يدعون لها وهو انه لا تتم دعوة من الدين والملك الا بوجود شوكة عصبية ، ومنه يورد محاولات المهدية التى فشلت لفقدان العصبية ويستبعد ان يكون لقرشى مهدية من بعد لزوال عصبية قريش والفواطم . ثم يتعرض لدعاة اقامة السنة فى المغرب والذين لم يتم لهم ولا لمن بعدهم شئ لفقدانهم العصبية المؤيدة .

تعرض المتكلمون عن المهدى المنتظر الى موقف ابن خلدون منه ، وذهب المعارضون للفكرة

يستندون على أقواله فى دفع الفكرة ويستشهدون بما انتهى اليه ، وكان أبرز من اعتمد عليه فى السودان الأمين الضرير. اما المؤيدون للفكرة فقد انكروا أقواله وطعنوا فيه وفيما انتهى اليه ، وكان معتمد هؤلاء فى نقدهم ان مستند الاحاديث فى المهدى يقوم على التواتر والاجماع فلا تنقض ، وان بعض الاحاديث الواردة فيه صحيحة وحسنة ، وان ابن خلدون لم يورد الا عددا محدوداً من الاحاديث . وقالوا ان ابن خلدون ليس محدثاً - وان كان مؤرخاً قديراً - حتى يعتمد رأيه فى الاحاديث ، وانه حكم العقل فى المتن ، وانه اعتمد أحاديث الآحاد فى تاريخه بينما ينكرها ازاء المهدى ، وانه اعترف بصواب القليل من الاحاديث ومع ذلك ذهب الى انكار الفكرة . وقد عرض احمد امين (٦) مختصراً لرد اثنين من معارضى ابن خلدون وهما احمد محمد الصديق فى كتابه «ابراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون » وابو الطيب بن ابى احمد بن ابى الحسن الحسينى فى كتابه «الاذاعة لما كان وما يكون بين يدى الساعة» . وأورد محمد احمد اسماعيل فى كتابه «المهدى حقيقة ... لا خرافة» (٧) جملة من المعارضين ومختصرات لآرائهم . ولم نقف نحن على اى من الأدبيات المعارضة لابن خلدون . ويلاحظ ان المعترضين على ابن خلدون ردوا على ما جاء فى مقدمته، اما الكتاب الذى خصصه فى الطعن فى المهدية وهو «شفاء السائل» فلم يشتهر بين الناس ولا اشار اليه احد .

ويقول الحسن سعد العبادى ، وهو من المناصرين لمهدى السودان ، فى الباب السابع من كتاب «الانوار السنية الماحية لظلام المنكرين» : «فان كنت من اولى الالباب فاخرج ما يزعمه بعض القاصرين المتسمين بسماة اهل العلم الرسمى (يقصد الأمين الضرير) بنفى المهدى من حيث هو ، ولم يكن له مسند وحجة سوى التمسك بكتاب شخص من الخوارج ومن جلساء الملوك (يقصد ابن خلدون) خرج فيه عن اجماع الامة ، لأن العلماء العاملين والاولياء اجمعين قد اتفقوا على خروجه واجمعوا عليه وصححوا الاحاديث الواردة فيه نقلاً وكشفاً وتلقياً من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة وقبلوها قبول اذعان وتصديق برضى ومحبة ، وانعقد اجماع الامة عليها . ومعلوم بالضرورة ان انعقاد اجماع الامة حجة والخارج عنه مبتدع ومحدث فى الدين ما ليس فيه » (٨) .

(٦) احمد امين ، المهدى والمهدوية (دار المعارف ، سلسلة اقرأ) ص ١٠٦ .
(٧) المهدى حقيقة ، ص ١٢٩ - ١٣٤ .

ابن خلدون وابن عربى – وهما من المغرب – يمثلان القمة من أقصى الطرفين ، الاول رفض الفكرة لضعف الاحاديث فيما رأى وبتحكيم النظر والثانى تبناها وساقها بوجه اتخذه كثيرون من الصوفية ومدعو المهدية ، وخلف الاثنين مؤيدون ومعارضون . والأقوال التى ساقها ابن خلدون فى دحض الفكرة كانت مستند المعارضين للمهدى فى السودان ، وما ساقه ابن عربى كان مستند المؤيدين له . ولذلك يتردد الكثير من اقوال هذين العلمين فيما طرحه العلماء من هذا الجانب وذاك .

ابن تومرت :

مهدى الموحدين ومؤسس حركتهم . ولد بين ٤٧٢ و ٤٧٤هـ/١٠٧٨ و ١٠٨١م ، فى الأطلس فى المغرب . وهو مغربى ، مؤكدا من قبيلة المصمودة ، بالرغم من المحاولة للنسبة الى الاشراف . ولا نعرف عن حياته فى شبابه معلومات ثابتة . وفد الى قرطبة فى ٥٠٠هـ/١١٠٦م وقضى بها عاما . ثم رحل الى الاسكندرية والتقى فيها بأبى بكر الطرطوشى ، ثم ذهب الى بغداد عن طريق مكة والتقى بأبى بكر الشاشى ومبارك بن عبد الجبار . ويقال انه التقى فيه بالغزالى ، والذى كان ناقماً على المرابطين لأنهم حرّقوا كتابه «احياء علوم الدين» . وقيل ان الغزالى دعا عليهم فى حضور ابن تومرت فرجاه هذا بأن يدعو بأن يكون الخلاص منهم على يده . ولكن هناك اخباراً بأن الغزالى لم يكن ببغداد عند قدوم ابن تومرت . ثم عاد الى المغرب بعد ان عانى من المتاعب ما عانى فى كل بلد حل فيه من جراء آرائه المتشددة فى الدين . ومن تونس انضم اليه ابو بكر بن على الصنهاجى المعروف بالبيدق الذى اصبح تابعه المخلص وكتب مذكرات صارت خير مصدر لتاريخ ابن تومرت . ثم التقى بعبد المنعم الذى أصبح يده اليمنى وخليفته من بعده ، فاجتمع ابن تومرت وتوهجه وقوته فى العلم مع كفاءة عبد المنعم الادارية والعسكرية ليؤكد مسار الموحدين وتأسيس دولتهم ، وهو ما يماثل فى تاريخنا اجتماع المهدى بعلمه ونفاذ فكره وجاذبية شخصيته بالخليفة عبد الله بعزمه ومقدرته الادارية . وقد رتب على بن يوسف تاشفين سلطان المرابطين فى مراكش لمحاورة بين ابن تومرت وجماعة من الفقهاء ولكن ابن تومرت لم يقبل ذلك. تطورت الأمور ضده من بعد فاضطر خوفاً على حياته الى التوجه الى اغمات . وهناك ايضاً وقع تحرك ضده بالنظر الى آرائه وتشدده .

ثم ارسل اليه السلطان على بن يوسف رسولا ليحضر الى مراكش ولكنه رفض ، وهكذا اصبح خارجاً على السلطة . وفى نفس الوقت عقد حلفاً مع بعض القبائل ، لا من اجل مذهبه الدينى ولكن

لمعارضتهم لحكم المرابطين . وهنا تواردت له فكرة المهدية . ولما وصل مقر مولده اتخذ كهفاً سماه الغار المقدس ومنه بدأ يبشر بأن ظهور مهدى المغرب قد ازف . ولما خطب بمهديته تقدم عشرة من اعوانه وبايعوه مهدياً ، وقد سموا العشرة المبشرة . وفى حدود سنتين قوى فى الاطلس والسوس واخذ الى جانبه قبيلة المصمودة . وهذا دفع بالموحدين الى ان يقووا انفسهم ويستعدوا ويتحفزوا ، ولذلك هاجر ابن تومرت الى تنملال فى وادى نفيس الأعلى على بعد ٧٥ كيلو جنوب غرب مراكش . وقد طرد اهل البلدة واسكن فى ديارهم اتباعه . وبعد ست سنوات صفيت الانقسامات فى حركة التمييز ووضع الجهاز الذى يقوده العشرة . ثم اتجه لأخذ مراكش ولكن محاولته فشلت بعد حصار المدينة لستة اسابيع وقتل خمسة من العشرة ، ومات ابن تومرت نفسه بعد هذا الفشل فى رمضان ٥٢٤هـ / اغسطس ١٢٣٠م ، الا ان موته اخفى على اتباعه لثلاث سنوات .

اعتبر ابن تومرت نفسه مجدداً . وقد دعا الى نبذ التقليد والاعتماد على القرآن والحديث فقط ووضع فى مقدمة اتجاهه التوحيد والعودة الى الاسلام النقى . وفى مهديته اعتبر نفسه معصوما وعلى اتجاه نقى قويم وان فى سيرته تطابقا لسيرة الرسول . ومن هنا قوله بالعشرة المبشرة موازاة للعشرة المبشرين بالجنة من صحابة الرسول ، والغارالمقدس شبيها بغار حراء واتخاذه الغزوة والسرية على النحو المفصل لوقائع عهد الرسول ، والبيعة التى تمت تحت الشجرة مثل بيعة الرضوان ، والذهاب الى تنملال سمى هجرة والذين هاجروا اليها سموا اهل التنميلة واعطوا مراتب الصحابة . ومع ذلك فانه لم يضف شيئا الى فكرة المهدية ، ولعل ان يكون جهاده فى سبيل دعوته وما قدمه فى مجال الفقه هو أقيم ما فى سيرته . والمتكلمون عن المهدى من بعد ينكرون على ابن تومرت مهديته ، ومن هؤلاء الشعرانى ، وقد نقل ذلك عنه عثمان دان فوديو فى مختصره .

عبيد الله المهدى :

مؤسس الدولة الفاطمية ، ويدور كلام كثير حول اسمه ونسبته الى العلويين . والرأى الذى عليه الفاطميون هو انه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . وقال المعارضون لهذه النسبة انه من ولد محمد بن عبدالله بن ميمون القداح اليهودى وان اسمه الأصلى سعيد وانه اخذ اسم عبيدالله بعد ان جاء الى المغرب . واختلف فى اسم ابيه ايضا . ويقول هو نفسه فى خطاب انه سليل عبدالله بن جعفر وليس اسماعيل . وزاد العباسيون، وهم خصوم الفاطميين فى المذهب والسياسة،

فى الشك ، وأصدروا صكا بتوقيع العلماء بالطعن فى نسبتهم ، واختلف هل كان من بين هؤلاء العلماء الشريف الرضى واخوه المرتضى ام لم يكونا . وكان المؤرخون السنيون معادين لهم لاختلاف المذهب فلعبوا بدورهم فى نفس السبيل . وقد تكلم فى ذلك بقدر مفيد القاضى عبدالله احمد يوسف فى «كتاب النخيل» واستبعد موضع الطعن .

استقر عبيدالله فى اول امره فى السلامية فى سوريا وهى مركز الدعوة الاسماعيلية وبدأ الدعاية لنفسه وارسل الدعاة الى شمال افريقيا ، وكان أهمهم ابو عبدالله الشيعى الذى ركز الدعوة وسط قتامة ، من قبائل البربر ، ونجح الى قدر بعيد . ثم خرج عبيدالله من سوريا متخفياً ، وكان يظن انه متجه الى اليمن ، الا انه اتجه الى المغرب عن طريق مصر . ولما واجه صعوبة الوصول الى المغرب الذى كان يحكمه الأغالبة ذهب الى سلجماسة ، وهناك قبض عليه وسجن . وكان من امر ابى عبدالله انه استولى على ركادة عاصمة الأغالبة وطرد حاكمها الأغلبى وخرج من بعد يبحث عن عبيدالله حتى وجده فى سلجماسة فاقبلا معا ودخلا مدينة ركامة فى ٢٩ ربيع الثانى ٣٩٧ هـ / ١٥ يناير ٩١٠ م واعلنا المهدية . ومع مضى الوقت اختلفا ، ربما لشك ابى عبدالله فى مهدية صاحبه ، او لأن عبيد الله خفف من سلطاته . وفى النهاية قتله هو واخاه وجماعة . ثم جاءت ثورة فأخمدها بعنف ، ومن ثم استقرت سيطرته . الا ان اهل السنة والخوارج وقبيلة زناتة ظلوا يقاومون حكمه وحكم اسرته من بعده . وتمهيدا للتوسع شرقا والاستيلاء على مصر أسس مدينة المهدية فى شرقى المغرب واتخذها عاصمة . وقد حاول فتح مصر الا أنه فشل ومنى بخسائر كبيرة، وقد تم هذا الفتح على عهد المعز لدين الله ، وهذا أسس القاهرة عاصمة مصر منذ ايامه والى ايامنا . وهكذا يكون الفاطميون بناة مدينتين من أشهر مدن الاسلام ، مدينة المهدية فى المغرب والقاهرة فى مصر .

خلف عبيدالله عند وفاته محمد ابو القاسم القائم بأمر الله ، وقد اختلف فى نسبته الى عبيدالله، وكان فيه بعض ما يتصل بالمهدى المنتظر من علامات ومن توقير عبيدالله له ، الا ان المهدى الذى حمل اللقب فعلاً هو عبيدالله والذى هو مؤسس الدولة الفاطمية ايضا. واما تحقيق قائم الشيعة فقد ترك للزمن . وقد اضاف الى فكرة المهدية اموراً ثلاثة ، اولها انه مهدى المغرب الذى يتجه للمشرق بأعلامه . ان عبيدالله هو الذى عمق هذا الاتجاه . وثانيها مولد المهدى بجبل ماسا . والثالث القول

بأن ما لا يتفق عنده من علامات المهدية سوف يتحقق فى خلفائه من بعده . وقد تناول القاضى النعمان المتوفى سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٤ م فى كتابه «شرح الاخبار» هذا القول وطوره ، اذ جمع اخبار المهدى المنتظر من كل المدارس والاتجاهات وطبقها على عبيدالله وخلفائه مع اقتصاره صفة المهدى على الأول .

وهذا يقرب بنا الى أمرين فى مهدية السودان . الأول القول بأن وفاة المهدى قبل ان تتم الفتوحات التى ذكر انها تتم على يديه لا تقدح فى مهديته ، لأن فى هذا الوضع أسوة ، اذ ان خلفاء الرسول وصحابته قاموا بالفتوحات بعد وفاته . والثانى ما ذهب اليه الحسين زهرا بصدد العلامات والشروط التى لم تتحقق فى المهدى ، فانه يقول بأن القياس ينبغى ان يكون بالمهدى ، اذ طالما ثبت باليقين انه المهدى فما تحقق من العلامات والشروط يؤخذ به وما لم يتحقق يسقط من الاعتبار ، اى بدلاً من ان نحدد مهدية المهدى بالشروط والعلامات الواردة نحدد الشروط بحال المهدى !

على القارى و مشربه :

القارى هو نور الدين على بن سلطان بن محمد الهروى القارى ، لقب بالهروى نسبة الى بلده بهراة . وهو من الحنفية . ولم نقف على تاريخ مولده ، وكانت وفاته فى ١٠١٤هـ / ١٦٠٦م . رحل من بلده الى مكة واستقر بها حتى توفى . وقد صنف فى أنواع من العلوم ، ومن مصنفاته : «مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح» ، «تلخيص القاموس ومسماه الناموس» ، «شرح الرائية فى المصحف المسماة عقيلة اتراب القصائد فى اسنى المقاصد» للشاطبى ، «شرح الرسالة القشيرية» فى التصوف، «انوار القرآن واسرار الفرقان»، و «المشرب الوردى فى مذهب المهدى» الذى كلامنا عليه.

ويبدأ القارى سفره بسبب تصنيفه فيقول انه الفه استجابة لمن طلب التوضيح عن المهدى. ثم يذكر انه سمع الشيخ عبدالله المهتدى الشهير بمخدوم الملك يقول ان المهدى بعد ظهوره وانكشاف نوره يتبع مذهب ابى حنيفة وان هذا اشتهر بين علماء العصر وفضلاء الدهر .

ثم يتحدث عن حقيقة المهدى ويشير الى ادعاء بعض أصحاب المذاهب انتماءه اليهم فينفى ذلك ويراه بلا خصوصية مذهبية اى انه يتبع الشرع دون الاخذ بالمذاهب ، ولكنه مع ذلك يقول بأنه اذا اختار التقليد المذهبى فلا شك انه يكون على مذهب ابى حنيفة . ثم يروى أحاديث فى المهدى رواية

عن ابن ماجة وابى نعيم عن انس بن مالك والرويانى عن حذيفة وابى داود وابن ماجه والحاكم . ثم يورد احاديث دالة على ان المهدى من نسل النبى وانه من ولد الحسن وله نسبة الى العباس ، وان له علامتين : خسوف القمر لأول ليلة من رمضان وكسوف الشمس فى النصف منه . ويورد رواية عن الرويانى وابى نعيم عن حذيفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم: لونه لون عربى وجسمه جسم اسرائيلى . ثم يورد رواية نعيم بن حماد عن ظهوره بمكة عند العشاء مع راية رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويظهر فى ٣١٣ رجلا ، وهو عدد اهل بدر ، ويفتح الله له ارض الحجاز ويخرج المسجونين من بنى هاشم ويبعث جنوده فى الآفاق وينزل الرايات السود (رايات بنى هاشم) فى الكوفة ويأخذ البيعة بها . وهو يفتح القسطنطينية . ثم يورد بعض احاديث فى وصف المهدى . ثم يؤكد ظهور المهدى واتباعه واصحابه واشياعه فى بيت المقدس . ثم يذكر ظهور الدجال وعداءه للمهدى ثم نزول عيسى عليه السلام فى المنارة الشرقية فى مسجد الشام وتوجهه الى القدس لنصرة اهل الاسلام وقتله للدجال وتقدم المهدى على المسيح فى الصلاة وقتل اليهود . ثم يعارض ابن عربى فى ادعاء الختم فى «الفصوص» لوجود عيسى عليه السلام وشهود المهدى وكثير من الاولياء فى حياته ومماته الخ . ثم يذكر ما ورد عن تقليد المهدى لأبى حنيفة واعتماد الراوى على رؤيا منامية وضعف الاستناد على الرؤية فى اقرار مثل هذا الامر . ويتعرض لما قيل عن موت المهدى فى خراسان ودفنه وجهل المطابقة (المسماة) بالمهدوية فى اعتبار المهدى الموعود شيخهم وتكفيرهم لأهل السنة لانكارهم مهدية شيخهم ، ثم ينفى صحة اعتقاد الامامية فى نسبة المهدى الى الامام العسكرى ووجوده ومأمنه فى زمانه . ثم يورد احاديث عن المهدى وراياته ومحبيه من خراسان وما ورد عن ظهوره فى مكة بين الركن والمقام والتوفيق بين الروايتين . ثم يتحدث عن رتبة المهدى واحتمال افضليته على ابى بكر الصديق لأنه خليفة الرسول لا خليفة الله ، ويشرح معنى انحصار المهدى فى عيسى . ثم يسهب فى وصف المهدى ويورد الروايات المختلفة ويركز على مولده بالمدينة وهجرته الى بيت المقدس ، ويورد عن علىّ بن ابى طالب انتساب المهدى الى والديه . ثم يتحدث عن نزول عيسى وعمر الدنيا وعلامات الساعة ويشير الى ما قيل عن اجتهاد المهدى والاختلاف حول جواز خطئه فى الاجتهاد ويشير الى ان علم الانبياء بطريق الوحى من الله دون حاجة لاجتهاد او تقليد ، ثم يقارن بين المهدى والدجال ويتحدث عن المهدى عند الرافضة ومهدية

ابن تومرت ويراه كاذباً ظالماً قاتلاً ، ثم ينفى ادعاء القرامطة الباطنية (يقصد الفاطميين) انتسابهم الى اهل البيت ونهايتهم على يد الملك صلاح الدين الايوبى . ويختم الكتاب بذكر الفرق الداعية للمهدى وانتظار ظهوره وابادة المسيح لكل الملل ما عدا ملة الاسلام .

الهيتمى و مختصره :

هذا كتاب صغير الحجم يبلغ فى مطبوعه نحو ستين صفحة ، وهو مشهور يشار اليه كثيراً فى أدبيات المهدية ، وقد حققه مؤخراً الاستاذ مصطفى عاشور وقدم له بمقدمة مختصرة . ومؤلفه ابو العباس احمد بن محمد بن حجر الهيتمى عالم مشهور عاش فى العصر العثمانى، عصر الشروح وشرح الشروح والحواشى والتعاليق وشيوع التصوف وتعدد طرقه وهبوط الفكر بعمومه . وهو من محلة ابى الهيتم بالغربية بمصر ، ومن ثم فهو الهيتمى بالتاء وليس بالثاء كما يفعل البعض . وكان مولده فى ٩٠٩هـ/ ٢٦ يونيو ١٥٠٣ -١٣ يونيو ١٥٠٤م ، وقد توفى ابوه وهو صغير فرعاه بعض أصحابه . وبعد المبادئ انتقل الى طنطا للتعلم ثم الى الازهر الشريف ، وكان من اساتذته السيوطى . وقد توفى فى ٩٧٤هـ / ١٩ يوليو ١٥٦٦ - ٧ يوليو ١٥٦٧. وله مؤلفات كثيرة فى مختلف العلوم النقلية ذكر منها المحقق سبعة .

وصف ابن حجر موضوع كتابه احسن وصف فقال : « فهذا كتاب لقبته بالقول المختصر فى علاماته وفضائله وخصوصياته محذوفة الاسانيد والروايات خالية عن موضوعات الجهلة والطغاة وما رأيته فى بعض كتب الائمة المؤلفة فيه من غير ذكر مخرجه ، اذكره بصيغة مثل الاشارة الى انحطاطه عن الاعتبار لكونه قليلا » . وقد دعاه الى تأليفه ادعاء جماعة قيل انهم مهديون .

ويتكون الكتاب من مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة . وموضوع المقدمة تكفير المكذبين بالمهدى والدجال اعتمادا على حديث يرويه . وفى الباب الأول ذكر علامات المهدى وخصوصياته التى جاءت عن الصحابة ، وهى ٦٢ علامة . وفى الباب الثانى روى العلامات التى جاءت عن الرسول ، وهى ٦٩ علامة . وفى الباب الثالث أورد العلامات التى رواها التابعون وتابعوهم وهى ٥٦ علامة . وفى الخاتمة نقل اموراً متفرقة .

الكتاب مرجع حديثى مبوب حسب موضوعات ، وسبيله ان يضع تحت كل موضوع الأطراف المتعلقة به من الاحاديث ، وهكذا ترد الاحاديث مجزأة موضوعياً . وكان حرياً بالمؤلف ان يضع فى

نهاية الكتاب او فى هوامشه نصوص الاحاديث الكاملة ليرجع اليها القارئ ، اما وقد فاته ذلك فكان معيناً على المحقق ان يفعل .

اثبت ابن حجر فكرة المهدية وجعلها تستند على الاحاديث الموثقة عنده ، وقد ضعف حديث لا مهدى الا عيسى اعتماداً على ان الاحاديث الثابتة بينت ان المهدى من ولد فاطمة ونفى ان يكون لما روى القرطبى بخروج المهدى من المغرب الأقصى أصل . والمهدى من ذرية الحسين والعباس . وثابت عنده ان المهدى يخرج من المدينة الى مكة وبها يكون ظهوره .

السيوطى :

جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن المشهور بالسيوطى ، نسبة الى بلدة اسيوط المشهورة بصعيد مصر ، ولد بالقاهرة فى اول رجب ٨٤٩هـ/٣ اكتوبر ١٤٤٥م وتوفى بها فى ١٨ جمادى الاولى ٩١١هـ/ ١٧ اكتوبر ١٥٠٥م . توفى ابوه وهو دون السادسة من عمره فكفله شيخ من اصدقاء ابيه. وقد نشأ وهو محاط بشيوخ العلم والتصوف وبدأ درب العلم فى باكرة سنيه . وكان ابوه عالما ومؤلفا وترك له مكتبة غنية استفاد منها ، ولعله شق طريقه فى تحصيل العلم وامامه درب ابيه واترابه ممن تربى بينهم . وقد دون سيرته فى كتابه «حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة » .

اخذ السيوطى العلم عن شيوخ كثيرين وارتاد مجالس العلماء فاتسع محصوله من العلم وتنوع. وقد سافر الى كثير من المدن المصرية وكثير من الاقطار مثل الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وقيل بلاد التكرور فاتسع محصوله بما رأى وسمع . وكان مريداً صوفياً ودافع عن الصوفية وبالذات عن ابن عربى والذى كثر الطعن فيه من قبل العلماء . كذلك دافع عن ابن الفارض وهو ما هو فى نظر العلماء الذين اعترضوا على افكاره . وقد دعم القول بعلم الباطن وتقديمه على علم الظاهر . وذهب الى القول برؤية النبى والملك فى اليقظة والمنام، والى انه رأى النبى أكثر من سبعين مرة وصحح عليه الاحاديث ، وهذا ايضاً ألب العلماء عليه . ويقال انه رجع فى النهاية عن معتقده الصوفى وهاجمه ، ولكن الذى انتشر عنه هو ما كان فى محيط التصوف ودعاوى اهله .

بدأ السيوطى التأليف بالمختصرات والتيسيرات ، وقد قدم فى هذه المرحلة أدبيات كثيرة وقربها الى القارئ ، ثم انتقل الى مرحلة التأليف المستقل واستمر نشطاً فى التأليف حتى وفاته . وجاء

تأليفه متنوعا – فى علوم القرآن والحديث والفقه والنوازل والتاريخ واللغة والأدب والمعـارف العامة . وقد أحصـى له دليل مخطوطات السيوطـى (٩) ٩٨١ مؤلفا موزعا فى ١١٤ من مكتبات العالم . وكان من مختصراته : «معجم البلدان» لياقوت الحموى و«احياء علوم الدين» للغزالى و«الاحكام السلطانية» للماوردى و«طبقات الحفاظ» للذهبى و«طبقات ابن سعد» و«اسد الغابة» لابن الاثير و«البداية والنهاية» لابن كثير ، و«الدرر الكامنة» لابن شامة . اما كتبه المستقلة فكثيرة ، منها عدد بلغ شهرة بعيدة . ولكن بعض اعماله كراسات صغيرة ، وبعضها ضعيف المحتوى . وقيل فى محصوله انه لا يقدم جديداً وانما يتوفر على نقل ما وصله ، وقال مؤيدوه انه عوض بذلك المسلمين عن الكتب التى ضاعت فى الحروب والاضطرابات . وعندنا انه جمع ما لا يتفق جمعه بسهولة وبسر بذلك التحصيل . وقد درج على وصف منهجه الذى يسير عليه فى اول كتابه ، وهو يأتى بآراء الناس فى الموضوع منسوبة اليهم ، ولكنه احيانا يتغاضى عن ذلك فيجعلها لنفسه . وكان كثير الخصومة حاد الغضب ، وأشهر من خاصمه السخاوى الذى كـان أوثق منه فـى الحديث وأقـل منه تحصيلا فى العلم ، وهو صاحب سفر مشهور فى التاريخ (١٠) ، وكان سليطاً يهاجم خصومه بعنف . وقد ذكر السيوطى عن نفسه انه ملك ادواته وانه المجدد على رأس المائة التـاسعة وانه بلغ مرتبة الاجتهاد، الا ان العلماء لم يسلموا له بذلك ، بل احرجه خصومه باسئلة استعصى بعضها عليه فيما كان فى بعضها الآخر عـادى النظر ناقلا ما توفر له دون اجتهاد .

وقد كتب عدة مصنفات فى المهدى المنتظر والأمور المتصلة به : «العَرف الوردى فى اخبار المهدى» ، «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» ، «الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجبا والأبدال» ، ولعله هو نفس « فصل فى وجود القطب والأوتاد والنجبا والأبدال» ، « تنوير الحلك فى امكان رؤية النبى والملك» ، «الحصر والاشاعة لاشراط الساعة» ، «رسالة فى امر الساعة» ، «الاعلام بحكم عيسى عليه السلام» ، «البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان» – ويقال ان هذا السفرالأخير لعلى حسام الدين التقى .

---

(٩) احمد الخازندار ومحمد ابراهيم الشيبانى : دليل مخطوطات السيوطى واماكن وجودها (مكتبة ابن تيمية ، ط١) .

(١٠) الاعلان بالتوبيخ عن نم اهل التاريخ ، حققه ونشره المستشرق فرانز روثنتال ضمن كتابه «علم التاريخ عند المسلمين» ترجمه الى العربية الاستاذ صالح احمد العلى .

وترد المصنفات الاربعة الاولى منها فى الجزء الثانى من كتاب «الحاوى للفتاوى» . وقد كنا نعجب من خلو قوائم مكتبات السودان من هذه الادبيات الا ان عجبنا بطل بعد ان عرفنا انها لم تطبع مستقلة وبالتالى لا تكوّن عناوين فى المكتبات . واليك عرضا تعريفيا بهذه المصنفات الأربعة :

(١) العَرف الوردى فى اخبار المهدى :

يبلغ نحو ٢٨ صفحةً فى هذا المطبوع (ص٥٧ –٨٥) . وقد وصف السيوطى مهمته فى مطلع كتابه قائلاً : « هذا جزء جمعت فيه الاحاديث والآثار الواردة فى المهدى لخصت فيه الأربعين التى جمعها الحافظ ابو نعيم وزدت عليه ما فاته » . وهو أصدق وصف له ، لأنه يرص جملة من الاحاديث والآثار بغير تدخل منه . ولكنه فى آخر الكتاب يفيد القارئ بجملة من التنبيهات يعترض فيها على القول بأن المهدى احد اثنى عشر خليفة تجتمع عليهم الأمة ، وعلى الحديث الذى يقول بأن المهدى من ولد العباس وعلى حديث لا مهدى الا عيسى ، وعلى قول القرطبى بأن المهدى يظهر فى المغرب الأقصى .

(٢) الكشف عن مجاوزة هذه الامة الالف :

وهو فى ست صفحات فى هذا الكتاب (ص ٨٦ – ٩٢) ، وفيه يعترض على القول بأن نهاية الدنيا بألف عام من وفاة علىّ بن ابى طالب كما ذهب اليه بعض العلماء ، وذلك لاعتبار ان هذه المدة مضت ولم تظهر علامات الساعة ، يقول : « الذى دلت عليه الآثار ان مدة هذه الامة تزيد على الف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائه سنة » . ثم يورد الاحاديث والآثار التى يعتمد عليها فيما ذهب اليه .

(٣) الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجبا والأبدال :

وهو يبلغ ١٤ صفحة فى هذا الكتاب (ص٩٣ –١٠٦) . وهو يجمع فيه الاحاديث والآثار الواردة بما يثبت مبتغاه هذه .

(٤) تنوير الحلك فى امكان رؤية النبى والملك :

وهو فى ١٤ صفحة فى هذا الكتاب (ص ٢٥٥ – ٢٦٩) ، وفيه يثبت عن طريق سوق الاحاديث والآثار صحة رؤية النبى والله سبحانه وتعالى فى اليقظة .

ومما سبق يتبين لك ان السيوطى لا يتبنى قضاياه هنا بالنقاش وانما يورد الاحاديث والآثار

التى تثبته . فالأمر متروك للقارئ ليهتدى الى صحة الحديث او الأثر او ضعفه واستخراج النتائج من جملة ما يعرضه السيوطى عليه .

ولكن هذه المؤلفات اعطت مادة غزيرة تكفى مستندا لتقيم دعوى المهدية ورؤية الرسول يقظة وعلامات الساعة وكثيراً من هذه القضايا . ومن هنا كان تأثير السيوطى فى أجيال من رجال الصوفية ومن همهم منهم امر المهدية . ومن هولاء الشيخ عثمان دان فوديو وجماعته الذين اهتدوا بمقولاته وان كان الشيخ اسقط بعضها مؤخرا. ومنهم محمد بن محمد الصغير الشنجيطى التشيتى فى كتاب «الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على الشيخ التجانى سيف الانكار» ، وهذا المؤلف نفسه استعان به الحسن العبادى فى «الأنوار السنية» .

الشعرانى :

هو عبد الوهاب بن احمد بن على الشعرانى ، لقب بالشعرانى نسبة الى بلدة آبائه ساقية ابى شعرة بالمنوفية بصعيد مصر ، وهو مغربى أصلاً ، وقد جاء جده موسى ابو العمران وحل بهذه البلدة والتى اصبحت موطن احفاده . وكان مولد عبد الوهاب فى ٢٧رمضان ٨٩٨هـ/١١يوليو ١٤٩٣بيكرة قلقشندة والتى ينسب اليها القلقشندى مؤلف كتاب صبح الاعشا. وكانت وفاته بالقاهرة فى ٩٧٣هـ /١٥٦٥م . ويعد الشعرانى أبرز متصوفة مصر فى العهد العثمانى (١١) ، وله تصانيف كثيرة فى علوم شتى . ومع انه كان واسع التحصيل فى العلوم ومتمكناً من التأليف الا ان جانب التصوف كان يغلب عليه ، وقد ساعد موضعه من التصوف فى انتشار مؤلفاته وامتد اثره واتسع واشتهر شهرة بعيدة . ولكنه روج فى الفكر الصوفى افكاراً من قبيل الخرافة والترهات وهبط بذلك بالفكر الاسلامى. وقد روج لفكرة المهدى المنتظر وادخل فيها أموراً كانت ذات اثر بالغ على عقول من اتبعوه . وكان الشعرانى كثير التعلق بشيوخ التصوف ويدافع عنهم بنفى ما يؤخذ عليهم او بتأويل ما ذهبوا اليه ، وقد صرف كثيرا من الجهد للدفاع عن ابن عربى . وكان ينقل ما يرويه الشيوخ دون توقف ، ومما فعل فى ذلك نقله عن حسن العراقى لقاءه المزعوم بالمهدى المنتظر وترويجه . وقد اشتهر الشعرانى بين متصوفة السودان وتداول الناس أقواله ، ووردت فى كتاب

(١١) د. توفيق الطويل : التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، الشعرانى امام التصوف فى مصر ، تاريخ المصريين رقم ٢٣ ، ص ٦٣ .

الطبقات لود ضيف الله اشارات كثيرة اليه ، وأغلب ذلك فى مطابقة بعض كرامات من ترجم لهم مع كرامات ذكرها الشعرانى . ويوحى محقق هذا السفر بأن كتاب «لواقح الانوار فى طبقات الاخيار» أكثر كتب التصوف انتشاراً بين متصوفة السودان .

تعرض الشعرانى الى فكرة المهدية فى ثلاثة من كتبه هى : «اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر» و«لواقح الأنوار فى طبقات الاخيار» و«كشف الغمة عن جميع الامة» .

يذكر الشعرانى فى الكتاب الاول لقاء حسن العراقى بالمهدى ويقول رواية عن العراقى انه ظل لعام يدعو ربه كلما سجد ليجمعه بالمهدى فجاءه المهدى ومكث بداره سبعة ايام بلياليها ولقنه ذكرا يديم عليه وامره بأن يصوم يوماً ويفطر يوماً وان يصلى ٥٠٠ ركعة كل يوم . وقد وصف وجهه بأنه يشبه وجه الرسول ولكن وجه الرسول أجلى وأملح ، وقال ان عمامته كانت كعمامة العجم وانه كان يلبس جبة من وبر الجمل . وقد بشره بأنه يعمر طويلاً . ثم قام بسياحة فى البلدان لخمسين عاما عاد بعدها الى مصر . وقال ان الله مَنّ عليه بمعرفة أهل الدعاوى الصادقة والكاذبة الهاماً وروى انه كشف زيف من جاء ملثماً مدعياً المهدية .

وفى الكتاب الثانى ذكر المهدى فى معرض اشراط الساعة فى المبحث الخامس والستين وقال ان المهدى من أولاد الحسن العسكرى الامام الشيعى الحادى عشر وان مولده كان فى ليلة النصف من شعبان ٢٥٥هـ وانه باق حتى يجتمع بعيسى بن مريم . هكذا اخبره حسن العراقى الذى لقى المهدى وأيده عليه علىّ الخواص . وقال ان ترقب المهدى يكون بعد مضى عام ١٠٣٠هـ/ ١٦٢١م وفقا لحسابات بعمر الدنيا واضمحلال شريعة الرسول .

وفى الكتاب الثالث يذكر انه اعتمد فى وضعه على الآيات والاحاديث الصحيحة بعيداً عن اجتهادات العلماء وانه يستبق به المهدى بما هو على سبيله من الاعتماد على القرآن والسنة ونبذ اجتهادات العلماء وفتاويهم ليخفف عليه الكلفة ويكفى اتباعه عن سؤاله فى الأمور التى تناولها، يقول : «يظهر المهدى ويرفع الخلاف . . . وقد بشرنى الهاتف عليه السلام ببقاء هذا الكتاب الى خروج المهدى عليه السلام لينتفع به أصحابه ويستغنون عن مراجعة المهدى فى أكثر الأمور الدينية» . وقد اجاز المهدى مطالعة هذا الكتاب لبعض العلماء (١٢) ربما لأنه بنى على الآيات

(١٢) الآثار الكاملة ، مجلد ١، رقم ٥ ، ص ٣٦٠ .

والاحاديث ، حسب قاعدته هو فى الأمور، وربما ايضا لما اراده مؤلفه به من عون المهدى المنتظر .

وقد اكتفى الشعرانى بأن المهدى من ولد الحسن العسكرى ولم يذكر ابنه محمداً صراحة ولكن طالما انه يذكر انه ولد فى ٢٥٥هـ فيتعين ان المقصود هو محمد نفسه الذى اختفى فى السرداب على ما يقول الشيعة الامامية وظلوا يترقبون ظهوره . وقد يتعجب المرء من التقاء الشعرانى بالشيعة الامامية لأنه كان معارضاً لهم ولا يبدى عليهم عطفا ، ولكنه فعل ذلك اعتماداً على رواية شيخه العراقى وعلى نص عن الامام الثانى عشر نقله عن ابن عربى والذى كان متأثراً بآراء الشيعة . وقد تصدى الشيخ الصبان المصرى فى كتابه «اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل اهل بيته الطاهرين» لقول الشعرانى بمهدية محمد الحسن العسكرى باعتبار انه يتعارض مع الأقوال المعتبرة لأهل السنة . وبالطبع فان الشيخ الصبان سنى ولا يقبل مقولات الشيعة . واعترض حسن العِدوى الحمزاوى بدوره فى كتابه «مشارق الانوار فى فوز اهل الاعتبار» وكتابه الآخر «النفحات الشاذلية فى شرح البردة البوصيرية » على اعتراض الصبان على ابن عربى من حيث تغليب الصوفية على غيرها وذهب الى ان قول الصوفية هو المعتمد لأنهم اكثر فهما لأحاديث الرسول ، الا انه اضاف الى ٢٥٥هـ الفا وصار مولد المهدى على يده فى ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م وأبعد تاريخ الظهور ورواية العراقى من النص . وهكذا ابتعدت المهدية على يديه عن امام الشيعة . وقد اعتبر الضرير تصرف الحمزاوى سهواً ، ولكن المرء يستبعد ان يسقط الحمزاوى ويزيد بما يؤدى الى ابعاد المهدية عن محمد الحسن العسكرى بمجرد السهو . والحق ان مقصد الحمزاوى كان ابعاد دعم ابن عربى والشعرانى لمهدى الشيعة الاثنا عشرية . وقد انطلت حيلة العِدوى على الجمهور وثبت فى الاذهان ان المهدى يولد فى ١٢٥٥هـ . وهذا مما يعجب له ، اذ كيف يكون المهدى محمد الحسن العسكرى الذى ولد فى ٢٥٥هـ ومع ذلك يولد فى ١٢٥٥هـ ، وكيف يكون الغائب فى السرداب الى يومه الموعود ويكون فى نفس الوقت شخصاً يولد فى ١٢٥٥هـ وكيف يكون هو من فى السرداب ثم يظهر فى هذا البلد او ذاك . هذا خلط لا تقبله الا الغفلة وغياب العقل تحت طائلة استعباد النص . وتعديل العِدوى نفسه قوى يقين الناس فى ظهوره فى اواخر القرن الثالث عشر الهجرى والذى يتفق مع ظهور عدد من دعاة المهدية . ولو ترك العدوى تاريخ الشعرانى محسوبا على مهدى الشيعة واغفل ما ذكره لما وجد زعم العراقى رواجاً بين اهل السنة.

وذهب الشيخ عثمان دان فوديو في كتابه «الخبر الهادى» الى اعتماد عبارة الشعرانى وترقب ظهور المهدى حسبما حدد الا انه رجع عن ذلك في كتابه «تنبيه الامة على قرب هجوم اشراط الساعة» وأبطل مقولة الشعرانى باعتبار ان الموعد الذى ضربه جاء ولم يظهر المهدى . ولم يكن لمقولة الشعرانى اثر فى السودان ولم يستشهد به المهدى ولا المدافعون عنه ولا المعترضون عليه الا ان الضرير استدعاها وبين ما وقع فيها تحت طائلة السهو ليبعد توافق ظهور مهدى السودان مع مقولة الشعرانى .

الشبلنجى والصبان :

لا يذكر عمر رضا كحالة فى تراجم المؤلفين وخير الدين الزركلى فى اعلامه الا نتفا من البيانات عن الشبلنجى والصبان لقلة زادهما عنهما . وقد ذكرا بعض مؤلفاتهما . وقد اشار احدهما الى ان جرجى زيدان ذكر الشبلنجى فى كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية» الا اننا لم نصل الى هذا الكتاب عند اعداد هذه الفقرة . ولكن الشبلنجى والصبان مهمان لشهرة كتابيهما «نور الابصار» و «اسعاف الراغبين» ولما ورد فيهما عن المهدى المنتظر . وقد جاء الاثنان الى هذا الموضوع استطراداً من كلامهما عن آل بيت الرسول لأن المهدى المنتظر عندهما من ذرية فاطمة بنت الرسول لزماً مستبعدين بذلك محمد بن الحنفية والعباسيين .

وسيد مؤمن بن حسن الشبلنجى مصرى من بلدة شبلنجية واليها ينسب ، ومؤمن اسم شهرة . وقيل انه كان يميل الى العزلة . وقد تعلم فى الازهر والف كثيراً. وكتابه «نور الابصار فى مناقب آل بيت النبى المختار» هو قصدنا من مؤلفاته . وقد طبع ببولاق عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م فى حياة مؤلفه ثم اعادت المكتبة الشعبية ببيروت طبعه ، وقد اعتمدنا فى هذه الفقرة على هذه الطبعة .

ومحمد بن على الصبان مصرى ايضا ، وكان عالماً بالعربية والأدب ، وله عدة مؤلفات أشهرها حاشيته على شرح الاشمونى لالفية ابن مالك فى النحو . وفى صفحة ٢٩٧ من أعلام الزركلى نموذج لخطه . ومقصدنا منه كتاب «اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل اهل بيته الطاهرين» ، وهو وارد فى هامش « نور الابصار» للشبلنجى .

وقد روى الاثنان نقلا عن كتب الحديث وابن عربى والسيوطى والشعرانى جملة من الأحاديث والاخبار فى حقيقة المهدى المنتظر وظهوره وخبره وصفته وكونه من ذرية فاطمة بنت الرسول شرطاً

لازماً مستبعدين بذلك القول بمهدية محمد بن الحنفية على قول الكيسانية ومهدية بنى العباس على قول العباسيين وظهور عيسى والدجال والأخبار الواردة حولهما .

تعرض الشبلنجى الى المهدى المنتظر فى معرض رفضه القول بمهدية محمد بن الحنفية وتأكيده القول بأن المهدية مما اختصت به ذرية فاطمة بنت الرسول ، وقد أفسد القول بأن محمد بن الحنفية مقيم بجبل رضوى القريب من المدينة باعتبار ان محمداً هذا توفى فى المدينة او فى الطائف بينما يولد المهدى بالمدينة ، وقال فى ذلك ان اقوال الكيسانية ببقائه فى جبل رضوى اقوال فاسدة وبضائع كاسدة ليست بها فائدة . وقال ان المتكلمين اختلفوا هل المهدى من ذرية الحسن بن علىّ ام الحسين وقال ان القائلين بأنه من ذرية الحسن قالوا ان سر ذلك ان الحسن ترك الخلافة لله شفقة على الامة فجعل الله المهدى المنقذ فى وقت الشدة من ذريته . والشبلنجى يميل الى ولد الحسن . ثم يروى طائفة من الأحاديث والأخبار ، ويبدو لنا ان اسماعيل الكردفانى استقى من هنا ما اورده عن المهدى المنتظر من احاديث واخبار فى كتابه «سعادة المستهدى» . ويورد الشبلنجى صلاة عيسى خلف المهدى وما يثار من قول عن هذه الصلاة . ويقول ان المهدى يفتح القسطنطينية وجبل الديلم ، ومن العجيب انه روى هذا مع ان القسطنطينية أصبحت بيد المسلمين علي يد السلطان العثمانى محمد الفاتح وأصبحت عاصمة الدولة العثمانية . وكان هذا مدعاة للتوقف وتضعيف الحديث لو لا ان آفة النقل سيطرت على العقول . وذهب نفس المذهب الصبان . وقال ان المهدى يعاون عيسى على قتل الدجال وان سلطانه يبلغ المشرق والمغرب وتظهر له الكنوز . وقد نقل كثيراً عن ابن عربى والشعرانى والسيوطى ويكاد قد أورد أغلب الحديث المشهور عن المهدى المنتظر .

وذهب الصبان الى ان المهدى المنتظر من عترة الرسول وقال انه من ولد الحسن لنفس ما ساقه الشبلنجى ، وقال ان رواية كونه من الحسين واهية . وقال ان المهدى يفتح القسطنطينية وجبل الديلم ورومية . وكانت هذه البلدان بيد المسلمين عندما كتب ، ولكن آفة النقل افسدت عليه ايضا . وذكر نزول عيسى والصلاة خلف المهدى وعلّلها وأورد حديث ام سلمه وذكر السفيانى وجيشه القادم من الشام لمقاتلة المهدى فى المدينة . وقال ان المهدى يستخرج تابوت السكينة من غار انطاكية واسفار التوراة من جبل بالشام يحاج بها اليهود فيسلم كثير منهم . وقال انه بعد موت

المهدى يظهر القحطانى من اليمن ويعدل فى الناس ويسير فيهم سيرة المهدى . ثم وقف عند حديث لا مهدى الا عيسى مؤولاً اياه بالأوجه الواردة عند غيره . ونقل عن السيوطى والشعرانى ووقف عند ابن عربى ورفض كثيراً من أقواله ، ومنها قوله بأن المهدى من ولد الحسين . ورفض القول بأن المهدى من ولد الحسن العسكرى علي قول الامامية باعتبار ان ذلك يناقض مواطأة اسمى ابوى المهدى والرسول . وقد أطال الكلام عن عيسى وصفته .

الفوديون والمهدية :

تناول الشيخ عثمان دان فوديو فكرة المهدية واشراط الساعة التى تأتى المهدية عنده كجزء من هذه الأشراط وفقاً لما عليه المتكلمون عن الأشراط وصنف مصنفات وتبعه بعض جماعته فصنفوا . وكان ما كتبه الشيخ عثمان وجماعته اضافة الى فكر المهدية خاصة الغاء الشيخ لفرضيات أشراط الساعة . وقد حاولوا ان يربطوا بين حركتهم وبين ظهور المهدى . ان حركة عثمان مثلها مثل كثير من الحركات الدينية قد انذرت بدنو القيامة وان على البشرية ان تتطهر من الآثام حتى لا تدركها القيامة وهى فى غفلة ؛ ولذلك كان الحرص على بيان اشراط الساعة وقرب ظهور المهدى . وذلك فضلاً عن ان المهدية قضية دينية تشغل بال عثمان بصفته فقيهاً .

وقد قامت حركتهم على دعوة اعتمدت على أكتاف قبيلة الفولانى ومسلمى الهوسا ضد ممالك الهوسا الوثنية وافضت الى الخلافة السكتية – نسبة الى عاصمتها سكتو – والتى امتدت لنحو مائة عام وخلفت فى شمال نيجريا آثاراً بالغة . وقد عنى الشيخ وجماعته بالتوعية الدينية فألفوا جملة كبيرة من الكتب فى الفقه والدعوة والعقيدة والآداب والسلوك ونشطوا فى نشرها بين الناس فى نسخ خطت باليد على ايدى ناسخين نشطين وماهرين . وقد بلغ ما أحصته بيبليوجرافية متخصصة من مصنفاتهم ورسائلهم حول المهدية ٢٦مصنفا ورسالة (١٣) . وأكثر من صنف منهم الشيخ عثمان وابنه محمد بلو . اما اخوه عبد الله فلم يكتب شيئا فى المهدية مع انه صنف أكثر من مائة مصنف . وقد يدل ذلك على انه لم يكن مهتماً بالمهدية كقضية دينية ولا حسب لها موضعاً فى حركتهم .

---

(١٣) عبدالقيوم عبدالحليم الحسن : مخطوطات الفوديين : بيبلوجرافية وصفية مختارة ، الشيخ عثمان بن فودى (دان فوديو) – بحوث الندوة العالمية التى عقدتهاجامعة افريقيا بالتعاون مع المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، الخرطوم فى ١٩–١٩٩٥/١١/٢٠ ، ص ٣٨٩ – ٤٢٥ .

وفيما يلى نورد عرضا مختصراً لمحتوى اهم المصنفات والرسائل ثم نتلوه بتحليل وتقييم :

(أ) الخبر الهادى الى أمور الإمام المهدى :

يقع هذا الكتاب فى ١٣ صفحة من القطع الصغير ، والرسم فيه بخط صحراوى واضح يميل إلى الغلظ . وقد ورد فى بيبليوجرافية أعمال الفوديين برقم ٧١ بصفحة ٣٩٩ .

قال الشيخ فى مفتتح كتابه ان كلامه ينحصر فى عشرة أمور فى شأن المهدى . وقد بين هذه الأمور بعبارات موجزة .

الأمر الأول: معرفة ان خروج المهدى أمر مقطوع به استناداً على تواتر الأحاديث .

الأمر الثاني: معرفة ان من انكر خروج المهدى كفر لأنه ناقض ما تواترت عنه الأحاديث .

الأمر الثالث: معرفة ان بعض العلماء كان يقول بأن المهدى انقضى زمانه باعتبار انه عمر ابن عبد العزيز او غيره ممن اختلف فيه .

الأمر الرابع: معرفة ان الصواب ان ظهور المهدى متأخر الى ظهور الدجال ونزول عيسى ، وعلى ذلك يبطل ادعاء ابن تومرت واتباعه وامثاله من المدعين . وقد ذكر هنا ان السيوطى بسط القول « بما فيه غنية من ان المهدى متأخر حتى يكون فى آخر الزمان لوقت خروج الدجال ونزول عيسى» .

الأمر الخامس: معرفة ان المهدى من ولد فاطمة بنت الرسول لتواتر الأخبار واستفاضتها . وقد توقف هنا ليستدل منه على انه ليس بالمهدى المنتظر لأنه فيما يعلم ليس من هذه الذرية .

الأمر السادس: معرفة ان المهدى معمر ، اى ان حياته ممتدة من مولده فى ٢٥٥هـ حتى بلغ فى يوم المؤلف ٩٦٨ عاما وانه باق حتى يجتمع بعيسى بن مريم عند نزوله . وقد اعتمد هنا على الشعرانى فيما روى عن شيخه حسن العراقى وتأييد شيخه علىّ الخواص . وهنا ينقل نصوصاً مما ينقله الشعرانى فى « اليواقيت والجواهر» من ابن عربى عن كون المهدى المنتظر من ذرية فاطمة وترجمة حسن العراقى وما رواه عن لقائه بالمهدى فى «لواقح الانوار» .

الأمر السابع: معرفة ان وقت خروج المهدى لا يعلمه الا الله ، اذ العلماء لم يرووا قط حديثاً عن النبى فى تعيين وقت وقوع الساعة ولا فى تعيين وقت أشراطها . وقد دعم قوله بما نقله فى المعنى عن القرطبى .

الامر الثامن: معرفة ان مبدأ تشوف خروج المهدى من تمام سنة ١٠٣٠هـ وذلك اعتمادا على اقوال الشعرانى نقلا عن العلماء بحساب الف سنة من وفاة علىّ بن ابى طالب آخر الخلفاء الراشدين ، اذ بعد الالف يبدأ فيما يقولون الاضمحلال الى ان يصير الدين غريبا كما بدأ ، وبدء هذا الاضمحلال من تمام ١٠٣٠هـ ويترقب خروج المهدى . ثم ذهب الى ان «تواتر الفتن والملاحم العظام واماتة السنن واحياء البدع وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من مقدمات خروج المهدى » .

الامر التاسع: معرفة ان المهدى يخرج من المدينة ، وهنا يستشهد بحديث السيدة ام سلمة زوج الرسول .

الامر العاشر: معرفة سند لقائه المعنوى بالمهدى عن طريق سلسلة شيوخه حتى العراقى ومن ثم المهدى .

وقد ختم الكتاب بالدعاء : «اللهم قدر لنا لقاءه والاجتماع به الاجتماع الحسى الذى يحصل بالأبدان كما قدرت لنا الاجتماع به الاجتماع المعنوى الذى يحصل بسلاسل الاسانيد» .

(٢) تنبيه الأمة على قرب هجوم أشراط الساعة :

يبلغ الكتاب ٧٤ صفحة من الحجم المتوسط، ولعله من أطول مؤلفاته . ورسمه بقلم غليظ. ويرد فى ببيليوجرافية اعمال الفوديين برقم ٥٥ بصفحة ٣٦٩ .

وقد برر المؤلف وضعه للكتاب بقوله : «ان مقصودنا فى تنبيههم على قرب هجوم تلك الأشراط حثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة قبل ان يحال بينهم وبين تدارك ما فرط منهم فينظروا لأنفسهم وينقطعوا عن الدنيا ويستعدوا للساعة الموعودة بها» .

تناول عثمان الأشراط فى عشرة فصول على الوجه التالى :

الفصل الاول: فى ذكر ما ورد فى قدر مدة الدنيا . ويورد هنا ملخصاً لما وصل اليه بعض العلماء اعتماداً على أحاديث وتأويل الآية : «وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون» وينتهى الى ان عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وان النبى ظهر في آخر الألف السادس وان الألف السابع يبدأ بوفاة علىّ بن ابى طالب آخر الخلفاء الراشدين فى سنة ٣٠ هـ باعتبار ان فترة الخلافة الراشدة امتداد لفترة النبوة . وصيرورة قوة شريعة الرسول على هذا الحساب الف عام ويبدأ بعده

الاضمحلال . وهنا يستدرك بما نقل عن السيوطى فى كتابه «الكشف فى مجاوزة هذه الامة الألف» بأن عمر الدنيا يتجاوز الألف السابع بنحو ٤٠٠ سنة ولا يصل الى ٥٠٠ سنة .

الفصل الثانـي: فى ذكر بطلان تعيين وقت الساعة ووقت اشراطها .

الفصل الثالث: في ذكر وقوع بعض أشراط الساعة ، ويذكر هنا انه لم يرو حديث قط فى تعيين وقت الساعة والاشراط .

الفصل الرابع: في ذكر ما ورد فى خروج المهدى .

الفصل الخامس الى العاشر: فى ذكر ما ورد فى خروج الدجال ونزول عيسى وفى خروج يأجوج ومأجوج ورفع القرآن وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها .

وجاء بيان الفصل الرابع فى شأن المهدى المنتظر فى خمسة أمور :

(١) ان بعض العلماء كان يقول ان المهدى قد انقضى زمانه وانه عمر بن عبد العزيز او غيره ، وان الحق ان الأمر فيه منبهم .

(٢) انه متأخر حتى خروج الدجال وعيسى ، وقد استشهد هنا بالسيوطى .

(٣) انه من ذرية فاطمة .

(٤) ان كلام حسن العراقى يؤذن بأن المهدى معمر باعتباره ابن الحسن العسكرى الذى قابله . وهنا يقول عثمان : «لم اقف على كونه معمرا فى الأحاديث النبوية وكل من وقف على ذلك فليلحقه بهذا المحل . ولم اورد كلام حسن العراقى هذا للاعتماد عليه لأنا لا نعتمد الا على ما جاءنا من ادلة الشريعة ولم اورده ايضا للانكار عليه والاعتراض لانى لم اقف على دليل من ادلة الشريعة يمنع كونه معمرا ولأنه ايضا كلام ولى من اولياء الله وكلامهم على «اسرار مصونة لا يكشفها غيرهم ، والله اعلم بحقيقة ذلك» .

(٥) وفى علامة خروجه وزمنه ومكانه نقل ان للمهدى « آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والارض : ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتكسف الشمس فى النصف منه». ثم نقل حديث السيدة ام سلمة ليدلل على ان المهدى من اهل المدينة ويظهر فى مكة . وينقل اخباراً أخرى فيها ان المهدى يظهر فى ١٢٠٠هـ و ١٢٠٤هـ ثم يحكم ببطلانها لأن هذه السنوات مضت ولم يخرج المهدى. ولأهمية هذا الموضع ننقل نص الشيخ عثمان : « وقد كان كل ما ذكر من السنين ولم يظهر المهدى

فظهر ان هذا التعبير أيضا باطل ، وانما حكمت ببطلانه مع انى لم ار احداً من العلماء حكم ببطلانه ومع كون عبد الرحمن السيوطى أورده فى كتاب «العرف الوردى فى اخبار المهدى» وكتاب «الكشف عن مجاوزة هذه الامة الالف» قايلا رأيت ذلك فى كتاب الفتن لنعيم بن حماد لان كل ما ذكر من السنين قد مضى ولم يظهر المهدى . واما نعيم بن حماد وعبد الرحمن السيوطى فمعذوران فى عدم حكمهما ببطلانه لأن ذلك غيب فى زمانهما واما انا فقد ادركت ذلك ولم ار ظهور المهدى فحكمت ببطلان ذلك . وقد تقدم ان العلماء رضى الله عنهم قالوا لم يرو قط حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تعبير وقت وقوع الساعة ولا فى تعبير وقت اشراطها فظهر بهذا ان كل ما يروى فى التواليف او سمع من الافواه من تعبير وقت وقوع الساعة وتعبير وقت وقوع اشراطها باطل لا اصل له عن الشارع عليه الصلاة والسلام وعرف بهذا أيضا ان ما يذكره اهل الحساب في قوله تعالى : « وقد جاء » ، وقوله : «اتى امر الله فلا تستعجلوه» ، ونحوهما لا يعتمد عليه ، اذ كل ذلك لا اصل له من الشارع عليه الصلاة والسلام» .

(٣) تحذير الاخوان من ادعاء المهدية الموعودة فى آخر الزمان :

لم نقف على هذا الكتاب لأنه لم يتوفر لنا مع سعينا للوصول اليه . ونحن نعتمد فيما نسوق عن محتواه على دراستى البروفسير يوسف فضل حسن والبروفسير الامين ابومنقا محمد المقدمتين في ندوة الشيخ عثمان دان فوديو . وقد ورد الكتاب فى بيبليوجرافية اعمال الفوديين برقم ٤١ بصفحة ٣٩٨ . ويجئ عنوانه هنا بتجاوز بسقط لفظى «ادعاء» و «فى» ، وقد اثبتهما ابو منقا ويوسف . وحسبما فى البيبليوجرافية فان حجمه يبلغ ٨ صفحات .

يبدأ الشيخ عثمان كتابه بكثرة ما يتردد على السنة جماعته بأنه المهدى المنتظر ويقطع لهم بأنه ليس المهدى المنتظر . ويمكن تلخيص محتوى الكتاب فى العبارات التالية : ان ادعاء المهدية مما ابتلى به الناس قديماً وحديثاً مشيراً بذلك الى مدعى هذه الصفة فى مختلف العصور وما ابتلى به الناس من جرائهم . ان خروج المهدى أمر مقطوع به وان كونه شريفا امر مقطوع به وان كونه من ذرية فاطمة بنت الرسول هو الصحيح الذى عليه الجمهور . انه شخصياً ليس الامام المهدى ولا يدعى ذلك وانما يسمع ذلك من افواه الناس . لقد نفى ذلك عن نفسه وحذر جماعته منه وذكر هذا النفى فى تواليفه العربية والعجمية . بذلك يتضح انه ليس الامام المهدى كما يظن جهال الأحاديث

النبوية المتعلقة بالمهدى لأن المهدى شريف من اولاد بنته فاطمة قطعا ولا يعرف ذلك فى نفسه . ثم يذكر ان للمهدى اوصافاً واسراراً لا يتصف بها غيره . وتساءل : كيف ادعى المهدية وقد ولدت فى بلاد السودان فى مكان يسمى مرت وقد عرف فى الأحاديث ان المهدى يولد فى المدينة . ومشيراً الى ما ذكره فى كتاب سابق عن لقاء العراقى بالمهدى محمد بن الحسن العسكرى يقول : « فان قلت نصرت القول بأن المهدى هو محمد بن الحسن العسكرى فى كتابى «الخبر الهادى فى امور الامام المهدى» حيث نقلت النقول التى تدل على ذلك فالجواب انى ما ذكرت ذلك للاعتماد عليه فانما ذكرت ذلك لاعرف الناس بأن عبد الوهاب الشعرانى قد ذكر ذلك فى كتابه المذكور. ألا ترى الى قولى حين اوردت هذا الكلام في كتابى تنبيه «الامة على قرب هجوم اشراط الساعة» قلت ولم اورد كلام الحسن العراقى هذا اعتمادا عليه لاننا لا نعتمد الا على ما جاءنا من الشارع» .

(٤) قصيدة بنقارى مهدى اى علو شأن المهدى :

قصيدة طويلة باللغة الفولانية وقفنا على ترجمتها باللغة العربية . ويدعو فيها الشيخ عثمان جماعته الى التخلى عن تعيين ما لم يعينه الرسول بالقول بأن المهدى يظهر فى هذا الوقت او ذاك وان ما عليهم هو الايمان بحتمية ظهوره . وقد كذب من قال بمهديته . قال :

من يدعى باننى المهدى سيظهر كذبه   عندما اورد صفات المهدى

ثم يعدد هذه الصفات نقلا عن الأحاديث : ان جسد المهدى مشع بالانوار، لقد اعطى المهدى جسد ابناء يعقوب ، وعينه عين العرب ، المهدى جميل الحاجبين ومليح الغرة ، ان للمهدى شامة على الكف الايمن وخاتما على الكف الايسر ، وهكذا . ثم يقول :

ان من ينظر الى هذه الصفات ببصيرة   ليتاكد بأننى لست بالمهدى

اقسم بالله بأننى لست بالمهدى المنتظر   انا قادرى مبشر بالمهدى

استحلفكم بالله العظيم   ان تكفوا عن القول بأننى المهدى

كفوا عن الكذب عنى وتعيين   وقت بظهور المهدى

جميع امور القيام لا يعلمها الا الله   كفوا عن القول بأن هذا هو وقت المهدى

كفوا عن تعيين ما لم يعينه النبى   فقط تيقنوا بحتمية ظهور المهدى

ان راياتى قد ارست فى الارض   دعونا ندعوا الله ان تغرس امام المهدى

اشـــهـدوا لى بأننى قــد بايعت المهـدى   لكى اذكـر من بين الذين بايعـوا المهـدى
اشهـدوا لى بأننى نويت مـساندة المهدى   لكى اذكـر ضـمن الذين سـاندوا المهـدى
كلكم يا جماعتى اعقدوا النية على مبايعة   المهـدى لكى تكونوا من المبـايعين للمـهـدى
اذا ظهـــر المهـــدى انتم وامــــراؤكم   لا بيـــعـــة لأحـــدكم ســـوى المهـــدى

هكذا يؤكد انه ليس بالمهْدى وان صفاته لا تنطبق عليه ويدعو اتباعه بأن يكفوا عن تعيين وقت ظهور المهدى وان مـا عليهم فقط هو اليقين بحـتمـية ظهور المهـدى ، ثم هو يبـايع المهدى القادم ويسانده ليكون له فضل اتباعه ويتمنى ان يحضر اتباعه ظهوره ويأمرهم باتباعه اذا ظهر وان تكون البيعة له فقط .

(٥) قصيدة تناسبوج (التشابه) :

وهى ايضا باللغة الفولانية . وفيها ايضا يقرر انه ليس بالمهدى المنتظر ، وانما هو مهدى زمانه الممهد للمهدى المنتظر والذى يحمل بعض صفاته :

لــم اكــن بالمهـــدى المنتظـــر   فـــقط البـــست جلبـــابه
لا انكر اننى مـهدى هذا الزمـان   واحـــمـــد الله على هذه المنه
انا ظل سحـــاب المهدى المنتظـر   لذلك وصف لى وشـــبـــهت به

ويمضى يذكر صفاته التى تتفق مع صفات المهدى المنتظر حسبما جاءت فى الأحاديث حامداً لله على ذلك وشاكراً .

(٦) كتاب كشف الخفى من اخبار الإمام المهدى :

امير المؤمنين محمد بلو بن الشيخ عثمان دان فوديو تولى الحكم بعد ابيه ، ونشط فى التأليف على عادة اسرته ، وقد رصدت له ببيليوجرافية اعمال الفوديين نحو١٦٠مصنفاً ، وله فى موضوع المهدية أعمال ، هى : «القول المختصر فى اخبار المهدى المنتظر» ، «كشف الخفى من اخبار الامام المهدى» ، «خبر المهدى المستفاد من احاديث الرسول» ، «تنبيه الأفهام على ان المهدى هو الختام» ، وثيقة محمد بلو الى الشيخ احمد وفيها ادلة ظهور المهدى ، وله كتاب «انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور» ، وهو مصدر مهم لتاريخ هذه المنطقة وبه خبر حما الذى ادعى المهدية بين الطوارق وقتل باشارة عثمان دان فوديو .

وقد وقفنا من هذه المؤلفات على كشف الخفى بأريحية البروفسير ابومنقا الذى لم تتوفر بين يديه المصنفات الاخرى . وهو كتاب صغير يقع فى ثلاث صفحات ونصف من القطع الصغير. ويرد فى بيبليوجرافية اعمال الفوديين برقم ٣٧٥ بصفحة ٤١٥ . ولا يذكر بلو وناقل كتابه تاريخ التصنيف وتاريخ النقل. وبالنسخة المصورة التى اعتمدنا عليها مواضع غير بائنة اما لأنها كانت فى الأصل بحبر غير الاسود واما لأنها بحبر ضعيف وجاءت ضعيفة عند التصوير .

يقول محمد بلو انه كشف له فى ليلة السبت ٢٠ ربيع الأول فى أمر المهدى «المنتظر فى آخر الزمان» . وفى هذا الموضع المهم تختفى بعض الكلمات بين «الأول فى» و«المنتظر» . وفى تقدير ابومنقا ان تاريخ السنة سقط هنا ، وعندنا ان من الساقط لفظ «المهدى» ايضاً ، وربما عبارة مثل «أخبار» او «أمر» . وغرض محمد بلو ان يبين اموراً ثلاثة مما كشف له فى امر المهدى . اولها الاعلام والتبشير باقتراب ظهور المهدى « وانه سيظهر بعد سنتين عيانا للخاصة والعامة او يظهر من شأنه ما يقوم مقام ظهوره » . والثانى انه بمضى الف عام من وفاة الامام علىّ بن ابى طالب وقرب ظهور المهدى ينتهى العمل بالمذاهب واجتهاد العلماء وفتاويهم ويصير الحكم بظاهر الكتاب والسنة حتى يظهر المهدى . وبالنظر الى اهمية هذا الموضع فاننا ننقل نص بلو حرفيا : «الحكم بالآراء قد مضى زمانه وانقرض اوانه منذ كمال الالف من موت امير المومنين علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه اذ من كماله اذن الحق تبارك وتعالى بخرق العوايد واظهار آثار قدرته الى ظهور الامارات الكبرى ، فكل من حكم اليوم بتمهيد المذاهب كائنا من كان فقد ضل ضلالا مبينا لمخالفته قانون الزمان ، فالزمان اليوم لا يجرى الا بالعكس والضد الى ان تمتلئ الارض ظلما وجورا فيظهر الامام المهدى رضى الله عنه ويملوها عدلا وقسطا، فأقرب الناس اليوم الى الحق من رجع الى العمل والحكم بظاهر الكتاب والسنة ورفض الآراء اصلا ، فهذا عسى ان يكون زمن مقدمة الامام المهدى رضى الله عنه لان قبل ظهور الامام المهدى رضى الله عنه كون الطايفة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة ومن علاماتهم ان يكون علماؤهم معظم اعمالهم وفتاويهم فى احكامهم مقتضى ظاهر الكتاب والسنة مخالفا لغالب احكام الاجتهاد يسددهم الله تعالى بنور محمدى يقوم لهم مقام ملك الالهام الذى ايد الله به الامام المهدى

رضى الله عنه [...] شريع على مقتضى الكتاب والسنة الى ان ينزل عليه السلام مهديا اكبر من الامام المهدى رضى الله عنه بعون الملايكه عونا ظاهرا كما روى انه ينزل بين اجنحة الملايكة يظهر العدل الاكبر الذى لا يكون معه الا الطاعة » ويعود الاسلام نقيا كما كان فى القرون الثلاثة الاولى .

ان مبنى ما يذهب اليه بلو يقوم على اشراط الساعة : ويبدأ التمهيد بمضى الف عام من نهاية الخلافة الراشدة . وهو يذهب الى بطلان العمل بالمذاهب واجتهاد العلماء واقتصار الاعتماد على ظاهر الكتاب والسنة حتى مجئ المهدى ، ونحسب انه انتهى الى ذلك لأن المهدى يبطل المذاهب والاجتهاد ويعتمد على الالهام والتلقى المباشر من الرسول . وكان كثير من مصلحى هذا العصر يرون الغاء المذاهب واجتهاد العلماء والاعتماد على القرآن والسنة مباشرة . فكأنه يلتقى مع هؤلاء ومع الغاء المذاهب والاجتهاد على يد المهدى ويدخل فترة التمهيد للمهدى بوحى ذلك .

والأمر الثالث الاعلام بأن الرايات التى يرفعها هى رايات الامام المهدى وان قوادها ومن يستخرجون الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة على قدم الامام المهدى .

بدء علامات الساعة عنده اذاً من الف عام من نهاية الخلافة الراشدة ، والجهاد الفلانى براياته وعلمائه هو الممهد للمهدى والذى هو ايضا من علامات الساعة . وفى فترة التمهيد هذه يبطل العمل بالمذاهب والاجتهاد ويقتصر العمل والحكم على ظاهر الكتاب والسنة . وهذا ترتيب يبتعد عما حدث فى القرن الرابع وما بعده ويقترب الى سبيل المهدى ويظهر المهدى عيانا حسبما كشف له بعد سنتين او يظهر من شأنه ما يقوم مقام ظهوره . وعلى ذلك فان فكرة التمهيد قائمة عنده كما كانت قائمة عند الشيخ عثمان ولكنه يختلف منه فى كونه حدد زمنا .

(٧) وثيقة محمد بلو الى الشيخ حامد بن احمد فى أدلة على ظهور المهدى :

تقع الوثيقة في سبع صفحات من القطع المتوسط ومكتوبة بخط غليظ الرسم . ومحتواها كالآتي:

١- مهدية محمد بن الحسن العسكرى : ينفى على لسان جمهور العلماء مهديته وينقل فى ذلك مقولات عن الشريف السمهودى : منها انه يستبعد ان يعمر شخص هذا القدر من العمر بما يكون لمحمد بن الحسن العسكرى من مولده الى وقت ظهوره . ولو كان محمد العسكرى هو المهدى لخصه الرسول بالوصف المحدد ، ومنها ان الرسول توفى بعد اكتمال الرسالة واى كلام بتعديل او

اكمال فى الاسلام يعتبر جراءة مستنكرة .

٢- ينقل مقولات الشيخ عثمان دان فوديو فى اعتراضه على الشعرانى .

٣- يتكلم عن الغيبة وكيفية ظهور المهدى الغائب .

٤- وافق جماعة من اهل السنة على مهدية محمد الحسن مثل الحسن العراقى وابن عربى والشعرانى .

٥- يورد اقوالاً فى مكان مولد المهدى وتاريخ ظهوره .

٦- ينقل اقوالاً فى خاتم الولاية والمهدى .

ان ما عليه محمد بلو هو ان المهدى هو نفسه خاتم الولاية ، وان المهدى ليس محمد الحسن العسكرى مهدى الامامية وان العلم بمكان ظهوره وزمانه عند الله ، ولكنه ينقل اقوالاً تناقض هذه الأمور لأنه بدلاً من اقامة قضية محددة يلجأ الى ذكر كل ما وقف عليه وان ناقض بعضه بعضاً .

(٨) رسالة مريم بنت الشيخ عثمان الى امير كنو :

تخطئ الذين يهاجرون شرقا بزعم ان ميعاد الهجرة قد جاء . وتنسب الى ابيها أقوالاً فى هجرتهم وتقرر انه لم يحدد ميعاداً لها وانما اكتفى بعلامات لم تتم بعد ، وتنسب اليه ايضا انه ذكر بلداناً من السودان يمرون بها فى هجرتهم ، ولكن معلوماتها الجغرافية مضطربة . وليس فى أقوالها ما يعنى ان وجهة الهجرة هى السودان بعينه وان به ظهور المهدى ، بل قد يفهم ان السودان معبر .

(٩) رسالة ابى بكر عتيق بن الشيخ عثمان :

انه فات على الناس ان يسألوا الشيخ عثمان ثم ابنه محمد بلو من بعده عن بعض الأسرار والأمور ، وهو يتطوع بكشفها حتى لا تضيع ، وهى ان جماعة من اهل الرباط الذين نصبوه هم الذين ينتقلون الى بحر النيل والى بلاد الحجاز بعينهم او ذريتهم وهم الذين يجتمعون بالامام المهدى ويبايعونه ومعهم رايات الشيخ .

وضح لنا مما تقدم مقدار ما بذل الفوديون من جهد فى جمع المادة عن المهدى واعادة عرضها . وقد اتسمت مؤلفاتهم بصغر الحجم لتسهيل التداول والايجاز فى التعبير حرصاً على الوضوح . وقد تركز جهدهم على تلخيص المادة التى توفرت لهم . وكان تأثير الشعرانى والسيوطى عليهم بالغاً .

لقد جمع بينهم وبين السيوطى والشعرانى التعويل على الأثر الوارد قبل تحكيم المنطق والميل الى النقل ، والجمع بين ادراك الباطن وعلم الظاهر مع تغليب جانب الباطن ومقولاته . وكان ما كتباه عن الولاية واشراط الساعة والمهدى هو مستند الفوديين . وبذلك اتفق لهم المزاج والرؤية ، وجمعت بينهم المادة المدونة ، ومن ثم كان هذا التأثير البالغ . وقد ذكرنا من قبل عند كلامنا عن السيوطى انه بجمعه الأحاديث عن المهدى والولاية ومشاهدة النبى يقظة واشراط الساعة يسر الالمام بهذه القضايا وعاون بعضهم للدفاع عن الشيخ التجانى والامام المهدى .

وكان الشيخ عثمان أول الفوديين كلاماً عن المهدى وأكثرهم تركيزاً وتأثيراً . وأول مدخله ان مجئ المهدى المنتظر قضية مطروحة على مدى تاريخ الاسلام : قوم ينكرون الأمر كلية ، وقوم يؤيدون ، وهؤلاء المؤيدون يختلفون شيعاً ومدارس . وهو بصفته عالماً ومجدداً ومقيماً للشريعة لا بد ان يقطع بالرأى حول قضية ظلت تشغل فكر المسلمين . ولذلك يحدد فى مؤلفاته ما يجب ان يكون الموقف ازاء قضية المهدى وتفرعاتها . وكان سبيله فى النظر نقل النصوص الواردة ومحاولة التوفيق بينها والغاء ما يناقض منطق التوفيق ، اما بابعاد ما يتنافى او بتحديد موقفه وان كان باستحياء . وكان مصدره الرئيسى الشعرانى والسيوطى .

– اعتمد ان مجئ المهدى أمر مقطوع به بحكم تواتر الأحاديث وكفر منكره لأنه بانكاره اعترض على حديث الرسول .

– توقف عند القول بمهدية عمر بن عبد العزيز وغيره ممن مضى واعتبره « منبهما » ، ولكن يبدو انه لم يعتمده لأنه ذهب الى ما يناقضه . وهنا موقف من مواقف الشيخ عثمان التى يضعف فيها امام الآثار فلا يقطع فيها بالبطلان وان رأى ذلك بعقلانيته . كان يمكنه هنا ان يجزم بابطال القول به ولكنه تركه معلقا .

– اخذ بالقول الذى يربط ظهور المهدى بأشراط الساعة ووضع كتاباً فى قرب هذه الأشراط ووضع ظهور المهدى بينها ، وبالتالى فان المهدى قادم منتظر وبالتالى فان هذا يقطع بأن عمر ابن عبدالعزيز لم يكن المهدى وهو ما لم يشأ من قبل ان ينص على القطع به .

– المهدى من ولد فاطمة بنت الرسول . ولكن من هو ؟ فى اول امره اعتمد انسياقاً مع

الشعرانى انه محمد الحسن العسكرى . وفى خطوة ثانية توقف ازاءه لأنه لم يقف فى الأحاديث على ان المهدى معمر ورجا من يقف على حديث بهذا المعنى ان يثبته فى موضعه من ذلك الكتاب ، وهو لا يعتمد كلام حسن العراقى لأنه لا يعتمد الا على ما جاء من الرسول، وهو فى نفس الوقت لا ينكره لأنه لا يملك دليلا شرعيا يمنع ان يكون المهدى معمراً ولأنه لا ينكر على ولى كلامه لأن «للأولياء اسرار مصونة لا يكشفها غيرهم ، والله اعلم بحقيقة ذلك» .

- وقت خروج المهدى لم يرد فيه حديث ولا يعرف ذلك الا الله . هكذا يحسم هذه القضية الشائكة . ولكنه يناقض هذه المقولة المحددة عندما يأتى الى المهدى وفق اشراط الساعة والقائمة عند المتحدثين عنها على ان عمر الدنيا سبعة آلاف سنة اعتماداً على قوله تعالى : « وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » وان محمداً عليه السلام ظهر فى آخر الالف السادس وان الالف السابع يبدأ بوفاة علىّ بن ابى طالب آخر الخلفاء الراشدين باعتبار ان الخلافة الراشدة طرف من فترة النبوة ، وان بنهاية هذا الالف تقع الاشراط من ظهور المهدى والدجال وعيسى الخ ، وبالتالى فان ظهور المهدى يحدد وفق مقولة عمر الدنيا . وبالتالى فان الشيخ يذهب الى ترقب ظهور المهدى من عام ١٠٣٠هـ . ولكن السيوطى ادرك ان اشراط الساعة لم تقع وفق المقولات التى راجت عن نهاية الدنيا فزاد بحساباته على الالف السابع ٤٠٠ عاما . وفق ذلك نظر الشيخ فوجد ان الميعاد المحدد لظهور المهدى قد مر دون ظهوره فارتفع عن المقولات وقطع ببطلان هذا التحديد وتحديد اشراط الساعة وكل الحسابات القائمة على التأويل . وعلى ذلك يبقى الايمان بظهور المهدى فى الوقت الذى يشاء الله وعلى جماعته ان يؤمنوا به اذا ظهر وان يبايعوه ويكونوا من اتباعه ، وعندئذ تصير بيعتهم للمهدى وتسقط بيعتهم لامراء جماعته . وهو يبايع المهدى ويسانده روحيا لكى يذكر من بين الذين بايعوه وساندوه ويرجو ان تحنو جماعته حنوه ويدعو الله لكى تغرس راياته امام المهدى .

- يؤكد عثمان انه ليس بالمهدى لأن علامات المهدى لا تنطبق عليه ، وهو لم يقل بذلك ، وانما قال به بعض اتباعه ممن يجهلون الأحاديث الواردة فى علاماته . وقد ظل فى ادبياته يحذر من القول بمهديته .

- المهدى من المدينة ويهاجر الى مكة ويبايع مهدياً هناك وفق حديث السيدة ام سلمة الذى يستشهد الشيخ بأوله . وهذا ينفى بشكل قاطع تبشيره بمهدى يظهر بأرض النيل وانه أوصى اصحابه بالتشوف للمهدى هناك . وفى قصيدتيه المذكورتين أعلاه يذكر أوصاف المهدى المنتظر بتفصيل ليؤكد عدم مطابقته هو لشروط المهدى وليؤكد من جانب آخر قرب شبهه اليه بما يؤهله لمهدى زمانه .

- لا يذكر الشيخ عثمان مهمة للمهدى او برنامجاً له ، ولكن فهمه له فى اطار أشراط الساعة يعنى ان المهدى المنتظر - عنده - يقيم دورة السعادة المطلقة فى تاريخ البشرية باقامة شرع الله الخالص والعدالة المطلقة .

ولكن الشيخ عثمان يجئ الى المهدية جيئة اخرى من باب آخر حين يقول بأنه مهدى زمانه وانه الممهد للمهدى المنتظر وانه يحمل بعض صفاته وانه لبس جلبابه وفى ظل سحابه . وقد جاء ليظهر الدين ويهدى الامة ويمهد الطريق لمجئ المهدى المنتظر وانه يحمل الكثير من خصاله وعلاماته . وبذلك أعطى الشيخ هالةً لجهاده وربطه بعقد المهدية القادمة ، اذ طالما انه مقيم الشرع واحكامه ويحمل رتبة مهدى الزمان الممهد للمهدى المنتظر ويوجه أصحابه ليكونوا من اتباع المهدى المنتظر ويتمنى ان تغرس راياته امام المهدى المنتظر فانه يكون قد ألحق حركته بالمهدية المنتظرة . وهو بذلك يتميز عن الذين طلبوا قبله فكرة مهدى الزمان الممهد للمهدى المنتظر .

هذا هو مجمل محصول الشيخ عثمان من امر المهدية ، وكما ترى فانه فى مشواره عالم فقيه مثقل بمقولات من سبقه وما خرج من اسرهم الا لأن الوقت مضى دون ان يتحقق ما قالوا بوقوعه .

اما جماعته فقد مالوا الى التاكيد بقرب ظهور المهدى فى جيلهم او جيل ذراريهم ووصل حركتهم بقدومه . وقد حملوا الشيخ اموراً فى هذا المسعى لم يقل بها ، وادعى البعض انه اسر لهم بها فى اواخر ايامه .

يقول محمد بلو فى انفاق الميسور ان الشيخ ارسل للجماعة بالشرق من اهل زنفر وكتسينا وكانو ودورا ليأتوه ليلقاهم ، فلما اقبلوا ارسله اليهم فاخبرهم بان الوالد حياهم وامرهم بالمبايعة

على السمع والطاعة واتباع السنة قولاً وفعلاً وانه يبشرهم بفتح البلاد على ايديهم وانه يبشرهم بقرب ظهور المهدى وان جماعته من طلائعه وان جهادهم لا ينقضي حتى يفضي الى المهدى . ان مقصودنا من العبارة هو ما وضعنا تحته خطاً ، وهو لا يرد في مصنفات الشيخ ويناقض قوله بعدم تحديد وقت لمجئ المهدى . فالعبارة من محمد بلو في مؤلفه ولا يقبل انه من الشيخ ، وليس هناك مصدر من طرف آخر يؤكد انه ذكر العبارة فعلا لمن اجتمعوا معه !

وكتب محمد بلو نفسه ايضا الى موديو آدم امير آدماوا يحثه على تأمين الطريق المؤدى الى الشرق ، قال : والأمر الذى ذهبت به من عندنا وهو انفاذ الجيوش الى جنوب وداى وجنوب دارفور والى ناحية بحر النيل ، فاجتهدوا في ذلك وانفذوا العيون الى تلك البلاد ، فان شيخنا رضى الله عنه اشار لنا بان جماعته تنتقل الى تلك النواحى عند قرب ظهور المهدى هناك يتبعون اليه ويبايعونه ان شاء الله » . والعبارة التى نريدها هى ما جعلنا تحتها خطاً ، فهى ليست من مقولات الشيخ ومناقضة لما دونه . والنقطة الجديدة هى الانتقال الى «تلك النواحى» عند قرب ظهور المهدى لا الانتقال اليه عندما يظهر . وكيف له ان يحدد قرب ظهوره وقد بين والده استحالة ذلك !

وقالت مريم بنت الشيخ وابو بكر العتيق فيما رأيت اعلاه قولاً بأن الشيخ قال بهجرة اهل رباطه او ذراريهم الى الشرق فى اتجاه النيل والحجاز لملاقاة المهدى . وهذا ايضا غير وارد فى اقوال الشيخ ويناقض ما انتهى اليه من عدم جواز تعيين وقت لظهور المهدى . وقد اعتمد محمد بلو فى كتابه «كشف الخفى» اشراط الساعة الواردة في مقولة عمر الدنيا وانتهى الى ان اضمحلال الدنيا قد بدأ بكمال هذا العمر وبالتالى أصبح العالم مقبلاً الى الفوضى الموعودة التى تسبق مجئ المهدى. وتوافقاً مع هذا فانه الغى المذاهب والاجتهاد وقضى بأن تكون الاحكام وفق ظاهر القرآن والحديث فقط . وهذا اجراء غريب لأنه لا يستند الى مقولة ولا الى حكمة ، بل ويناقض بشكل واضح قول ابيه بعدم تحديد وقت لظهور المهدى . وكيف لعالم ان يتصور فهما للقرآن والحديث بغير اجتهاد ! ولماذا ؟ انتظارا لأمر قادم وفق تأويلات وتحكمات انتهى ابوه وشيخه ببطلانها ولم يقع امر يدل على قدومه .

ان محمد بلو كان يدأب لاذكاء الروح الجهادية لمواصلة الدعوة فى الجيل الجديد الذى لم

يحضر ايام ابيه الشيخ ، وكانت فكرة المهدية والتبشير بها من ادوات التعبئة ، ولذلك استن ما استن في كتابه وذكر ما ذكر في انفاق الميسور وما أمر به أميره على آدماوا .

اما مريم والعتيق فقد انزعجا من الهجرة الى الشرق تحت طائلة القحط وحاولا ان يوقفاها وفق ما نسبا الى ابيهما .

خبر حماد :

ظهر حماد هذا بين قبيلة الطوارق وادعى المهدية ، وقد تردد على الشيخ عثمان دان فوديو وفي آخر زيارة له قال له بمهديته فنهاه الشيخ عنها ، ولكن يظهر ان الشيخ لم يأبه به ولا بادعائه استصغارا لشأنه . ويبدو ان دعوته نبتت من تدينه في جو الأقوال التي سادت بالمنطقة بقرب ظهورالمهدى . ولما اتسعت حركته استفتى اهل بلده الشيخ عثمان في امره ، ونحسب ان الذين طلبوا الفتوى كانوا من شيعة الشيخ، وقد افتى الشيخ بأنه ليس بالمهدى . فانقلب الأمر وقتل حماد وماتت دعوته . ولم ينقل لنا الرواة شيئا عن خلفيته واتجاهه واسس دعوته فأصبح امره في تاريخ دعوات المهدية خبرا وحسْب . وقد اشار اليه محمد بلو ابن الشيخ في انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور فقال : رجل من العوام يدعى الولاية زار الشيخ فلم ينهه عنها ثم جاء ثانيا وهو يدعى المهدية فنهاه عنها ، فرجع الى بلده ولم يرجع عن ادعائه ، بل تمادى واتسع امره بين الطوارق فأشكل عليهم أمره ولجأوا الى الشيخ يسألونه الرأى ، فأفاد ان الرجل ليس بمهدى كونه في مقام العوام ولم يبلغ مبلغ الطلبة . ولعلنا نستنتج من ادعاء حماد المهدية في محضر الشيخ ان القول بمهدية الشيخ لم يكن منتشرا بين جماعته الى ذلك الوقت ، والا فكيف يستقيم لحماد ان يقول بمهديته بين قوم يؤمنون بمهدية شيخهم . وامر آخر لعله أهم من هذا وهو ان الشيخ عثمان كان يتصور المهدى عالماً .

الفصل الثالث

موضوعات المهدية

(أ) حديث ام سلمة عن المهدى :

هذا حديث مهم عليه أغلب الاعتماد عند المتكلمين عن المهدى ، ويرد نصه فى فصل الفاطمى فى مقدمة ابن خلدون الذى ننقله ادناه ، وقد ضبطنا عبارته بالمعارضة بين طبعات المقدمة .

اما عن سنده فاننا ننقل من كتاب «المهدى حقيقة ... لا خرافة» هذه الفقرة التى ترصد بيانات وافية عنه : « رواه الامام احمد (٦/٣١٦) وابو داود (٤٢٨٦) عن طريق هشام عن قتادة عن ابى الخليل عن صاحب له عن ام سلمة مرفوعاً ، واخرجه ابو داود (٢٤٨٨) وابن ابى شيبة فى المصنف (١٥/ ٤٥ - ٤٦) والطبرانى فى الاوسط (٩٦١٣) عن طريق ابى العوام عمران بن داور القطان ، قال : نا قتادة عن ابى الخليل عن عبد الله بن الحارث عن ام سلمة عن النبى . قال الهيتمى فى مجمع الزوائد : ورجاله رجال الصحيح (٧ / ٣١٥) لكن فى الطريق الى عبدالله ابن الحارث عمران ابن داور القطان قال فيه البخارى : صدوق يهم ، وقال الدارقطنى : كان كثير المخالفة والوهم ، وقال الذهبى فى «التلخيص» ابو العوام عمران ضعفه غير واحد ، وكان خارجياً المستدرك (٤/ ٤٣١) . ورواه ابن حبان فى «صحيحه» (١٨٨١) - موارد عن طريق ابى يعلى (٤ / ١٦٥١) عن محمد ابن يزيد ابى هشام الزماعى ، قال الحافظ فى التقريب ليس بالقوى . ونقل عن البخارى قوله : رأيتهم مجتمعين على ضعفه (٢/ ٢١٩) . وفى اسانيدهم اختلاف شديد على قتادة ، فمن العلماء من اثبته كابن القيم رحمه الله فانه قال بعده : اسناده حسن ، ومثله مما يجوز ان يقال فيه : صحيح . وقد وصفه الالبانى فى الضعيفة (رقم ١٩٦٥) (١) .

وفيما اورد الامين الضرير فان البغوى يقول فى المصابيح فى قسم الأحاديث الحسان : «انه لم يبلغ درجة الصحة وان كان أقرب الى معنى المهدى من غيره » .

وقال ابن خلدون : « ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغمز ، وقد يقال انه من رواية قتادة عن ابى الخليل ، وقتادة مدلس وقد عنعنه ، والمدلس لا يقبل من حديثه الا ما صرح فيه

---

(١) المهدي حقيقة ، ص ٤١ .

بالسماع ، مع ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدى . نعم ذكره ابو داود فى ابوابه» اى ابواب المهدى . وترى من ذلك انه يشكك فى سند الحديث عند قتادة ولكنه لا يقطع بنفى الحديث .

وينفى ماديلونق الحديث على اساس تاريخي. فهو يقول ان قتادة يروى عن عبد الله ابن الحارث وهو الذى يشار اليه فى سند أخر بعبارة «صاحب له» . وعبد الله هذا كان معارضاً للعنف ويتقى الفتنة ، ودليله على ذلك انه رفض ولاية البصرة عندما عرضها عليه اهلها بعد ان هرب واليها عبيد الله بن زياد امام الثورة التى اندلعت بعد وفاة يزيد بن معاوية ، وكانت حجته انه لا يريد ان يتسبب فى فتنة . ومن المستبعد ان يروى مثل هذا الرجل حديثاً يدعم عبد الله ابن الزبير او يجعله طرفاً فى الفتنة القائمة . وقتادة نفسه تلميذ حسن البصرى ، وكان البصرى ينفى فكرة المهدية ، فهل نقول ان قتادة اختلف عن استاذه فى هذا الموضع !

وينقل الضرير الحديث بنصه ولكنه فى حكمه عليه لا يخرج عن قول ابن خلدون فيه ، الا انه قال انه نقله لأنه أقرب من غيره من الأحاديث الى معنى المهدى وهو قول البغوى الذى سلف . وقد استدل منه على امرين شاهدين على مراده بما ينفى مهدية محمد احمد وهما ظهور الاختلاف بعد موت خليفة الوقت وكراهيته للبيعة ، « فعلم بذلك انه لا يخرج على خليفة قبله وانه لا يتولى على الناس الا ببيعة اهل الحل والعقد له . وهذا كاف فى الرد على كل من خرج ... » .

ويذكر علماء الازهر الحديث مستدلين به . قالوا ان قول المهدى بأنه يرى الرسول مشافهة يتعارض مع هذا الحديث والذى وصفوه بأنه أصح حديث ورد فى المهدى وبأنه قاطع لعروق الاشتباه فى امر المهدى . وقد بينوا ما فيه من العلامات فى مكان المولد ومكان الظهور وكيفية الظهور ومناسبته وكيفية البيعة له وما يحصل بعد ذلك حتى مقتل خصمه . ومع ان الحديث مطعون فيه ، ويدرك العلماء بالطبع وجه هذا الطعن ، فانهم تبنوا ما فيه باعتباره أصح حديث لأنه يعطى لهم الفرصة للطعن فى امر محمد احمد. وفى اسناده استشهدوا بابن خلدون الذى يميل لنفى الحديث فى حين يتبناه العلماء وأوردوا طرفاً من عبارته وادخلوا الطرف الثانى فى عبارة تالية . قال العلماء : « قال ابن خلدون سنده متين على شرط الشيخين لا مغمز فيه ولا مطعن ، انتهى . وهو حديث قاطع لعروق الاشتباه فى امر الامام المهدى المنتظر على القول به » . وقال ابن خلدون

رجال الصحيحين ويقصد بهما صالح ابو خليل وعبد الله بن الحارث ، ويجئ طعنه فى قتادة الذى روى عنهما. وشرط الشيخين من العلماء لا من ابن خلدون . وقد اسقط العلماء طعن ابن خلدون فى قتادة وطعنه فى الحديث وقول ابن خلدون بأن لفظ المهدى لا يرد فى الحديث .

وفى وصفه لما يقع عند اختلاف الناس حول من يولون بعد وفاة خليفة فان مراد الحديث هو ظهور المهدى وما يقع بعده من خسف بالبيداء ونصرة على جيش كلب ، الا ان الحديث لا ينص صراحة على المهدى ولا على السفيانى. ولكن ابا داود نقله فى ابواب المهدى ودعم بذلك ان مقصود الحديث هو المهدى. وهذا معنى قول ابن خلدون : « نعم ذكره ابو داود فى ابوابه» بعد ان اثبت ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدى .

والحديث يتضمن :

١) الفتنة فى المدينة بعد وفاة خليفة حول من يولى وهروب رجل على اثرها من المدينة الى مكة .

٢) يأتى بعض اهل مكة الى الرجل حيث يقيم ويعينون انه المهدى ويخرجونه الى الكعبة وهو كاره لذلك .

٣) تتم البيعة له بين الركن والمقام ، اى الركن الذى به الحجر الاسود ومقام ابراهيم الخليل ، وتقوم المهدية .

٤) يرسل جيش من الشام لمحاربته ولكن يخسف به بين مكة والمدينة عقاباً الهياً لمحاربى المهدى.

٥) يؤكد الخسف مهدية الرجل فيأتيه ابدال الشام وعصائب العراق فيبايعونه ويعززون موقفه.

٦) يرسل قرشى اخواله من كلب جيشاً لمحاربة المهدى ولكنه ينتصر عليه ويغنم من كلب غنائم جسيمة يقوم بتقسيمها .

٧) يقيم العدل المطلق كما كان فى عهد الرسول ويستتب الامن والسلام .

٨) يلبث المهدى سبع سنين او تسعاً .

وهذا الحديث مطعون فيه من عدة اوجه : مطعون فيه اولاً للشك فى صدوره من ام سلمة ، وقالوا فى ذلك ان الحديث فى امر خطير ولا يقبل ان يودعه الرسول ام سلمة وكبار صحابته حوله .

وهو مطعون فيه من جهة سنده لأن قتادة الذى رواه مطعون فيه . واخيراً فان لفظ المهدى لا يرد فيه صراحة .

ويقول ما ديلونق ان الطرف الاول من الحديث، اى الى بيعته بين الركن والمقام ، يماثل حركة عبد الله بن الزبير التى اندلعت بعد موت معاوية وأيدها اهل مكة والمدينة ما عدا آل البيت الذين توقفوا عن دعمه وكاد ان يصيبهم غضبه. وقال ان الطرف الذى يتعلق بقرشى اخواله من كلب يماثل يزيد بن معاوية الذى ظنوا انه لا بد مرسل جيشاً لمحاربة ابن الزبير . وبالنظر الى هذه الأمور فان البعض ذهب الى ان بعض اطرافه من وضع ابن الزبير ومؤيديه .

(٢) الخسف :

تعتمد فكرة الخسف الواردة فى خبر المهدى فى اساسها على بعض الآيات القرآنية التى تورد خسف قوم ، اى ان تنقلب بهم الأرض ، او تهديدهم بالخسف ، عقاباً لهم لأنهم كذبوا وعاندوا . وأقرب الآيات الى المعنى المقصود قوله تعالى : «فخسفنا به وبداره الأرض» (٢) ، وقوله «ان نشأ نخسف بهم الأرض» (٣) ، وقوله : «افأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الأرض» (٤) .

ورد خسف عدو المهدى فى الحديثين المشهورين عند المتكلمين عن المهدى المنتظر والمنسوبين الى السيدة ام سلمة زوج الرسول . يقول الحديث الأول : «جيش من امتى يجيئون من قبل الشام ويؤمون البيت لرجل يمنعه الله منهم حتى اذا كانوا بالبيداء من ذى الحليفة خسف بهم ومصادرهم شتى» ، فقلت : « يا رسول الله كيف يخسف بهم جميعاً ومصادرهم شتى؟»، فقال : «ان منهم من جبر ، ان منهم من جبر ، ان منهم من جبر» ثلاثاً ، اى ان القدرة الالهية أوقعت عليهم الخسف تأييداً للمهدى ونصرة له ، وقد طال الخسف جميع من كان هناك معادياً او مجبوراً لأن المصيبة تعم .

ويقول الحديث الثانى : ان القرشى (ويقصد به يزيد بن معاوية) يرسل جيشاً الى حرب المهدى وقتاله ، ولكن هذا الجيش يخسف به فى البيداء بين مكة والمدينة . واختلف أيكون جيش القرشى من سوريا ام من العراق لأن الحديث لم يحدد مصدره . ويقول البرزنجى فى ذلك :

---

(٢) القصص ٨١ .

(٣) سبأ ٩.

(٤) النحل ٤٥ .

«فى بعض الروايات ان الجيش الذى يخسف به يبعث من الشام وفى بعضها من العراق ، ولا منافاة كما قال ابن حجر لأن البعث من العراق ، لكن لما كانوا من اهل الشام نسبوا اليها فى الروايات الاخرى » (٥) . ولما كان الخسف برهاناً على صدق مهدية الداعى فانه يدفع بأبدال الشام وعصائب اهل العراق الى الانضمام اليه .

ويقول ماديلونق ان الجيش الذى يرسله القرشى فى الحديث يمثل جيش يزيد بن معاوية الذى كان يتوقعه اهل مكة والمدينة للتعامل مع حركة ابن الزبير ، ويقال ايضاً ان ابن الزبير وبعض اتباعه اختلقوا فكرة الخسف درءاً لمغبة ما أشيع عن الجيش القادم .

وقد ورد الخسف فى البرقية التى ارسلها المهدى الى الحكمدارية ، حيث يقول : « وأعلم صلى الله عليه وسلم ان من اتانا بالعداوة يأخذه الله اما بالخسف او بالغرق » (٦) . وهذه العبارة قد تكون منتزعة من الحديث بصورتها، ومنها نفهم ان المهدى كان يتوقع ان يرسل الحكمدار جيشاً فأنذره بأن جيشه سيقضى عليه بالخسف كما فى الحديث ، اثناء مسيره او بالغرق ، وهذا من المهدى لكونه فى جزيرة ، اثناء العبور الى الجزيرة ابا حفظاً من الله له ودفعاً لعدوه .

ويلاحظ ان المهدى لم يرجع الى فكرة الخسف فى موضع آخر . ولكنه كثيراً ما ينذر بالعقوبة الالهية التى تحل بالمعارضين له او المتوقفين عن مناصرته ، ومن ذلك قوله فى خطابه الى ابراهيم محمود وآخرين : « وهذه حويتكم التى خلقتم لها، فلا تتغافلوا عنها بسبب امور باطلة فتنزل عليكم المفظعات الهائلة » (٧). وقوله بخذلان محاربه ومعارضه فى مواضع كثيرة .

ويقول الكردفانى فى ذلك : « فكان ذلك القتال عوضاً من العذاب الذى يستحقه كل من خالف المهدى عليه السلام كالخسف والغرق . والحكمة فى ذلك حصول الشهادة لاصحاب المهدى عليه السلام والانتقام من اعدائه بالجهاد . ولذا قال المهدى عليه السلام : « جاءنا الخبر: البجينا محارب اما ان تخسف بهاالأرض او يغرق » ، وبعده جاءنا الخبر بالتخيير بالخسف والغرق او الجهاد ، فاخترنا الجهاد لاجل «اليموت يموت شهيد» (٨) .

---

(٥) المهدى حقيقة ، ص ٤٠ .

(٦) الآثار الكاملة ، مجلد ١ رقم ٢١ ، ص ٩٥ .

(٧) نفس المصدر ، رقم ١٠ ص ٦٧ .

(٨) اسماعيل عبدالقادر الكردفانى : سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى ، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم ، (بيروت١٣٩٢هـ / ١٩٨٢) ص ١١٣ .

(٣) حديث : لا مهدى الا عيسى :

هذا حديث مشهور من جهة ان المتكلمين عن المهدى المنتظر ينقلونه كثيرا . وهو فيما يقول ابن خلدون يروى عن طريقين ، اولهما : «رواه محمد بن خالد الجندى عن ابان عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا» ، وثانيهما: «رواه محمد بن خالد الجندى عن ابان بن صالح بن ابى عياش عن حسن البصرى عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم» . والى هذا الطريق الثانى تنسب رواية الامام الشافعى وابن ماجة . ورواية الأخير مؤكدة لأنه نقل الحديث فى مسنده، اما رواية الامام الشافعى ففيها خلاف لأنه لم ينقل الحديث فى مسنده وانما استند عليه ابن ماجة عن يونس . ويقول ابن خلدون فى ذلك : «وينسب ذلك لمحمد بن ادريس الشافعى» ، وفى هذا ما يدل على شكه فى رواية الحديث عن الشافعى . ويقول ابن تيمية : «ورواه ابن ماجة عن يونس عن الشافعى ، والشافعى رواه عن رجل من اهل اليمن يقال له محمد بن خالد الجندى ، وهو مما لا يحتج به ، وليس هذا فى مسند الشافعى ، وقد قيل ان الشافعى لم يسمعه من الجندى وان يونس لم يسمعه من الشافعى» (٩) .

وقد نفى الحديث كثير من رجال الحديث ، منهم النسائى وابن القيم وابن تيمية الذى ذكرنا رأيه. وقال فيه القرطبى انه منقطع ، وقال ان الأحاديث عن النبى عن خروج المهدى من عترته من ولد فاطمة أثبت وأصح من هذا الحديث والحكم بها دونه (١٠) . وقال ابن خلدون انه ضعيف مضطرب . كذلك ضعفه ابن حجر. وقطع ماديلونق فى مقاله بأن محمد بن خالد الجندى اختلق الحديث ليفسد على الشيعة قولهم بالمهدى منه . وماديلونق مهتم بخلفية الأحاديث وردها الى رواتها وتفسيرها من زاوية التاريخ .

ومع هذا النفى فان نسبة الحديث الى الشافعى وابن ماجة اعطته قوة وجرت المحدثين والمتكلمين عن المهدى الى أوجه من التفسير والتبرير ، ويمكن اجمال هذه الأوجه فى نقطتين : انه لم يتكلم فى المهد الا عيسى ، وان المهدى سوف يحكم حسب توجيه عيسى بما ان عيسى هو المعصوم باعتباره نبيا . وانا نسوق فيما يلى بعض هذه الأوجه :

---

(٩) المهدى حقيقة ، ص ٧٠ .

(١٠) نفسه .

ابن ماجة :

وهو مستند الحديث الاساسي ، وقد أورده في سننه وفسره بأنه لم يتكلم احد في المهد الا عيسى وبأن المهدي سوف يحكم بارشاد عيسى لأنه معصوم بحكم انه نبي .

ابن ابي واطيل :

وهو من متصوفة المغرب ومن المتحدثين عن المهدي وظهوره بالمغرب . قال فيما روى ابن خلدون: ما ورد عن قوله لا مهدي الا عيسى فمعناه لا مهدي تساوي هدايته ولايته ، وقيل لا يتكلم في المهد الا عيسى . وهذا مدفوع بحديث جريج وغيره .

ابن خلدون :

اورد ابن خلدون الحديث بنصه وسنده في مقدمته ، ولكنه لا يرويه حيث يروي جملة الأحاديث عن المهدي ويناقشها، وانما يورده في مرحلة تالية من فصله ، وسبب ذلك اما لأنه يراه متصلا بعيسى لا بالمهدي ، واما لأنه لا يقبله اصلاً . والسبب الأخير هو الأكثر قرباً اليه اذا نظرنا الى عبارته . ولاحظ انه يقول : «المنكرون لشأنه» بمعنى ان عنايته ليست لصحة الحديث او عدم صحته وانما لصحة فكرة المهدية او عدمها لأن الشأن راجع الى المهدي . ثم يقول : « وربما تمسك المنكرون لشأنه بما رواه محمد بن خالد الجندي عن ابان بن صالح ابن ابي عياش عن حسن البصري عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا مهدي الا عيسى بن مريم . وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد الجندي : انه ثقة . وقال البيهقي : تفرد به محمد ابن خالد. وقال الحاكم فيه انه رجل مجهول. واختلف عليه في اسناده : فمرة يروي كما تقدم وينسب ذلك لمحمد بن ادريس الشافعي ، ومرة يروي عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن عن النبي صلى الله وعليه وسلم مرسلاً . قال البيهقي : فرجع الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول ، وعن ابن ابي عياش وهو متروك ، عن الحسن عن النبي صلى الله وعليه وسلم وهو منقطع . وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب . وقد قيل في ان لا مهدي الا عيسى اي لا يتكلم في المهد الا عيسى ، يحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به او الجمع بينه وبين الأحاديث وهو مدفوع بحديث جريج ومثله من الخوارق .

القارى :

وقال على القارى ، وهو من المتحدثين عن المهدى ، ان الحديث يعنى انه لا مهدى كاملاً معصوماً آنذاك الا عيسى .

ومن بين المتكلمين فى السودان عن المهدى لم يتطرق الى الحديث المهدى نفسه والحسين ابراهيم زهرا من جانب المهدى ، والغزى ومحمد شريف نور الدائم من جانب المعارضين . والذين تعرضوا هم الأمين الضرير واحمد الازهرى من جانب المعارضين والحسن سعد العبادى من جانب المهدى . يقول الامين الضرير فى رسالته : « ومن جملة ما تمسكوا به ما روى انه لا مهدى الا عيسى فتأوله المثبتون لها على تقرير صحته بأن المعنى : لا مهدى معصوم الا عيسى» . وكما ترى فانه يتبع ابن خلدون .

ويقول احمد الازهرى فى رسالته (١١) : « وان أوّل هذا الحديث بعض العلماء بأن معناه لا مهدى معصوم الا عيسى ، او لا مهدى على الاطلاق سواه يأتى بعده عيسى فضلا عن مهدية انسان مخصوص ادعاها فى زمن لم يتم دليل على حصوله فيه ». وكما ترى فانه ايضا مال الى ابن خلدون ثم ذهب يعارض بالحديث مهدية المهدى .

ويتعرض الحسن سعد العبادى الى الحديث رافضاً حجته فيقول : « وبعض المنكرين اثبتها لعيسى عليه السلام ونفاها من غيره واستدل بحديث لا مهدى الا عيسى ، فلو تأمل كل فطن منصف لأخذ ثبوت المهدية من ذات النفى ، لأن المعدوم لم يسبق دخوله العقول والاذهان حتى يستشعر بوجوده فيحتاج الى نفى ، وذلك الذى يحتاج الى نفيه هو الذى سبق ذكره واستشعرت به العقول ، فيفهم من هذا النفى تقدم ذكر المهدى من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم واكثار الكلام منه فى فضله وعدله كما هو الواقع فخشى على امته ان يعتقدوا عصمته فنفاها منه واثبتها لعيسى. فلو كان قصده صلى الله عليه وسلم ان يحكم لعيسى عليه السلام بثبوت المهدية بحصر لا تتعدى لغيره لكان ممكن بحسب اللغة العربية ان يأتى بجملة تامة معرفة الطرفين يستفاد منها حصر المهدية لعيسى ، ولكن لما كان قصده صلى الله عليه وسلم نفى العصمة من المهدى وثبوتها

---

(١١) احمد اسماعيل الازهرى : النصيحة العامة لاهل الاسلام عن مخالفة الحكام والخروج عن طاعة الامام . وكل قول ينسب الى احمد الازهرى فى هذا السفر يستند على هذا المصدر .

لعيسى قال لا مهدى الا عيسى لأن العصمة للانبياء والحفظ للأولياء » (١٢) .

ويقول ايضا : «ولذلك اوّله بعض العلماء بأنه لا مهدى معصوم الا عيسى، وبعض العلماء اهل البصائر قد حمل لا مهدى الا عيسى اى لا يكون احد صاحب المهدى الا عيسى ابن مريم فانه ينزل لنصرته وصحبته» (١٣) . ويقول : « ولا مهدى الا عيسى بن مريم معناه لا يكون احد صاحب المهدى الا عيسى بن مريم فانه ينزل لنصرته وصحبته» ، والفرق : «عيسى خاتم الولاية المطلقة والمهدى صاحب الخلافة المطلقة وكل منهم خادم هذا الدين» (١٤) .

ونحيل القارئ الذى يطلب المزيد عن هذا الحديث الى كتاب المهدى «حقيقة ... لا خرافة» بالصفحات ١٢٥ - ١٢٨ .

(٤) العيسوية ، عودة المسيح :

آمن اليهود بعودة النبى ايليا لينشر العدل ، وأورد التوراة نبوآت بظهور المخلّص الذى يقيم الدنيا على العدل . وقال المسيحيون ان عيسى قد صلب مظلوما ، وقال المسلمون ان عيسى لم يمت وانما شبه لهم وانه رفع الى السماء . وهو النبى الوحيد الذى يواجه هذه النهاية التى قد تمهد للعودة الى الدنيا مظفراً يجمع بين البصيرة والهداية والعون الالهى . وبالفعل جاءت فكرة العودة مرتبطة بعيسى من هذا المشهد ومرتبطة بفكرة المخلّص التى ظهرت فى مجتمعات مختلفة . وقال فان فلوتن ان فكرة العودة فكرة يهودية وانها دخلت المسيحية من هذا الرافد اليهودى ، وقال ان لفظ المسيح يطلق على كل مصلح يتطلع اليه الناس وينتظرون ظهوره ، وبالتالى فان اليهود والمسيحيين باتوا ينتظرون عودة المسيح لانقاذ البشرية (١٥) .

واعتقد المسلمون برجوع عيسى ، ومسرح هذا الاعتقاد معد - كما قلنا - لكون ان المسيح لم يقتل وانما رفع الى السماء ، فعودته ممهدة كفرج من السماء عندما تشتد الحال على العباد . ولكن فكرة عيسى تتداخل عند المسلمين مع فكرة المهدى لأن كليهما داع ويملآن الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ولأنهما متعاقبان او معاصران . والقول بأن لا مهدى الا عيسى

---

(١٢) العالم المجاهد ،ص ١١٥ .
(١٣) نفسه ، ص ١١٥-١١٦ .
(١٤) نفسه . ص ١١٦ .
(١٥) نظرية الامامة . ٤٠٣ .

يقوم على هذا التداخل مع ميل الى عيسى . وقد افترض البعض ان فكرة المهدى وفكرة عيسى العائد دخلتا الاسلام من المسيحية لأن لفظ المسيح لفظ توراتى ، ولكن عودة المسيح جاءت كما قلنا قبل سطور من الاعتقاد الاسلامى برفعه ، ولفظ المهدى لفظ عربى اصيل تطور فى جو المجتمع العربى المشبع بالنبوآت التى ظهرت ايام الفتنة للخلاص . وقد ارتبطت الفكرتان المهدية والعيسوية فى الاسلام بنهاية العالم باعتبار ان ظهورهما من علامات الساعة .

ويكثر الكلام عن المهدى فى ادبيات الاسلام التاريخية لارتباطه بحركات المعارضة العنيفة بينما يجئ الكلام عن عيسى عند وصف قيام الساعة بعد دحر الدجال .

ويهمنا من فكرة العيسوية نزول عيسى اولاً ، وصفته ثانياً ، لارتباط الأمرين بفكرة المهدى التى نحن ازاءها فى هذا الكتاب ، ثم دعوات العيسوية فى السودان التى جاءت فى عواقب المهدية .

نزول عيسى :

قال ابن ابى واطيل ، فيما روى ابن خلدون ، ان نزول عيسى يكون فى وقت صلاة العصر من اليوم المحمدى حين تمضى ثلاثة ارباعه . ويشرح ابن خلدون اليوم المحمدى عند الصوفية بأنه من يوم وفاة النبى الى تمام الالف سنة .

وقال الكندى ، فيما روى ابن خلدون ايضاً ، فى كتاب الجفر ان المسيح ينزل فيحكم فى الأرض . وقال : وورد فى الحديث ان عيسى ينزل (فى ٦٩٨هـ) عند المنارة البيضاء شرقى دمشق، ينزل بين مهرودتين ، يعنى حليتين مزعفرتين صفراوين ممصرتين واضعا كفيه على اجنحة الملكين، له لمة كأنما خرج من ديماس ، اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، كثير خيلان الوجه . وفى حديث آخر انه مربوع الخلق ويميل الى البياض والحمرة .

وقال ايضا ان هذا الولى (المهدى) هو الذى يصلى بالناس صلاة الظهر ، فان من صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة ، قال عليه الصلاة والسلام : ما بين هذين وقت ثم ينزل عيسى وقت صلاة العصر .

وقال ابن خلدون انه ينزل بعد المهدى فيقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدى فى صلاته . وقال تعليقاً على قول ابن ابى واطيل ان عيسى هو مسيح المسايح من آل محمد : ان بعض المتصوفة حملوا عليه حديث لا مهدى الا عيسى اى لا يكون مهدى الا المهدى

الذى نسبته الى الشريعة المحمدية نسبة عيسى الى الشريعة الموسوية فى الاتباع وعدم النسخ .

واشار ابن عربى فى «عنقاء مغرب» الى نزوله فقال : « ونزول مسيح » . ثم ذكر ظهور الدجال وشأن عيسى معه فقال : يخرج الاعور وفى رجله عزل ... حتى يأتى الامر الالد فقتله عند باب لد ويظهر دمه فى الحربة ويسرع الانحصار فى الاوبة ويخرج من وراء السد اكثر عددا وأقوى عداً فيدعو عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم اولئك الامم بعد ما لم يتركوا بالارض دياراً وارسلوا السهام فى الجو ليقتلوا من فى السماء فيردها الله سبحانه وتعالى عليهم مخضوبة بالدماء فيسلط الله عليهم فى ليلة داء النغف ... الخ (١٦) .

وقال احمد الازهرى فى رسالته ان عيسى يخرج بعد ظهور المهدى ، وان المهدى يساعده على قتل الدجال ويكون قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وانه يؤم هذه الامة .

ولم يتكلم المهدى والحسين زهرا والحسن العبادى والأمين الضرير والغزى عن نزول عيسى .

صفة عيسى :

جاء فى حديث ام الفضل : «حتى يكون منهم المهدى حتى يكون منهم من يصلى بعيسى ابن مريم » . وهذه العبارة غريبة لأنها توحى بمهديين ، مهدى ومهدى يصلى عيسى وراءه . والشيعة تقول انه هو المسيح مسيح المسايح من آل محمد . ويقال ان حسن البصرى بالكوفة عارض فكرة المهدى – فى اعتبارنا لأنها تناصر جهة – وذهب الى ان عيسى هو المهدى – فى اعتبارنا لأنه جامع للكل لا لفئة. وذهب محمد بن سيرين ، وهو منافس البصرى فى الكوفة ، يؤيد فكرة المهدى وان عيسى بعد نزوله سوف يصلى خلفه وان المهدى سوف يكون أفضل من ابى بكر وعمر ويكون مقامه مقام نبى وان القحطانى شبيه بالمهدى . وفى هذا رائحة تشيع قوية .

وقال محمد بن خالد الجندى ألا مهدى الا عيسى (١٧) نافيا المهدية التى يطلبها الدعاة ومثبتا مهدية عيسى فقط ، وذلك معارضة للموجة التى ركبها الشيعة .

وقال ابن ابى واطيل ، فيما عرض ابن خلدون ، ان عيسى ينزل فيصلح الدنيا وتمشى الشاة مع الذئب ثم يبقى ملك العجم بعد اسلامهم مع عيسى ١٦٠ عاما، دولة العدل منها ٤٠ عاما . وقال

(١٦) انظر مقتطفات «عنقاء مغرب» ادناه فقرة ٣و١٤ ، واصل عنقاء مغرب» ص ٦٠ و ٧٠ .

(١٧) المهدى حقيقة ، ص١٢٥-١٢٨ .

الكندى فى كتاب الجفر ان المسيح يحكم فى الدنيا ما شاء الله وانه فى حديث يتزوج فى القرب ، والقرب دلو البادية ، يريد انه يتزوج منها وتلد زوجته وذكر وفاته بعد ٤٠ عاما . وأورد ان عيسى يموت بالموت ويدفن الى جانب عمر بن الخطاب وان ذلك مصداق للقول بأن ابا بكر وعمر يحشران بين نبيين ، اى بين الرسول وعيسى .

وقال ابن عربى فى «بلغة الخواص» فى مبحث سيدنا عيسى عليه السلام : وتمام ملكه موقوف على ظهور المهدى ، وبظهوره يعم النداء وينفتح فم الاحاطة ويسمع الرجل من شراك نعله وعذبة صوته ويخبره فخذه بما عمله اهل بيته من بعده وتدعوهم الاحجار والاشجار ويفعلون بالقول ما يفعله غيرهم بالفعل .... الخ . ثم يقول : المهدى ختم الولاية وختم الاوصياء كما ان محمداً ختم النبوة ، والمهدى يفرض الاسلام بحد السيف ، وعيسى احد وزرائه ويفرض الشريعة بالسيف ولن يعتمد على القياس ، والفقهاء ضده (١٨) .

وقال الحسن بن علىّ بن خلف البربهارى شيخ الحنابلة ان عيسى ينزل ويقتل الدجال ويتزوج ويصلى خلف القائم من آل محمد (١٩) .

واغلب المتكلمين عن عيسى يذهبون الى انه يصلى عند نزوله خلف المهدى ، التزاماً بتبعيته لشريعة محمد ، وممن يخالف ذلك التفتازانى ، فانه يذهب الى ان المهدى يصلى وراء عيسى لأن عيسى نبى وأعلى منه .

وجزم بعض العلماء بأن عيسى يقتدى بالمهدى اولاً ليظهر انه نزل تابعا لنبينا حاكماً بشرعه ثم بعد ذلك يقتدى المهدى به على اصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل . وقال الكشميرى ان المراد بحديث جابر انه لا يؤم فى تلك الصلاة حتى لا يتوهم ان الامة المحمدية سلبت الولاية ، فبعد تقريره ذلك فى اول مرة يكون الامام هو عيسى عليه السلام لكونه افضل من المهدى (٢٠) . ابن حجر والسيوطى اعترضا على ان يكون المهدى أعلى من ابى بكر وعمر على اعتبار ان الاجماع بافضليتهما ولكن علىّ القارى ومحمد البرزنجى اعترضا عليهما باعتبار ان الاجماع فى زمن لا

---

(١٨) نصيحة الازهرى ادناه ، الدليل رقم ١١ .

(١٩) نفسه ، ص ٦٧.

(٢٠) نفسه ، ص ٥٢.

يمتد الى المستقبل وقالا بأن المهدى معصوم فى احكامه ويفضل على الشيخين .

وذهب عبد الله الهندى مخدوم الملك الى ان المهدى وعيسى معا سوف يطبقان المذهب الحنفى ، وقد اعترض عليه علىّ القارى فيما رأيت سابقاً .

وعيسى فيما ذكرت الادبيات الاسلامية الشائعة هو العائد من السماء لاقامة العدل ، واذا كان المهدى ينتصر على السفيانى الذى يمثل الفساد والشر ، فان عيسى ينتصر على الدجال وكلاهما يقيم العدل المطلق ويحقق السعادة الكاملة للبشرية ، فكأنهما تجسيم للصراع الأبدى بين الخير والشر الذى ينتصر فيه الحق انتصاره الساحق النهائى .

(٥) السفيانى :

يوحى لفظ «السفيانى» بغير شك بأن القائم بالدعوة السفيانية ينتمى الى بيت معاوية ابن ابى سفيان ، ولو كان القصد بأوسع من بيت معاوية من عشيرته ليضم اليه بيت مروان مثلاً لقيل الأموى . ولذلك لا نستبعد القول بأنه ظهر اولاً انتصاراً لبيت معاوية بن ابى سفيان ضد بيت مروان ابن الحكم الذى استقرت فيه الخلافة . ويقال ان خالد بن يزيد بن معاوية ، والذى كان منافساً لمروان ولم يخسر الخلافة الا لصغر سنه ، هو الذى اختلق الحديث . ولكن الاخبار الواردة عن السفيانى مضطربة بحيث لا يمكن ان نصل الى يقين فضلاً عن ان مدلول العبارة قد تطور ليواجه ظروفاً متباينة .

وتاريخياً فان معاوية بن يزيد بن معاوية خلف اباه خليفة ولكنه تنازل عن الخلافة تأففاً منها ثم مات بعد تنازله بأيام . ونجم عن ذلك اضطراب فى البيت الأموى للمنافسة بين خالد بن يزيد ومروان بن الحكم فضلاً عن مواجهة آخرين يطلبون الخلافة ، وقد اتفق الأمويون وحلفاؤهم على ان يلى مروان الخلافة نظراً لسنه وخبرته ثم تؤول من بعده الى خالد. ولكن مروان حين استقر امره نكص عما رتّب وجعل الخلافة من بعده فى ولديه عبد الملك وسليمان. وقد تزوج ام خالد لتأكيد ولايته عليه واحرجه بذلك علناً، قيل : فى هذه الظروف القاسية اتجه خالد الى العلم استعواضاً وفى النفس ما فيها من المرارة . ولهذه الظروف ايضاً ينسب الحديث الى خالد، ولكن بغير تأكيد قاطع من قبل القائلين بذلك فى حين يروى آخرون ان للحديث مصادر اخرى من بينها محمد بن على

ابن الحسين بن علىّ بن ابى طالب .

وممن نسب الحديث الى خالد المصعب بن عبد الله الزبيرى فى كتابه «نسب قريش»، فانه قال انهم «زعموا ان خالدا بن يزيد بن معاوية وضع ذكر السفيانى وكبره» ، وقد طعن البعض فى قوله لخصومته للامويين . وقال ابو الفرج الاصفهانى فى الاغانى ، ولعله نقل عن المصعب ، انهم « زعموا انه هو الذى وضع خبر السفيانى وكبره » . وذهب ماديلونق الى ان خالداً هو الذى وضع الحديث .

ويلاحظ ان «السفيانى» لا يرد صراحة فى حديث ام سلمة عن المهدى ولكن قد يفهم مدلوله استخراجاً من العبارة كما يفهم مدلول المهدى نفسه ، لأنه ايضاً لا يرد فى الحديث صراحة .

فى هذه المرحلة – مرحلة تململ بيت معاوية من حرمانه من الخلافة – يدعو الحديث الى العودة بالخلافة الى بيت معاوية ، ولذلك يفهم السفيانى بمدلوله البيتى المحدد ببيت معاوية ، ولا يستبعد والحالة هذه ان يكون مختلقاً من بيت معاوية – ان لم يكن من خالد بالذات – او على الأقل من مناصريه .

وفى العهد العباسى يتسع مدلول السفيانى ليكون واجهة الأمويين – لا بيت معاوية فقط – لينتقم لبنى امية واهل الشام من طغيان بنى العباس ويعيد اليهم الخلافة . وقد واجه العباسيون عدة حركات تحت هذه الراية ولكنهم قضوا عليها . وكان اشتداد ترقب اهل الشام لظهور هذا السفيانى فى ايام المأمون .

وقد وصفت بعض الاحاديث اعمال هذا السفيانى ، ومنها فتحه للكوفة ونهبها ثم هزيمته على يد شعيب ووصول الرايات السود من المشرق . ويبدو ان مصدر هذا الحديث من الشيعة لأن مدلوله التأكيد على انتصار الشيعة على سفيانى الأمويين . ونرى من هذا ومن غيره من واقع ان الشيعة ساهموا على نشر فكرة السفيانى .

والحديث بسفيانى ينتقم من بنى العباس والشيعة واهل مكة لما فعلوا بالامويين مصدره اندلسى، وكان الاندلس عندئذ بيد الامويين .

ثم أصبح السفيانى على يد الشيعة الخصم الشامى للمهدى، وهو يقتل على يد المهدى دليلاً على

صدقه وعلامة من علامات مهديته .

هذا من جانب تاريخ الاسلام العام ، اما فى السودان فان المهدى لا يذكره كما انه لا يذكر العيسوية ولا الدجال ، ولعله توقف عن هذه الأمور متسقاً مع توقفه الموضوعى ازاء علامات المهدية وشروطها حسبما جاءت عند المتكلمين عن المهدى المنتظر ولأنه لا يعتبر مهديته علامة للساعة حتى يجئ السفياني وعيسى والدجال معه . ومن المفيد ان نلاحظ ان الحسين زهرا والحسن العبادى، وهما يذهبان الى استيفاء المهدى لعلامات وشروط المهدى المنتظر، لا يذكران السفياني . ولعل ان يكون فى هذا تأكيداً على ان مهدية السودان ابتعدت عن الارث التاريخى الذى يقيد فكرة المهدية بالأمور الظرفية الموقوتة بزمن او حادث او حركة. ولكن بعض المعارضين للمهدية اوردوا السفيانى كوجه من وجوه الطعن باعتباره شرطاً لازماً وعلامة قائمة لكل من يقوم بهذه الدعوة . واول هؤلاء شاكر الغزى (٢١) ، فانه يقول : « ومنها انه يخرج لقتال يوسف السفيانى لا لقتال المسلمين ومحمد احمد انما يقاتل المسلمين ويقتلهم ظلماً . فهل رأيتم فى كتاب الله او فى سنة رسول الله ان المهدى يقاتل المسلمين ويقتلهم وينهب اموالهم . وهو انما يظهر لحماية الدين ونصرة المسلمين . واين السفيانى وجيوشه الذين خرج محمد احمد لقتالهم . فهذا برهان آخر على ان دعوى محمد احمد زور وبهتان » . ونحن نتعجب من عالم فى اواخر القرن التاسع عشر يتكلم عن السفيانى ويكيفه بالوجه الذى كان فى جو الصراع الذى كان محتدماً فى عهد بنى امية ، كيف يكون السفيانى سفيانى التاريخ بعد ان انتهى بيت ابى سفيان والعباسيون وآل الزبير والعلويون وذهبت مواقعهم الاجتماعية والسياسية. وهو يسأل عن السفيانى وجيوشه، ولو فكر قليلاً لأدرك ان هذا الامر قد بلى وطوته الايام فيما طوت . ولو تدبرت عبارته لخيّل اليك ان المهدى انما يخرج لقتال السفيانى وجيوشه، فاذا لم يظهر السفيانى بجيوشه فلا مهدى، وكأنه يقول بمعنى آخر ان مهمة المهدى هى قتال السفيانى، مع ان قتال السفيانى يقع نتيجة لظهور المهدى ومن واقع معارضته للمهدية . فهو ليس امراً أساسياً، ولذلك فهو علامة - فى اكثر المدى - وليس شرطاً او هدفاً فى حد ذاته . وقد توقفنا عند اسم «يوسف السفيانى» لأننا لم نقف فى مصادرنا على اسم «يوسف» . وكيف يقول

(٢١) شاكرالغزى : فى بطلان دعوى محمد احمد المتمهدى ، انظر ادناه . وكل قول ينسب الى شاكر الغزى فى هذا السفر يرجع الى هذا المصدر .

الغزى «هل رأيتم فى كتاب الله» مع ان القرآن خلو من ذكر المهدى ، دع عنك السفيانى. وعبارته « سنة رسوله » ليست دقيقة لأن قصده الأحاديث المروية .

ويرد السفيانى فى رسالة الشيخ الانبابى ، وهو يجعل ظهور السفيانى قبل المهدى شرطاً مع ان مع ان حديث ام سلمة يوحى بأن السفيانى يظهر لقتال المهدى ويرسل جيشه الذى يخسف به فى البيداء بين مكة والمدينة . فالسفيانى مترتب على ظهور المهدى وليس سابقاً له . وعلماء الخرطوم فى رسالتهم الى النجومى ومن معه من الامراء والعلماء يتساءلون « اين السفيانى الذى يكون ملكاً قبله » . وهذا مثل الذى سبقه يفترض السفيانى سابقاً للمهدى وشرطاً لظهوره ، ويزيد فوق ذلك انه ملك .

وفى خارج اطار المهدى ورد السفيانى فى الخلاف الذى نجم بين ابراهيم الرشيد وعلى شاع الدين ، ذلك لأن شاع الدين انشق على مسار الرشيد الملتزم بسبيل ابن ادريس وانضم الى السنوسى واعتقد - فيما يقول الرشيد - بمهدية السنوسى واتهم الرشيد بأنه السفيانى الذى يخالف المهدى ويحاربه وبذلك يكون خارجاً عن الطريق السوى . وقد استكثر الرشيد على شاع الدين ان يكون له رأى فى امر المهدى ونبهه الى ان السفيانى يكون فى الشام . فكأن الرشيد يشترط شامية السفيانى اتساقاً مع الاخبار عنه ولا يرى ان يكون السفيانى الا هناك ، وكأنه ايضاً يسخر من افكار شاع الدين .

(٦) القحطانى :

قحطان جد قبائل اليمن العربية ، وهو يقابل عدنان جد عرب الشمال . فالعرب شقان ، جنوبى وشمالى ، قحطانى وعدنانى . وانقسم بنو قحطان الى حمير وكهلان ، وحمير غالبيتهم من الحضر، وكهلان أكثرهم رحل . وقد تنافس العدنانيون والقحطانيون وتعاركوا طوال تاريخ الاسلام ، وكان ذلك مما أضعف المسلمين وهد موقف العرب ، اذ حلت الفتن بينهم اينما حلوا وسالت الدماء واجهدت الجهود وفتح الباب واسعاً امام الاعداء . ولما توطدت فكرة المهدى المنتظر نقلها بعض المتعصبين قبليا الى صعيد المنافسات القبلية وادعت بعض القبائل ان المهدى يكون منهم ، تقوية للمركز ودعما للخصوصية . فعلت ذلك قبيلة بنى تميم باعتبار ان المهدى من مضر وذهب القحطانيون الى ان المهدى منهم وسموه القحطانى وروجوا اقوالا فيه ، ومن ذلك حديث روى عن

ابى هريرة : « لن تأتى الساعة حتى يظهر رجل من قحطان يقود العرب بعصاته » ، ولا يستبعد ان قحطانية المهدى جاءت وليدة التنافس بين القحطانيين والعدنانيين ، ليكون المهدى قحطانيا مقابل النبى العدنانى . واعتماداً على الاقوال عن القحطانى ثار عبد الرحمن بن الاشعث وادعى انه القحطانى المنتظر ناصر المؤمنين . وكان العلويون يقاومون الحركة القحطانية لأنها تجعل هؤلاء شركاء لهم فى الدعوة الى المهدية وتأكل من رصيدهم . وذهب محمد بن سيرين الى ان القحطانى شبيه بالمهدى . واختلفت الروايات عن القحطانى ، قالوا : هو صالح يصلى خلفه عيسى، فهو المهدى اذاً . وقالوا انه يظهر بعد موت المهدى ، وانه يكون بعد موت المهدى خليفة من اهل اليمن من قحطان اخو المهدى فى دينه ، ويعمل بعمله . وقالوا ان خروج القحطانى بعد ان تخرب الحبشة البيت الحرام .

(٧) كلب :

قبيلة عربية تنسب الى كلب بن وبره ، وكانت تستوطن فى سوريا عند ظهور الاسلام ، وكانوا مسيحيين واسلموا وناصروا الأمويين . وقد تزوج منهم معاوية بن ابى سفيان ميسون بنت بحدل ام ابنه يزيد .

وتولى الكلبيون المناصب فى الادارة والجيش والبلاط ، وكان لهم الاشراف على حركة القوافل لبعض الجهات . ولما جاء العباسيون قضوا عليهم فى حملتهم على الامويين وحلفائهم . وقد ورد فى حديث ام سلمة خبران عن حرب اهل الشام للمهدى ، اولهما : «فيبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة» . وبعد الخسف يأتى ابدال الشام وعصائب اهل العراق فينضمون الى المهدى . وثانيهما : « ثم ينشأ رجل من قريش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب . ويقول ماديلونق ان القرشى الذى يرسل جيشاً كان تعبيراً عما كان يتوقع اهل مكة من الأمويين وان ابن الزبير نفسه وبعض مناصريه هم الذين روجوا هذا القول فى مكة فى حملة دعائية . والجيش الأموى المتوقع لمحاربة ابن الزبير كان بالطبع جيش يزيد بن معاوية وهو المعنى بعبارة رجل من قريش ، وقد تبين لك من قبل ان اخواله من قبيلة كلب . ويصور الحديث ضخامة انتصار المهدى على هذا الجيش بضخامة ما

غنم فيقول : « والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب» . والخيبة لأن المتخلف يفقد فرصة عظيمة لعدم اشتراكه مع المهدى (ابن الزبير) فى واقعته مع جيش يزيد .

(٨) الحسنى والحسينى :

انتهى أغلب المحدثين الي ان المهدى يكون من نسل الرسول ، وهذا يجمع كونه من نسل بنته الوحيدة فاطمة وعليّ بن ابى طالب ، وهو ما هو فيما يقول الشيعة والصوفية باعتباره المسمى اماماً بعد الرسول ومستودع العلم والسراللدنى .

ثم اختلف أيكون من ذرية الحسن ام الحسين . ويروى المحدثون احاديث تدعم الجانبين . وتاريخياً فان حسناً قد بويع بعد مقتل ابيه خليفة ثم تنازل لمعاوية فى التسوية التاريخية المعروفة ومات دون ان يغنم شيئا ، ولكنه جنب نفسه وشيعته مغبة الحرب. اما الحسين فقد خرج على الامويين وقتل فى كربلاء فى مشهد مأسوى ألهب وما يزال يلهب مشاعر شيعته . وقد فازت ذرية الحسن بالدعم الأقوى من بين المتكلمين لأنه جنب المسلمين الفتنة بصفقته مع معاوية ، ولأن اهل السنة كانوا يميلون الى الاعتقاد فى بداية قيام الدولة العباسية بمهدية النفس الزكية وهو من ذرية الحسن ، ولذلك يصير المهدى حسنياً لا حسينياً . والنفس الزكية هو الذى اوحى بالخال ومطابقة اسمه واسم ابيه لاسم الرسول واسم ابيه وثقل اللسان لأنه كان تمتاماً . وهو قد اعطى ايضا حسنية المهدى . ويمكن ان نضيف نقطتين فى صالح الحسن لا يذكرهما المتكلمون ، اولهما انه يكبر الحسين سنا ، وثانيهما انه بويع خليفة . وممن يذهب الى حسنية المهدى : ابن عربى وابن القيم وابن حجر الهيتمى والبيهقى ومحمد بن عبد الوهاب . ويذهب الى حسينيته الاثنا عشرية ، وهذا مفهوم بداءة لأن ائمتهم من ذرية الحسين وبالتالى يكون المهدى منهم ، لأن المهدى عندهم هو الامام الثانى عشر . ومنهم المناوى وابو نعيم الاصفهانى وعلى الهروى وعبد الواحد العيدروسى . ويقول البيهقى فى دعم ذرية الحسن : «لأنه سلم أرواح الناس من الفتنة بينما حارب الحسين وخسر وتسبب فى فتنة» . ويعترض الهروى ، وهو من ذرية الحسين ، على ذلك فى «المشرب الوردى» ويقول ان المهدى من ذرية الحسين . ويقول ابن القيم فى «المنار» : « وفى كونه من ولد الحسن سر لطيف وهو ان الحسن رضى الله عنه ترك الخلافة لله ، فيجعل الله من ولده من يقوم

بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذى يملأ الارض ، وهذه سنة الله فى عباده ، ان من ترك لأجله شيئا اعطاه الله او اعطى ذريته أفضل منه ، وهذا بخلاف الحسين رضى الله عنه ، فانه حرص عليها فلم يظفر بها» . ونقل المناوى نحوه عن ابى الحسن السمهودى . ونفى ابن حجر ان يكون المهدى عباسياً ، ثم حصره فى ابناء الحسن . ولكنه جوز ان تتداخل الذريات فيكون المهدى حسنياً، وهو الاصل ، وان يكون حسينياً وعباسياً عن طريق التزاوج . ومهدى السودان يذكر ان اباه حسنى من جهة ابيه وامه ، وامه من جهة امها ، وابوها عباسى ، وان له نسبة الى الحسين . واما من جهة نسبته الى الرسول عن طريق الحسن ، فهذا ما هو وارد فى نسبة اسرته ، وهو بهذا يأتى الى الجانب الأغلب عند المتحدثين فى نسبة المهدى المنتظر اى الجانب الحسنى ، وبالنسبة الى الجانب الحسينى فهو حسينى من جهة امه وبذلك يستوفى الجانب الآخر وهو الجانب الحسينى، ثم هو عباسى ، وبذلك يستوفى الطرف الأقل عند المتحدثين . وقد سار على هذا الحسن العبادى فى «الانوارالسنية» وقال ان المهدى حسنى .

(٩) رؤية النبى يقظة :

قال الصوفية ان الولى اذا بلغ مرتبة من الولاية رفعت عنه الحجب فيرى بقلبه دون ان يحول عنه بعدٌ زمنى او مكانى وانه يتصل بالموتى ويباشر معهم ما يشاء كما لو كانوا احياء. وقالوا ان الولى الذى له هذه الرتبة يلتقى بالرسول يقظة ويتلقى عنه . وفى عرف الأولياء ان ولاية الولى لا تكتمل الا برؤية النبى . والحضرة سبيل من سبل الاتصال الروحى والتلقى بين الاولياء ومع الرسول ، وهى لقاء للبركة او للتداول فى امور الكون او توجيه فى امر معين يشغل الناس . ومنها حضرة الاولياء والتى يرأسها غالبا قطب الزمن وحضرة النبوة التى يحضرها النبى . واحياناً يقولون بديوان الاولياء وما الى ذلك من التعابير . ويكاد ان يكون الصوفية مجمعين على ذلك ، ويتبعهم أغلب العامة تحت طائلة ما روجه شيوخهم . اما العلماء فبعضهم جوّز وبعضهم انكر ، الأولون بتأثير الفكر الصوفى والآخرون لمعارضتهم لما يعتبرونه شططاً ، واحياناً مروقاً ، وأكثر القوم تشدداً السلفية بمدارسهم المختلفة ، وبعض الذين ينكرون يحسبون هذه الرؤية فى باب الحلم ، لا لشىء من الولاية ، ولا يرتبون عليها حكماً او الزاماً بأمر . وقالوا فى ذلك ايضاً لو كانت رؤية النبى

والاخذ عنه متاحة لكان الأولى ان تراه ابنته فاطمة التى ماتت كمداً عليه ولسعى اليه الصحابة والفتنة تعصف بهم واهل بيته والعسف يتبعهم على ايدى بنى امية وبنى العباس . وكيف بالرسول مع شئون الدنيا وهو فى حياة اخروية ! وكيف بصلاة مع الرسول والرسول فى حياة أخروية لا صلاة فيها ! ولكن الصوفية قالوا ان النبى اعيد الى الحياة وخرج من قبره يمشى ليلقى من اراد ويدبر شئون الكون . وعالم فى مقام السيوطى قال انه اجتمع بالرسول مرات وصحح عليه الاحاديث .

ورؤية النبى يقظة والتلقى عنه ضرورة بالنسبة لأهلية مهدى الصوفية ، لأن المهدى يقود البشرية الى الدين الخالص والشرع النقى . واذ توقف الوحى وانقطع الوصل بين السماء والارض واصبح المعول بعد وفاة الرسول على الاجتهاد بما فيه من صواب وخطأ ، فلا بد ان يكون المهدى موصولا بالرسول ليتلقى عنه ما كان يفعله ازاء النازلة لو كان حياً . وهذا بخلاف صورة مهدى الشيعة الذى يقود الى الدين الخالص بحكم ما اودع فيه من اسرار وعصمة . وبحكم تلقى المهدى عن الرسول تكتسب احكامه العصمة عن الخطأ ويسقط عنه الاجتهاد بالرأى ، وهذا معنى ان المهدى يخطو اثر الرسول ولا يحود عنه شعرة وان زمنه مندرج من زمن الرسول وان اصحابه كأصحابه . والى هذا اشار الحسن العبادى بقوله : «لانقطاع الوحى بوفاة الرسول لا تتم المهدية الا بعد رؤية النبى لأنه مبعوث لاحياء المراسم الدينية بخلاف ما كانت عليه الآراء الاجتهادية . ولذلك يكون حكمه بالدين الخالص من شوائب الاحكام المستنبطة من آراء المجتهدين» ، ويقول : « وكيف لا وهو (اى الولى المفتوح عليه) الذى لا يغيب عنه النبى طرفة عين ولا يخرج من مشاهدة الحق جل جلاله طرفة عين لحظة وحينئذ فهو العارف بمراد النبى صلى الله عليه وسلم وبمراد الحق جل جلاله فى احكامه التكليفية وغيرها » (٢٢) . ورؤية النبى يقظة والتلقى عنه هى حجر الزاوية بالنسبة لمهدى السودان – لأن مهديته تقوم على حضرة نبوية نصب فيها مهدياً ، ولأنه يأخذ احكامه منه مباشرة ، وتكتسب احكامه بذلك الأهلية الكاملة التى تصورها الصوفية للخلافة المحمدية ، او تصورها ابن عربى فى ختم الولاية . ومن جانب آخر فان الرؤية يقظة والتلقى نقطة اساسية فى الخلاف الذى يدور بين

---

(٢٢) العالم المجاهد ، ص ٦٩ .

المؤيدين للمهدى والمعارضين له .

وقبل ان نتقدم بالنظر نذكر امراً على سبيل الملاحظة ، وهو ان السودانيين مغرمون بالفلك وبتفسير الأحلام ، لأنهما يعينان على كشف الحجب فيتقى بهما الشر فى حال ويؤمل الخير فى حال آخر ، ويكاد ان يكون فى كل بلد من يلجأ اليه لتفسير الحلم او النظر فى النجوم لتنطق بأبراجها عن مواقيت النحس والسعد ليرتب عليها القوم مناسباتهم المهمة من زواج وسفر وشروع فى عمل وما نحو ذلك .

وبالنسبة لتفصيل مواقف الصوفية والعلماء ازاء رؤية الرسول فانا نحيل القارئ الى كتاب «الانوار السنية» للحسن سعد العبادى ، وهو مضمن فى كتابنا «العالم المجاهد الحسن سعد العبادى» . وبالنسبة للطرح فى السودان فقد اصبح القول برؤية النبى والاهتداء بهديه معتقداً شائعاً . فما من ولى الا وهو يلتقى به ويهتدى بهديه . وقد عرضنا فى هذا الكتاب مبشرات الختم حسبما رواها ثقتان فى اخبار الختمية كما عرضنا من جانب المهدى حضرة التنصيب ومنشور الدعوة ، ويقف القارئ فى الحالين على صيرورة الرؤية .

ونضيف الى ذلك جانباً مما رواه الشيخ عبد المحمود نور الدايم فى «ازاهيرالرياض» من اخبار جده الشيخ احمد الطيب البشير فى الامر ذاته :

– عندما بلغ احمد الطيب الاراضى المقدسة اصطحبه حسن ولد حسونه الذى كان قد مات منذ زمن الى استاذه السمان فاخذ الطريق وتسلم امانة جده محمد سرور المودعة عنده (٢٣) .

– ذهب احمد الطيب بعد ان حفظ القرآن الى الشيخ عبد الباقى بن علىّ الكاهلى الشهير بالنيِّل لأخذ الطريق الا ان النيِّل توقف عن تلقينه بحجة ان حسن ود حسونه نهاه عنه (٢٤) .

– فتمنيت (اى احمد الطيب – وهذا قريب لما قاله العراقى لكى يرى المهدى) عند ذلك الاجتماع بالنبى صلى الله عليه وسلم فرأيته صلى الله عليه وسلم يقظة ووضع يده الشريفة على رأسى ورأى عن يمينه ابابكر وعمر ، وهما خلفاء الرسالة ، وعن شماله عثمان وعلىّ، وهما خلفاء النبوة ، والصحابة والاولياء طبقة بعد طبقة والاغواث والافراد، وامر صلى الله عليه وسلم الكل ان

(٢٣) عبدالمحمود نور الدايم ، – ازاهير الرياض فى مناقب العارف بالله تعالى الاستاذ الشيخ احمد الطيب ، ص ١٥ .
(٢٤) نفسه ، ص ٢٤ .

يفيضوا عليّ ويمدونى فأفاض عليّ كل واحد بما لا يصل اليه التعبير (٢٥) .

– روى احمد بن ادريس : ان احمد الطيب لم ينقطع عن الصلاة خلف الرسول حيا وميتاً منذ فتح عليه (٢٦) .

– روى عن احمد الطيب : ما حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من الساعات ولم اقل قولا ولم افعل فعلا الا باذنه فى جميع الاوقات ، وقال صلى الله عليه وسلم : انت وابراهيم ولدى كهاتين واشار بأصبعه صلى الله عليه وسلم السبابة والوسطى مضمومتين (٢٧) .

– احمد الطيب : يسمع هواتف من الحق ، ومنها : يا طيب تأدب لأمرنا (٢٨) .

– قال احمد الطيب : وجدت عند دخولى فى ديوان اهل الله الشيخ ادريس ولد الارباب والشيخ موسى ولد يعقوب يدخلان الاولياء فيه ، فأرادا ان يكون دخولى على يديهما فاحتجبت عند ذلك عنهما فما رأيانى الا وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه صلى الله عليه وسلم قال لهما : تأدبا فان الطيب من سلاطينكم (٢٩) .

– البصير يأتى بالخبر عن النبى وعبد الرحمن الفادنى يأتينى من عند الحق (٣٠) .

– احمد الطيب : ما حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة وما قلت قولا ولا فعلت فعلا الا باذنه (٣١) .

– ما فارقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع اوقاتى وحركاتى وسكناتى الا عند النساء وبيت الخلاء (٣٢) .

– قال يعقوب بن عليّ الدويحى : فرأيت النبى ومعه الشيخ الطيب (٣٣) .

وفى كتاب الطبقات شواهد كثيرة من رؤية الرسول . وانا نحث القارئ على العودة الى نصوص

(٢٥) نفسه ، ص ٣٨ .
(٢٦) نفسه ، ص ٦٦ .
(٢٧) نفسه ، ص ١٤٣ ،
(٢٨) نفسه ، ص ١٠٤ .
(٢٩) نفسه ، ص ٢٠٤ .
(٣٠) نفسه ، ص ٢٠٥ .
(٣١) نفسه ، ص ٢٠٥ .
(٣٢) نفسه ، ص ٢٠٥ .
(٣٣) نفسه ، ص ٢٣٣ .

هؤلاء .

وقد اخترنا ان نورد ملخصاً لموقف الأمين الضرير من الرؤية لأنه بين علماء السودان الأكثر احاطة :

تعرض الشيخ الضرير الى قول المهدى بأنه يرى الرسول جهرة وانه خلف مهدياً على يديه وانه يتلقى الأحكام عنه مباشرة بزوايا مختلفة .

الزاوية الأولى هى حكم الأحكام التى يأخذها المهدى بهذا السبيل ، وهى زاوية فقهية . يقول : «فان قيل يمكنه ان يأخذ الاحكام من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فى اليقظة او فى المنام ، قلنا ذلك ان امكنه فى خاصة نفسه بعيداً عن ان تثبت به الاحكام التى يجريها كرها على الخاص والعام» . ثم يقول فى موضع آخر من رسالته بعد ان بين استحالة رؤية النبى حلماً : « ثم على تقدير حصول هذا المتعسر لو رآه الرائى حقيقة وامره بفعل شئ او تركه لم يجب عليه فعل ولا ترك ولا على غيره لعدم ضبط المنام » . ويقول : « نعم قال السيوطى فى «انموذج اللبيب» : ومن امره بأمر فى المنام وجب عليه امتثاله فى احد الوجهين واستحب فى الآخر . اما ان امره الشخص المرئى بمحرم فقد ذكر بعض الاعلام انه من اضغاث الاحلام . ففى «المواهب» وشرحها فى تقسيم الاضغاث ما نصه : الثانى ان يرى بعض الملائكة يأمره ان يفعل المحرمات ونحوه من المحالات عقلاً ، لأن العقل دل على عصمتهم من ذلك فلا يمكن وقوعه ، فهو من الأضغاث لا تعبير له ، انتهى . وافاد مضمونه النووى فى شرح مسلم والفخر فى تفسيره المذكور ، ولا تنس قوله فى تقسيم رؤيا الانبياء . ومنها ما يقع على الضد كما فى حق ابراهيم الذبح والنجاة . ويعقب الضرير قائلاً : «وهذا محمل حسن ، اعنى المحمل على الضد ، يسلم من الاحتياج الى حمل رؤيا الحرام على كونها من اضغاث احلام . وقد وقفت على بعض كتب التعبير فوجدت فيه التصريح بذلك» . ثم قال : «ومن رأى احدا من الانبياء وهو يأمره بما يخالف الشرع يكون ذلك نهيا له وزجرا وتهديداً على وزن اذا لم تستح فاصنع ما شئت ، فان ذلك ليس بأمر على فعل وانما هو تهديد» .

والزاوية الثانية هى جواز رؤية النبى اصلاً ، وموقفه منه هو ان امر الرؤية قائم على الفهم الخاطئ للحديث الذى يقول بأن الشيطان لا يتمثل بالرسول بما يعنى ان كل من قيل عنه فى المنام انه الرسول هو الرسول فعلا وان ما يأمر به يكون حكما حتميا عليه وعلى غيره . وهذا عنده فهم

فاسد، اذ معنى الحديث ان الشيطان لا يقدر ان يتصور بنفس الصورة التى هى للرسول الموضحة فى الكتب بحيث لو رآه الانسان فى منامه وكان قبل ذلك رآه فى حياته وعلم حليته علماً صحيحاً يكون به مساوياً لمن رآه فى حياته تيقن انه الرسول ، لا شخصٌ يشبهه ، ولم يستند الى من يخبره فى المنام . وهو يقرر ان مثل ذلك لا يتفق الا للصحابة .

والزاوية الثالثة انه يأخذ الأمر مناما لا مشافهة فى اليقظة ، وهو هنا يشرح احكام تعبير الرؤيا المنامية حسبما وصل اليه من مطالعاته .

ينقل اولاً عن كتاب «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» ويصنف الاحلام حسب مقامات اصحابها . فالانبياء رؤياهم كلها صدق ، ولكن قد يقع فيها ما يحتاج الى تعبير . وبالنسبة لغير الاولياء فان الرؤيا اما رؤيا صحيحة او اضغاث احلام . وهؤلاء فى ثلاثة مقامات : المستورون : والغالب استواء الحال فى حقهم ، والفسقة : والغالب على رؤياهم الاضغاث ويقل فيها الصدق ، والكفار : ويندر جداً فى رؤياهم الصدق .

ثم يشير الى ان هذا يطابق ما جاء فى شرح صحيح البخارى . وينقل عن الفخر الرازى فى تفسيره الكبير تقسيمه منامات الاولياء على ثلاثة اقسام :

١- ما يقع وفق الرؤيا، مثل قوله لتدخلن المسجد الحرام ثم وقع هذا فعلا .

٢- ما يقع على الضد، مثل الرؤيا بذبح ابراهيم لابنه اسماعيل ثم نجاته بفضل الطاعة .

٣- ما يقع على ضرب من التأويل والمناسبة مثل رؤيا يوسف عليه السلام .

وزيادة فى الافادة نذكر ان الشيخ اسماعيل الدقلاشى ، صاحب الربابة ، عرض فى كتابه «فى طريق اهل الله والسير به ساهل» وجها آخر لتناول الرؤيا، وذلك فى باب سماه «باب الرؤيا» . وملخص هذا الوجه عنده ان الرؤيا من انواع الكرامات ، وهى صدق وتأويلها حق . ثم يشرع فى بيان انواع الرؤيا حسب موقعها من الليل والنهار ، وما يصح منها وما لا يصح ، ورؤية الميت فى المنام وما تفيده حالته ، والرؤيا التى تأتى للانسان غلبة وهى محمودة والتى تأتيه عادة وهى مذمومة .

(١٠) اشراط الساعة :

هذا موضوع يقابل الباحث فى موضوع المهدية كثيرا ، وقد وقفنا عنده فى هذا الكتاب فى مناسبات كثيرة .

وكان القائلون بالمهدية فى اطوارها الأولى غير مشغولين به لأن تبنيهم المهدية كان يقع فى اطار الصراع السياسى والعقدى بين الطوائف والجماعات كالصراع بين بنى امية وبنى هاشم وبين العباسيين والعلويين وبين الشيعة واهل السنة . ولعل دخول الصوفية فى حلبة المهدية هو الذى بلور الحديث عن اشراط الساعة وجعل المهدية فى اطارها . وبالنظر الى ما يساق فان الأشراط وتواليها تقوم على تحكمات قائمة على تأويل لبعض الآيات واحاديث موضوعة ومقولات لا تستند على منطق . وكلما مضى الوقت ولم يقع امر مما قيل يساق مسار جديد او تأويل ، وهذا نفسه يسقط مع الزمن .

قالوا ان الله خلق الدنيا فى سبعة ايام وان عمرها بالتالى سبعة ايام . ولكن علام يستند القول بأن عمر الدنيا يساوى فترة خلقها ! هذا مجرد افتراض تحكمى . ثم انك ان قلت ان عمر الدنيا سبعة الف عاماً بحساب يوم الرب كما يجئ فان خلق الدنيا يكون قد استغرق سبعة آلاف عاما بحسابنا ، وهذا ليس بمعنى الآية ! وقالوا ان يوم الرب يبلغ الف سنة من سنواتنا مستندين فى ذلك على قوله تعالى : « وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » (٣٤)، وهناك آية فى نفس المعنى وهى : « فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون » (٣٥) . والعبارة فى الآيتين تذهب الى تصوير طول يوم الآخرة لا الى خلق الدنيا ولا عمرها . وقد جاء فى تفسيرها فى «تفسيرالجلالين» : «اى من ايام الآخرة بسبب العذاب» ، والجلال السيوطى احد الجلالين المفسرين بطول يوم الآخرة وهو نفسه احد الذين يعتمدون مقولة يوم الرب على حساب الالف سنة . وهكذا تباين قوله . وهناك آية اخرى فى تصوير يوم الآخرة : « فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة» (٣٦) ، تصويرا ليوم الكافر فى الآخرة لشدة العذاب بينما هو عند المؤمن اخف من صلاة

---

(٣٤) الحج ٤٧ .
(٣٥) السجدة ٥ .
(٣٦) المعارج ٤ .

يصليها فى الدنيا حسبما جاء فى تفسير الجلالين نفسه . ولو جعلنا هذه الآية قاعدة لأصبح عمر الدنيا ٣٥٠ الف سنة . ولكن المتحدثين صمتوا عن هذه الآية ، وهكذا صار عمر الدنيا سبعة آلاف سنة تحكما . ثم اننا نعيش فى ١٤١٨هـ على بعد نحو ٣٨٨ سنة مما حدد والدنيا باقية بل وتزيد عمراناً، فأى باطل اقيم وخربت به عقول المسلمين! وقالوا ان النبى ظهر فى آخر الالف السادس ، ولسنا ندرى كيف جاءوا الى هذا . ثم خطوا الى القول بأن عمر الشريعة الف عام وان هذا الالف يحسب من وفاة علىّ بن ابى طالب لأن فترة الخلافة الراشدة تحسب مع ايام الرسول ، وهذا تحكم آخر . وقالوا ايضا ان خلافة ابنه الحسن محسوبة ايضاً مع خلافة علىّ . وفى هذا الألف تقع أهم اشراط الساعة : المهدى والدجال وعيسى والدابة الخ . . ويمكنك ان تدرك هذه الاشراط وتواليها من العرض الذى يقدمه الشيخ عثمان دان فوديو فى كتابه «تنبيه الامة» الذى نلخصه عند الكلام عن الفوديين والمهدية وعرض الشيخ محمد شريف نور الدايم فى قصيدته ادناه . وقد ادرك السيوطى فى كتابه «الكشف عن مجاوزة هذه الامة الالف» اختلال الأمر بسبب عدم وقوع بعض الاشراط فى اوقاتها فاجرى تعديلا قضى بزيادة فترة اضافية الى عمر الدنيا تستوعب الاشراط .

وهذه الفقرة التى قدم بها كتابه يصور عرض اشراط الساعة عند المتحدثين عنها والخلل الذى ادركه السيوطى والوضع الذى يراه ازاء عمر الدنيا ، يقول السيوطى : «الذى دلت عليه الآثار ان مدة هذه الامة تزيد على الالف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة ، لأنه ورد من طرق ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وان النبى صلى الله عليه وسلم بعث فى اواخر الالف السادسة . وورد ان الدجال يخرج على رأس مائة وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث فى الارض اربعين سنة وان الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة وان بين النفختين اربعين سنة ، فهذه مائتان لا بد منها والباقى الآن من الالف مائة سنة وسنتان (اى انه يكتب فى سنة ٨٩٨هـ) والى الآن لم تطلع الشمس من مغربها ولا خرج الدجال الذى خروجه قبل طلوع الشمس من مغربها بعد نزول عيسى بسنتين ولا ظهر المهدى الذى ظهوره قبل الدجال بسبع سنين ولا وقعت الاشراط التى قبل ظهور المهدى . . . . فكيف يتوهم احد ان الساعة تقوم قبل تمام الف سنة، هذا غير ممكن . . . كانت المدة أكثر ولا يمكن ان تكون المدة الفاً وخمسماية سنة اصلاً . وها

انا اذكر الأحاديث والآثار التى اعتمدت عليها فى ذلك » . ولولا ان السيوطى كان اسير هذه المقولات والافكار لكان حريا به ان ينكر هذا الذى برهن الواقع على سقوطه . لقد الغى عقله - كما فعل الكثيرون من المتحدثين عن هذه الأمور - لأنه نصى يستعبده النص .

ولكن الوقت مضى واصطدم الشيخ عثمان دان فوديو بخلل آخر ، فقد مر الوقت الذى حدد لظهور المهدى ولكن المهدى لم يظهر ، وكان فوديو معاصراً لهذه الواقعة وبالتالى أبطل تعيين هذا الوقت لظهور المهدى . وقد اعتذر للسيوطى ونعيم بن حماد بأن حكمهما كان غيبا ولم يريا هذا الحدث كما رأى . وفى خطوة اخرى ابطل كل تعيين لوقوع الاشراط .

والقول ببطلان التوقيت قديم ، اذ جاء فى حديث : كذب المنجمون ولو صدقوا ، وحمل بعض الشيعة على الوقاتين وكذبوهم . وكان هذا مما اخذه ابن خلدون على الصوفية عندما يعينون وقتاً لظهور المهدى ، فاذا انقضى بغير مهدى عينوا وقتاً آخر ، وهذا يكون مصيره كالأول . وقد رفض المهدى التوقيت وكل العلامات وذهب الى انها من عمل المتفننين .

(١١) تكفير منكر المهدى :

كفر كثير من اهل الدعوات فى الاسلام مخالفيهم ، ومن ذلك تكفير الخوارج لعلىّ بن ابى طالب لقبوله التحكيم بينه وبين معاوية بن ابى سفيان وتكفير الشيعة لابى بكر وعمر بزعم انهما اغتصبا الخلافة ، وهى عندهم لعلىّ بن ابى طالب . وكثير من اهل الملل كفروا خصومهم واحيانا من لم يكونوا منهم واهدروا دماءهم كما فعل القرامطة . وتاريخ الاسلام ملئ بأخبار هؤلاء . وفى عصرنا هذا يكفر المتشددون غيرهم لخلافهم فى العقيدة وبعضهم لانكار امور فى السلوك . وامر هذا واسع وله أدبيات مستفيضة لمن اراد تتبعه .

وقد قال المهدى بتكفير من يشك فى مهديته واهدر دماء مخالفيه ولو لم يكونوا فى الأصل مسلمين . وقد انكر عليه العلماء المخالفون له ذلك باعتبار ان فكرة المهدية ليست من اصل الدين ولا من اساسياته وان الخط الذى يفرق بين المسلم وغيره هو نطق الشهادتين اعلاناً عن الاسلام وحسب ، لا غير ذلك يدخل الى الاسلام او يخرج منه .

وبما ان هذا مذهب فى الامر خطير ويعارضه العلماء على وجه فقهى بحت دون النظر فى منشأ

الفكرة ويؤيده المؤيدون للمهدى انسياقاً معه فاننا رأينا ان نقف هذه الوقفة لابراز جوانب القضية .

اورد المهدى فى وصف حضرة تنصيبه مهدياً ، على لسان الرسول فى عبارة موجهة الى الفقه عيسى ، تكفير من شك فى مهديته ، وقال ان الرسول كرر العبارة ثلاث مرات مما يعنى تأكيده لمضمونها ، وقد اورده ايضا فى منشور الدعوة ، وبنفس التأكيد ، قال : «وقداخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن من شك فى مهديتك فقد كفر بالله ورسوله ، وكررها صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات» . فتكفير من شك فى مهديته ثابت بعبارات قوية وردت عن المهدى نفسه فى ادبيات اساسية .

ولكن المهدى ليس مبتدع فكرة تكفير منكر المهدية، بل الفكرة واردة فى فقه فكرة المهدية. وقد اورد ابن خلدون فى فصله عن الفاطمى فى مقدمته حديثاً يقول : «من كذب بالمهدى فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كفر» . وقد روى الحسين زهرا الحديث بتقديم الدجال على المهدى فقال : « من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدى فقد كفر» . والمقصود بالمهدى هو المهدى المنتظر كفكرة وليس شخصاً او آخر . ومع ان ابن خلدون كعادته مع احاديث المهدى ضعف سند هذا الحديث ، وبالتالى اسقطه ، فان روايته له تدل على ان رواة الأحاديث كانوا يروون هذا الحديث ، وربما غيره ايضا ، وان بعضهم قد اعتمده ، وقال بعض من ايد التكفير ان مسنده ان منكر المهدى كمن ينكر احاديث الرسول لأنه ينكر احاديث بلغت مبلغ التواتر ، وهو رأى ضعيف كما ترى ، لأن هذا الذى ينكر المهدى انما ينكر حديثا او احاديث بعينها لا جملة احاديث الرسول ، وانكاره قائم على نفى صدور العبارة من الرسول . ومن الجانب العقدى فان المهدى حسب تصور الصوفية هو خليفة رسول الله، وله المرتبة الدينية العليا والسلطة الدينية بما يجعل عمله موازيا لعمل الرسول لكونه يأخذ منه مباشرة ، وهذا يعطيه المؤهل لاعادة الاسلام الى ما كان فى عهد الرسول ، ولهذا فان من ينكر المهدى ينكر هذا المقام ، اى مقام الامامة الكبرى والخلافة المصطفوية ، وقد خص المهدى الترك ، ويقصد بالعبارة مؤسسة الخلافة لا العنصر ، بالكفر الذى لا علاج له الا السيف ، وحجته فى ذلك اولاً مسئوليتهم عن تدهور الاسلام واتخاذهم القانون الوضعى بدل القرآن والسنة وثانيا عملهم على اطفاء نور الاسلام اى العداء لدعوته التى تعود بالاسلام الى نقائه على يد الرسول .

وقد دافع الحسين زهرا عن تكفير المخالف فى كتابه «الآيات البينات فى ظهور مهدى آخر الزمان وغاية الغايات» (٣٧) ، والحسن العبادى فى كتابه «الانوار السنية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهدية (٣٨) ، وابن حجر الهيتمى والشيخ عثمان دان فوديو . وقد عارضه احمد اسماعيل الازهرى وعلماء الازهر والشيخ الانبابى فى رسائلهم ادناه .

---

(٢٧) عالم المهدية ، ص ١٧٩ .

(٢٨) العالم المجاهد ، ص ١٥٢/١٥٣ .

الفصل الرابع

المهدية فى السودان

تبين فى الفصلين الأول والثانى كيف نشأت فكرة المهدية فى الاسلام وكيف تطورت واتسعت على مدى القرون فى اصقاع العالم الاسلامى وكيف تعددت التصورات من حركة الى حركة ومن مؤلف الى آخر وفق الظروف والبيئات الاجتماعية والسياسية والفكرية وكيف اتسع وضع الأحاديث والأخبار لتوائم هذه الحركات . وقد ذكرنا اثر محى الدين بن عربى والمتصوفة الذين جاءوا من بعده على مجراه فى بث الفكرة فى مجرى التصوف السنى والذين احالوا المهدى من مجدد للاسلام ومقوّم وفق التصور التاريخى لأهل السنة الى مبعوث من العناية الالهية بمؤهلات تجعله فى مرقى أعلى من الولاية وقمة البشر بعد الرسول ويتلقى عنه مباشرة ويتمتع بكامل المؤهل الدينى والقدرة على بناء الاسلام من جديد بما يوازى نقاءه على يد الرسول واحاطوه بخيالاتهم الخصبة وظلالهم المشبعة مستندين على الفيض والحضرة وما استعاروه من الشيعة ونظرية الولاية المحمدية والانسان الكامل حتى غدا الايمان بظهور المهدى على هذا الوجه معتقداً عاماً مسلماً به عندهم . وقد تصدى لهذا المنحى بعض العلماء، وبالأخص علماء السلفية ، ولكن دون ان يؤثروا كثيراً ، لأن الجمهور لم ينشغلوا بالتكييف العلمى للأحاديث والأخبار والنظر فى العلامات ومدى الصلاحية الدينية التى يحملها المهدى بل اكتفوا بالايمان بمهدى يظهر فى آخر الزمان لازالة الظلم واقامة العدل المطلق تحت راية الاسلام القويم . وقد تاق الناس الى ان يحضروا زمنه وان يكونوا من اتباعه حتى تكون لهم هذه الحظوة العليا .

وكان انتشار الفكرة فى تخوم العالم الاسلامى قويا بعكس الحال فى الوسط لبعد هذه التخوم عن السلطة المركزية الرادعة وتيار العلماء المضاد ووقوع هذه التخوم تحت التأثير الطاغى للصوفية واستسلام العامة لمقولاتهم لضعف مقومهم الدينى . ولكن الافكار التى غزت هؤلاء كانت آتية من مراكز الاسلام الكبرى مثل افكار ابن عربى والشعرانى والسيوطى .

ان الصوفية هم الذين قادوا الحركة الاسلامية فى التخوم ، ولم يكن من بينهم من ينكر مجئ المهدى ولا من احد يعترض عليهم فى مقولاتهم . وكانت الكتب المتداولة بينهم تتناول موضوع

المهدية كأمر مؤكد ، وحتى كتاب الفقه المشهور «كشف الغمة» كان مستبقا لظهور المهدى وعونا له ، اذ قصد مؤلفه ان يغنى المهدى من الانشغال بالأمور التى تناولها ويوفر على اتباعه مراجعته . ومن المناسب ان نذكر ازاء هذا الكتاب ان المهدى اجاز مستحسناً الاعتماد عليه ، ولسنا ندرى هل كان ذلك لما قال صاحبه انه يعين به المهدى المنتظر ، ام لأنه اقتصر فى تأليفه على الاعتماد على القرآن والحديث كما هو وجهة المهدى فى نظره فى الامور . وقد تعرض الصوفية فى دروسهم ومجالسهم الى ظهور المهدى كقضية دينية يلزم على كل مسلم ان يؤمن بها وينتظر وقوعها وربطوها باقامة الدين القويم ونشر العدل المطلق . وقد استعانوا بذلك لجذب الاتباع نحوهم ورفع الحماس الدينى بينهم .

وتأكيداً للمقام الدينى والخصوصية ذهب بعض رجال الطرق الى ان المهدى يكون من طريقتهم او من نسلهم ، وكانذار للأتباع ركزوا على خسة الدنيا ليبتعدوا عنها وعن متاعها ، وعلى نعم الآخرة ليقبلوا من أجلها على الدين ، وعلى زوال الدنيا وقرب قيام الساعة ومن ثم مجئ المهدى المنتظر الذى يحقق للبشرية السعادة الحقة لفترة قصيرة قبل القيامة . ومن هذا البحر كان قول بعض الصوفية بأنهم يمهدون للمهدى المنتظر على نحو ما نسب لشيخ الخلوتية، او ان يقول بأنه مهدى زمانه الذى يمهد للمهدى المنتظر كما قال عثمان دان فوديو، ومن لم يلحق بالمهدى لحق بقطب الأقطاب او ختم الولاية . والاتباع من جانبهم يتحمسون لشيوخهم ويرفعون من شأنهم ، وقد ذهبوا الى مهدية بعض هؤلاء رفعاً لخصوصيتهم وخصوصية طريقتهم والتمسوا لهم العلامات والملابسات ، وهذا ما وقع لابن ادريس ، والتجانى، والسنوسى الكبير ثم ابنه المهدى، ولعثمان دان فوديو .

كان السودان من بين هذه التخوم وأقبل فيه الصوفية والعلماء الذين وقعوا فى تيارهم يطرحون الفكرة على المتلقين من الحيران والمريدين كقضية دينية محتومة .

اننا نحاول فيما يلى من فقرات أن نبين مسار طروحات المهدية فى السودان الى قيام مهدية محمد المهدى بن عبد الله فى اول شعبان ١٢٩٨هـ .

مهدية النحلان (١) :

ان المد الصوفى الذى نما على اعقاب قيام سلطنة الفونج فى القرن السادس عشر الهجرى واشتد اثر مجئ تاج الدين البهارى بالطريقة القادرية وزرعه للباطنية فى اواخر هذا القرن قد اعطى للسودان مهديته الأولى والفريدة فى اواخر القرن السابع عشر ، وهى مهدية حمد النحلان – ونحن نقول الفريدة لأن كتاب الطبقات ، ذلك المستودع الضخم بأخبار الأولياء فى السودان ، لم يذكر احداً من دعاة المهدية غير النحلان . وربما كانت – ان لم تكن قطعاً – مهدية النحلان الأقدم على امتداد اقليم السودان شرقا وغربا .

والنحلان هو حمد بن محمد الترابى المشهور ، جد اسرة الترابى بجنوب الخرطوم ، والنحلان لقب لقب به لضمور جسمه من اثر تجويع نفسه تحت طائلة العبادة . وحمد أصلاً من البديرية ، حفظ القرآن وتفقه ودرّس فى خلوته ، ثم سلّكه الشيخ دفع الله ابو ادريس العركى فولج عالم التصوف وفرّغ همه للعبادة . وكان حمد معتقداً فيه ، ثم قام الى الحج ومعه زوجته وجماعة من اتباعه ، وبينما هو فى مكة قال بمهديته ، ولعله استوحى امره من القول بظهور المهدى بين الركن والمقام ، فقام عليه الناس وضربوه وضربوا جماعته وحبسوهم ، فانطفأت حركته هناك . وفى حالة يأس قال قولته التى رواها صاحب الطبقات : « سافراكم الى بلدنا ، المضوى يضوى بلده » . ولما بلغ بلده قال : «هذا مكان خلوتى ، وهذا مكان قبرى» (٢) ، اى انه طلق فكرة المهدية نهائياً واسقط من باله شؤون الدنيا . وكان ارسل تابعاً له يدعى ميرف ليبلغ اهل سنار بأمره ، فلما وافاها وعرض ما جاء به امر السلطان بادى الاحمر (٣) بقتله وجره الى النيل والقائه فيه . وقد فعلوا ذلك به . وهذا من استهوان السلطان بأمره وبما جاء به ، اذ لا يجر الى النيل هكذا ويلقى فيه الا

---

(١) اعتمدنا في خبر حمد النحلان علي : محمد النور بن ضيف الله : كتاب الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، تحقيق د. يوسف فضل حسن (دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٤) الترجمة رقم٧٩ ص ١٦١ – ١٧٤ واحمد بن الحاج ابو علي ، كاتب الشونة : في تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية ، تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل ، (دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦١) .

(٢) طبقات ، ص ١٦٦ .

(٣) قال ود ضيف الله ان السلطان الذى امر بقتل ميرف وجره الى النيل هو السلطان بادي ابو دقن ، وقال كاتب الشونة انه بادى الاحمر ، والى هذا ذهب نعوم شقير اعتماداً عليه فيما يظهر . والسلطان بادي الاحمر هو ابن السلطان انسه الثاني ، وعهده بين ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م و١١٢٧ هـ/ ١٧١٥م . ونحن نعتمد بادى الاحمر لتوافق زمنه مع زمن النحلان .

الفطيس . الا ان الروح الشعبية انتصرت له لتعلقها بالمتصوفة وانحيازها لأهل الله كما فعلت بجلد القاضى دشين من قبل انتصاراً للهميم وبأولاد المسبعاتى انتصاراً للفقيه مختار بن محمد جودة الله . قال الطبقات فى خبر ميرف : «فارسل ميرف حواره وقال له امشى فى سنار قول المهدى نزل فامر السلطان بادى ابو دقن «الصواب بادى الاحمر» بقتله وجره ، فارتعدت السماء وابرقت واصابهم مطر شديد هدم البيوت وسالت السيول فى غير الوقت، وخور ام خنيجر الموجود الآن مجرّ جنازة ميرف (٤) . وفى تلك الايام الملك قتل، ضربه المكادى بحربة . فقال الشيخ حمد فى المشرق : انا اخو بادى اب آيا ، تارك يا ميرف ولدى » (٥) . وقال فى خبر مختار بن محمد جودة الله : « وقتل مظلوما وشهيدا . قتله جنقل سلطان فور . وهو (٦) وطلبته وسبى اموالهم . . . فببركة الفقيه جنقل فى تلك الايام قتل وترك نحو خمسين ولدا هذا يقتل هذا الى زماننا هذا .. . البموت على الفراش فيهم قليل مثل عيساوى ، انتهى » (٧) . وقال فى خبر محمد الهميم والقاضى دشين ، قاضى العدالة ، الذى فسخ زواجه غير الشرعى : « وقال القاضى: جميع هذه الانكحة فسختها . ودعا عليه ، وقال الله يفسخ جلدك . فان القاضى مرض مرضا شديدا وانفسخ جلده مثل قميص الدبيبة » (٨) . وقد انتصر له الشيخ احمد السلاوى فى شرحه لأرجوزة ابراهيم عبد الدافع انتصاراً للشرع بأن بياض الجلد بشرى (٩) . وكأن السلاوى صدق قصة فسخ الجلد مع جلال علمه وكنسه الخرافة من الطبقات، وكان الأحرى به ان ينفى الفسخ بدعاء الهميم .

وحمد الترابى اول من نادى بالمهدية فى السودان وفى ظروف غير ظروف المهدى التالى – محمد المهدى بن عبد الله – اذ دخل المهدية من باب الوجد الصوفى وظرفية وجوده فى مكان قيل ان المهدى يظهر فيه لا من باب الاحتجاج على تدهور الاسلام ومفاسد دينية واجتماعية . وبالطبع

---

(٤) هكذا رواية ود ضيف الله . اما كاتب الشونة فيقول : وظهر من اثر المطر خور ام خنيجر المعروف الآن لأنهم جروا فيه جنازة ميرف وارادوا به مثلته فارسل الله تلك الامطار فحالت بينهم وبينه .

(٥) لم ينكر كاتب الشونة موت بادي هذا ولم نقف علي خبر المكادى . وعدلان ولد آيا هو السلطان الذي هزم الشيخ عجيب ولد الكافوته . ولم نصل الى مناسبة قول النحلان :« انا اخو بادى ولد آيا» .

(٦) هكذا، والقراءة علي : هو .

(٧) الطبقات . ص ٣٤٧.

(٨) نفسه ، ص ٣٢١.

(٩) طبقات ود ضيف الله : النيل والتكملة ، رجز ابراهيم عبدالدافع وشرح احمد السلاوى ، ص ١٠٤.

فانه استقى امره من تراث الاسلام على ما كان يروى بين متصوفة السودان وما يروى فى بعض ما كان بين ايديهم من كتب .

وفى حركة الترابى دليل على قدم فكرة المهدية فى السودان .

السمانية والمهدية :

يروى فى أدبيات السمانية ان شيخهم الكبير مصطفى البكرى قال بأنه وزير المهدى . وقد أورد ذلك الشيخ صديق عمر خان تلميذ محمد السمان فى «الكوكب الزاهر فى مناقب السيد مصطفى البكرى» ونقله عنه الشيخ عبد المحمود نور الدايم فى «ازاهير الرياض فى مناقب العارف بالله تعالى الاستاذ الشيخ احمد الطيب» وفى «الكئوس المترعة فى مناقب السادة الاربعة» . كذلك نقله عنه كتاب «جامع الاوراد القريبية السمانية المسمى منحة الجواد وتحفة العباد» ، ونقله الدكتور مكى شبيكة فى «السودان والثورة المهدية» . ونص العبارة : « وكان رضى الله عنه يقول : انا وزير المهدى ، فمن شاء منكم فليؤم الىّ ليهتدى . فلما انتقل سأل رجل استاذنا العارف بالله سيدى الشيخ محمد السمان رضّى الله عنه وارضاه وقال له : ان شيخكم يقول انا وزير المهدى ، وهذا هو قد انتقل قبل اوانه وظهوره ، فقال له : صدق فيما قال وبه اعترف ! ألا ترى ان السلطان يجهز العساكر الى جهة تختلف أعمالهم فيها ويؤمر عليهم امراء عديدة ويقدمهم امامه فيمهدوا له الأرض حتى يلحق بهم ، فلم يعصوا كلامه ، فمنهم من مهد الارض ويبقى حتى يصل اليه الملك ومنهم من يقاتل حتى يقتل قبل دخوله ويهلك ، فالسيد رضى الله عنه ممن تقدم ومهد الارض ثم انتقل قبل وصول المهدى اليه فانقطعت حجة الرجل» (١٠) . وكما ترى فان مصدر الرواية احد مريدى الشيخ البكرى ، لا الشيخ نفسه ، ولم تدعم من جهة اخرى . ولسنا ندرى كيف يكون مصدر مثل هذه العبارة الخطيرة وحيداً ! وكيف لا يتناقل المريدون عن شيخهم انه بلغ هذه المرتبة العليا ! ولو نظرت فى العبارة نفسها ملياً لأدركت جهد التصنع، اذ غرض السؤال هو بيان نسبة المهدية الممهدة لمصطفى البكرى وثم تفسير ما اشكل على الوجه المطلوب . ثم ان المصدر لا يذكر «ماهية وزيرالمهدى» ولا ما قام به مصطفى البكرى بهذه الصفة ، اللهم الا عبارة «فليؤم الىّ ليهتدى» .

---

(١٠) ازاهير الرياض ، ص ٨١ ، جامع الاوراد ، بغير مؤلف (دار مكتبة الحياة ، بيروت، ١٣٨٥م /١٩٦٦) ط ١، مكى شبيكة : السودان والثورة المهدية ، ج ١ (ط ١٩٧٨) ، ص ١٣ .

ووزير المهدى مفهومه رتبة كما يجئ . ومع اننا نشك فى الخبر ومصدره فاننا نحتج به لأن المهم فيما نحن فيه هو انه انتشر بين الناس وصار مهدى الخلوتية معتقدا عاما بين السمانية فى السودان .

وقال مصطفى البكرى نفسه فى قصيدة المنبهجة (١١) :

وابى الحسنين مع الأولاد كذا الأزواج وكل شج
وعلى المهدى وعترته المشبه فى زمن الوأج

ومما ورد فى «الكئوس المترعة» عن كرامات الشيخ السمان : « انه اخرج اسمه من اللوح المحفوظ سيدى احمد الشرنوبى فى طبقاته عام تسعمائة قبل الالف (١٢) وترجمه فيها وذكر شيئا من كراماته . وصورة الترجمة انه قال : يظهر بالمدينة المنورة سيدى محمد السمان وهو من فحول الرجال وانه خامس الاربعة ووزير المهدى من غير جدال وينشر ذكره فى المشرق والمغرب» (١٣). والشرنوبى صوفى مصرى كبير جمع تلميذه القليوبى اقواله فى كتاب ، ولم نقف على انه الف كتاباً فى الطبقات .

وعبارة المهدى فى البيت الثانى مما روينا من المنبهجة يذهب الى المهدى المنتظر من حيث هو دون ربط بزعامة الخلوتية ولكنها تدل على اعتقاد الشيخ البكرى بالمهدى المنتظر وهمه به. ومعنى وزير المهدى فى العبارتين هو الممهد للمهدى فيما قال السمان ، ولكن المقصود منه حقيقة هو الرتبة الدينية ، اى الرتبة الأعلى من الولاية بحيث لا يعلوه احد فى الرتبة الا المهدى . وهذا شبيه برتبة الختم عند محمد عثمان الميرغنى الختم التى تجعله فى أعلى المقامات ولا يعلوه الا المهدى . وقطب الأقطاب عند الشيخ التجانى يجرى على نفس المجرى ويجعله أعلى من كل ولى . وقد وصف السمان فى العبارة الأخيرة بأنه خامس الاربعة ، والمقصود بالأربعة الاقطاب الأربعة ، ومعنى العبارة ان له رتبة القطبانية . وفى قول ان السمان قال عن نفسه : انا خاتمة الولاية المحمدية ومذهبى مذهب محى الدين وطريقتى قادرية » (١٤) اى أعلى مراتب الولاية ، وهو يؤيد ما ذهبنا

---

(١١) ازاهير الرياض ، ص ١٦٤ .
(١٢) اي عام ٩٠٠هـ
(١٣) السودان والثورة المهدية ، المصدر السابق ، ص ١٤
(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٣– نقلا عن النفحات الالهية في كيفية سلوك الطريقة المحمدية (مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ، ١٣٢٦هـ) ، ص ٢٢٠ .

اليه من ان وزير المهدى تعبير عن مقام دينى .

ولم يتفق لنا ان وقفنا على ذكر المهدى او وزيره فى أدبيات السمانية التى وقفنا عليها فى غير هذه المواضع ، ولكن يبدو مما تواتر ان الاعتقاد بين اتباع الطريقة السمانية كان شائعاً بأن المهدى يكون منهم . وقال الحسن العبادى فى ذلك مدعماً مهدية المهدى بكونه من اتباع الطريقة الخلوتية، والتى هى اصل الطريقة السمانية : « دخل - اى المهدى السودانى - الطريقة الخلوتية التى اجمع على ان منها المهدى » (١٥) . ولكنه ترك من اجمعوا على ذلك مبهماً ، هل هم الخلوتية ام كل الناس ، وللعبادى غرض فى ذلك ، وهو تقوية اثبات مدعاه فى المهدى .

ويلاحظ ان الروايتين السابقتين على وزير المهدى وليس المهدى نفسه .

كذلك ذهب عبد القادر ام مريوم فيما كتبه الى غردون الى انه كان وزير المهدى سراً لسنوات، وهو امر طعن فيه علماء الخرطوم واحتجوا فى ذلك ببعض اقواله الثابتة ضد مهدية المهدى ، ولكن المهم عندنا هو مصدر فكرة وزير المهدى الممهد للمهدى ، هل اخذها عبد القادر من السمانية ام انها كانت منه .

ولكن لماذا قال الخلوتية والسمانية بوزير المهدى ولم يقولوا بالمهدى نفسه ! مرد ذلك فيما نعتقد الى امور ، اولها : ان اقوال ابن عربى، والذى كان المؤثر الأكبر على عقول الصوفية والمتكلمين منهم فى المهدى بالذات ، فى فتوحاته ، جاءت فى وزراء المهدى وصفاتهم ورتبهم ، وثانيها: ان للمهدى أوصافاً وعلامات يصعب اتفاقها فى هؤلاء ، وثالثها : ان القول بالمهدى يعنى الخروج على النظام القائم والقيام بما هو منوط بالمهدى ، ورابعها : ان مرادهم هو الرتبة الدينية التى لا يزاحمهم فيها مزاحم ، ولذلك يتخذون المهدى سقفا ويجعلون انفسهم دون هذا السقف مباشرة .

ولم يعرف عن الشيخ احمد الطيب البشير مؤسس السمانية فى السودان انه ادعى المهدية او انه قال انه وزير المهدى مثل ما قال شيخه بل يستبعد ان يقول بذلك حتى لا يزاحم شيخه ، ولكنه ادعى المقام الأعلى فى الولاية . ونسوق فى ذلك بعض شواهد انتقيناها من شواهد كثيرة :

---

(١٥) العالم المجاهد ، ص ٩٠ .

- قال ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال له : انت وابراهيم ولدى كهاتين ، واشار باصبعيه صلى الله عليه وسلم السبابة والوسطى مضمومتين (١٦) .
- قال لتلميذ له : اليوم شيخك شيخ لجميع الشيوخ (١٧) .
- رفض ان يدخل ديوان الأولياء على يدى الشيخ ادريس ولد الارباب وموسى ولد يعقوب مثل الاولياء الآخرين فاحتجب ثم اذا هو عند رسول الله ، وقال لهما الرسول : تأدبا فان الطيب من سلاطينكم (١٨) .

وهناك اقوال منسوبة الى الشيخ القرشى ود الزين زعيم السمانية وشيخ المهدى بعد اعتزاله الشيخ محمد شريف ، ونحن نتعرض لها ادناه .

وللشيخ محمد شريف نور الدائم اقوال فى المهدى ضمنها فى قصيدته ، ويورد له المهدى فى خطابه اليه انه كان يحدث الناس عن المهدى وانفاسه التى منها امداده .

ابن ادريس والمهدية :

تكلم احمد بن ادريس - مثل كثيرين غيره من رجال الدين - فى دروسه ومجالسه عن المهدى المنتظر كأمر دينى ينبغى الايمان به والانتظار لمجيئه ، ولكنه نفى عن نفسه ان يكون المهدى . وقد وردت ادلة لذلك فيما دون من اخباره وما نسب اليه من اقوال . فقد روى رحالة مغربى انه حضر مجلسا لابن ادريس تكلم فيه عن المهدى المنتظر وعلاماته وما يحصل عند مجيئه والسعادة الخالصة التى يحققها للبشرية . وعندما اختلف السنوسى والميرغنى حول زعم الأخير بأن ابن ادريس هو المهدى لجأ السنوسى الى ابن ادريس ليستوثق منه فنفى ابن ادريس المهدية عن نفسه وذكر بعض علامات المهدى التى لا تنطبق عليه . وقد بلغتنا مروية عن ابن ادريس عن حال المهدى المنتظر وكيفية ظهوره ، وذلك من ثلاث جهات : اولا المهدى فى منشور الدعوة ، وثانيا نصيحة العوام ، وثالثا محمد التهامى الحسن . وقد اتفقت الجهات فى صلب المروية ولكنها اختلفت فى حرفية العبارة هنا وهناك .

---

(١٦) ازاهير الرياض ، ص ٢٠٤.

(١٧) نفسه ، ص٢٠٤.

(١٨) نفسه ، ص ١٤٣.

اما المهدى فقد اورد المروية لدفع العلامات والملابسات التى ذكرها المتكلمون عن المهدى ليقوى بها حجته ببطلانها ، وقد ساق معها مروية عن ابن عربي لنفس الهدف . ولا شك انه وفق توفيقا عظيما باختياره للمرويتين ، فقد اصاب بهما ما اراد وأضعف ما بات عليه المتكلمون وسلّمت به الاجيال ودعم بهما موقفه العقلانى الذى رفض به هذه العلامات والذى وفق فيه ايضا . وقد ساق المروية فى منشور الدعوة بوجه ثم ساقها باختلافات طفيفة فى مواضع اخرى . ونحن ندرك من ذلك ان المروية ثابتة عنده الا انه لم يعن بالتثبت فى نقل النص بقدر ما عنى بالمعنى المراد .

ومروية ابن ادريس غامضة - على اى وجه جاءت - لأنها تتكلم عن نسخ من المهدية كذبت ولكنها لا تبين كنه النسخ التى اشار اليها ولا كيف كذبت ، ولعله يريد ان يقول انه كشف له عن هذه الحالات، اى التى ورد لأهل الكشف انهم مهديون ولكنها ذهبت دون ان تولد مهدية ، وانتهى منها الى ان المهدية تأتى بغتة وبغير ما يُروج من علامات . وهى غريبة لأنها تناقض خبر الرحالة الذى يورد بعض علامات ساقها ابن ادريس . اننا نورد ادناه المرويات الثلاثة والخبر الذى ساقه الرحالة ثم نورد دراسة نصّية .

اما عن الاتباع فقد بلغ ابن ادريس عندهم مبلغاً عظيماً ، وذهبوا الى انه المهدى وباتوا ينتظرون اعلانه ، والدليل على ذلك ما جاء فى خبر الرحالة والذى يقول باعتقاد اتباعه فى مهديته وزعم الميرغنى بأنه حقاً المهدى .

واحمد بن ادريس صوفى كبير ومرب قدير اصله من المغرب ، من اسرة الادارسة المشهورة المنسوبة الى السلالة النبوية والتى حكمت المغرب لفترة . ولد فى ميسور فى ١١٦٣هـ / ١٧٥٠م على الأرجح وتوفى يقينا فى ١٢٥٣هـ /١٨٣٧م بصبيا باليمن . رحل الى المشرق بعد ان اكمل التلقى علماً وتصوفاً وجاء الى القاهرة فى طريقه الى الحج ، ويقال انه درّس فى الازهر . ثم ذهب الى الزينية بصعيد مصر واخذ عن الحسن القنائى ، وقد صارت هذه البلدة مركزاً مهماً له وللادارسة من بعده . ثم جاء الى مكة واستقر بها نحو ثلاثين سنة يدّرس ويتعهد مريديه ، وعن طريق هؤلاء اثر فى انحاء العالم الاسلامى شرقا وغربا وانتشرت تعاليمه ، وعلى اساسها قامت طوائف دينية قوية كانت ذات اثر دينى واجتماعى كبير ، مثل الختمية والسنوسية . ولأحفاد ابن

ادريس طريقة تنسب اليه وهى الاحمدية الادريسية . وكان محمد المجذوب بن قمر الدين من المتصلين به . وقد روى ابن ادريس ما يدل على اجلاله للمجذوب (١٩) .

كان ابن ادريس يعتمد فى منحاه على القرآن والحديث فحسب ولا يقر بالرأى والقياس ويترك ما لم يرد فيه نص الى علم الله . وقد رفض تقليد المذاهب والالتزام بها مع احترامه لها . وهذا الرفض لتقليد المذاهب والجواز للأخذ من القرآن مباشرة اثار العلماء عليه وعلى تلاميذه . وقد صدرت عن ثلاثة من علماء مصر المشهورين ، وهم مصطفى البولاقى ومحمد عليش - وكان هذا عنيفاً فى عدائه - وحسن العطار فتاوى تناولت رفض المذاهب والاجتهاد مع قضايا اخرى ، وكان ما انتهى اليه هؤلاء ان ابن ادريس وجماعته فتحوا باب الاجتهاد من غير وجهه واعطوا الحق للجهلاء بمثلما كان لائمة المذاهب وانهم لم يأخذوا فى الاعتبار ما يؤدى اليه هذا من فساد . وكان التمسك بالكتاب والسنة ورفض التقليد وتنقية الاسلام من الشوائب من خرافة ومزارات القبور وخوارق للأولياء مما قرب بينه وبين اتباع ابن عبد الوهاب ، وان كان هؤلاء اخذوا عليه مطالعة ابن عربى .

ولابن ادريس وتلاميذه سهم فى نشر فكرة المهدية فى السودان ودفعه الى الامام ، لأن بعض تلاميذه ذهبوا الى انه المهدى المنتظر وترقبوا اعلانه ، ولأن بعضهم تكلموا عن المهدية وبالأخص المراغنة والسنوسية ، ولأن الامام المهدى استند الى عبارتين نسبهما اليه فى حال ظهور المهدى ، وهما : «كذبت فى المهدى اربع عشر نسخة من نسخ اهل الله» و«يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونه» . وهذا يجعل ابن ادريس مستنداً فى المهدية فوق انه يجعل المرء يحس بأن له دلواً خاصا فى الأمر ، لأن العبارتين ليستا بعبارتين عابرتين وانما تصبان فى طبيعة المهدية وتوحيان بأن لابن ادريس كلاماً اخذت منه هاتان العبارتان . ويكفى ان يجعله المهدى مستندا بقياس ابن عربى فى منشور الدعوة الذى يبين فيه اسس مهديته .

مهدية السنوسى :

وعوداً الى اختلاف الميرغنى والسنوسى حول مهدية ابن ادريس نروى نص المروية كما رواها

---

(١٩) د. يحى محمد ابراهيم : مدرسة احمد بن ادريس المغربى واثرها فى السودان ، ص ٣٦٢. وفي خبر ابن ادريس وتلاميذه راجع هذا المصدر .

احمد الشريف ونقلها عنه الدجاني : «انه (اى السنوسى) كان جالساً ذات يوم مع عثمان المرغنى فحلف له بالطلاق ان سيد احمد بن ادريس هو الامام (هكذا دون ايراد لفظ المهدى) فنهاه الاستاذ (اى السنوسى) عن الخوض فى ذلك فتغير المرغنى من هذا النهى . فقال رضى الله عنه الآن يمشى لسيدى احمد يكدر خاطره علىّ فارسل (الصواب فاسرع) بالمشى الى سيد احمد قبل ان يسبقه المرغنى فحكى له ما جرى فقال سيد احمد الامام اسمه محمد وانا اسمى احمد والامام المهدى صغير السن وانا اليوم جاوزت السبعين، لكن هو من جماعتنا (٢٠) - (العبارات بين القوسين من عندنا) .

ونرجو اولاً ان نلفت نظر القارئ الى ان العلاقة بين الميرغنى والسنوسى كانت متوترة وان المنافسة بينهما كانت حادة ، لأن الميرغنى كان المقرب الى ابن ادريس من بين تلاميذه حتى جاء السنوسى وتقدم عليه . وكان ذلك اثناء وجوده فى السودان . ويبدو ان ابن ادريس كره فى الميرغنى اتجاهه منذ ايامه فى السودان نحو جمعه الخاص والتركيز على نفسه وانه جعل على اتباعه من يجبى له الهدايا كل سنة وغيرته من خصوصية علاقة السنوسى به . وظاهر من بعض ما ينسب اليه من اقوال انه اتجه الى تفضيل السنوسى والمجذوب على الميرغنى ووجه بعض النقد لسلوك الميرغنى نحوهما وحول نفسه . وقد احتدم الصراع بين الميرغنى والمجذوب فى سبيل النفوذ فى سواكن وبينه وبين السنوسى حول الخلافة بعد وفاة ابن ادريس . ووردت فى ادبيات الميرغنى انه صاحب الخلافة والوارث بغير منازع . ثم اسس الميرغنى طريقته تحت راية الختم وركز على الحرمين واليمن والسودان بينما رحل السنوسى بطريقته الى برقه ومنها امتد نفوذه الى انحاء ليبيا وافريقيا الوسطى . وقد ظلت المنافسة بين القيادتين الختمية والسنوسية واتباعهم محتدمة الى الأجيال التالية .

ان عبارة الختم ، او ختم اهل العرفان كما جاء فى أدبيات الختمية ، او ختم الولاية كما جاء فى أدبيات الصوفية ، رتبة دينية تعنى أعلى مراقى الولاية ، وقد حدد الميرغنى رتبته بأنها بعد رتبة المهدى . واصل ذلك من ابن عربى الذى خصص فيه كتاب «عنقاء مغرب»، الا ان الميرغنى

---

(٢٠) احمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية ، نشأتها ونموها فى القرن التاسع عشر ، دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٧) ص ١٢٠ .

فصل بين الختم والمهدى وجعل الأول بعد الثانى فى الترتيب والرتبة بينما جمعهما ابن عربى فى شخص واحد لعله هو نفسه . وختم الميرغنى من قبيل ختمِ الولاية المحمدية عند الشيخ احمد التجانى، الا ان الأخير جمع فى نفسه قطب الأقطاب ايضا .

وفى اطار ما ذكرنا عن العلاقة بين السنوسى والميرغنى واتجاه كل منهما نتناول هذه المروية .

ان اول ما نلاحظ ان المروية جاءت من مصدر سنوسى، وان فيها ما يقلل من شأن الميرغنى ويستجهله . ولا يرد فى أدبيات الختمية ما يدل على ان الميرغنى توسم فى استاذه المهدية ، ويستبعد المرء ان يسمى الميرغنى ابن ادريس او غيره مهدياً وهو يجعل نفسه فى مقام الختم الذى يلى مقام المهدى خصوصا ولم تكن علاقته بابن ادريس كما كانت من قبل .

وفضلا عن ذلك فان مهدية السنوسية تبدأ من عبارة « ولكن هو من جماعتنا» فى نهاية المروية . وعلى ذلك فاننا نتشكك فى الرواية ونسبة مهدية ابن ادريس الى الميرغنى . وعلى افتراض صحة الرواية فقد يكون الميرغنى صادقاً مع نفسه فى القول بمهدية ابن ادريس نظراً لمكانته عنده . وهناك احتمال آخر وهو ان الميرغنى، وقد جعل نفسه فى مرتبة الختم ، كان يتوجس من ان يقدم غريمه السنوسى الى المهدية ويأتى فوقه وتزداد اسهمه فشاء ان يقطع عليه الطريق بالذهاب بالمهدية الى استاذهما . اما السنوسى فقد شدد - فيما تذهب الرواية - على الميرغنى على عدم الخوض فى الأمر . ولسنا ندرى هل استكثر على الميرغنى ان يخوض فى الأمر، أم خشى ان يخوض الناس فى قضية كبيرة كهذه ويفتحوا بابا يصعب ولوجه اولاً وقفله ثانياً ، ام كان على يقين بأن ابن ادريس ليس المهدى ، ام كان يعرف بحكم قربه الى ابن ادريس انه لا يميل هذا الميل ، ام - واخيراً - لأنه كان يضمر المهدية لنفسه او لولده كما تم من بعد .

وظاهر ان الميرغنى لم يدع المهدية لنفسه ، ولا جعلها فى ذريته ، وأراح بذلك نفسه وأراح الناس . ولكنه قال ان من ولده من يكون فى رأس الدواوين الالهية (٢١) . وربما اشار بذلك الى المهدية او شئ من قبيلها . وقد كرس أدبياته حول مقامه الختمى وكراماته العراض على نحو ما يجئ فى «مبشرات الختم» الذى ننقله ادناه . ولكنه واحفاده ظلوا يتعرضون للمهدى كأمر قادم .

(٢١) انظر ذلك فى مبشرات الختم ادناه .

وكما سبق فانه جعل المهدى تالياً فى الرتبة للرسول وجعل الختم تالياً للمهدى . ومن اخبارهم فى المهدى القول بظهور نور بسفح جبل التاكة فى الموقع الذى اسس فيه الختم مركز السنية والذى تحول الى حى الختمية وتفسيره معنى النور بظهور المهدى او ظهور ولى كبير فيه . ومنها ما رواه المهدى فى رسالته الى محمد عثمان الثانى بأقوال ابيه الحسن عن المهدية، قال : « وقد تعلم انى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانك حرى بعلم مهديتى الذى لا يخفا على ذى بصيرة نيرة سيما وانت ادرى باشارة والدك السيد محمد الحسن الميرغنى بمهديتى لانك خليفته وعلى اثره» (٢٢) . وعلى ما ترى فان الختمية ساهموا فى الترويج للمهدية بالسودان كأمر وارد دينيا ومنتظر ولكن لم يدع احد منهم المهدية ولا قالوا بأن المهدى يكون منهم .

وفى الخلاف الذى وقع بين كبار اتباع ابن ادريس بعد موته حول خلافته انضم أغلبهم الى السنوسى لأنه كان أقربهم الى الاستاذ وأعلاهم شأنا ، وحتى ابراهيم الرشيد الذى وضع نفسه خليفة لابن ادريس بدعم بعض ابنائه مال الى السنوسى. وكان الرشيد يسعى للحفاظ على تعاليم ابن ادريس ومقاومة اى انشطار بين جماعته ووجد فى السنوسى وبعض آخرين ، منهم ابراهيم شاع الدين ، اتفاقا معه . الا انه اختلف مع السنوسى وتخاصما ، ومال شاع الدين الى طرف السنوسى ووقع التعارك بينه وبين الرشيد . ونتيجة للدعم الذى حظى به السنوسى من تلاميذ ابن ادريس وتوفيقه فى انشاء طريقته ارتفعت اسهمه وشاع على الاثر بين اتباعه القول بمهديته كما كان يقع لكل زعيم دينى يسمو فى عيون جماعته . ويثبت الدكتور فيكار كنوت فى اطروحته عن السنوسية هذا الاتجاه فيقول ان اتباع السنوسى يقولون بأنه المهدى وان بعضهم يظن انه نبى وانهم يعتقدون بأن كل تابع له أعلى مقاما من عبد القادر الجيلانى وامثاله وانهم يسمون طريقتهم الطريقة المحمدية (٢٣) . وذهب ابراهيم شاع الدين الى ان الغوثية فى الأصل جاءت للسنوسى وانه اعطاها لاستاذه ابن ادريس ، فلما مات الأخير بعد ثلاث سنوات من ذلك عادت الغوثية الى موضعها الأصلى وهو السنوسى والى ان السنوسى هو المهدى المنتظر . وقد انكر عليه الرشيد كل

---

(٢٢) الآثار الكاملة ، مجلد ٢ رقم ١٩٩ ص ٥٩.

(23) Vikфr , Kunut S . Sufi and Scholar on the Desert Edge , Mahammad b. Ali al - Sanusi and his Brrotherhood , p. 250 .

ذلك قائلا له فى رسالة : هذا المهدى الذى تذكره اذا كان هو المبشر به الرسول كما ذكرتم فانا آمنا به وان شاء الله من اهل نصرته وان كان غير ذلك فوزر القول على من كذب . وعلى ذلك فان الرشيد ينكر الدعوى ويسخر منها بطريقة خفية . ثم يقول موبخاً : فمالك والمهدى : لو عقلت لطلبت من الله اذا حضرت زمانه ان يرزقك الايمان به واتباعه ظاهراً وباطناً . وفى ذلك رفض لمهدية السنوسى من الاساس لأن زمان المهدى فى نظر الرشيد لم يأت بعد ! ومن بحر ذلك ان المشايعين للسنوسى رموا الرشيد فى اعتراضه على مهدية السنوسى بأنه السفيانى . ويرد الرشيد على ذلك بأن السفيانى يكون فى الشام بينما هو فى السودان . وورود لفظ السفيانى هنا يعنى فى الجانب المهم من موضوعنا ادراكهم بخبر السفيانى الذى يقتله المهدى فى الروايات الواردة عن المهدى المنتظر ، وهو الخصم التاريخى للمهدى .

اما السنوسى نفسه فقد شغلت المهدية فكره ، ويروى اتباعه بعض ما كان يقوله عن المهدى . ومن ذلك رواية محمد ابن الشفيع السنارى : سمعت من الاستاذ ان من علامات المهدى اخذ (اى النصارى) تونس وطرابلس واسكندرية وسواحل الغرب ولا يمكثوا فى تلك الاماكن الا قدر شهر ويأتى الله بمن يفتحهم جميعا فى ظرف شهرين وهم جند المهدى (٢٤) . وتحديد هذه المواقع يشير الى ان المهدى يكون من هذه الجهة اى من السنوسية . وقد اشتهى السنوسى ان تكون المهدية فى ذريته . وقيل انه استبشر بذلك من قول ابن ادريس له فى المروية : «ولكن هو من جماعتنا». ولكنك تعلم شكنا فى الرواية كلها ، ومع ذلك فان عمل السنوسى للتمهيد لابنه الأكبر ثابت تاريخياً . دبر له ان يولد فى محل يقال له ماسا بقرب زاوية البيضا ليتوافق مع القول بأن المهدى يولد فى جبل ماسا ، ولكن ماسا علامة المهدى فى المغرب الأقصى بينما ماسا السنوسى فى برقة – اتفق الاسم واختلف الموضع ! ولسنا ندرى ان كان ماسا السنوسى كان اسم الموقع حقا ام جاءت التسمية من السنوسى لتوفيق الظرف المكانى . وقد سماه محمداً ليتوافق مع اسم الرسول والذى هو من علامات المهدى ، وزاد على الاسم عبارة المهدى كما فعل الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور من قبل ، ربما تأكيداً ، فصار الاسم مركباً : محمد المهدى . ولكن الاشكال ما يزال قائماً فى اسم

---

(٢٤) الدجانى ، ص ١٠٠ .

الاب والذى ينبغى ان يكون عبد الله تواففا مع اسم والد الرسول ، اذ ان اسم السنوسى الكبير هو محمد على . ويسجل له رواته عبارات دعم بها مهدية ابنه (٢٥) .

وقد شاع بين الناس القول بمهدية محمد المهدى السنوسى وآمن اتباعه وانتظروا اعلانه . وقد بلغ الخبر السودان واخذ به بعض الناس . وهناك شاهدان مهمان على ذلك ، اولهما ما ردده ابراهيم شاع الدين فيما تقدم ، وثانيهما قول المهدى بأنه كان ينتظر مهدية المهدى السنوسى وانه كاتبه بشأنها مبدياً انه واتباعه متأهبون للانضمام اليه وانه ظل يترقبها حتى جاءته المهدية . وقد حاول المهدى ان يوصل مهديته بالسنوسى ، او السنوسى بمهديته ، بعرضه منصب الخليفة الثالث عليه وان يوظف قوته بالهجوم على مصر من جهة الغرب بينما هو يهاجمها من الجنوب . ولكن السنوسى لم يستجب برد ، بل استكثر على مهدى السودان قوله بالمهدية . وبالرغم من ان المهدى السنوسى نفى عن نفسه المهدية بشكل قاطع وفسر اقوال ابيه فى مهديته بأنها كانت على وجه الدعم المعنوى فان الاتباع تمسكوا بها وظلوا ينتظرون اعلانه . وقد توهم الجنرال ونجت - مدير مكتب المخابرات المصرية - وظل يضخم من امر المهدى السنوسى ومهديته وخطورته على الوضع ولكن شيئا مما زعم لم يقع .

ابراهيم الرشيد والمهدية :

ولابراهيم الرشيد نظر فى امر المهدى فيما يمكن ان نأخذ من رسالته الى شاع الدين . فهو يؤمن بفكرة المهدى اساسًا وينتظر ظهوره ويتوق الى ان يكون من اهل نصرته . ثم يبين ان السفيانى الذى يقتله المهدى يكون من الشام وليس من السودان ، وقد يوحى ذلك بأنه لا يرى ان يكون قيام المهدى فى السودان او ليبيا اصلاً ، بل لا بد ان يكون من مكة على الوجه الوارد فى حديث ام سلمة المشهور . ثم يقول ان المهدى آية من آيات الله وعلامة من علامات الساعة من كونه يأتى فى آخر الزمان ويكون ظهوره بغتة لقوله تعالى « هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون » (٢٦) . واذا ظهر المهدى فالسعيد هو الذى يتبعه لأنه يقفو اثر الرسول ولا يخطئ ،

---

(٢٥) راجع النجانى ، ص ١١٩-١٢٢ ، ١٨١-١٨٤ .

(٢٦) الزخرف ٦٦ .

واثره صلى الله عليه وسلم أرق من الشعرة وأحد من السيف . ثم يتعرض الى اتباعه فيقول : وما للنفس فيه ادنى حظ بل لا يكون اتباعه الا من بعد محو آثار النفس ونفى حظوظها . وقد ذهب الى ضرورة الخلوص والسمو فى قلب من يتبعه . ثم يشير الى مغبة الادعاء الكاذب بما يرويه عن بعض من ادعى المهدية دون ان تكون له فيقول : « مع انك تعلم انها اخذت الجم الغفير واهلكت كل من يدعى شيئاً من انواع الخير ودست دسائسها فى جميع الاعمال فافسدتها ورأت انها لا يكون لها شئ من الدنس حتى تؤنس بشئ وصرفت كثيرا من الخلق عن اتباع سيد المرسلين ، صار جند ابليس هو الغالب » .

خاتمة :

لعله قد وضح بعد هذا العرض مقدار ما عنى السنوسيون بأمر المهدى وكيف ساهموا بشكل مباشر وفاعل فى ترويج فكرة المهدية فى السودان ، ولعله وضح ايضا تاثير مدرسة ابن ادريس وبصماتها الواضحة فى مجرى المهدية فى السودان بتبنيها قضية الاصلاح الدينى والتركيز على الاخذ المباشر من القرآن والسنة وعلى نقاء العقيدة وابعاد الخرافة عنها وترويجها لمجئ المهدى .

ومظهر اولياء السودان فى مشاهد حضرة تنصيب المهدى دليل على مدى انتشار فكرة المهدية ، اذ لولا ذلك لما ساق المهدى مشاهد الحضرة بهذا الوجه دليلاً على مهديته وعرضها على اتباع هولاء .

ومن الأدلة على انتشار فكرة المهدى المنتظر فى السودان وتوقع ظهوره ما ذكره محمد عثمان الميرغنى الختم عن رجل فى دنقلا يدعى محمد احمد يظن انه المهدى ويترقب الناس اعلانه (٢٧) ، وقد نفى الميرغنى المهدية عنه واعتبر امره وهماً ، قال : «انه فى حالة من حالات الوهم الصوفى الذى يجعل صاحبها يعتقد انه بلغ مرتبة الواصل» . ولسنا ندرى ان كان انكار الميرغنى قائماً على مجرد تبخيس الرجل او على ادلة قامت عنده على ضوء علامات المهدى المعروفة ام على تطلعه لمرتبة ختم الولاية التى تسبق ظهور المهدى وان كان هذا مستبعداً فى هذه الفترة المبكرة من حياته. والمهم عندنا فيما نحن فيه هو وجود اعتقاد فى رجل بدنقلا بأنه المهدى مما يعنى انتشار فكرة

---

(٢٧) الحركة الفكرية ، ص ٢٣ .

المهدية فى هذه البقعة قبل ظهور المهدى باكثر من نصف قرن .

وقد ظهرت فى صعيد مصر ببلدة السليمية قبالة ارمنت مهدية احمد العبيد فى عهد محمد على باشا ، وكانت حركة قوية استلزمت تدابير عسكرية كبيرة انتهت بقتل المدعى واعداد كبيرة من اتباعه ، ثم تجددت الحركة بقيادة ابنه الطيب فوجه لها سعيد باشا ضربة نهائية وارسل زعماءها الى دنقلا حيث اعدموا (٢٨) .

وفى الخرطوم نفسها ظهر مدع للمهدية وهو ابراهيم السودانى واتخذ له وزيرا يدعى المخراف ولكن الحكومة تمكنت من القضاء على حركته فى مهدها (٢٩) .

ترى بعد كل هذا أيحتاج الأمر الى نقل فكرة المهدية من فوديو واصحابه ، ترى أكان انتشار المهدية فى الغرب الافريقى أقوى من هذا الذى وصفناه فى السودان وأقدم .

مؤلفات سودانية فى المهدية :

اثنان من علماء المتصوفة فى السودان كتبا عن المهدى المنتظر، وهما ابراهيم الأمين الكباشى واسماعيل بن عبد الله المشهور بالولى . وقد اشرنا الى ذلك فى كتاب «الحركة الفكرية فى المهدية» (٣٠) . ويقتضى المقام هنا ان نقف عندهما لنعرف بهما وبمؤلفاتهما ونوضح وضعهما فى تاريخ فكرة المهدية فى السودان .

ابراهيم الكباشى :

ولد ابراهيم الامين بن على الكباشى بقرية قرب المناقل فى ١٢٠١هـ /٦-١٧٨٧م وحفظ القرآن وجوده واخذ الفقه والتوحيد وما اليهما من العلوم على يد ابراهيم احمد عيسى بكترانج . وقد نشط فى الدعوة واسس فرعاً مستقلاً به للقادرية واتخذ مركزه بقرية الكباشى الحالية بعد ان عمرها . ويلاحظ هنا انه صعد بنشاطه القادرى فى وقت كانت الكفة فيه تميل للطرق الوافدة مثل السمانية والختمية على حساب القادرية السودانية . وقد توفى بالقبة فى ١٢٨٦هـ /٦٩١ - ١٨٧٠م تاركاً ذرية متسعة وطريقة لها انتشارها .

---

(٢٨) انظر رسالة الغزى ادناه .

(٢٩) الحركة الفكرية ، رسائل العلماء .

(٣٠) نفسه ، ص ١٩ .

ولما قامت المهدية انضمت اليها اسرته واستشهد عدد منهم فى وقائعها ، وكان ممن له صلة بالاسرة وانضم الى المهدية الامير عبد الرحمن النجومى المشهور ، اذ ان ام ابراهيم بنت عم النجومى . وقد تزوج النجومى احدى بناته وانجب ذرية .

ترك ابراهيم الكباشى أدبيات دينية بالشعر والنثر ، ولكن جملة منها ضاعت ، وما بقى منها عنى به حفيده الدكتور المكاشفى طه الكباشى وجمعه ونشر منه كتاب «انشقاق القمر للرسول سيد البشر» . وقد اتى فى مقدمته بمعلومات عن حياة الكباشى ومواقفه وكراماته ومؤلفاته ، وعلى هذه المقدمة اعتمد الدكتور على صالح كرار فى فقرته الجيدة عن الكباشى فى كتابه عن الطرق الصوفية فى السودان (٣١) . وفى هذه المقدمة ذكر كتابه الذى يخصنا هنا بصفة خاصة وهو كتاب «المهدى المنتظر» وقال انه يوضح صفات المهدى المنتظر والزمن الذى سيظهر فيه . وذكره ايضا الدكتور كرار وقال ان الاسرة وعدته بعرض الكتاب عليه اثناء مقامه فى الكباشى لجمع مادة بحثه ولكنه لم يعرض عليه ، وفى تقديره ان ما كتبه الكباشى عن المهدى كان مما روج للمهدية ودفع باسرته الى صف المهدى . وقد اتصلنا بالدكتور الكباشى بشأنه فقال أنه لم يسمع بالكتاب ، وهذا مما يعجب له لأنه وصفه فى مقدمة كتابه «انشقاق القمر» كما تقدم . كما اننا اتصلنا بآخرين وفيهم الشيخ الحبر ، رحمه الله ، ولكن دون جدوى . وهذا مما يؤسف له لأن الكباشى احد اثنين فقط فى السودان كتبا عن المهدى المنتظر قبل الثورة المهدية وكان من حقه ان يكون له ذكر فى كتاب يؤرخ لفكرة المهدية فى السودان .

اسماعيل الولى :

ينتمى اسماعيل بن عبد الله المشهور بالولى الى قبيلة البديرية الدهمشية ، وهو السودانى الوحيد الذى اسس طريقة من انشائه ، مستقلة باسمها ورسومها وأدبياتها ، والوحيد من بين اولياء السودان الذى يلتصق باسمه لقب الولى . ولم يكن ما بلغه وراثة عن الآباء او مرشديه وانما كان بناءً بجده ودأبه .

ولد اسماعيل بالأبيض فى ١٧٩٣ وتلقى علومه بها وولج باب التصوف معتمداً على ما اتاحته

---

(31) karrar, A.S . The Sufi Brotherhoods in the Sudan, C . Hurst , Co. London (1998) p 30 - 33 .

الأبيض من الاساتذة ومصادر الدرس . وعندما جاء محمد عثمان الميرغنى الى الأبيض كان اسماعيل يبلغ نحو اربعة وعشرين عاما وهو ما يقارب عمر الميرغنى نفسه ، وعلى قدر متقدم من العلم يسر بناء علاقة قوية بين الرجلين . وقد سلك عليه الطريق واعتبر نفسه تلميذه واخذ عنه اجازة انشاء طريقته ، الا انه مؤخراً اتصل بالاستاذ احمد بن ادريس مباشرة دون وساطة الميرغنى وجعل طريقته طريقة مستقلة .

وكانت لاسماعيل خلوة مشهورة تدرس بها العلوم بشكل متقدم ، وكان مما يدّرس فيها كتاب الشمائل فيما يذكر احمد اسماعيل الازهرى فى رسالته فى معارضة المهدى . وكان اسماعيل معنياً بالتأليف وخلف ادبيات كثيرة ، وقيل ان مؤلفاته بلغت نحو اربعين كتابا . وقد حفظت هذه المؤلفات من بعده ، او على الأقل الكثير منها ، وعنيت بها اسرته . ولابنه الأكبر وخليفته محمد المكى ثبت بهذه المؤلفات وهو كتاب «النشأة السنية فى المناقب الاسماعيلية» ، وفيه ترد المؤلفات مرتبة سنة بعد سنة حسب تواريخ تصنيفها . وكان محمد المكى نفسه مؤلفاً . وقدر كبير من مؤلفات اسماعيل قد طبع ، وللخليفة الحالى الشيخ مصطفى البكرى عناية خاصة بطبع أدبيات جده هذه . وبعونه واريحية احمد الفكى عبد الله تم ايداع عدد كبير من الأدبيات الاسماعيلية بدار الوثائق القومية . وعندما علم بحاجتنا لمؤلفىّ الولى عن المهدى أمدنا بهما ، وهذا وعى متقدم فى خدمة العلم والعناية بالتراث ونشره فوق الأريحية الشخصية .

وكان اسماعيل عالماً جيد التحصيل ، ومتمكناً فى علم التصوف ، ومالكاً لناصية البيان شعراً ونثراً ، ويرتقى بذلك قلمه محتوى واسلوباً .

ويهمنا هنا من مؤلفاته كتابان تناول فيهما المهدى المنتظر ، هما كتاب «جامع معانى الكلم ووجيز النظم فى معرفة سيدى الامام المهدى» وكتاب «اللمع البادى فى كشف حقيقة الختم والامام المهدى الهادى» ، وقد وردا فى «النشأة السنية» ضمن مصنفات ١٢٣٩هـ . ويذكرهما يوسف احمد محمد عوض السيد فى كتابه «نصيحة الحق» .

جامع المعانى :

هذا مؤلف قصير يبلغ نحوا من ثلاث صفحات من الحجم الكبير وبخط غليظ . وقد وضعه

الشيخ فى ضحوة يوم ١٩ رجب ١٢٣٩، اى انه وضعه فى يوم واحد واثناء تأليف كتاب اللمع . والطرف الأكبر من نصه النثرى رموز لم ندركها . وهنا وهناك ترد عبارات عربية ، وبه شعر يبلغ ٢٧ بيتاً . وقد لجأ الشيخ الى الرمز لاخفاء الاسرار التى يريد ابعادها عن العامة . والصوفية عامة يقولون ان عندهم اسراراً لا يدركها على وجهها الا خاصتهم . وللميرغنى الختم بعض كلام فى هذا المجرى . وقال المهدى بهذا فى شأن حقيقة مهديته .

يتناول الكتاب الختم والمهدى ، ومن الواضح انه يتناول الختم من حيث هو رتبة دينية ولاعلاقة لهذا بختم استاذه محمد عثمان الميرغنى والذى جاء فى فترة لاحقة . و لكن ليس من الواضح هل الختم والمهدى عنده امر واحد ام امران . وهذا ما ضاع عنا فى رموزه . وهو يذكر ، استطراداً من المهدى ، عيسى بن مريم الموعود نزوله فى آخر الزمان متلازماً مع المهدى .

وفيما يبدو من شعره فان كلامه فى المهدى يتركز فى صفته وأوجه النعمة فى زمنه : هو عارف تبدو محاسنه ، يعلم الأمور بالجملة والتفصيل ، وبصحبته يحظى التابع بهداه ويخرج من الاسواء والعلل ، ويريك من الحضرات الاسرار فتعلو نفسك وتدرك كل ما تحويه الروح وما لم يكن او كما لو كان فى الأزل ، فعليك بالصدق معه والتزام آداب الصحبة ، به تهدأ الأكوان ويرتع الوحش مع الشاة وكلاهما راض بذلك .

اللمع البادى :

وهذا كتاب يبلغ حجمه ١٥صفحة من الحجم الكبير، وخطه جميل واضح ، ومسطرته مستقيمة ومتسقة ، ولا شك ان ناقله قد عنى به كثيرا . وقد جاء تأليفه فيما يقول مؤلفه استجابة لاسئلة وردت اليه فى موضوع المهدى المنتظر وامور اخرى فى ٩ رجب ١٢٣٩هـ ، واكتمل تأليفه فى العاشر من شعبان ١٢٣٩هـ ، اى ان تأليفه اخذ نحو شهر ، وقد بدأ اسماعيل بعد الاستخارة وجاءته المادة مدداً ، فأورد ما يحتاج اليه وحجب ما لا ينبغى البوح به ، وحتى يكون السر فى مأمن من فضول القاصرين سلك مسلك الرمز الذى لا يفهمه الا اهل السر . وهذا كله من بحر اسلوب المتصوفة فى تعاملهم مع امورهم الدقيقة .

وقد قسم اسماعيل كتابه الى خمسة ابواب وجعل كل باب مختصا بالاجابة عن سؤال ، وهى :

بعض أوصاف المهدى والختم ، شئ من علم البرزخ ، المريد الصادق، فضل الذكر وحكم الحلقة فيه، اهتزاز الذكر . ويهمنا من هذه الأبواب الباب الأول الذى يتناول فيه أوصاف المهدى . وأول ما نتنبه له انه يجمع فى المهدى المنتظر صفة المهدى وصفة الختم المحمدى ، والمهدى هو المنقذ الموعود بأوصاوفه ، اما الختم المحمدي فهو رتبته الدينية . يقول اسماعيل فى ذلك : « واما الختم المعروف بختم المقام وهو الختم الاحمدى وهو الفلك العالى ... واما مطلق الكمال المحمدى هو الامام الكبير المهدى وهو المحقق بجميع أوصاف الكمال والمتخلق بصفات الملك المتعال لا يقر له حال معلوم» ، ويقول : « واذا الامام مع الختام كواحد» . وقد ذكر، ولكن بالرمز بالعلامات التى لم ندركها ، اسم المهدى وكنيته واصله ومنشأه واسم والده ووقت ظهوره ومدة ملكه» .

وحتى نضع القارئ فى جو الكتاب ونعرض عليه نمط طرحه نقتطف منه العبارات التالية :

- «وقد ورد علينا وارد يستدعى عن حقيقة الكشف فى الامام المهدى والختم الاحمدى».

- «وينبغى ان نبدى منه ما يحتاج اليه دون ما لا ينبغى ابداوه ويكون الامداد لى منها على ذلك كما ضمنا لى امر الدنيا وما هناك بحرمة خاتم الرسل» .

- «فعلت ذلك فى لفظيات اقتضى الوارد بتسميتها باللمع البادى فى كشف حقيقة الختم والامام الهادى وذلك بكلمات مرموزة » .

- «وهذه كلها رموز لا يفهمها الا ذو مشرب روى ومورد من بحر اسرار خفى وهذه هى الدرجة الاولى لهما . واما الدرجة الثانية فهى لجيبة الختم الاحمدى فهو الامام الدال على الهداية من اول الدرجة الثانية بهمزة البداءة ولام الدال على الاحاطة له حتى تطلع شمس المشرق وتغرب شمس المغرب فيكون ثالثا فى الدرجة وها هنا ينهى الامر. واما ابتداء ظهوره عام شر دمر وهدى نشر وحجر شهر اى بعد ثلاثة من بعض السنين وذلك قريب» .

- « نشير الى المقصود بطرف خفى وذلك فى اسمه وكنيته واصله ومنشأه واسم والده ووقت ظهوره ومدة ملكه بحسب الالهام » .

- «اللولب الكوكب الفاضل الامام المهدى والختم الشامل لاسرار الطالع والنازل» .

- «مجرد الوصف لا يحتاج رمزا ولكن يحتاج الى تدقيق نظر لكى لا يباح السر على غير اهله» .

ويصف اسماعيل اهليته بقوله : « وفى هذا المقام لنا نصيب وافر وحظ جسيم فاخر بحرمته صلى الله عليه وسلم» . ويصفه بعضهم بقول : « مولانا السابح فى بحار التوحيد العالم بعلوه العد والتفريد الفانى فى ميادين الانوار ومخرج الحين من ميادين الاسرار ذوى الرمز الكامل فى علوم التأويل والفهم الشافى فى بيان الجمل والتفصيل» .

العلاقة بين مهدية الفوديين و مهدية السودان:

يدور كلام كثير حول هذه العلاقة. وكان اول من تكلم عنها البروفسير سابورى بيوباكو والمرحوم البروفسير محمد احمد الحاج فى مقال بالانجليزية بعنوان «المهدية السودانية واقليم النيجر – تشاد» (٣٢) وذهبا فيه الى ان اصل مهدية السودان منبعه مهدية الفوديين باعتبار ان اقوال فوديو وجماعته عن المهدى المنتظر قد انتشرت فى دارفور وان عبدالله – خليفة المهدى فيما بعد – قام بنقلها الى محمد احمد ومن ثم قام المهدى بمهديته . وقد توهما فى ذلك بكون ان جد عبدالله هذا مهاجر من السودان الغربى وبكون عبدالله قادماً من دارفور الى محمد احمد حاملاً فكرة المهدية وبما روى الزبير باشا عن عرض عبدالله المزعوم عليه فكرة المهدية . وقد غاب عنهما قوة انتشار فكرة المهدية فى السودان بحيث لا ينتظر خبراً ينقله الحجاج عن المهدية التى تكلم عنها فوديو ، وتطور محمد احمد من مريد الى داعية اصلاح ثم نحو المهدية قبل مجئ عبدالله . ويعجب المرء من اقحام جد عبدالله مع انه لا ينسب اليه اى قول او فعل فى الأمر . وانسياقاً مع فكرة المقال ذكرنا فى كتابنا «الحركة الفكرية فى المهدية» ان مهدية الفولانيين كانت المصدر الثانى لمهدية السودان بعد المصادر الاسلامية ووصل السودان بحركات العالم الاسلامى . كان ذلك فى الطبعة الأولى ، وفى الطبعة الثانية نفينا جانب عبدالله هذا وان تكون مهدية السودان استلهاماً من مهدية الفوديين باعتبار ان مؤلفاتهم لم تظهر فى السودان حتى تكون رافداً أثر فى الفكر المهدوى عند المهدى ولأننا لا نسمع بخبر مهدية الفوديين فى مصادر السودان وانما نسمع عنها من الباحثين فى حركات

---

(32) The Sudanese Mahdiyya and the Niger-Chad Region , by Saburi Biobaku and Muhammad Ahmad Al-Hajj in Islam in Tropical Africa , Studies presented and discussed at the 9th international African Seminar, Ahmadu Bello University , Zaria . Jan. 1914, pp 429-438 .

وقد اعتبر الاستاذان النيجر وتشاد اقليماً واحداً ، وهذه الاقليمية محددة عندهما لتتسق مع غرضهما ، وقد طور البروفسير الامين ابو منقا محمد ذلك فجعل نيجيريا وتشاد والسودان وجنوب مصر بيتاً واحداً .

السودان الغربى . ولكننا اعتمدنا الجانب الترويجى حيث قلنا : « مما لا شك فيه ان اخبار دان فوديو قد وصلت غرب السودان وان بعض اقواله وما بشر به قد انتشر فيه ، وقد جاء تأثيره فى التهيئة لمهدية السودان على هذا الاساس وبهذا القدر» . وفى القول بخبر دان فوديو فى غرب السودان وانتشار اقواله فيه وما بشر به اعتمدنا على نفس المقال وعلى ما جاء فى كتاب «الابانة النورانية فى شأن صاحب الطريقة الختمية» بأن الشيخ عثمان دان فوديو كان احد المبشرين بمقدم السيد محمد عثمان الختم . والشيخ عثمان يظهر هنا كولى يكشف المستقبل وليس فى قوله ما يتصل بالمهدى . وليس هناك ما يثبت قول مؤلف الابانة بأن الشيخ عثمان بشر بظهور السيد محمد عثمان ، وأغلب الظن انه مجرد ادعاء . وقد اعطى قولنا هذا دفعة قوية للقول بتأثير الفوديين والمهاجرين من السودان الغربى على مهدية السودان . الا انه بقى فى نفسنا شئ من الأمر واصبح يروح ويغدو فى البال لأننا لا نقف على دليل محسوس يدعم مثل هذه القضية الخطيرة لا فكراً ولا تهيئة .

وفى ندوة الشيخ عثمان دان فوديو التى عقدت بالخرطوم فى نوفمبر ١٩٩٥م قدمت اوراق كثيرة عن الشيخ عثمان وحركته من زوايا مختلفة ، ويهمنا منها بصفة خاصة ورقتان ، احداهما للبروفيسر يوسف فضل حسن (٣٣) والاخرى للبروفسير الامين ابو منقا محمد (٣٤). وقد ذهبا فيهما الى التأكيد بدور مهدية الفوديين فى اخراج مهدية السودان ، الأول مركزاً على جانب الترويج ، والثانى مركزاً على ان مهدية الفوديين هى الأصل والمنبع وان لاتباع الشيخ عثمان الدور الريادى فى ظهور المهدية فى السودان ثم الدعم المؤثر بعد قيامها . وفى ظننا ان الباحثين ذهبا هذا المذهب فى غياب جوانب مهمة من هذه القضية .

اننا نعرض فى الفصل الثانى من هذا الكتاب ماهية مهدية الفوديين بين حركات وتصورات المهدية ثم نعرض فى هذا الفصل تاريخ فكرة المهدية فى السودان ، وبالتالى تكتمل قضية الفوديين من جهة ومسار المهدية فى السودان من جهة اخرى ويكون القارئ فى وضع متوازن ازاء العلاقة بين مهدية الفوديين ومهدية السودان .

---

(٣٣) اثر حركة الشيخ عثمان دان فوديو علي دعوة المهدية في سودان وادي النيل ، ص ٢٩٠ – ٣١٢.
(٣٤) الآثار العقائدية لحركة الشيخ عثمان بن فودي في سودان وادي النيل ، ص ٢٤٦ – ٢٧٣ .

اننا نختصر محصول مهدية الفوديين فى النقاط التالية :

النقطة الاولى : قول بعض جماعة الشيخ عثمان بمهديته ونفيه هو عن نفسه هذه الصفة ، ثم قوله هو بأنه مهدى زمانه الممهد للمهدى المنتظر .

النقطه الثانية : طرحه لجماعته فكرة المهدى المنتظر ، وهى عنده : وجوب الايمان بالمهدى ، وانه منتظر، وانه من ذرية فاطمة بنت الرسول ، وان ظهوره بمكة ، وان هذا الظهور من اشراط الساعة ، وان العلم بوقت ظهوره عند الله ولا ينبغى تعيينه بأى وجه ، فقط ينبغى انتظار ظهوره ثم الايمان به اذا ظهر واللحاق بسلكه . وهكذا يحصر عثمان مدى الطرح ، بالرغم من تعدد مصنفاته ، فى هذا النطاق الضيق ، مع ان قضية المهدية قضية متسعة جداً. وطرحه فى النهاية طرح عالم لقضية دينية .

النقطة الثالثة : فى صلة حركة الفوديين بفكرة المهدية :

ان الشيخ عثمان يلتقى على خطى الشعرانى بالمهدى المنتظر - محمد الحسن العسكرى - روحياً ويدعو الله ان يقدر لقاءه جسدياً ، وهو يتمنى ان يقبل بين اتباع المهدى ومساعديه وان تكون جماعته من اتباعه وتغرس راياته امامه . واخوه عبد الله لم يدل فى الامر بدلو ، ولعله لم يعن بالمهدية فكرياً او لم يرها من الاطروحات المهمة فى جهادهم وادارة دولتهم . ومحمد بلو بن الشيخ نسب لأبيه قوله بقرب ظهور المهدى وان اتباعه ابكار المهدى وان جهادهم لن يخمد حتى قيام المهدى وتسليم راياتهم له . وهذا بعيد عن اتجاه الشيخ عثمان كما رأيت . وقال هو نفسه بقرب مجئ المهدى - بعد عامين - اعتماداً على كشفه ويتخذ بعض ما يراه من خطوات استعداداً لهذا الظهور . الا انه احتاط لنفسه بالقول بأن الذين يلتقون بالمهدى هم أهل رباطه او ذراريهم . فاذا لم يظهر فى عامين فلينتظر القوم حتى يتم لذراريهم ولا عليه تبعة عدم ظهوره بعد عامين . ويأتى موقف بلو فى اطار توفير الدعم المعنوى لحكمه . ويمكن ان ننتهى من موقف الثلاثة - الشيخ عثمان وعبد الله ومحمد بلو - الى ان المهدية ليست جزءاً من عقد الجهاد الفولانى القائم على اقامة حكم الشرع وتنقية الاسلام . وطالما ان مجئ المهدى مؤجل ولا يعلم احد ساعته فلا حكمة فى ان تكون المهدية من برامج جهاد الفوديين . ومن الادلة على ذلك ان الفوديين لا يطرحون قضية المهدية

والايمان بها على دولة برنو – تشاد ولا على علماء ودّاى فيما عرضوا عليهم من امور الاسلام التى تهمهم . ثم ان الشيخ عثمان لا يتكلم عن صفة المهدى وما يقوم به بينما يتقدم مهدى السودان ببرنامج كامل له ويضعه موضع التنفيذ . وطرح عثمان طرح عادى فى مسلمات اولية يأخذها من الشعرانى، ولكنه يختصر المادة اختصاراً جيداً ، وقد اسقط التوقيت فى ظهور المهدى وجعله لمشيئة الله بعد ان جاء الميعاد المحدد عند الشعرانى ولم يظهر المهدى . اما المهدى فقد انكر العلامات والشروط من حيث المبدأ وطرح قالب المهدى بشكل متكامل وبأصالة ترجع اليه . وهناك فرق كبير بين من يصف شيئا من الخارج نقلا عن الآخرين ويركز على جانب منه وبين من يعايش الشئ حقيقة مدبراً ومنفذاً كحال المهدى . وبينا كان جهاد عثمان وبرنامجه الاسلامى استجابة لأوضاع المنطقة وحال الاسلام فيها وأدى الى اقامة دولة اسلامية فان تناوله للمهدية كان لرد المهدية عن نفسه والتعريف بقضية اسلامية عامة وبيان مقامه ممهداً للمهدى .

ومحصول المهدية فى السودان يمكن عرضه فى نقاط :

النقطة الأولى : ان تاريخ المهدية فى السودان طويل ويمتد من مهدية النحلان حتى مهدية محمد المهدى وان مصادرها متسعة ولا يقتصر على الشعرانى والسيوطى كما هو الحال فى عرض الشيخ عثمان ، بل العرض يتسع لأقوال ابن عربى وابن خلدون والشعرانى والسيوطى واحمد بن ادريس وتلاميذه الخ ويتناول الاحاديث والآثار والاخبار، وقضايا كثيرة من زوايا مختلفة بعكس النقاط المحدودة التى تناولها الشيخ عثمان وجماعته ، والمساهمون فى الطرح يأتون من مواقف شتى : مؤيدون لفكرة المهدى ومعارضون لها ، علماء ومتصوفة ومحاربون ، مصريون وسودانيون وانجليز ، متحدثون وباحثون من بعد المهدية نفسها ، طرح متصل عن المهدى من الجانب النظرى وتقنين للجانب العملى ثم حقيقة دوران حركة المهدية كلها حول محور فكرة المهدية .

وعن اثر جهاد الفوديين فى السودان : لا نسمع صدى لهذا الجهاد فى السودان : ليس من اتباع عثمان من دعا الى المهدية فى السودان ، وليس من عالم ردد افكاره او كتاب له انتشر فى السودان او سمع به . ولم يقل عثمان بأن المهدى يظهر فى السودان بل قال صراحة ان ظهوره فى مكة وفق حديث السيدة ام سلمة الذى نقل اوله ، وطالما انه يستند فيما قال على ما جاء فى الحديث

فقط فلا وجه له بالقول بظهور المهدى فى ارض النيل. ولم يقل محمد بلو انه يظهر بالسودان بل تكلم عن فتح الطريق ، ولم تقل مريم بظهوره فى السودان وانما عرضت بعض معالم الطريق فى السودان وبشكل مشوه جغرافياً بما يدل على جهل باتجاه الطريق المزعوم ، وكان جهدها وجهد اخيها العتيق يهدف الى وقف الهجرة الى الشرق ، والتى هى بمثابة الانصراف عن دولتهم ، بحجة ان وقت الهجرة لم يحن بعد ، ولم يصدر منهما ان الشيخ أسر اليهم قبل وفاته بظهور المهدى فى السودان والهجرة اليه . واذا كان السودان ليس محدداً مكاناً لظهور المهدى من قبل هؤلاء فلا معنى لتشوف اتباعهم له فى السودان والهجرة من اجله . لذلك فان القول بالمتشوفين للمهدى فى السودان تحت طائلة افكار الفوديين بعيد عن السوى ولا اساس له عقدياً ولا تاريخياً .

والمهدى من جانبه لا يستشهد بأى من اقوال الشيخ عثمان مع انه يستشهد بأقوال ابن عربى وابن ادريس والحسن الميرغنى ومحمد شريف نور الدائم . ولو وقف المهدى على قول الشيخ بانكار توقيت ظهور المهدى لما تردد فى الاستشهاد به بمثلما فعل بعبارتى ابن ادريس وابن عربى . كذلك لا يستشهد المتحدثون من المؤيدين للمهدى ولا المعارضون له بأقوال الشيخ عثمان ولا يستدعون حركته فيما يستشهدون ويستدعون من آراء وحجج .

وفى محررات المهدى الى حيات بن سعيد ، حفيد الشيخ عثمان ، يذكر المهدى الشيخ عثمان بأنه الولى ، ولا يذكر شيئا مما قال عن المهدية . وغالب الرأى فى هذا ان المهدى كان يجهل ما عرضه الشيخ عثمان عن المهدية .

ولو نظرنا الى تحرك المهاجرين من ابناء غرب افريقيا الى السودان نظرة موضوعية لتوصلنا بغير عناء الى الأسباب الحقيقية وراءها، وهى الحج ، والهرب من ظروف الشدة بحثا عن ظروف أحسن للحياة ، ومؤخراً الهجرة امام الزحف الاستعمارى اباءاً لحكم الفرنسيين والانجليز الى الشرق . وكما هو معلوم فان معدل الهجرة من غرب افريقيا قد ازداد بشكل واسع فى العهد الثنائى مما يعنى عدم ارتباط الهجرة بالمهدية وان الدافع هو البحث عن فرص العيش . ولم يكن تحرك حيات بن سعيد بحثا عن المهدى فى الشرق وانما كان لانشقاقه عن اسرته احتجاجاً على ابعاد ابيه عن الخلافة . وقد قال فى محرره الى المهدى انه تحرك بغرض الحج ولم يقل انه خرج

للجهاد او بحثاً عن المهدى . ومع انه عين عاملا عمومياً للغروب من قبل المهدى فانه لم يتمكن من القيام بشئ من موقعه ولا بذل شيئاً محسوساً ولا اتجه الى المهدى بل بقى فى جنوب تشاد الحالية لعله يجد موطئ قدم وعام فى بحر الصراعات هناك حتى قتل وهو هارب من معسكر رابح .

والقول بأن الحجاج المتوجهين الى مكة نقلوا فكرة المهدى الى دارفور لا يقبل حتى يحددوا حجاجا بعينهم كانوا يحملون هذه الفكرة وحلوا ببلد بعينه وقالوا ما قالوا ، اما هكذا حجاجاً على الابهام فحجة لا تقبل . وهؤلاء الحجاج يقطعون السودان شرقا حتى البحر الاحمر ، فلماذا كان زرعهم للمهدية فى دارفور وحسب ! ولماذا لم يبشروا بالمهدية فى المناطق الاخرى التى حلوا بها!

وزعامة الفوديين فى سكتو لم تؤيد المهدية السودانية، بل وسموها بمهدية الجزيرة – اى الجزيرة ابا لظهورها فى غير مكة طعناً فيها – ومهدية حيات وهو المعارض لهم والمنشق منهم ، وذلك يعنى عدم التوافق الفكرى والعقدى ، وكان انضمام حيات المعلن لظروفه الخاصة ، وحاله الحقيقى بغير ما اعلن . ثم ان هجرة غير طبيعية من الغرب لم تتم اثر ظهور المهدى حتى يقال باستجابة لوصية الشيخ للحاق بالمهدى .

والمهاجرون من السودان الغربى بالسودان كانت استجابتهم لمهدية السودان مثل استجابة اهل السودان ، بعضهم آمن بها وأيدها وساهم ، وبعضهم عارضها ، وبعضهم عاش فى ظلها بين بين، وكثير منهم فى دارفور كانوا معارضين ، وبعض من فى الكرمك كانوا ضدها ، بل ووقفوا بجانب الحبشة المسيحية ضد المهدية . وكانت هذه المواقف استجابة لاتجاه شخصى او للمصلحة او بحكم الوجود فى المنطقة ، وليس من الصواب القول بأن جماعة استجابت عن بكرة ابيها لحركة ما او ضدها . وليس فى السودان قبيلة وقفت مع المهدية او ضدها عن بكرة ابيها ، لأن الناس يختلفون فى مشاربهم وظروفهم ومصالحهم . ومن الصواب ان بعض ابناء الغرب الافريقى ظهروا فى مجتمع المهدية وقاتلوا، واحيانا كانت لهم راياتهم ، وبعضهم نالوا المناصب ولكن احداً منهم لم يتول قيادة رئيسية ، ومن نال المنصب لم ينل بحكم عنصره او بعلاقة حلف او توافق الفوديين مع مهدية السودان وانما بحكم مدى انتمائه الشخصى وقدرته . وقد اعتبر المهدى بعض هؤلاء مهاجرين أصلا وطلب رعايتهم (٣٥) . ولكن الصورة العامة عنهم انهم فى مجموعهم كانوا

---

(٣٥) الآثار الكاملة ، مجلد ٣ رقم ٣٩١ ، ص ١٩٨ – وكان هذا عندما بلغه ان بعضا اعترض سبيل الفلاتة والمسيرية المهاجرين اليه .

معارضين ، وفى ذلك يقول الخليفة عبد الله فى محرر الى محمد خالد : « وكذلك حيث ان التكارير لم يزلوا فى نفور وهروب عن المهدية وتوجهوا الى الغرب هاربين بكثرة فينبغى جميع من يحضر لكم هناك يصر ضبطه ووضعه بالحديد لغاية وصوله هنا . وحرروا الى جميع الجهات من طرفكم بذلك » (٣٦) . وعندما بلغ الخليفة خبر بوفاة عمر بن فودى سلطان الفلاته وابى بكر بن عمر سلطان البرنو عبر عن بالغ سروره قائلا انه سجد شكراً لله على هلاك الكافرين وتاييد الدين (٣٧) . فاذا كان الخليفة يقول عنهم بهذا الوجه فكيف يقال ان الفلاته كانوا دعامة المهدية !

وفى محررات حمدان ابوعنجة مزيد من الشكوى من ميل التكارير الى الحبشة ضد المهدية وقد رأينا الا ننقل نصوصها اكتفاءاً بما نقلنا .

ويتوقف الدكتور محمد سعيد القدال عند موقف الفلاتة فى القلابات فيقول : «اما التكارير فقد كانوا موزعين فى ولائهم ينظرون حيناً عبر الحدود الى صالح شنقا والى ايام انتعاش التجارة مع الحبشة وحينا آخر الى سطوة المهدية وقوتها . وقد كان وجود محمد ارباب سبباً فى بقاء بعضهم على ولائه للمهدية لأنه منهم . ولذلك عين محمد ارباب سكر خلفاً لمحمد ارباب حتى لا يتمرد التكارير ويتسربوا عبر الحدود الى الحبشة» ، ويقول: «التكارير فى رأى الزاكى (يقصد الزاكى طمل قائد معركة القلابات الفاصلة) غير مخلصين فى ايمانهم للمهدية «وانما هم مذبذبين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، لا يميزون بالاسلام الا من حيث النطق بالشهادتين» . ويعتقد الزاكى انهم قاموا بحرق معسكر الانصار اثناء المعركة مما خلق جواً من الهلع وساعد الحبش علي اختراق صفوف الانصار بل ان التكارير هم الذين ساعدوهم على دخول معسكر الانصار من جهة احمد على وهم الذين كانوا يمدون الحبش باخبار جيوش المهدية ، فما مدى صحة هذه الرواية وما هى دلالتها ! فى هذه الراوية جانب كبير من الصحة لأن تاريخ التكارير فى القلابات كان دائما يعكس رفضهم للنظام الجديد وارتباطهم بالحبش ، وذلك على امل اعادة مصالحم التجارية التى ضعفت او توقفت تماما بعد نشوب الثورة المهدية . وبالرغم من ان التكارير مسلمون الا انهم آثروا الوقوف بجانب الحبش مغلبين بذلك ارتباطاتهم التجارية على كل اعتبار آخر ، ولعل التكارير كانوا على

(٣٦) محررات الخليفة عبدالله ، مجلد١ ، رقم ٥٠ ، ص ٤٠ - ٤١ .
(٣٧) محررات الخليفة عبدالله مجلد ١رقم ٢٠٣ ، ص ١٤٩ .

يقين من انتصار الحبش فى معركة القلابات لكبر الجيش الذى قادوه هناك» (٣٨).

ثم نقول ليس من الصـواب فى شئ ان يقال ان اثر السودان الغربى على السودان كان اقوى من اثـر الحجاز ومصر عليه ، فطلبة السودان الغربى بكثرة فى خلوتى ارباب العقائد والقدال الذين ذكرهم الطبقات كانوا من ابناء السودان الغربى فى خلاوى السودان ولم يكونوا من طلبة السودان فى خلاوى غرب افريقيا ، حتى نستدل على تأثير السودان الغربى على سوداننا . ولم يذكر الطبقات عالماً سودانياً تعلم فى السودان الغربى وجاء منه ولا طلبة ذهبوا من السودان الى السودان الغربى ورجعوا بمثل الوافدين من الحجاز ومصر ولا من ذهب الى هناك وعاد باجازة التصوف . ان العلاقة بين السودان ومصر وبينه وبين الحجاز كانت ذهاباً واياباً من الطلبة والدعاة، والعلاقة بين السودان والسودان الغربى قادمون فقط، وكانت مصر والحجاز مراكز اشعاع دينى وعلمى متوهج ينير العالم الاسلامى بالعلماء والمصنفات والدعاة ، والوصل بينهما وبين السودان كان قديما ومتصلا ابداً. وليس صواباً ان توسم صوفية الحجاز بأنها صوفية باطنية قياساً على صوفية البهارئ ، اذ كانت المدارس الصوفية به متعددة ، والطريقة القادرية التى ينتمى اليها الشيخ عثمان تقوم على الباطنية مثل غيرها من الطرق ، وعثمان نفسه كان قادرياً مثل البهارى ، وكان باطنياً وملتزماً بأدبيات الصوفية ، وابنه محمد بلو كان صوفياً وقال بالكشف ، والطريقة التجانية المنتشرة فى السودان الغربى أشد باطنية من قادرية البهارى، ومؤثرات الحجاز ظاهرة فى الحركة الدينية فى السودان ويكفى ان نشير الى الميرغنى والمجذوب قمر الدين والرشيد، بل امتد اثر الحجاز الى السودان الغربى نفسه بتلمذة معالم الاسلام به فى الحجاز ، وكان اثر ابن عبد الوهاب واضحاً فى اتجاه كثير من مصلحيه، ومهدية الشيخ عثمان نفسها واردة من مصر، وكان تأثير الرافد المصرى قوياً فى السودان من مدرسة البولاد والمتلقين فى الازهر ، وامتداد الثقافة المصرية كان قوياً فى العهد المصرى التركى . وليس صحيحاً القول بأن سيطرة اتباع ابن عبد الوهاب فى الحجاز قطعت حبل الوصل بين الحجاز والسودان . واذا فشل عثمان وجماعته فى مد حركتهم الى منطقة النيجر – تشاد المجاورة نتيجة لمقاومة الكانمى فلا يقال ان

(٣٨) محمد سعيد القدال : المهدية والحبشة (الخرطوم ، ١٩٧٣) ص ٥٩ .

امتداد افكار عثمان الى السودان كان بمثابة انتقالها من ركن الى ركن فى بيت واحد .

وفى خاتمة المطاف نقول : ان الشيخ عثمان معلم اسلامى عظيم فى افريقيا القرن التاسع عشر لأنه اسس حركة دعت الى تنظيف الاسلام مما علق به من عوائد محلية وعملت على توسيع دائرة الاسلام فى الغرب الافريقى واقامت دولة اسلامية . ومما لا شك فيه ان القاعدة الاسلامية الصلبة التى وضعها كانت سداً منيعاً امام تقدم التبشير المسيحى الى شمال نيجيريا رغم كل ما اتخذت الادارة الانجليزية والقيادة التبشيرية المسيحية من سبل . وهنال من يطعن فى حركة عثمان بأنها كانت حركة عنصرية استغلت الدين لمآربها وذلك بدليل استنفار الفولانى فى كل فج لدعم الحركة حتى ان وثنيى الفولانى جاءوا محاربين باندفاع عنصرى وبدليل ان الفولانى فازوا بكل مناصب الدولة فى بلد هى بلد الهوسا .

ولم يجد الشيخ عثمان العناية التى تليق به فى الوسط الاسلامى الواسع كقمة اسلامية، بل انه لا يتمتع الآن فى نيجريا بالوهج الذى يجده فى السودان . ومن المؤسف ايضا ان اغلب أدبيات المؤتمر الذى اقيم له فى الخرطوم كانت تستجيب لجوانب آنية اكثر مما دعت الى ابراز حقيقة الرجل وقيمة حركته ، وكانت تجميعاً مما هو مروج عنه اكثر من عمل يرتكز على بحث علمى أصيل .

وقول بعض نشطاء الفولانى بتأثير هذه الحركة فى المهدية السودانية والدور الذى يدعونه لابناء الغرب الافريقى فى بناء المهدية ودعمها ليس الا شططاً جهوياً ، وقد قدمنا فى الفقرات السابقة بعض الحجج التى تدحض هذا الاتجاه على منهج موضوعى لا غرض منه الا وجه التاريخ . ومن الشطط ايضاً قولهم بأنهم بناة سلطنتى الفونج والفور وكثير من الادعاءات العريضة بأثرهم فى المجتمع السودانى .

الفصل الخامس
موضوعات فى مهدية السودان

دواعى المهدية :

ترى ما الذى أغضب محمد احمد مما كان يراه او واجهه ، ما الذى انكره وأوجعه ودفع به الى الثورة ؟ هل كان هذا امراً شخصياً يخصه هو بالذات ، ام امراً فئوياً يخص من انضموا اليه فى الدرب الذى سلكه بعد الخصومة بينه وبين استاذه محمد شريف ، ام كان فئوياً بالمعنى الواسع الذى يعنى رجال الدين – العلماء منهم والمتصوفة – ام احدى هاتين الفئتين ، ام كان امراً يخص أهل السودان جميعاً بشكوى الحال من الادارة المصرية التركية القائمة ام تردى الجانب الدينى والخلقى فى المجتمع ، ام كان امراً يخص المسلمين جميعا !

لا يبدو مما كتب المهدى او مما يروى عن حياته انه كان يحمل ضغينة شخصية نحو جهة. من جهة الجمهور كان محترماً وموقراً ومعتقداً فيه ، وعندما وقعت الخصومة بينه وبين استاذه مال الجمهور اليه بأكثر مما مال الى الاستاذ – وذلك على عكس الحال عادة ، اذ ينكر المجتمع ان يخرج المريد على شيخه وان ينازعه . ولم تقع بينه وبين الحكومة شحناء ، اذ عادة كان يحظى رجال الدين باحترام من قبل رجال حكومة الترك ، مثلهم فى ذلك مثل سائر حكام المسلمين ، وكثير منهم كان يتلقى العون من الادارة . وكانت البواخر تحيى الشيخ محمد احمد صاعدة الى اعالى النيل وهابطة منها تيمناً به وطلبا لبركته ورجاءً للسلامة من المخاطر ويقدم البحارة والمسافرون الهدايا . بل كان المسئولون أكثر ميلاً اليه وعطفاً فيما شجر بينه وبين استاذه محمد شريف ، وحتى عندما بلغهم خبر المهدية لم يبادر هؤلاء نحوه بعداء ، قال المسئولون فى الجهة اتركوا صاحب الخضر ، والمسئولون فى الخرطوم رجعوا بالأمر الى ضغينة الاستاذ نحو خصمه فى أول الأمر، ثم ارجعوا الأمر الى الجذب وما نحوه مما يهون الأمر . وقد ظنوا ان من الميسور ان يؤتى به الى الخرطوم ووضع نهاية للأمر . وقد صدم ابو السعود من صلابة محمد احمد فى موقفه كما صدم الحكمدار مما نقل اليه ابو السعود واتخذ على التو قرار الحسم بالقوة – وحتى هنا كان الأمر احضاره الى الخرطوم للنظر فى حاله دون وعى كاف بخطورته . وحتى اتباع محمد احمد لم يظهروا اى غبن خاص من طرف سواء كانت الحكومة ام اهل الديار .

محمد احمد اذاً لم يصادم ادارة الترك ولا حمل غبناً شخصياً او فئوياً مثل الزبير باشا وابنه سليمان وغيرهما ممن اوجعتهم المواقف والمظالم . ومؤاخذة المهدى لادارة الترك تأخذ حيزاً محدوداً فى ادبياته ، وهذا الحيز نفسه يجئ توبيخاً لمخالفيه الذين رضخوا من قبل لمشيئة الترك الفاسدة ويتوقفون الآن عن معاونته فى اقامة الدين ، لا للدعوى بأنه خرج على الترك لهذا السبب . يقول المهدى لهولاء : « وان الترك كانوا يسحبون رجالكم بالسلاسل ويسجنونهم فى القيود وياسرون نساءكم واولادكم ويقتلون النفس التى حرمها الله بغير حقها ، وكل ذلك لاجل الجزية التى لم يأمر الله بها ولا رسوله ، ومع ذلك لا يرحمون صغيركم ولا يوقرون كبيركم . وكيف نسيتم هذا كله وتخلفتم عن الجهاد فى سبيل الله ولم تأخذكم الغيرة فى دين الله ولا فى انتهاك محارمه . فما جوابكم غدا عند الله حيث لم تجيبوا داعى الله . ومع اهانة الترك لكم وذلهم اليكم كنتم سامعين طايعين منقادين لامرهم حيث ما امروا ، فكيف اذ اظهرنا الله اليكم من جوده وكرمه ! ألا توافقوا على اقامة الدين وهلاك القوم الكافرين وتسمعوا امرنا ونهينا ! الم تنظروا فى قتلكم للترك وحرق النار جلودهم ! هل كان ذلك قبل ظهورنا لكم او لاحد غيركم » (١) .

ومثله موبخاً ما ذكره ايضا : « مع ان امراء الدنيا سابقا لو امر باشتهم بترك المصالح وحرق المدافع يطيعوه حالاً وينفذوا امره بلا تهاون كسعيد باشه ومثل غردون يسكر ويقول كسروا هذا فيكسروه بدون تهاون . فكيف لا يقوم الانصار – ان كانوا انصارا – بامرنا حالا ! » (٢) .

وقد بين المهدى ، كما سيأتى بعد ، ان مسوغ مهديته هو تردى حال الاسلام والمسلمين وان هدفها اقامة الاسلام على وجهه النقى على ما كان فى عهد الرسول والخلافة الراشدة . وهكذا نأت مهديته عن ان تكون رد فعل لموقف ظرفى قائم فى السودان ، تفقد قوامها بزوال هذا الظرف ، وتكون دائرتها مدى السودان وحسب .

واذا كان توجه المهدى وجماعته ، حسب المعلل الذى قدمه ، اسلامياً من حيث الدواعى والأهداف فما الذى حورها الى اسباب محلية وكرسها على مظالم الادارة التركية ؟

تقع مسئولية هذا التحوير اولاً على مجموعة الضباط الانجليز الذين خدموا فى السودان او

(١) الآثار الكاملة ، مجلد ١ رقم ٥٢ ص ١٨١ .

(٢) نفسه ، مجلد ٤ رقم ٦٤٤ ص ٢٤٠ .

كانت لهم صلة به من مواقعهم فى مصر والذين تبنوا ان ثورة السودان قامت احتجاجاً على سوء الادارة التركية التى لا ينبغى ان تعود الى السودان وطمحوا الى ان يكون السودان بعد زوال المهدية تابعاً للادراة البريطانية . لقد سودوا عن قصد وضخموا الأمور حتى فاقت ابعادها الحقيقية بينما سكتوا عن دور التجار والمغامرين الاوربيين وشطط الاداريين منهم وعلى رأسهم غردون . وقد سود هؤلاء ايضاً وجه المهدية حتى يدفعوا الرأى العام البريطانى ليدعم الحملة العسكرية لازالة المهدية ويمهدوا لادارة بريطانية فى السودان. وقد رد البروفسير هولت عن حق غلواء هذه الفئة من الضباط ضد المهدية الى اخفاقهم فى انقاذ غردون . وكان أخطر هولاء ونجت الذى وجه طاقات المخابرات الحربية نحو هذه الغاية، ثم اثر من بعد على المؤرخين الذين اعتمدوا على تقاريره ومدوناته التى كانت تحمل هذا الاتجاه وفى غياب وثائق المهدية او مدونات محايدة . وقد وضع كتاباً حمل كثيراً من التشويش وساهم فى اعداد كتب اخرى خدمت نفس الغرض ككتابى اهرولدر وسلاطين .

وجاء نعوم شقير من اضابير مكتب المخابرات ومن تحت عباءة ونجت ، الا ان كتابه صدر بعد المهدية وبعد زوال الرغبة فى التحريض . وقد جمع مادة واسعة بام درمان من الرجال الذين كانوا فى مواقع مسئولية او حملة اخبار ، ووقف على مدونات المهدية واستفاد منها. وقد اختط فى كتابه قدراً من المسئولية المنهجية والموضوعية فى عرض البيانات الا انه لم يبرح العداء والنيل من المهدية من موقعه المخابراتى المعادى وزاويته المسيحية ازاء ثورة اسلامية . وقد ترك تأثيراً بالغاً فى العرض التاريخى وبلع المؤرخون كثيراً من اخطائه وأوهامه عن غفلة او لمجرد الوقوع تحت تأثير المروج . وقد اصبحت اسبابه الأربعة لقيام المهدية وما ساقه باعتباره العامل على نجاحها هى المعتمدة عند المؤرخين . وهكذا دعم شقير فى كتاب مشهور واسع التداول القول بأن المهدية تولدت عن مظالم الادارة التركية خلافاً لمصدرها الاسلامى الذى يرد بشكل مؤكد وثابت فى آثار المهدى .

وفضلا عن هذا التأثير البالغ لونجت وشقير فان المؤرخين من بعدهما نظروا فى مجرى العهد التركى وحوادثه وما روج من قضايا وانتهوا الى اسباب قد تتفق مع حال السودان عموما ولكنها بعيدة عن حقيقة منشأ المهدية . ولو صح تقديرهم لنظروا فى مهد المهدية لا السودان كله . ومهد

المهدية هو منطقة النيل الابيض وشمال الجزيرة وشرق كردفان ، ونقطة الاشعاع هى الجزيرة ابا ، والرأس المدبر هو محمد احمد ، والفئة المتحركة هى فئة الفقرا الذين استنفرهم محمد احمد فى صراعه مع محمد شريف وفى حركته الاصلاحية لاقامة مجمتع اسلامى سليم التوجه . وقد مدح المهدى موقف هذه الفئة فى مطلع مناشير الدعوة باعتبار انهم الخلّص الذين تقبلوا دعوته الاصلاحية وساروا فى دربه حتى كانت المهدية .

ان النظر فى عموم السودان دون خصوصية مولد المهدية قد ساق الى اخطاء خرجت بالأمر عن السياق التاريخى ، ومن ذلك مثلا :

١- القول بأن الانتقام من حملة الدفتردار الانتقامية على مقتل اسماعيل باشا كان من اسباب قيام المهدية ، وهو مما اورده شقير . وهو بعيد عن الحق ، اذ بين هذه الحملة وقيام المهدية ستة عقود ، وقد وصلت الحكومة واسرة المك نمر الى وفاق عادت الاسرة بعده الى موطنها ، ولم يعكر صفو هذا الوفاق شئ . ثم ان الجعليين وجيرانهم لم ينضموا الى المهدية الا مؤخراً ، دع عنك ان يكونوا مشتركين فى اعدادها . واين هم من مهد الثورة وأوضاعه فى الرقعة التى حددناها !

٢- القول بأن المهدية كانت رد فعل لحملات الغاء تجارة الرقيق ، وهو بعيد ايضا عن الواقع ، لأن الذين اسسوا المهدية لم يكونوا من التجار اصلاً ولا من المستفيدين من تجارة الرقيق بأى وجه، ولم يذكر الذين ساقوا هذا الخبر تجار الرقيق الذين ساهموا فى تأسيس المهدية او الذين جاءوا مناصرين لها . وكان المؤسسون للمهدية يطلبون ترك الدنيا واموالها ونعمها والاقبال على الآخرة ، وقد رفض قائدهم محمد احمد من قبل ان يقبل بالربح المسموح به فى تجارة نظيفة ، فكيف بهم الآن مدافعين عن تجارة الرقيق ! وكان تجار الرقيق من أبعد ما يكونون عن افكار واهداف المهدية . وتاريخيا فان المهدية هى التى قضت على حملات القنص واوقفت تصدير الرقيق . وغالب الرقيق الحقوا بالجهادية . ولما جاء الحكم الثنائى كان الأمر المتبقى للرق والتجارة فيه هو ارقاء المنازل والحقول ، وقد حاولت الادارة الانجليزية اغضاء الطرف عملياً ازاء هذا الجانب وفضلت ان يزول مع الزمن اتقاءً لعواقب الالغاء الفورى ، بالنسبة للأرقاء وبالنسبة لمالكيهم . وقد ذكر واربيرج ان المهدى اصدر منشوراً اباح فيه تجارة الرقيق وان الجلابة سروا لذلك وانضموا

اليه (٣) . ولكن المهدى لم يصدر منشورا فى الرق ، لا بالاباحة ولا بالمنع . وقد عقد حلفاً مع دينكا بحر الغزال لاسقاط الادارة التركية ببحر الغزال واعطى الدينكا والشلك والنوبا الذين انضموا اليه نفس حقوق الآخرين واصدر منشورات بحقوقهم . ولو اعتبرت المهدية هولاء ارقاء فكيف تحالفوا معها ! والذى أصدر الأمر بإباحة الرق هو غردون بطل الغاء الرق عند اهله ، ولكن المؤرخين الغربيين يعتمون فى هذه النقطة مع انهم يضخمون الأمور فيما يصيب السودانيين وسمعتهم . فعندما جاء غردون حاكما عاماً ليواجه المهدية قام فى حركة مسرحية بالغاء الضرائب وحرق دفاترها وسياط الباشبزوق واصدر منشورين اباح بهما الرق ، وكان ذلك غاية الوصولية ، وظن ان هذه المسرحية كفيلة برد الذين حركهم ، فى ظنه ، الغاء الرق الذى مس ارزاقهم .

٣- القول بانتهاز ضعف القوات المصرية بالسودان والفراغ باستقالة غردون : قالوا ان تخفيض القوات المصرية فى السودان قبل المهدية ، وكان بغرض تخفيض النفقات ، قد اغرى على الثورة على الادارة وان عزل الخديو اسماعيل واستقالة غردون قد خلق فراغاً جوز الانفلات . وكان استيوارت هو الذى جاء بفكرة الفراغ هذه اثر استقالة غردون ، وقد اخذها عنه ونجت ثم اخذها هولت واخذ عن هذا آخرون . ولكن صناع المهدية لم يكونوا على علم بتخفيض القوات حتى يضعوها فى حسابهم . واذا تذكرنا ان غردون بارح الخرطوم فى يوليو ١٨٧٩ فمن اليسير ان نقول ان محمد احمد واصحابه كانوا عندئذ قطعوا شوطاً بعيداً فى اعداد ثورتهم ، بل زار المهدى الأبيض فى الوقت الذى استقال فيه غردون ليستكمل عقد الأحلاف مع من يناصرونه فى كردفان وليحدد المكان الذى يهاجر اليه - أى ان الثوار اعدوا عدتهم وغردون على رأس الادارة .

ونكتفى بهذه الأمور الثلاثة !

مسار السودان كخلق السودان الموحد والعناية بالتعليم وتطوير التجارة وربط السودان بالعالم الخارجي وتطوير الزراعة وادخال الادارة الحديثة وبعض المستحدثات كالبريد المنظم والتلغراف والتلفون . ولكن السياسات المباشرة للنظام كانت ضاغطة على الجمهور وتولد نيران الثورة فى القلوب . وقد ظهرت ثورات واحتجاجا هنا وهناك وتمكنت الادارة من التعامل معها ، ولكن عندما ترفع حركة ما راية الدين كما فعلت المهدية ، تصبح مهمة الاطفاء معقدة وعصية .

---

(3) Warburg G. Historcal Discoard on the Nile , p .4 .

لقد مد محمد على حكمه الى السودان بقوة السلاح وتعامل بيد قوية واخضع ، واعتبر اهل السودان حكمه وحكم من جاء بعده امراً لا صلة لهم به وسموه التركية . وضرب رجال هذه الادارة اسوأ المثل فى سوء الادارة والفساد . وكانت صورتهم بغيضة فى اعين الناس . وكان النظام الضرائبى اقوى عامل فى زراعة الكراهية وعلى نطاق عام . كانت التقديرات عالية ، وكان ما يفرضه الجباة لانفسهم ولرؤسائهم بقدر ما يشبع نهمهم ويحقق اثراءهم دون اعتبار لقدرة المواطن ووجعه ، والاسلوب الذى اتبع للتحصيل كان وحشيا ومهينا . ولذلك لا يستغرب المرء عندما يسمع شعاراً يردده ثوار المهدية : عشرين فى التربة ولا ريال فى الطلبة .

وهكذا اتصل درب الجماعة الدينية ودرب المتوجعين من مظالم الترك .

مضمون المهدية :

ونرجو ان نقف وقفة قصيرة عند عبارات نتداولها من المروج الآن بالرغم من بعدها عن واقع المهدية . ان عبارة الثورة وصفاً للمهدية عبارة من عندنا لا من المهدى واتباعه . وكذلك عبارة الحركة . والذى عليه المهدى واصحابه هو الدعوة . وكما ترى فان مضمون الدعوة أقوى وأبلغ من مضمون الثورة والحركة لأن الثورة والحركة وصف من الخارج للمظهر ، اما الدعوة فهى اللباب . ونحن نقول دولة المهدية ، وهم يرفضون فكرة الدولة لحرصهم على المضمون الدينى والبعد عن الآلية السياسية والادارية . وعبارة التحرير ايضا من عندنا ، وكذلك عبارة الاستقلال ، لأن المهدية كانت لجمع المسلمين تحت رايتها ولم يكن عندها مفهوم السودان المجزء من العالم ومفهوم الوطن .

العلاقة بالسلطنة العثمانية :

هل كان السودان بلداً تابعا للسلطان العثمانى ، او هل كان لهذا السلطان الولاية الشرعية على السودان بحيث تصبح ثورة المهدى خروجاً عليه واثماً دينياً !

قبل التصدى لهذه القضية لا بد من اجلاء امر مهم وهو ان صفة النظام العثمانى هى السلطنة لا الخلافة او الامامة ورأسه هو السلطان وليس الخليفة او الامام . والامام والخليفة يدلان على رأس المسلمين دينيا بينما يعنى السلطان السلطة على بلاد بعينها . وقد اتخذ العثمانيون لقب الخلافة ، فيما يبدو انه اول مرة لهم ، كمركز دينى لتقوية موقفهم امام روسيا بعد حرب ١٧٧٤

باعتبار انهم يمثلون كل المسلمين بصفتهم الدينية لا تركيا وحدها ، ولكن ذلك لم يعن شيئا من الناحية العملية ازاء علاقتهم بالمسلمين . وتحت الضغط الاوربى وتنامى المعارضة الداخلية من قبل القوى الحديثة المتأثرة بتيارات السياسة فى اوربا ، وكان كثيرون منهم من الأقليات وبعضهم ليسوا بمسلمين ، سعى السلطان عبد الحميد الثانى للخلافة حتى يستظل بظلها الوارف ، وقد بذل المال والجهد فى سبيل هذا الهدف ، ولكنه لم ينجح فى مسعاه ، بل اقيل بشكل مهين . ومن الملفت انه ظهر فى العالم الاسلامى منافسون له فى طلب الخلافة ، وكان بينهم خديو مصر عباس الثانى . وعند الغاء الخلافة فى ١٩٢٤ برز الملك فؤاد مطالباً من غير ان يحقق نجاحاً حتى فى مصر نفسها . وابنه الملك فاروق ، والذى روجت له دوائر القصر الملكى والصحافة صفة الملك الصالح ، ادعى الانتساب الى السلالة النبوية ربما طموحاً ومسعى للغرض نفسه . وامتد فى تركيا نفوذ القوى الحديثة يتنامى مصحوبا مع الضغوط والدسائس ويهبط موقع السلطان حتى الغى كمال اتاتورك السلطنة وانشأ الجمهورية التركية العلمانية فى مارس ١٩٢٤ .

ولم تكن ولاية العثمانيين على المسلمين خارج سلطنتهم امراً مسلماً به . ولم تخضع لهم البلاد التابعة لهم الا بحد السيف وقوة السلطة . وكان الامام محمد بن عبد الوهاب واتباعه يرفضون خلافة العثمانيين باعتبار ان الخلافة للعرب لأنهم أقرب من الاتراك الى روح الاسلام . وقد ثار الزيديون فى اليمن ضد السلطان التركى فى ١٩٠٤ واعلنوا تخليف امامهم وانشقوا على السلطة العثمانية نهائيا ودامت امامتهم حتى الغيت على يد السلال واعلنت الجمهورية . وكان ابن ادريس وتلاميذه لا يعادون السلطنة العثمانية حفاظاً على منصب يجمع المسلمين ، وكان ابن ادريس يدعو لهم بالتوفيق . ولكنهم كانوا يتوقفون ازاء الجانب الدينى لأمور استنكروها مثل القوانين الوضعية . وكان السنوسى الأكبر يرى ان الدولة العثمانية لا تستند على اسس وشروط صحيحة للخلافة فى تأليفها وقيامها . وكان يرى ان قريشا احق بالخلافة (٤) ولكنه لم ير بدا من بقائها نظرا لضعف المسلمين امام تحديات اوربا ، وكان يرى ضرورة الحفاظ على الوضع القائم بعلاقات طيبة مع مصر والسلطان العثمانى حتى يدير اموره بهدوء وامان ولا يتعرض الى ما يعكر الصفو ويعرضه الى

---

(٤) الدجانى ص ١٦٣ .

الخطر وكانت حركات التخوم لا تدين للسلطة العثمانية ، وترى فيها انعواجاً عن الدين مخلاً ، ويمكن اعتبار الثورة المهدية من ضمن هذه الحركات فى نظرتها للقيادة العثمانية .

وكان محمد على باشا مؤسس الخديوية المصرية والذى يحكم مصر والياً من قبل السلطان قد خرق هذه الطاعة عندما انتزع الشام من السلطنة العثمانية ، بل انه اعد العدة للتقدم الى قصبة الخلافة نفسها ، وما توقف عن مشروعه الا لتدخل الدول الاوربية . ولما جاءت الثورة العرابية فى عهد الخديو توفيق ايد العلماء المصريون المؤيدون لعرابى فى فتوى مشهورة ثورة عرابى ضد الخديو ، وعن حق اعتبر اسماعيل الكردفانى هذه السابقة مجيزة لثورة المهدى ضد نفس الخديوية (٥). وكانت الفئات التى انتبهت فى مصر لضعف القيادة العثمانية والخديوية وتنامى الضغط الاوربى تتطلع الى قيادة للمسلمين بديلة مؤهلة ، وقد عبر العوام فى نصيحته عن هذا التطلع وانبرى يدافع عن ثورة المهدى باعتبارها ثورة شعب لا ثورة فرد وسبيلا لاسقاط الخديوية والسلطنة واقامة القيادة المؤهلة . وحتى فى مصر الحديثة كانت هناك دعوة قوية للانشطار عن السلطنة العثمانية واقامة الدولة المصرية .

وبالنسبة للسودان فان اول خبر عن علاقة ما له بالسلطنة العثمانية يرد فى عهد سليم الأول فاتح مصر وعمارة دنقس مؤسس سلطنة الفونج . فقد روى نعوم شقير(٦) ، دون ان يذكر مستنده ، ان السلطان سليم بعد افتتاحه مصر احتل سواكن ومصوع ودخل الحبشة بقصد الزحف على سنار وخاطب عمارة بالطاعة ، وان عمارة استنكر الطلب قائلا انه لا يعلم ما يحمله على حربه وامتلاك بلاده ، فان كان سببه الدين فهم مسلمون ، وان كان الطمع فى المغنم فأهلها عرب بادية فقراء ولا يملكون ما يجبى منهم . وقد عزز دعواه بكتاب عن انساب عرب السودان ألفه له لهذا الغرض الامام السمرقندى . ولكن كتاب الانساب هذا لم يعثر عليه الى الآن . والمعروف ان سليم فتح مصر فى ١٥١٦م وانه احتل بعده بقليل موانئ جدة وسواكن ومصوع بهدف التصدى للبرتغاليين فى البحر الاحمر. ولم يعرف عنه انه غزا الحبشة او اعتزم غزو السودان . ولو انه اراد

---

(٥) الكردفانى ، ص ١٥٦-١٥٧ .

(٦) شقير ، ص ١٠٠ .

السودان لدخل من سواكن مباشرة لا عن طريق الحبشة . وكان عمارة قد استولى من قبل على سواكن وجعل فيها حاكماً من قبله ، فلما جاءت قوات سليم هرب الحاكم ورجاله . ويبدو لنا ان الخبر الذى رواه نعوم مجرد صدى لحادث احتلال سواكن من قبل سليم وان خبر انساب السمرقندى من ذيول الصدى ولا حقيقة له .

وفى ١٨٢١ مد محمد على باشا حكمه الى السودان ، ولم يكن هذا المد لالحاق السودان بالسلطنة العثمانية ، وانما كان لحسابه الخاص طلباً للزنوج لجيشه وأعماله ولذهب السودان لدعم طموحه . وقد اخطأ شقير (٧) اذ ذهب الى ان محمد على اصحب جيشه علماء لدعوة اهل السودان للخضوع لسلطان المسلمين ، اذ كان هؤلاء حقيقة قضاة عسكر ينظرون فيما يختصم الناس فيه اليهم من أمور . وهذا من ترتيب الجيوش الاسلامية . وكان قاضي العسكر فى المهدية يسمى نائب السرية او نائب الشرع ولم يبلغنا شئ مما كتبوا فى الدعوة للسلطان العثمانى ولا جهد فى اقناع الناس بالانتماء اليه . وقد تولوا قضاء السودان عندما تم الاستيلاء على البلاد . ولم يكن بينهم عالم يمثل المذهب الحنبلى لأنه لم يكن فى الجيش الفاتح حنابلة . وتمثيل مذاهب مصر نفسه ، الحنفى والشافعى والمالكى ، يعنى ان الأمر هو التقاضى حسب المذاهب وليس الدعوة الى آل عثمان .

وقد قبل اهل السودان الحكم الجديد بحكم الواقع الذى فرضته قوة السلاح ولم يشعروا من ورائه الى ولاء للسلطان العثمانى وسموا النظام بمنطوق الواقع « التركية » نسبة الى العناصر الحاكمة فعلاً .

وبالتالى فان القول بخروج المهدى على السلطنة الاسلامية خطأ من الزاوية التاريخية لأن السودان لم يكن تحت ولايتها كما انه لم يكن الخارج المنفرد على السلطنة والخديوية .

وقد تعدل مفهوم العلاقة بين مصر والسودان فى نظر مؤرخى مصر عند تنامى الحركة الوطنية التحريرية فى الاربعينيات من التبعية الى السلطنة العثمانية الى وعاء وحدة وادى النيل والحكم المصرى الشرعى فى السودان . وقد اعتبر محمد فؤاد شكرى قيام المهدية خروجاً على الخديوية

---

(٧) نفسه ، ص١٩٦ .

التى هى فى اعتباره الحكم الشرعى فى السوادن . وقال فى موضع آخر ان السودان قبل الفتح المصرى كان أرضاً بغير حاكم شرعى وانه اصبح يتبع مصر بحق الفتح .

ومن الزاوية الدينية فان العلماء المعارضين للمهدى اعتبروا قيامه خروجاً على الامام واستدعوا النصوص الفقهية التى تحرم عليه ذلك وقالوا ان طاعته للسلطان العثمانى وعامله خديو مصر واجبة شرعاً. ولكن العلماء لم يوردوا مسوغات ولاية السلطان على السودان ولم يسوقوا الا آيات تأمر بالطاعة للرسول ولأولى الأمر ، ولم ينتقلوا من هذا الى ولى الأمر ومواصفاته وحقيقة تبعية السودان لوال اسلامى شرعى .

والمهدية اصلاً لا تعترف بولاية اسلامية شرعية بعد خلافة علىّ بن ابى طالب آخر الخلفاء الراشدين ، ويقول فى ذلك الخليفتان الحلو ومحمد شريف ومن شاركهما فى منشور وفاة المهدى وتخليف الخليفة عبد الله : « ثم صار الأمر (بعد الخلافة الراشدة) الى ما صار اليه وتفرقت الكلمة كما عطلت احكام الدين ، وهكذا الحال الى ان اظهر الله من محض فضله خليفة رسول الله الامام المهدى » (٨) ، اى ، فيما يخصنا هنا مباشرة ، لم تكن هناك ولاية شرعية بعد وفاة علىّ اولاً، وثانياً لم تكن هناك ولاية اسلامية بالمعنى عند قيام المهدى . وعن سقوط الولاية الشرعية يقول المهدى فى رسالته الى علماء مصر: « ان الخلافة ارتفعت بانتفاء شروطها من ازمنة متطاولة ولم يبق الا رسم اسماء وصور اجسام ما لها فى اقامة الدين من حاجة » (٩) .

وشروط الولاية هى اولاً المهمة وهى القيام باقامة الدين وثانياً الكيفية وهى ان يأتى الوالى ممثلاً للأمة ببيعة المسلمين عن قناعة ورضى وثالثاً ألا تكون قاعدتها اسرية او عائلية كما الحال بالنسبة للعهد الأموى والعباسى والدول المتعاقبة فى اصقاع العالم الاسلامى التى فرضت بالقوة من قبل فئات لها الشوكة. وعبارة الازمنة المتطاولة تعنى منذ الخلافة الراشدة ، اذ ليس بعدها حسب منطق المهدية ولاية شرعية تنطبق عليها الشروط . وعبارة «رسم اسماء» تعنى حكام المسلمين الذين قعدوا على مجالس الحكم من غير صفة حقيقية . وصور الأجسام هى وظائف الخلافة والامامة والسلطنة من غير وظيفة حقيقية . وكأن العبارة تردد قول الشاعر الاندلسى :

---

(٨) محررات الخليفة عبدالله ، المجلد الاول ، ص ٨٩ .

(٩) الآثار الكاملة ، مجلد ٥ ، رقم ٨٩٢ ، ص ٢٤٧ .

القاب مملكة فى غير موضعها   كالهر يحكى انتفاخاً صولة الأسد

هذه النظرة للولاية الاسلامية المفقودة بعد عليّ بن ابى طالب تجرى مجرى الذين يقولون ان الولاية بعد عليّ صارت ملكاً عضوضاً تقوم على مصلحة الحاكم لا على مراعاة حكم الله فى عباده .

والمهدية لا تعترف بولاية العثمانى لانتفاء شروط الولاية عنه، وقد خاطب الخليفة عبدالله للسلطان عبد الحميد بعبارات تنكر صفته الحاكمية ، قال : « ومع كونك تدعى انك سلطان الاسلام القائم بتاييد سنة خير الانام » (١٠) ، وقال ايضا : « وانت تزعم انك والى المسلمين الذاب عن حرم الدين » (١١) .

واذا كان انكار الامام محمد عبد الوهاب واتباعه للسلطان العثمانى قائما على أفضلية العربى على التركى من حيث القرب الى الاسلام وانكار زيدية اليمن على بعض السياسات التى لم تحظ بالرضاء فان انكار المهدية قائم على اساس دينى وهو انتفاء شروط الولاية .

وقد وصف المهدى حكم الترك بفقرة قوية حادة فى معرض توبيخ من عارضه فى السودان مع انه كان يقبل حكم الترك على ظلمه ، يقول : « فاذا تفكرتم فى انفسكم واعتبرتم ببصائركم رأيتم شاهد الحق فى ذلك كالشمس المضيئة فى كبد السماء خصوصا ما جرى على الترك ، فهو اكبر عبرة واعظم فكرة . وهو ان هولاء الترك لما بسط الله عليهم النعم ومد لهم فى العمر وطول العافية ظنوا ان الملك لهم والأمر بأيديهم وخالفوا امر رسله وانبيائه ومن امرهم بالاقتداء بهم وحكموا بغير ما انزل الله وغيروا شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسبوا لدين الله ووضعوا الجزية فى رقابكم مع ساير المسلمين ، وكل ذلك لم يامرهم به الله ولا رسوله ، ومع ذلك امهلهم الله وبسط عليهم النعم فلم يتفكروا فى ذلك حتى خذلهم الله وسلبهم ثوب الملك والهيبة بتعديهم حدود الله»(١٢). ويقول ايضا مخاطباً اهالى الريف والجهات البحرية اى اهالى مصر : «واخرجوا عن طاعة الافرنجية والاتراك جبابرة مصر الذين استعبدوا احراركم ونهبوا اموالكم وامتصوا

---

(١٠) شقير ، ص ٦٨٦ .

(١١) نفسه ، ص ٦٨٧ .

(١٢) الآثار الكاملة ، مجلد ١ رقم ٥٣ ، ص ١٨٠ ١٨١ .

دماكم وكسروا عظامكم وهتكوا استاركم واباحوا حرمكم فصار الحق لديهم طريدا وحيدا والباطل مشيداً عظيماً منيفاً» (١٣) .

ان فتح القسطنطينية من علامات المهدى المنتظر المتداولة وذلك باعتبارها قصبة دولة الروم . وقد أورد العلماء النصيون هذه العلامة حتى بعد ان تم فتح القسطنطينية واصبحت عاصمة السلطنة العثمانية الاسلامية ، بل ذهب بعض الجامدين على النصوص الى ان هذا يدل على ان النصارى سوف يستعيدون القسطنطينية فيعيد المهدى فتحها بالوجه المسرحى : ثلاث تكبيرات ويقع سور المدينة ويستولى المهدى . وكما تقدم فان المهدى انكر كل العلامات الواردة حول المهدى المنتظر . وبالتالى فان القسطنطينية لم تشكل للمهدى اهمية رغم انها عاصمة للسلطان الاسلامى. وعندما كتب لقيادات مصر - الخديو والعلماء والسكان - فانه لم يكتب للسلطان لأن تركيزه كان على فتح مصر . اما الخليفة عبدالله فقد كتب الى السلطان (١٤) فى اطار ما كتبه الى الحكام فى البلاد الاسلامية المجاورة . وكان عزمه على فتح القسطنطينية مجرد مد حكم المهدية اليها وفق برنامج فتوحاته لا لأنها علامة مهدية . وقد ابرز الخليفة فى مخاطبته للسطان مآخذ المهدية عليه .

المأخذ الاول على السلطان هو انه ابطل حكم الشرع واستن القوانين الوضعية بدلها انسياقاً مع موجة التشبه بأوربا ونظمها واطرها السياسية . وقد اورد هذا المأخذ ايضا الحسين زهراء واورده الحسن العبادى فى فقرة طويلة اتى فيها بجملة من اوجه التشبه .

والمأخذ الثانى تمكينه للنصارى من بلاد المسلمين مع علمه بعداوتهم للاسلام ، وفى ذلك يقول موبخاً : « وما كان يجب منك ان تتخذ الكافرين اولياء من دون الله وتركن الى موادتهم ومتابعتهم على ما يجلب عليك سخط الله . ألم تسمع قول الله تعالى: « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فهو منهم » بل «كذبت وعد الله حتى صرفت مجهودك فى اعانة اهل الاصنام على هدم اركان الاسلام » ، بل « فالعجب كل العجب .... تمكينك للاعداء من بلاد الاسلام مع علمك سعيهم فى اطفاء نور الله باشد اهتمام» .

والمأخذ الثالث انه لم يستجب لدعوة المهدية ، بل هو معرض عنها ، يقول : « ومع كونك تدعى

---

(١٣) الآثار الكاملة ، م ٣ رقم ٤٣٩ ، ص ٣٢٣ .

(١٤) رسالة الخليفة الى السلطان عبدالحميد ، شقير ، ص ٦٨٦-٦٩٠ .

انك سلطان الاسلام القائم بتأييد سنة خير الانام فمالك معرضاً عن اجابة داعى الله الى هذا الآن».

والمأخذ الرابع انه سمح لاتباعه بمحاربة المهدية « فمالك ... مقراً لرعيتك على محاربة حزب الله المؤمنين مع اهل الكفر والعدوان » .

وللمهدى موقف مماثل مع خديو مصر (١٥) . انه يقول له شارحاً الوضع الذى فيه الاسلام ورسالته : « ولا سبيل الى السلامة عند الله الا باتباع دينه واحياء سنة نبيه وامينه واماتة ما حدث من البدع والضلال والانابة اليه تعالى فى كل الاحوال . وقد تأكد ذلك فى هذا الزمان الذى عم الفساد فيه سائر البلدان ، فان دسائس اهل الكفر التى ادخلوها على اهل الاسلام وضلالاتهم التى مكنوها فى قلوب الانام قد افضت الى اندراس الدين وعطلت احكام الكتاب والسنة بيقين فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الانام وتراكمت الظلمات وانتشرت البدع وابيحت محارم الاسلام واشتد الكرب على اهل الايمان فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر لتراكم البغى والعدوان » ثم ينكر عليه ان يحاربه اعوانه دون نظر فى امره . لقد بادروا بالحرابة من غير روية ولا تثبت فى هذا الأمر الدينى . وها هنا اتفاق مع نظر احمد العوام ، اذ انه يأخذ على حكومة الترك المبادأة بالحرب بدلاً من النظر فى حجج المهدى ، بل انه يرى ان امر المهدى لا يخص الخديو بالذات بل يخص كل المسلمين ، وعليه فان المقتضى ان يحتكم الخديو الى العلماء الذين يدركون هذا الأمر . ثم كانت الطامة ، وهى انه عندما فشل فى الحرب سلم الأمر الى الانكليز : «الى ان قلت حيلتك وتلاشا امرك فسلمت امر امة محمد صلى الله عليه وسلم لاعداء الله الانكليز واحللت لهم دماءهم واموالهم واعراضهم فجاءت الانكليز بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم على غير الله فلما سول الشيطان لهم ادراك غردونهم بالخرطوم وايست من هداية اهله ..... الخ» ، « وما كان يحسن منك ان تتخذ الكافرين اولياء من دون الله وتستعين بهم على سفك دماء امة محمد» ، « وما هذه الطاعة لاعداء الله » ، « ونزه نفسك عن ان تكون فى اسر اعداء الله دائما ولا تهلك من كان معك من امة محمد واغسل ما جرى منك بدموع الندم ». والأمر بينهما : « فلو نور الله بصيرتك وخالفت النفس الامارة

---

(١٥) المهدى الى والى مصر ، الاثار الكاملة مجلده رقم ٨٦١ ،ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

بالسوء وقبلت هدينا هذا وانبت الى الله بنية خالصة فعليك امان الله ورسوله وامـاننا وما بيننا وبينك الا المحبة الخالصة لوجهه تعالى ونكون الجميع يداً واحدة على اقامة الدين واخراج اعداء الله من بلاد المسلمين وقطع دابرهم واستئصالهم من عند آخرهم».

والمهدى يخاطب علماء مصر (١٦) مؤاخذاً اياهم على سكوتهم على مفاسد حكام الترك حتى اغروهم وبالتالى شاركوا فى اماتة الدين وابطال شرع الله . يقول : « اسلم الخديو انفسهم ودينهم الى الكفرة وتصرفوا فيهم تصرف المالك وصرفوا وجوههم عن المنهج القويم وتمكنوا بذلك من مقاصدهم القاسية ورفعت لهم فى كل جهة من جهات المسلمين الوية الولاية » . ثم ان الحكام الذين يتولون عليهم ويقومون هم بخدمتهم معزولون بأسباب اماتة الدين وتمكين الكافرين حتى حكموا فيما بين المسلمين بالقوانين وضربوا صفحاً عن شريعة سيد المرسلين . والترك الذين هم فى طاعتهم وعونهم انحرفوا عن الحق وكان عليهم نبذ طاعتهم لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . والترك سعوا لاطفاء نور الله بمحاربته ، فهم يحاربون مشيئة الله التى ارسلته لهداية الخلق وانتشال الاسلام من وهدته . وهم لم يسألوه « برهانا على صحة هذه الدعوة العظيمة المقدار التى لا يقدم عليها احد بادئ الرأى من عنده » بل « قابلته بالمحاربة وتجييش الجيوش ورمى امة محمد بالقوائل (يقصد رسائل العلماء ضده) من غير استناد الى مسوغ شرعى » . والمهدى يشكو الى اهل مصر فى رسالته اليهم (١٧) تجييش الجيوش من قبل حكومة مصر ضده ثم يعاتبهم على عدم استجابتهم لدعوته .

وهكذا ننتهى الى انه لم تكن هناك صلة تبعية على السودان للسلطان العثمانى ، وان الادارة التركية كانت تحكم بحكم الواقع دون اقرار من قبل اهل السودان بولاية دينية ، وان المهدية لم تعترف اصلاً بولاية العثمانيين على المسلمين وبالتالى عليهم ، وان لها مآخذ خطيرة على السلطان عبد الحميد وعلى خديو مصر وكل المؤسسة العثمانية .

وقد وقف الحسن العبادى طويلا عند الولاية العثمانية والخديوية وانتهى الى نفى الشرعية عنهما وساق حججاً قوية تجوّز الخروج على السلطان والخديو وتوجب على المسلمين اختيار امير مسلم

(١٦) المهدى الى علماء مصر ، الآثار الكاملة مجلد ٥ رقم ٨٦٢ ، ص ٢٤٦-٢٥٠ .

(١٧) المهدى الى اهل مصر ، الآثار الكاملة مجلد ٥ رقم ٨٦٣ ، ص ٢٥١ -٢٥٣ .

مستوف لشروط الولاية ومؤهل لرفع حال الاسلام والمسلمين ودفع التغول الاوربى . وبذلك ينافح العلماء الذين حرموا محاربة المهدى للنظام العثمانى القائم ومن تحته الخديوية . واليك مختصراً لنقاطه :

١- ان الحكم العثماني حكم ظالم ، مفرط فى الظلم ، وهذا يجوز الخروج عليه ، وقد وصف ظلم الترك فى عبارات حادة ، منها : لا يختلف اثنان مسلمان عاقلان منصفان فى ظلمهم الذى هو الكفر بعينه او قريبا منه (١٨) . ومنها : ومن تتبع كتاب الله من اوله الى آخره آية آية واحاديث رسول الله من اولها الى آخرها حديثا حديثا لم يجدهم عاملين بآية واحدة او حديث واحد (١٩) . ومنها انه يراهم اسوأ من ابى جهل والحجاج ويزيد بن معاوية لأنهم : قد هتكوا فى الشريعة استارا ما هتكها هؤلاء وانتهكوا حرمات دين الله ما انتهكوا وظلموا حتى اهل القبور وجاروا حتى على السمك فى البحور (٢٠) . ومنها : اذا اطلقت العنان فى ذكر ظلم الترك ومخالفتهم لاحكام الله فى الرعية لضاقت عنه الطروس ولسئمت من ايراده نفائس النفوس . (٢١) . ومنها : لا يجوز لاحد من المسلمين ان يساعد الترك او يحارب معهم القائمين عليهم سواء كان القائم عليهم عدلا او ظالما للاتفاق على ظلم الترك وجورهم ، وقد افتى محمد عليش بجواز حرب الترك والخروج عن طاعتهم ووجوب محاربتهم مع العدل القائم عليهم وجوازها مع المسلم غيره (٢٢) . ونضيف هنا من عندنا لا من العبادى ان الشيخ الدرديرى افتى فى باب المحاربة من كتابه بجواز محاربة امراء مصر لأنهم يحاربون من اجل الجزية التى يضربونها على المسلمين .

٢- عدم قيام الحكم العثمانى بواجب المحافظة على دين الله كما هو منوط بمن يتولى امر المسلمين . فأهل المذاهب لو رأوا سلوك الترك « لحاربوا الترك لما يرونه بالمشاهدة وايضا من تغيير دين الله واحكامه وعدم احياء رسومه وشعائره » (٢٣) .

---

(١٨) العالم المجاهد ، ص ١٢٦ .
(١٩) نفسه ، ص ١٣٠.
(٢٠) نفسه ، ص ١٣١ .
(٢١) نفسه ، ص ١٣١ .
(٢٢) نفسه ، ص ١٣١ .
٢٣ـ) نفسه ، ص ١٣٢ .

٣- ضعف السلطان العثمانى امام التغول الاوربى حتى اصبح تحت اثره وبذلك انتفت قيادته للمسلمين وعلى ذلك اصبح واجباً على المسلمين لمواجهة موقفهم الضعيف ولدرء خطر التغول الاوربى ان يجعلوا عليهم اميراً مسلماً عادلاً مستوفياً لشروط الامامة وان يتحدوا حوله (٢٤) ، وهو هنا يتفق مع احمد العوام فى موقفه ازاء الولاية العثمانية والخديوية ووجوب اختيار وال اهل للمهمة . ثم « ولكن الله لطف بهم وارسل المهدى بأوصافه الكاملة وشروطه وبفضائل يقصر دونها الواصف مهما تقصى فتأكد الجهاد على المسلمين تحت رايته والتشدد فيه لوقف ضعف المسلمين وبناء قوتهم وبث عزمهم ودحر التغول الاوربى ، وهذا امر مقدم على كل عمل ونشاط وحتى على البحث عن المعايش .

٤- لم يصر للترك ولاية لأن الولاية اصبحت بيد الانكليز : يخشون من دول الكفرة الافرنجية ويقولون انا نحن مستندون لدولة الانكليز او الدولة الفلانية ويحتمون بهم ويترقبون النصرة من قبلهم ويعتمدون على قوتهم (٢٥) . ومنها « دولة الكفرة الانكليزية قد استولت فى الحقيقة على ولاية مصر وصار واليها وحاكمها سابقا صورة شخصية وانما تركوه فيها رسما ليتوصلوا به الى مقاصدهم ويؤلفوا به المسلمين على احكامهم الشيطانية » ثم : « وفى هذه الايام سلمت دولة الترك بلاد السودان الى الدولة الانكليزية ومن طرفها ارسلت الغردون احد جنرنالتها واليا على الديار السودانية وبحضوره بها قد اعلن كافة جهاته التى تصل اليها اوامره بأنه قد ترتب واليا على السودان من طرف بريطانيا التى هى عندهم ملكة الدولة الانكليزية وانه صار خديوياً عليها كوالى الديار المصرية ومع علم المنكرين بذلك انضموا عليه ودخلوا فى حمايته واستحكامه وتحزبوا معه وحاربوا الامة الاسلامية وبذلك انقطعت حجتهم بأنهم تحت بيعة سلطان مسلم بالقسطنطينية وفضحهم الله بعدم قيامهم مع المهدى وتبين انهم لم يقصدوا باعتراضاتهم وجه رب البرية بل لم يقصدوا الا اهويتهم (٢٦) .

٥- وازاء قولهم بأن المهدى لا يخرج الا عند موت خليفة كما فى الحديث ، وان الخليفة حى،

---

(٢٤) نفسه ، ص ١٢٥ .

(٢٥) نفسه ، ص ١٣٢ .

(٢٦) نفسه ، ص ١٣٣ .

فحياته تنافى وجود المهدية ، يقول : ان سلاطين زماننا من عثمانيين وغيرهم لا يطلق على واحد منهم خليفة شرعاً حتى يعترض ، لأن لفظ الخليفة لا يطلق شرعاً بعد الخلافة الراشدة على من تولى امور المسلمين لنص الحديث وانما يقال ملكا لقوله ملكا عضوداً ، او يقال له اماما لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش . لذلك فان العثمانيين وولاة مصر الآن لا امامة لهم لأنهم ليسوا من قريش بل من الترك الذين تركوا مع بقية يأجوج ومأجوج . ومن هنا علمت ان تولية غير القرشيين الآن للامامة العظمى تغلباً لا شرعاً . ومن آيات نبوهم عن الحق ان من يموت من سلاطينهم يرشح خلفه من اهله مع وجود الامناء الصادقين (٢٧) .

٦- اما خلافة الامام المهدى فقد انعقد عليها اجماع اهل الحق والكشف فلا يعتبر كلام من انكرها . وقد خرج عند موت خليفة وهو السلطان عبد العزيز لأنه لما خلعوه من خلافته ومات لم يبايع سلطان زمانهم هذا اهل الحل والعقد من العلماء العاملين والاولياء الصالحين والاعيان من العمد المتقين (٢٨) .

٧- وعند خروج المهدى قد تغلبت دولة الكفرة الانكليزية على ولاية مصر التى تابعة لها البلاد السودانية مع علم خليفتهم الذى بايعوه بالقسطنطينية وصارت لا تصل اليها احكامه الكلية والجزئية حتى يعترض ويقال فيه ان المهدى هذا قد خرج مع وجود خليفة .

٨- اذا ظهر المهدى حتى عند وجود سلطان عدل فيجب على هذا السلطان ان ينخلع عن الخلافة ويكون تحت امرة المهدى ، وان انكر وخالف صار ظالما كافراً تجب محاربته حتى ان كان الخارج على السلطان الظالم غير المهدى فيجب الخروج معه .

هذا مختصر لموقف العبادى من الولاية العثمانية. اما الحسين زهرا فلم يتطرق الى السلطان العثمانى ولا الخديو فى « الآيات البينات » لأن مهمته فى هذا الكتاب كانت البرهنة على مطابقة مهدية السودان لمهدية ابن عربى ، ولا فى رسائله وادبياته الاخرى ، الا فى تعقيبه على نصيحة العوام حيث لخص عبارة العوام بقوله : « قال فى الفصل الرابع فى شروط الامامة وذكرها ، وحكى فيما ذكره الاتفاق والنزاع حاصل فى بعضها بلا نزاع وشقاق . والخطب سهل . وقد ذكر فى هذا

---

(٢٧) نفسه ، ص ١٣٤ .

(٢٨) نفسه ، ص ١٣٧ .

الفصل منشأ دولة بنى عثمان واغتصابه المنصب عن اهله بالعتو والسلطان » . ثم قال : « اقول وبه يزول الاشكال الذى اورده اصحاب الضلال فى رسائلهم من انه لا يجوز ان تكون الخلافة الكبرى لاثنين ، لفقد شروط الخلافة فيما عدوه خليفة بلا ريب ومين . وقد تكامل رئيس ومميز علماء السودان فى الاستدلال على اثبات ذلك للخليفة الآن وذكر عبارة الجوائب مع انها لا يعيرها طرف اذنه الا غير ذى روية» (٢٩) . وقد جاء بذكر الجوائب ، وهى مجلة مشهورة عندئذ ، اشارة الى ما ذكره الشيخ الضرير فى رسالته عن تخليف الخليفة العثمانى المقصود بالوجه الشرعى .

وعدم شرعية الولاية العثمانية عند زهرا والعبادى واضح لأول وهلة لأنهما قد دمغا المؤسسة التركية الحاكمة بالكفر انسياقا مع خط المهدى .

اما احمد العوام فقد ذهب الى ان الخلافة الاسلامية انتهت بنهاية الدولة العباسية والى بطلان الخلافة العثمانية لأنها تفتقد الى الشرعية والخديوية لأنها فى عدم شرعيتها تلحق بالاصل الذى تحكم باسمه . وقد نادى باسقاطهما واختيار رأسين جديدين - السلطان وحاكم مصر - يكونان مؤهلين لتوحيد المسلمين ورد الاوربيين عن بلاد الاسلام . وانه لمن العجيب ان يتوافق العوام وكمال اتاتورك فى ان بنى عثمان اغتصبوا السلطة من اهلها بالقوة ، ولكن كلا منهما بوجهته ، فالعوام يقول بأهلها الشرعيين وهم فى نظره قريش ، واتاتورك يقول الشعب التركى ، الاول اتجاهه اسلامى والثانى اتجاهه تركى صرف .

المهدية عند المهدى :

يتضح لك مما تقدم ومما يأتى اختلاف العلماء والمتصوفة ومدعى المهدية ومؤيديهم ومعارضيهم فى تصورهم لماهية المهدى المنتظر وتعدد صوره ، ويبقى سؤالاً مشروعاً ونحن نبحث فى مهدية مهدى السودان ان نتساءل عن تصور محمد احمد نفسه للمهدى المنتظر . بالطبع هو يؤيد الفكرة كأمر دينى مسلم به ومن نافلة القول انه يسقط كل مدعى المهدية قبله ومن يدعيها مستقبلاً .

لقد خصص المهدى لفكرة المهدية فقرة فى مناشير الدعوة ، بيد انه لا يتعرض الى ماهية المهدى وانما يعنى بجوانب منها يحس انها تضعف مهديته فيوضح كيفيتها بحيث يبرهن على ان مهديته لا مطعن فيها .

---

(٢٩) عالم المهدية ، ص ١٩٨ .

ترد هذه الفقرة فى منشور الدعوة الأول وفى منشور الدعوة الثانى الموجه الى دفع الله بقوى وفى منشور الدعوة بالصيغة النهائية ، وفى منشور الدعوة الموجه الى قبائل شمال دارفور. وهى ترد بشكل معدل فى محرر المهدى الى الشيخ الضرير ومحرره الى محمد الامين الهندى (٣٠) . والفقرة فى المنشور الأول عبارة مختصرة ، ويلاحظ فيها ان المهدى لا يذكر عبارة ابن عربى واكتفى بقوله : « وفيما ذكر محى الدين العربى فى تفسيره فى هذا المعنى كفاية ». والمنشور الأخير يتفق مع الذى يسبقه الا فى مواضع قليلة ، وهو أصلاً نسخة منه . والفقرة فى المنشور الثالث هو النص الأكمل الذى انتهى اليه المهدى ، بيد انه يسقط عبارات مهمة وردت فى المنشور الثانى . ونحن نعتمد فيما يلى نص المنشور الثالث وننبه القارئ الى العبارات المهمة من المنشور الثانى. واليك النص :

«وقد اجتمع السلف والخلف فى تفويض العلم لله ، فعلمه سبحانه وتعالى لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين ، بل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ، قال تعالى « ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو، ولا يسأل عما يفعل ، ويخلق ما يشاء ويختار ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» .

وقد قال الشيخ محى الدين بن العربى فى تفسيره على القرآن العظيم : «علم المهدى كعلم الساعة والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة الا الله ». وقال الشيخ احمد بن ادريس : « كذبت فى المهدية اربعة عشرة نسخة من نسخ اهل الله ، ثم قال : يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونه .

وهذا لا يخفى عليكم ان التأليفات الواردة فى المهدى منها الآثار وكشف الاولياء وغير ذلك فيتخلف كل منهما كما علمت من انه : « يمحو الله ما يشاء » الآية . ومنها الاحاديث ، فمنها الضعيف والمقطوع والمنسوخ والموضوع ، بل الحديث الضعيف ينسخه الصحيح ، والصحيح ينسخ بعضه بعضا ، كما ان الآيات تنسخها الآيات . وحقيقة ذلك على ما هى عليها لا يعرفها الا اهل المشاهدة والبصائر» .

---

(٣٠) الآثار الكاملة ، مجلد ١ ، ارقام : ٢٠ ص ٩٢ ، ٢٢ ، ص ٩٧-١٨ ، ٣٧ ، ص ١٣٦ ، ٣٨ ، ص ١٤١ .

وكما ترى فاننا نقسم الفقرة الى ثلاثة اطراف ، وسوف نتبع فى تحليلنا نفس التقسيم .

نضيف الى الطرف الاول العبارات التالية من المنشور الثانى :

– ولا سيما ان علم العباد يقصر عن علم الله تعالى وجميع العلوم لا تزن فى علم الله نقطة ، بل لا علم فى الحقيقة .

– ولا يتوقف عطاؤه علي علم الخلق ، تعالى الله عن ذلك .

– والنبى صلى الله عليه وسلم لم يوقت ولم يعين بل قال : كذب الوقاتون . وقد علم جميع اهل البصائر علم قطع بأن الله يفعل ما يشاء ويختار ، وقد قال سيدنا الخضر لسيدنا موسى عليه السلام ما نقص علمى وعلمك من علم الله الا كما ينقص العصفور بنقرته من البحر . والنقل فى ذلك كثير .

ان الطرف الاول من الفقرة يتعلق بأمرين :

١- علم الله الواسع الذى لا يقارن به علم، وهو برئ من الاحكام والقواعد التى يضعها البشر .

٢ – قدرته فى الانشاء والخلق .

وهو ينتهى من هاتين النقطتين الى ان الله قادر على ان يرسل المهدي بالوجه الذى يريد وفى الوقت والمكان حسبما يشاء . وبذلك لا يجوز التمسك بصفة او مكان او زمان لظهور المهدى لأن هذا تقييد لمشيئة الله . وعطاؤه سبحانه وتعالى لا يقيد بعلم الخلق بحيث يكون فى شخص بصفات محددة . وبالتالى فلا قيود ولا اوصاف من العلماء تسقط مهديته . ثم ان النبى لم يحدد زمناً لظهور المهدى بل انه قال : كذب الوقاتون . ولا ندرى ان كان يعنى مكان الظهور بعبارة «لم يعين» ، ولكن الحديث المنسوب الى ام سلمة ، والمقدم على غيره من الاحاديث يقول بمولد المهدى فى المدينة وظهوره فى مكة .

وفى الطرف الثانى يستشهد بعبارتين من ابن عربى واحمد بن ادريس يدلل بهما على ان مكان وزمان ظهور المهدى غير محددين . ونحن نعود الى العبارتين فى مرحلة تالية .

وفى الطرف الثالث يصف التأليفات الواردة فى المهدى ، وهى الآثار ، وكشف الاولياء ، وغير ذلك ، والاحاديث . وقد وضح لنا بالمراجعة ان المقصود بعبارة «غير ذلك» هو كلام المتفننين ، ويعنى به فيما نحسب المؤلفين ، وهو يعتبر هؤلاء وضاعين . وهو لا يرفض الآثار الواردة ولا كشف الاولياء

ولكن هذان معرضان الى المحو من قبل الله ، فلا يعول عليهما . وموقف المهدى من الاحاديث الواردة فى المهدى المنتظر مهم ، لأن فكرة المهدى قائمة اصلاً على الاحاديث . وموقفه منها هو اولا قوله : ان المهدى قد وردت بظهوره آخر الزمان الاحاديث الصحيحة (٣١) . هكذا قطع فى هذه القضية الشائكة التى شغلت المؤيدين للمهدية والمعارضين لها على مدى العصور ، ولكنه لم يفصح عن هذه الاحاديث . غير انه من الجانب الآخر طعن فى اصالة الاحاديث الى تتحدث عن العلامات لأن مدلولها يتعارض مع قدرة الله تعالى . ثم ان الحديث الصحيح ينسخه الحديث الصحيح كما ان الآيات تنسخها الآيات . ثم هناك اختلاف الروايات وكشف الاولياء ، وعلم الله لا يكون على هذه الروايات الكثيرة ، بل يكون على حال يعلمها هو ويقصر دونها البشر .

وعلى ذلك فان عدم اتساق مهديته فى بعض امور مع ما يرويه المتحدثون عن المهدى لا يسقط مهديته .

وفى محرره الى الشيخ الضرير يقول ان العلماء لا يدركون معلومية عين المهدى وذلك بدليل اختلاف الاقوال التى يسوقونها ، فلو ان العلماء ادركوا ماهية المهدية لما ساقوا هذه الخلافات ، وان ما قرره الله فى ازله لا يكون موضع اختلاف ، ويقول : « ومما ينبيك بعدم معلومية عين المهدى للعلماء اختلاف الروايات وكثرة الاقوال عن اهل الكشف ، والمعلوم ان ما علمه فى ازله لا يكون على هذه الروايات الكثيرة » . ثم يذكر صفة احاديث المهدى وان الاحاديث تنسخ الاحاديث ، وذلك على وجه ما ذكر سابقا فى المنشورات . ثم يذكر ان ايمان المرء بالمهدية لا يكون بارادة الفرد وانما يكون بتوفيق الله وان حقيقة المهدية لا يدركها الا الاولياء الواصلون ، يقول « والتصديق بأمر المهدية صعب لا يتوفق له الا من ادركه الله بسابق سعادة لأنه لا يهدى الى معرفة حقيقته الا الأولياء العارفون الذين لم يحجبوا عن رؤية رسول الله » . والقول بعدم ادارك سر المهدية الا للأولياء العارفين قائم عند المهدى اصلاً ، وفى هذا يقول فى نهاية فقرة المهدية التى نقلناها وحللناها : « وحقيقة ذلك على ما هى عليها لا يعرفها الا اهل المشاهدة والبصائر» . ومثل هذا مألوف عند الصوفية فى اسرار درجاتهم وادبياتهم ، ويكفى هنا ان نستشهد بما قال محمد عثمان

(٣١) الآثار الكاملة ، مجلد ١ ، رقم ١٣٣، ص ٢٧٩ .

الميرغني الختم فى مبشرات الختم : قيل لى انه لم يقدر على معرفة حقيقتك احد من كبار الاولياء العارفين وكم عالج ذلك كثير من الاغواث وكبار الافراد فلم يعرفوا حقيقة ذلك واعظمهم معرفة بك محى الدين بن العربى – ولا احد منهم ادرك اسرار راتبك الا ابن العربى ، قال : قيل لى انك تعطى راتبا لم يقدر على قراءته احد غير النبى والمهدى .

ان المخاطبة فى محرر المهدى للضرير مخاطبة لعالم وليست للعامة ، ولذلك ركز على موقف العلماء .

وفى محرره الى محمد الامين الهندى يسلك نفس مسلكه مع الضرير ويخاطب عالماً ، وهو يركز على القول بأن الله لم يطلع احداً بكيفية ظهور المهدى وان أوصاف المهدي قد اختلفت ، ولا يكون هذا الاختلاف الا من المتحدثين الذين يختلقون الأمور ، يقول : « وان ظهور المهدية من الامور المكتومة التى لا يعلمها الا الله تعالى ، فلم يطلع على تعينها وتوقيتها احد من المخلوقين . كذلك اختلفت فيها الروايات الكثيرة من الاحاديث والآثار وكلام المتفننين وكشف الاولياء العارفين . ومعلوم ان علم الله تعالى لا يكون على هذه الروايات الكثيرة بل على الحالة التى ارادها الله سبحانه وتعالى. وان علم الله لا ينضبط بالقوانين ولا بعلوم المتفننين ، بل يمحو الله ما يشاء الخ» . وبعد ان يورد عبارتى ابن عربى وابن ادريس يختتم حواره بعبارة ذات مغزى فيما يريد من العلماء ورجال الدين من الصدق : « ولكن حبيبى قد شحنت كتب القوم فى بعض التفاسير ان خروج المهدى كقيام الساعة ، فكما ان الساعة تكشف حال المنافق والفاسق فكذلك ظهور المهدى يكشف حال من كان متظاهرا بالايمان من غير حقيقة فينفضح ويتضح نفاقه » .

دور الخليفة عبدالله فى ظهور المهدية :

والآن نأتى الى قضية مهمة ، بل بالغة الخطورة ، وهى ما يروج عن دور الخليفة عبدالله فى قيام المهدية . وخطورة القضية انها تمس اصالة المهدية ، بل وقد تنسفها اذا صحت ، فاذا كانت الفكرة من محمد احمد فان الامر ينسجم مع اقوال المهدى بأنه كلف بالمهدية واجلس على كرسيها على يد الرسول وتكون لمهديته اصالتها . اما اذا كانت موحية من عبدالله فان اصالة المهدية تكون لعبدالله وليست لمحمد احمد وبالتالى ينهار كل شئ ذكره المهدى عن مهديته .

وتقوم القضية على ركنين ، اولهما دور الخليفة ، وثانيهما ان الفكرة وافدة من مهدية دان فوديو وليست نابعة من السودان . الا ان الركن الأول بدأ برواية الزبير باشا لغرض فى نفسه وميل نعوم شقير الى نقل كل ما يصله من اخبار ، وقد اطمأن الى الزبير وسلم باقواله ونقلها دون نظر ، ولم يكن فى باله القول بالرافد الغربى للمهدية ، وقد روج لهذا الرافد الغربى مؤخراً مقال مشهور للاستاذين سابورى بيوباكو ومحمد احمد الحاج وعرضاه فى مؤتمر وعدة كتب ومقالات صدرت عن بعض ابناء الفولانى عن دور الفلاتة فى السودان ، وقد اعدت هذه الأدبيات باندفاع جهوى وجموح غلبا كل منطق وتجاوزا منهج التاريخ وانتهت الى عرض تاريخ السودان على غير وجهه الحقيقى ودور الفلاته بما لم يكن لهم . وقد كتبنا عدة مقالات فى جريدة الشارع السياسى نقدنا فيها هذا الاتجاه وبينا تجاوزاته .

وقد تقدم فى هذا الكتاب عرض مختصر لأفكار الشيخ دان فوديو عن المهدية ومحدوديتها بحيث لا تكون رافداً لحركة المهدى ذات القوام الكامل ونفينا اى اثر للشيخ عثمان وافكاره فى مجتمع السودان وبالتالى ألا صلة بين مهدية السودان وحركة فوديو وافكارها . وقد تقدم ايضا عرض لمدى انتشار فكرة المهدية فى السودان بحيث يكون ظهور مهدية فيه نابعاً محلياً بغير رافد خارجى .

ان كتابة التاريخ على نحو مسرحى هو الذى يأتى الى التاريخ بما ليس منه ، وهذا ما اوغل نعوم شقير وامثاله فى الخطأ . والنظر الجهوى فى التاريخ بدؤه ونهايته على هذا السبيل . لماذا نطلب اصالة مهدية محمد احمد عند غيره بالرغم من ان تطور حياته ونشاطه يرشحه الى ما ظهر به ، ولماذا نجعل هذه الاصالة فى رجل محدود التعليم ، ولا يتخيل له المرء تصوراً لهذا الامر وابعاده بينما المهدى هو الذى يقرأ ويطالع والمتمكن من الدين والنظر فيه ومن ثم الأقرب الى الفكرة واستدعائها. ولماذا الرافد من غرب افريقيا بينما انتشار فكرة المهدية فى السودان أقدم وأقوى .

وعن جد عبدالله قال الزبير باشا فيما روى لشقير انه من جهة الفترى بين ودّاى وبرنو ، ولكنه لم يحدد عرقه مع ان هذا كان مهماً ، اذ تتعدد الأعراق فى هذه المنطقة وتتنوع فى كل بلد ، ويمكنك ان ترجع فى هذا الى كتاب «رحلة الى ودّاى» للتونسى . وقال انه جاء الى دار التعايشة فى طريقه الى الحج ثم استقر بها . وهو لا يحدد ان القادم هو على الكرار بالذات ، اذ ينتقل الى

خطاب محمد كرقساوى وقبر الجد فى هجيليجة ، ويلاحظ هنا ان عثمان آدم سمى الجد آدم وكتب كُرقساوى على هذا الوجه ثم سار الخليفة عليه فى اول محرره ، الا انه فى آخره قال ان اسم الجد هو على الكرار وليس آدم .

وقد وقفنا على ثلاث مدونات للاسرة باريحية السيد عبدالرحمن الطيب الامير يعقوب ، وكلها تتفق على ان الجد القادم هو موسى بن محمد القطب الواوى المدفون فى القيروان بتونس وان هذا حفيد الشيخ عبدالجليل المدفون بصعيد مصر ، دون تحديد مكان ، ولكن المعروف ان الشيخ عبدالجليل مدفون بمدينة النَمَسا بالقرب من مدينة اسنا . وقد اسس موسى خلوة فى بلدة ام دافوق برهيد البردى ، والتحق بالمصاهرة بالتعايشة فى بطن ابوصرة بفرع الجبارات واسس اسرة كانت من هذا البطن بكل وجه . وكان لموسى ثلاثة اولاد : عثمان وقد انقطع عقبه، وعمر جد الامير عثمان آدم ، وعلى الكرار متسع الولد ، وكان أهم اولاده محمد واحمد ، اما محمد فوالد الخليفة ويعقوب ، واما احمد فوالد الامراء محمود وابراهيم الخليل وآخرين . ومن احفاده الامير احمد فضيل ، اذ هو ابن عمة الخليفة .

وعندما صار عبدالله خليفة للمهدى لم يستدع صفة اصله البعيد ، وكان اعوانه وامراؤه ومستشاروه من اسرته والمتصلين بها . وكان التعايشة هم المقدمون عنده ثم يأتى البقارة بعدهم ، ويلى هؤلاء من يليهم . ولم يبد الخليفة ايثاراً خاصاً للفلاتة ولا قال بنسبته اليهم . وظاهر من شكله الذى نراه وهو مسجى انه عربى التقاطيع . وقال نعوم شقير فى ذلك انه «عربى الملامح ... وبالاجمال فانه كان كثير الشبه بالمهدى بالقد والملامح الا انه أقصر قليلاً من المهدى واقل سمرة واضيق جبهة واصغر لحية (٣٢) . وقال فى وصف اخيه يعقوب: «مربوع القامه فاتح » (٣٣) .

وقد اشتهر ابن على الكرار اكثر من ابيه ، وهو محمد التقى فيما قال سلاطين ، او تور شين فيما اشتهر، او تور الشيل فيما قال الصادق المهدى . وكان له مقام كبير عند التعايشة ويؤخذ برأيه فى الحروب وعظائم الأمور للايمان بكشفه للأمور ويعتقد فى احجبته وعزائمه وادويته . وكان له اولاد اجتهد في تعليمهم ، وقد حصل يعقوب على ما اراد ، وهو مستشار عبدالله وعضده ومدبر

---

(٣٢) شقير ، ص ٨٩١ .

(٣٣) نفسه ، ص٨٩٤ .

اموره فى المهدية . اما عبدالله فكان عصياً نافراً عن التعليم ، ويجهد علمه ابوه ما يصلى به . وقيل ان يعقوباً قوى محصوله من التعليم بعد ان صعد فى المهدية . وكان لمحمد تلاميذ لازموه فى مقره ورافقوه فى هجرته شرقا واصبحوا عضد عبدالله فى المهدية ، منهم مساعد قيدوم الهبانى وحامد على واحمد على من قرابته وفضل المولى صابون اخ حمدان ابى عنجه (٣٤) .

وقد انتقلت الاسرة من دار التعايشة لخلافات اسرية وحلت بهجيليجة بدار الرزيقات ، وهنا مات على الكرار ودفن وبنيت القبة على قبره فى عهد الخليفة .

الى هذا الحد جرت الأمور على وجه عادى . ولكن الامر اخذ مجرى آخر عندما روى الزبير باشا مزاعمه لنعوم شقير (٣٥) فى القاهرة واخذها هذا على علاتها دون تبصر وأوردها فى تاريخه فاشتهرت ونقلها عنه المؤرخون دون تمحيص . وروى سلاطين مثله (٣٦) ، ولكنا لا نعلم هل اخذ عن الزبير مباشرة ام اخذ مما دونه شقير عن الزبير . واهمية هذه النقطة ترجع الى ان كتاب سلاطين نشر قبل تاريخ نعوم . .

قال الزبير بعد ان روى قصة على الكرار وابنه محمد ومركزهما الدينى بين التعايشة : عندما كبر محمد تورشين قام ابنه عبدالله مقامه فى صناعته ، اى كتابة الاحجبة والعزيمة وقراءة الاسماء وضرب الرمل ، وقد استدعاه الرزيقات واستخدموه ليقرأ لهم الاسماء فى خلوته لعلها تقبض على سلاحه فلا يطلق ناره فى ساحة الحرب ، وقد وقع اسيرا له فى حلة السروج بين شكا وداره فأمر بقتله ، ولكنه تراجع لاعتراض العلماء الذين ينزل على مشورتهم فى امور الدين . وبعد مدة اتصل به عبدالله وطلب ارضاً فى قيجة غرب الكلكة فأعطاه على ان يكف عما كان به من التدجيل ، فرضى - ولكنه بعد قليل كتب اليه وهو فى داره يقول : رأيت فى الحلم انك المهدى المنتظر وانى احد اتباعك فاخبرنى ان كنت مهدى الزمان لاتبعك !» فكتب اليه الزبير فى الجواب نفسه : استقم كما امرتك ، انا لست المهدى وانما انا جندى من جنود الله احارب من طغى وتمرد . ثم روى الزبير ما كان من امر هجرة الاسرة حتى استقرت بأبى ركبة ولحوق عبدالله بعد موت ابيه بالمهدى .

---

(٣٤) نفسه ، ص ٢٧٠ .

(٣٥) نفسه ، ص ٢٦٩ - ٢٧١ .

(٣٦) رودلف سلاطين ، السيف والنار فى السودان ، ص ٥٤ .

وقبل ان ندخل فى تحليل ما رواه الزبير نذكر اموراً :

اولها : انه ليست لما رواه الزبير صدى فى مرويات اسرة الخليفة ، وعندما روى الخليفة سيرته لسلاطين لم يذكر الزبير ولا اية واقعة بينهما. ولا ذكر لعبدالله من طرف الرزيقات .

ثانيها : انه لم يرو شئ على لسان على الكرار وابنه محمد عن المهدية حتى يقال ان فكرة المهدية وفدت من الغروب الى السودان بواسطتهما .

ثالثها : لماذا عنى الزبير بمتابعة قصة اسرة عبدالله ثم متابعة أمور عبدالله معه ثم ما وقع من بعد حتى لحق عبدالله بالمهدى . كيف تذكر عبدالله من بين مئات الرجال الذين تعامل معهم وكيف تذكر كل هذه التفاصيل . وكيف له ان يروى ما وقع بعده . الا تحس معنا انه جمع اخبار الاسرة وطبخ فى ثناياها ما كان من امر عبدالله معه .

رابعها : ان الزبير لم يرو قصة عبدالله فيما روى للصحفية الانجليزية .

وفى تحليل الرواية نقول :

اذا كبر محمد تورشين كيف قام عبدالله مقامه فى كتابة الاحجبة وما اليها فى وجود يعقوب الذى تعلم بينما احجم عبدالله عن التعليم . ولماذا لم يستدع الرزيقات محمداً نفسه لهذه المهمة وهو المعتقد فيه اصلاً . لا تقل لأن محمداً قد كبر ، لأنه بعد هذا تحمل عناء الرحلة من هنا الي ابى ركبة ، وكان عازما على المسير حتى مكة حاجاً والمدينة مقاما . فهل من يقوم بهذا كله ويتحمل وعثاء السفر لا يقوى على كتابة العزائم . ثم ان المهمة لا تستدعى المشاركة فى الحرب او التحرك من بلده ، فهو فى دار الرزيقات اصلاً ، والقراءة فيما قال الزبير فى خلوته اى دون ان يتحرك من بلده ، أليس امراً عجيباً ان يتجاوز الرزيقات محمداً المعتقد فيه وابنه يعقوب المتعلم ويختاروا عبدالله البعيد عن الصنعة ! ونتجاوز عن عدل الزبير فى الحكم ونزوله على رأى العلماء بعدم قتل عبدالله ، اذ هو مجرد نفخة ، ثم انظر متابعته لعبدالله ليترك التدجيل كأن عبدالله كان متفرغاً لذلك وكأنه هو كان محارباً للدجل .

ثم كيف تصور عبدالله ان الزبير هو المهدى المنتظر وماذا يعرف عبدالله عن هذا الأمر وعن الزبير نفسه. ان الزبير فى نظر اهل دارفور لم يكن الا تاجراً يسعى لتجارته وقد ساعهم ان يحارب

الزيقات ودولة الفور ويسقط سلطنتهم بعد الذى جاهدوا ودبروا لمقاومة التمدد المصري نحو بلادهم. ولم يكن البقارة سعداء بهزيمة الرزيقات امام هذا التاجر الوافد الجلابى في نظرهم . والزبير محارب وحسب وليس عالماً او ولياً يعتقد فيه ولم يعلن هو شيئاً من قبيل الدين ، وكل مطلبه كان فتح طريق التجارة وان يسلم سلطان الفور من استجاروا به من الرزيقات . كيف لامرئ ان يتصور ان هذا هو المهدى . واذ صور المروجون لدور عبدالله انه ادرك المهدى برؤيته فانا نتساءل عما رآه عبدالله فى الزبير من علامات المهدى : هل اسمه واسم ابيه يتطابقان مع اسم الرسول واسم ابيه ! وهل يشبه الزبير فى شكله الرسول ! وهل هو من سلالة الرسول . وهل كان عبدالله مدركاً حقيقة بأوصاف المهدى ومواصفاته ، ومن اين له ذلك . واذا كان كذلك كيف توسم ذلك فى تاجر محارب وحسب . وكيف الايمان بمهدية رجل لم يقل هو نفسه بمهديته .

ان الزبير قد طبخ هذه الطبخة ليظهر امام شقير كأنه الرجل العارف المدرك بالأمور ، والرجل الذى اعترض على الخليفة عندما بدر بمهديته ، بذلك يكون له السبق فى معارضة المهدية . ولاحظ انه روى روايته والخليفة فى اوج قوته فى السودان والخصومة نحوه محتدمة !

ومثل ذلك ما ادعى الشيخ محمد شريف نور الدايم ، فانه ذهب الى ان عبدالله جاءه قبل ان يذهب الى محمد احمد وقضى معه نحو عامين وقال له بمهديته وبوزارته له فاستنكر ما عرض وقال له ان لمحمد احمد مثل هذه الدعاوى فالحق به (٣٧) . ومن المقطوع به ان عبدالله لم يذهب الى الشيخ محمد شريف اصلاً ، ومن المقطوع به ايضا ان مهدية محمد احمد قد اعلنت بعد هذا التاريخ ، ولو كانت قبل هذا فلماذا يترك عبدالله من اعلن المهدية ويذهب الى الذى لم يعلن . والشيخ اصلاً يدعى ان خلافه مع محمد احمد وقع لادعائه المهدية ، وهو ادعاء باطل .

وهكذا ننتهى الى ان الزبير باشا ومحمد شريف قد اختلقا سعى عبدالله للمهدية عندهما ليظهرا امام المخابرات بمظهر المعارض للمهدية من بدايتها .

ورحلت اسرة محمد وحلت بأبى ركبة فى استضافة عساكر ابوكلام فى طريقها الى الاراضى المقدسة ، هنا توفى الشيخ .

هذه الرحلة يصورها بيوباكو والحاج كأنها رحلة عبدالله بأبيه واسرته ، ولكن الواقع ان محمداً

---

(٣٧) ابراهيم فوزي : السودان بين يدى غردون وكتشنر ، ج ١ ، ص ٧٥ .

هو الذى هاجر بأسرته وبمن فيهم عبدالله ، وانما قلبا الأمر لأنهما يريدان ان يجعلا لعبدالله مهمة عند محمد احمد وهى انه هو الذى بث فيه فكرة المهدية .

قالا ان محمد احمد لم يعلن مهديته حتى لقائه التاريخى بعبدالله . نقول : لنسلم بهذا بوجه المناقشة ، ولكن هل يمنع هذا ان يكون مضمراً وينتظر الموعد الذى ضربه للاعلان او الوقت المناسب ! وكيف يقال ان عبد الله صاحب الفكرة لمجرد ان المهدي اعلن المهدية بعد مجيئه . ما الذي يدعم هذا ؟ ولماذا لا تطرأ الفكرة على محمد احمد حتى ولو كان معه عبدالله !

قالا : قبل هذا اللقاء كان محمد احمد قد خلق بعض الشهرة بالصلاح والذى مهد له ان يكون رأس السمانية . نقول ان محمد احمد لم يصر رأس السمانية ، ويمكن ان يقال هذا عن فرع القرشى . فهذا خطأ تاريخى وقعا فيه ، وكيف يقال بعض الشهرة مع ان محمد احمد كان النجم الصاعد بين الشيوخ ، وقد اشتهر الى حد بعيد بطوافه المتواصل انحاء السودان وبخلافه مع محمد شريف وانتصاره عليه وبعلاقته بالقرشى وقيامه ببناء قبته . لقد قصد المؤلفان التعتيم على وهج محمد احمد بقصد املاء ما باتا عليه . ثم قالا : ولكن ليس هناك برهان على انه فكر فى طلب المهدية حتى اجتماعه بعبدالله . ونقول : وما البرهان علي انه لم يفكر في المهدية الا بعد هذا الاجتماع ! ثم لو كانت الفكرة فى رأسه وهو ينتظر موعده الا يسقط طلب البرهان على انه فكر فى المهدية . وقالا نقلا عن هولت : انه لم يمض وقت حتى اعلن محمد احمد عن المهدية ، وقد تبين سابقا ان بين مجئ عبدالله واعلان المهدية ما يقرب من ثلاث سنوات . وهما بعد هذه النتيجة التى توصلا اليها بالتحكم والافتراضات عادا الى الوراء ليقولا ان جد عبدالله جاء من منطقة النيجر - تشاد ، وفى هذا افتراض بأنه جاء بفكرة المهدية من موطنه ، مع انهما لم يقدما دليلاً على ذلك ، وقد قالا منطقة النيجر - تشاد بدل بلدة فترى المحددة فى رواية الزبير بغرض الحاق جد الخليفة ببلد الشيخ عثمان . وكيف يقال ان فكرة فودي عن المهدية كانت شائعة هنا فى بلد على الكرار وان علياً بالذات كان يحملها . وهل كل من يقدم من هناك يحمل هذه الجرثومة ، ولماذا لم يرو عن علىّ الكرار وابنه محمد اى كلام عن المهدية . وقالا عندما كبر محمد اخذ عبدالله مكانه ، وهذا ما استندا فيه على الزبير ، وقد سبق ان رفضنا ما ذهبا اليه ، وكما هو باين من قصة الرحلة فان

محمداً كان ممسكاً بزمام الاسرة ويقودها ويوجه عبدالله عند وفاته بالذهاب الى الشيخ المعنى ثم بالتوجه الى مكة والمدينة فينصاع هذا لما وجه . وهذا بخلاف عرض الاستاذين اللذين يجعلان عبدالله ولى الامر المتصرف فى شئون الاسرة . والعجيب انهما وصفا عبدالله بصفة ابيه ، اى اعتقاد الناس فيه والنزول على رأيه فى الأمور والخروج للصيد والحرب والايمان ببركته فى العلاج ! وقالا ان محمداً لم يمت الأ بعد ان أوصى ابنه عبدالله بالذهاب الى المهدى ومعاونته وانه توجه الى محمد احمد بهذا الغرض . محمد احمد لم يعلن مهديته بعد ، ولم يلتق به محمد وابنه عبدالله حتي يريا حاله . ومع هذا فان محمداً وابنه عبد الله فى قول الاستاذين قد ادركا مهديته وقبل ان يدركها محمد احمد نفسه ، وقد اطلع عبد الله هذا محمد احمد على المهدية فقام باعلانها . لاحظ ان مهدية محمد احمد جاءت بعد نحو ثلاث سنوات من لقاء عبد الله به ولم تكن بعد اللقاء مباشرة . ثم قالا : لذلك لا يمكننا ان نشك فى ان محمد احمد قام بالمهدية بعد ان اغراه عبدالله .

ان ما قام به الاستاذان قائم على الهوى ، وقد بنى على سلسلة من الافتراضات والتحكمات الواهية مع اختزال خطير للوقائع التى سبقت اعلان المهدية ، وانه لمن الغريب ان ينظر مؤرخان فى قيام المهدية بهذه النظرة السطحية .

وقال نعوم شقير ان محمد احمد انتهى الى المهدية واضمرها فى نفسه قبل مجئ عبدالله. وهذا يسقط قول الاستاذين بأن محمد احمد لم يفكر في المهدية الا بعد ان اسر بها اليه عبد الله . وقد وصف لقاءهما قائلاً : وبينما هو فى هذه الحال اذ وفد عليه عبدالله التعايشى المقدم ذكره فى تاريخ الزبير . قيل انه لما رآه وقع مغشيا عليه ولم يفق من غشيته الا بعد ساعة او اكثر ولما افاق عاد فنظر الى محمد احمد وتقدم لمصافحته فاغمى عليه مرة ثانية ثم افاق وتقدم الى محمد احمد حبواً على الارض فأخذ يده وشرع يقبلها وهو يرتعد ويبكى فقال له محمد احمد من انت يا رجل وما شأنك قال يا سيدى انا عبدالله بن محمد تورشين من قبيلة التعايشة البقارة وقد سمعت بصلاحك الى دار الغرب فجئت لاخذ الطريقة عنك. وكان لى اب صالح من اهل الكشف وقد قال لى قبل وفاته انك ستقابل المهدى وتكون وزيره . وقد اخبرنى بعلامات المهدى وصفاته فلما وقع نظرى عليك رايت فيك العلامات التى اخبرنى بها والدى بعينها فابتهج قلبى لرؤية مهدى الله وخليفة

رسوله ومن شدة الفرح الذى شملنى اصابنى الذى رايته . فاستبشر محمد احمد بهذا القول ورقص له قلبه لانه يرمى الى غرضه وبايع التعايشى وقربه (٣٨) .

أرأيت هذه المسرحية العجيبة . كيف يواجه عبدالله محمد احمد فى اول لقائه بهذا كله حتى وبموزارته له . وما هى العلامات والصفات التى تلقاها من ابيه ووجدها فى محمد احمد؟ على هذا لم تكن العلامات والصفات الا هيكل الرجل ووجهه . كيف لمحمد احمد واصحابه بهذا الرجل الذي وقع مغشياً عليه بأول لقائه ، أفلا يظنون انه منافق او مجنون ! . وكيف وقف المهدى فوقه اكثر من ساعة وهو مغشى عليه ثم كرر الوقوف عندما غشى عليه ثانياً وكيف صبر عليه الى آخر هذه المسرحية .

هذا من قبيل ما روى لنعوم فنقله فى تاريخه بغير روية . وانظر ان عبد الله لم يقل بأن اباه امره بالذهاب الي المهدي وانما الي الشيخ ليأخذ الطريقة .

لقد روى الخليفة فى ساعات الصفاء قصته على سلاطين ، وليس من سبب يدعونا الى الشك فيما نقله سلاطين عن الخليفة ، بل ان روايته طبيعية وبعيدة عن ظلال ما وقع بآخرة

قال سلاطين : « وقبل موته اوصى اكبر ابنائه عبدالله بأن يحتمى ببعض المشايخ ثم يهجر هو واخوته السودان الى مكة حيث يعيشون بقية حياتهم ولا يرجعون الى السودان» (٣٩) .

« وسافر عبدالله وترك اخوته طبقا لوصية ابيه فى عناية عساكر ابو كلام وسمع فى طريقه عن الشقاق بين محمد احمد وشيخ الطريقة السمانية التابع لها وعزم على ان يذهب الى محمد احمد وان يطلب منه الاذن بالاندماج فى طريقته» (٤٠) .

« وبلغت بعد الجهد المسلمية فوجدت المهدى مشغولا ببناء ضريح للشيخ القرشى ، فما ان رأيته حتى ذهب عنى كل ما عانيته من المشاق وقعدت راضيا اعاينه واسمع اقواله وتعاليمه وبقيت ساعات لا اجسر على فتح فمي امامه ثم تشجعت واخبرته بقصتى والحالة السيئة التى صار اليها اخوتى وعزمت عليه بالله والرسول الا ما ادخلنى فى طريقته . ففعل ومد اليّ يده فقبلتها

---

(٣٨) شقير ، ص٣٢٧ – ٣٢٨ .

(٣٩) سلاطين ، ص ٥٤ .

(٤٠) نفسه ، ص ٥٥ .

مشتاقا» (٤١) .

« ولما اقسمت يمين الولاء للمهدى احضر احد تلاميذه ويدعى على وقال له ولى : انتما منذ الآن اخوان فليود كل منكما الآخر وانت يا عبدالله اطع ما يأمرك به اخوك » (٤٢) .

وكان على يجاملنى وكان فقيرا مثلى وكان كلما ارسل اليه المهدى طعاما يشاركنى فيه فاصيب منه . وكنا فى النهار نحمل الطوب لبناء الضريح وفى الليل ننام على فراش واحد . وتم بناء القبة بعد شهر . وكان الزائرون يتوافدون على المهدى بالمئات فلم يكن لديه من الوقت ما يمكنه ان يرانى او يفكر فىّ ولكني كنت اعرف ان لى فى قلبه مكانة حتى انه جعلنى احد حملة البيارق » (٤٣) .

« ثم اكثر من زيارته لى وكان يأتينى كل يوم مرارا وباح لى يوما بسره وقال لى ان الله قد بعثه مهديا وان النبى قد اخذه الى حضرة الانبياء والرسل » (٤٤) .

وقد عقب سلاطين على ما رواه الخليفة بقوله : « ووجد المهدى فى شخص عبدالله اداة مطاوعة تقوم بما يطلبه منها » اى ان محمد احمد هو الذى استغل عبدالله لقضاء اموره .

هذا ما رواه سلاطين عن لسان الخليفة ، وليس هناك ما يدعو سلاطين للاختلاق هنا ، ولنا بعض تعليق على هذه الرواية :

قال ان الرجل قال لابنه قبل موته بأن يحتمى ببعض المشايخ ، وفى الاصل الانجليزى يقول بعض المشايخ فى النيل ، وفى ظننا ان المقصود هو محمد شريف ، والهدف هو اخذ الطريقة السمانية ، وهذا يخالف القول بالذهاب الى المهدى او البحث عن المهدى. اذ كيف يكون هدف محمد الهجرة باسرته الي مكة والمدينة ويكون في نفس الوقت البحث عن المهدى وطلب وزارته . ومما يؤكد ان المقصود هو محمد شريف ان عبدالله سمع عن الخلاف بين محمد احمد ومحمد شريف وما انتهى اليه فقرر الذهاب الى محمد احمد .

انظر صورة اللقاء حسبما روى عبدالله : هو لقاء طبيعى فى مثل هذه الحال ، وقد طلب عبدالله قبوله فى الطريقة ولم يأت بسيرة المهدية وكما يحصل عادة عند الشيوخ اوكل عليه رجلاً

---

(٤١) نفسه ، ص ٥٦ .

(٤٢) نفسه .

(٤٣) نفسه ، ص ٥٦ – ٥٧ .

(٤٤) نفسه ، ص ٥٨ .

وآخى بينهما وامر عبدالله بطاعته ، وهو امر يتسق بحال كل قادم جديد الى جماعة . وقد عينه من بعد حاملا للبيرق وهو امر يحتاج الى رجل قوى منضبط فى سيره ولكنه يدل على ان عين محمد احمد وقعت عليه بالرضا . ثم جاءه محمد احمد بخبر مهديته .

هذا ما رواه عبدالله بنفسه ، فكيف يقلب الأمر الى البحث عن المهدى والى انه اوعز لمحمد احمد بالمهدية .

ان عبدالله جاء الى محمد احمد يبغى الالتحاق بالطريقة كما فعل الكثيرون وانضم الى الجماعة بشكل عادى وقد ارتفع وصعد لاجتهاده واخلاصه وتفانيه . ان مجد عبد الله هو ما قام به اسهاماً فى بناء المهدية فى حياة المهدي وقيادته لها بعده .

الفصل السادس

مهدية السودان

من محمد احمد الى محمد المهدى :

ولد محمد احمد – مهدي المستقبل – فى اسرة دينية ذات شهرة فى احدى جزر الاشراف ، قيل جزيرة ضرار (١) وقيل جزيرة لبب (٢) ، على مبعدة جنوبى مدينة دنقلا . وكان للاسرة جد يدعى حاج شريف اشتهر بالتقوى والصلاح وعمر كثيراً وزاد من البريق الدينى للاسرة . وانت تدرك من عبارة «الاشراف» انه من المسلم به للاسرة اصلاً انها من سلالة الرسول ، وهذا يدحض القول بأن محمد احمد رفع نسبته الى الرسول بعد اعلانه المهدية . وقد ولد فى تاريخ مختلف فيه : قال نعوم شقير انه ١٢٥٨هـ/١٨٤٣(٣) ، وقال شبيكة انه ١٢٦٠هـ (٤) ، وقال على المهدى انه الاثنين ٢٧ رجب ١٢٦٠(٥) ، هكذا باسم اليوم وتاريخه والشهر والسنة ، وفى ذلك محاولة لجر المولد لمناسبة اسلامية مهمة . ويروى الرواة حول مولده اموراً من قبيل ما تخلقه العقلية الشعبية حول الابطال .

وكان ابوه نجاراً للمراكب والسواقى ، وقد هاجر باسرته جنوبا وطفله رضيع طلباً لمدد أوسع من الاشجار واستجابة لرواج صناعته فى اواسط السودان لتوسع النقل النهرى فى العهد التركى وفتح تجارة النيل الابيض. وبعد توقف فى جهات شندى سار جنوبا حتى استقر ببلدة كررى بشمال ام درمان . وهنا توفى الوالد اولاً ثم لحقت به الام وتركا اسرة تتكون من بنت واربعة ابناء . وكان لهم اقرباء سبقوهم فى الهجرة واستقروا بجهات الخرطوم والنيل الابيض ثم لحق بهم آخرون. وسوف ترحل اسرة محمد احمد واقرباؤه لنفس السبب الى الجزيرة ابا ، وقد دعم هؤلاء محمد احمد فى ثورته مستقبلا .

وبالانتقال بأسرته الى كررى فان والد محمد احمد قد جاء بابنه الى عتبة مسرح المجد فى وسط السودان الذى كان يموج بالتحرك وينبض فنشأ فيه وتفاعل ولم يكن عند تحركه للمهدية ذلك الفتى

---

(١) شقير ، ص ٣٢١.

(٢) د. مكى شبيكة ، السودان فى قرن ، ص ١٣٨ .

(٣) شقير ، ص ٣٢١ .

(٤) شبيكة ، نفسه ، ص ١٣٨ .

(٥) جهاد في سبيل الله ، ص ٢ .

الغريب القادم من بعيد .

ومن مفارقات التاريخ ان الدولة التى اقامها هذا الابن دارت وانتهت فى كررى هذه ذاتها بعد ان استمرت نحواً من ١٨ عاماً .

اخذ محمد احمد تعليمه الاولى فى خلاوى منطقة الخرطوم منتقلا من خلوة الى خلوة ، ثم التحق بمدرسة كترانج ذات الشهرة واخذ العلوم على يد الشيخ الامين الصويلح . ثم انتقل الى مدرسة الغبش بغربى بربر واخذ على الشيخ محمد الخير ، عامله مستقبلاً على عمالتى بربر ودنقلا . وكان اسمه اصلا محمد الضكير ثم عدله المهدى الى محمد الخير على عادة زعماء الطرق الذين كانوا يلقبون حوارييهم المقربين بصفات محببة ، وقد اكثر من ذلك محمد عثمان الميرغنى الختم بألقاب مثل : الصافى ، الصادق ، النصيح ، النقيب ، الابيض الخ ، والمهدى نفسه عدل اسماء ، مثل ابى شوك الى ابى شوق . وهنا فى بربر ظهر تدينه الشديد وتدققه فى السلوك حتى انه توقف عن تناول طعام شيخه باعتبار انه من جراية الحكومة عليه والتى هى فى حكمه من المال المغصوب من المسلمين بغير حق وحاول ان يعيش على السمك الذى يصطاده حلالاً من النهر ، ولكنه تعفف عن غش السمك بالطعم الذى جعله على صنارته ليوقع السمك به . وقد حظى بتقدير استاذه الذى اطعمه من محصول اراضيه ، كما حظى بتقدير زملائه ، وعندما قام بدعوته انضم اليه عدد منهم مدفوعين بهذا التقدير (٦) .

وقد ذكر على المهدى انه كان على وشك الذهاب الى الازهر قبل التحاقه بالغبش ، وانه لمن الحدس الذى لا طائل من ورائه ان نزعم له هذا الوجه من الحال او غيره فيما اذا تلقى فى الازهر ولكننا لا نركب شططاً لو قلنا انه لو عاش فى مصر لأدرك قوة مصر المادية ووراءها بريطانيا وادرك مدي تغول اوربا على العالم الاسلامي، ولأدرك ايضا حركات الاصلاح والتيارات السياسية والاجتماعية التى كانت تتحرك فى العالم الاسلامى . ان الجهل بالعالم الخارجى وعدم ادراك ما يدور فيه كان من أكبر نقاط الضعف فى المهدية .

وبعد ان نال ما اراد من العلم مال الى التأهيل الصوفى والتحق بالشيخ محمد شريف نور الدايم شيخ الطريقة السمانية . وقد اخلص فى التلقى كما اخلص فى السلوك ، بل غالى فى ذلك

(٦) انظر بعض هؤلاء فى الحركة الفكرية فى المهدية . ص ٢٨ .

حتى قام بالخدمة المنزلية . وكان الشيخ حفياً به . فلما كان عام ١٢٩٢هـ اعطاه الاجازة لتسليك المريدين وتخليف المؤهلين من المريدين . وقد اتخذ محمد احمد ختما يحمل هذا التاريخ ليمهر به اجازات التخليف ، وهذا يؤكد انه بلغ هذه الرتبة الصوفية والاجازة بها فى هذه السنة . وقد بلغتنا اجازة ممهورة بهذ الختم (٧) . وقد اجتهد محمد احمد فى خدمة الطريقة وعاون بحق فى تركيزها فى منطقة النيل الابيض ، بل هو الذى أغرى استاذه للانتقال الى هذه المنطقة .

هذه الدورة فى تلقى العلم والتسليك الصوفى كانت المتبع فى السودان ، وقد تلقى كل علماء السودان ، ما عدا القليل الذى تلقى فى الازهر ، علومهم وتأهيلهم الصوفى بهذا الوجه . وكان تحفيظ القرآن يتم على ايدى حفاظ مقتدرين متشددين ولا ينال اجازته الا من حفظ وجوّد الحفظ فعلاً . وكان يقوم بتدريس المواد العلمية اساتذة مؤهلون يدرسون بالمتون والشروح المعتمدة والمختصرات ، وكان لبعض هؤلاء متونهم وشروحهم ومختصراتهم الخاصة التى يملون منها على طلبتهم ، وقد بلغنا منها مؤلف فى علم التصوف وضعه اسماعيل صاحب الربابة ليدرس به مادة التصوف فى مدرسة ابيه بشرق كردفان ، وهو أقدم كتاب مدرسى بلغنا وصورة لمنهج هذه المادة فى مدارس السودان . ومن الغريب ان كتاب الطبقات لم يذكر له هذا الجانب العلمى وصوره مجنونا مأخوذا بالأنغام ، عصياً على كبار بلده ومفرطاً فى تصرفاته .

لقد تخرج من مدارس السودان بهذا المنهج الذى ذكرناه علماء افذاذ ، منهم محمد الامين الهندى الذى اشتهر بمؤلفاته فى علوم القرآن ، والامين صالح التويم الذى وضع رسائل جيدة فى التصوف (٨) والحسن سعد العبادى الذى وضع مؤلفه المشهور فى الولاية والمهدية، والامين الضرير رئيس ومميز علماء السودان وصاحب الرسالة المشهورة فى رفض مهدية محمد احمد، واسماعيل صاحب الربابة الذى ذكرنا مؤلفه فى التصوف ، واسماعيل عبدالله الولى مؤسس الطريقة الاسماعلية ومؤلف أسفار ، واحمد هاشم وابناه ابوالقاسم والطيب ، والمدثر ابراهيم كبير كتاب المهدى والخليفة .

عندما كان محمد احمد فى رحاب الشيخ كان الشيخ هو القدوة والمثال وملتمس القبول والرجاء

---

(٧) الاثار الكاملة ، مجلد١، رقم ١، صفحة ٤٧ – ٥٢ .

(٨) يعد الدكتور يحي محمد ابراهيم تحقيقا لرسائله للنشر .

والنجاة . وكانت التربية من عنده ، والهداية على يديه ، والتسليك بالطاعة له والرضاء منه ، وكان من حق الشيخ على مريده محمد احمد الطاعة الى أقصى مداها وان يحقر نفسه امامه فخدمه كما يفعل الخدم ، وقد رقد على عتبة قبة جده لتطأه أرجل الداخلين والخارجين اذلالاً للنفس ورفعا لمقام الشيخ . كان الشيخ هو كل شئ ، وكان هو بجانبه لا شئ ، وقد صور الصوفية هذا الحال للمريد بصورة الميت بين يدى غاسله يحركه كيف شاء . هذا سلطان على النفس لا سلطان مثله يزرعه التصوف فى نفس المريد وينشئه عليه . فلما نزل محمد احمد ميدان الحياة مسئولاً عن نفسه ومسلكاً غيره فى الطريق رأى الامور بغير ما كانت : رأى الدنيا على حقيقتها لا على ما فى الرباط الدينى من قداسة محضة .

رأى محمد احمد المجتمع الحى بخيره وشره ، بما للدنيا وللآخرة . وكانت تجربته الأولى فى حياته العملية عندما تزوج زواجه الاول من احدى قريباته . ارادت الزوجة ان يعمل الزوج وان يكسب مثل غيره وان يسعدها بالدنيا بينما اراد هو البعد عن الكسب والبقاء فى دائرة العبادة والطهر من الدنيا . وقد فشل الزواج وانتهى بالطلاق . وكانت التجربة الثانية عندما جرب التجارة ، وهى عمل موصى به دينيا ، وكانت مهنة الرسول عليه الصلاة والسلام . وعمل اولاً فى بيع حطب الحريق ، فلما ادرك ان البعض يشترى حطبه لعمل الخمور نفض يديه مستغفراً . وعمل ثانياً فى تجارة الحبوب مع زميل له ، ولكنهما اختلفا لأن محمد احمد كان يعف عن الكسب الواسع لما فى نفسه من قناعة من مغانم الدنيا والرضا بالقليل بينما كان صاحبه يسعى للكسب الوفير حسب اصول التجارة ، فتفارقا .

وبمرور الزمن والتعامل مع المجتمع اصبحت هيمنة الاستاذ تزول وتنمو فى نفسه جنينية القيادة الدينية . كان متفقهاً فى الدين ومتمكناً فى الفقه ، وكان فى مقدوره ان يفتى فيما يشغل الناس من امور الدين . وكان متمكناً فى التصوف ويرشد ويسلك . وكان عابداً يصلى كثيراً باقبال وخشوع ويصوم على التقى ، وكان بعيداً عن الدنيا وزخارفها ، مدققاً فى سلوكه ، ملتزماً بالاستقامة . وقد نمت سلفيته فأصبح شديد الانكار لكل تجاوز عن الدين ونقائه . وكان هو معتقداً فيه ويجله الناس ويتبركون به . وفى هذه الحال من التحول وقع الصدام بينه وبين استاذه محمد شريف . نحن لا نشغل انفسنا هنا بوقائع هذا الخلاف لأن ابعادها مذكورة لمن يريدها فى كتب التاريخ ولأن لنا

وقفة عند قصيدة الشيخ عن مهدية تلميذه فى موضع تال من هذا الكتاب ، وانما نريد ان نلفت نظر القارئ الى الشحنة السلفية العنيفة التى استنكر بها محمد احمد ما وقع فى حفل الختان الذى اقامه الاستاذ لابنه الجلال بالتوسع المنكر لأمثال محمد احمد فى الحفل والتجاوز عن اختلاط الرجال والنساء والطبل والرقص ، وقد شدد الشيخ فى مؤاخذة محمد احمد ، لأنه استكثر ان يستنكر عليه تلميذه فى امر حساس يجعله متجاوزاً عن جادة الدين ولاحساسه بصعود نجم محمد احمد وخطره على مقامه ، رفض توسله للعفو وسلط عليه من يضايقه وضيق عليه الخناق ثم شطبه من الطريقة . جاءه فى ثالث ايام عيد الفطر ووقف على مبعدة من مقره واستدعاه ، فلما جاء ، وبخه على توقفه منه وفصله من الطريقة ، فعل ذلك وهو راكب على حماره وانصرف (٩) . وكان تدبيره خاطئاً خاسراً لم يقدر الشيخ عواقبه ، اذ قبل الشيخ القرشى ذو المقام العالى فى الطريقة اعادته الى الطريقة لأنه فيما احتج به : مستحق ومنع المستحق ظلم ، ولأن مثل محمد احمد يكون معنا لا مع غيرنا ، ولأن الطريقة محبة لا جبر . وكان بين القرشى ومحمد شريف توقف ومنافسة . فهو اذ يقبل محمد احمد يسجل على محمد شريف نقطة ويكسب الى صفه رجلاً ذا مقام واتباع يزيد معسكره قوة . وقد سعى اخوة محمد شريف الذين دفعهم الى بغضه بصلفه وعلى رأسهم عبدالمحمود لدى الشيخ القرشى وأزروا قبوله . وكان عبدالمحمود من مريدى القرشى ومقرباً عنده . فلما علم محمد شريف بما تم خطا للتدارك ولكنه وقع فى خطأين كبيرين ، اولاً احتجاجه على القرشى بشأن قبوله محمد احمد الذى فصله وفشله فى زحزحته عن موقفه ، وثانياً عرضه على محمد احمد العفو ، ولكن هذا رفض عفوه متعالياً عليه بموقفه واستنكار تجاوزه عن السلوك الدينى القويم بالسماح بالطبل والرقص واختلاط الرجال والنساء وغضباً على اساءته له ولأهله وقبيله .

وفى كلمات قصيرة نصف هذا الحدث الذي لا مثيل له فى تاريخ التصوف فى السودان. لا بد ان الشيخ محمد شريف قد توجس من صعود محمد احمد وحاول ان يكبحه وزرع له بعضاً من اتباعه لمناوشته ، ولا بد انه استاء حقاً لنقد محمد احمد لوليمة الطهور الذى انتشر بين الناس ولم يتحمله من تابع له . وقد شق عليه ان يقبله الشيخ الآخر دون مراعاة له وان يرفض مريده العودة

---

(٩) اوراق على المهدى ، تحت الاعداد للنشر .

اليه متحدياً له حين سعى لذلك . ان أقسى ما يعانيه الشيخ وغصة الحنظل فى حلقه ان يقوى عليه حواره متصاعداً متحدياً . وقد كان الشيخ معتداً بأرومته وعلمه وفضله - وكل هذا صحيح - ومتعالياً بمقامه مترفعاً لا يصبر على من يدانيه او من يرد اشارته . هذه محنة الشيخ التي عبر عنها بقصيدته ودافع عنها باسلوبه العنيف . اما محمد احمد فقد ساءه مسلك شيخه نحوه واستنكاره ما بلغه من اعتبار المريدين وما زرعه له من اشواك وتعرضه لأهله محتقرا واستهوانه بأمره وشطبه من الطريقة كأنه المعطي والمانع . وقد كان ذلك تجسيداً لما اصبح يتجمع في قلبه مما رآه ممارساً . وكان ذلك بدء ثورته علي الموروث لموقع شيخ الطريقة ومؤاخذة محمد شريف بتعاليه وتقديمه الوظيفه وما يجبى اليه من مال على جادة الدين .

اردنا بما سبق ان نحلل واقعة تاريخية وحسب ، ولا يقلل ذلك من موقع محمد شريف الاجتماعى واستاذيته ، وبالقطع فان هذه الاستاذية هى التى دفعت محمد احمد للتسليك الصوفى على يديه . فلا يظنن القارئ ان فينا ميلاً !

كان انتصار محمد احمد على استاذه ذى المقام مدويا سمع به القريب والبعيد ومال الناس الى محمد احمد بأكثر مما كانوا من قبل . ويكفيك ان عبد الله - خليفة المهدى مستقبلاً - سمع عن الخلاف ودويه وهو فى الطريق وجعل قبلته محمد احمد . كان اول من رفع صوته فى وجه شيخه لغيرته على الدين وينتصر عليه . وقد اعتبر سلاطين ان هذا النصر دفع بمحمد احمد الى المهدية والثورة ، قال : ومما يعجب له الانسان انه لو لا شجار محمد احمد مع محمد شريف لما ارتفع شأنه . فانه اصبح ذا شهرة بعيدة فى جميع انحاء الجزيرة (اى القسم الواقع بين النيل الابيض والنيل الازرق) وصار يمنى نفسه بالمراكز العليا التى كتب له فى صحيفة القدر (١٠) .

لقد ولدت زعامة دينية جديدة ، لا بالوراثة والتخليف ، وانما بالصورة المثالية التى ظهر بها محمد احمد فى المجتمع وسار بها فى سبيله . وقد ظهرت بقعة دينية جديدة هى الجزيرة ابا ذات الموقع الممتاز بين الخرطوم واعالى النيل ونقطة تتوسط شرق كردفان والنيل الابيض وشمال الجزيرة . كان محمد احمد قد اقام هنا رباطاً للعبادة والدرس واجتمع عليه سكان الجزيرة وجاءه العربان للبركة والعهد . وقد اتخذ لنفسه غاراً للخلوة والعبادة الخالصة، وقام عنه فى مهام الرباط

(١٠) سلاطين ، ص ٥٨ .

اعوان خُلّص كان منهم على الحلو ، من قبيلة دغيم ، وكان حافظاً للقرآن ، مرتلاً له مجيداً، وقد صار من بعد الخليفة الثانى فى سلم مراتب المهدية وظل على ولائه حتى النهاية . وقد وقفت البواخرة الصاعدة الى الجنوب والهابطة منه لتحية الشيخ وتقديم الهدايا والتبرك . وها هى زعامته تتسع .

لقد اعاده القرشى الى الطريقة فى اواخر القعدة ١٢٩٣ هـ(١١) . ويفهم مما يروى انه بقى معه حتى عيد الاضحى وصلى بالناس العيد باشارة القرشى . وقد توثقت صلاته بالقرشى وارتفعت اسهمه بين اتباعه . ثم تعزز ذلك بزواجه من ابنته النعمة والتى ولدت له عليا . وكان هذا يصغر اخاه عبد الرحمن بقليل . وكان قوى التدين ، وقد عنى بتدوين اخبار المهدية من افواه المعاصرين ومن اخذوا منهم ، ومن هذا الذى جمعه جاء المختصر الذى نشر بعنوان «جهاد فى سبيل الله» .

ويروى عن الشيخ القرشى انه هيأ ذهن محمد احمد للمهدية او ذهن اتباعه بعبارات مثل : اديته بنتى وفرسى وانا موعود انه فرسى ده يركبه المهدى وشيختى واديته الاجازه (١٢) . ومثله الذى رواه عبد الله بثرو ، تلميذ القرشى ، فيما دون على المهدى ، بأن القرشى لم يعط محمد احمد اجازة السمانية وانما امانة المهدية (١٣) . ومثل هذه الأقوال التى ينقلها المؤرخون دون تحوط تؤدى الى كثير من التشويش ، وهى عند النظرة المدققة لا تخرج عن كونها موحاة مما وقع حقيقة فيما بعد .

ومن ظل الشيخ القرشى امتدت علاقات محمد احمد الى ظل آل البصير ، وهكذا توطدت صلته بالفريقين المنتمين الى اثنين من اهم من تلقوا الطريق على يد احمد الطيب البشير شيخ السمانية فى السودان وجد محمد شريف ، وكانت بينهما وبين محمد شريف منافسة وتوقف . فتقوى الفريقان بمحمد احمد فى وجه محمد شريف وتقوى بهما محمد احمد . وقد تعزز ذلك بمصاهرته لبيت البصير بزواجه من السرة بنت محمد ولد البصير (١٤) ، ولم يبلغنا انها اعقبت له ذرية .

وقد اخطأ شقير عندما اورد النعمة والسرة بين سرارى المهدى (١٥). كان زواج محمد احمد

---

(١١) اوراق على المهدى – رواية عبدالله بثرو .
(١٢) الحركة الفكرية ، ص٣١ .
(١٣) اوراق علي المهدي – رواية عبدالله بثرو .
(١٤) شقير ، ص ٦٠٨ .
(١٥) نفسه .

الاول من ابنة عمه فاطمة بنت حاج ، وقد طلقها كما قد تقدم . الا انه اعادها فيما بعد فولدت له ثلاث بنات تزوج الخليفة عبدالله احداهن وتزوج الخليفة الحلو اخرى . وكان الزواج الثانى من فاطمة بنت احمد شرفى ، وقد تزوجها فى الخرطوم وتوفيت فى قدير . وكان الزواج الثالث من فاطمة بنت حسين الحجازى والتى يرد طرف من تدابير العقد عليها فى الآثار الكاملة (١٦) . وقد ولدت للمهدى مريم التى تزوجها الخليفة عبدالله بعد فراق اختها كلتوم . وكما ترى فانهن كلهن بالتوافق المحض فواطم . وكان الرابع والخامس من النعمة والسرة . وهكذا كان فى ذمة محمد احمد عند زواج الاخيرتين اثنتان هما فاطمة بنت احمد شرفى وفاطمة بنت حسين وتصير النعمة والسرة فى اطار الأربعة المسموح بهن فى الشرع وتسقط دواعى التسرى فوق المسموح . وكيف ذلك اصلاً مع مقام آل القرشى والبصير ! ويلاحظ هنا ان الزواج الاول والثانى فى اطار اهله ، وذلك على العادة المتبعة ، وان الثالث من خارج الاهل فى اتجاه رابطة اجتماعية جديدة هى صلة الطريقة ، والرابع والخامس لتعزيز العلاقة بينه وبين بيتى القرشى والبصير .

كان أهم حادث فى حياة محمد احمد بعد خلافه مع محمد شريف حتى اعلان المهدية هو وفاة الشيخ القرشى ، وكان ذلك فى ٢٥ رجب ١٢٩٥ (١٧) . وقد جاء محمد احمد من ابا للعزاء ثم عاد . وفى اوائل العام التالى جاء باتباعه لبناء قبته، وقد كان ذلك عملا رفع من شأنه فى أعين الناس وجعله على الالسن كما انه رفع من قدر الشيخ نفسه ، كان ذلك بلغة ايامنا عملاً اعلامياً ضخماً. ولقد جاءه جمهور لمشاهدته والتبرك به والتبرك بالاسهام فى بناء قبة الشيخ الكبير، وكعادة اهل السودان ارسلت المؤن للمساعدة ، وقد وصف الخليفة عبدالله الذى انضم اليه هنا فيما رواه لسلاطين الوضع فقال : كان الزائرون يتوافدون على المهدى بالمئات .. ولما غادرنا المسلمية كان الناس يهرعون الينا لكى ينظروا المهدى ، وكانوا يسمونه فى ذلك الوقت باسم محمد احمد فقط ، وكانوا ينصتون الى اقواله ويرغبون فى بركته (١٨) .

وعادة يروى الناس حوادث محمد احمد فى هذه الفترة دون حساب الزمن ، وهذا يؤدى الى

---

(١٦) الآثار الكاملة . مجلد١، رقم ٤ . ص٥٦ .

(١٧) عبد المحمود نور الدايم ، ازاهير الرياض ، ص ٣٠٦ .

(١٨) سلاطين ، ص ٥٧ .

خلط وتشويش ، ولذلك لا بد من وقفة تنويرية هنا : كان حفل الختان فى ٢٥ رجب ١٢٩٣، وفصله محمد شريف من الطريقة فى الثالث من شوال واعاده القرشى الى الطريقة فى القعدة ، وتوفى القرشى فى ٢٥ رجب ١٢٩٥ . وجاء بناء القبة فى اوائل ١٢٩٦ . وهنا جاء عبدالله . واعلنت المهدية فى اول شعبان ١٢٩٨ . وهكذا تكون فترته مع القرشى نحو عامين ، وما بين مجئ عبدالله واعلان المهدية نحو اقل من ثلاث سنوات بشهور ، مع ان الذى يلوح لنا من الروايات ان محمد احمد اخذ بالمهدية بعد ان اسر بها اليه عبدالله فى المسلمية واقبل عليها على الفور . اننا نعالج صلة عبدالله هذه بقيام المهدية فى وقفة تالية .

لقد طاف محمد احمد انحاء السودان طولاً وعرضاً ورأى حياة الناس على حقيقتها . وقد انتهى من مشاهداته الى ان الفساد قد عم البلاد وان الظلم قد تفشى وان الناس بعدوا عن الاسلام حتى غدا اسماً والقرآن رسماً فيما قال (١٩) . بالطبع لم تكن الحال بهذا القدر من السوء ولكنه نظر بعين المسلم السلفى المتشدد . وعلى هذا المعلل قام بدعوته الاصلاحية ، وكانت سلمية هادئة قائمة على الاقناع والتأثير ، واتصل بشأنها بكل الوان الناس ، ولكن الجهات المؤسسة من المجتمع لم تستجب له وانما استجاب بعض الفقرا الذين وصفهم بأن موقعهم الاجتماعى لا يعتد به ولكن مقامهم عند الله كبير . وهذا مقتبس من حديث مشهور عن اهل المقامات العليا عند الله مع انهم فى الدنيا بلا شئ : رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك. وقد ظل هؤلاء يزيدون حتى قامت المهدية فكانوا نواتها الاولى .

اننا نجهل اموراً مهمة عن هذه الدعوة ، مثلاً : متى بدأت الدعوة ، وهل كانت قبل الخلاف مع محمد شريف ام بعده ، وهل كانت فى حياة القرشى ام بعد وفاته كما يميل اليه ظننا ، ومن الذين اتصل بهم بشأنها ، وما هى الحجج التى ساقها لهم ، وكيف برر دعوته ، وكيف كانت الاستجابة سلباً وايجابا .

ان خبر هذه الدعوة الاصلاحية واخفاقها يأخذ الفقرة الأولى من مناشير الدعوة مما يعنى اهميتها عند المهدى وتواصل المهدية عنده منها .

---

(١٩) الآثار الكاملة ، مجلد١ رقم ١١ص ٧٠ ، وانظر النص ادناه .

ان رسالته الى الضو بن سليمان قاضى فشودة (٢٠) قد تكون نوعاً من مخاطبته للذين قصدهم بدعوته . والضو من محس برى ، وهو جد الادارى المشهور احمد حسن الضو . وكانت الجزيرة ابا تابعة لفشودة ، وربما كان هذا مما قرب بين محمد احمد والضو . ومن فشودة هذه قام مديرها راشد ايمن بعزم القضاء على المهدى فى قدير ولكنه حصد الهزيمة المنكرة . وقد جاء ذكر الضو اميراً على راية المحس فى كسلا فى ١٣٠٦هـ ضمن امراء تحت موسى احمد البشير الخنفرى امير دار محارب (٢١) .

جاءت هذه الرسالة غير مؤرخة ، ولكن الظن الأقرب الى اليقين انها صدرت فى فترة الدعوة الاصلاحية لأننا لا نشم فيها رائحة المهدية . وهى مكونة من طرفين ، طرف بخصوص احد اتباعه الذى يطلب له المساعدة للفصل من الخدمة العسكرية وطرف فى النصح . وقد الغى معدو جزء الانذارات الطرف الاول لأنهم شاءوا ابعاد الخاص وعرض العام فقط . يقول محمد احمد: «فكامل الوصايا لى ولك بتقوى الله العظيم الذى اوصى الله بها كافة الامم» وقد علمت ، يا حبيبى، ان الدنيا سريعة الانقضاء وكل ما فيها مصحوب بكشفة الفناء والفراق ومخلوط بماء الندامة – الا ما كان منها لله .

ولا يخفى عزيز علمك ان من اتقى الله فى نفسه ومعاملته مع خلق الله جعل الله له مخرجا من جميع الشدائد ورزقه من حيث لا يحتسب حلالا طيبا ، كما قال : ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومعلومك ان من تورع لا يفوته رزقه المقسوم له بل وجب اكرامه من الله تفضلا منه ، ومن لم يتورع لم يزد على رزقه المقسوم له انما اوجب على نفسه المقت من الله فقط ! وورد من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد . ولو لا يوم القيامة لكان غير ما ترون . فما دام ان وراءنا الوقوف بين يدى الله والحساب على كل شئ فالمؤمن يترك لذلك غيظه ومراد نفسه فى كل شئ خشية من ربه الذى لا محالة له عنه ولا يشفع عنده الا باذنه ، وهو المالك الذى لا يعارضه احد. فالشفيق على نفسه العالم بخالقية ربه وولايته عليه لم يتعد حدوده » .

وبين ايدينا جملة من محررات محمد احمد فى النصف الثانى من ١٢٩٧ وهو ينتقل من الداعية

(٢٠) نفسه ، رقم ٦ ص ٥٨ – ٦٠ .

(٢١) عثمان دقنه الى الخليفة ، محررات الامير عثمان دقنة رقم ١٨٩ و١٩٣ فى ٢٦ رجب ١٣٠٦ / ١٨ مارس ١٨٩٠ .

الى المهدية ، ويحسن بنا استعراضها لتقريب الحال الى القارئ :

(١) محرر الى الحاجة آمنة بنت الفقه محمد نور وعثمان الحاج صالح واولاده واهل بيته ، فى ١٢رجب ١٢٩٧هـ (٢٢) :

محتوى المحرر : يشير الى مكاتباته السابقة بدعوتهم ثم يكرر دعوتهم ويطلب حضورهم فى رمضان مع الشيخ عثمان الحاج حيث ان الرسول قد امر باجتماعهم فى شوال .

ومما يقول : «ادعيكم واندبكم الا تتعطلوا عنا ، فان من معنا بفضل الله لا تحصل عليه كرب الزمان . وقد بشرنا النبى صلى الله عليه وسلم بحراسة الملائكة لنا وانه صلى الله عليه وسلم يكون بنفسه معنا. والمحل الذى اشار لنا فيه صلى الله عليه وسلم فيه صلاح عيش الدارين وطيب المزارع وحفظ من الاعداء ان شاء الله تعالى . وذلك كله بالاخبار الصادقة لا شك فيه » .

ويقول : « وخصوصاً يا احبابى انى محسن الظن فيكم واهلكم من الغير وجاعلكم من احبابى ومن بين هيكلى وجسمى . فلازم لو كان ما يأتى احداً لا تتخلفوا عنا انتم ومن معكم ومن هداه الله» .

ويقول : «فلا تسمعوا قول الناس فانهم لا يعلمون شيئا واسمعوا قولى».

ويقول : « وقد حصلت لنا بشائر واوامر من حضرة سيد الوجود عليه الصلاة والسلام ، وفضلا عن ذلك انه لا حياة للعبد الا فى الدين الخالص ، وان عدم العبد ذلك فعيشه وحياته حسرة عليه» .

تعليق : يبدو ان هؤلاء من قرابته كما يبدو ان لآمنة هذه مكانة حتى يخاطبها محمد احمد . وظاهر انه يحاول الطمأنة من عواقب الهجرة وما قد يواجه المهاجرين من المخاطر والمصاعب .

(٢) محرر الى الشيخ سليمان واهله واحبابه الكرام والاخوان والاولاد كلا بالتمام ، فى ١٤ رجب ١٢٩٧هـ (٢٣) .

محتوى المحرر : يشير الى وعده بالاجتماع معه فى نصف شوال ويطلب منه ان يلحق به فى جديد فى نفس الميعاد او ان يسبقه الى ابى دوم وان يكاتب موسى (الاحمر) والشيخ منا وغيرهما. يفيده بحضور محمد الطيب البصير ومعه عدد من مشايخ وعمد الحلاوين ودخولهم فى العهد

(٢٢) الآثار الكاملة ، مجلد ١ ، رقم ٨ ، ص ٦٣ – ٦٤ .

(٢٣) نفسه ، رقم ٩ ، ص ٦٥–٦٦ .

المعلوم .

ومما يقول : « وبلغ سلامى الى المشايخ الذين يستجيبون لله ورسوله كالشيخ حماد وغيره » .

تعليق : حماد هذا غير معروف لدينا ، وكذلك الشيخ بابكر المذكور معه والشيخ سليمان نفسه . ولكن ظاهر من ذكره للشيخ المنا وموسى الاحمر ان الشيخ سليمان من شرق كردفان بجهات الجوامعة .

(٣) الى الشيخ ابراهيم محمود ومحمد اخيه ومحمد ابراهيم وأدم ادريس ، فى ٤ القعدة ١٢٩٧هـ (٢٤) .

محتوى المحرر : يشير الى دعوته ويطلب منهم الحضور سريعا بالأهل والجماعة والاخوان وكل من له محبة فى الدين .

(٤) الى عبدالفتاح بن الفقيه عبدالله فى ٢٧/٣ القعدة ١٢٩٧هـ (٢٥) .

محتوى المحرر : يذكر ان الدين قد تدهور وان البدع عمت وتطابق عليها العلماء والعباد وانه لم يجد من اهل الدين من يعاونه . ويذكر ان الاذن قد جاء للقيام لاحياء الدين وانه كاتب الناس ثم يطلب منه ان ينضم الى حركته ، ويخبره بأنه يحتفظ بأسرار كثيرة لا يبوح بها ويطلب منه الا يكشف ما يبلغه الا لمن هو تابع له واهل للسر .

ومما يقول : « وانت من اكبر المهتمين بأمر الديانة» .

ويقول : « وحيث عمت البدع فى البلاد وتطابقت عليها العلماء والعباد وانطوى بذلك نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين العباد وما وجدنا من اهل الدين من يعاوننا على احياء الاسلام فى المسلمين ولا زلنا فى ذلك متحيرين حتى اتى الاذن لنا باحياء الدين فى المسلمين ».

ويقول : « وحيث انه ما بقى من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه حصلت الغيرة وغيرة المؤمن على حرم الله أكبر من غيرته لحرمه ، وقد فر بدينه الاصفياء ».

ويقول : « وانه سيدى ورد فى ذلك واردات واسرار لا يجوز بثها الا بالحضرة ولكن سيدى ان هذا الامر لا يتخلف منه من هو صحيح الايمان» .

---

(٢٤) نفسه ، رقم ١٠ ص ٦٧ .

(٢٥) نفسه ، رقم ١١ ، ص ٦٨ – ٧٠ .

ويقول : « وهذا سر لا تبيحه الا لمن يك تابعا لك فانه فيه سر ووراءه اشارات ومثلك لا يحوج الى كثرة العبارة » .

تعليق : ظاهر من عبارات التوجيه ومن عبارة « سيدى» ان عبدالفتاح ابن شيخ وانه عالى المكان وله اتباع . وقد حاول بعض الجامعين اسقاط عبارة « سيدى» لأن اثباتها على ما كانت فى الاصل الذى صدر قبل المهدية لا ينسجم بعد ان صار محمد احمد مهدياً وصار هو السيد الأعلى . وظاهر ايضا من عبارة « وحيث ابقاك الله الى الآن » انه متقدم فى السن . وعبارة «وانت من المهتمين بأمر الديانة » تضعه فى مكانٍ عالٍ .

(٥) الى محمد الطيب البصير فى القعدة ١٢٩٧هـ (٢٦) .

محتوى المحرر : يشير الى امر دعوته ، وضرورة كتمان سره حتى يحين وقته ، ثم يخطره بأنه يستعد لبدء الحركة وانه امر اتباعه بترك اشغالهم استعداداً لبداية الحركة ، يخطره بنزول الدعوة وتاكيدها ويعلمه ببعض البشائر التى وعد بها .

تعليق : يبين هذا المحرر وضع محمد الطيب البصير فى بناء المهدية . وقد سبق البيان فى محرره الى الشيخ سليمان فى ١٤ رجب ان محمد الطيب ومعه عدد من مشايخ وعمد الحلاوين حضروا الى محمد احمد ودخلوا فى «العهد المعلوم» . ومما يعزز هذا ان المهدى وجه اليه وصف حضرة التنصيب والذى نتعرض له فى موضعٍ تالٍ .

وبما ان هذا المحرر يظهر روح المهدية وموجه لرجل يتبنى المهدية فاننا نقتطف منه كثيراً، يقول: « ان الامر الذى نحن عليه لا بد من دخول جميع المومنين فيه وذلك مما ورد فى حقائق غيبية واوامر الهية واوامر نبوية اوجبت لنا مهمات صرنا مشغولين بها وهى التى منعتنا عن الوصول اليكم ولو لا امر شديد ما كنا نمتنع من الوصول اليكم ، وفى ذلك كله ابتداء واسطة ابونا الشيخ القرشى واشارة من جدنا الشيخ البصير الذى لا يمكن للمريد تعدى اوامرهما» .

ويقول : « وثم تواترت الانوار والبشائر والاسرار والاوامر النبوية والهواتف الالهية باشارات وبشارات عظيمة . وقد كتبت الى حضرتكم المكرمة على المبادى قبل التاكيد الكلى والامر الاعلى ، وها هو قد حصل» . ويقول : « وكل ذلك تلويحات لا تباح ، هذا مما يكتم وجوبا ولا يطلع عليه الا

(٢٦) نفسه ، رقم ١٢ ، ص ٧١ – ٧٢ .

انت حتى يظهر الله الامر» . ويقول : « والاوامر اخذت بالخناق الى محل التاييد والتمهيد لاحياء الدين وصرنا مشغولين بهذا الحال» . ويقول : « والامر الذى ذكرت لنا لما تحضر نتذاكر فى امره وما لنا من نوثره عليكم الا بحسب القضاء الالهى» .

(٦) الى الشيخ سليمان فى ١٣ الحجة ١٢٩٧هـ (٢٧) .

محتوى المحرر : يطلب حضوره الى ابا فى اول محرم حسب الوعد باخوانه والمحبين ويؤكد عليه ذلك . ومما يقول : « نسبة لشكوى الاخوان لما بين ايديهم اتفق راى الجميع على انه الى تمام شهر الحجة يقضوا شغلاتهم ويجتمعوا للسفر اول يوم من محرم ، ولذلك وجب ان يرسل له ليصل فى اول الشهر المذكور» .

هذه المحررات تبين ان محمد احمد قد انتقل من مرحلة الداعى الاصلاحى الى مرحلة المهدية فى اواسط ١٢٩٧هـ ، وقد ظل ينظم ويرتب حتى اعلن عن تنصيبه بصفة نهائية على يد الرسول فى اول شعبان ١٢٩٨هـ وفق ما وصف فى خطابه الى محمد الطيب البصير اى بعد أكثر من سنة من صدور هذه المحررات . وهى تبين ان محمد الطيب البصير لعب دوراً مهما فى ايام الاعداد للمهدية.

مساند المهدية :

نعرض فيما يلى تحليلاً للوثائق الاساسية التى ذكر فيها المهدى مساند مهديته :

(أ) حضرة التنصيب :

فى رسالة الى محمد الطيب البصير وصف المهدى الحضرة التى نصب فيها مهدياً على يد الرسول ومحضر عدد من الاولياء فى ليلة غرة شعبان ١٢٩٨هـ/ ٣٠ يونيو ١٨٨١م ، وهى الحضرة التى يتخذها مسنداً لمهديته ، وبالتالى تأخذ اهمية عقدية بالغة .

يحضر هذه الحضرة النبى ، و هو الذى يقرر مهديته، والخضر وعزرائيل وعبدالقادر الجيلانى ، وهم شخصيات رمزية تكيف اموراً معينة ، والشيخ الطيب وهو احمد الطيب البشير شيخ السمانية بالسودان ، والشيخ البصير وهو احمد البصير عبدالرازق الحلاوى جد محمد الطيب البصير الذى يكتب له ، والشيخ التوم وهو محمد التوم بانقا اليعقوبابى، والشيخ القرشى وهو

(٢٧) نفسه ، رقم ١٣. ص ٧٣-٧٤ .

القرشى ود الزين بن الفقه على البزعى شيخ المهدى فى اواخر عمره . والبصير والتوم والقرشى هم اكبر اتباع احمد الطيب ، وكان كل منهم يحتل مركزا مهما ويقود جناحا من السمانية بجانب الجناح الرئيسى فى اسرة احمد الطيب الذى يقوده محمد شريف نور الدائم واجنحة اخرى يقودها بعض اقربائه . ويحضر من جماعة المهدى اثنان هما الفقه عيسى والشيخ عبدالله ، وهما يثيران الامور ويتلقيان التوجيه والارشاد . ويصف المهدى الأول بعبارة « محبنا الفقه » ولكننا لم نتمكن من تحديد شخصيته ، وظاهر انه من الشخصيات التى افلت فى بواكير ايام المهدية ، غالبا بموته المبكر ، اما الثانى فهو الخليفة عبدالله الساعد الايمن للمهدى فى حياته وخليفته من بعده .

ويلاحظ ان شيوخ الحضرة - باستثناء عيسى وعبد الله - هم مؤسسو الطريقة السمانية فى السودان : احمد الطيب وكبار خلفائه الثلاثة البصير والقرشى والتوم ، ليس بينهم شيخ من طريقة اخرى ولا احد من الجيل الثانى من قيادة السمانية الذين انتشرت بينهم الخلافات . فالمشهد مشهد سمانى اولاً ، ومشهد يجمع كل السمانية ثانيا بعيداً عن التفرعات التالية ، وهو ثالثا موجه الى اتباع السمانية الذين يركز المهدى دعوته بينهم ويعشم ان يكونوا عونه وعصب حركته .

وتقع الحضرة فى ثلاثة مشاهد :

فى المشهد الأول تتقرر مهدية المهدى وتكفير المخالفين له وقوة الارادة الكامنة فى دعوته . الاول والثانى واضحان ، واما الثالث فهو ما تعنيه عبارة : «والله والله والله ان قوى يقينكم ان اشرتم بأدنى قشة تنقضى حاجتكم» التى تجئ فى الحضرة نفسها للتطمين بقوة المهدية . والشخص الذى يقوم بالدور الرئيسى فى هذا المشهد هو النبى ، فهو الذى يقرر هذه الأمور ويعلنها. وهو يقرر المهدية من تلقاء نفسه لأنها القضية الرئيسية فى المهدية التى تثبتها الحضرة ، اما الأمران الآخران فيقررهما استجابة لاثارة الفقه عيسى ، بمعنى انهما يترتبان على قيام المهدية وما تواجه من المعارضة والمناوأة .

ومنظر المشهد سريع وقصير : يظهر المهدى والفقه عيسى ، ثم يدخل عليهما النبى ويبدأ بابلاغ الفقه عيسى بمهدية شيخه ، ثم يتوالى الأمران الآخران : التكفير وقوة المهدية المعنوية الكاسحة لمن

يعارضها . وعند ما ينتهي المشهد يخرج النبي .

والمشهد الثاني يؤكد مهديته ويبين اسسها ومعالمها والسلوك الذي يتبعه المهدي واصحابه . ويبدأ المشهد بمداخلة الشيخ الطيب وينتهي بانتهاء دور القرشي . والشخصيات التي تقوم بالادوار هي الشيخ احمد الطيب البشير والشيخ القرشي والشيخ البصير والشيخ التوم ، وهم القيادة التاريخية للسمانية ، وكل منهم يقوم بدوره حسب مقامه . فالشيخ احمد الطيب ، وهو أعلاهم مقاماً بصفته استاذ الجميع ، هو الذي يقرر الاسس الرئيسية التي تقوم عليها المهدية وبعض امورها المهمة ، وهو يجيب على اسئلة الآخرين وفي وضع يستشهد بأقواله . وهو يحضر الحضرة من اولها الى آخرها . ويليه في المقام والدور الشيخ القرشي لأنه يذكر بعض شواهد المهدية المهمة ويحدد جوانب من مسارها بما يقدم من نصح ، ولأن البصير والتوم يوجهان اليه الاسئلة وينتظران الاجابة منه . واذا كان للشيخ الطيب المقام الأعلى من وجهة التاريخ باعتباره المؤسس للطريقة السمانية في السودان واستاذ الجميع فان للقرشي المقام المقدم بعده لصلته التاريخية بالمهدي . والتوم والبصير يقدمان النصح ويعاونان في تبين الطريق ، ويأتي اسهامهما تالياً لاسهام القرشي . والدور الأخير للشيخ عبدالله ، وهو الذي يمثل جانب المهدي ، وهو صنو عيسى الذي قام بمثل هذا الدور في المشهد الاول ، وهو مشغول بانكار الناس للمهدية ويذكر همه مستفهماً الطيب والقرشي فيفيدانه بشواهد تؤكد المهدية .

ويظهر في هذا المشهد عبدالقادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية واحد الاقطاب الاربعة ، وهو يحتل مقاماً عالياً في السودان لكثرة من يتبع طريقته مباشرة وعن طريق السمانية ، وله شواهد ظهور في بلدان كثيرة . ولكنه لا يدلي بشئ في الحضرة وانما يظهر «لابس جبة وعليها سيور» . ودوره في المشهد ، مع عظمة مقامه في الولاية وسمو رتبته ، هو التأكيد على مكانة الجبة المرقعة التي هي لباس انصار المهدي . والمغزى البعيد لذلك هو وضعه في مقام عامة اتباع المهدي كما يقول المهدي في منشوراته . ونلاحظ في هذا المشهد قدراً من ثبات الشخصيات ومداولاتهم .

والمشهد الثالث يبدأ بعودة الرسول ومعه عبدالقادر الجيلاني وينتهي بنهاية الحضرة . وهو يركز على معاونة الارواح النورانية للمهدي ، وفيه يأمر النبي الخضر ، وهو رمز الخير والبركة والفلاح ،

بمصاحبة المهدى ، وبالتالى تصحب المهدى البركة والتوفيق بمدد الله اينما حل وحيثما قضى بعون الخضر ، ويأمر عزرائيل ، وهو ملك الموت ، بمصاحبته وبالتالى يتقرر نصره على كل من يحاربه بالعون الالهى الذى يمثله عزرائيل .

وبمتابعة المشاهد وادوار الشخصيات يتبين ان لكل شخصية من شخصيات الحضرة مقاما خاصاً، وان لكل مقام دوراً ، وان كل دور يقابله اختصاص بأمر ، وان هذه الاختصاصات تتوالى كدرجات السلم وفق اهمياتها ووفق توالى درجات المقام . ففى المقام الاول يأتى النبى الذى يحدد الامور العليا التى لا تكون الا منه ، وأهمها واعلاها مهدية المهدى ، ويليه احمد الطيب الذى يحدد الامور التى تلى من حيث الاهمية . وهو يحضر الحضرة من اولها فيما يبدو لأن المهدى لا يذكر قدومه كما اشار الى قدوم الشخصيات الاخرى حسب ادوارهم فى المشاركة . ثم يليه القرشى ، ثم البصير ثم التوم . وهذا يعنى ان الامور متفاوتة من حيث الاهمية ومكانها من الدعوة . كذلك يتبين ان لكل مشهد موضوعاً وشخصيات لها من المقام ما يتسق مع هذا الموضوع . وعيسى وعبدالله يمثلان ما يشغل المهدى فى هذا الطور من المهدية ويسعيان الى ما يوضح وما يطمئن ، ولكل منهما جانب يعنيه ، عيسى بالمخاطر من الخارج واهمها سطوة الترك ومعارضة العلماء ، والحل الذى تقدمه الحضرة لهذه المخاطر هو الاعتماد على قوة اليقين والعون الالهى. اما عبدالله فمشغول بمضمون المهدية ومدى قبولها عند الناس وبالتالى بمصاعب الطرح والتبشير عند الجمهور . وهنا يفيد الاولياء ببيان بعض صفات المهدى وعلاماته ويقينهم بثبات دعوته .

ولا يصف المهدى الحضرة ومداولاتها بشكل منتظم . فنحن لا نقف على مشاهد كاملة ، وكل ما نعرفه عن هيئة هذا الاجتماع هو حضور المهدى ومحبه عيسى ثم حضور النبى وجلوسه بقرب المهدى . ولكن هل هناك حضور آخرون ! اننا نعلم وجود الشيخ احمدالطيب بالقرينة ، ويفيدنا المهدى فى ادبياته اللاحقة بحضور الخلفاء الراشدين والانبياء والاولياء والملائكة وقدر من اصحابه الذين يصفهم بعبارة « وبعض من الفقراء الذين لا يعبأ بهم» . ولا يفيدنا المهدى بالشكل الذى يتم به المجلس . هو يقول بأن النبى يجلس بجانبه ، وقد يفهم من ذلك انه جالس ايضا . ولكن ماذا عن عيسى والطيب والآخرين . واين يجلس المهدى والنبى، هل على كرسى كما قال فى ادبياته القادمة !

وعندما ينتهى شخص من دوره يذكر المهدى من يليه دون ان يفيدنا ببقائه او خروجه . كذلك لا يسجل المهدى كل ما قيل وانما يذكر بعض ما فهمه او تعلق بذهنه مما وقع ومما قيل . وليس هناك مشهد للتنصيب بأن يجلسه النبى على كرسيه كما سيقول فيما بعد .

وحضور الحضرة ثلاث طوائف ، الطائفة الاولى تحضر الحضرة وتشترك فى المداولات ، والطائفة الثانية تحضر وتتلقى التعليمات دون ان يكون لها دور فى التداول ، وطائفة ثالثة تحضر فقط .

ويقول المهدى فى مطلع وصف الحضرة : « ومن البشائر التى حصلت لنا بعدك انه حصلت حضرة نبوية حاضر عليها محبنا الفقه عيسى» ، وهى عبارة مع قصرها مهمة ولنا فيها وقفات : اولها القول بالبشائر ، وهى ما كان يأتى المهدى من وقت لآخر من الهواتف والحضرات وكل ما يؤدى الى مهديته . وظاهر انه كان يطلع خلص جماعته على هذه البشائر ، وكان من هؤلاء محمد الطيب نفسه . والثانية قوله «بعدك» ، فهو يدل على اتصال بين المهدى ومحمد الطيب فيما يتصل بالمهدية وتدبيرها . وهذا امر تؤكده رسالة سابقة من المهدى الى محمد الطيب (٢٨) . والثالثة قوله : « حاضر عليها محبنا الفقه عيسى» اذ قد يدل ظهور عيسى فى مفتتح الحضرة على هذا الوجه على انه مقدم على عبدالله ، ومما يؤيد ذلك انه يظهر فى المشهد الاول بينما يظهر عبدالله فى المشهدين التاليين، وانه يوصف بمحبنا بينما يلقب عبدالله بالشيخ ، وان النبى يبادره بالحديث اليه فى حين ان عبد الله هو الذى يسأل النبى . ثم ان ما يتلقاه عيسى عن النبى هو الاعلام بالمهدية بينما يتساءل عبدالله عن امر فرعى هو الجبة . ولكن عيسى مع اهميته هذه قد سقط من ذاكرة التاريخ ! ومثله كثيرون فى تواريخ الثورات ، بعضهم يأفلون بالموت ، وبعضهم ينأون عن مركز الحدث لسبب او آخر فيلحق بالركب غيرهم ، وبعضهم يتوارى ويسقط حقه ، وبعضهم يروح فى الزحام عندما يتقدم من هو الأقوى والأقدر ، وهنا يأتى دور التصفيات وتأكل الثورة بنيها . وعادة عندما تتبدل الأحوال تتبدل الأدوار فيكون لكل دور رجاله . وعيسى هذا اختفى ، ولعله مات ! واختفى عبدالفتاح والشيخ سليمان وضمر دور محمد الطيب ، وهم من ابرز رجال الايام الاولى فيما تبين محررات المهدى . والشيخ المنا فقد فى صراعه من اجل الخلافة وقتل . اما الخليفة عبدالله فقد واصل

---

(٢٨) الآثار الكاملة مجلد ١ ، رقم ١٢، ص ٧١- ٧٢ .

صعوده بجده واجتهاده وجدارته فى التنظيم وقربه الى قلب المهدى حتى صار خليفة الخلفاء وامير الجيش ونائب المهدى ثم خليفة المهدى من بعده باشارته .

ولكن الخليفة عبد الله لم يرو انه كان من حضور هذه الحضرة ولم يستشهد بها ليقوى مركزه كما فعل بأدبيات اخرى للمهدى فى مكانته . وفيما روى لسلاطين عن حياته فى هذه الفترة لم يتطرق الى وجوده فى الحضرة . وقد يفهم هذا لكون الحضرة مشهداً نورانياً تشهده الأرواح لا الاشباح ، وقد لا يعلم الخليفة عندئذ بحضور روحه فى هذه الحضرة .

وقد اثار عبدالله امر الجبة وسأل النبى اهى سنة واردة ، ولكن النبى تجاوز عن هذه النقطة واهتم بوقع الالوان واهميتها لصلتها بألوان رقع الجبة ومن بعدها بألوان راياته . وبالطبع ما كان من الممكن ان يقول ان لبس الجبة سنة لأن ذلك بعيد عن الواقع ، ولو نفى انها سنة لأضعف مكانة الجبة .

ان الدور الذى تقوم به قيادة السمانية فى الحضرة ذو شقين ، فهم اولا يقررون اسس المهدية ومعالمها ويرسمون الخط الذى ينبغى على المهدى ان يسير عليه ، وهم ثانيا يسوقون الادلة التى تؤكد مهدية المهدى ، وهى :

١- ان اهل الباطن والحقيقة - اى كبار الأولياء - عرفوا مهديته عند مولده .

٢- ان النباتات والجمادات عرفته عندما بلغ اربعين يوماً .

٣- ان النبى اعلم الشيخ القرشى قبل مماته بأن محمد احمد هو المهدى .

٤- ان الشيخ احمد الطيب كان قد اعلم الشيخ القرشى بأنه سيدرك المهدى ويلاقيه وان القرشى قال بأن احمد الطيب كان يقصد به محمد احمد .

هذه النقاط تثبت ان المهدية نبتت فى مجتمع المهدى وتنفى بالقطع ان مصدرها مهدية دان فوديو وان عبد الله هو الذى جاء بها واسر بها الى محمد احمد فنادى نفسه مهديا . هذه المقولة فاسدة وقد روجها اولاد الفلاتة لغرضهم الجهوى .

والدليلان الاول والثانى يأتيان بصفة تقريرية بينما يأتى الثالث والرابع على سبيل الرواية. والشيخ القرشى هو الوحيد الذى ادركه المهدى من بين هؤلاء وهو الذى ينقل الروايات عن النبى

واحمدالطيب . وهذه التأكيدات لا تأتى تلقانيا وانما تأتى استجابة لما يثيره عبدالله .

وقد حدد الشيخ الطيب اسس المهدية وقال انها صفات الصوفية الستة : الذل والانكسار وقلة الطعام والشراب والصبر وزيارة السادات ، مضافاً اليها الصفات التى جاءت مع المهدية وهى : الحرب والحزم والعزم والتوكل والاعتماد على الله واتفاق القول ، وقال ان هذه الصفات لم تجتمع لاحد غير المهدى . وعن صفات الصوفية الستة يقول الخفاجى فى النفحات ان الاصول المتفق عليها فى حياة الصوفية ستة ، وهى ليست مختصة بطريقة واحدة وانما لعموم الطرق لأنها عامة ومطلقة، وهى : الجوع والعزلة عن الخلق والصمت والسهر ودوام الذكر والشيخ المربى للمريد (٢٩) . وكما ترى فان اسس الشيخ الطيب قد اختلفت عن اسس الخفاجى . وهى لا تكون ستة الا اذا اعتبرنا قلة الطعام اساساً وقلة الشراب اساساً آخر . ويبدو انه كان للخلوتية وجه آخر للصفات . وقد وجه الشيخ الطيب المهدى بأن يحكم بالكتاب والسنة وان يدخل خلوة الأربعين فى شهر رمضان . وقد فعل ذلك فى كل رمضان وابتعد حتى عن مشاكل المهدية ، وعندما جاء ابو السعود لمقابلته الاولى كان فى الخلوة الرمضانية ولكنه سمح له بالمقابلة .

وواقعاً وجه المهدى اتباعه عند مجئ رمضانه الأخير بألا يشغلوه بأمور الدنيا لأنه يريد ان يخلد للعبادة ويدخل الخلوة ، ولكن المرض داهمه وتوفى فى الثامن من هذا الشهر .

هذه الحضرة هى مستند المهدى لاقرار مهديته ، وهى المصدر الذى يستوحى من مشاهده ومداولاته الافكار التى يضمنها عندما يصف مهديته حتى شعبان ١٢٩٩هـ الى حد يخيل للمرء فيه انه كان يكتب رسائله وامامه هذه الحضرة .

ب - مناشير الدعوة

منشور الدعوة رسالة تتضمن قضية المهدية ، مصدرها وطبيعتها ومساندها واهدافها ووسائلها، وغايته توصيل الرسالة الى المخاطب كى ينضم الى المهدية ، وهو شبيه فى المعنى والمحتوى بالبيانات التى تحمل اتجاهات الأنظمة والثورات واهدافها ، او ما يسمى بالمانيفستو عند الشيوعيين . وللمهدية منشوران اساسيان للدعوة ، بيد ان للمنشور الثانى نسختين . والنسخة الاخيرة منهما هو المشهور عامة والذى تنقله مصنفات المهدية نقلا عن الجزء الأول من المنشورات

---

(٢٩) سعيد عبدالفتاح عاشور : السيد احمد البدوى ، شيخ وطريقة (سلسلة اعلام العرب ، ديسمبر ١٩٦٧) ص ٢٢٠ .

المطبوعة بالحجر. وهناك منشورات دعوة اخرى تتضمن نفس القضايا - بقدر من التعديل او التجاوز او التركيز ـ صدرت فى مناسبات اخرى ، وهى تعتبر منشورات دعوة خاصة ، كتلك التى ارسلها المهدى مع عثمان دقنه لطوائف شرق السودان او الى السنوسى او الخديو او حيات ابن سعيد .

منشور الدعوة الأول (٣٠) :

وقد صدر فى اول المهدية ، والنص الذى وصلنا منه غير مؤرخ ، ولكننا قدرنا صدوره فى شعبان ١٢٩٨هـ لأنه يشير الى وجهة الهجرة بغير تحديد المكان كما هو الحال بالمحررات الصادرة من المهدى فى هذه الفترة . وفيما قبل هذا كانت وجهة الهجرة الى الجزيرة ابا للانضمام الى المهدى ، وفيما بعد الهجرة من ابا اصبحت الوجهة محددة بقدير ، وما بين هذين كانت الوجهة «مكان يكون فيه قوام الدين» . وهذا امر يجعل صدور المنشور فى ابا امراً مؤكداً وفى شعبان احتمالاً ، وعلى ذلك فان هذا سابق لمنشور الدعوة الثانى .

ويبدأ المنشور بمقدمة تبين خطورة الوضع بالنسبة لتدهور الدين والمهددات القائمة وألا مخلّص منها الا الهجرة الى مكان آمن يتجه اليه بالدعوة ولكن دون تصريح بهذا المكان . ثم بيّن ان مهديته حقيقة لا شك فيها وانها بأمر الرسول وانها تمت فى حضرات شهدها جمع من الفقرا الاتقياء . وفى فقرة سريعة يبين ان الأمور تجرى على علم الله وان الله ينسخ ما يشاء وان علم المهدى كعلم الساعة وان النبى لم يوقت ظهوره ولم يعين وانه كذب الوقاتين . ثم استشهد بابن عربى وابن ادريس : « وفيما ذكره محى الدين بن العربى فى تفسيره فى هذا المعنى كفاية . وقال الشيخ احمد ابن ادريس : كذبت فى المهدية اربع عشر نسخة من نسخ اهل الله ، وقال سيخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حالة ينكرونها » . وقال انه لم يكن يعلم بهذا الأمر حتى هجم عليه من غير استحقاق منه ، وانه لما تكاثرت الأوامر والبشائر من الرسول فى هذا المعنى قام امتثالاً بالأمر وانه كان قبل ذلك ساعياً فى احياء الدين وتقويم السنة ، ثم ذكر انه من ذرية النبى والعباس. وفى ختام المنشور بين ان طاعة المهدى واجبة على من احبه ومن كرهه وركز على ضرورة الهجرة معه .

---

(٣٠) الآثار الكاملة ، مجلد ١رقم ٢٠ ، ص ٩١-٩٣ .

وظاهر ان قوام هذا المنشور هو نفس قوام المنشور الثانى بنسختيه ، الا انه لا يستند مباشرة على نص حضرة التنصيب كما هو الحال بالمنشور الثانى كما ان وجهة الدعوة ان يجتمع اليه الناس فى ابا للهجرة معه الى المقر الآمن . وعلى ذلك فان المنشور حرر قبل بعثة ابى السعود الاولى .

منشور الدعوة الثانى :

صدر منشور الدعوة الثانى فى جبل قدير متضمناً اشارة الى دعوة محمد احمد الاصلاحية قبل المهدية ثم دواعى المهدية وتكليف محمد احمد بها وعلامات المهدية واسسها وغاياتها وجملة من قضاياها . وقد صدر منه نصان ، نص فى شوال ١٢٩٨هـ ونص آخر بعد نحو عام . ويرد النص الأول فى مصنف نجومى موجهاً الى دفع الله بقوى ، وفى مصنف مجنوب الى بقوى وخلافه من اهالى الجهات ، وفى الجزء الثانى من فيوضات المسلمى الى برور دارفور. اما النص الثانى فيرد موجها الى دفع الله اليعقوبابى فى مصنف آثار ويقصد به دفع الله بقوى ذاته والى احبابه فى الله المؤمنين بالله وبكتابه فى المصنفات الاخرى ، وهو النص الذى اصبح منشور الدعوة المعتمد . وقد ورد بهذه الصفة فى الجزء الأول من المنشورات المطبوعة بالحجر – وهو الجزء المخصص من سلسلة مطبوعات الحجر للوثائق المتعلقة بأسس المهدية – وكل المصنفات التى اختيرت لتمثل اسس المهدية .

وكان دفع الله بقوى من علماء جبال النوبا المشهورين ، وتوجيه نسخة من هذا المنشور المهم اليه باسمه يعنى مكانة خاصة له عند المهدى . وواضح سعى المهدى لضمه لدعوته بمثل ما حاول مع العلماء ورجال الطرق المشهورين . ويقال انه جاء الى المهدى فى قدير وناقشه فى امر المهدية معترضاً ، وان المهدى لم ينكر عليه اعتراضه واستمر يقارعه بالحجة بينما يلح عليه بقوى بالعودة عن دعواه ، وان الخليفة عبدالله كان غاضباً من انكاره ومتحفذاً عليه بالسوء ، وان المهدى أظله بحمايته واعاده الى مقره سالما . ولكننا نتحفظ ازاء هذا الخبر لأننا نستبعد قبول مثل هذه المراجعة الصريحة للمهدى فى وجهه ولأنه يصور المهدى متسامحاً والخليفة عبدالله متشدداً بما يجعلنا نحس بأن الراوى قصد رمى الخليفة بالنزوع الى الشر .

والمعروف ان بقوى لم ينضم الى المهدية ، وقد ظل فيما يبدو يمارس نشاطه العادى كعالم بجبال النوبا . فلما كانت حملة حمدان ابو عنجة فى الجبال وضبط بعض الأعيان المناوئين للمهدية من امثال نواى ضيف الله الحازمى وجبريل زروق ويوسف احمد ورد اسمه بينهم واهتمام المهدى بشأنه . يقول المهدى : « واما دفع الله بقوى فامنوه وطمنوه ، ومتى قابلكم فارفقوا به وارسلوه الينا لتربيته ان حصل الشفاء ، والا فليفضل معكم واستوصوا به خيرا ، حيث ان المقصود الأهم سلامة العباد وسلوكهم طريق الرشاد» (٣١) . ويقول الخليفة عبدالله فى محرر الى حمدان ابو عنجة : «ان مما نوهتوا به بجوابكم بامر دفع الله بقوى ويوسف فهم . فينبغى حبيبى التدقيق فى امرهم فاذا ثبت انهم حصل منهم انكار بعد انتقال المهدى عليه السلام فطهروا بهم الارض . واما اللخمى والعالم طه والعوض اودون اجروا حبسهم بالحديد طيب وثقلوا عليهم غاية واجروا المحافظة عليهم قوى لحين وصولهم بطرفنا» (٣٢) .

النص الأول :

يبدأ النص بفقرة قصيرة يقرر المهدى فيها ان الزمن قد تغير بطول المدة من ايام الرسول وان الاسلام قد تضعضع لانصراف الناس عن احكامه وآدابه لانشغالهم بنعم الدنيا ومظاهرها وان هذا وضع يثير غيرة المؤمن ويدفعه الى التحرك لدرئه . وقد كرر الفقرة نفسها فى نفس الموضع فى النص الثانى ومواضع اخرى كرسالته الى السنوسى مما يعنى ان مضمونها امر اساسى بالنسبة الى المهدى ، وهو فى الواقع الدافع الى تحركه كداعية قبل المهدية ومبرر قيام المهدية نفسها .

وفى الفقرة التالية اشار الى دعوته الاصلاحية بعبارة مختصرة . قال انه نبه رجال الدين وبعض الحكام بالوضع المتردى للدين وانه سعى لتقويمه وان احداً منهم لم يستجب له وان دعوته وجدت قبولاً من الفقرا المتجردين الذين بايعوه عليها ، ويقصد بهم جماعته بأبا ومن مال اليه من السمانية اساساً ومن غيرهم عامة ، وان حركته كانت تتسع حتى جاءت المهدية . وواضح من عبارته ان الجهات المؤسسة من المجتمع سواء كانت دينية او مدنية وقفت بعيدة عنه لأن فعاليته الاجتماعية كانت ضعيفة ولا تأتى بمردود الا لدى من كانوا تحت تأثيره المباشر .

---

(٣١) الآثار الكاملة ، مجلد ٥ ، رقم ٧٤٣ ، ص ٢٩ - ٣٢ .

(٣٢) محررات الخليفة عبدالله ، المجلد الاول ، رقم ٥٤٦ ص ٣٤٩ .

ثم ينتقل ليصف كيف قلد المهدية : لقد قلد الخلافة الكبرى على يد الرسول واجلس على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء الراشدين والاقطاب والخضر وجمع من الأولياء الاموات وبعض الفقرا وقلده الرسول سيفه وايده بالملائكة العشرة وجعل فى صحبته الخضر وعزرائيل رمزا للبركة والنصر الدائم واطلعه بأن الرسول وخلفاءه الأربعة والاقطاب وستين الف ولى من الاموات يكونون امامه فى ساحة الحرب وانهم يصاحبونه فى غيرها. وهذا مشهد منتزع من حضرة التنصيب التى سلف عرضها ولكن ببعض اضافات أهمها الاتساع فيمن حضروا التنصيب وفيمن يصحبه وانه نصب على يد الرسول فى كرسيه فى حضرات . وكما ترى فانه يقول بأنه قلد الخلافة الكبرى ، وهى رتبة المهدى عند الصوفية ولا ينالها غيره . والعبارة شاهدة على تمكن المهدى من فكرة المهدى المنتظر على يد الصوفية. وقد ضمن فيما وصف بعض علامات المهدى ومظاهرها ولكن دون ان يحتج بها باعتبارها علامات . ثم يقول : ولا زال التاييد يزداد والاخبار من سيد الوجود فى حضرات كثيرة مع الهواتف .

وفى الفقرة التالية يعرض لياقته للمهدية . والنقطة الأولى فى عرضه ان الله قادر على ان يقلد المهدية من شاء وان القول بالعلامات تقييد لهذه المشيئة ، وانه عندما جاءته المهدية آمن بها فى قرارة نفسه . وقد وقعت حضرة التنصيب فى حال اليقظة - اى بعيداً من اضغاث الاحلام - وهو بقواه كاملة، ليس بسكر او جذب او جنون ، وعلى ذلك فانه كان لائقاً من الوجهة الشرعية ولا يجوز الطعن بحاله . ثم انه كان لا يتوقع ان تكون المهدية له ، بل كان يتوق الى ان يكون عوناً وخادماً للمهدى اذا ظهر . وقد ذكر هذا فى رسالته للسنوسى ايضاً وقال انه بات ينتظر مهديته واخذ يستعد بأصحابه للانضمام اليه فى حال اعلانه لها . ثم مال الى وضعه الاجتماعى ، بلده ، قبيلته ، علمه ، سنه ، وقال انه لا يمنعه من فضل الله . وقال ان علم العباد القاصر لا يقيد علم الله الواسع وبالتالى لا يمكن التحكم فى صفة المهدى وظهوره بعلامات ، لأن ذلك تقييد باطل لقدرة الله ، فقدرة الله «لا تتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين » ، والنبى لم يوقت ولم يعين ، بل قال كذب الوقاتون . وعلى ذلك يستبعد المهدى جملة العلامات المنقولة فى شأن المهدى المنتظر . ثم يتعرض لكشف الأولياء ويقول انه يتغير وليس له حكم الدوام حتى يكون حكماً ملزماً، اى انه لا ينكر كشف

الأولياء ولا يكذب كشفاً بعينه، وانما يأتى الى غايته بالقول بأن الكشف يتغير، وفى هذا توافق مع عبارة ابن إدريس بأن اربعة عشر كشفاً فى المهدى قد كذبت . ثم يذكر اختلاف الروايات - اى الأحاديث المنقولة والمرويات - فى وصف ظهور المهدى وعلاماته وصفته واختلاف أقوال اهل الكشف وينتهى الى ان علم الله لا يكون على هذه الاحوال المتناقضة بل يكون على حال يعلمها هو . وهو يستشهد هنا بعبارات من ابن عربى واحمد بن ادريس بقدر عظيم من التوفيق مؤداه ان لا احد يعرف وقت مجئ المهدى وانه يأتى بغتة وبحال ينكرونه وان صوراً من الكشف قد كذبت فيه . ثم ان الأحاديث تنسخ الأحاديث والآيات تنسخ الآيات . وفى رسالته الى الشلالى لا يقبل العلامات الواردة ويقول انه تأدباً مع الله لا يسأله علامة وان كان بعض اتباعه رأى اسمه على بيض الدجاج وورق الاشجار. وعلى ذلك فان المهدى يسقط كل العلامات والأقوال المروية فى المهدى المنتظر بحكم تناقضها مع قدرة الله ومطلق مشيئته وتناقض الاقوال والأخبار ، وهذا فى الواقع ثورة على المنقول ولم نر من فعل ذلك قبله .

ثم انتقل الى علاماته، وهى لا تأتى قياساً على العلامات المنقولة التى يرفضها وانما تجئ على لسان الرسول ، وهى الخال على خده الأيمن ، وراية النور امامه ، وانه مخلوق من نور عنان قلب الرسول . ومن قبل قال الصوفية ان الله خلق الكون من نور الرسول ، وقال الميرغنى الختم ان الله خلق الانبياء من نور الرسول وانه خلق الأولياء من نوره هو ، وهذا انكره عليه بعض علماء مصر ، اما المهدى هنا فانه يذهب الى انه مخلوق من نور عنان قلب الرسول ، موحيا بذلك صفاء قلبه ونقاءه وانه من جوهر نبوى يؤهله لرتبة المهدى .

واذ اتضح صدق مهديته بما ساقه من حجج فان الايمان بمهديته او الكفر بها يأتى بقدر الله ، فمن له سعادة صدق ومن كتب عليه الشقاء عارض ، والنفاق الذى يزرعه حب المال والجاه هو معوق المخالفين .

ثم يذكر نسبه من جهة ابيه وامه ، وهو يوحى دون استشهاد بأنه يستوفى شرط الانتماء الى ذرية فاطمة بنت الرسول بشقيها الحسنى ثم الحسينى والى ذرية العباس عم الرسول ويلتقى بذلك بكل الأوجه التى أوردها المتكلمون فى نسب المهدى المنتظر .

ثم ينتهى الى مبتغاه من اقامة الدعوى ، وهو ان مهديته حق وان التصديق به واجب وان

مخالفته كفر. واذ صح صدق مهديته واقامته للدين فتتوجب على الجميع الهجرة اليه لمعاونته

النص الثانى :

اعاد المهدى كتابة منشوره وعرضه بوجه أكثر انتظاماً وأدق عرضاً ، فقدم وأخر ، ووسع واختصر ، وضبط العبارة . وقد يدل ذلك على ان النص الأول لم يعد فى نظره ملائماً لموقفه فى ١٢٩٩هـ ، لأن الأمور قد تغيرت واقتضى الظرف بسطاً جديداً . ولسنا نرى ان نعرض النص بالتفصيل الذى فعلنا به النص الاول ، اذ فى ذلك تكرار لا فائدة منه ، وانما نرى ان نسوق مختصراً سريعاً يقف منه القارئ على توالى القضايا ، وذلك قبل ان نقارن بين النصين :

الفقرة الاولى هى نفس الفقرة فى النص الاول .

وفى الفقرة الثانية : ان الله فى ازله تفضل عليه بالمهدية وان الرسول اخبره بذلك وخلفه على كرسيه مرارا ، وانه مؤيد بالملائكة والاولياء والجن ، ومناصر بالرسول وعزرائيل والخلفاء والاقطاب وسيف النصر، فلا ينصر عليه احد .

وفى الفقرة التالية ذكر علاماته الثلاثة : الخال وراية النور وخلقه من نور عنان قلب الرسول .

ولما حصل له امر الخلافة امره الرسول بالهجرة الى ماسا وبمكاتبة الناس ، فكاتب الجميع ، وكان المردود ان صدق الصديقون وانكر الاشقياء .

يجب التصديق بمهديته وجوباً والتسليم بتفويض الأمر لله وبأن علمه لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين ، بل يمحو الله ويثبت ما يشاء . ثم يستشهد بعبارات من ابن عربى وابن ادريس ويذكر كثرة التاليفات الواردة فى المهدية ويبين تناقض الأخبار ونسخ الكشف وان العلم بالمهدية لا يكون الا لخاصة الأولياء .

يكفر كل من شك فى مهديته ، ويقرر انه تلقى من الرسول جميع ما اخبر به يقظة فى حال الصحة خال من الموانع الشرعية .

وجوب الهجرة وارساله بالدعوة العامة للهجرة الى الجهات .

نسبه المتصل بالنبى وبالعباس .

وهكذا يضع المهدى قضاياه فى نسق جديد ويطور عرضها ، وقد تخلص من اجواء الجزيرة ابا واصبح يخاطب مجتمعاً آخر هو مجتمع قدير .

واليك مقارنة بين النصين :

النص الاول فى طبيعته روائى ، اى ان المهدى يقص على اتباعه ما حصل له ، وهو لذلك يهتم بعرض مسلكه واعماله قبل المهدية ، ثم يتعرض الى تجاربه اثناء نزولها ، ثم يبين كيف تردد اولاً ثم تأكد وعمل لها آخراً . والقضايا التى يذكرها منقولة من حضرة التنصيب التى سلف تحليلها ، وهو يستشهد فيها بما وقع له فى تلك الحضرة ويجعل من وقائعها سندا لدعوته والأمور التى ينادى بها، بل ان اسلوبه فى المخاطبة متأثر بالوقائع لدرجة بعيدة كنقله مخاطبة الرسول له بصفة المخاطب ، نحو : ان الله جعل لك ! او ان ينقل بعض تفاصيل الحضرة ، نحو : تخرج راية من نور فتكون امامى، اى ان النور ظهر امامه بعد ان حدثه الرسول .

اما فى النص الثانى فهو يصف مهديته ويتعرض للقضايا بصفة تقريرية لا نقلا عن الحضرة . وهو لا يذكر تجاربه قبل المهدية ، اذ ليست هناك حاجة اليها طالما ان المهدية قد تمكنت وامورها اتضحت .

والمهدية فى النص الأول ما تزال فى دور النشأة والتكوين لأنه يقول : لا زال التأييد يزداد والأخبار من سيد الوجود ، اما فى النص الثانى فالقضية محسومة وكاملة . وفى الأول يشير الى ضعفه وعدم توقعه المهدية لنفسه وانتظاره ليكون عوناً وخادماً للمهدى المنتظر، وهذا يدل على نفسية رجل يجد فى نفسه حرجاً فى مركزه الاجتماعى . ويؤيد ذلك قوله : ان خستى وصغارى لا يمنعان الخ . اما فى النص الثانى فهو لا يذكر هذا .

وفى النص الأول تم التنصيب فى حضرة الخلفاء والأقطاب والخضر وجمع من الأولياء الميتين وبعض الفقرا الذين لا يعبأ بهم ، وفى النص الثانى اسقط الأولياء . وفى الأول أيد بالملائكة العشرة الكرام وستين الفاً من الأولياء الاموات ، وفى الثانى أيد بالملائكة المقربين وبالأولياء الاحياء والميتين من لدن آدم الى زمنه .

وفى الثانى اسقط عبارة «انى نبهت» الى نزول الدعوة ، لأنه ما عاد يركز على ما حصل قبيل المهدية ، الا انه ركز على الهجرة واهميتها وادلتها من القرآن والحديث. وقد اسقط فيه ايضا : عبارة « والكشف يتخلف ويثبت الله غيره » ويذكر بدلها : « بل يمحو الله » ، اى انه مال الى التقرير بدل الاستشهاد فى قوله : « ويخلق ما لا تعلمون » ، وفى الأول يكون معه السيف فى الحرب

ومعه الملائكة العشرة الكرام ويصحبه عزرائيل والخضر وامامه الرسول والخلفاء والأقطاب الأربعة وستين وليا – نحسب انه يقصد ستين الفاً – من الاموات . وفى الثانى لا يذكر ان عزرائيل يصحبه من ورائه فى وقت السلم ، وعزرائيل هو الذى يحمل راية النور فى المعركة ، وقد ادمج الراية بالسيف بحيث صارا واحداً . اما فى النص الأول فقد ظهرت الراية بحيث رآها المهدى امامه فى الحضرة ، وهو سيف الرسول فى الأول وسيف النصر فى الثانى . ومفعول الراية من حيث تثبيت اتباعه وارهاب خصومه لا يظهر الا فى الثانى . والنصر فى النص الثانى يرد مؤكدا وحاسماً : اعلمت انه لا ينصر علىّ معه احد ولو كان الثقلين الانس والجن ، بينما لا يرد فى الأول بهذا الوجه . ولا بد ان يكون هذا من اثر انتصاراته ، اذ اصبح النصر فى الحرب علامة لصدق مهدية المهدى ومصداقاً لتلقيه العون الالهى فى الحرب . ولا يرد تأييد الجن للمهدى فى الأول . وهو لا يذكر أقتفاء المهدى بالرسول فى الأول . وهو يسقط فى الثانى حضور الأولياء فى التنصيب كما يسقط جمع الفقرا، وهو دليل على اتساع دائرته بحيث شملت سائر الاولياء دون الاقتصار على اتباعه منهم .

وصفة التنصيب فى الأول : الحضرة المذكورة حصلت لى يقظة ، وفى الثانى: اخبرنا به سيد الوجود يقظة ، وفى النصين أجلسه فى كرسيه بينما هو لا يذكر الجلوس على الكرسى فى الحضرة . والجلوس على الكرسى هو التخليف فى موقع الخلافة الكبرى والوراثة للنبى ، والأول رتبة والثانى صفة .

ولا يذكر فى الأول الهجرة الى ماسا وانما يدعو الى الهجرة مجرداً عن ذكر مكان ، وهو لا يذكر العلماء مع ان عبدالله تخوف من معارضتهم فى الحضرة ، اما فى النص الثانى فهو يذكرهم ويحمل عليهم لأنهم خرجوا يدحضون مهديته . وفى الحالتين فان الخطاب موجه بالخصوص لشيوخ الدين والأمراء لما لهم من نفوذ ووزن اجتماعى .

هذه الأدبيات التى استعرضناها مهمة بيد المؤرخ لأنها تطلعه على ما كان يدور فى ذهن المهدى وتجعله قريبا اليه ليرصد ما كان يبثه فى مستمعيه ويتابع خفقات مولد المهدية وحبوها . وقد أحسن المهدى صنعاً عندما دون هذه الأدبيات ، وان كان لم يقصد بها الا اطلاع خلّص من معه فى الدرب،

اذ لو لا تدوينها لحرمنا من هذه الصورة الدقيقة لمولد المهدية ونموها ، ولا شك اننا محظوظون اذ حفظها لنا المدونون لتراث المهدى .

بيد ان تأثير هذه الأدبيات فى تحريك الجمهور كان ضئيلاً ، لأن من اتفقت لهم قراءة هذه الوثائق كانوا قليلين جداً بحكم محدودية تداول المكتوب من الكلام فى مجتمع السودان عندئذ، وكان الذين يفهمونها على وجهها هم اقل الاقل . وتوجيه الأدبيات اصلاً كان لرجال الدين لا للعموم . وقليلون كانوا اولئك الذين يعرفون نصية المهدى المنتظر من علامات وشروط واحاديث ومرويات ، والجمهور الذى آمن انما آمن غيباً عن هذه النصوص لما عهدوه فى محمد احمد من مسار حميد . ولذلك لم يؤثر فى الجمهور تحجج العلماء المعارضين للمهدى فى رسائلهم بهذه الأمور .

والذى اخذ بألباب الناس هو شخصية المهدى بخلفية اسرته الدينية وتفقهه فى علوم الدين وتربيته العالية فى التصوف وغيرته الدينية ونظافة الطرف والاستقامة والحديث الذى يأسر به القلوب . وقد أعطى بذلك مثال الشخصية الدينية السامية بمنظور الصوفية وعامة المتدينين . ولم يكن غريباً ان يطلب الترقى لما هو أعلى . وقد ذهب الحسين زهرا الى قريب من هذا عندما زكى طلب محمد احمد للقيادة الدينية المرتقبة للخلاص المطلق ، وهى صفة المهدية ، قال : « وقد ظهر من جهة مأمونة لا نظن بها خيانة لما عليه من العراقة والديانة والامانة ومن النشأة الأولية الى هذه الغاية الاخروية» (٣٣) . ومن الثابت عندنا انه لو لا راية المهدية لما كانت هناك ثورة ، ومن الثابت ايضا انه لو لا هذا المكون الشخصى لمحمد احمد لما ارتفعت راية المهدية ولا انضوى تحتها الناس يرومون بها الشهادة .

ان السيرة النبوية العطرة ظلت تشعل قلوب المسلمين بوهج فدائية صحابة الرسول فى قتالهم وطهرهم فى ممارسة حياتهم وقوة ايمانهم وبذلهم وخلوصهم وفضلهم ومثواهم فى الجنة . ان مجتمع الصحابة هو المثال الذى ينشده المسلمون ويتوقون الى احتذائه . وقد تاقت النفوس لو كانت من بينهم وظفروا بما ظفروا به من صحبة الرسول وفداء رسالته . هكذا الهبت السيرة النبوية النفوس . وحسبما روت صحائف الكتب وألسنة المتحدثين فان الجمهور انتهى الى ان المهدى

---

(٣٣) عالم المهدية ، ص ٥٨ .

المنتظر يرجع بالمسلمين ، بل بالبشرية جمعاء على اختلاف الاجناس والاديان ، الى عهد الرسول الزاهر ، فالمهدى هو خليفة الرسول ، وزمنه مندرج من زمن الرسول ، واتباعه على قدم صحابته . هذا ظفر تاقت له قلوب المسلمين فى تاريخيهم الطويل ، فكيف اذا جاء وتحقق ! .

عندما قال محمد احمد بمهديته آمن الذين كانوا تحت وهجه واصبحوا شيعته ، وانكر من لم ير ما رآه محمد احمد فى نفسه ودعا اليه ، وتحير الذين لم يجدوا سبيلاً الى الايمان او الانكار ، وكان هؤلاء هم الغالبية . وعلى هذا المجرى جرى توصيف الحسين زهرا ، اذ القوم عنده كانوا بين مصدق ومكذب ومتحير (٣٤) .

وقد مال بعض المتحيرين كرهاً فى الادارة التركية المصرية واملاً فى دعوة محمد احمد فاذا كان مهدياً حقاً فازوا بما لم ينله السابقون من فضل لمعاونتهم للمهدى المنتظر وصحبته وان لم يكن المهدى فازوا بالعون على اقامة دولة الاسلام ، وهذا ما اختاره الحسين زهرا حتى وصل الى اليقين لأمور قامت عنده وقطعت كل شك . وللعبيد بدر موقف مماثل ، اذ قال : «كان مهدى جد لينا وان كان ما مهدى شن لينا» . «وجد» معناه «يا بختنا» «وشن» معناه «لا يهم» .

وكان لمحمد عثمان ابى قرجة اخ يصغره يقال له نصرالدين ، وكان شديد الحماس للمهدية . وقد استشهد اثناء حصار الخرطوم . وقبره ببرى يزار لاعتقاد فيه . وكان محمد احمد يزور الآل فى ام غنيم كثيراً ، فلما انتشر بين الناس عزمه على اعلان المهدية قال نصر الدين انه مؤيده ، فاذا صح انه المهدى فاز بالفضل والا فانه ناصر رجلا من قبيلته .

ودارت العجلة ووقعت الوقائع وآمن بعض من انكر ، وانكر بعض من آمن ، وغالب جمهور المتحيرين مال الى التصديق لدواع تجمعت او روجت كظهور النجم ذى الذنب وظهور اسمه على بيض الدجاج وورق الاشجار وحب البطيخ . ومن الحق ان نقول هنا ان المهدى لم يستدل بشئ من هذا، بل ورأى من غير الآدب مع الله ان يسأله آية يقنع بها المنكرين (٣٥) . ولكن جانباً من امره بهر الناس ودفعهم اليه والانضواء تحت رايته ، امر لم يرده الناس الا الى صدق المهدية ، وهو

---

(٣٤) نفسه .

(٣٥) الشلالى ، الآثار الكاملة ، مجلد ١ ، رقم ٣١ ، ص ١٢٦.

الانتصارات المدوية المتوالية ، اذ كيف لمحمد احمد ورجاله القليلين من عامة الناس ، الفقرا الدراويش ، وبأسلحتهم المحدودة ، ان ينتصروا مرة بعد مرة على اعتى جيش عرفته ارض السودان ، جيش مؤهل للقتال تدريباً وسلاحاً ، لو لم يكن مؤيداً من قبل الله وحائزا على النصرة التى وعد بها المهدى المنتظر على اعدائه ، هكذا علل المؤمنون، وفيهم قال الكردفانى : «ان مثل هذه الخوارق من خصائص المهدى التى لم تظهر لاحد من قبلُ» (٣٦) . وعلماء الخرطوم ردوا الانتصارات الى اخطاء الضباط واهمالهم وقالوا ان الحكومة قادرة على دفع المزيد من الرجال والسلاح والقضاء على المهدى . وبعض من أهمهم الأمر لم يكتف بالسماع وانما شقوا العمار والقفار الى قدير ليروا المهدى عن كثب ويحكموا له او عليه عن نظر وروية ، وكان من بين هؤلاء كثير من رجال الدين . وبعض هؤلاء عادوا باليقين ، وبعض عاد متحيراً كما كان ، وبعضهم عاد منكراً . ومن الأخيرين المضوى عبدالرحمن الذى نذكر حالته ادناه .

ويظن كثير من الناس ، ومنهم المؤرخ المصرى المشهور عبدالرحمن الرافعى، ان اهل السودان فى غفلة وجهل فيقبلون الأمور على عواهنها ويصدقون كل ما يعرض عليهم تحت طائلة الخرافة والدجل (٣٧) . هكذا يفسرون تصديق الناس للمهدى ، وهذا خطأ فادح بائن الفساد . وما جاء تجهيل اهل السودان بهذا الوجه الا جهل المتحدثين عنهم بعمق مجتمع السودان وقوة كيانه . ولنضرب الأمثال لمجرد التذكير . جاء تاج الدين البهارى مبشراً بالقادرية وامتحن المقبلين اليه بما ظنه الناس ذبحاً فانكر ذلك بعضهم وتوقفوا لأن ما رأوه بعيونهم لم يكن امراً سوياً وانما هو نكر بحكم ما هدى اليه العقل . وقد توقف عبدالله بن دفع الله العركى عن سبيل البهارى ، وقد دعاه اليه، محصناً بعلمه عن صوفية البهارى . وما يقال عن سفره اليه فيما بعد وتلقيه على تلميذه يدل على تقليبه الرأى ويؤيد مبتغانا من هذه الفقرة .

وعندما جاء محمد عثمان الميرغنى - الختم فيما بعد - الى كردفان لم يقبله الناس على غفلة بل كان تحت مجهر النظر ، بل طالبه من اتصل بهم بسلسلة استاذه احمد بن ادريس ليتحققوا ، ومن العجب ان الميرغنى لم يكن يحمل معه هذه السلسلة بل ارسل الى استاذه فى مكة يطلب منه السلسلة . وقد اعترف الميرغنى بدور رجال كردفان فى بناء الختمية وذكرهم فى أدبياته ، وهذا

---

(٣٦) الكردفانى ، ص ٨٤ .

(٣٧) واربيرج ص ٢٢ مستنداً على كتاب الرافعى : مصر والسودان فى اوائل عهد الاحتلال ، ص٩١ .

دليل على قوة هؤلاء. وقد احتاط مسلم حاكم كردفان لنفسه وتحرك ضد الميرغنى وجماعته ، وكان هذا من عوامل خروج الميرغنى. ونحسب انه ما كان يأذن لاسماعيل الولى بطريقته الاسماعيلية لو كان باقيا فى كردفان ، فالميرغنى بطبعه كان لا يقبل منافساً ولا يرضى بصنو . وموقف مسلم يعنى انه وعى مغبة شهرة الميرغنى وتأثيرها على سلطانه . وعندما ذهب الى سنار تعرض للامتحان ودبر الأرباب احمد دفع الله ، وزير السلطان ، مناظرة بين الميرغنى والفقه ابراهيم بن الفقه على بقادى، وكان على ما يبدو شيخ السلطنة ، حتى يختبره ، الا ان المناظرة لم تتم لموت بقادى المفاجئ . وعلى اى حال فان الميرغنى عاد من سنار دون ان يحقق اثراً يذكر (٣٨) .

ما أردنا بهذا ان نقلل من البهارى والميرغنى ولا ان نأخذ من شأنهما وانما أردنا ان نبرهن على ان اهل السودان ليسوا غفلا يقبلون كل امر وانما يتمحصون ويدققون . وقد غفل عن هذه الحقيقة من قال بأن المؤمنين بالمهدى سلموا بغير نظر او انهم كانوا تحت طائلة الخرافة . كيف ذلك بربك ونحن نملأ هذا السفر الكبير بأخبار الخصومة بين مؤيدى المهدى وبين معارضيه !

ونسأل سؤالا مهماً : هل كان محمد احمد هو المهدى حقيقة ، وهو سؤال مشروع لأن قضية محمد احمد مطروحة بالقبول والرفض ، وهو غير مشروع لأن مرد امر المهدية الى القلب لا الى العقل ، وشأنها فى ذلك شأن العقائد الدينية كلها ، وليس من سبيل للمؤرخ الى ان يقطع فيها بالصحة او الفساد . وقد سأل الدكتور عبدالودود شلبى هذا السؤال واذا به يجنح ويقول بأن الخليفة عبدالله بخبثه غرر بمحمد احمد وأوهمه بالمهدية فصدقه لأنه كان على صفاء نفس وحسن طوية ، وهكذا رمى المهدى بالغفلة وجاءت المهدية عنده بغير شرعة لها ولصاحبها . وقد هدم عبدالودود بذلك كل ما بناه ، وليته ما تجاسر على سؤال لا يملك الاجابة عليه !

ونحن من موقع المؤرخ لا نقطع بمهدية الرجل ولا ننفيها لأننا لا نستطيع ان ندلل على امر هو من شأن القلب والايمان ، ولكننا نحكم فى حدود علم المؤرخ ونقول انه كان مقتنعاً فى قرارة نفسه بأنه المهدى المنتظر وانه مستوف لكل شروطه. ودليلنا على ذلك انه فى أدبيات محررة ومقولة تملأ سبعة مجلدات بلغت صفحاتها نحو ثلاثة آلاف لم يناقض نفسه لا فى الجوهر ولا فى الهامش ولا

---

(٣٨) انظر خبر محمد عثمان الميرغنى فى : تاريخ كاتب الشونة ، ص ٧٣ - ٧٥ .

حاد عن سبيله . وانك لتحس فى كل جملة منه حرارة الايمان ودفء الصدق . ومن الملفت ان المؤرخ الاسرائيلى جبرايل واربيرج يقف نفس موقفنا وينتهى الى ان المهدى كان مؤمنا بأنه يحمل كل مؤهلات المهدى المنتظر (٣٩) .

وقد تعرض المهدى فى ادبياته الى الكفرة والمسيحيين واليهود والترك باعتبار انهم اعداؤه واعداء الاسلام . اما الكافر عنده فهو من انكر مهديته اياً كانت خلفيته اسلاماً او غيره . وعلامة الاسلام هى بيعته ، اى ان امة الاسلام محصورة فى اتباعه . وهو لم يتعامل مع المسيحيين ولا عايشهم ، ولا نحسب انه ألم بعقائدهم . الا انه يحكم عليهم من زاويتين ، زاوية العداء التاريخى بين المسلمين والمسيحيين كما تلقاها من تراث الاسلام الذى بلغه وما جاء فى القرآن من آيات ، وزاوية ضغط اوربا المسيحية على دولة الاسلام والعمل على تفكيكها والاستيلاء على بعض بلدانها والتغول على الاسلام نفسه بادخال قوانينها ومفاسدها .

وخبرته باليهود وعقائدهم أقل ، وقد كان عددهم فى السودان قليلاً ، ولم يكن لهم نفوذ يثير غباراً ضدهم . وكان حكم المهدى عليهم قائما على ما بلغه من التراث الاسلامى والآيات الحادة فى القرآن الكريم والتى صورت عداءهم للاسلام ومكائدهم . وعملياً كان حكمهم فى المهدية حكم المسيحيين .

واليهود والنصارى من اهل الكتاب ويعطيهم الاسلام حرية العقيدة والعبادة والعيش فى سلام ، ولكن المهدى تجاوز عن حق العقيدة وفرض عليهم الاسلام والبيعة له . ومنشأ هذا التصرف هو القول فى مهام المهدى المنتظر ان المهدى يسعد البشرية كلها ، اما بدخول كل البشر فى الاسلام على يد المهدى ، واما بان يحكم المسلمين بقرآنهم واليهود والنصارى بكتبهم المقدسة الأصلية التى لم يدخلها التحريف . ذكر ذلك ماديلونق فى موسوعة الاسلام الجديدة وذكره الصبان فى اسعاف الراغبين وقال ان المهدى يستخرج تابوت السكينة من غار بانطاكية واسفار التوراة من جبل بالشام يحاجج بها اليهود فيسلم كثير منهم ، وظاهر من هذا ان المهدى اخذ بالفرض الأول وبنى على اسلامهم . وقد خلت وثائق المهدية من ذكر الجزية لأن صفة اهل الذمة قد انتفت ببيعة

---

(٣٩) واربيرج ، ص ٨ .

النصارى واليهود .

اما الترك فليس يقصد بهم العنصر التركى او المصرى او التركى المتمصر، على ما يظن عادة ، وانما يقصد المؤسسة الحاكمة فى اسطنبول وحكام الولايات بما فيهم خديو مصر ومعاونيه فى مصر والسودان . وقد كفرهم المهدى وقضى باستئصالهم . وحجته فى ذلك انهم غيروا احكام الاسلام واخذوا بالقانون الوضعى اخذاً بسنة اوربا المسيحية وانهم مكنوا النصارى فى بلاد الاسلام وعلى رقاب العباد وانهم زرعوا مفاسد خلقية فى المجتمع الاسلامى ، وانهم العقبة امامه فيما ينشد من تقويم الدين واعادته الى ما كان فى عهد الرسول والخلافة الراشدة . وعامة الترك لا عداء نحوهم ، بل ان بينهم علماء واولياء واهل خير وان كانوا كفاراً حتى البيعة .

لقد درج المتخاصمون ، اينما كانوا ، على ان يرمى كل طرف الآخر بالنعوت المنكرة التى تحض من مكانته . وهذا طرف من الخصام ذاته . وسريانها على الالسن له مفعول مؤثر . وفى الخصومة حول المهدية نقف على نعوت يدمغ هذا الطرف وذاك .

رمى المهدى مخالفيه بأنهم كفار ، وليس اسوأ فى نظر انصاره من هذا الوصف . ورمى العلماء المخالفين له بأنهم علماء السوء دمغاً لمهمتهم وانكاراً لما قالوا فيه وفى مهديته واستدعاء لعلماء السوء الذين ناهضوا عيسى عليه السلام . ومن كثرة حملته على الترك ودمغهم بالخروج عن الدين ومحاربته وافسادهم الاسلام ومجتمع الاسلام أصبح لفظ الترك نفسه مشحونا بدمغ منكر . وليس فى أدبيات المهدى والخليفة عداء للمصرى ، وكان فى اليقين ان المصريين ينحازون الى المهدية اذا عرفوها ووجدوا سبيلا . وانما كان العداء ضد المؤسسة ورجالها . وقد سمى المهدى اتباعه انصاراً استدعاء لدور الصحابة فى مناصرة الرسول والقيام بحمالة دعوته .

ورمى الطرف الآخر المهدى واتباعه بنعوت منكرة . نعتوا الانصار بلفظ الاشقياء والذى يحمل ظلالاً كثيرة ، منها معنى الشقاء الدنيوى والاخروى ، ومنها الذين يثيرون المشاكل ويشعلونها بسبب وبغير سبب ، ومنها المعتدون على غيرهم ، ومنها المخربون ، والمحصلة النهاية هى ان ما يقومون به منكر ومؤذ . وقد ورد اللفظ كثيرا فى وثائق المخابرات المصرية الحربية نعتاً للانصار ودمغاً لما يقومون به . وقد نعتوهم بالدراويش . والدرويش لغويا هو قليل العقل المعتوه . وعند الصوفية

المنقطع عن الدنيا تمسكا بالدين ، والمكتفى بالقليل من مطالب الحياة فى المأكل والملبس والمأوى . وكان هذا حال المجاورين لبعض شيوخ التصوف المنقطعين لخدمتهم او الذين يعيشون فى اضرحة الأولياء والتكايا التى اقامها المحسنون لهؤلاء . وكانوا يلبسون ما يستر وشاع عندهم لبس المرقع بألوان الطريقة . وكان المرافقون لمحمد احمد ايام الطريقة يسمون الدراويش كما هو المعتاد فى مجتمع التصوف . فلما جاءت المهدية لازمهم النعت ، خاصة وقد اتخذوا الجبة المرقعة لباساً موحداً لهم . وكان محمد البدوى ابوصفية الذى كان منقطعا فى سلوكه وعبادته ومتقشفا قد التصق به لقب الدرويش فتأذى منه فى شكوى رفعها للمهدى . وكان البدوى قريباً من المهدى واثيراً عنده . ولفتت الشكوى نظر المهدى فمنع مناداته بالدرويش واستنكر ان يوصف اتباعه بالدراويش ، وقال ان اتباعه هم اهل العقل لاتباعهم الدين القويم وان مخالفيه هم الدراويش لأنهم ابوا الهداية وساحوا فى الضلال (٤٠) . وكان اهلنا فى الشمال كثيرا ما يشيرون الى الانصار ، الذين لم يكونوا على وئام معهم ، بعبارتى الاشقياء والدراويش ، وكان اللفظ الأخير اكثر تداولاً .

واشارت وثائق المخابرات الى الانصار المحاربين بعبارة العرب .

اما المهدى نفسه فقد نعتوه بالمتمهدى ، ويقابله بالانجليزية فى عنوان مطبوعة للمخابرات «False Prophet» وترجمته الحرفية النبى الزائف ، ولكن المعنى المقصود هو المهدى الزائف . وقالوا النبى بدل المهدى للتسخيف ، وهو تعبير مؤذ . وعبارة المتمهدى تعنى من قام بالمهدية من دون ان يكون مهدياً . والعبارة ضربت فى مصر ودخلت فى تقارير المخابرات وأدبيات العلماء المعارضين . والعبارة شبيهة بعبارة المتنبى التى الصقت بالشاعر العربى ، مدوى الشهرة ، ابى الطيب احمد بن الحسين. وقد قيل ان هذا كان قرمطى النزعة والاتجاه وانه تفوه فى شبابه بما يعنى ادعاء النبوة ، او شيئا من هذا ، وهكذا جاءه اللقب الذى اشتهر به . وقيل ان سيف الدولة الحمدانى الذى مدحه كثيراً كان قرمطى الاتجاه وان هذا مما قوى الصلة بين الرجلين . ومع ان صفة المتنبى رديئة الايحاء من حيث المعنى الا انها من حيث هى لقب سهلت سريان اسم الشاعر على الألسن وساعد على شهرته . ترى لو ابقى على اسمه احمد بن الحسين وحسب أكان له ان

---

(٤٠) الاثار الكاملة ، مجلد ٢ ، رقم ٢٨٧ ، ص ٣١٠ – ٣١١ .

ينعم بهذا الدوى . نعم ان المتنبى أكبر من قوة شعره حتى أسمع من به صمم وشغل بشوارده الخلق جميعا واحتل محطا عالياً بشعره الجميل القوى، ولكن لقب المتنبى كان مكوناً مهماً لشهرته .

ولكن المهدى لم ينعم بشئ من هذا بنعته بالمتمهدى ، فعبارة المهدى أقوى وأسمى وأذهب صيرورة ، وقد بقى لفظ المتمهدى منحوتا جامداً على صحائف المعترضين على مهديته . وكان من ألمعيات السيد عبدالرحمن مقاومته لاصرار الادارة الثنائية على ابعاد عبارة المهدى من اسمه والاقتصار على «الشيخ عبدالرحمن محمد احمد» ونجاحه فى ابقائها ، لأن هذا أبقى كيان المهدى معترفاً به ، والانصارية قائمة وممتدة ، وعمق مضمون قيادته ، وجعل لبيت المهدى الاثرة فى عيون الانصار والصدارة .

وقد ترددت صفة المتمهدى كثيراً فى الوثاق المصرية . وحتى علماء الازهر اعتمدوا هذه الصفة للمهدى في فتواهم . واعتمدها ايضا الامين الضرير وجعلها فى عنوان رسالته فقال : هدى المستهدى الى بيان المهدى والمتمهدى ، وجاء عنوان سيرة الكردفانى «سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى» رداً عليه ، وكانت مهمته اثبات صفة المهدية التى أنكرها عليه العلماء .

مهدية المهدى :

كل ما سبق فى الصفحات الماضية كان تمهيداً للتعريف بمهدية المهدى ، ولا بد ان القارئ الذى تتبع ما جاء فى هذه الصفحات قد تمكن من فقه المهدية المنتظرة ، ثم تاريخها فى السودان ، وادرك خلفية محمد احمد والظروف التى افضت به الى المهدية وما طرحه من امور فى صفة مهديته ومراميها . ونحن لا نود فى هذه الفقرة ان نلخص ما سبق ، او ان نختصره ، او ان نستجمع ما تفرق ، فذلك امر لا يفيد القارئ كثيراً ، لأنه معاد مكرر ، ومن الخير للقارئ ان يرجع الى الفصول ليدرك القضايا فى احجامها ومنازلها ، وانما نريد ان ننتقل بالبحث الى مرقى آخر ببيان سمات مهدية المهدى ، تلك السمات التى تعطى مجتمعة طابعاً خاصا يميزها عن المهديات الاخرى .

ولا بد اولاً ان نقف ازاء نقطتين مهمتين :

النقطة الأولى ان المهدى لا يذكر منابع مهديته : لا يذكر من قرأ لهم من المؤلفين ولا على من يستند من المتحدثين عن المهدية كما يفعل الشيخ عثمان دان فوديو مثلا ، وعندما استشهد بابن

عربي وابن ادريس فانه لجأ اليهما ليدعم قوله ببطلان علامات ظهور المهدى المنتظر التى تبناها المتحدثون عن المهدى المنتظر لا ليبنى عليهما هذا البطلان ، وحتى عندما يأتى الى جانب الفقه والتفسير والحديث لا يستشهد بأحد. وسبب هذا قاعدة عدم اخذ المهدى المنتظر عن المذاهب واجتهادات المجتهدين واخذه مباشرة من الرسول والتلقى بواسطة ملك او الالهام الذى هو من خصائص المهدى المنتظر. فحسب منظور المهدى المنتظر هو المصدر الأعلى ولا يدعم ما يقول باستشهاد من شخص آخر .

والنقطة الثانية ان المهدى يرد كل ما استن من امور المهدية الى الرسول ، فهو ليس مبتدعاً للأمور وانما هو مأمور متبع كما هو واضح من تحديد المهام فى حضرة تنصيبه وقوله بأنه هاجر الى قدير وكتب الى الناس بدعوتهم بأمرالرسول كما يقول فى منشور الدعوة . ولكننا نترك هذا المنحى من اخذه للأمور لأهل العقد معه ونبنى دراستنا لمهديته على الأقوال والأفعال الصادرة منه سواء كانت منسوبة الى الرسول او مرسلة من جهته .

المهدية ثلاثة امور : الرجل ، قالب المهدية الذى صاغه الرجل ، والدولاب الذى شيده لتجسيد هذا القالب واقعاً .

ا - الرجل :

وصف ونجت هيئة المهدى فقال : طويل ، يميل الى النحافة ، يتمتع ببناء شبابى ، ومثل دناقلة كثيرين له عيون واسعة وتقاطيع طيبة ، ويحمل مظهريا كل صفات رجل محترم احسنت تربيته (٤١) .

ووصفه نعوم شقير فقال : « وكان طويل القامة كبير الرأس عريض الوجه اسمر اللون أدعج العينين ازج الحاجبين واسع الجبين اقنى الانف رحب الصدر واسع الفم عريض الشفتين عظيم المنكبين ضخم العظام واسع الكفين والقدمين سائل الاطراف مفلج الاسنان مشرط الوجنتين ، على كل وجنة ثلاثة شرائط افقية ، مستدير اللحية واسعها خفيف الشاربين . وكان يحلق شعر رأسه ويحسن لحيته . ولباسه الجبة والعمامة ... وكان كثير التبسم يظهر من تبسمه فلج اسنانه المستحب عند اهل السودان حتى لقبوه بأبى الفلجة» (٤٢) .

---

(٤٢) شقير ، ص ٦٠٦ .

(41) Wingate , F . R . Mahdiism in the Eygption Sudan . p13.

ووصفه الحسن سعد العبادى فقال : « وهو كث اللحية اكحل العينين براق الثنايا مفلج الاسنان اهدب الاشفار ازج الحاجبين واسع الفم على احسن تركيب ، ذو جبهة هلالية ، سهل الخدين ، يرى فى انفه بعض ارتفاع ، حسن العرنين بعيد ما بين المنكبين شثن الكفين ضخم الكراديس قليل لحم العقب ، وبين كتفيه خاتم المهدية قد عمته الانوار الايمانية ويتكفؤ فى مشيته كأنما ينحط من صبب ارتقاه من جهة علوية ، عظيم الجسم مع انه يبيت جوعا ويعصب الحجر على بطنه من الجوع ولم يلتفت الى ما اوتى من مفاتح الخزاين العلوية والسفلية ، مربوع القامة عظيم الهامة طويل العنق طويل الزندين عريض الصدر باطن قدميه مرفوع من الجهة الارضية» (٤٣) .

وقد وصفه على لسان شهاب الدين القليوبى فقال : « اما صفاته الخلقية فهو عظيم الجسم كامل القوة عظيم الهامة واسع الجبين اكحل العينين كث اللحية طويل العنق مفلج الاسنان بارقها طويل الزندين وفى خده خال عريض الصدر باطن قدميه مرفوع عن الارض وله خاتم بين كتفيه وشثن الكف» (٤٤) .

ثم قال : «ما أصح نقله وكشفه فكأنما يتكلم عن شهود وعيان وجالس بين يدى محمد المهدى هذا وصار يصف فى ذاته ومكانه واحواله بصحيح البرهان » (٤٥) . ومحاولته واضحة وهى القول بأن القليوبى كشف فى زمانه ورأى محمد المهدى هذا ووصفه هذا الوصف الصادق ، وفى ذلك دليل على تأكيد مهديته فيما يريد .

اما الحسين زهرا فيورد اولاً اوصاف المهدى المنتظر كما جاءت بقوله : « انه كامل فى خَلقه واخلاقه، وحكيم فى اقواله وافعاله وحق فى ذاتياته وعرضياته واحواله ». ثم يصف محمد احمد قائلاً : « والمشاهدة افادتنا ذلك كله فيه ورمزت الى انه فوق بما لا نهاية له ، وليس بعد العيان بيان، اذ خلقه زاهر وخلقه عظيم فاخر وقوله باهر وفعله طاهر وجنده قاهر وعلى نهجه القويم ساير وفى اقتفاء آثاره ساهر ، فهو المهدى فى خلقه واخلاقه وافعاله واقواله وجملة افعاله» (٤٦) . وفى موضع وصفه بقوله : « افرق الثنايا به كحل» (٤٧) . وفى موضع آخر قال : « فاعلم ان الشبه الخلقى (يعنى

---

(٤٣) العالم المجاهد ، ص ١٠٣ .
(٤٤) نفسه ، ص ١٢٣
(٤٥) نفسه .
(٤٦) عالم المهدية ، ص ١٦٥ .
(٤٧) نفسه

لشبه رسول الله) حاصل ومنكره مكابر. والسمرة مذكورة فى الآثار فى حقه» (٤٨) . ثم قال : «اجلى الجبهة اقنى الانف ... افرق الثنايا به كحل ... انيل الفخذين» (٤٩) ، وفى موضعى النقط فى العبارة الاخيرة يورد اوصاف الرسول على فرض انها اوصاف المهدى . ويقول فى موضع آخر : «واما خلقه فخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا ما استثنته حضرة ظهوره ، اى غير الوصف الذى لم يظهر فيه عليه السلام، فهو مستثنى من شبهه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... فهو ليس بالطويل الباين ولا بالقصير ولا بالابيض الامهق ، غير انه عليه السلام اسمر كما يأتى ، ولا بالجعد القطط ولا بالسبط . فهو صلى الله عليه وسلم ربعة حسن الجسم ، اذا مشى يتكفأ ، بعيد ما بين المنكبين ، شثن الكفين والقدمين ، ضخم الرأس ، ضخم الكراديس، لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم ، وكان فى وجهه تدوير ، ادعج العينين ، اهدب الاشفار، جليل المشاس والكتد، اجرد . اذا التفت التفت معا فخما مفخما يتلألا وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ... فجميع ما ذكرته اوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى موجودة فيه عليه السلام ما عدا ما استثنته حضرة ظهوره عليه السلام من نجو البياض المشرب بالحمرة، فان المهدى عليه السلام ظهر اسمر وذلك منصوص عليه فى الآثار فيه ، فهو مستثنى من الشبه الخلقى كغيره مما لم يوجد فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد فيه عليه السلام كما قدمناه . وسمرته عليه السلام لا تشبه سمرة غيره ... تشبه تلك السمرة سمرة هواء النيل بظل مائه ... » (٥٠) .

ووصفه اسماعيل الكردفانى فى «سعادة المستهدى» فقال : «اجلى الجبهة اقنى الانف ووجهه كالكوكب الدرى ولونه عليه السلام يميل الى السمرة كما هى لون العرب» (٥١) . ثم قال : «اعلم ايها المحب لهذا الحبيب المكرم الباحث عن تفاصيل جمل جمال صورة هذا السيد السند المعظم ، ان الله قد اكمل له المحاسن الخلقية وملأه باحاسن الصفات الصورية لتكون ذاته الكريمة متأهلة لحلول النفس الكاملة ومهطبا لتنزلات سحب الرحمات الهاطلة وذلك لها بطريق الوراثة المحمدية والنسبة بالذات الاحمدية . وانت اذا تأملت فى دقائق ما اودع من الكمالات فى ذاته المنيرة وعلمت

---

(٤٨) نفسه ، ص ١٧٨.

(٤٩) نفسه ، ص ٢٠٣/ ٢٠٤ .

(٥٠) شقير ، ص ٦٠٦ - ٧٠٦ .

(٥١) ص ، ١٥

عين طلعته التى تخجل شمس الظهيرة تيقنت انه عليه السلام قد حاز ذلك الجمال الاوفر وتحلى بحلى محاسن الاصطفاء الاكبر . فانه عليه السلام ازهر اللون ادعج العينين اهدب الاشفار ابلج ازج الحاجبين اذا افتر ضاحكا افتر من مثل سنا البرق ، واسع الجبين واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام رحب الكفين ضخم العظام رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف متماسك البدن معتدل الخلق مفلج الاسنان وغير ذلك من صفاته السنية . فسبحان من اطلع شمس الجمال من افق جبينه وانشأ غيث المكرمات من عمائم يمينه» (٥٢) .

ان وصف المهدى مهم لأن بعض المتحدثين عن المهدى المنتظر قالوا انه يشبه الرسول فى خلقه وخلقه (بفتح خاء وضم آخر) وان استدركوا بألا يبلغ احد ملاحة الرسول وخلقه الذى لا يعلو اليه مخلوق . والمهدى ليس ممن يقول بهذا الشبه ، ولكن ادراك موقع الوصف فى فقه المهدية مهم سواء اخذ به المهدى او لم يأخذ. وكما ترى فان زهرا والعبادى قد اجهدا نفسيهما ليجدا حلاً ازاء تباين شبه المهدى من شبه الرسول . وهذه نقطة مهمة فيما ركز عليه العلماء لنفى المهدية عن المهدى .

وقد شاع بين الناس رسم لوجه المهدى ورأسه ملفوفا بعمامته ، وكما اخذ نعوم الوصف من افواه الناس وصاغه تصور الراسم معالم وجه المهدى مما وصف له واعمل قلمه . ومنه ارتسم شكل الوجه والرأس فى اذهان الناس وكأنه حقيقة . ولم نقف على اسم هذا الراسم . ويستنسخ التشكيليون من هذا الشكل اشكالا متنوعة .

وقد وصف نعوم اخلاقه وعوائده (٥٣) كما فعل زهرا فى الفقرة التى نقلناها ، وهذا الجانب ايضا مما عنى به المتحدثون عن صفات المهدى .

اتجاه المهدى : رؤيته للدين

كان المهدى عميق الايمان بالدين . وتستقر قاعدة هذا الايمان على ولاية الله المطلقة وعبودية خلقه. والانسان طرف من المنظومة العابدة لله : يسبح لله ما فى السموات والارض ، تسبح له السموات السبع والارضون ومن فيهن ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . والانسان بغير دين خارج عن هذه المنظومة العابدة ، وهو عبث وضلال . فالدين غاية الحياة ، والعبادة الطريق السوى الى الله . وقد ارسل الله الرسل والانبياء لهداية الخلق اليه وليبينوا السبيل السوى . والدين هو

---

(٥٢) سعادة المستهدى ص ٧٦-٧٧ .

(٥٣) شقير ، ص ٦٠٦ - ٦٠٧ .

الاسلام ، خاتمة ديانات السماء وكمالها ، ولا يقبل الله ديناً غيره، فمن حاد عن طريق الاسلام سقط فى المهاوى . وغاية المسلم ان ينشد الاسلام القويم وان يزكى نفسه حتى تطيب وتنعم ببرد اليقين وقرب الله والعبودية الخالصة لله . والاسلام عقيدة وعبادة وسلوك ، هكذا مجتمعة . والآخرة مقدمة على الدنيا لأنها دار الخلود، والدنيا فانية وهى معبر الى الآخرة وحسب ، وهى غرارة تذهب بالرؤوس ببهرجها ونعمها الزائلة ، وعلى المسلم الا يقع فى شراك الدنيا وان يكرس نفسه لبناء الآخرة . والمرء اذا راعى سلامة الآخرة استقامت دنياه وسعد فى حياته الأولى كما يسعد فى حياته الاخرى . وقد اوكل الله ارث الاسلام للعلماء لحفظه وهداية الخلق وتقويم سلوكهم وارشادهم بأمور الدين والعبادة ، وارثهم هذا هو ما سماه فى مخاطبتهم «حوبتكم التى خلقتم لها » . اما المهدى فمهمته ان يهدى وان يسلك حتى يعود بالمسلمين الى مجتمع الرسول والخلافة الراشدة .

هذا مختصر ، شديد العصر ، لرؤية المهدى الى الدين وموقع الانسان منه ، وموقعه هو ، وما ينبغى ان يكون عليه انصاره .

المشرب :

جمع المهدى فى مشربه الدينى بين التصوف والاتجاه السلفى على نهج سلفية السودان الذين كانوا يأخذون التصوف طريقا لنقاء النفس والقرب الى الله وحسن العبادة ويرفضون الشطط فى ادعاء الكرامات كالقدرة على النفع والضر والطيران فى الهواء والمشى على الماء واحياء الموتى وكشف الغيب والاتصال بالموتى والمبالغة فى طقوس الذكر والعزائم والاحجبة واتخاذ التصوف سبيلا الى علو المقام الدنيوى والكسب المادى بما يجمع من الاتباع من مال . ولكنهم لم يكونوا معادين فى مواقفهم لقيادات التصوف ، وكان أغلبهم منتسبين الى الطرق، فاذا رأوا اعوجاجاً اخذوا عليه او تحولوا الى طريقة اخرى بريئة من الشطط ، مثلما فعل الشيخ خوجلى الذى تحول من القادرية الى الشاذلية والشيخ المجذوب الذى اسس طريقته على النهج الشاذلى بعد ان كان قادرياً . وقد انكر الشيخ العركى اسلوب البهارى فى التسليك وتوقف عنه ايثاراً لعلمه . وفرح ولد تكتوك كان صوفيا نقى العقيدة زاهداً مترفعاً على الحكام حكيماً . ولم ينكر القاضى دشين التصوف وانما انكر الزواج من اكثر من اربعة وجمع الاختين . والذى تشدد مع المتصوفة فعلاً هو

حمد ود ام مريوم . وعلى العموم فان المجتمع السودانى لم يشهد غلواً فى الخصومة بين العلماء والمتصوفة ، ومن الصعب ان تفصل بخط بين العلماء والمتصوفة فى السودان بشكل متباين . وسلفية السودان كانوا كأهل السودان فى توسط يقبلون التصوف وينكرون بهدوء مبالغات المشتطين . وقد نشد المهدى النقاء فى السلوك الدينى من حيث المعتقد وصدق العبودية لله ونزه الله عن ان يشاركه احد فى مشيئته ، لا احد غيره يعطى او يمنع، ولا يطلب المؤمن الا من الله، ولا يرجو الا منه ، وهو المولى الوالى الكريم . وبذلك اسقط كثيراً مما يدعيه الشيوخ ويروجه الاتباع واستنكر خروجهم عن السوى لتمكن الدنيا منهم . وقد تقدم انه انكر على استاذه محمد شريف بعض ما وقع فى حفل ختان اولاده فى شحنة سلفية وان هذا أدى الى الخصومة بينهما والفراق . وكان من جانبه السلفى منع زيارة القبور ، ومنع الاحجبة والعزائم وعدم الحلف بغير الله وحجر النساء . والوجه السلفى منه هو الذى أدى الى التشدد فى السلوك الذى فرضه والأحكام التى اصدرها .

وقد سلك محمد احمدفى الطريق طويلا وارتوى ومارس التصوف مريداً ومسلكاً وخليفة وداعية . وكان مثالا فى توقير الشيخ وخدمته . بل وقد بالغ فى ذلك تحقيرا للنفس ازاء الشيخ . وقد اعطى للجمهور صورة مثالية فى السلوك الصوفى فأحبوه وتعلقوا به . وقد قرأ فى التصوف كثيرا .

اما أثر الصوفية فى بناء مهديته فنجملها فى النقاط التالية :

- القول بأن ستة من اسس مهديته الاثنتى عشر جاءت من التصوف بينما جاءت الستة الاخرى من فكرة المهدية .
- القول بالحضرات واعتماد ما يقع فيها مستندا وحجة ، والالتقاء بالأولياء الموتى والتعامل معهم ، وحضور روحانية الشيوخ الاحياء معه فى الحضرات .
- كونه نصب مهديا فى حضرة فى محضر الخلفاء والأولياء وشيوخ السمانية .
- رفعه رايات اقطاب التصوف الاربعة بألوانها وتنظيم محاربيه تحتها.
- القول بأنه - اى المهدى - مخلوق من نور عنان قلب الرسول .
- القول براية النور امامه .

- القول بمصاحبة الخضر وعزرائيل له رمزا للبركة والنصر وحضور النبى وخلفائه والملائكة والأولياء فى معاركه ومناصرتهم له فى الحرب .

- القول بسيف النصرالذى اعطى له فى الحضرة ، وهو سيف معنوى لا مادى .

- القول بأن العلماء لا يدركون حقيقة مهديته وانما يدركها اهل البصائر اى الواصلون صوفياً، والقول بأسرار للأمور يراها خاصة الأولياء ولا يراها غيرهم .

- اتخاذ نظام المراتب لأصحابه على منوال مراتب الصوفية .

- تعيين الرسول لكبار اعوانه وسنه للأمور المهمة .

- تسمية اعوانه فى المركز والاقاليم بلفظ الخليفة على منوال خلفاء الطرق حتى خصص اللفظ لكبار اعوانه الثلاثة واقتصره عليهم .

- وصفه للمهدية بلفظ الطريقة فى محضر حضرة التنصيب .

- دخول الخلوة فى رمضان .

- تجسيد العبادات بمعانى .

- التفسير الباطنى للقرآن وبعض الأمور .

- القول بأن الجنة جنتان ، جنة للعامة فيها الملذات ، وجنة للخاصة فيها التمتع بشهود الله .

هذا هو الرجل بوسمه ومزاجه وفكره .

المهدية:

يتلقى المهدى ، وفق المنظور الذى يعرضه ، الأحكام من الرسول مباشرة ، وهذا منظور يتفق تماماً مع منظور الصوفية للمهدى المنتظر . وهو لذلك يتخذ الأحكام التى كانت سوف تصدر من الرسول ازاء النوازل اذا عرضت عليه ، وأحكامه لذلك احكام لا يأتيها الباطل من اى وجه . واذا كان امام الشيعة معصوماً من الخطأ لمؤهله الدينى وفق قاعدة الامامية عندهم فان المهدى مبرء من الخطأ ومهتد على الحق لاخذه المباشر من الرسول . والمهدى لذلك متبع وليس مبتدعاً ، وقد وصف نفسه هكذا فى مواضع من أدبياته . واذا كانت أحكامه من الرسول، وفيما يقول ايضا بالالهام وعن طريق ملك ، فانه ليس مجتهداً. والحكم الوارد من الرسول هو الحكم الحق . اما حكم المجتهد

فقابل للصواب والخطأ لأنه اجتهاد بشرى .

والمهدى ليس امام القرن ، لأن امام القرن مجتهد اصلاً ، وفضله انه أعلى المجتهدين فى قرنه فى رأى من يقرون بامامته . وقال لمن هربوا من معسكره بعد هزيمة الجمعة فى الابيض انه امام قرنه . وقصده ليس امام القرن بمعنى المصلح وانما انه صاحب الأمر على الناس ، اى ولي الأمر . وفى هذا المعنى ايضا قال لابى السعود الذى جاء اليه فى ابا وراجعه : انا ولى الامر فى هذا الآن.

وهو ليس مصلحاً ، لأن المصلح ايضا مجتهد ، واجتهاده يدور فى مجتمع وزمن .

وهو ليس صاحب الوقت الذى هو حسب منظور الصوفية الولى الأكبر فى زمانه الذى بين يديه مقاليد الكون. والحق ان المهدى وفق اتجاهه السلفى المتشدد لا يمكن ان يقبل بفكرة ان تكون مقاليد الأمور بيد احد لأن المقاليد بيد الله وحده ، ولم يقل فى اى موقع من أدبياته انه يملك تدبير امور الكون ، بل هو متوكل على الله ويقبل عن طواعية بمراده سبحانه ، وقد رمز فى ديباجة رسائله الى تفرد الله بملكوته بعبارة « الوالى الكريم » وجعل هذه العبارة شعار دعوته ، بل رأى الا يسأل الله آية لمهديته تأدبا معه. فالمهدى بعيد عن هذا الوالى الصوفى الذى يسمى صاحب الوقت .

وهو ليس قطباً ولا غوثاً لأن المهدى فوق هاتين الصفتين ، والعامى من اتباعه فى رتبة القطب والغوث . وهو ايضا أعلى من ختم الولاية ، لأن المهدية فوق الولاية ، ورتبته حسب منظور القطب والغوث والختم هى الخلافة الكبرى .

ومهديته محددة من قبل الرسول الذى اجلسه على كرسى المهدية واركانها قد حددت فى حضرة التنصيب . والمهدية مقدرة له ازلاً ولم يكن كسباً بظروف الوقت . لذلك كان من الخطأ جمع اسباب قيام المهدية من أوضاع السودان العامة . وقد اخطأ الحسن العبادى اذ قال ان الله نظر فى جيله فلم يجد للمهدية افضل منه ، اذ ما عليه المهدى هو انه اختير من الأزل . قال : «فنظر (الرسول) فى مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالها الى امته فلم يجد شخصاً متوفرة فيه شروطها والقيام بأمورها ومصالحها بالتمام سوى محمد المهدى هذا» (٥٤) . وقد روى المهدى العبارة على لسان عبد القادر الجيلانى ، هكذا : « وقال عبد القادر الجيلانى ان الله اطلعنى على السموات

(٥٤) العالم المجاهد ، ص ١٦٣ .

والأرض ولم يخفى عليّ شئ منهما ، فعلى قدر ما رأيت فى السموات فما وجدت من يعطيه الله المهدية غيرك وعلى قدر ما نظرت فى الأرض فما وجدت خليفة فيها يعطيه الله المهدية غيرك ، وقال ان قسمة المهدية مقسومة لك من الأزل »(٥٥) .

ولما كان مطلوباً ، على وجه عام ، من كل من طلب امراً ان يدلل على صدقه فانه روى بعض العلامات على لسان الرسول كما أبرز فى كلامه عن نفسه بعض أوصاف المهدى المنتظر ، اما العلامات التى اوردها فثلاثة (٥٦) : الخال على خده الأيمن ، وراية النور التى يحملها عزارئيل امام جيشه فى الوقائع رمزاً للنصر الدائم . وقد ردد فى أدبيات كثيرة انه موعود بالنصر على الاعداء وان راية النور تثبت اقدام اتباعه وتزلزل اعداءه . والعلامة الثالثة انه مخلوق من نور عنان قلب الرسول ، وهذا دليل الطهر والنقاء والاصطفاء . وقال ان الرسول أخرج قلبه ووزنه بجبل احد فوجده أثقل من الجبل ثم اعاده الى موضعه فأصبح قلبه صافياً نقياً . ثم انه رأى فى سيرته شبهاً لسيرة الرسول ، وقد اجتهد اصحابه في بيان هذه الموازنة ، ومثال ذلك قولهم ان المشاركين فى واقعة ابا كانوا بعدد صحابة الرسول فى واقعة بدر . ولكن فاتهم ان يدركوا ان الرسول توفى بعد حجة الوداع بعدة اشهر وان المهدى مات بعد فتح الخرطوم بعدة اشهر ايضا وان سبب الوفاة فى الحالتين الحمى. فات ذلك على الذين يحسبون مثل هذه الأمور . وقال ان النار تحرق جلود العساكر القتلى تعجيلا لهم لجهنم الذى ينتظرهم . وقد عدل اسمه من محمد احمد بن عبدالله الى محمد المهدى بن عبدالله ليتطابق اسمه واسم ابيه مع اسم الرسول واسم ابيه . وذكر انه من السلالة النبوية وحسنياً اساساً ثم كونه منتسباً بوجه الى الحسين والى العباس ، متفقا مع ما جاء من علامات المهدى المنتظر من حيث النسب ، ولكن دون ان يقول ان هذه علامات تؤيد مهديته لتطابقها مع علامات المهدى المنتظر. وقال اتباعه انهم وجدوا اسمه فى بيض الدجاج وحب البطيخ. وبعضهم استشهد بظهور النجم ذى الذنب . والعلامة المهمة لمهديته بالنسبة للجمهور هى انتصاره المتتالى فى الوقائع ، اذ اعتبر برهاناً على الدعم الدائم من الله وان الدين منصور ابداً لأن المهدى المنتظر موعود بالنصر . وقال هو نفسه فى موضع ان انتصاراته ككرامات الانبياء ويستدل منها

---

(٥٥) الآثار الكاملة ، مجلد١ ، رقم ١٥٣ ص ٤٢٢ .

(٥٦) راجع حضرة التنصيب ومنشورات الدعوة .

على انه المهدى حقيقة .

ومهديته ليست مترتبة على امور ظرفية ، انها ليست محددة بزمن او مكان مثل القول بأن المهدى يولد فى المدينة ويظهر فى مكة ويبايع عند الكعبة وعند اختلاف حول تولية خليفة ، بل اختيار الشخص ومكان وزمان الظهور مشيئة الهية لا تقيد بمنقول . وهى ليست قائمة على احقية أسرة على حكم المسلمين مثلما يقول الشيعة بحق علىّ وبنيه ويأتى مهديهم ليحسم هذا الحق ، وليست قائمة على ما ادعى العباسيون بوراثة النبى وحقهم بالتالى بالخلافة والمهدية . وانما المهدية قائمة على الهداية والارشاد ممن يختاره الله من عباده بمحض اختياره لهذه الغاية .

ولا ذكر فى مهديته للدجال والنبى عيسى ، وهما فصلان مهمان عند المتحدثين فى ظهور المهدى المنتظر وانتصار العدل بقتل الدجال على يد عيسى وبذلك تبدأ السعادة الكبرى ، وهما من علامات الساعة . وقد انزعج الخليفة عبد الله لظهور من ادعى العيسوية فى القلابات لأنه جاء على خلاف ما عليه المهدية وتهديداً لمكانته من جانب العقد ، ولما كان ما ادعاه يعتمد على موروث عام يقول بالعيسوية بعد المهدية فانه قد اثار حساسية بالغة . وقد امر الخليفة باعدامه واعدام اتباعه واصدر محررات تبين مغبة هذا الادعاء . ثم واجه حرج موقفه ازاء العيسوية بحضرة قال فيها ان النبى امر الخضر والنبى عيسى بمؤازرته . ولاكمال وجه العيسوية فى السودان نقول ان عدة حركات قامت فى العهد الثنائى بناء على الاعتقاد بظهور النبى عيسى بعد المهدى . وكان هذا النوع من المقاومة الدينية فى شمال السودان متوقعاً بعد الشحنة الدينية التى خلقتها المهدية ، ولأن العامل الدينى بفعاليته الاجتماعية القوية كان القوة المرشحة لمقاومة حكومة الكفر، وهذا بعكس الوضع فى جنوب السودان وجبال النوبا حيث كانت المقاومة قبلية ، لأن القبلية بها كانت القوة الاجتماعية الفاعلة . وكان عيسى السودان بشراً لا ذلك الراجع من السماء كما هو صورة النبى عيسى فى الروايات المتداولة . وكان عدد من المدعين من الوافدين من غرب افريقيا لأن العيسوية لا تشترط فى عيسى السلالة النبوية التى اوصدت باب المهدى امامهم . ومن الملفت ان مرجع حركاتهم كان مهدية السودان لا مهدية فوديو ، اى انهم قاموا بخلفية سودانية لمقاومة حدث فى السودان . وقد قمعت هذه الحركات بعنف وجاء السيد عبد الرحمن برايته وفرغ دعوات عيسى من المحتوى وعارض اتخاذ سبيل العنف لمقاومة الادارة القائمة .

ثم ان الدنيا عند المهدى باقية والحياة مستمرة ، وذلك على عكس ما هو متصور عنه عموماً، والامرالذى حركه هو ان الاسلام قد تدهور حتى صار مجرد رسم ، وتجئ مهمته لمعالجة هذا التدهور واعادة الاسلام الى نقائه على ما كان فى عهد الرسول والخلافة الراشدة فيواصل الاسلام سيره معافى . فالرسالة التى يجئ من اجلها هى الهداية والارشاد الى الدين القويم . ومن هنا ندرك لماذا ترك المهدى القالب المروج للمهدى المنتظر وأبعد مهديته من علامات قيام الساعة كالعيسوية ، اذ لو كانت الدنيا منتهية فى يده فلماذا الاصلاح . وهذا بخلاف ما ذهب اليه الشعرانى – مثلا – الذى تبلغ الدنيا عنده غايتها حسب مقولة اليوم المحمدى بألف عام من وفاة علىّ بن ابى طالب ، اما عند المهدى فالدنيا قائمة والحياة مستمرة ومهمته هى اصلاح ما اعوج من حال الاسلام . والتدهور الذى يعنيه المهدى هو ترك احكام الاسلام وابطال الشريعة مما ترتب عليه فساد المجتمع .

وسبب هذا التدهور هو اولاً طول المدة التى مضت منذ ايام الرسول ، ذلك لأن للزمان مفعولا على الأمور حتى تفسد وتتّبدل ، قال : « اندراس الدين بطول المدة » (٥٧) . وقال فى رسالته الى السلطان محمد يوسف بنص أوضح : طال عهد النبى صلى الله عليه وسلم وطال الامد فقست القلوب بحب الدنيا والجاه والثناء والصيت (٥٨) . وهو ثانياً تغير زمنه عن زمن الرسول وتبدل حال الاسلام ، قال : «لا يخفى تغير الزمن وترك السنن» ، وهذه العبارة هى مفتتح منشور الدعوة الذى يبسط فيه أمور مهديته ، ومن هنا ندرك اهميتها . والسبب الثالث ابطال الخلافة الدينية وانقلاب الامر الى ملك دنيوى منذ بداية عهد معاوية ، وحكام الاسلام الذين تعاقبوا اتجهوا الى الدنيا وانكبوا على الجاه والمال والملذات وابتعدوا عن طريق الله ، والعلماء تركوا جادة الحق واتجهوا الى ما يرضى الحكام طلباً للمنفعة وزينوا ما اراده الحكام ، ورجال الطرق فتنتهم الوظيفة وما يجبى من الناس من مال ، والجمهور اتبعوا حكامهم وعلماءهم ورجال الطرق . وقد انتشر الدجل ودخل فى الدين ما هو ليس منه بل وما يناقضه من عوائد المجتمعات . فالاسلام قد تضعضع لانصراف الناس جميعا عن احكامه وآدابه لانشغالهم بنعم الدنيا ومظاهرها . اما السلطان العثمانى عبد

---

(٥٧) الآثار الكاملة ، مجلد ٢ ، رقم ٣٣٣ ص ٩٦ .

(٥٨) الآثار الكاملة ، مجلد ٢ ، رقم ٢٨٥ ص ٣٠٢ .

الحميد وخديو مصر توفيق باشا، فقد زادا الكيل على آثام الحكام بالغاء شريعة الله واحلال القوانين الوضعية محلها والاهتداء بعوائد اوربا فى السلوك الاجتماعى وضعفا امام اوربا ونزلا عند ارادة الاوربيين وخضعا وسلماهم حكم عباد الله وجاءا بالنصارى حكاما على المسلمين . والمؤسسة التركية الحاكمة ، فوق ذلك ، اثم اكبر وهو وقوفها ضد مهديته ومحاولة وأدها بالقوة رفضا لاصلاح الدين وتقويمه ومعارضة لمشيئة الله، ونظراً لهذا الموقف المكابر الرافض فانه قضى بحتمية اسقاط السلطنة التركية ، وهذا ما عبر عنه بقوله ان الترك لا يطهرهم الا السيف .

وحسبما هو متوارث فى فكرة المهدى المنتظر بأن من لم يؤمن بالمهدى فقد كفر ، وبالنظر الى ان منكر مهديته يعارض المشيئة الالهية التى جاءت به لاصلاح امر الدين ، ونظراً لأن انكاره ينطوى على اعتراض لحديث الرسول وتنصيبه مهدياً فان منكر مهديته كافر. وبهذا الخط قسم العالم الى قسمين ، قسم يؤمن بمهديته ، وقسم ينكرها ، والذين يؤمنون هم المسلمون ، والذين ينكرون كفار حتى وان نطقوا بالشهادتين وادوا فرائض الاسلام .

ومهمة المهدى طرف من الدورة الكونية للهداية وتأتى فى آخر دوران الهداية الالهية ، فالله ارشد خلقه اليه بمظاهر الكون ودقائق الحياة ، ثم انطق الحكماء بما يقوّم حياة الانسان ويدل الى الله ، ثم ارسل الانبياء ثم الرسل وختم رسالة السماء بمحمد خاتم الرسل . ولما كان قدراً محتوماً ان يتدهور الاسلام بمضى الوقت وانصراف الناس عن احكامه فانه يرسل المهدى ليصلح من امر الناس ويقوّم الاسلام على خطى ما كان فى زمن الرسول والخلفاء الراشدين آخذاً اخذاً مباشراً من الرسول ، تلقياً منه لا اجتهاداً حتى ينفض الاسلام عن نفسه ما اعتوره من فساد وضعف ويأخذ مساره القويم الى يوم الدين . ولهذا فان المهدى خاتم الدورة المحمدية . وقد ذهب العبادى الى هذا واضاف « ولذلك لم يأت الا من آل بيته »(٥٩) . ولهذا فليس من قبله مهدى ، ولا من بعده مهدى ، هو الموعود على لسان الرسول ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وقد الغى المهدى الطرق الصوفية ومنع اورادها وسائر انشطتها ، وذلك لأسباب :

١- لأنه مرسل من قبل العناية الالهية للارشاد والهداية واصبحت الهداية منوطة به لوحده ولا مجال للآخرين معه .

---

(٥٩) العالم المجاهد ، ص ١٥١ .

٢- ان المهدية تضمنت اسس التصوف الستة بجانب اسس المهدية الستة ، فلا تترك مهمة التصوف لغيرها . وواضح من هنا ان المهدى لم يلغ التصوف وانما الغى المنظمة التى تقوم على الشيوخ وروابطهم . والحق ان التصوف كرؤيا للأمور وذوق ووصل بالخالق بقى معه بثقل .

٣- صفة المهدية تجعله فوق الاولياء واقطاب التصوف ، وأدنى اتباعه فى مرتبة الجيلانى الذى هو احد الأقطاب الأربعة الذين يرجع اليهم جميع الطرق ، وقد وصف بسلطان الاولياء، وتفوز طريقته بالقدر الأكبر من اتباع الطرق ، وعلى ذلك انتفت بظهور المهدى ولاية اصحاب الطرق ودورهم الارشادى ، ولذلك قال المهدى والخليفة لمن احتجوا على حظر طرقهم ان مؤسسى الطرق انفسهم لو حضروا زمان المهدى لانفضوا من طرقهم واتبعوا المهدى .

٤- دمغ المهدى مؤسسة الطرق بالانشغال بوظيفة المشيخة ومظاهرها وما يجبى من منافع، فهى دنيا .

وقد اوقف العمل بالمذاهب ، وحجته فى ذلك ان المذاهب جاءت باجتهاد ائمتها وانها بالتالى عرضة الى الخطأ بحكم انهأ اجتهاد بشرى ولأن ما جاء بالاجتهاد قد لا يستقيم اذا تغير الظرف عن ظرف امام المذهب عندما نظر فى الامر ، هذا مقابل مؤهله الدينى الكامل بحكم انه يأخذ من الرسول مباشرة بمعنى ان ما يأتيه هو ارادة الرسول فلا يدحض ولا يراجع . واذا كانت قاعدته هى العودة الى اسلام عهد الرسول والخلفاء الراشدين فان المنطق يدعو الى الغاء المذاهب والطرق لأنها جاءت بعد هذا العهد . وقد فرقت المذاهب الناس الى فرق ، وتعصب كل فريق لمذهبه ووقع الانقسام والعداء بين المسلمين . وقد جاء هو لتوحيد المسلمين على القرآن والسنة بعيداً عن المذاهب والطرق . وقد ادت العصبية العمياء للمذاهب الى التقليد والوقوف عند اجتهاد المذهب والجمود عنده . وهذا ما انكره كثير من المصلحين ونادوا بالأخذ من القرآن والحديث مباشرة او بأخذ الأحسن من المذاهب دون التزام بمذهب بعينه . وكان من هؤلاء الامام محمد بن عبد الوهاب الذى كان حنبلى المذهب ، فانه كان يرى بأن المذاهب الاخرى أحسن من الحنبلية فى أمور ولم يتردد من الميل الى المذهب الأحسن فى النازلة . واحمد بن ادريس لم يتقيد بمذهب او امام مع احترامه للائمة ومذاهبهم وكانت قاعدته الاخذ مباشرة من القرآن والحديث لأنه كان ضد التقليد ، الا انه لم يلغ المذاهب بل قال بالأخذ منها اذا توافقت مع الكتاب والسنة ، ولكن بعض العلماء

اخذوا عليه وعلى تلاميذه ذلك لأنه يعنى فتح باب الاجتهاد واعطاء حق الاجتهاد لمن لا تتوفر عنده قدرة الأخذ. ولكن ابن ادريس وامثاله قالوا ان الباب مفتوح لمن له الاهلية ، اما من كان دون الاهلية فيجوز له التقليد . وكان الشيخ السنوسى ممن يسير على ركاب ابن ادريس فى الاخذ من القرآن والحديث وعدم التقيد بالمذاهب ، وقد بذل جهداً كبيراً للتوفيق بين المذاهب والطرق وألف كثيراً فى هذه الغرض . اما تلميذه الآخر الميرغنى فانا لا نرى له دلواً فى هذه القضية ، فهو مشغول دائما بدائرة ختمه للولاية وأدبيات طريقته . وقال المهدى بجواز التقليد لمن لا اهلية له للأخذ من القرآن والسنة . وقال الحسين زهرا فى ذلك ان المهدى لم يمنع التقليد مطلقا ، اذ لا بد للتقليد لغير العارف (٦٠) . وقال عبد العزيز الدباغ فيما روى عنه اللمطى فى كتاب «الذهب الابريز» ان الولى لا يتقيد بمذهب من المذاهب لان الولى المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ، واذا كان كذلك فان المهدى من باب أولى لأنه أعلى من الاولياء . والمهدى سار مع هذا المجرى وأبطل ولكن اعتماداً على مؤهله المتفرد وهو مؤهل المهدى الذى يأخذ عن الرسول مباشرة ، ولهذا فانه قال لمن اعترض على موقفه من المذاهب واسفار الفقهاء : «لا تعرضوا علىّ بنصوصكم وعلومكم عن المتقدمين فلكل وقت ومقام حال ولكل زمان واوان رجال» . وقال لأحد أعوانه : «فاذا وجدت آية محكمة او حديثا صحيحا فاعمل بها واترك عنك اختلاف الائمة فى ذلك» . وقال : «فانا من جهة المذاهب والطرق الآن فلا يخفاكم ما منّ الله به علينا من الفضل والاحسان ، ولو كان اهل الطرق والمذاهب الآن على ظاهر فى الدنيا لاتبعونى واقتدوا بى . ولا شك ان هذا يعلموه اهل الطريقة قبل ظهورنا فى ترك طرقهم بطريق المرشد حيث وجد فى اى زمن فضلا عن ظهورنا» .

وقال الحسين زهرا ان الفقير الصادق لا ينتمى الى مذهب وانما هو مع الرسول الذى هو مشهود له (٦١) . وقال العبادى ان الاجتهاد مفتوح لكل من له الأهلية والتبصر (٦٢) وقال: «ان المهدى مبعوث لاحياء المراسم الدينية بخلاف ما كانت عليه الآراء الاجتهادية (٦٣) . وقال زهرا : ان مذاهب

---

(٦٠) عالم المهدية ، ص ٧٥ .

(٦١) عالم المهدية ، ص ٧٥ .

(٦٢) نفسه ص ١٧٤ .

(٦٣) العالم المجاهد ص ٣٤ .

الائمة آثار وعلامات بينما مذهب المهدى هو عين الهدى (٦٤) .

وبالغاء المهدى المذاهب واجتهادات العلماء اراد المهدى اسلاماً موازيا لاسلام عهد الرسول وخلفائه، واقتصر مستنده على القرآن والحديث . ولكن استنباط الأحكام من القرآن يواجه اشكالاً ، لأن الاستنباط ليس هيناً، وقد يكون عسيراً فى مواقع بل وقد يكون عصياً . والحل الذى يقدمه المهدى هو التقوى الذى يجلب الفرج ، وذلك اعتماداً على آيات من القرآن : «واتقوا الله يعلمكم الله» ؛ «ومن يتق الله يجعل له مخرجا» ، «ان تتقوا يجعل لكم فرقانا» . وقال : فقد التزم الله سبحانه بفضله بجعل الفرقان بين الحق والباطل لمن اتقاه ولم يعدم الله اهل التقوى المخرج فيما يخلصهم من سخطه فى الأحكام وغيرها كما وعد الله تعالى بذلك فى قوله : «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً» . وكم آية يقرأها المتقى لفك المشكلات فيسمعها العاقل فتكون عنده كأنها نزلت الآن وقد كان يتفحصها فى كل وقت ولا يعقلها . فليكن بذل جهدكم فى التقوى والاعراض عن الدنيا والخلق وثوقا بالله واختيارا للآخرة فيجعل الله لكم الفرقان فى كل شئ من كتابه» (٦٥) . وقد وضع الحسين زهرا مستند المهدية هذا على منحى العلماء ، فقال : «ان المتعين لذى العلم بالأحكام الشرعية تقديم الكتاب والسنة على ما عداهما وعلى غيرهم التقليد للعام بها ، والمقدم فى التقليد الامام عليه السلام ، وان لم يوجد للامام عليه السلام فى النازلة كلام فمذاهب الائمة الأعلام ويقدم ذو الدليل الأقوى على غيره» (٦٦) .

والمهدى خليفة الرسول ، وخلافته ليست خلافة تعاقبية ، كأن يعقب خليفة خليفة آخر عند موته ، وانما هى خلافة مرتبية تجعله فى أعلى المراتب الدينية : فوق القطبية والغوثية وقطب الأقطاب وختم الولاية ، ولا يعلوه فى رتبته الا الرسول . هذه هى الخلافة الكبرى او الخلافة المصطفوية او الامامة الكبرى التى تكلم عنها الصوفية ، هى الخلافة الخاصة فقط بالمهدى المنتظر ، ومؤهلها انه يتصل بالرسول مباشرة ويتلقى عنه او عن طريق الملك او التلقى اللدنى فيكون ما يفعله هو عين ما يريد الرسول وما كان يفعله لو كان حياً وواجهه الأمر . وهذا الذى تصوره ابن عربى فى ختم الولاية

---

(٦٤) عالم المهدية ، ص ١٧٢ .

(٦٥) الآثار الكاملة ، مجلد ٣ ، رقم ٤٥٢ ص ٣٥٢ .

(٦٦) عالم المهدية ، ص ٢٤٠ .

الذى هو المهدى ذاته فيما ذهب . وفى هذا قال الحسن العبادى : « وهكذا تحققت الولاية الكبرى لسيد الجميع محمد المهدى بن عبد الله» (٦٧) واذا كان المهدى هو خليفة رسول الله فان خلفاءه خلفاء خلفاء الرسول ، وهو يقفو اثر الرسول مسلكاً وعملاً شبراً بشبر لا يحود عنه شعرة ، وهو لذلك مؤهل لتقويم الدين حتى يعود الى ما كان بيد الرسول ، وزمنه مندرج من زمن الرسول واصحابه كأصحابه وادناهم له مرتبة عبد القادر الجيلانى . والخلافة وراثة النبى ، وهذه الوراثة فى العلم والاحاطة بالأمور .

الامامة :

الامامة فى المهدية صفة ، وهى صفة القيادة .

وهذه العبارة مليئة بالظلال والرؤى لأنها استدعيت فى الاسلام للتعبير عن وظائف كثيرة يجمعها معنى القيادة الدينية المتفردة .

ورد لفظ الامام فى القرآن الكريم سبع مرات ، ولفظ الائمة خمس مرات ، وفى كل هذه المواقع يتفق المعنى لكلى اللفظين فى الرأس والقدوة والثابت من الأمر عنده سبحانه وتعالى .

ففى سورة الحجر جاء لفظ الامام بمعنى القدر المرسوم : «وانهما لبإمام مبين» (آية ٧٩)، وفى سورة يسن جاء بمعنى القدر المدون فى اللوح المحفوظ : «وكل شئ احصيناه فى امام مبين» (آية ١٣) . وفى سورة البقرة جاء بمعنى القدوة فى الدين : «قال انى جاعلك للناس اماما» (آية ١٢٤) ، وفى سورة هود جاء بمعنى الكتاب الشاهد القويم اى التوراة الذى يحمل رسالة موسى : « ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة» (آية ١٧)، وقد تكررت نفس العبارة ولنفس المعنى فى سورة الاحقاف بالآية ١٢، وفى سورة الفرقان جاء بمعنى القائد القدوة : « واجعلنا للمتقين اماماً» (آية ٧٤) ، وفى سورة الاسراء جاء بمعنى نبيهم : «يوم ندعوا كل اناس بامامهم» (آية ٧١) . وفى سورة التوبة جاء لفظ الائمة بمعنى رؤساء الفئة الكافرة : « فقالوا ائمة الكفر انهم » (آية ١٢) . وفى سورة الانبياء جاء بمعنى القدوة فى الخير : « وجعلناهم ائمة يهدون بأمر» (آية ٧٣) ، وفى سورة القصص بمعنى القدوة فى الخير : « ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » (آية ٥) ، ثم رأس

---

(٦٧) عالم المهدية ص ١٨٧ .

الشرك : « وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون» (آية ٤١) ، وفى سورة السجدة جاء بمعنى قادة هداية : وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا» (آية ٢٤) .

وقد دلت هذه الشواهد على ان الامام فى القرآن مطلق الثابت والمقدم على الجماعة حتى وان كان رأس او قدوة سوء . ولكنه عندما اصبح لقبا لقادة الاسلام اتخذ صفة الرأس الأكبر والقدوة السامية .

وكان اول ما ابتدع اللفظ فى الاسلام امام الصلاة ، وسمى من يصلى وراءه مؤتماً، اى متبعاً .

وكان علىّ بن ابى طالب اول خليفة فاز بلقب الامام ، وربما كان ذلك تعويضاً له من قبل محبيه لحرمانه من الخلافة التى كان يستحقها فى نظرهم عقب وفاة الرسول وتعديه حتى جاء دوره الخليفة الرابع . وكانت لعلىّ مزايا كثيرة : قربه من الرسول ومن بيته ، بلاؤه فى بناء الاسلام بشجاعته وسيفه ، وصلابته فى اسلامه ، ثم مزاياه العقلية واسهاماته التى اثرى بها الفكر والتى اعلت من شأنه وتعطيه حق الامامة من زاوية الفكر . هكذا استحق علىّ لقب الامام ، وهو المنفرد بين الصحابة بهذا اللقب ، وحتى ابن عباس سمى حبر الامة ولم يسم اماماً مع مكانه من العلم . ثم تبنى الشيعة حق نسله فى الولاية اماماً عن امام ، بتدبير الله سبحانه وتعالى ، بمرجعية دينية عليا وعصمة عن الخطأ . وكان امام الشيعة تطوراً مهما فى مضمون الوظيفة القيادية وفى معنى العبارة ذاتها .

ثم استعمل المسلمون العبارة ذاتها للتعبير عن وظائف اجتماعية ودينية عليا . فقد سموا مصحف الخليفة عثمان بن عفان الذى ابقاه لنفسه ، ربما كمستند ثابت تحت يده ، بينما جعل مصحفاً لأهل المدينة وارسل اربعة للأمصار ، اماماً باعتباره المصحف الأول فى نظرهم طالما انه مصحف الخليفة جامع القرآن . ومدح النبى بامام القبلتين تشريفاً بقبلتى مكة وبيت المقدس .

واصحاب المذاهب سموهم ائمة اعتباراً لتفردهم فى الاجتهاد . والمجتهد الأول فى قرنه سمى امام القرن . واشتهر ضياء الدين الجوينى بامام الحرمين نظراً لمكانته العالية ، وحمل اللقب ايضا الجلال المحلى احد مفسرى تفسير الجلالين ، وسمى المجتهد المصرى محمد عبده اماماً لمكانته فى الاصلاح الدينى . وشيخ الازهر فى مصر سمى الامام الاكبر بحكم وظيفته على رأس هذه المنظمة

الدينية السامية . وهذه مجرد امثلة . والامام لقب من القاب رأس المسلمين وهو يعبر عن السلطة الدينية العليا بمعنى القدوة بينما يعنى لقب امير المؤمنين السلطة الزمنية النافذة، هذا لأهل السنة، اما بالنسبة للشيعة فالأصل هو الامام بمرجعيته الدينية والقيادية . وامامة الصلاة سميت الامامة الصغرى بالنسبة للامامة الكبرى وهى الخلافة .

وامامة المهدى صفة تعبر عن تفرد قيادته الدينية ، وهى قيادة ، فى منظور فكر المهدى المنتظر ، للبشرية جمعاء لسوقهم للاسلام الصحيح ودورة السعادة الكاملة التى تسبق القيامة. والبشر مكلفون باتباعه وتتبع خطاه والقيام بعونه .

وقد وصف ابن عربى فى عنقاء مغرب هذه الامامة بقوله : «اعلم ان الامامة هى المنزلة التى يكون النازل فيها متبوعا وكلامه مسموعا وعقده لا يحل وعزب مهنده لا يفل ، فاذا هم امضى ، ولا راد لما به قضى ، حسامه مصلت وكلامه مصمت لا يجد المعترض مدخلا اليه وان رام اعتراضا عوقب عليه ، الخ (٦٨) .

الخلافة :

اطلق المهدى لفظ الخليفة على اعوانه الذين عهد اليهم بالأمور فى الأقاليم ، وذلك على نمط خلفاء الطرق الصوفية الذين كانوا يمثلون شيخ الطريقة فيشرفون على الاتباع وينظمون انشطتهم ويقودون مراسم الطرق ويحيون الموالد والمواسم الدينية باسم الشيخ ويجمعون حقوق الشيخ من املاكه الخاصة وما يجود به الاتباع له . ولا شك ان المهدى تابع هنا ما كان معهوداً فى ادارة الطرق والذى مارسه هو نفسه عندما كان خليفة للشيخ محمد شريف. وكان هذا هو الربط الادارى القريب الى معرفته . وقد ورد لفظ الخليفة كوظيفة قيادية لجماعات اقليمية وعبارات مثل خلفتك وخلفناك وجعلتك خليفة فى كثير من محرراته الأولى .

وكان جيشه مقسما الى ثلاث رايات يقود كل راية منها خليفة ، وهى الراية الزرقا (٦٩) وعليها الخليفة عبد الله ، والراية الخضرا وعليها الخليفة على الحلو ، والراية الحمرا وعليها الخليفة محمد

---

(٦٨) مختصر عنقاء مغرب ادناه فقرة ٩ .

(٦٩) عادة ما يكتب الناس الوان الرايات بالهمزة على الوجه الفصيح فيقولون الزرقاء والخضراء والحمراء والبيضاء والصفراء وصوابها بغير الهمزة .

شريف . وينضوى تحت الراية الأولى اولاد الغرب ، وهم الكثرة ، وتحت الثانية اهل النيل الابيض ، وكانوا أصغر الرايات عدداً وينضوون تحت امارات جاءت وفق التركيب القبلى فى هذه الجهة وهى امارات دغيم وكنانة والحسنات والعمارنة ، وتحت الثالثة اهل البحر وعليها الخليفة محمد شريف ابن حامد .

ويلاحظ هنا ان الراية الصفرا - راية القطب ابراهيم الدسوقى - والتى رفعت قبل الدخول فى معركة ابا ظلت خالية من خليفة ومن رجال ، وقد ظلت راية رمزية تابعة للقيادة فى ايام المهدى وبعده . والراية البيضا ، وهى راية المهدى نفسه ، لم يسم لها خليفة .

وقد يؤخذ من تقسيم الجيش الى ثلاث رايات يقود كل منها خليفة ان وسم خلفاء الرايات الثلاثة بخلفاء خلفاء الرسول لم يكن وارداً عندئذ والا لسمى خليفة رابع . ويلاحظ انه بصعود مركز الخلفاء الثلاثة تلاشى اطلاق لفظ الخليفة على اعوان المهدى فى الاقاليم . ومما يقوى هذه الملاحظة حساسية بعضهم حيال وثيقة يخاطب فيها المهدى رحمة محمد منوفل بلقب خليفة جريا على المتبع ازاء القيادات الاقليمية فى هذه الفترة .

وكان محمد عبد الله شقيق المهدى الأكبر ومستشاره الأقرب يقود الراية البيضا ، راية القيادة ، وتحته عبد الرحمن النجومى الذى حمل لقب امير الأمراء باعتبار موقعه فى راية القيادة ، ولكن محمداً لم يحمل لقب الخليفة ولا كانت تحته قوات . وكان محمد يتمتع بالقرب ونفوذ كبير ، ولكن موقعه ازاء الخلفاء الثلاثة غير واضح ، هل هو فى رتبتهم أم فوقهم ام دونهم !

وقد استشهد محمد فى واقعة الجمعة حول الابيض ، ولم يتقدم احد من الأشراف ، او من غيرهم ، ليحل مكانه . وهكذا انتهى هذا الموقع المهم فى تنظيم المهدى مع صاحبه لأنه كان قائما على وزن شخصى . وقد ضمر دوره فى التاريخ المدون ولم يرو عنه الا القليل لأنه مات فى هذا الوقت المبكر ولم يشارك فى الحوادث القادمة التى اشتهر بها الناس .

وكان الخليفة عبد الله - والذى كان قريباً من قلب المهدى من البدء - ينمو قوة ونفوذاً لكفاءته وجدارته ودأبه ولنمو رايته عدداً وبلاء وبلاء رجاله فى الحرب . وقد فتح استشهاد محمد عبد الله دربه الى الصعود ليكون الثانى من غير منازع .

ويلاحظ ايضا ان امين السلاح وامين بيت المال وقاضى الاسلام لم يحملوا لقب الخليفة بالرغم من انهم كانوا يحتلون مناصب مركزية رفيعة ، وهذا يوحى بأن الخلافة كانت مقتصرة فى القيادة على خلفاء الرايات .

وفى اثناء حصار الأبيض ظهر شخص له دوى كبير وهو الفكى المنا اسماعيل الذى ظهر اسمه فى وثائق بدايات مولد المهدية . وكان المنا من السعداب الذين استوطنوا فى شرق كردفان وسط الجوامعة . وهو الذى قاد الحملة على مدينة التيارة التجارية والادارية المهمة فى شرق كردفان واستولى عليها باسم المهدى .

وعندما زحف المهدى نحو الابيض ارسل اليه – كما فعل مع قيادات كردفان الاخرى – للانضمام اليه فقاد جيشاً ضخماً واتخذ موقعه بجهة حنتوب .

ولكن التنافر سرعان ما ظهر بين جماعة المنا والجيش الرئيسى ، اذ اخذ على الجماعة تحركها كجسم منفصل او مستقل ، كما اخذت عليها امور فى السلوك لا تقبل فى منهج المهدية مثل شرب الخمر والرقص والطرب . كذلك اخذ عليها الاستيلاء على الغنائم . وكان المنا رجلاً قوياً ومتطلعاً الى الخلافة وسعى اليها بينما كان المهدى متوقفاً عن ذلك وشق عليه سعيه الذى اعتبره سعياً دنيوياً كما استنكر ان يسميه اتباعه خليفة وان يقبل هو ذلك . وقد قيل ان المنا طلب خلافة عثمان ابن عفان وقيل انه طلب مكانة الخليفة عبد الله ، وقد قيل انه وعد بالخلافة وانه.سعى يطلب ما وعد به . ولكن خلافة عثمان لم تكن واردة عندما جاء المنا ، بل هى شرعت بعد سقوط الأبيض . ولا يحتمل ان يطالب المنا بمكانة الخليفة عبد الله لأنه كان على رأس ابناء الغرب ولا ينافسه احد فى ذلك ، بل ان قاعدته فى المهدية كانت صلبة لتمسك المهدى به . وعلى هذا فان الاحتمال انه طالب بخلافة غير موسومة ولم ينظر الا الى الجاه والمركز . وكما هو معهود من زاوية التنظيم فانه مما يقرب الى المستحيل ان ينفذ قادم جديد من الخارج الى القيادة العليا التى انتظمت واستقرت .

وبعد سقوط الأبيض واستقرار أوضاع المهدية رفع المهدى رتبة الخلافة وجعل خلفاءه خلفاء للخلفاء الراشدين . وقد ثبت الخلفاء عبد الله وعلى الحلو ومحمد شريف فى مواقعهم ، وصار الأول

خليفة ابى بكر الصديق - مختصراً خليفة الصديق ، والحلو خليفة عمر بن الخطاب - مختصراً خليفة الفاروق - ومحمد شريف خليفة علىّ بن ابى طالب - مختصراً خليفة الكرار . واضيف رابع جديد من خارج السودان وهو محمد المهدى السنوسى شيخ الطريقة السنوسية ، وقد صار خليفة عثمان بن عفان . وقد شرح المهدى هذا الترتيب فى محرره الى السنوسى وقال ان هذا الترتيب تم من قبل الرسول وان روحانيته تحضر معهم فى الحضرات (٧٠) . هذا الترتيب أبعد المنا من القيادة العليا كلياً ودفعه الى حلة ياسين محتجاً فيما يشبه العصيان على تجاوزه فى التركيبة الجديدة للخلافة ودفع المهدى الى ارسال قوة كبيرة لاخضاعه ومن ثم اعدامه . على ان المهدى اعلن فيما بعد عن العفو عنه ومنع التعرض اليه وارجع بعض ما غنم منه لاؤلاده .

ان الخلافة رتبة دينية كما هى فى الطرق الصوفية . وبقدر ارتفاع الرتبة يرتفع صاحب الرتبة مقاماً ومن ثم يلى الوضع الذى يتسم مع الرتبة سواء كان الأمر وظيفة او مكانة شرفية ولهذا كان القول بأن المهدى المنتظر يسمى اتباعه فى الوظائف حسب رتبهم وان اصحاب الوظائف لا يظلمون لأن كلاً يلى على ما يستحق . والخلافة التى استنها المهدى كانت رتبة دينية يقابلها موقع فى التنظيم ، بعضهم فى مواقع اقليمية ، وبعضهم فى مواضع مركزية . اما الذين كانوا فى المواقع الاقليمية فقد كانوا يتولون الدعوة الى المهدية والاستنفار الى الجهاد وقيادة الأمور الادارية والعسكرية ، وكانت رتبهم تتفاوت حسب اهمية الاقاليم التى خلفوا عليها . اما الذين كانوا فى المواقع المركزية فكانوا ثلاثة يتولون قيادة الرايات ، وكان عملهم اساساً عسكريا ، بيد انهم كانوا ايضا معاونين فى كل الأمور ومستشارين . وشيئا فشيئا ابطل لقب الخليفة فى القيادات الاقليمية واقتصر على القيادات الثلاثة للرايات وظهرت الامارة على من يتولون قيادة اقسام الجيش والنقيب والنائب والعامل على الادارات الاقليمية . وحسب ترتيب الخلافة بعد فتح الابيض اصبح خليفة الراية فى رتبة خليفة خليفة الرسول متسلسلاً من ابى بكر الى عمر الى عثمان الى علىّ . وزاد نصيب الخليفة عبد الله بكونه خليفة الخلفاء ونائب المهدى وامير جيش المهدية(٧٠). وخليفة الخلفاء هو المساعد الأول للمهدى فى كافة الشئون . اما وظيفة امير جيش المهدية فهى القيادة العسكرية

(٧٠) راجع دراستنا ادناه لموقف السنوسى .

العليا التى كانت لمحمد عبد الله شقيق المهدى . ولاحظ عبارة جيش لا جيوش لاعتبار الجيش جسماً واحداً . وفيما بعد ضمر لقب امير الجيش لأن لقب خليفة الخلفاء شمل امارة الجيش بجانب الادارة العامة . وفيما بعد اصبح خليفة الصديق تعنى ضمنياً خليفة الخلفاء ونائب المهدى وامير جيش المهدية وتجعل صاحبه فى المقام الأول بعد المهدى .

هذه الرتبة الدينية لا تعتبر امراً جديداً وانما جاء وسمه متأخراً ، لأن مصدره مقرر سلفاً بحكم ان المهدى خليفة الرسول ولأن اتباعه فى مراتب الصحابة .

صور المهدى هذا النسق من ترتيب القيادة فى منشور يقول فيه : « وقد نبهت غير مرة فى موافقة الاخوان لامرايهم والامراء لخلفايهم والكل للخليفة عبد الله . ففى ذلك راحة بالنا واقامة الدين . وقد وردت سابقا حضرة ان مقاديم اهل الراية الزرقا ينقادون ليعقوب وهم ويعقوب ينقادون للخليفة عبد الله . ودغيم ومن فى راية الخليفة على ينقادون لموسى ، وكنانة للبشير وعمارنا لابى بكر عامر والحسنات لعبد القادر مدرع وكلهم ينقادون بالمحبة للخليفة علىّ وتكون جميع هذه القبائل كلها مع الخليفة عبد الله . وكذلك راية الخليفة محمد شريف جميع امرايها ومقاديمها يتفقون وينقادون لعبد الرحمن النجومى وهم وعبد الرحمن النجومى ينقادون للخليفة محمد شريف المذكور . وكلهم ينقادون للخليفة عبد الله . وبذلك تتصل المحبة ويكون المومنون كنفس واحدة ويستقيم امر الدين وتعلو كلمة الله وتخمد كلمة الكافرين» (٧١). اى ان النجومى تولى امارة الراية الحمرا بعد وفاة محمد عبد الله وتصفية راية القيادة .

ان المهدية مكون عقدى واحد ، ولكننا لتقريب الصورة لذهن القارئ حددنا عناصرها الثلاثة : مهدية المهدى وخلافته وامامته . والمهدية اس هذا المكون ، والامامة صفة قيادية ، والخلافة صفة مرتبية ، والامامة والخلافة هنا بنسبة الرسوم الى الأصل . ولو لا المهدية لما كانت الامامة ولا كانت الخلافة .

الوزراء :

واذ سمى المهدى كبار اعوانه خلفاء فانه جاء بخلاف ترتيب ابن عربى لكبار اعوان المهدى المنتظر فى فصله المشهور فى الفتوحات ، اذ سماهم وزراء ، ولأهمية هؤلاء الوزراء عنده عنون

---

(٧١) الآثار الكاملة ، مجلد ٤ ، رقم ٤٢٠ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

الفصل بهم فسماه فصل فى معرفة منزل وزراء المهدى الظاهر فى آخر الزمان الخ . وقد وصفهم مختصر الشعرانى لابن عربى بأنهم طائفة خبأهم الله له فى مكنون غيبه واطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق ، وانهم على اقدام رجال من الصحابة ، وانهم من الاعاجم ولهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط وهو أخص الوزراء ، ولا يعمل المهدى الا بمشورتهم ، وهم دون العشرة وفوق الخمسة ، ولكل وزير معه اقامة سنة من عمره مهدياً ، وهم كلهم يقتلون الا واحداً منهم (٧٢) .

وقد جاء زهرا بذكرهم فى كتاب «الآيات البينات» فى اول نعوت المهدى وسمى هذا النعت اسرار علم وزرائه . وقد نقل هنا عبارة طويلة من ابن عربى مع حذف ما لا يريده - او فى الحق ما لا يتفق ومقصده - وقد انتهى الى ان وزراء المهدى على اقدام رجال من الصحابة صدقوا فاعطاهم الله فضل علم الصدق حالاً وذوقاً وانهم شهادة على وجود علامة المهدية فى اصحابه . وقد دلل على ذلك بصدق الانصار فى سلوكهم وبلائهم فى الحرب (٧٣) . ولم يشر زهرا الى ان ترتيب مهدى السودان لهؤلاء على الخلافة وليس الوزراء وانما افترض وكأنه قال بالوزارة .

وعوداً الى المهدى فانه يذكر الوزير فى خمسة مواقع ، هى :

١-٢ منشور بأمانة احمد سليمان موجه الى : اصحابه واتباعه ووزرائه (٧٤) . وعبارة : «لتكونوا اعوانى ووزرائى واصحابى حقيقة كما هو مظنون فيكم» (٧٤) .

٣- كتابه الى محمد المهدى السنوسى ، اذ يقول فيه : وانت منا على بال حتى جاءنا الاخبار فيك من النبى صلى الله عليه وسلم انك من الوزراء لى (٧٥) .

٤- محرره الى فخر الدين حسن المعلاوى ، اذ يقول : ولولا ان عبد الله وزيره وكان الخليفة غيره (٧٦) . وفى نفس المحرر يقول : جعل عبد الله وزيره .

اما ما ورد فى الموقعين الاول والثانى فانه يدل على ان المهدى يسمى فئة من اتباعه بالوزراء . وما ورد فى الثالث يدل على فترة كان فيها وزراء للمهدى وان النبى أخطره بأن السنوسى منهم. وفيما يتبين من النص فان تحديد كرسى الخليفة عثمان للسنوسى قد جاء بعد الوزارة . وهذا يعنى

---

(٧٢) راجع مختصر الشعرانى لابن عربى ادناه .

(٧٣) عالم المهدية ص ٥٢.

(٧٤) الآثار الكاملة ، مجلد ١ ، رقم ٩٧ ص ٢٨٣ فى جمادى اول ١٣٠٠ . و الآثار الكاملة ، مجلد ٢ ، رقم ٢٠١ ص ١٥ .

(٧٥) الآثار الكاملة ، مجلد ١، رقم ١١٥و ١١٦ فى رجب ١٣٠٠ هـ / ١٣ مايو ١٨٨٣.

(٧٦) نفسه .

ان ترتيب خلفاء الخلفاء الراشدين قد جاء بعد فترة الوزارة . وفى الثالثة والرابعة نص صراحة على وزارة عبد الله – نعنى الخليفة عبد الله .

وقد يقال ان المهدى ذكر الوزارة للسنوسى ليقربه بوظيفة وردت فى اخبار المهدى المنتظر ويوحى اليه بعلامة معروفة عن المهدى المنتظر انه يسير على معالم ما هو مذكور عن المهدى المنتظر. ولكن العبارة التالية : « ثم لا زلنا ننتظرك حتى اعلمنا الخضر عليه السلام باحوالكم وبما انتم عليه. ثم حصلت حضرة عظيمة عين فيها النبى صلى الله عليه وسلم خلفاء اصحابه من اصحابى» تدل بشكل واضح على ان الوزارة استنت اولاً ثم جاءت خلافة الخلفاء الراشدين .

٤ – وقال فى موضع : «لتكونوا اعوانى ووزرائى واصحابى حقيقة كما هو مظنون فيكم» (٧٧) .

ان الرواة لم يذكروا الوزارة ، وليس هناك نص مباشر بخلق هذه الوظيفة . والوظيفة كانت لفترة قصيرة ، ونحن نقف عليها كما رأيت باستنطاق عبارات وردت فى مواقع قليلة . وليس من خبر عن الوزارة قبل مجئ المهدى الى الأبيض ، ولا يتوقع المرء خلق هذه الوظيفة اثناء الحصار. والمتوقع بقدر من التأكيد ان تستن بعد فتح الأبيض عندما شرع المهدى يقوى تنظيمه. ولا شك ان وفاة اخيه محمد قد فتح النظر فى القيادة العليا . وعلى ذلك فان الوزارة شرعت بعد فتح الابيض ثم جاءت خلافة الخلفاء على نحو ما هو موحى فى كتابه الى السنوسى ، وكان ذلك قبل ٥ رجب ١٣٠٠هـ .

وفى يقيننا ان المهدى استن الوزارة وعينه فى وزارة ابن عربى ، وفى يقيننا ايضا انه عزف عن الوزارة لدلالتها على سلطة الدولة التى يرفضها لمهديته ، وهنا كانت الخلافة أكثر توافقاً مع رفض الدولة وموازياً لخلافته هو للرسول واندراج زمنه من زمنه ورتبة الصحابة لاتباعه والعودة بالاسلام الى عهد الرسول والخلفاء الراشدين .

الادارة :

كان الدولاب الذى اختطه المهدى لادارة نظامه اسلاميا خالصا استوحاه من عهدى الرسول والخلفاء الراشدين والتراث الاسلامى بشقيه الصوفى والفقهى . الوظائف وظائف اسلامية بطبيعتها ومسمياتها ويحمل الشاغلون القاباً اسلامية ترمز الى مواقعهم . وكان هو على رأس النظام هادياً

---

(٧٧) الآثار الكاملة مجلد ١ رقم ٩٧ ، ص ٢٨٣ .

مسلكاً ومشرعاً وموجهاً ، وتحته خلفاء يقودون رايات الجيش الثلاثة . وكانت هناك راية القيادة يقودها شقيقه الأكبر محمد عبد الله ، فلما استشهد فى واقعة الجمعة المشهورة ابطلت ادارته وضم ما كان تحته لراية الخليفة محمد شريف .

وبرفع الخلفاء الى خلفاء خلفاء الرسول بعد فتح الأبيض ارتفعت رتبة الخلفاء الثلاثة وصار الخليفة عبد الله خليفة الخلفاء وامير جيش المهدية وتعزز موقعه واصبح نائب المهدى فى سائر الأمور . وشيئا فشيئا أصبح لا يذكر امير الجيش وخليفة الخلفاء . وتبدأ محرراته بصفته نائب المهدى المتنفذ بعد فترة من واقعة شيكان . وكانت ادارة المال على النهج الاسلامى ويتولاه امين بيت المال ، وهو يدير شئون المال تحت اشراف الخليفة عبد الله منوطاً بالجمع والحفظ والصرف ويساعده معاونون فى ادارته فى العاصمة واعوان قائمون على جمع الزكوات وغيرها فى الأقاليم . وكان بكل اقليم بيت مال خاص به . وكان هناك قاضى الاسلام الذى يعاون المهدى فى مهمة العدالة ، وكان هو والقضاة فى العاصمة والأقاليم يحكمون استناداً الى القرآن والحديث ومنشورات المهدى وسوابق محاكمهم . وكان ديوانه قائما على النمط الاسلامى فى اسلوب التحرير وضبط المحررات وتوجيهها وحفظها، وكان يقوم بالكتابة علماء مقتدرون يعاونون بخبراتهم . وتولى قيادة الأقاليم الامراء والعمال ، والامراء وظيفتهم عسكرية ، والعمال وظيفتهم مدنية . وكانوا يعملون وفق توجيه وارشاد المهدى والخليفة . وتومئ محرراتهم الى دائرة متسعة من الاهتمامات فى شئون الحياة . ويمكن القول بأن هؤلاء دونوا فى محرراتهم كل الحراك البشرى فى السودان . ولم يكن أغلب الأمراء والعمال على قدر متقدم من التعليم ، ولكنهم تعلموا الكثير من مواقعهم وكانوا يتلقون الارشاد والتوجيه من المهدى وبعده الخليفة اضافة الى عون القضاة والعلماء والأعوان .

لقد اعطى التصوف للمهدى الرؤى وعمق الوجدان ودقة التصور وآلية عرض الأفكار . وكما قال المهدى فان نصف اسس المهدية كان رافداً من التصوف . وعن طريق التصوف وهداه تمكن المهدى من وصف تنصيبه مهدياً ومعالم مهمته ، ولو لا انه اخذ آلية الحضرة لما تمكن من عرض هذه المهمة بشكل مقبول ومفهوم عند جمهور السودان . وفى كثير من المواقف استعان المهدى بالحضرات . كما ان التصوف هو الذى جعل التلقى المباشر من الرسول امراً مقبولا ويسر له القول بالملك والالهام . وفى بداية المهدية استعان المهدى بما عهده من الشبكة الادارية للطرق الصوفية . ولكن لم

يكن عملياً اعتماد دولة الاولياء التى تصورها ابن عربى وامثاله فى القطب والغوث وختم الولاية ، وقد حث الحسين زهرا المهدى فى بيته المشهور على تعيين العلماء فى الولايات لأنهم امناء ولأن تعيين الجهلاء فى المناصب هو الذى ادى الى المظالم ، فهو قد اراد دولة العلماء . وقد بالغ النقاد فى مفعول هذا القول على الخليفة عبد الله . وعلى اى حال فان حث الحسين لم يثمر بشئ فيما اراد . وقد جانب المهدى ابن عربى فى أمور كثيرة كان أظهرها اتخاذ الخلفاء بدل الوزراء والبعد عن الرموز . ولذلك فان الرفد الأكبر فى بناء هيكل الدعوة المهدية ودولابها جاء من الرفد الفقهى وتراث الحكم الاسلامى ، مثل الولايات والامارات وبيت المال والقضاء ودقائق السياسات الاسلامية فى هذه المجالات .

وكان من حسن التوافق ان المهدى كان متمكناً من التصوف ومن الفقه ومن أدبيات المهدية من واقع تعليمه وتربيته وقراءته الواسعة المتمكنة .

خاتمة :

وقد تباين المهدى فى خطه عن خط الامام محمد بن عبدالوهاب ، اذ ان هذا دخل فى حلف مع امارة آل سعود واعتمد على قوتهم فى مناصرة دعوته ، فيما اعتمد المهدى فى مناصرة دعوته على القوة الجماهيرية التى حركها والدولة التى اقامها . فالوجهة هنا واحدة عقداً وقوة ، والوجهة هناك شقان ، شق الفكر وشق السيف . ولكن تجربة السعودية نجحت فى تواصل الحلف ومشاركة الاسرتين حتى اصبحت الوجهة واحدة بعقيدتها ودولتها . ثم ان حركة ابن عبدالوهاب نجحت فى خلق مدرسة فكرية اساسها السلفية القائمة على نقاء العقيدة ومدت اثرها بشكل اوسع فى انحاء العالم الاسلامى ، وهذا بعكس المهدية التى لم تخلق مدرسة فكرية للتباين بينها وبين تيار العلماء . وقد احتج علماء الخرطوم على النجومى ومن معه بأن الاسلام اكتمل على يد الرسول وانه لا يقبل زيادة . وظاهر انهم افترضوا بأن المهدى يدخل جديداً او يسقط اموراً ، ولكنك ترى ان هدف المهدى هو العودة بالاسلام الى ما كان عليه على يد الرسول وهداية الخلق اليه ، قال فى محرره الى فخر الدين المعلاوى الذى ادعى الخلافة : «مع ان الله اظهرنا رحمة للامة وجعل هذا الامر منوطا بنا ومتوقفا علينا وايدنا على ذلك بما لا ينكر الا كافر» (٧٨) . وقال فى محرر الى محمد

(٧٨) الآثار الكاملة ، مجلد ٣ ، رقم ٢٨١ ، ص ١٨١ .

خالد: «ان جل مقصودنا هداية الخلق ودلالتهم الى الله والتمسك بالله والاكتفاء به ، والمعلوم ان الانتصار فى الدين موقوف على هذا (٧٩) . فالامر الذى عليه ليس التعديل كما ظن العلماء وانما اصلاح مسار الاسلام وهداية المسلمين الى الطريق القويم على الحال الذى كانوا عليه فى عهد الرسول .

تراكمت عبر القرون الرؤى حول المهدية والتصورات والمدارس واتسع حجم الاحاديث بحيث أضحى من المستحيل ان تتفق فى شخص ، ولم تكن هناك صورة تاريخية يمكن اخذها واستئناسها للظرف بمثل ما فعل الخلفاء والسلاطين وزعماء الطرق . ولكن المهدى تمكن من ان يقيم بناءاً واضح المعالم ملتزماً الدقة فى العموميات والجزيئات ، ومحدداً المرامى والوسائل ، ومطبقاً فى ارض الواقع ومدعماً بأدبيات هائلة بز بها كل اصحاب الدعوات ، فجاء البناء كاملاً ، فريداً ، متميزاً عن المهديات الاخرى .

لم يكن المهدى رجلاً نصياً يقع تحت طائلة النصوص التى دونها المتحدثون ، ولم يكن واقعاً تحت تأثير شخص او مدوسة ، وانما نظر فى كل ما اهتدى اليه واستقرأه واستقرأ حال العالم الاسلامى وما آل اليه الاسلام واختط مهديته بوعى فى منظور الظرف ووفق هدف احياء الاسلام وتقويمه . لقد نفض عن الفكرة غبار القرون واوهام المتحدثين واهواء طلاب الحكم ونقلها الى حاضره وجعلها طريقا لأصلاح مسيرة الاسلام ، ولذلك كان من بالغ السطحية القول بأن احداً اسر اليه بفكرة المهدية . ومن بالغ السطحية ايضا جره الى السنوسى او ابن عبدالوهاب او الافغانى او محمد عبده .

ان تميز مهدية المهدى وتفصيل أمورها بهذه الدقة دليل على عبقرية الرجل . ولسنا نرى فى تاريخ السودان رجلاً بجواره له هذا المقام وهذا السمو والتميز وهذا البعد التاريخى والأثر الباقى.

عبارات مختارة من ادبيات المهدى لبيان وجهته :

مجلد ١ ، رقم ٥٨ ص ١٨٩ - ١٩٠ الى طه البشير رداً على بعض اسئلته فى ٢ الحجة ١٢٩٩: وانما اظهرنا الله لهدم البدع واقامة السنن وتقويم الدين ، كما لا يخفى عليك ، ولا بد من قطع رءوس وايادى فى تقويم الدين وقمع البدع والضلالات ... واما من جهة المسائل واختلاف الائمة

(٧٩) الآثار الكاملة ، مجلد ٣ ، رقم ٣٩٥ ، ص٢٠٦ .

فيها فما دام انت نائبا عنا فى الشرع المحمدى وخدامة العلم كما ذكرت فلازم ان تنظر فيما علمك الله به من السنة والكتاب، فاذا وجدت آية محكمة او حديثا صحيحا فاعمل بها ، واترك عنك اختلاف الائمة فى ذلك .

مجلد ١، رقم ٦٨ ص ٢٠٩ ومن المعلوم ان فيما سبق ما امات الدين والسنن واحيا البدع والضلال عدم قراءة اولاد المسلمين . فلا يخفا انه مع كثرة القرآن السنن ميتة والبدع ازدادت بحيث صارت لا ينكر فيها فاذا كان كذلك فلا همة للمؤمن فى هذا الزمن الا احياء الدين .

مجلد ١، رقم ٩٦ ص ٢٧٩ - ٢٨٠ وامروهم بما امرناكم به ، وانهوهم عما نهيناكم عنه ، وذلك بان يعمروا فى كل قرية مسجداً يصلون فيه صلاة الجماعة باذان واقامة وامام راتب فى جميع الاوقات الى آخر ما سيصير توضيحه اليكم ، وهو ان تتوبوا الى الله توبة نصوحا من جميع ما كنتم عليه سابقا ، واتركوا استعمال الخمرة وبيعها وشريها (وقيل : وشربها) فى الاسواق وغيرها فتريقوها وتكسروا اوانيها وتنزهوا افواهكم وبطونكم عن شربها وطهروا بيوتكم الظاهرة والباطنة خصوصا بيوت الدين الذى امركم الله بتعهدها وتطهيرها وشمروا فى اقامة السنة النبوية وازالة البدع والضلالة واطرحوا ما كانت عليه الجاهلية . ولا تسامحوا احدا فى حق الله من صلاة او غيرها وازجروا اتباعكم عن الفتنة والسرقة والغش وامروا نساءكم واولادكم وبناتكم وما ملكت ايمانكم باقامة الصلوات الخمسة المفروضة وادامتها واضربوهم عليها ، اى على تركها ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله واحذروا الزنا والتنباك وعاقبوا فاعلها وحافظوا على الجماعة .

مجلد ١، رقم ١٤٠ص ٣٩٥ - ٣٩٦ فاعلموا ان العظمة لله فلا تحلفوا بشئ دون الله فيجرى الحلف فى غير موضعه ، وفى الحديث : من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت . واذا عظمت منة الله عليكم فى شئ فاحلفوا بربه وخالقه اذ هو الذى جعل لكم ذلك ، ولو لا تخصيص الله له بذلك لما نال تعظيمه الذى عظم به فى قلوبكم . فاذا فهمتم ذلك فعزيمة منى على كل مؤمن يصدق بوحدانية الله ان لا يحلف الا بالله ... انه لا فاعل الا الله فى الخير وازالة الضر . فلا تستغيثوا باحد دون الله ولا تطلبوا احدا دون الله ولو نبيا او رسولا او ملكا ، وهم لا يرضونه ... فلا تتوهموا فتنسبوا الى صالح شيئا او تطلبوا منه شيئا ... واذا استعنت فاستعن بالله الخ

مجلد ١، رقم ١٤٧ ص ٤٠٨ ان احياء الدين هى النية التى انتم مطلوبون بها من غير غرض غلبة ولا مزية على احد ولا رياسة فمن قصد ذلك وعمل عليه افسد عمله وخسر دنياه وآخرته ولو معه قصد الله والآخرة ، اذ العمل المشروك ليس بمقبول وانما هو مردود ، اذ هو معلول بالارادات المذكورات .

مجلد ١، رقم ١٤٣ ص ٤٠٢ فان من اضعف الايمان ازالة الاذى عن الطريق ، وهو لئلا يضر مؤمنا ، واعلاه شهادة ان لا اله الا الله ، وهو الايمان الكامل بالتوحيد الذى لا نظر فيه الا الى الله والعمل الخالص لاجل الله ، ومنه نفع المومنين كما ورد ذلك فى كثير من الاخبار .

مجلد ٣ ، رقم ٣٣٢ ص ٩٤ فالمهتدى هو الذى يسلك ويسلّك ويقرب من الله ويقرب لجميع الخيرات والمراقى .

مجلد ٣ ، رقم ٣٤٢ ص ١١٨ ان من بدأ بنصيب الآخرة فاراد حرثها وصل اليه نصيبه من الدنيا وادرك من الآخرة ما يريد .

مجلد ٣ ، رقم ٤٣٦ ص ٣١٨ عدل المهدى حكم اعدام الى قطع يد تخفيفاً لأن الشرع لم يقصد بالقتل فى هذه النازلة وقال : «ما دام ان هذا يزجرهم ويزجر غيرهم ولربما تابوا واصلحوا بدل القتل ففيه لهم اصلاح القلوب والتأهب للمحبوب . فما دام اننا نجد سبيلا الى الاصلاح من غير مخالفة الشرع نسعى فيه بما امكن . واذا لم نجد مخرجا فنؤثر امر الشرع ولا لنا حيلة ، فصلاح الله فيه حينئذ اولى من نظرنا .

مجلد ٣ ، رقم ٤٣٧ ص ٣١٩ فانا من جهة المذاهب والطرق الآن فلا يخفاكم ما منّ الله به علينا من الفضل والاحسان ، ولو كان اهل الطرق والمذاهب الآن على ظاهر فى الدنيا لاتبعونى واقتدوا بى . ولا شك ان هذا يعلموه اهل الطريقة قبل ظهورنا فى ترك طرقهم بطريق المرشد حيث وجد فى اى زمن فضلا عن ظهورنا .

مجلد ٣، رقم ٢٤٢ص ٣٣١ ابلغ ما قال فى النبى : والذى نعرفه ان جميع الكمال الذى يليق بالبشر قد افرغه الله فى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وما وراء ذلك شئ لا تبلغه همة البشر ولا يليق به والعلم لله تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء . وقد خص الله نبيه صلى الله

عليه وسلم بخواص كثيرة لا تبلغها همة الداعين ولا يصل اليها علم العارفين زيادة على ما خص به عباده الصالحين والانبياء المرسلين مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الخ فانظره .

مجلد ١ ، رقم ١٦٨ ص ٤٤٨ واعلموا انى لا اوصيكم ولا احدثكم الا بما فيه رضاء ربكم ورسوله عنكم وبما فيه نجاتكم غدا يوم تنقلب فيه القلوب والابصار ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . فها انا اوصيكم واياى بتقوى الله تعالى واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . واعلموا ان المهدية هذه قائمة بهذين وشرطها الصفا مع الله والصدق بعبودية الله والصبر على مقدور الله والرضا بقضاء الله والشكر لنعمة الله والانصراف عن الدنيا والاقبال على الآخرة والتواضع والذل والانكسار والالتفات الى الله ... واختيار الآخرة على الدنيا وطلب ما عند الله وترك ما عند الناس وتحمل الاذى وعدم مقابلة فاعليه وخلاف النفس فى كل ما تهواه والتجرد عن الاشغال الدنيوية .... ان وراءكم يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

.... هلموا الى ذكر الله واجيبوا داعى الله واقيموا حدود الله واوفوا بعهد الله واجتنبوا الملاعب والملاهى وابذلوا غاية جهدكم فى طاعة الله وتوادوا وتعاهدوا وتعاونوا على البر والتقوى وتحابوا فى الله وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ولا تتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تتكبروا ، فذلك خصال اعداء الله فاجتنبوها واتركوا كل ما يسخط الله عنكم كنهب اموال الناس وقتل الذمة التى حرمها الله بغير حق والسرقة والزنا والكذب وشرب الخمر وارتكاب المعاصى كلها كشهادة الزور ومحادثة الفجور والحقد وعجب النفس وطول الامل والغيبة والنميمة وكل امر ليس فيه رضاء ربكم عنكم فاتركوه وانصرفوا عنه .... واياكم ان تسول لكم انفسكم وتغركم بحب المال والجاه والرياسة وتتركوا كل ما ذكرناه لكم من امر ونهى فيسخط الله ورسوله عليكم ونتبرأ منكم .

مجلد ١ رقم ٦٢ ، ١٩٨-١٩٩ واذا فهم العاقل هذا من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لا شك انه ينحاز على من ينهضه حاله ويدله على الله مقامه وذلك هو الفقير المتجرد عن السوى المقبل على المولى الذى لم يكن له قبلة ولا مقصد الا الله وقد تجرد عن كل شئ سواه وتحقق بحقيقة لا اله

الا الله .

مجلد١ ، رقم ٦٥ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ احبابى وما دعوت الخلق اليّ ولا كاتبت القبائل ولا جمعت الخلائق لاجل مناصب الدنيا ولا بتصنع وتحيل فى ذلك ، ومعاذ الله ان نطلب ذلك ، فو الله ما دعوت الخلق ولا كاتبت القبائل ولا اظهرت نفسى الا لامر الله ورسوله . وعزة ربى وجلاله لو لا حكمة الله التى لا تحرج عنها لاحد وحجته البالغة لما كان يكذبنى ولم ينكر فيما جئت به احد ولو بعث الله الانبياء والمرسلين ومن انتم متمسكون بعهودهم الآن لآمنوا او صدقوا واتبعوا من غير مطالبة بادنا شى واراكم تصدقون من اخبركم من الناس باى خبر كان حيث علمتم صدق المخبر فكيف بمن اخبركم عن الله ورسول الله لا تصدقوه وكيف ينبغي لمن اختصه الله برحمته ان يفترى الكذب على سيده ، اما علمتم قوله تعالى ما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله .

ونقلا من كتاب السودان فى قرن للبروفسير مكى شبيكة نورد الآتى :

روى عن عبدالصمد حاج شرفى أنه قال « الحاج مرزوق رجل شايقى عالم كان قابل المهدى فى قدير وسأله مرة قائلا . معلوم أن المذاهب هى أربعة الحنفى والشافعى والمالكى والحنبلى . فما هو مذهب المهدى ؟ فقال له هؤلاء الائمة جزاهم الله فقد درجوا الناس ووصلوهم الينا كمثل الراوية وصلت الماء من منهل الى منهل حتى وصلت صاحبها للبحر فجزاهم الله خيراً . فهم رجال ونحن رجال ولو أدركونا لا تبعونا . وأن مذهبنا هو الكتاب والسنة والتوكل على الله وقد طرحنا العمل بالمذاهب ورأى المشايخ » .

ما رواه ود البدرى فى احد مجالس المهدى . قال المهدى عليه السلام «ايها الفقراء والمهاجرين والانصار ان كلا من كان عنده مذهب او نص أو شيخ فيترك مذهبه ونصه وشيخه لان هذا اخذ من هذا فقد أبعدوا من نور النبى صلى الله عليه وسلم ونحن جئنا نحيى نور النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه أنه قال «اتركوا الكتب لكتاب الله فانها حاجبة عن فهم معناه » .

وقد أخذ على المهدى أنه قال «ان اقل انصاره مرتبة يتفوق على الشيخ عبدالقادر الجيلانى » وعندما سئل عن منطقه فى هذا قال « أن مناقب الشيخ عبدالقادر كثيرة وهى اكثر من ان تحصر

ولكن الشيخ عبدالقادر لم يزل المنكر من غيره ولكن أدنى أصحابنا اذا رأى منكراً يزيله حالا بسيفه وقد قال صلى الله عليه وسلم : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطيع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك هو أضعف الايمان » .

وقال الفكى جلال الدين للمهدى «يا سيدى العلماء يسألون عن طريقنا وعن مذهبنا فما نقول لهم ؟» قال « قل لهم طريقنا لا اله الا الله محمد رسول الله ومذهبنا السنة والكتاب . ما جاء من عند الله على رؤوسنا وما جاء من النبى صلى الله عليه وسلم على رقابنا وما جاءنا من الصحابة ان شئنا عملنا به وإن لم نشأ تركناه » .

وكان الفكى أحمد ولد حمدان العركى عرض كشف كتب للمهدى ويرغب الاذن من المهدى يقرأهم ويقرئهم فأجابة المهدى بأن يترك جميع ما ذكره من الكتب التى بالكشف ويستعمل تفسير القرآن والحديث والسير الصحيحة المسنودة وأما كشف الغمة للشيخ عبدالوهاب الشعرانى فهو مقبول .

ومن مذكرات عبدالحق الأمين قوله « وحيث أن بعض الكتب أدخلت فيها بعض الحيل الشرعية والأحاديث الضعيفة التى ادخلها بعض الملحدين لاغراض شخصية او سياسية فقد امر المهدى بحرق اغلب الكتب والروايات والقصص التى لا صحة لها وقد ابقى الكتب المشهورة النافعة التى اتفق العلماء على صحتها مثل مسلم والبخارى واحياء علوم الدين وكتب الشعرانى والسيرة الحلبية وكتب التفاسير مثل روح البيان والبيضاوى والجلال السيوطى وغيرها وقد امر بتدريس القرآن امرا عاما اجباريا» .

وروى ان المهدى رد للذين ارادوا معرفة السبب الذى من اجله ابطل الطرق بقوله « لو فرضنا أن كل قبيلة حفرت تمدة (ينبوع مياه مثل البئر يحفر فى بطن مجرى مياه بعد جفافه) لتشرب منها واعتادت ان تشرب منها زمنا طويلا فجاء البحر وغطاها كلها فماذا يفعلون به هل يكتفون بان يشربوا من البحر أم يبحثوا وراء تمدهم ليشربوا منها ؟» فأجابوه « اذا بحثوا على التمد فلا يجدونه لأنه عمه النيل وصار جزءا منه » فقال لهم «هكذا الحال الآن » .

كان المهدى فى نشر مبادئه يخاطب الناس بقدر عقولهم ويضرب لهم الأمثلة بما ألفوه فى

حياتهم العادية ولا يتحذ طريقة الكتب الغامضة المعقدة . والغرض الذى يهدف له هو تيسير تفهم الدين وازالة ما علق به من غموض وابهام فالعبادات تقليد لما يقوم به من صلاة وصيام والاحكام الشرعية يشرحها فى منشورات فى متناول الفهم العادى وهو أثناء تبشيره يرمى الى غرس روح الزهد والتقشف فى نفوس انصاره ، وأن ناحية الدين الروحية هى ممارسة وعمل لا علم ودرس . وما من مجلس من مجالسه الا وينثر الحكمة تلو الحكمة والموعظة تلو الأخرى وكلها تشير الى ضرورة ترك الدنيا والعمل لخير الدار الباقية وهاك بعضا من مواعظه وحكمه المختارة .

ان العبد اذا لم يجتمع مع ربه فى الصلاة لم يذق لها لذة . عند دخول الوقت عجلوا الى لقاء ربكم . الجنة محفوفة بالمكاره والنار محفوفة بالشهوات . قاسوا الشدائد ووطنوا نفوسكم عليها لان النعم فى طى النقم والمزايا فى طى البلايا ، فمن لم يصبر على النقمة لم يجد عندالله نعمة ، ومن لم يصبر على البلية لم يجد عند الله مزية .

الفصل السابع
خلافة عبدالله

(ا) الخليفة عبد الله :

نفينا فى موضع سابق من هذا الكتاب ان يكون الخليفة عبد الله همزة الوصل بين مهدية دان فوديو ومحمد احمد وان يكون له مسعى للمهدية لدى الزبير رحمة او محمد شريف او محمد احمد وقلنا انه جاء الى محمد احمد يبغى الانتماء الى الطريقة السمانية . وكان شاهدنا الأول فى ذلك الخليفة نفسه فيما روى لسلاطين . وقد ذكرنا فى موضع آخر كيف ترقى حتى اصبح الرجل التالى للمهدى ثم الرجل الأول بعده وما كان من امره .

بدأ عبد الله منتسباً فى الطريقة بأول مجيئه الى محمد احمد ولكنه ارتفع فى أقل من ثلاث سنوات الى الرجل الأول فيمن حوله من رجال . كيف وقع هذا ؟ انه فراسة محمد احمد فى الرجال وادراكه للملكات الكامنة فيهم وقدرته على شد هذه الملكات وابرازها وتطويرها وتوجيهها . وهو من جانب آخر استجابة من يشد ملكاتهم . هكذا امر عبد الله والحلو ومحمد شريف واحمد سليمان وحمدان والنجومى وعثمان دقنه وابو قرجه ويعقوب وعبد الله النور وزقل وعبد الله ود ابراهيم وكرم الله وعبد الحليم مساعد والى آخر القائمة الطويلة ، اختارهم من بين عامة الناس وتبنى مزاياهم وتعهدهم فحملوا معه الحمالة .

كان أول خطو عبد الله فى الترقى عندما اصبح حامل راية ، بيد اننا لا نعلم هل حصل هذا الترقى فى المسلمية ام فى الجزيرة ابا . ثم مرض عبد الله فى ابا مرضاً شديداً وفقد فجأة رفيقه على الذى آخاه له محمد احمد وظل يتعهده ، فلما علم محمد احمد بذلك امر فجئ به الى جواره وعنى به شخصياً . ثم اصبح يزوره كثيراً ، وفى احدى الزيارات ابلغه بمهديته فصدقه على الفور . وقال عبد الله انه لم ير محمد احمد منذ بايعه وحتى مرضه الا لماماً لكثرة زواره ومشاغله ولكنه كان يعلم ان له مكاناً فى باله . وهكذا كانت فراسة عبد الله من جانبه فى محمد احمد وموقعه من قلبه . ولم تكن لعبد الله جذور فى المنطقة فتجره العصبية وتميل به الى اهله وتنفر عنه آخرين ، ولا تتولد عصبية ضده لأنه ليس من فئة من الفئات المتنافسة حول المهدى ، ولم تكن له وجهة الا الاخلاص

لمحمد احمد والتفانى ، ونحسب انه اسر قلب الرجل بهذا التفانى وجلده ومقدرته . ولا شك ان محمد احمد رأى فيه زرعاً جديداً مبشراً ، ليس كمن حوله ، فتعهده وقوى عوده وصعد به الى المرقى . ولا شك ان محمد احمد قربه عند مرضه ليعنى به ثم ليسبر غوره عن قرب وانه كرر الزيارة وداوم عليها لأن الرجل كان موضع اختباره . فلما آنسه كما آنس موسى ناره واطمأن الى حدسه اخبره بمهديته فكان من حظه انه اول المصدقين وارتقى الى مكان ابى بكر الصديق من النبى وحظى بخلافته .

وكان عبد الله احد اثنين من اصحاب محمد احمد ظهرا فى حضرة تنصيب المهدى ، اما الآخر فهو الفقه عيسى الذى اختفى بسره . وقد وصفنا اهمية هذا الموضع اعلاه عند تحليلنا لمشاهد حضرة التنصيب . وهكذا يكون عبد الله فى قمة اصحاب المهدى ويكون له موقع فى مولد المهدية بقدر اهمية حضرة التنصيب .

وقد تولى عبد الله قيادة الراية الزرقا ، اكبر الرايات الثلاثة ، منذ انشاء الجيش ولعب دوراً متميزاً فى ادارة الجيش والمواقع الحربية . وكان يد المهدى اليمنى فى الامور. وكان الخليفتان الحلو ومحمد شريف بعده من غير شك ، ولكن وضع محمد عبد الله شقيق المهدى الذى كان يقود راية القيادة ، اى الراية البيضا ، استعصى علينا تحديده ازاء وضع الخليفة عبد الله ، وهو بالرغم من قيادته لراية القيادة وقربه من المهدى لم يحمل لقب خليفة الذى يحدد قمة اتباعه . ولم تكن تحته قوة كبيرة لأن الجيش الفاعل عدداً وقتالاً كان ما انضوى تحت الرايات الزرقا والحمرا والخضرا .

وعندما وضع المهدى نظام خلافة خلفاء الرسول بعد فتح الابيض وضعه فى أعلى مقام : خليفة الصديق ، وخليفة الخلفاء ونائبه وامير جيش المهدية . وقد اصدر منشوراً وصف فيه هذا المقام والزم الكل بطاعته وحذر من الطعن فيه وفى اعماله وبرأه من الهوى : « مع انه خليفة الصديق واول المصدقين فى المهدية . فانظروا لمكانة الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن العظيم وانظروا لمكانة من اورثه الله مكان الصديق ووازره بالباطن بالخضر عليه السلام ، فهو مسدد مؤيد من الله ورسوله ويد من ايادى الله لنصرة دينه باشارة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد فى فضله كثير .... وان الخليفة هو قادة المسلمين وخليفتنا النائب عنا فى جميع امور الدين الخ» (١) .

(١) الآثار الكاملة ، مجلد ١ رقم ٨١ ، ص ٢٣٨ .

وفى خطابيه الى فخر الدين المعلاوى الذى طلب الخلافة برؤياه وصف مقام عبد الله بعبارات قوية ، قال : « اما الرؤية النبوية اذا تحققت فى كونك خليفة عبد الله فهو ان عبد الله دال لجميع الخلق الى الله ، وهو خليفتنا على ذلك » . وقال : « فاعرض على عبد الله الذى جعله النبى صلى الله عليه وسلم خليفة ابى بكر الصديق واجلسه على كرسيه فى اول تاييد المهدية وتواتر بذلك التصديق الى ان اظهر الله الدين بموازراته» (٢) . وقال : الأولياء اجتمعوا فى بيت المقدس « يقولوا الحمد لله الذى اظهر المهدى وجعل عبد الله وزيره» (٢) ، والشياطين اجتمعوا ويقولون « كان عيشنا بالغش والمكر والخداع والكذب فاتى المهدى وقطع علينا عيشنا ولو لا ان عبد الله وزير له وكان الخليفة غيره لكنا نجد فى المهدية دخولاً» (٢) . وقال : « واما عبد الله فى الباطن فهو المهدى لأنه اول دال الى الله فى آخر الزمان» (٢). ولكن العبارة الاخيرة لا تجرى مجرى العبارات السابقة وانما تبين صفة المهدى نفسه . وقد اختلط امر هذا على البعض لأنهم اعتبروا «عبد الله» اسم علم ومن ثم جعلوه الخليفة عبد الله مع ان المقصود به هو صفة العبودية التى يشير بها المهدى الى نفسه . وفى هذا المعنى يقول المهدى فى مكان آخر : «يقول عبدالله محمد المهدى من لم يعمل بذلك فليس من اصحابى» (٣) . فعبدالله فى الموضعين ليس اسم علم ينصرف الى الخليفة عبدالله وانما هو عبارة تدل على صفة العبودية لله يصف المهدى بها نفسه . وفى رسالة الى الخليفة اثر اعتداء بعض جماعته على قريب للمهدى وغضب الخليفة عليهم يقول : « والمعلوم ان ما يرضينى يرضيك وما يسخطنى يسخطك ويغضبك من غير كلام لاتصال الروح ، فلذلك يحصل لك التكدير فيما لا يرضينى من غير اعلام منى وما يرضينى يرضيك كذلك . فلما كان كذلك وانت روح واتصالك اتصال روح فلا تبالى» .

وبالعودة الى مادة عبد الله بن محمد فى فهرس آثار الامام المهدى ندرك مركزية شخصية الخليفة عبد الله وثقة المهدى فيه واعتماده على مقدرته . وقدر مهم من هذه المادة مكرس لتعزيز مكانته وزجر من استخف بموقعه او ما يصدر منه . وفى هذا دليل على ان فئات كانت تعارض مركزية عبد الله والشدة منه او تغير من موضعه وان المهدى كان مصراً عليه لموقعه من الدعوة .

---

(٢) الاثار الكاملة مجلد ٣ ، رقم ٢٨٢ ، ص ١٨١ – ١٨٢ .

(٣) الاثار الكاملة مجلد ١ رقم١١٤ ، ص ٣٣٢.

وقد اخترنا لضرب المثل حادث الخلاف بينه وبين ابناء الشيخ نور الدايم لقرب الطرفين الى قلب المهدى . قال المهدى فى رسالة الى هؤلاء : « وقد ذكرتكم انكم كاخوانى من الرحم الذين ماتوا فى الله شهداء وانتم خلف عنهم ، اذ ان اتصال الدين اشد من اتصال الوالدين واخوان الابوين .... وانتم تعلمون احبابى مكانة خليفة الصديق واتصاله وقربه وامتزاجه كأنه نفسى وقد اشرت لكل المومنين بذلك وخصوصاً الاصحاب لا سيما وقد خصصت الحبيب المكرم عبد المحمود باشارة قوية فى هذا الشان ليكون على بصيرة من هذا الامر ويذكر الاخوان » (٤) .

وعبارة المهدى عن الخليفة « فهو منى وانا منه » عبارة صوفية قوية تعنى ان الخليفة وصل صورة منه واصبح وريثه الرسمى . وقد وصف ابن ادريس تلميذه السنوسى بعبارة مماثلة فى المعنى : «انت نحن ونحن انت» (٥) ، وهذا الذى جعل أغلب تلاميذه يلحقون بالسنوسى بعد وفاته . واصل هذه العبارة فيما يبدو من الشيعة ، اذ قالوا على لسان الرسول ، فعلىّ منى وانا من علىّ . وفى القطعة التى اوردناها قبل قليل من خطاب المهدى الى ابناء الشيخ نور الدايم عبارة قوية فى صفة علاقة عبد الله به وهى : « وانتم تعلمون احبابى مكانة خليفة الصديق واتصاله وقربه وامتزاجه كأنه نفسى» (٦) .

وظاهر من محررات الخليفة فى ايام المهدى انه كان يصرف الأمور بثقة وحسم ، وبالطبع فانه كان على وفاق مع المهدى فى كل ما يصدر ويتداول معه فى الامور الكبيرة ، ولكن روح اوامره ونواهيه تبين هامش القوة التى كان يتمتع بها .

وعندما نطق المهدى فى آخر رمقه بأن الخلافة بعده لعبد الله فانه عزز الموقع الذى ظل يؤكده له وايقن انه خير من يمثل مؤسسة المهدية والجدير بقيادتها بعده .

(٣) وفاة المهدى

فى آخر شعبان سلم المهدى مقاليد الامور لأعوانه نافضاً عن نفسه مشاغل الدنيا وحث اتباعه على ترك امور الدنيا والاقبال على الله بالعبادة الخالصة ليصفو صومهم (٧) واقبل هو على خلوة

---

(٤) الآثار الكاملة ، مجلد ٣ ، رقم ٣٩٦ ، ص ٢٠٨ .

(٥) النجانى ، ص ٦٨ .

(٦) الاثار الكاملة ، مجلد ٣ ، رقم ٣٩٦ ص ٢٠٨ .

(٧) انظر محرره بهذا ، الآثار الكاملة ، مجلد ٥ ، رقم ٨٤٣ ، صفحة ٢٠٧ – ٢٠٨ .

رمضان على عادته كل عام عابداً متقرباً الى الله بكل وجدانه. وفى حالة الصفاء هذه والنقاء اختاره الله الى جواره مزكى من كل عرض الدنيا .

ومن عجائب القدر ان من حوله بذلوا كل تدبير حتى لا تنتقل اليه عدوى مرض الجدرى الذى كان منتشراً، لأنه لم يكن مجدراً، وقد فصلوا بينه وبين الناس فى الاماكن العامة كالباخرة وفى المسجد حيث خصصوا له ولقربيه طرفاً سمى جامع الصفيح . ولكن القدر جاءه وهو فى خلوته منفرداً !

وكان سبب وفاته حمى فيما قال الخليفة عبد الله والخليفتان الحلو ومحمد شريف والاشراف والاعيان فى المنشورين بوفاته (٨) ، و«حمى خبيثة تعرف فى السودان باب دم وعند الاطباء الالتهاب السحائى الشوكى» فيما قال نعوم شقير(٩)، وحمى التيفود فيما قال ابراهيم فوزى نقلا عن اطباء فحصوا حالته (١٠) .

وقد اصيب المهدى بالمرض فى الاربعاء ٣ رمضان وتوفى يوم الاثنين التالى الموافق ٨ رمضان ١٣٠٢ هـ / ٢٢ يونيو ١٨٨٥م .

وخير من وصف وفاته سلاطين والذى كان قريباً من ظروف الوفاة طوال اليوم بحكم انتظاره للخليفة خارج الدار لأنه كان ملازما له . قال: « كان المهدى راقداً على عنقريب وحوله الخلفاء وقرابته واحمد سليمان ومحمد ود بشير احد كبار موظفى بيت المال ووكيل بيت المهدى وعثمان احمد والسيد المكى وبعض من كبار انصاره الذين سمح لهم بالدخول الى غرفة مرضه . وكان المهدى يغيب عن وعيه من وقت لآخر، ولما شعر بأن آخرته قد قربت قال للذين من حوله : « ان الخليفة عبد الله هو خليفة الصديق وقد عينه النبى للخلافة بعدى ، فهو منى وانا منه ، وكما اطعتمونى وانفذتم اوامرى كذلك افعلوا معه ، الله يرحمنا » . ثم جمع ما فيه من قوة وكرر عدة مرات الشهادة ووضع يديه مشبوكتين على صدره ومد ساقيه واسلم روحه ... وقبل ان يبرد دمه اقسم انصار المهدى يمين الولاء للخليفة عبد الله ، وكان اول من بايعه السيد المكى ثم عقب ذلك

---

(٨) محررات الخليفة ، المجلد الاول ، ص ٨٧ و ٨٩ ، وراجع المحررين فى كتابنا «منشورات المهدية» .

(٩) شقير ، ص ٦٠٢ .

(١٠) فوزى ، ص ٦٥ .

الخليفتان الآخران وتبعهم جميع الموجودين ... وشرع بعض الموجودين فى غرفة المهدى بغسل الجثة ولفها فى قماش من الكتان واخذ البعض فى حفر حفرة عميقة فى الغرفة التى مات فيها . وبعد ساعتين وضعوا الجثة فى الحفرة وبنوا فوقها بالطوب ثم طمروا الحفرة بالتراب وصبوا عليه ماء .... ولما انتهوا من ذلك رفعوا ايديهم وتلوا عليه الفاتحة » (١١) .

وقد زاد شقير ان الخليفة عبد الله صلى عليه والحضور مؤتمون به ، وانه دفن بعد الظهر (١٢) . وقال ابراهيم فوزى انه توفى فى اواخر الساعة الرابعة على الحساب العربى ، وهذا الحساب يعتبر من شروق الشمس ، وهذا يوافق الضحى . وقال ان المهدى كان محاطاً بخلفائه ونسائه وبعض ذوى قرابته (١٣) . ولم يورد على المهدى فيما لخص عن مدوناته من الانصار تفاصيل عن مشهد الوفاة واكتفى بخبر الوفاة وتاريخها وحسب (١٤) . وسكت هولت عن حادث الوفاة كلياً ، وهو يحلل مواقف فئات الانصار ازاء تخليف عبد الله .

وقد اتهمت زوجته ابنة الجاركوك بأنها دست السم له فى طعامه انتقاماً لمقتل ابيها واخيها فى فتح الخرطوم وما وقع لاسرتها ، ولكن الثقات نفوا عنها التهمة وبرأوها ، وقيل ان اقارب المهدى شدوا شعر لحيته قبل دفنه وتيقنوا انه لم يمت مسموما (١٥) . وقد اعتمد ونجت هذه التهمة سبباً لوفاته (١٦) . الا ان فوزى نفى التهمة ورد سبب الوفاة الى حمى التيفود ، قال : وقد اضطربت الروايات فى مرض المهدى وموته فقال البعض انه مات مسموما من احدى النساء .... ولكن الحقيقة هى التى اوردناها، اذ لم يتناول المهدى سما ولا غيره ، بل مات بالحمى التيفودية كما تقدم » (١٧) .

كذلك ردد البعض ان الخليفة عبدالله دبر تسميمه ليتخلص منه ويصل الى الحكم ويبقى فيه منفرداً . وقالوا فى ذلك ان المهدى لم يكن راضياً بالحال وانحراف امور المهدية عما كان يريد وان الخليفة خشى من مغبة هذا الذى صار اليه رأى المهدى . ولكن كل هذا بعيد ومختلق لابراز الخليفة

---

(١١) سلاطين ، ص ٢١٣ - ٢١٤ .
(١٢) شقير ، ص ٦٠٣ .
(١٣) فوزى ، ص ٦١ .
(١٤) جهاد فى سبيل الله ، ص ١١٠.
(١٥) شقير ، ص ٦٠٣-٦٠٤ .
(١٦) ونجت ص ٢٢٨.
(١٧) فوزى ، ص ٦٥ .

عبدالله بهذه الصورة من الخبث واعتراف المهدى بفشل مهديته .

وتدل الدلائل المحيطة بحدث الموت على ان موت المهدى كان طبيعياً وان سببه الحمى اياً كان نوعها .

(٣) تخليف الخليفة عبدالله :

فوجئ الانصار بمرض المهدى وهو يتقدم الى الموت ، لم يكن موته متوقعاً لأنه كان بصحة جيدة، وان كان يعتذر فى محرر منه فى اول شعبان ١٣٠٢عن حضور اجتماع لمرضه (١٨). وكان قد اعلن عن امور يقوم بها وفى مقدمتها فتح مصر . ولم يكن قد اعد ترتيب ما لما يكون عليه الامر من بعده. ونظام الخلافة الذى جعل اربعة فى خلافة الخلفاء الراشدين وجعل الخليفة عبدالله على رأسهم لم يكن معداً للتعاقب فى الحكم وانما كان ترتيباً مرتبياً يجعل لهؤلاء الصدارة فى مراتب الانصار ويجعل الخليفة عبدالله أولهم . والحق انه لم يكن وارداً وضع مثل هذا التعاقب لأن الاعمار بيد الله ولا احد يعرف من يموت قبل الآخر . ولاحظ ان هذا الترتيب وضع بعد فتح الابيض لا قريباً من وفاة المهدى .

وفى هذا الظرف العصيب اظهر الملتفون حول المهدى وهو يموت قدراً كبيراً من رباطة الجأش ودبروا الأمور بكياسة بالغة . وقد اسعفهم المهدى بوصيته وهو فى آخر الرمق بتخليف الخليفة عبدالله من بعده .

كان حضور هذا المشهد الاخير من حياة المهدى : الخلفاء عبدالله والحلو ومحمد شريف والسيد المكى واحمد سليمان ومحمد ود بشير وعثمان احمد وبعض قرابته وكبار الانصار الذين سمح لهم بالدخول الى غرفة مرضه . هكذا روى سلاطين (١٩) . وكان من بين قرابته بعض نسائه وبناته . وذكر ابراهيم فوزى انه كان محاطاً بخلفائه ونسائه وبعض ذوى قرابته ، وحدد ان الحضور كانوا يبلغون عشرة اشخاص ، وقال نعوم شقير ان الحضور كانوا الخلفاء واقاربه .

وكما هو العرف فى السودان فانه لا يحضر هذا المشهد الا المقربون ، وعادة يستبعد غيرهم . وبالنسبة لخصوصية المهدى فان المرء لا يتوقع الا ان يكون الحضور قليلاً ومن ذوى الخصوصية

---

(١٨) الآثار الكاملة ، مجلد ٥ ، رقم ٨٤٩ ، ص ٢١٦ .

(١٩) سلاطين ، ص ٢١٣ – ٢١٤.

الخالصة ، ولذلك فاننا نستبعد وجود شخص كالفكي الداداري الذى لا يمت الى المهدى بصلة ولا كان من علية المهدية . ونحن عائدون لهذه النقطة بعد قليل .

وعادة يفضى المحتضر بأهم ما يشغله تنويراً لأهله ، وان لم يفعل وكان اهله يريدون تنويراً ذكروه بأن يوصى ، وبعد هذا يتشهد له املاً فى نطقه بالشهادتين فى آخر رمقه .

وقد اوصى المهدى فى هذه المرحلة الدقيقة بأهم ما كان يرجى منه وهو من يخلفه . لقد حدد عبدالله بشكل قاطع ليخلفه وامر بالطاعة له ، قال سلاطين : ولما شعر بأن آخرته قد قربت قال للذين من حوله : « ان الخليفة عبدالله هو خليفة الصديق وقد عينه النبى للخلافة بعدى فهو منى وانا منه وكما اطعتمونى وانفذتم اوامرى كذلك افعلوا معه ، الله يرحمنا » . وقال الخليفتان الحلو ومحمد شريف وكبار الاشراف والانصار فى منشورهم بتخليف عبدالله : « وفى ليلة ذلك اليوم حصلت له عليه السلام حضرة نبوية اعلم فيها بالانتقال من هذه الدار فاحضر خلفاءه واعلمهم ». وقد ارسل الخلفاء الشيخ القرشى فحضر اليه واعلمه بأجله وقال له « اجعل لك وكيلا من خلفائك يقوم بالامر من بعدك فقال المهدى عليه السلام : اوكلت من بعدى الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق فصار هو الخليفة الذى يقوم بالامر من بعده عليه السلام وبايعناه على السمع والطاعة وان لا نعصيه فى معروف واعطيناه على ذلك عهودنا » . والخليفة يشير فى منشوره الى هذه النقطة معززاً اياها بخصوصية مكانته كخليفة للمهدى ، قال : « وانه عليه السلام قد كان على نور من الله وتأييد من رسول الله ونائبه العبد لله تعالى بعده كذلك بحسب اشارته عليه السلام التى هى عن امر رسول الله » . ولاحظ عبارة بحسب اشارته عليه السلام التى هى عن امر رسول الله التى تطابق رواية وصية المهدى وهو فى النزع مما يدعم رواية سلاطين . وقال ابراهيم فوزى الذى عنى بابراز تفاصيل عن وفاة المهدى انه اوصى فى الرمق الاخير بخلافة عبدالله له . وعبارة اجعل لك وكيلا من خلفائك مهمة ، فالذى يراد اختياره يصبح وكيلا لا خليفة كما تطور الامر ، والاختيار محصور من بين اللخلفاء ، ثم هناك الدلالة على ان الخلافة للخلافة الراشدة ليست للتخليف بعد المهدى والتتابع.

وعندما فاضت الروح لبارئها تجمل الحضور ، الا انه قيل ان احمد سليمان اغمى عليه ، وان ابنته زينب زوجة الخليفة شريف صرخت فاسكتها زوجها .

وعلى التو رفع الجميع ايديهم بالفاتحة ثم بايعوا عبدالله تنفيذاً لوصية المهدى . ولاحظ ان البيعة تمت بعد وفاة المهدى مباشرة حتى لا يكون فراغ فى القيادة الدينية الخطيرة . وقال سلاطين : «وقبل ان يبرد دمه اقسم انصار المهدى يمين الولاء للخليفة عبدالله ، وكان اول من بايعه السيد المكى ثم عقب ذلك الخليفتان الآخران وتبعهم جميع الموجودين» . وقد اوفى الخليفتان والاشراف بالبيعة بعد الوفاة بمقتضى وصية المهدى : «اوكلت من بعدى الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق فصار هو الخليفة الذى يقوم بالأمر من بعده » . وقال ابراهيم فوزى : ان عبدالله بويع قبل الدفن وان اول من بايعه السيد المكى ثم بايعه الآخرون . وقال ان عبدالله صلى بالناس الظهر فى منتصف العاشرة ، وانه صلى على المهدى على نحو عشرين رجلاً ، وقال نعوم شقير ان الخليفة عبدالله صلى عليه اماماً وباقى الخلفاء والناس مؤتمون به ، وهكذا كان عبدالله هو المقدم كما كان هو الذى يوجه بالترتيبات .

ومن المهم ان نلتفت لجانب الزمن : قال نعوم شقير انه اسلم الروح عند الضحى . وقال ابراهيم فوزى ان الوفاة كانت فى الساعة الرابعة على الحساب العربى ، وهى الضحى نفسها ، وقال الخليفتان والاشراف وكبار الانصار فى منشورهم انه مات ضحوة . وقال الخليفة عبد الله فى منشوره : الضحى الأعلى . وقال الخليفة انه دفن بعد صلاة الظهر . وقال سلاطين ان الدفن كان بعد ساعتين من الوفاة . وقال نعوم شقير انه دفن عند الظهر . وهكذا يكون بين الوفاة فالبيعة والدفن نحو ساعتين . وقد تقدم قول فوزى بصلاته الظهر فى العاشرة ثم صلاته على المهدى ، وهذا مما لا يتيح اجتماعاً للاشراف قبل البيعة لعبد الله ، ولا محاجة فيمن يخلف المهدى . وقد صلى الحاضرون الظهر قبل الدفن بامامة الخليفة كما قدمنا . وبعد الدفن مباشرة انفض الحضور بينما اصبح عبد الله يستعد للبيعة العامة فى المسجد .

وقد زعم يوسف ميخائيل وضعاً آخر فى مذكراته ، قال تحت عنوان « ملك الخليفة عبد الله ابن السيد محمد سنة ١٣٠٢ هـ » : ولما انتقل المهدى من دار الفنا الى دار البقا وصار دفنه فى ذات المربوعة ، كانوا حاضرين وفاته جملة من الاكابر والخلفا والسيد المكى وجد الاشراف احمد شرفى والفكى الداداري عالم من قبيلة فلاته وعدة من الاكابر . من بعد دفن المهدى اجتمعت الاشراف

لاجل الخلافة الى السيد محمد شريف خليفة الكرار وباقى الجموع عارضهم فيذلك قالوا لهم الخلافة الى خليفة الصديق عبد الله بن محمد على حسب ترتيب الخلافة ، وكما قال المهدى ان الخليفة عبد الله هو خليفتى هو منى وانا منه اتبعه فى كل امر . وصاروا القوم فى القيل والقال والخليفة عبد الله ساكت ليس تكلم شى بل يسمع باذنه وينظر بعينه . ثم قام الفكى الداداري واخذ الخليفة عبد الله التعيشى بيده وقال له بايعنا يا خليفة المهدى . ايضا قام جد الاشراف احمد شرفى اخذ سيف المهدى والعمامة سلمها الى الخليفة عبد الله وقال له اعطينا البيعة . وبعدها تقدم خليفة الفاروق والسيد المكى واخذوا البيعة . وفى آخر كل شئ تقدموا بعضا من الاشراف واخذوا البيعة كمثل السيد عبد القادر ساتى على والسيد عبد الكريم حتى تقدم خليفة الكرار واخذ البيعة. وعند المغرب نصبوا منبر عالى له ثلاثه سلالم وحضر الخليفة وعلا على الكراسى واجتمع كافة الانصار بالجامع امام الكرسى واعطاهم البيعة وواقفا الفكى الداداري امامه مع الخليفة على ود حلو ، اخيه الامير يعقوب بعد اخذ البيعة مستعد بالسلاح والرجال ليس مامن من جهة الاشراف» .

لقد انفرد يوسف بهذه الرواية ولم يقل باجتماع الاشراف والمطالبة بالخلافة لمحمد شريف ودور الفكى الداداري فى البيعة غيره . ولو تم للداداري هذا الدور البارز لما اغفله الرواة . ومما يلفت النظر ان المرحوم الدكتور صالح محمد نور محقق مذكرات يوسف لم يقف عند هذه الرواية رغم اهميتها ، وكانت دواعى التحقيق العلمى تستلزم النظر ثم الاخذ بها او ردها ، وقد اعتمد الدكتور هولت الرواية واقام عليها نتائج تتعلق بخلفيات المؤيدين والمعارضين وكان الاولى ان ينظر فى اصالة الرواية نفسها اولاً .

قال يوسف ان طلب الاشراف بالخلافة كان بعد الدفن ، وحسب الروايات الاخرى فان البيعة لعبد الله تمت بعد الوفاة مباشرة ، وقد قلنا ان الحكمة فى ذلك هى الا يكون هناك فراغ فى السلطة الدينية . والوقت الذى اخذه التجهيز والدفن والبيعة فى حدود ساعتين ولا يعقل ان اجتماعاً عقد بشأن الخلافة وان الناس اختلفوا حولها فى حدود هذا الوقت . ولم يذكر يوسف اين عقد هذا الاجتماع وكيف تجمع الناس . وصورة الاجتماع عنده مهزوزة . اجتمع الاشراف وعارض آخرون ، والخليفة ساكت وحسم الامر له الداداري . ولكن وحسب هذه الروايات فان الحضور انفضوا بعد

الدفن الا عبد الله الذى كان يستعد للبيعة العامة . وقال ان احمد شرفى قدم للخليفة سيف المهدى وعمامته ، ونحن نتساءل متى احضرهما اصلاً اذ كانوا حضوراً فى المرض ثم امتد بقاؤهم حتى توفى ودفن ! وما الذى جعله يحضرهما معه ، وهل كان يعلم ان المهدى سيموت ، ولماذا هذا التحضير . وهل كان السيف والعمامة عنده ! والذى جرى عند موت المهدى هو ان الخليفة استولى على خاتمه ووضعه فى بنصر يده اليمنى تبركاً ، وكان خاتماً من فضة له فص من عقيق احمر مستدير . وهذا شبيه بما تم لخاتم الرسول ، اذ وضعه ابو بكر فى اصبعه ، ثم بعده عمر ثم عثمان ، وقد وقع من عثمان فى بئر وضاع . وقد رأينا خاتم المهدى هذا فى اصبع محمد السيد ابن الخليفة ، وقال لنا انه جاءه من امه ، وهى بنت المهدى وزوجة الخليفة . ولا ندرى اين ذهب بعد وفاة محمد السيد . وقال شقير ان الخليفة طلب سيف المهدى فلم يجده لأن نساء المهدى اخفينه عنه ثم اعطينه للخليفة شريف زاعمين ان النصر يكون فيه . وسواء صح الامر بهذه الكيفية او غيرها فان هذا الخبر يدل على ان احمد شرفى لم يقدم للخليفة سيف المهدى فى مشهد موته . وليس فى خبر الوفاة عند احد الرواة انه قدم للخليفة عمامة المهدى . وقد خلط على يوسف فى امر العمامة وسيف النصر . وقد ذكرهما الخليفة فى منشوره الذى صور فيه استمرار كرامات المهدية، اذ قال : « كما ان سيف النصر بيد العبد لله آيل الىّ من المهدى عليه السلام بمقتضى حضرة نبوية فى حياته عليه السلام وكذا عمامة الخليفة الرابع كما هو مدروك عند الاصحاب» (٢٠) وهذا يقطع بأن السيف والعمامة لم يقدما اليه بعد موت المهدى وعلى يد احمد شرفى كما يدعى يوسف. وسيف النصر والعمامة ليسا بمادة سيف وعمامة وانما هما رمزان ، السيف للنصر الدائم على الاعداء والذى هو من علامات المهدية ، وعمامة الخليفة الرابع لسلب قوة الخليفة شريف . وقد جاء الخليفة بهذا عندما بدر انشقاق الخليفة شريف لا عند وفاة المهدى .

وكيف للأشراف ان يطالبوا بالخلافة بعد ان اكد المهدى خلافة عبد الله من بعده . ولو ان مثل هذا قد وقع لخلق توتراً فى الجو ولروى الرواة الحدث ونقله المؤرخون ، ولكن الحالة بين عبدالله والاشراف كانت عادية او على الاقل مكتومة حتى تعكرت لأمور وقعت بعد ذلك . وما الذى اتى

---

(٢٠) منشورات المهدية ، ص ٩٣ ، محررات الخليفة عبدالله ، المجلد الاول المحرر رقم ٥٠٧ ص ٣٣٨ .

بشخص مثل الداداري في هذا الحدث ذي الخصوصية البالغة . اذ هو ليس من قرابة المهدي ولا من علية القوم بمرتبة الخلفاء والسيد المكي وهو ليس ممن تولى امارة او قضاء او اوكل اليه امر او ذكر له في تاريخ المهدية بما يبرزه لمثل هذا الدور وحتى يحسم من يلي الولاية بعد المهدي . ولماذا لم يواجه المجلس الاشراف اذا صح انهم طالبوا بالخلافة بوصية المهدي الواضحة . وكيف يتصور المرء وقوف الداداري هذا مع الخليفة عبد الله والخليفة الحلو في البيعة العامة مع وجود من هو أعلى منه مرتبة ومقاماً من الانصار .

ان هذه رواية تتباين عن المرويات الاخرى وهي لا تستقيم مع منطق الحدث كما بينا . واذ كان أهم رواة المشهد وهو سلاطين قريباً من الحدث ويروي عن معرفة فان يوسف كان بعيداً عنه وبالتالي فانه يروي ما سمع من آخرين او ما تخيله هو نفسه . وكان يوسف عند تدوين مذكراته قد تقدم في السن وضعف جسمه ولا يتوقع المرء منه ثباتاً في الرواية .

وقد اوحى لنفسه اهمية وقرباً الى الخليفة ، ولم يكن صادقاً فيما اوحى . وقد تحامل على الاشراف في مواضع مما يضع شهادته ازاءهم في شك . وقد اختلق اموراً مثل فرقة المهدي وفرقة معارضيه من صبيان الابيض . وكان من اختلاقه ادعاؤه انه دون محتويات مصنف رسائل المهدي الذي باعه الى المستر اقلن والمحفوظ الآن بمتحف السودان ، وهو المسمى بمصنف الآثار ، من املاء المهدي على كتابه اذ كان فيما ادعى يجلس معهم ويكتب . ولكن التحرير للمهدي كان يقوم به كتاب مختصون ، وما كان يسمح لغيرهم بالتحرير او حضور مجلس المهدي . والصورة التي يوحيها هي ان الكتاب يجلسون عند المهدي بينما هم كانوا يتلقون الاوامر منه ويكتبون بعيدا عنه ثم يقدمون ما كتبوا اليه . ولم يكن مجلس المهدي مفتوحاً حتى يحضر يوسف ويكتب ما يملي على كتابه ، وفي ذلك اسرار وامور لا تكشف . وكان يوسف محدود التعليم ولا يحسن الكتابة ولم يكن في مقدوره نقل النصوص بمستوى المخطوط المذكور . وهذا المصنف من اعداد مصنف محترف ، وقد اقتناه يوسف في ١٣٠٥ هـ . كما جاء مدوناً في اول المصنف . فادعاء يوسف تصنيف هذا المصنف مما دونه بنفسه مما كان يمليه المهدي اختلاق باين . ومن جماع ما اوردنا فلا ينبغي ان نطمئن لمرويات يوسف ، بل لا بد من التمحيص والتدقق ، وهذا ما لم يقم به محقق مذكراته ولا هولت عندما اخذ

بروايته . ومن حقنا بناء على نقاط الضعف التى سقناها ان نرفض هذه الرواية .

وهناك امور لم يكن لها تأثير فى تخليف الخليفة عبد الله ولكنها تقع فى دائرة فقه التخليف ، ولا بد لنا من ذكرها لتكملة الصورة .

اول هذه الأمور قولنا ان نظام خلافة الخلفاء الراشدين كان ترتيباً مرتبياً لكبار اعوان المهدى ولا يعنى تتابع الخلفاء فى الحكم بعد المهدى بمثابة ولاية العهد ، ولكن فى غياب ترتيب آخر للتخليف كان يمكن الاعتماد عليه وتخليف عبدالله باعتباره صاحب المقام الدينى الاسمى والمقدم على غيره . وبمقتضى هذا الترتيب نفسه صار عبد الله الرجل الثانى فى حياة المهدى ومارس سلطاته الواسعة . ولما كانت وصية المهدى بتخليف عبدالله قاطعة فان الحاجة لم تدع الى اجتهادات لاقرار احقية عبد الله كما انها قفلت الباب امام مزاحمته .

والامر الثانى مركز الخليفة والقوة التى بين يديه حتى قيل انه كاد ان ينفرد بالامور . وقد سلم مجتمع الانصار بوضعه هذا . وكان من الطبيعى ان يصعد الى المنصب الأول ، بل كان على من يتحدى هذا الموقع ان يقوم بانقلاب اعتماداً على القوة . وكان هذا مستحيلاً حسب القوة العسكرية بيد عبد الله فى العاصمة وضخامة رايته الغالبة . ولكن هذه المعادلة لم تكن موضع النظر لأن المجتمعين التزموا بوصية المهدى وبايعوا عبد الله عند موت المهدى مباشرة .

وبالنظر الى ان موت المهدى كان مفاجئا فان اعداد الاشراف لطلب الخلافة لكبيرهم محمد شريف كان امراً بعيد الوقوع . وقد كان وضعهم الأدبى سيئا بعد ان هاجمهم المهدى علناً فى المسجد وتبرأ من تكالبهم على الدنيا واغداق احمد سليمان عليهم .

والاشراف اصلاً لم يطعنوا فى مقام عبد الله الدينى ، بل ان هذا لم يكن مقبولاً بعد ان أكده المهدى بعبارات قاطعة ونسبه الى ارادة الرسول . وحتى عندما تحركوا ضد الخليفة عبد الله كان مطلبهم الوضع المناسب للخليفة شريف فى تقرير الامور والا تمس امتيازاتهم الخاصة ولا ينال من مواقعهم . ولما حصلوا على وعد بذلك انفكوا عن التمرد . ولكن الخليفة عبد الله لم يحافظ على وعده بل نكص فيه فزادت المرارة وادت الى التحرك ومن ثم تصفيتهم .

ان البيعة للخليفة عبد الله تمت بشكل عادى ولم يقف الاشراف ضدها ، ولكن الناس البسوا هذه الواقعة لباس ما جاء من بعد .

والامر الثالث امامة الخليفة عبد الله للصلاة فى الجمعة السابقة لوفاة المهدى باشارة منه . وقد تبدو الواقعة طبيعية لأن الخليفة كان الرجل الثانى اصلاً ونائب المهدى ومتولى الامر منذ ان مرض بصفته النائب عن المهدى . ولكن المهدى درج على ان يوكل بامامة الصلاة للخليفة على الحلو او سعد الجعلى (٢١) . وعلى ذلك فاعتبار الامامة اشارة الى رغبة للتخليف قد يكون وارداً ولكن يضعفه ان المهدى لم يكن متوقعاً موته . وثابت تاريخيا ان الخليفة عبد الله ام الناس فى هذه الجمعة ، وبين ايدينا خطبته فى هذه الجمعة ، وهى خطبة قصيره تعبر باختصارها عن الحالة الحرجة . ولكن المهم ان الخليفتين وكبار الاشراف والانصار ارادوا فى منشورهم ان يعززوا بهذه الامامة تخليف الخليفة عبد الله بعد المهدى فاستدعوا سابقة امامة ابى بكر الصديق للجمعة السابقة لوفاة الرسول باشارة منه . قالوا : « ولما اشتد وجعه صلى الله عليه وسلم اوصى اصحابه رضوان الله عليهم بالقيام بامر الدين من بعده وامر ابا بكر الصديق رضى الله عنه ان يصلى بالناس وعهد اليه بالخلافة وقال الخلافة بعدى لابى بكر الصديق ». والخليفة عبدالله يحتل خلافة الصديق فى المهدية ومثل هذه العبارة يقوى حجة خلافته للمهدى ويعطى مردوداً مهما للمهدية وخلافتها لعهد الرسول . ولكن هناك من الجهة الثانية امران : اولهما الخطأ التاريخى - والذى لا يمكن القبول بأنه لم يكن مدروكاً لمحررى المنشور - اذ يقولون ان الرسول عهد بالخلافة بعده لابى بكر الصديق ، لأن هذا لم يقع . وقد جاءت خلافة ابى بكر باجتهاد ابى بكر وعمر بن الخطاب وتدبير السقيفة بعد وفاة الرسول . وقال عمر قولته الشهيرة : تلك فتنة وقانا الله شرها . وبعض الناس لم يكن راضياً بتخليف ابى بكر وبالاسلوب الذى اتبع . وقد امتنع علىّ بن ابى طالب عن البيعة لفترة . والشيعة ينكرون هذا الامر ولا يقبلونه لأنهم يجعلون الامر بعد الرسول لعلىّ بن ابى طالب فيما قالوا بوصية النبى له فى غدير خم . والامر الثانى ان المؤيدين لتخليف ابى بكر استشهدوا بامامة ابى بكر للصلاة باشارة الرسول باعتبارها تعبيرا عن رغبته فى خلافته على المسلمين بعده . فالاختيار للامامة الصغرى كناية عن الرغبة للامامة الكبرى فيما قالوا . ولكن هذا اجتهاد يساق دعماً لخلافة ابى بكر وليس به جزم برغبة الرسول . وقد غاب عن الخليفتين ومن شاركوهما فى منشور التخليف

---

(٢١) فوزى جـ ٢ ص ٦١ .

ان المهدى جعل على قمة اتباعه اربعة وجعل عبد الله اولهم بينما لم يترك الرسول تدبيراً مثل هذا لكبار صحابته اللهم الا من سماهم بالعشرة المبشرين بالجنة . وحق عبد الله ثابت فى التقدمة بحسب مرتبته ام الناس هو او امهم غيره ولا يحتاج الامر الى استدعاء صلاته بالناس باشارة المهدى فى الجمعة السابقة لوفاته .

وفى التقدير العام لوفاة المهدى وتخليف عبد الله نقف على مواقف متباينة : قال الخليفتان ومن شاركهما فى المنشور ان المهدى توفى بعد ان اكمل مهمته وزمنه المحدد فى الحديث ، ويعنون بذلك عبارة « يعيش خمسا او سبعا او تسعاً» ، قالوا : « ولما انتهى امر مدته المشار اليها فى الحديث الصحيح واراد الله كمال اجتباه واحب لقاءه واصطفاه نقله اليه على اجمل الاحوال واكمل الخلال». وقال البعض ان المهدية فقدت بموت المهدى القائد والعقل المدبر وانه لو عاش لقاد بغير الهزات التى تلت على يد الخليفة . وقال ثيوبولد ان المهدى مات فى الوقت المناسب لأنه لم يعد مسئولا عن المشكلات التى واجهت المهدية بعده والتى يحمل الخليفة وزرها ، وقال ان الالسن كانت بدأت فى الطعن فيه بأنه لم يعد يملك السلطة وما الى ذلك من امور ، وانه لمحظوظ حقا اذ مات فى الوقت المناسب ويبقى فى التاريخ بوهجه . وقال تشيرمسايد انه لم يظهر بعد المهدى مدع لمقامه بل اعتبر شعبياً مجدداً للاسلام ، ومنقذا للاسلام ، وقائداً عظيما ، وقد اعتبر تخليف الخليفة انتقالاً بالمهدية من الشخص الداعية الى المؤسسة . وقال انه لم يظهر معارض للخليفة عند ارتقائه وانه مقبول شعبياً بصفة عامة وقد استسلمت كل الفئات للوضع اثر انسحاب الانجليز من دنقلا وسعت الى المعايشة .

(٤) اثر وفاة المهدى :

ادارت وفاة المهدى بعض الرؤوس دورة الحيرة والشك والانكار . قال البعض ان المهدى قال بأنه سيفتح مكة وتتم له البيعة الكبرى هناك ، وها هو يموت قبل هذا الفتح . وقالوا انه وعد بالصلاة فى المسجد الاقصى وفى الكوفة والبصرة ولكن هذا لم يتم . وقالوا ان فتحه لمصر لم يتم ولم يُزِل سيفه دولة الترك . وقالوا ان الدنيا لم تبلغ على يديه السعادة البشرية الكاملة الموعودة للمهدى المنتظر . واهل المطالب الخاصة ، مالاً وحيواناً وارضاً وزرعاً، وقفوا يسألون عن قضاياهم . اى ان هؤلاء

طعنوا فى حقيقة المهدى . وقد انتبهت قيادة الانصار لهذا الذى تثيره الوفاة من وقفة فأوضحت ما يزيله فى منشورى وفاة المهدى وتخليف الخليفة عبد الله :

قال الخليفة عبد الله : «فان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لم يهملوا الدين بعده بل تحزبوا عليه وايدوه وجاهدوا فى الله حق الجهاد ورغموا انف اهل الشرك المرتدين وفتحوا كثيراً من البلاد ولكم بهم اسوة حسنة فاقتفوا اثرهم لتنالوا نيلهم وتدركوا اللحوق بنبيكم ومهديكم معهم». ونرجو ان يقف القارئ عند قوله «ورغموا انف اهل الشرك المرتدين» ، اذ انه يشير الى الردة التى اعقبت وفاة النبى فى وجه الخليفة ابى بكر الصديق فقمعهاحتى سلم المرتدون بأمره ، فكل من يهتز بوفاة المهدى يكون كمن ارتد بعد وفاة الرسول . وهو يضع نفسه فى موضع ابى بكر، وهنا امران اولهما انه خليفة ابى بكر الصديق فى ترتيب خلفاء المهدى والثانى انه خليفة المهدى كما ان ابا بكر خليفة الرسول . فالاسوة التى تمت بعد وفاة الرسول هى الرد على أى شك فى مهدية المهدى وتخليف عبدالله .

وقال الخليفتان الحلو وشريف ومن معهما : « ومع ذلك لم يمهله الله ساعة عند انقضاء مدته ولا اخره لحظة عن انتهاء اجله وحلول منيته» ، يقصدون بهذا وفاة النبى لبيان ان الموت حتم على كل بشر وحتى الرسول مع عظمة مكانته ، فلا يكون موت المهدى استثناءاً . وقالوا : «ولما قبضت روحه الزكية نقلت الى رحمة ورضوان ... ولم يرفع عنه منصب النبوة مع جلالته مقدوراً ولا راقب الملك فى امره اهلاً وعشيراً» . والعبارة تعنى ان وفاة الرسول لم تلغ النبوة وبالتالى لا يلغى موت المهدى مهديته ، واذا كان الموت لم يراع جلال الرسول وعظمة عشيره ففيم الحيرة والغرابة فى وفاة المهدى! ويقولون : « وحين انتقل للرفيق الاعلى بايع اصحابه ابا بكر خليفة بعده وسلموه قياد امرهم وثبتوا على سكة نبيهم صلى الله عليه وسلم ولم يتزلزلوا واعزوا الدين ووسع الله بهم دائرة الاسلام وكثرت فتوحاته على ايديهم » لاحظ ايحاءهم حال الخليفة عبد الله وانصاره بحال ابى بكر الصديق والصحابة . وقالوا : «فاعلموا احبابنا ذلك وبايعوا هذا الخليفة على السمع والطاعة كما بايعناه ولتكن لكم فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فانهم بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم اتفقت كلمتهم على بيعة ابى بكر الصديق رضى الله عنه وزادت همتهم فى

تاييد الدين واشتدت رغبتهم فى لقاء رب العالمين ولم يتزلزلوا عن ايمانهم بموت النبى صلى الله عليه وسلم وثبتوا على ما كانوا عليه فى عهده ... وكما ان النبى صلى الله عليه وسلم لما انتقل قام بالامر من بعده خلفاؤه الكرام واصحابه فكذلك المهدى عليه السلام فان له به اسوة حسنة وقدوة مستحسنة فلذا يقوم بأمر الدين بعده خلفاؤه واصحابه حتى ينصر الله دينه ويفتح على ايديهم من المداين ما لم يفتحه فى زمن المهدى عليه السلام وذلك من تحقيق الوراثة النبوية ». وقد عالجنا هذه النقطة فى «الحركة الفكرية فى المهدية» فقلنا : « وفى الصعيد النظرى قدم الخليفة حججاً كثيرة يدلل بها على استمرار العون الالهى وكونه حائزاً على البركات وركز القول على الوراثة المصطفوية والوراثة المهدية والاسوة النبوية والحمالة الالهية والوراثة النبوية ووارث المقام النبوى ، وهى مدلولات تعنى شيئاً واحداً وهو التطابق بين الرسول والمهدى فى الخلق والسيرة والتصرف واندراج زمن الثانى من زمن الاول وموافقة الأحكام الخ . والنقطة الهامة هى موت النبى وقيام الصحابة بعده بالفتوحات ونشر الاسلام . وبالتالى فان المهدية مستمرة ولم تقف بوفاة المهدى وسيقوم اصحابه بقيادة الخليفة عبد الله بالفتوحات . وقد راج القول به فى السنوات التالية لوفاة المهدى ثم اختفى بعد ان تدعم مركز الخليفة عبد الله . وقد احتج هو وكبار الانصار بأن صحابة الرسول قد تابعوا الفتوحات ونشروا الاسلام بعد وفاة النبى ، وهو امر يطابق ما هم بصدد القيام به» .

وكما يأتى فى مرحلة تالية من هذا الكتاب فان يوسف احمد محمد عوض السيد قد اورد فى كتابه «الاجوبة المسكتة» كثيراً مما اثير سلباً على مهدية المهدى ورد عليه ، ومن ضمنها هذا الذى اثير حول موته .

وقد وقفنا على موقف العالم العوض اودون بجبال النوبا عند وفاة المهدى وعلى عبارة منسوبة الى العالم طه بأن أنتهاء عمر المهدى وبالتالى المهدية بعد خمس سنين ، باعتبار ان المهدى حسب الأحاديث يموت بعد خمس . قال حمدان ابو عنجه فى محرر الى الخليفة فى شوال ١٣٠٢ : « اما العوض اودون عندما بلغه خبر المهدى عليه السلام اختل عقده وضعف يقينه وطالبنا مراراً فى توجهه لاهاليه ليخدم منهم الغنيمة ، وبعد الحاح منه وعدم مرسانا على ضميره اذناه وتوجه ، فلما خرج من الديم حضر لنا احداً من الاخوان الصادقين واعلمنا بما هو مضمر عليه من مقالة العالم طه له من مدة اقامته بالرهد اعتماداً على الحديث بموت المهدى عليه السلام عند انتهاء الخمسة

سنين» . ولكن لماذا وقف العالم طه عند خمس سنوات مع ان الحديث على خمسة او سبعة او تسعة ! هذا يدل على صدور القول عند وفاة المهدى ، لأنه اعلن المهدية فى ١٢٩٨ وتوفى فى ١٣٠٢ فهو بحسابه خمس سنوات . ولكن ألا يدل الاحتجاج بهذه السنوات على ان من يحتج بها مقر بأن مهدية المهدى جاءت مطابقة لشرط العمر وبتسليمه لمهديته . «وبمقاله اصبر قليلا فقريبا لا محالة ان الدبيبة راسها يقطع وتتحير في التوجه الى اى جهة من الجهات وان هذه لعبة وستفوت ولم يزل مضمرا على هذا من تلك المدة ولم يخبر به الا هذا الرجل الذى اعلمنا به مرة او مرتين . وما قصده بتوجهه هذا الا ان يستفتى زيادة فى طه ويقوم بعمل ما يبدى له من الفساد» . ثم يقول فى ذيل : « وكذا سيدى فان العوض المذكور والعالم طه ودفع الله بقوى ويوسف احمد واللخمى ابو القاسم فان شاع هذا الخبر يخشى منهم ان يضلوا العباد ويسعون فى الارض الفساد ولما حسبه العقل من جهتهم فقد ضبطنا طه ويوسف احمد ودفع الله ونرجوكم الافادة» (٢٢) . وقد رد عليه الخليفة : « دفع الله بقوى ويوسف ينبغى التدقق فى امرهم واذا ثبت انهم حصل منهم انكار بعد انتقال المهدى عليه السلام فطهروا بهم الارض ، واما اللخمى والعالم طه والعوض اودون اجروا حبسهم بالحديد طيب وثقلوا عليهم غاية واجروا المحافظة عليهم قوى لحين وصولهم لطرفنا» (٢٣) .

الخليفة عبد الله وعهده :

مات المهدى بعلة لم تمهله الا اياماً قليلة . وقد تقبل الانصار راضين بمراد الله بغير جزع ، وهم فى الاصل ، على الأقل فى هذه الحالة، سلفيون يمنعون البكاء على الموتى والجزع عليهم . ولم يقع من الجمهور ما يعكر الصفو. وارتقى الخليفة عبد الله بغير منازع حسب وصية المهدى الواضحة وهو على فراش الموت . وليس صحيحا ان الاشراف طالبوا بخلافة كبيرهم الخليفة شريف او انهم تباطئوا فى البيعة له . وبعد تردد فى صفته من وكيل الى نائب المهدى ونائب خليفة المهدى كما فى محرراته استقرت الصفة على خليفة المهدى . وواصل الجهاز الادارى القوى الذى كان على رأسه فى ايام المهدى يباشر العمل بجد وواصل على نفس المنهج الذى كان بغير داع الى تغيير بأى وجه . وتولى العمال والامراء فى الاقاليم الابلاغ بوفاة المهدى وارتقاء الخليفة واخذوا

---

(٢٢) محررات الامير حمدان ابوعنجة ، تحت الاعداد .

(٢٣) محررات الخليفة ، المجلد الاول ، رقم ٥٤٦ ، ص ٣٤٩ .

البيعة له وكتب كل بولائه والتزامه عهداً مؤكداً وواصل كل مهامه كما كان يفعل . وهكذا تمت النقلة، او المواصلة بحق ، بكل هدوء .

لم تكن للخليفة الخلفية الاجتماعية لقيادات السودان . فهو لم يتلق علماً يؤهله لقيادة علمية ، عالماً او استاذاً او قاضياً الخ . وقد نفر عن التعليم وكرهه حتي علمه ابوه بشق النفس القليل الذى يؤدى به فرائضه الدينية . وانا لنعجب ممن يقول بأنه كان يفر من التعليم لكي يخلو لنفسه للتأمل والتفكر او يندمج فى المجتمع ليسبر غوره ، اذ فيم يتأمل او يفكر او يسبر من هو فى طور الخلوة صغيراً ! هذا ايضا مما البسه قائله مما جاء بآخرة !

وهو لم يؤهل على التصوف على يد شيخ . وقد اتجه الى ذلك مؤخراً برغبة من نفسه او بوصية ابيه وهو على فراش الموت فقصد شيخاً فى الجزيرة ليأخذ عليه ، وهو فى احتمالنا الشيخ محمد شريف نور الدايم الذى كان عالى المكانة بين السمانية ، فلما سمع بالخلاف بينه وبين تلميذه محمد احمد وما آل اليه هذا من صعود قرر ان يلتحق به ، ولكنه لم يجد رباطاً صوفياً يروّد الطالبين ويصعد بهم فى مراقى التصوف وانما وجد شيخا داعية يعد لثورة !

وهو لم يكن من التجار الذين علا شأنهم فى مجتمع السودان بعد ان توسعت التجارة فى العهد التركى فاصبحوا من الوجاهات ذات الاعتبار والنفوذ . وقد تولى بعضهم الوظائف الكبيرة فى التركية والمهدية .

ولم يكن من قيادات القبائل ، ولم يكن عضواً اصيلاً او عريقاً فى قبيلة التعايشة ، بل كان سليل رجل قدم من الخارج وانتسب وتزوج وولد ، وكان القادم جده القريب فى قول وجده الأسبق فى قول آخر . ولكن اسرته اندمجت فى التعايشة بالمصاهرة والمشاركة فى الحياة ، وظل هو واسرته لا قبلة جهوية لهم الا هذه القبيلة التى ولدوا فيها وعاشوا فى كنفها ، ولم يستدع عبدالله واهله عصبية جدهم القادم ، وكان امراؤه ومستشاروه من اسرته ومن زعماء التعايشة فى المقام الاول (٢٤) .

وكانت اسرته اسرة دينية لها مكانة ، وكان ابوه معتقداً فيه ويرجع اليه التعايشه اذا خرجوا للصيد او للحرب . وكان من شأن مهنة الاسرة ان تعلم الكثير فى تدبير الأمور والتعامل مع

(٢٤) انظر فى هذا نعوم شقير ، ص٨٩٤ .

الجمهور ، وقد قيل ان اخاه يعقوباً ارتكز فى تعامله وتدابيره على الخبرة التى جناها فى خلوة ابيه وضيافة القادمين اليه .

لم يكن مؤهل عبد الله لما وصل اليه اذاً من الموروث وانما كان من ظروفه ومن تعامله بِهَم وصدق واقبال مع المهدى وما يعده من امر وتفانيه فى بناء حمالة المهدية ، وهو الذى ملك به قلب المهدى وكسب به ثقته فيه واعلاء شأنه حتى رأى فيه استمرارية مؤسسة المهدية فأوصى بالخلافة له وهو يجالد الموت .

ان قدوم عبد الله من خارج المؤسسة التقليدية للقيادة قد جعله فى نظر هذه القيادات دونهم ودون ما وصل اليه من مقام يعلو فوق مقاماتهم ، وقد عدوا ذلك من ضربات الزمان ، وكرهوا ان ينقادوا اليه . وكان هو يحس بهذا الوضع فينظر نظرة العداء للقيادات الاجتماعية وكال لها الضربات حتى تبقى قيادته هى المتحكمة .

كان الخليفة قوى الشخصية ، عظيم الثقة بالنفس ، عميق الايمان بالمهدى وبما جاء به ، دقيق النظر فى الامور . وقد احكم ادارة دولاب الحكم ، يعرف من الامور خطيرها وحقيرها ، وتابع اعمال عماله وامرائه وحاسبهم فى الكبير والصغير . وكان حاسماً ، صارماً ، عنيفاً ، وقد كره الناس فيه هذه الصرامة وهذا العنف وكرهوا قربه من المهدى وتمنوا ابعاده منه . وبعضهم حسده وأبغضه . وقد استعصى عليهم جميعا ان يمسوا مكانته .

وكان يحسن تقدير القوى وموازناتها ويعرف اقدار الرجال من ضعف وقوة ، فاذا اراد امراً خطط له ودبره وتقدم اليه بحساب . وقد عاونه فى ذلك اخوه الشقيق يعقوب ، جراب الرأى المحنك المقتدر ، وقاضى الاسلام احمد على الذى كان يجيد لف الحبال حول الخصم . وكان فى يد عبد الله القوة الباطشة . فاذا ضرب قبيلة كاد ان ينهبها ويغصب كل اموالها . واذا غضب على رجل ، قريباً كان او بعيداً ، بطش به بغير رحمة سجناً او اعداماً او نفياً الى الرجاف . وكان من تدابيره المشتطة فرضه على اهل السودان القدوم لصلاة عيد الاضحى الاول من حكمه فى ضريح المهدى وعلى ان يقدم الكل بزواملهم واسلحتهم وزوادتهم . بالطبع كان يريد من وراء ذلك ابراز قوته فى اول مناسبة دينية له حاكماً ولكنه لم يقدر مقدار ما يقاسيه الناس فى سبيل ذلك وما يثيره من ضيق وحنق . ومنها تخريب مدينة سنار بغير سبب مقنع . ومنها تعامله مع تمرد المتمة والذى اصبح ثقيل

الوطء ، واختياره لمحمود ود احمد لصد حملة كتشنر مع انه كان شاباً قليل الكفاءة ولم يحارب على النيل من قبل ولا خبر الحرب مع جيش نظامى ، ومع ان فى قواده من كان ذا كفاءة . ولم يؤهله لهذه القيادة الا قرابته .

ولكن عبدالله اجتهد فى ادارته فوسع من دائرتها واطرها وابتدع فيها اموراً ، كان ذلك فى ادارة المال او ادارة القضاء او الادارة الاقليمية . كانت اعمال عماله فى الاقاليم وفق توجيهاته الدقيقة ، وكان يراقب هؤلاء بهجانة البريد . وقد تمكن من ادارة هذه البلاد الواسعة بواسطة منشوراته وهجنه . والى عهده يرجع كثير من المرافق او تطويرها مثل بيت المال وبيت الامانة والمطبعة ومصانع الصابون والبارود والسجن والعماير مثل الطوابى وقبة المهدى والمسجد والسور الذى يحيط بمرافق الدولة . وقد واظب بنفسه على امور الدولة مما يحمله البريد منه واليه ويتلقى التقارير ويقابل زواره ويراجع امور بيت المال ومصروف اسرته ويشرف على امور الجيش ويحضر بنفسه العرضة الاسبوعية وتمكن من المحافظة على المهدية حتى هزم بقوة العتاد .

وكانت امام الخليفة اثر توليه مهام تشغله ، وهى : كسلا والشرق ، وسنار ، والحدود الشمالية ودعم موقف المهدية الذى اهتز بوفاة المهدى غير المتوقعة .

كسلا والشرق: كان مدير كسلا ورجاله عرضوا على المهدى التسليم لموفد منه خوفاً من غائلة انتقام المحاصرين اذا سلموا لهم، فارسل المهدى وفداً برئاسة الحسين ابراهيم زهرا، وكان اختياره تطمينا للمستسلمين لان زهرا كان عالماً عالى المكانة ولا يتوقع منه طيش . ولكن من المؤسف ان الانصار نقضوا ما اتفقوا عليه والتزموا به عهداً وغنموا الاموال الخاصة وعذبوا الناس فى سبيل الغنائم وبعدوا بذلك عن روح بعث المهدى لعالم يطمأن اليه . وبعد ارتقاء الخليفة بقليل جاءه خبر التسليم وخضوع منطقه كسلا بأسرها للمهدية . وعلى الفور امر الخليفة حسيناً بتسليم الامر لعثمان دقنه الذى تقع كسلا فى اطار عمالته والعودة للبقعة . غير ان الموقف كان منذراً بهجوم من قبل الحبشة لدعم المحاصرين فى كسلا ، وقد وقع الهجوم فعلاً ولكن بعد فوات الاوان وبعيداً عن كسلا نفسها وخسر الانصار كثيراً من الرجال وزاد التوتر بين المهدية والحبشة . ولما جاء الايطاليون من الشرق اصبحت المنطقة نقطة المواجهة بينهم وبين الانصار. وقد وقعت معركة

اغوردت فى اواخر المهدية وقتل فيها الامير احمد على قائد حملة الانصار وقريب الخليفة ومقاتل مشهور هو عبد الله ود ابراهيم . ثم جاء احتلالهم لكسلا .

وقد توطد عزم الجيش المصرى بقيادته الانجليزية، وبفرق انجليزية ايضاً، على المحافظة على سواكن والتى استعصى على الانصار احتلالها، بل تمكن الجيش من رفع الحصار عليها ورد عثمان دقنه وانصاره بعيداً الى طوكر بما اوقعوا من خسائر . وبقاء سواكن تحت الادارة المصرية الانجليزية مكن بعض قبائل البحر الاحمر على مقاومة المهدية مدفوعين بمصالحهم ودفع سلطات سواكن لهم باغراء المال وتحريض الختمية . وطوال الفترة واجهت ادارة المهدية خضماً من مواقف القبائل معها او ضدها زيادة على كلفة المحافظة على جيش كبير دائم التحفز على القتال والخطورة المتمثلة من سواكن نفسها .

كادت سنار ان تسقط على يد عامر المكاشفى فى اول هجوم عليها عند بدء ثورات الجزيرة والنيل الازرق ولكنها، ويا للعجب، وقفت تصارع الى ما بعد وفاة المهدى. وكان من الممكن ان تجلو القوات نحو الحدود الحبشية قبل ان يستفحل الامر ولكنها بقيت ربما لخلافات بين القادة . وقد اوكل امرها بعد فتح الخرطوم الى جيش جرار يقوده محمد عبدالكريم ، من قادة الاشراف الكبار، ولكنه واجه مقاومة عنيفة وكاد ان يهزم فى احدى الوقائع وجرح فيها . وقد استدعيت قوة اضافية بقيادة النجومى، ولكن قبل ان تشترك فى القتال استسلمت المدينة . وكما هى العادة عومل المستسلمون على نقيض ما ابرم بعنف وعسف . وهنا ابتدع الخليفة قراراً ليست له سابقة ولم يعرف سببه بوجه مقنع وهو تخريب المدينة تخريباً كاملاً وحمل اخشابها فى اطواف على النهر الى البقعة ومنع السكنى فيها . وقد امتد هذا القرار فيما بعد الى بلاد اخرى هى جبل الضباب وكاجة وجبل مرة ودار التعايشة وقولو (٢٥) .

الحدود الشمالية : انسحب الجيش الانجليزى من دنقلا وارتكزت قوة الحدود فى حلفا . وفى اثناء انسحابها وقعت معركة فى بلدة جنس شمالى مدينة عبرى الحالية وخسرت فيها قوات الانصار المطاردة خسائر فادحة . وقد روجت الاشاعات من وحى هذه المعركة عزم الجيش على العودة الى دنقلا ، وكان ذلك انذاراً مقلقاً للخليفة اخطر به قواده فى الاقاليم . ولكن الانجليز

---

(٢٥) منشور الشعرة فى كتاب منشورات المهدية ، ص ١٠١ .

واصلوا انسحابهم حتى استقروا بحلفا بينما استقرت قوات الانصار التى كانت من ورائهم فى بلدة صرص جنوبى حلفا بعدة اميال. وبالرغم من المناوشات الكثيرة والغارات استقر هذا الوضع حتى انكسار قوة النجومى فى توشكى واصبح آخر نقطة للانصار شمالا فى فركة .

وبالمقارنة الى شرق السودان فان انسحاب الانجليز والمصريين من دنقلا اعطى الاطمئنان للخليفة وادى الى استقرار حكمه فى دنقلا وما بعدها جنوبا بعكس ما سببه له وجودهم فى سواكن.

كان هذا هو الوضع فى الايام الاولى لعهد الخليفه عبد الله .

الاشراف :

كان الهدوء الذى اعقب وفاة المهدى هو الهدوء الذى يسبق العاصفة . فقد انضوت تحت لواء المهدية قوى ذات مواضع اجتماعية متباينة ، واحيانا متصارعة. وكانت الجهة التى تمسك بزمام الامور وتحافظ على التوازن والوئام هى المهدى ، وحتى فى وجود المهدى كانت الامور تفلت احيانا ويقع الاصطدام كما حدث عندما تطور تذمر المنا اسماعيل وتنافره الى تجاوز امر المهدى . ولم يكن غياب المهدى امراً عادياً ، فقد كان ما يشير به هو الحق الذى لا محيد عنه واصبح الامر الآن بغير هذه القوة . وقد خلفه رجل لا يحمل المؤهل الدينى الفريد للمهدى ولا القداسة التى كانت عنده ولا هو بالجهة التى تجتمع عندها الفئات كما كان عند المهدى ، بل هو مما اختلفت حوله الاهواء وتنافر عنه الكثيرون ، وكان هو نفسه جبهة من جبهات الصراع ومتحينا للانفراد بالسلطة . ومع الوقت بدأت الخصومات تنبت فى ارض كانت مهيئة . وكان الخليفة يملك الحيلة وبيده القوة وفى قلبه الانفراد بالأمور .

مرت الايام الاولى فى وئام . ورغم ان الخليفة تحوط ضد انقلاب الاشراف ضده بالانصراف عن قيادة الخليفة شريف لحملة الشمال واحتفاظه برؤوس الاشراف من امثال محمد صالح سات على بالبقعة فانه لم يتسرع بصرف عمال الاشراف من مواقعهم، وقد عفا عن الاشراف الذين تباطؤا عن الهجرة وبقوا فى ديارهم بالشمال وامر محمد الخير بعدم تغنيم املاكهم نظراً لقرابتهم للمهدى واكراماً له (٢٦) . ثم بدأ نبت الشيطان يظهر هنا وهناك ويعكر على الحقل .

---

(٢٦) محررات الخليفة ، المجلد الاول ، ارقام ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٧٠٩ ، ٧٢٧ .

محمد عبد الكريم : كان محمد عبد الكريم من رؤوس الاشراف ، وقد اوكل اليه امر سنار فى حياة المهدى فحاصرها بقوة كبيرة كان من بينها خمس رايات من الحمر فيهم امراء لهم مكانة . وعلى ما يبدو فان مشاركة هؤلاء هنا لم تكن امراً عادياً لحرص الخليفة عليهم فى ارض غريبة ، ولذلك اوصى محمد عبد الكريم بهم ليكونوا تحت رعايته الخاصة . وقد اشاد الخليفة بجهاد محمد عبد الكريم وبسالته فى القتال ، ولم تكن عليه اذاً مؤاخذة من هذا الوجه . الا ان الحمر رفعوا امرهم الى الخليفة متظلمين . ويبدو انهم طلبوا التميز عن غيرهم فيما يغنمون وانهم عندما وجدوا استجابة الخليفة لشكواهم ألحوا فى الشكوى واصبحت نغمة الخليفة تزداد حدة وبلغ الحد الى ان طلب من احمد محمد خير ، وهو من كبار الاشراف مع محمد عبد الكريم ، السعى لدى الطرفين والوصول الى حل(٢٧) . وليس من الميسور ان نصل الى حكم قاطع فى القضية لأننا اولاً لا نقف على وجهة نظر محمد عبد الكريم اذ لم يبلغنا منه شئ فى هذا الخصوص ، وثانيا لأنا لم نقف على شهادة من طرف آخر بل ولا حتى رأى احمد محمد خير الذى كلفه الخليفة بالتوفيق بين الجانبين . ولكن الثابت من منطوق محررات الخليفة انه كان يأمر بالتجاوز للحمر ويسمح لهم بما لا يسمح به للآخرين فى التناول من الغنائم ويشدد على محمد عبد الكريم بمراعاتهم والعمل على راحتهم .

واليك بعض التفاصيل من واقع محررات الخليفة :

المحرر ٢١٣: يرجو من محمد عبد الكريم تأجيل مطالبة الحمر بما استولوا عليه من الغنائم حتى فتوح سنار .

المحرر ٤٠٧: يثنى على شجاعة محمد عبد الكريم وبسالته ويوصيه بالحمر ويحدد لهم مزايا . ويقول ان بعض الحمر الذين جاءوا عرفوه «على انكم ما قصرتم فى حقهم من شئ لاكن رغبوا منا التحرير لكم بالقاء النظر اليهم وافتكارهم لانهم مستهم بعض ضرورة وليسوا كغيرهم من بقية الناس لداعى عدم معرفتهم لتلك الجهة وخلو راسهم فيها . وكان وقت توجهكم اوصيناكم عليهم ... وما حصل منكم سهواً ولا تقصير عن الوصية لكن مطلوب زيادة الاهتمام بهم كما هو المامول فيكم، فينبغى ان تعرف كافة الاصحاب ان لا يعترضوا لهم فى اقل شئ ، فاذا كان خرج لهم مثلا جهدى ووقع بايديهم سوا كان سلاح او غير سلاح تفضل معهم ولا يعترضهم فيه انسان . واذا كان راس

(٢٧) محررات الخليفة ، المجلد الاول ، رقم ٦٣٤ ، ص ٤٠٢ .

رقيق عبداً او خادم كذلك تفضل بايديهم او واحد اجتمع معهم يفضل معهم وكافة ما يقع بايديهم من تعلقات الكفره لحين ما يحصل الفتوح خدمتها ما نرى فيه الصواب نجريه عليهم وعلى كافة انصار الدين . اما الآن حيث ان الحصار موجود والحرابة قائمة فلا تكن لهم مطالبة فيما يقع بأيديهم كلية وتراعيهم فى كامل ما يلزم لهم ... وكذلك حبيبى لا يكن بيع لخيل المذكورين ببيت المال كلية ولو حصان واحد فانهم نظراً للضرورة التى تحصل لا بد ان يرغبوا بيع خيولهم للناسات فلا يكن لخيولهم بيع ببيت المال كلية واذا سبق بيع قبل صدور امرنا هذا فردوا الحصان الى صاحبه ولا تحصل له مطالبة فى الثمن حيث انه تعلق بيت المال لحين الفتوح والنظر فى ذلك بمعرفتنا ». وظاهر ان هذه العبارة تحمل ما طلب امراء الحمر من استثناء .

المحرر ٤٦٤ : يهنئه على انتصاره ويشدد على الانصار عدم التعدى على الغنائم .

المحرر ٤٨٣: يأمر بتصفية محمد عبد الكريم من غنائم سنار .

المحرر ٦١٦: يأمر امراء رايات الحمر الخمسة بالصبر على ما لحقهم ويخبرهم بتوصيته لهم لدى محمد عبد الكريم .

المحرر ٦١٩: يخاطب محمد عبد الكريم بشأن شكوى الحمر ويعاتبه على اهمالهم ويطلب مساواتهم بالآخرين .

المحرر ٦٤١: يعاتب محمد عبد الكريم على تعيين محمد ولد فانه للتفتيش على الغنائم بيد الحمر ويأخذ عليه بشدة تضرر الحمر منه ويخيره بين مساواتهم بالآخرين او اعادتهم للبقعة .

المحرر ٦٤٩: عكس فى محرره هذا الموجه الى حمدان قضية الحمر قائلاً : « وقد كان اهل الراية (الزرقا) الذين ارسلناهم مع محمد عبد الكريم حصل لهم منه غاية التكدر وذموه وقصر معهم اشد التقصير » .

وهكذا يكون محمد عبد الكريم قد دخل دائرة الفتنة بشكوى الحمر منه ، وقد تمت بعودته تصفيته من غنائم سنار، وهو ممن أعدمهم الخليفة فى تصفية الاشراف .

احمد سليمان : كان امين بيت المال منذ انشائه ، وهو الذى بنى هذا المرفق ولكن يبدو انه لم يضع ضوابط محاسبية محكمة فيه . وهو لا يمت بصلة الدم الى الاشراف، ولكنه كان الصديق المقرب الى المهدى وموضع ثقته . وقد عرف بايثاره للاشراف واغداقه عليهم وتقتيره على قرابة

الخليفة واهل رايته . وقد اخذ المهدى على الاشراف حبهم للمال وعلى احمد سليمان بالاغداق عليهم فى خطبته بالجمعة الاخيرة له بالمسجد وتبرأ من فعلتهم ، ويبدو ان ذلك كان صدى لاتهام الخليفة لأحمد سليمان فى ذمته والمطالبة بمراجعة حساباته . وقد رد المهدى على الاتهام بما يعنى ان الامر موضع نظره وان كان لا يرى جدوى للمراجعة واعتبارها سوء ظن . واليك عبارة المهدى : « ولما اراد الله ما قلت من الاخ المذكور وقد نظرت فيه انت الموافقة والراحة فى هذا الشأن من قدير الى هذا الآن . وما قلت لك فيه ما تتهمه به فى امانته . والآن ، حبيبى ، تفتيش بيت المال بظهره لا يفيد حسن الظن فى الاصحاب حيث انا لم نعهد فيه ما يوجب خيانته . ومع ذلك بالمداولة بيننا ان لزم احداث امر فى هذا الشان سييسره الله ان شاء الله . ونسأل الله تمام الامر وتيسير العسر فانه مفتش . وجزاكم الله والانصار خيراً فى تحملكم للشدائد فى الله . ثم بعد النظر فى ذلك نجرى الراحة . ومع ذلك كله فكل شئ هو بقوائمه بكشوفات من الآتى من خارج والمنصرف داخل . وسيبين ما هو فاضل . وبالمشاورة فى الامور تجرى على السداد كما ذكر الله فى كتابه العزيز، والسلام» (٢٨) .

وبعد وفاة المهدى طلب الخليفة محاسبة احمد سليمان فى ادارته لبيت المال عن السنين السابقة. ولما لم يستطع تقديم حساب مدقق عزله وزجه فى السجن لسنة وشهر (٢٩) .

وكانت العلاقة بين احمد سليمان والخليفة عبد الله متوترة ، وقد ازدادت بعد وفاة المهدى . ويبدو ان احمد نجح فى نقل هذا الشأن الشخصى الى قضية تخص الاشراف . وفى خطاب الى حمدان يشكو الخليفة من تقتير احمد على الراية الزرقا واهماله امرهم ويذهب الى حد النية فى انشاء بيت مال خاص عنده يكون مخصصاً للصرف على الراية ، يقول : «لانه لا يخفا عليكم احوال اهالى الراية الزرقا من الضعف وكذلك ولد سليمان صارت همته بارده وما حصل منه اجتهاد مثل ما كان سابقا . فلازم من حفظ ما بايديكم وتوسيع بيت المال الذى هناك ومراعات اتباع الراية الزرقا الذين هناك . فلو لم يحفظ ما هناك فليس متاتى لهم من جهة اخرى افتكار ولا ازاحة ضرر. وإن شاء الله تعالى وقتما نرى نقصان البحر ويمضى شهر الحجة نطلبكم للمقابلة . وعند حضوركم

(٢٨) الآثار الكاملة ، مجلد ٥ ، رقم ٨٥١ ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢٩) نعوم شقير ، ص ٦٧٢ .

تنظروا فى المحلات الموافقة وتعملوا فيها مركز ان كان بشات او دار الجمع وتكون النقلة به .

تحشية : وعند ارادتكم وعزمكم للحضور تنظروا المراكز التى توافق وترسلوا تعلقاتكم فيها وبعدها على اثرها تحضروا وانظروا فى المحلات التى توافق لكم للمراكز ... فلو لم تفتكروا انتم ويعقوب فلا احد يفتكرهم . وقد كان اهل الراية الذين ارسلناهم مع محمد عبد الكريم حصل لهم منه غاية التكدر وذموه وقصر معهم اشد التقصر» (٣٠) .

وقد اناط الخليفة بأحمد سليمان المحافظة على مدينة الخرطوم وحمايته من اعتداء الناس الذين يأخذون الاخشاب والشبابيك والابواب لبيوتهم فى ام درمان ، ولكن الخليفة ادرك وقوع التعدى ممن لهم صلة بأحمد سليمان وسكوته عنهم فوجه اليه خطاباً طويلاً عنيف العبارة .

ثم كان من امر احمد سليمان انه اصبح من قادة حركة الاشراف ضد الخليفة ، وقد يغلب على الظن انه كان محرضاً موجهاً. وقد اعدم فى الفئة الاولى من قادة الاشراف .

وقد قتل الشريف محمود عبد القادر عامل كردفان على يد الجهادية الذين تمردوا ولحقوا بالجبال وذهب الاشراف يتداولون فى اختيار خلفه منهم فاسرع الخليفة بتسمية قريبه عثمان آدم جانو وقال يعقوب قولته المشهورة بأن الاشراف ايقظوهم من نومهم واشعروهم بما انطوت عليه نفوسهم .

هكذا اصبحت الامور تتجمع نحو التأزم فالاصطدام . كان الخليفة مرتباً امره على تصفية الاشراف المنافسين له والانفراد بالحكم . وكان الاشراف موطدين على المحافظة على مصالحهم الجارية . ولكن القوة المحركة اصبحت بيد الخليفة واخيه يعقوب ومستشاريه واصبحت مفاتيح بيت المال التى كانت بيدهم بصلتهم بامينه احمد سليمان بيد الطرف الآخر وما عادت الاموال تأتيهم بمجاريها كما كانت . واصبح عمال الخليفة فى الاقاليم يحدون من نفوذ الاشراف ومن اليهم ويحّجمون مواردهم . وقد هبطت اسهم الخليفة شريف وما عاد يؤثر فى مجرى الامور . وقد بدأ الخليفة سياسة استبدال عمال الاشراف بعماله ، وكان من ذلك ابعاد الامير محمود عبد القادر من الابيض ووضع عثمان آدم مكانه . ولم ينل محمد عبد الكريم امارة بعد سنار ، وحوسب باذلال على غنائم سنار ، ودفع النجومى بعد سقوط سنار بعيداً الى الشمال فى دنقلا وحوصرت قيادته

(٣٠) محررات الخليفة المجلد الاول ، رقم ٦٤٩ ، ص ٤١٢ .

بمساعد قيدوم . وقد ظل الخليفة منذ ايامه الاولى يدعو محمد خالد زقل الى ام درمان . وكان هذا اول عامل للمهدية يتولى عمالة كبيرة هى دارفور التى كانت سلطنة مستقلة حتى ١٨٧٤ عندما دخلها الزبير رحمه وسلمها للحكم المصرى . وكان زقل يعيش فى نعمة كأنه فى اريكة ملك ، ولم يكن هيناً ان يترك كل هذا . وكان بغير شك مدركاً انه لا يعود اليها اذا خرج . ولذلك تباطأ عن التحرك والخليفة يشدد عليه، وقد اوعز للخليفتين فكتبا اليه بسرعة تنفيذ امر الخليفة واوعز الى النجومى فكتب اليه ايضا. وتحت هذا الضغط تحرك بقواته البالغة الف فارس و٣ الف من الجهادية و٢٠ الف راجل ومعه قواده .

وانه لمن العجيب ان يركز الخليفة كل همه على زقل وخطره فيأمره بالتحرك بكل جيشه دون ان يحسب لقوة حامية لهذا الاقليم المتسع والا يحسب لوضع قيادة موالية له مؤتمنة . واذا بالقيادة تذهب بغير تدبر الى الامير يوسف بن السلطان ابراهيم آخر سلطان لدارفور ، واذا بهذا يدبر لنفسه واعادة ملك آبائه . وقد كلف هذا الخليفة وكلف اهل دارفور الكثير واضطر عثمان آدم الى ما يشبه اعادة فتح دارفور. هل غفل الخليفة عن عاقبة اخلاء قواته ووضع الحكم فى يد امير من امراء الفور المطالبين بعرش آبائهم لتركيزه على ابعاد زقل ام اراد الا يثير زقل بتسمية خلفه !

كان اول اجراء مباشر ضد الاشراف بما يؤدى الى تجريد قوتهم وتقليص نفوذهم امره الخليفتين الحلو ومحمد شريف بتسليم حرس الجهادية المخصص لكل منهما ، وهو الرمز لقوتهما الفعلية ، وتسليم طبولهما وراياتهما ، وهى الرمز المعنوى بمكانتهما . وقد نفذ الحلو الطلب عن رضى ، وكانت جهاديته قوة صغيرة ، ولم يكن فى باله مصارعة الخليفة لأن رايته كانت صغيرة اصلاً . وهو على اى حال ليس مقصوداً بهذا الاجراء . وقد اضطر الخليفة شريف الى التسليم لأنه لم يكن يملك بيده قوة مانعة ولا يملك حيلة يرد بها طلب الخليفة . وقد اغضب الاشراف عليه بهذا الاستسلام . واذا صدق المضوى عبدالرحمن فيما يرويه عن معارضته التسليم وتدبيره بدائله قبل هربه (٣١) فان المرء يتصور ان القوى المناوئة للخليفة عبدالله لم تكن راضية بتصفية حرس الخليفتين . وقد جمع الخليفة كل الجهادية وجعلهم تحت قيادة عبد المولى صابون وخصص لهم طابية ام درمان وسماها الكارة .

(٣١) انظر موقف المضوى فى الجزء الثانى .

وكان عبد المولى اخاً لحمدان ابى عنجة ، وكانا موضع ثقة الخليفة . وفيما بعد تولى قيادتهم ابراهيم الخليل قريب الخليفة المقرب الى قلبه. ويمكنك ان ترى من هذا مقدار هم الخليفة بالجهادية، وكان ذلك لاعتبارهم قوة ضاربة وبغير ولاء جهوى وضرورة وضعهم تحت يده .

تم هذا التقليص لقوة الخليفة محمد شريف بعد نحو عشرة شهور من وفاة المهدى . وقد تحرك محمد خالد من دارفور فى هذا الوضع المشحون ، ووضع الاشراف آمالهم فيه ، وهذا من أعجب ما يؤمل فيه . اذ ولاء الجيش فى النهاية للخليفة لا للقائد او العامل ، وبمجرد ان يسمى خلفه تنتهى قوته . والأغلب الغالب من جيش زقل كان من اولاد الغرب ، وهؤلاء لا يحاربون مع الاشراف ضد الخليفة . ومن الضرورى ان يكون زقل وجيشه مرصودين من قبل الخليفة . وكانت بيد الخليفة قوات مسيطرة فى ام درمان تحت امرة يعقوب وفى الابيض بقيادة عثمان آدم وفى جبال النوبا بقيادة حمدان . وكان من الجلى ان زقل كان فى طريقه ليفقد موقعه . وهكذا كان من الخطأ وضع آمال فيه . وعلى ما نرى فانهم كانوا لا يعدون لاصطدام وانما كانوا يتطلعون الى ان يبقى زقل فى قيادة مركزاً لنفوذهم .

وقد علم الخليفة بما زرع الاشراف من آمال وبلغه ان الاشراف يخططون لتحل جيوش زقل فى الجزيرة . وقد تحرك بعد ان دبر جيداً . ارسل عاملا من قرابته وهو احمد على فاستولى على الجزيرة . وبدأ يقص اجنحة الاشراف بتحجيم نفوذهم هناك وابعادهم ، وقطع الوصل بينهم وبين الغرب ليمنع بريدهم وارسل امين سره المدثر ابراهيم الى حمدان ليدبرا تصفية زقل وهو فى الطريق . وكما ترى فانه لم يوكل هذا الامر لعامله فى الابيض عثمان آدم وانما لرجله المحنك حمدان ابى عنجه الذى كان بجبال النوبا على رأس جيش قوى . وواضح من محررات حمدان الى الخليفة ان حمدان كان يشرف على دارفور وكردفان بالاضافة الى ولاية الجبال . وقد تحرك والتقى بزقل فى باره فاستسلم له طواعية نزولاً على حكم الظروف . وكان ذلك فى ابريل ١٨٨٦ . وقد سجن زقل بحجة عجز فى بيت المال وكبل بالحديد وارسل الى ام درمان وظل فى السجن حتى عفا عنه الخليفة وولاه على رأس الامانة التى ارسلت الى الشرق للنظر فى المشاكل القائمة بين عثمان دقنه ومعارضيه ثم الى الشمال اميراً على دنقلا ثم الى الرجاف منفياً سجيناً .

وعلى ما يبدو لنا فان الاشراف لم يرتبوا امرهم بشكل جيد وربما اعتمدوا على الآمال بأكثر من التدبير . ولا يبدو ان زقل كان ضالعاً مع الاشراف ، وقد كان بعيداً عنهم وعن محيط تفكيرهم ، وربما كان الأرجح انه كان فى الابهة التى كان يعيش فيها ، فلما ادرك نهايتها استسلم . وهكذا فشل الاشراف فى خطوتهم لسوء تقديرهم للظروف وسوء التدبير ضد خصم يستند على الشرعية ويملك القوة وله حرية التدبير والتحرك .

لقد تحرك الاشراف من جديد فى ١٨٩١ ، وكانت مظلمتهم ان الخليفة محمد شريف لم يعد يتمتع بمكانة وان الاشراف فقدوا اماراتهم وامتيازاتهم وان المخصصات ما عادت تصرف لهم من بيت المال الا بتقتير ، وحتى اسرة المهدى وابناؤه اصبحوا فى عسر شديد . وقد اجتمع الى الاشراف فى هذه الحركة بعض من كان يتظلم من عسف امراء البقارة واستبداد عبد الله بالأمر ، وكان من أبرز هؤلاء سعيد محمد فرح الذى قدم من الشمال يشكو من يونس الدكيم . وكان تدبير الاشراف وحلفائهم واسعاً هذه المرة الا ان سرهم كشف وبدأ الخليفة تدابيره . وتحرك الجانبان وحركا قوات واوشك ان يقع الصدام . الا ان الخليفة عبد الله لجأ الى الحيلة والتدبير ولعب الخليفة على الحلو كعادته دوره بحنكة لفض النزاع . وقد قيل فى ذلك انه كان يخدم قضيته مع قضية الخليفة عبد الله ، اذ كان من مصلحته ان يكون تتابع الولاية حسب تتابع الخلفاء دون تقديم الخليفة شريف عليه وعلى عبدالله بحكم القرابة الى المهدى . ولكن موقفه من النزاع يبدو طبيعياً على ضوء اتجاهه الدينى . وقد نسأل : هل كان من مصلحته ان يدعم عبد الله حتى ينفرد ام ان يكون بجواره الخليفة الآخر بشأنه !

وفى النهاية توصل الطرفان الى تسوية بضمان الخليفة الحلو وهى ان يسلم الاشراف سلاحهم وان يكون للخليفة محمد شريف وضعه ومقامه وان يعفى عن كل المشتركين وان ينالوا المرتبات من بيت المال . ولكن الخليفة عبد الله قبض بعد قليل على زعماء الحركة وسجنهم ثم ارسلهم للزاكى طمل فى فاشوده فقتلوا هناك ، وهم : احمد سليمان امين بيت مال المهدى واحمدى محمود واخوه فوزى كاتبا المهدى ومن بعده الخليفة واحمد النور كاتب الخليفة شريف وسعيد محمد فرح وصالح سوار الذهب واحمد محمد خير . وقد غضب الخليفة محمد شريف على هذا النكوص والتغرير برجاله فهجر صلاة الجماعة والجمعة تعبيراً عن غضبه على الموقف ، وهنا وجد الخليفة عبد الله

فرصته واتى بالعلماء والقضاة فاصدروا حكماً قوياً بالادانة وقضوا بسجنه ، فبقى فيه مكبلاً حتى كانت حملة كتشنر فاطلق سراحه . اما اولاد المهدى فقد حددت اقامتهم بعهدة جدهم احمد شرفى لفترة . وقد استشهد منهم محمد فى واقعة كررى ، وكان متزوجاً من ابنة الخليفة عبدالله الا ان زواجهما لم يكن زواجاً موفقاً. وقد قتل الآخران البشرى والفاضل مع الخليفة شريف فى الشكابة .

وقد احتفظ الخليفة شريف برغم كل هذا بلقب الخليفة ، وقد قيل ان الخليفة انتهر كاتباً دون اسمه بغير لقبه ، وهذا صواب من الناحية العقدية لأن تولية محمد شريف فى الخلافة تمت بيد النبى ولا يجوز المساس بخلافته . وكان من شأن نزع الخلافة عنه ان يثير اموراً شائكة فى موضع مرتبى مهم . وأعجب من ذلك ان اسرة الخليفة شريف ظلت فيما تبين وثائق بيت المال تنال مرتبه المحدد وهو نفس مرتب الخليفة الحلو .

وقد تابع الخليفة كل من اشترك فى تدبير الاشراف او كان على صلة بهم وانزل بهم العقاب : فقد قبض على الامير محمد عبدالكريم ومحمد صالح سات على وارسلهما الى الزاكى طمل فى فاشوده فقتلا . وارسل رجاله الى الجزيرة فامسكوا نحو الف رجل من الدناقلة واتوا بهم الى ام درمان فزج بهم فى السجن وغنم اموالهم . ثم عفا عنهم بعد ان جردهم من كل قوة . ثم قبض على الذين اشتركوا مع الاشراف فى تدبير الحركة ثم ابتعدوا عنهم ووشوا بهم عند الخليفة ونفاهم الى الرجاف وهم : البدوى العريق ، وعمر الياس ، ومحمد حامد جفون ، ومحمد صالح ، وحاج مرزوق الشايقى ، وعبدالباقى الماحى المكابرابى ، وعبد المجيد نورالدايم ، كذلك ارسل الى الرجاف اسماعيل شجر الخيرى بتهمة موالاة الاشراف ، ومحمد خالد زقل ، ومحمد عثمان ابو قرجه .

كان من ابرز ما حققه المهدى انه وحد الناس تحت قيادته وساوى بينهم ولم يفضل قبيلة على اخرى ، وقد اعطى المقام الاول فى نظامه لرجل من غير قبيلته اعتباراً منه لكفاءته وقد قطع وهو على وشك الوفاة بأن الخلافة بعده لهذا الرجل مع وجود قرابته . ولكن الخليفة رتب على ان يكون الامر خالصاً له وجمع حوله اقرباءه وخاصته ، ولو اراد الخليفة لحافظ على الاشراف ، وهم لا يسعون لمكانته ، بعدم قطع مخصصاتهم والضغط عليهم . وقد اخطأ الاشراف اذ صاروا محط الناقمين والمعارضون مع علمهم بأن الخليفة مسنود بالعقد والبيعة والقوة الضاربة وعلمهم بضعفهم

امام الخليفة فى هذه الأمور . وكان من الطبيعى وقد اشتعلت العصبية ان يميل ابناء الغرب الى عبدالله والمعارضين والمتكلمين من اهل البحر الى جماعة الخليفة شريف . الا ان نفوذ الخليفة شريف لم يكن واسعا ولا اجتمع عليه اهل النيل كما اجتمع اهل الغرب حول الخليفة ، خصوصاً ولم تبق له سلطة . وكان بوسع الخليفة عبدالله ان يكسب كثيرين لجانبه لو لجأ الى الحيلة اذ لم يكن بمقدور الخليفة شريف وجماعته ان يقدموا شيئا لمناصريهم . ولكنه توسع فى خصومته لكل اهل النيل واضطهد قياداتهم القبلية ورفع امراءهم وصارت الدولة عمليا بيد ابناء الغرب . وقد ادى موقفا الجانبين الى شرخ كبير اصاب مجتمع الانصار وفقدت الدولة قيادات ذات كفاءة فى الادارة والحرب .

كانت بداية الحساسية بين اهل الغرب واهل البحر عندما توسعت تجارة الجلابة فى كردفان ودارفور اذ كثيراً ما كان يغير الهمباته او القبائل على التجار فيقتلون وينهبون بضائعهم ، وكانت اخبار هذه الغارات تأتى لاهل البحر وتثير الخواطر وتزرع الكراهية . ولم تكن غارات القبائل والهمباته وقفاً على جلابة البحر فقط وانما كانت الغارات تتجه نحو القبائل الضعيفة التى يسهل نهبها . فالنهب ليس موجهاً للجلابة تخصيصاً او عداء لاهل البحر وانما هو نهب كل ما سهل ! .

وكان مما اخذ المهدى على زعيم الكبابيش غاراته على جيرانه . والذى دفع الزبير رحمه لمحاربة الرزيقات هو انهم نكصوا عن اتفاقهم معه بسلامة قوافله مقابل جعل اتفق عليه الجانبان . والهمبتة او ما يسمى بالنهب المسلح ما تزال المهدد الاكبر لأمن الغرب وسلامته . وجاءت الطامة الكبرى على يد غردون الذى شجع قبائل البقارة على نهب تجار الرقيق ، وبالطبع توسع البقارة فاغاروا على كل القوافل التجارية وعلى التجار فى الحلال ونهبوا . وقد كان هذا سلوكاً ادارياً مشيناً من غردون ، اذ كيف لحاكم ان يتجاوز عن واجبه الاول وهو نشر الامن وتأمين طرق التجارة ويتجه الى التحريض على الغارة والنهب ، كجزء من اجرائه ضد تجارة الرقيق . ان غردون باجرائه قد وسع الهوة واجج الفتنة . ثم جاءت اجراءات الخليفة ضد اهل البحر فى دارفور وكردفان والجزيرة وتقديم اهله وتفضيلهم فوسعت الهوة اكثر وزرعت احقاداً فى النفوس . ولذلك فان الفتنة بين الخليفة والاشراف بصرف النظر عن التفاصيل وبصرف النظر عن المخطئ ، كانت كارثة على

المهدية ، اذا اصبحت فئة فى هذا الطرف وفئة فى الثانى ، بعد ان كان الصف موحداً فى حياة المهدى ، بل ان الكارثة على الكيان السودانى ممتدة الى اليوم بما نراه من عصبيات قائمة على الاحقاد الموروثة .

الثورات القبلية :

كانت القوة التالية المرشحة لمقاومة سلطة الخليفة هى القبلية ، اذ كانت القبيلة قوة اجتماعية هائلة . وكان شيخ القبيلة هو رأس هذه القوة وقائدها . كان هو المتصرف الاول فى امور القبيلة ، فى تنظيم الرعى والتحطيب وجمع الصمغ وتوزيع الارض على المزارعين والمسئول عن الدفاع عن ثروة القبيلة وحمايتها ، وعن العلائق بين افخاذ القبيلة وبطونها والصلة بين القبيلة والقبائل المجاورة وبينها وبين الدولة . وكان هو مستودع العرف . ولكن المهدية كانت ضد القبلية لأنها قائمة على عصبية الدم بينما هى قائمة على عصبية العقد الدينى وغيورة عليها ، وقد وصف الحسن سعد العبادى معارضة الرباطاب لعمالته على ابى حمد لأنه ليس من الرباطاب بأنه الميل عن الدين نحو الطين ، وهو وصف محكم للعقد القبلى والعقد الدينى . وقد جعلت المهدية امر الحكم فى الاقاليم على ايدى العمال والامراء وباشرت جمع الزكوات عن طريق متحصليها ونظرت فى القضايا بنوابها وبذلك استولت على مهام شيخ القبيلة . وقد منعت المهدية غارات القبائل على بعضها البعض من اجل السلب والنهب . بيد ان وحدات الرايات فى الجيش كانت قائمة على الرباط القبلى لأنه ييسر الضبط والربط ويحمس فى القتال .

وقد تفاقم الامر بين المهدية والقبائل نتيجة لسياسة الخليفة عبد الله القاضية بهجرة القبائل بقضها وقضيضها الى ام درمان . وهذا ما قاومته القبائل بالعصيان وحمل السلاح. وكان الحماس للجهاد قائماً ضد الترك ، فلما زالت دولة الترك وتوطدت المهدية قل الحماس للجهاد ، وكانت وطأة التهجير قاسية عليهم .

ومن الواضح ان غاية الثورات القبلية كانت البقاء بعيداً عن السلطة المركزية ، كديدنهم فى كل عهد ، ولم يكن هدفها النيل من المهدية او مزاحمة الخليفة فى سلطانه او التقليل من شأن هذا السلطان . وقد واجه الخليفة الثورات بقوة وضراوة ، لم يكن هدفه التأديب والترويض وانما تحطيم

عصب القبيلة وتغنيم ما تملك . وقد ترك هذا فى الاذهان صورة سوداء ما يزال الناس يحملونها .

كانت ثورة مادبو احمد شيخ قبيلة الرزيقات ، والذى دعم الثورة المهدية فى جنوب دارفور وكان من عمدها ، من اولى الثورات على الخليفة وأكثرها اثارة . وكان غريمه عجيل الجنقاوى الذى وقف مسانداً للحكومة ضد المهدية لمنازعته فى زعامة مادبو وزعيم رزيقى آخر يدعى احمد سليمان قد اعدما من قبل . وعلى ما يبدو فان مادبو كان ينظر الى الامور فى اطار صراع الزعامات القبلية ، وطالما ان دولة الترك التى ناوأته قد سقطت واعدم غريمه فقد اراد ان يكون سيد المنطقة بحكم قوة قبيلته ودعمه للمهدية . وكان رافضاً الهجرة الى ام درمان وتعلل كثيراً رغم اصرار الخليفة عليه . وقد بدأ مادبو بمزاحمة محمد كرقساوى عامل الخليفة فى شكا بغرض ابعاده وحرك عليه الاطراف واضطربت الامور فى جنوب دارفور اضطراباً شديداً بينما يريد الخليفة قبائل هذه الجهة تحت سيطرته ليكونوا عضده . وقد استدعى الامر اخلاء بحر الغزال وارسال عامله كرم الله ليكون عونا لاخيه محمد كرقساوى . وقد مالت القوة لصالح الاخوين وطارد كرم الله مادبو حتى قبض عليه الامير يوسف وسلمه ابعاداً له من مزاحمته فارسل الى ام درمان ، الا ان حمدان ابو عنجه قتله وهو فى طريقه لام درمان لضغينة قديمة بعد مواجهة ساخنة بينهما فيما روى الرواة .

وامر الخليفة عوض الكريم ابو سن شيخ الشكرية بالهجرة برؤساء قومه الى ام درمان ، ولكن هؤلاء لم ينصاعوا فجرد عليهم حملة ونكل بهم . وتبع نفس الدرب الحمدة بزعامة محمد البشير على طه فنكل بهم ايضا . وخرج بنو حسان بزعامة شيخهم المرضى ابوروف وحلفاؤهم العقليون والعلاطيون فاوقع بهم فى واقعة الاهليلج قصاد فاشوده . وثار الضباينه فهزمهم وظفر بشيخهم محمود عيسى زايد صاحب القدح المشهور واودعه السجن الى ان مات . وثار الكبابيش بزعامة الشيخ صالح ولد فضل الله رفضا للهجرة ، وكانت بينهم وبين المهدية عداوة منذ ان قتل شيخهم التوم ولد فضل الله واخوه . وقد حاول صالح ان يتقوى بعون القوات المصرية الا ان النجومى الذى أحسن رصد الحركات باغت واستولى على السلاح الذى كان مرسلاً من حلفا . وفى النهاية هزم صالح وفقدت القبيلة زهرة رجالها وغنمت اموالها . وخرج البطاحين ايضا . لقد ابدوا اولاً احجاماً عن الالتحاق بجيش النجومى ، ومن انضم منهم لم يكن متحمساً ، وكانوا كثيراً ما يخرجون عن النظام بالنهب . ثم عصوا وقطعوا الطريق فامتّدت اليهم يد عبد الله القوية ونكلوا

ببشاعة .

لقد شتت هذه الثورات الوحدة التى جمعت اهل السودان خلف المهدى ، وقد اخطأ زعماء القبائل بالعصيان وقادوا قبائلهم الى الهلاك ، واخطأ الخليفة اذ اخذ الامر بهذه الشدة والقسوة . وقد خلق اتجاه الخليفة عداءً ما يزال يؤثر فى نظرة احفاد هؤلاء نحو المهدية رغم ما بذل السيد عبدالرحمن من جهد مضنٍ لاضماد الجراحات . وعند ما جاء غزو كتشنر لم تكن هناك جبهة متحدة وانما وقف الذين اونوا بعيدين عن الدفاع عن المهدية والكثيرون كانوا فرحين بزوال حكم عبدالله .

مهدية القرن العشرين

قتل الخليفة عبداله والخليفة على الحلو فى ام دبيكرات ، وقتل الخليفة محمد شريف فى الشكابة، وكان الخليفتان الحلو وشريف هما المؤهلان للخلافة بعد عبدالله حسب رتبتهما الدينية . وقتل محمد بن المهدى فى كررى والفاضل والبشرى فى الشكابة ، ولم يكن احد منهم مرشحا للخلافة . ولم يبق من ابناء المهدى الا اطفال كان اكبرهم سناً عبدالرحمن ثم عليٌ الذى يصغر اخاه. وقتل الامير يعقوب ، مستشار الخليفة الاول ، فى كررى . وكانت قوته مستمدة من اخيه الخليفة عبدالله ، ولكنه كون بطانة من اهله وكان يمكنه ان يستند عليهم وعلى عصبية البقارة . واسر مجروحاً عثمان شيخ الدين اكبر ابناء الخليفة فى ام دبيكرات واودع السجن حتى مات . وكان القول قد راج بأن الخليفة يمهد له ليلى الامر بعده . وكان ابناء الخليفة الذين نجوا من القتل والاسر اطفالا . وكبار امراء المهدية اما قتلوا او اودعوا السجن . ولم تكن هناك بارقة امل فى قيادة للانصار او اعادة تنظيم لهم . وقد وطد الانجليز عزمهم على محو المهدية من ارض السودان وظلوا يراقبون كل بادرة ويكتمون الانفاس ويقضون على كل تحرك بحسم وعنف .

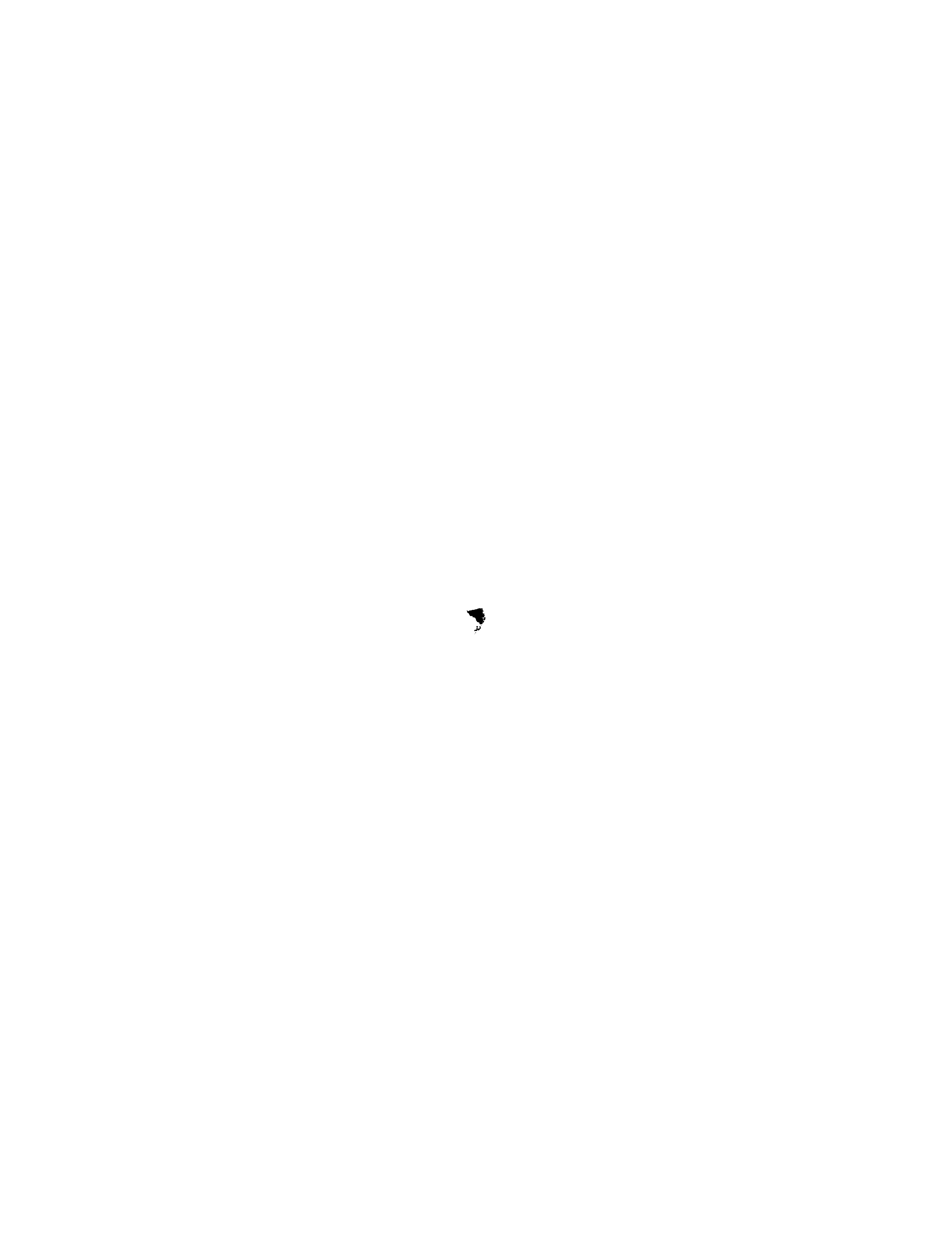
ولكن من حيث لا يحسب الناس صعد نجم عبدالرحمن ، وبعد سنوات من الحرب العظمى كان الرجل الثانى فى السودان وينافس ليكون الاول . وقد بنى مؤسسة اقتصادية قوية يعمل فيها آلاف الانصار لتغذى طموحه وتمول حركته فى المجتمع وخلق وجاهة اجتماعية غير مسبوقة فى السودان. ورغم ما وضع امامه من عراقيل من قبل الادارة الانجليزية المعادية للانصارية وارث العداء الواسع للمهدية وسط جمهور المدن والمناطق غير الانصارية نتيجة لحملات الخليفة على القبائل فانه نجح فى جمع الانصار تحت قيادته وجعلهم قوة فاعلة في المجتمع ، بل ومد الانصارية الى جهات لم تكن انصارية اصلاً . وقد نقل الانصار الي القرن العشرين : ابطل الجبة وابتدع لبساً خاصا خفيفا على الجسم والجيب معا ولبس هو وكبار الانصار الجبة والقفطان ، وقاد العمل العمرانى بكفاءة وجدارة واصبح رائد الاقتصاد الحديث وشجع كبار الانصار على اقامة المشاريع ورعى التعليم والفنون ومد علاقات الود نحو زعماء القبائل والقيادات الدينية والخريجين وحمل الانصار حمالة الدعوة الى استقلال السودان واسس جهازاً سياسياً يدعو الى هذه الغاية وهو حزب الامة .

لقد واتته الفرصة عندما اندلعت الحرب العظمى الاولى وانضمت فيها السلطنة العثمانية الى جانب المانيا ضد بريطانيا وارتابت بريطانيا من ان تتمكن السلطنة من اثارة المسلمين ضدها تحت راية الجهاد المقدس . وكانت حركة السلطان على دينار وثورته انذاراً لحكومة السودان فيما ارتابت فيه . ولذلك وضعت سياسة العداء للانصار جانبا وكلف السيد للطواف على الانصار ودعوتهم لدعم موقف الحكومة . صحيح انه اشترط عليه الا يخلق اى كيان للانصار عمليا ولكن كان يكفى ان يرى جمهور الانصار ابن المهدى وهو يتنقل بينهم ويتحدث اليهم ومدعوما من الحكومة ذاتها . وكانت حملته على الاتراك تجد صدى واسعا لأنها تتفق مع موروثهم وامجاد آبائهم لدحر النظام التركى الذى ازالوه فعلا ، هذا مع ان الاتراك الذين حاربوهم بخلاف الاتراك المشتركين فى الحرب .

وهبت ثورة ١٩١٩ المصرية والقت بظلالها فى السودان ووقفت القيادات المؤسسة تطالب بحماية السودان منها والابقاء على الادارة الانجليزية والقى السيد على الميرغنى خطبته المشهورة امام كرومر مؤكدا ذاتية السودان وضرورة استمرارية الادارة الانجليزية وحماية السودان من اى تغيير بينما قام السيد عبدالرحمن بجمع الاعيان دعما للادارة القائمة . وهنا وضعت بنور الحركة الاستقلالية . وقامت ثورة ١٩٢٤ التى قادها الشبان وفشلت . وقد تسلم السيد قيادة الحركة الاستقلالية ونافح بانصاره وماله حتى رأى علمى الحكم الثنائى ينزلان ويرتفع علم السودان وامتلأت عيناه بالدمع تأثرا .

وهكذا توافق مطلب الاستقلال مع التراث التاريخى للانصار . وكان هذا تطوراً مهما فى نظرة الانصار لانفسهم وخطهم اذ استقر مطلبهم السياسى على ارضية تاريخية تراثية يستحيل الانفصام منها . ومن هذا الواقع السياسى ايضا والنظرة التراثية جاء تطور آخر وهو نظرة الانصار الى الثورة المهدية باعتبارها مرحلة نضال لتحرير السودان .

واننا نحيل القارئ الذى يريد الزيادة للعودة الى اوراق الندوة العلمية التى اقيمت بمناسبة العيد المئوى لمولده ونشر فى مجلد ضخم يتضمن بحوثا كثيرة وتتناول مصادر دراسة السيد عبدالرحمن .



الـكـتـــاب الثانى

الخصومة


DAWAYA
SUDANESE BOOKS

دراسات لوثائق الخصومة

مرويتا ابن عربى واحمد بن ادريس فى ظهور المهدى

اورد المهدى مرويتين عن ابن عربى واحمد بن ادريس فى ظهور المهدى المنتظر فى مواضع مختلفة باتفاق فى المضمون لحد ما ولكن باختلاف فى النص ، واليك الرصد التالى للنصين من بعض المواضع :

١ - مروية ابن عربى :

أ- قال فى النص الاول لمنشور الدعوة (١) : وقال الشيخ محى الدين بن العربى رضى الله عنه : علم المهدى كعلم الساعة ولا يعلم الساعة الا الله تعالى .

ب- قال فى النص الثانى لمنشور الدعوة (٢) : وقد قال الشيخ محى الدين بن العربى فى تفسيره على القرآن العظيم : علم المهدى كعلم الساعة والساعة لا يعلم مجيئها على الحقيقة الا الله .

ج- قال فى منشوره الى شمال دارفور (٣) : وقد قال الشيخ محى الدين فى تفسيره على القرآن العظيم : علم المهدى كعلم الساعة والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة الا الله تعالى .

د- وقال فى رسالته الى محمد الأمين بن يوسف الهندى (٤) : وقد قال محى الدين بن العربى رضى الله عنه فى تفسيره على القرآن العظيم : علم المهدى كعلم الساعة والساعة لا يعلم علمها الا الله تعالى .

(٢) مروية احمد بن ادريس :

أ- قال فى النص الاول لمنشور الدعوة (٥) : وقال سيدى الشيخ احمد بن ادريس رضى الله : كذبت فى المهدية اربعة عشر نسخة من نسخ اهل الله ، وقال : سيخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونه .

---

(١) الآثار الكاملة ، مجلد ١ ، رقم ٢٢، ص ٩٨ .
(٢) نفسه ، رقم ٣٧، ص ١٣٧ .
(٣) نفسه ، رقم ٣٨، ص ١٤١ .
(٤) نفسه ، رقم ٤٦، ص ١٦٣ .
(٥) نفسه ، رقم ٢٢ ، ص ٩٨ .

ب- قال فى النص الثانى لمنشور الدعوة (٦) : وقال الشيخ احمد بن ادريس : كذبت فى المهدى اربع عشر نسخة من نسخ اهل الله ، ثم قال : يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونه .

ج- قال فى منشوره الى شمال دارفور (٧) : وقال الشيخ احمد بن ادريس : كذبت فى المهدية اربعة عشر نسخة من نسخ اهل الله ، ثم قال : يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حالة ينكرونه .

د- قال فى رسالته الى محمد الامين بن يوسف الهندى (٨) : وقال الشيخ احمد ابن ادريس : كذبت فى المهدية اربعة عشر نسخة من نسخ اهل الله ، وقال : سيخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونه .

اخترنا لمروية ابن عربى اربعة مواقع . وبمتابعة النص فيها نجد ان :

أ- فى الموقع الاول لا يذكر مصدر المروية ، وفى المواقع التالية يذكر المصدر بنص واحد هو : فى تفسيره على القرآن العظيم .

ب- فى ثلاثة مواقع قال : وقال الشيخ محى الدين بن العربى ، وفى الموقع ج لا يذكر عبارة : ابن العربى .

ج- فى ثلاثة مواقع قال : علم المهدى كعلم الساعة ، وفى الموقع ج قال علم المهدية .

د- وقع اختلاف أكثر فى العبارة التالية :

فى الموقع أ قال : ولا يعلم الساعة الا الله .

فى الموقع ب قال : والساعة لا يعلم مجيئها على الحقيقة الا الله .

فى الموقع ج قال : والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة الا الله .

فى الموقع د قال : والساعة لا يعلم علمها الا الله تعالى .

فى الموقع أ قال ولا يعلم الساعة ، وفى المواقع الاخرى قال : والساعة لا يعلم . وتتفق المواقع فى : الا الله ، وان كان ج يزيد : تعالى . ولم ينص فى أ على وقت المجئ ، وفى الحالات الاخرى اختلف النص .

---

(٦) نفسه ، رقم ٣٧، ص ١٣٧ .

(٧) نفسه ، رقم ٣٨، ص ١٤١ .

(٨) نفسه ، رقم ٤٦، ص ١٦٣ .

واخترنا لمروية ابن ادريس نفس المواقع الاربعة واضفنا اليها النص الذى اورده الحسين زهرا فى نصيحة العوام ونصا افادنا به الشيخ محمد التهامى الحسن الأحمدى باعتباره متواتراً عند كبار الاحمدية .

ولنأخذ المواقع الواردة من المهدى اولا :

قال فى موقع : سيدى احمد بن ادريس رضى الله عنه ، وفى المواقع التالية حذف «سيدى» و«رضى الله عنه» . فى الحالة الاولى كان المهدى ما يزال يستعمل تعبيراً صوفياً لمن هم فوقه هو «سيدى» وقد ألغاه فى الحالات التالية تخلصاً من التأثير الصوفى ولأنه لما صار مهديا ارتفع فوق ابن ادريس فلا يقول له سيدى . وقد سبق ان لاحظنا ذلك فى خطابه الى عبد الفتاح بن الفقيه عبد الله (٩) . وينطبق نفس الحال فى عبارة : رضى الله عنه . فى ثلاثة مواقع قال كذبت فى المهدية ، وقال فى موقع : كذب فى المهدى ، وقال فى موقع : اربع عشر ، وفى آخر : اربعة عشر . وفى العبارة التالية قال فى موقعين : سيخرج ، وفى الموقعين الآخرين : يخرج ، ثم اتفقت ثلاثة مواقع على «حال» بينما قال موقع «حالة» .

وكما ترى فان حالات الخلاف فى المرويتين لا تؤثر فى النص الا قليلا ، وهى لا تغير اساس النص ، ويبدو لنا من ذلك ان المهدى مدرك للنص وينقله ولكنه يتجاوز قليلا لأنه يروى من محفوظه لا من نص مقيد امامه .

والنص الذى يورده زهرا فى نصيحة العوام هو : لقد اطلعت على اربع عشرة رسالة لاهل الكشف فى ذكر المهدى عليه السلام وكلها اخطأت ولم تصب المرمى وغاية ما يمكننى ان اقول فيه انه ، اى المهدى عليه السلام ، لا يأتيكم الا بغتة من جهة لا تعرفونها وعلى حالة تنكرونها وانه ليقفو اثر النبى صلى الله عليه وسلم ولا يخطئ ، يعنى يتبع عين الشريعة المطهرة شبرا بشبر ، ولا يتقيد فى احكامه بين الناس بمذهب دون آخر » (١٠) .

ولا شك عندنا ان هذا لم يصدر من العوام وانما هو من الحسين زهرا الذى تصرف فى النصيحة حسب خطته ليجعل من العوام مؤمنا بمهدية المهدى ومدافعاً عنها ، اذ ان العوام أبعد

(٩) الآثار الكاملة مجلد ١، رقم ١١، ص ٦٧.
(١٠) نصيحة العوام ، ص ٦٠ .

نفسه عن الكلام عن المهدى حتى يلتقى به ويدرك امره فيما قال ، وهو فيما نعتقد لم يكن مؤمنا بجانب المهدية من ثورة المهدى وانما كان يساندها استهدافاً للخديوية والخلافة العثمانية وسيطرة الانجليز على مصر . وقد اخذ زهرا العبارة عن منشورات المهدى واضاف اليها عبارة : وانه ليقفو اثر الرسول الخ. وهكذا فان العبارة التى ترد فى نصيحة العوام منسوبة الى العوام لا تدعم اصالة العبارة ونسبتها الى ابن ادريس .

ورواية الشيخ محمد التهامى الحسن الاحمدى باعتبارها متواترة عند كبار الاحمدية : قال السيد احمد بن ادريس رضى الله عنه : «كذبت فى المهدى اربعة عشر نسخة من نسخ اهل الله وسيخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حالة ينكرونها ومجيئه كمجئ الساعة ومجئ الساعة لا يعلم حقيقتها الا الله ، فلو ان كل الاولياء اعتمدوه من جهة لاظهره الله من جهة لا يعتمدونها ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب » (١١) .

لقد وفق المهدى باختياره عبارتى ابن عربى وابن ادريس توفيقاً عظيماً لأنهما اديا ما اراد بدقة واحكام ، اذ عزز بهما رفضه للعلامات المروية عن ظهور المهدى المنتظر . وقد جاءتنا من رجلين لهما مقام عظيم ، الاول هو الشيخ الأكبر عند الصوفية ومنشئ مهدية الصوفية وعمدتها ، والثانى أبرز استاذ ومرب وأكثر من حرك تيار الاسلام واثر فى مسار التصوف فى سودان القرن التاسع عشر وما جاوره .

وقال المهدى ان عبارة ابن عربى من تفسيره للقرآن ، ولكننا لم نتثبت من العبارة فى هذا المصدر لأنه لم يتوفر لدينا . الا ان العبارة مناقضة لتأويلات ابن عربى على ما ذكر ابن خلدون وعلى ما هو باق فى مؤلفاته .

اما عن عبارة ابن ادريس فان كل ما جاءنا منه كان املاءاً منه على مريديه او تدويناً من هؤلاء منه لأنه لم يكتب شيئاً بنفسه . وهكذا تصير العبارة مروية عنه لا نصاً مكتوباً منه ، وقد استعطفنا كل ما وصلنا اليه من مرويات ابن ادريس واتصلنا بأكبر متخصصين فى ادبيات ابن ادريس وهما الدكتور يحى محمد ابراهيم والاستاذ شون اوفاهى ولكننا لم نصل الى مصدر هذه المروية . وعلى ذلك فان المصدر الذى اخذ منه المهدى ضاع او هو باق ولكن بعيداً عنا . وصدور المروية عن ابن

(١١) افادنا بهذا النص بخطه .

ادريس لا يستبعد لأن الكلام عن المهدى المنتظر كان يتردد منه ومن تلاميذه ، ومن شواهد ذلك مروية الزائر المغربى التى ننقلها مع النصوص .

خبر بتوقع ظهور المهدي بكسلا :

وهذا الخبر رواه الخليفة احمد ابن ادريس الرباطابى فى كتاب «الابانة النورانية فى شأن صاحب الطريقة الختمية» ، وهو ما يتصل بأخبار المهدى المنتظر فى السودان من جهة وبأقوال الختمية فيه من جهة اخرى . ومراد ابن ادريس ليس خبر المهدى بالذات ، وانما مقام شيخه الختم والموضع الذى فيه مركزه فى كسلا. وقد جاء ذلك فى اطار مفهوم ختمى بحت . اذ الختم ، فيما يذهبون ، فى أعلى مقام الولاية ولا يعلوه الا المهدى ، والذى هو اصلاً فوق الولاية . وهكذا يكون النور الصاعد من الموقع ليس عاديا ، وانما مصدره من الرتبة العليا فى الولاية او ما هو اعلى منها . فالمهم ، فيما يقصد ابن ادريس ، علو شأن صاحبه .

والموقع المعنى هو اول عمران بجوار جبل التاكة، وقد اوردنا خبره فى كتاب الابانة . وقد سماه الختم السنية ، وزاد عمرانه فى عهد ابنه الحسن الميرغنى وصار المركز الرئيسى للختمية ، وعرف من ثم بالختمية ، وبجواره قامت مدينة كسلا عاصمة للترك والعهود المتعاقبة بعدهم . وصارت الختمية الآن المركز الثانى للختمية بعد حلة خوجلى وان كان بريق ضريح الحسن يضئ بالأكثر فى نظر بعض الاتباع . وهو مقر ابناء السيد احمد بن محمد عثمان الميرغنى الاخ الأكبر وغير الشقيق للسيد على الميرغنى .

مبشرات الختم :

المبشرات هى الرؤى الصادقة للأولياء . وقد سجلت مبشرات محمد عثمان الميرغنى الختم بشكل منظم فى مصدرين ، وترد هذه المبشرات نفسها وغيرها منتثرة فى مؤلفاته ومؤلفات اولاده واحفاده . وحيث ان غرضنا هو ضرب المثل لما نحن اليه وليس البحث فى هذه المبشرات بحد ذاتها فاننا نركز على المصدرين المشار اليهما وبعض اشارات قليلة من الختم ومن اولاده تماثل بعض ما يذكر المهدى .

والمصدر الاول رسالة لابنه جعفر الميرغنى ألفها فيما يقول فى ١٢٤٠هـ / ٢٤-١٨٢٥ . وقد ضمن الرسالة فى الجزء الاول من كتاب « الرسائل الميرغنية » الذى نشر فى القاهرة فى ١٩٣٩م

والذى يتضمن أدبيات مهمة للطريقة الختمية . اما المصدر الثانى ففصل من كتاب « الابانة النورانية » الذى سلف ذكره .

ويتضمن كل مصدر ٢٩ فقرة منها ٢٧مطابقة فى المصدرين اذا تغاضينا عن الخلافات الطفيفة، واربع قطع لا تتماثل فى المصدرين . ففى المصدر الاول ترد كرامة لا ترد فى الابانة ، وهى : « لو كان بعد النبى نبى لم تكن الّا انت والمهدى » بينما ترد فى الابانة كرامة لا ترد فى المصدر الاول ، وهى « كان يقول ما قلت فى صلاتى السلام عليك ايها النبى الا وقال لى وعليك السلام ايها الابن الصالح ورحمة الله وبركاته » . وتنفرد الابانة بعبارة « ادخلنا الله برحمته مدخلهم وجعلنا من اهل مجالسهم آمين » ، وهى دعاء يسترسل به من فقرة مشتركة . وتنفرد رسالة جعفر بعبارة ختامية لرسالته . وبالعودة الى هوامش النص يمكن للقارئ ان يقف على كل الخلافات بين المصدرين .

وحيث وضح هذا التقارب القوى بين المصدرين فمن الممكن ان نفترض ان مؤلف الابانة اخذ عن رسالة جعفر ، ومما يزيد افتراضنا قوة ان معظم ما يختلف به انما هو من قبيل التعديل فى نص جعفر ، ولكن ابن ادريّس كان مطلعاً فى ادبيات الختمية ولا يستبعد انه وقف على نفس المصدرالذى اعتمد عليه جعفر ولكن هذا التطابق فى ترتيب المبشرات ونصوصها يقوى القول بأنه نقل عن جعفر فعلاً ، ولكن بتصرف فى بعض المواضع – وهو تصرف الى الأسوأ بكل أسف . ويروى جعفر المبشرات بعبارة : «قال الختم قيل لى» ، بينما يروى كتاب «الابانة» بعبارة : « وكان يقول قيل لى » . والغالب فى رواية جعفر الصيغة التقريرية .

ويمكن تقسيم المبشرات الواردة الى ابواب :

– باب يتصل باتباعه مثل القول بمن صحبه ومن رآه ومن سلم عليه وما ينالونه .

– باب يتصل بمقامه ، وهو مقام لا يصل – فيما يقول – الى معرفته الا أعلى الأغواث وابن عربى ، واهمية ابن عربى هنا هى انه تكلم عن ختم الولاية . ويذكر هنا معنى الختم بأوجهه الأربعة ليصل الى الختم الذى يخص مقامه ، وان جميع الاولياء يتمنون مقامه .

– باب يتصل برتبته ، فهو أعلى الاولياء وختمهم مرتبة ولا يعلوه الا المهدى والرسول . والمهدى فى اعتباره واعتبار الصوفية فوق مرتبة الولاية . والذين معه فى الجنة بشكل دائم هم النبى وفاطمة بنته والحسن والحسين ابناها والمهدى ، واما غير هؤلاء فانما يدخلها زائراً لا مقيماً . وله كرسى

حول العرش بعد كرسى المهدى ، وهو جزء من نور النبى ويتحد به ، وارجو ان تلاحظ ان علياً ابن ابى طالب لا يرد بين هؤلاء ، ولا ابابكر ولا عمر بن الخطاب ولا عثمان بن عفان ولا احداً من المبشرين بالجنة ، ولا الأقطاب ولا ائمة الصوفية . والعبارة أصلاً شيعية فى حدود الرسول وفاطمة والحسن والحسين والمهدى ، وفى قول آخر «نحن ولد عبدالمطلب سادة اهل الجنة : انا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى» ، ولكن الختم اخذ بالعبارة الأولى و اضاف اليها نفسه .

– باب يتصل بذريته من حيث ان جميعهم يخرجون صالحين وواحد منهم مبشر بأنه يكون في رأس الدواوين الالاهية .

ومن مبشراته التى يذكرها الختم عن نفسه القول بأن الانبياء خلقوا من نور النبى وان الأولياء خلقوا من نوره : «رأيت فى تلك الليلة النبى فى محفل من الرسل وهو يقول ان الانبياء كلهم نقطة من نوره وطارت نقطة فتخلق منها صورة سيدنا اسماعيل الذبيح ... فقال «النبى» له «اى للختم» : «هكذا خلقوا من نورى والأولياء من نورك يا ختم » . وللشيخ التجانى قول من قبيل هذا . وقد وقف الشيخ حسن العطار العالم المصرى على قول الميرغنى وتعرض له فى فتوى، قال : «ان خلق الانبياء من نور النبى صحيح ولكن غير الصحيح هو اختصار الخلق عليهم لأن كل الكون من نور النبى ، واما ان الأولياء مخلوقون من نور الختم فهذا ما انكره» .

وفى قصيدته :

ما الفخر الا لنا من سابق الأزل ما العز الا بنا من حضرة الرسل

مزيد من هذه المبشرات ، ومما يقول فيها جواز رؤية الولى للنبى ، وهو قضية مهمة فى الخلاف بين الاولياء والعلماء ، يقول :

ومن رآه مناما قد رآه بلا شك كما فى متن الحديث عل

وهو قول يؤكد الرؤية للنبى اعتماداً على الحديث .

وفى الرسائل الميرغنية يتكلم عن رؤية الرجل الصالح ويعتبرها جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة وان من كذب ذلك انما يكذب حديث الرسول . ثم يقول الله الله فى الاعتقاد والتصديق بالنية الخالصة فى مقامات الصالحين فى مصباح كل صباح .

وفى قصيدة : « الى مركز الفيض الالهى توجهت » ايضا بعض مبشرات .

وفى الرسائل الميرغنية بعض أقوال مهمة . يقول فى الرسالة الثانية : الأويسى هو الذى يتلقى عن النبى مباشرة . وتعيين خلفاء الميرغنى تم فى حضرة المصطفى . ثم : «وتعينوا للخلافة من كردفان وهبأ من المنان » ، وقد بشرت انها ، اى الختمية ، تملأ الارض .

وانظر رسالة الزهور الفائقة للسيد محمد عثمان عن شيخ الطريقة والخليفة وانظر ايضا رسالة منوال الطريقة الطاهرة النورانية للسيد محمد عثمان عن الخليفة والخلفاء .

وترد بعض المفاخر والمعجزات والكرامات فى : «مناقب صاحب الراتب» للسيد محمد عثمان .

ان مرادنا من هذه الفقرة هو ان الميرغنية يقولون بأخذ الولى من الرسول مباشرة مثلهم فى ذلك مثل كل الصوفية ، وان لهم دعاوى غيبية عريضة ، وهكذا يكونون فى واد واحد مع المهدى فى الاخذ المباشر من الرسول .

وثائق من المهدى :

بعد نشر كامل آثار المهدى اصبح متاحاً للقارئ ان يصل الى كل ما يريد عن المهدى ، ولذلك لم ننقل شيئا من ادبيات المهدى الا فى مواضع الاستشهاد. وقد حللنا حضرة التنصيب ومنشور الدعوة فى فصلنا عن مهدية السودان لأنهما وثيقتان اساسيتان فى بيان المهدية .

رسالة شاكر الغزى :

شاكر الغزى مفتى استئناف السودان ، وكان بالخرطوم عند قيام المهدية ، وقد قتل يوم فتحها . ولا يعرف عن حياته شيء . وكان من الموقعين على رسالة علماء الخرطوم الى النجومى وعبد القادر ولد ام مريوم . وقد كتب الغزى رسالته استجابة لطلب عبد القادر حلمى باشا حكمدار السودان وسماها : « فى بطلان دعوى محمد احمد المتمهدى » . وكانت هذه هى الرسالة الاولى صدوراً من بين رسائل علماء الخرطوم . وقد طبعت بمطبعة الخرطوم ونقلها نعوم شقير فى تاريخه .

تتكون الرسالة من خطبة ومقدمة وفصلين وخاتمة .

الخطبة : وقد جاءت قصيرة : بدأت بالبسملة والحمدله ، واسترسلت من الحمدله الى مضمون الرسالة ثم انتقلت الى الغاية التى تنتهى اليها ، ثم الى اقسامها .

اما المضمون فهو اهمية السلطنة وجلالها : هى سر من أسرار الالوهية ، لأن الله يضعها حيث يشاء ، ولأنه لا دين الا بالسلطان ، ولأنه خليفته على خلقه وامينه على رعاية حقه ، وقد ارتضاه من

خليقته . وهكذا يجعل الغزى جلالاً للسلطنة . ثم ان اقامتها فرض على المسلمين ، وطاعتها فرض لازم وامر جازم . وهكذا ينبغى ان يؤخذ الامر ولا يجوز ان يخرج عليها ، ومن يخرج عليها يكون ملوماً محسوراً.

هذا هو باختصار مضمون الرسالة ، وقد اتى به ببراعة بيانية فى الديباجة ، ثم انظر بيان الحرام من الحلال وازالة الشكوك والأوهام ، هذا هو ما يريده برسالته والغاية التى يريد ان يصل بقارئها اليها . هذا الطرف اذاً مكتوب عن فهم ومقدرة وتمكن ، وهو يطلعك بهذه الألفاظ القليلة على عصارة الرسالة وقيمتها . ثم انظر جمال العبارة ودقتها عند قوله : «السادة فى الاهتداء وشموس الاقتداء» ، وصفاً لآل النبى واصحابه .

وفى الفقرة التالية وضع خلاصة ما يرى فى المهدى وما يرمى اليه من محاولته : « لما كان ما ادعاه محمد احمد من المهدية بعيد عن الصدق بالكلية وصدقه فى مدعاه جهلة العوام والاوباش الطغام ، جمعت هذه الرسالة فى نصحهم وارشادهم من هذه الضلالة» . ولك ولى ان نسأل الغزى : اذا كان اتباع المهدى جهلة واوباشاً كيف له ان يوجه اليهم هذه الرسالة ويرجو ان يستمعوا اليها ويهتدوا بنصحها !.

اما اطراف الرسالة فمقدمة وفصلان وخاتمة ، وهو هنا لا يذكر موضوعات هذه الاطراف على عادة بعض مؤلفى عصره ، ولكنه يضع ذلك فى مقدمة كل طرف .

المقدمة : وهى فى وجوب طاعة السلطان وولاة الأمور ، وهذا هو الوصف الذى قدم به هذا الطرف .

وقد بدأ بالقول بأن الدين والسلطان أخوان ، ولكنه فيما يلى يقول بأن الدين هو الاساس وان السلطان حافظه ، وهكذا لا يكونان اخوين ، وكيف يمكن ان يقال انه لا دين الا بالسلطان ! ان الموازنة التى اقامها الغزى ليست صحيحة ، ولو انه قال ان السلطان حافظ الدين لكفانا علماً ووفر على نفسه مشقة ! وأصل العبارة من ابن عربى ، فانه يقول ان المهدى والسيف اخوان . وقد استشهد الغزى بجملة من الآيات والاحاديث ليبين وجوب طاعة السلطان على كل مسلم ووجوب اعتصام المسلمين بدينهم وتآزرهم ونشر روح التآلف ، ومن ثم يحرم الخروج على السلطان وقتاله ، وينبغى على الخارجين – اى اتباع المهدى – العودة الى الطاعة .

وهنا يلاحظ انه يبنى كلامه على السلطنة لا الامامة او الخلافة ، لأنه يدافع عن نظام الحكم القائم فى السودان باعتباره تابعا للسلطان العثمانى وشرعيا من وجهة النظر الشرعية على هذا الوجه .

والفصل الأول فى بطلان دعوى محمد احمد المهدية ، وهذا هو الجانب المهم من الرسالة فيما يخص الخصومة حول المهدية والخلاف بينه وبين المهدى .

والنقطة الأولى التى يبدأ بها هى الخلاف بين العلماء حول حقيقة المهدية وان بعضهم ذهبوا الى ظهور المهدى فى آخر الزمان محتجين بأحاديث خرجها بعض الائمة بينما انكرها آخرون ببعض اخبار ، وان للصوفية المتأخرين طريقة أخرى فى أمرها . وظاهر ان ما يقوله صدى لما قال ابن خلدون فى باب الفاطمى من مقدمته . واليك المواضع التى يأخذ فيها الغزى من المقدمة : «ويحتجون فى هذا الشأن بأحاديث خرجها الائمة وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها ببعض الاخبار ، وللمتصوفة المتأخرين فى أمر هذا الفاطمى طريقة اخرى » ، هذا من الفقرة الأولى من الباب فى المقدمة . ثم : « وظهوره يكون من بعد مضى خ ف ج من الهجرة - نقل شاكر ج ف خ وهو خطأ - ... وذلك ستمائة وثلاث وثمانون سنة ... وعبر بظهوره عن مولده وان خروجه يكون بعد العشر والسبعمائة» . وهكذا يميل صاحبنا على ابن خلدون ميلاً فينقل منه ، ولكنه يأخذ على عجل ولا يعطينا كل الفائدة . وانظر الى الاضطراب فى كلامه : وبعض العلماء انكرها وتكلموا فيها وربما عارضوها ، كيف انكروا وفى نفس الوقت ربما عارضوها ! وألا ترى ان الانكار أقوى من الاعتراض . العبارة عند ابن خلدون هى: «يحتجون فى هذا الشان بأحاديث خرجها الائمة وتكلم فيها المنكرون وربما عارضوها ببعض الأخبار» ، فتأمل فى هذا الأصل واضح البيان وكيف جاء النقل المتعجل مضطرباً .

ثم يبدأ فى مناقشة علامات وأوصاف محمد احمد مقارناً اياها بما يعرفه عن المهدى المنتظر ، واليك هذا الملخص السريع :

يقرر ان محمد احمد ليس هو المهدى لمخالفته له فى اوصافه وفى مكان مولده ومكان خروجه ووزرائه ورجاله، معتمداً فى ذلك على العرف الوردى للسيوطى وعلى ابن حجر فى مختصره وعلى العلقمى. ولا يذكر الغزى مصدره عند الكلام حول وزراء المهدى ورجاله . والحديث المشهور بظهور

المهدى بالمغرب واتجاهه الى الشرق براياته مستقى من ابن خلدون ايضا . والنقطة التى ينتهى اليها الغزى من عرضه هى ان المهدى ولد بالسودان وخرج مخالفاً لما ذكر فى المصادر . وقد انكر القول بظهور المهدى فى المغرب اعتماداً على العلقمى، ثم استطرد الى القول بأنه حتى اذا اخذنا بذلك جدلاً فان محمد احمد لم يظهر بماسة وراء السوس الأقصى كما فى الخبر . وهكذا يكون محمد احمد قد باين وصف المهدى المنتظر فى المولد والخروج . والنقطة الثانية ان أوصاف محمد احمد تباين أوصاف المنتظر ، ومن ذلك انه لا يشبه الرسول فى الخلقة لاختلاف الشكل واللون ، ولا فى الخلق لأنه يقتل المسلمين ويستبيح دماءهم . ثم ان من علامات المنتظر ظهور ملك على رأسه ينادى بأن هذا هو المهدى . وهذا لم يقع . والمهدى يظهر عندما يحل بلاء شديد فيكون عدله وقسطه ملجأ الناس . ولكن الناس منعمون تحت حكم الخديو . ولا يمكن ان يكون محمد احمد الملجأ لأنه يقتل ويفسد ويخرب . وهكذا لا يكون هذا أوان ظهور المنتظر ولا يكون محمد احمد الملجأ .

وقد تناول الحسن العبادى فى «الانوار السنية» هذه الاعتراضات ورد عليها .

وبعد ان يسوق الغزى هذه الأوجه يقول خلاصة : « واعتقدوا ان محمد احمد ليس مهدياً وكذبوه فى دعواه لما بسطناه من الاحاديث» . ثم يشرع فى جملة من الاسئلة يستند على مرويات عن المهدى المنتظر : هل رأيتم رجالاً الهيين معه ! هل رأيتم أبدال الشام وعصائب العراق ! وهل يحارب يوسف السفيانى وأين جيشه ! وهل المنتظر يقتل المسلمين وينهب ! والمرء يتعجب من اعتماد الكلام عن أبدال الشام وعصائب العراق والسفيانى والخسف ويتساءل ان كان هذا مما ينتظر الآن . ألا ترى فى ذلك صورة لما كان عليه الصراع بين الشام والمدينة وانتظار مناصرة اهل العراق والمخلصين من اهل الشام لأهل المدينة ضد الأمويين ! ان صاحبنا برغم علمه ومزيد فهمه ينقل العبارات بغير روية وتبصر . ثم قال اعتماداً على حديث ام سلمة ان المهدى المنتظر يبايع وهو كاره بينما محمد احمد يكره الناس على بيعته . وقال ان المنتظر يلتزم بالكتاب والسنة بينما ينبذ محمد احمد كتاب الله وراء ظهره .

عند هذا الحد ينتهى القياس بين حال محمد احمد وما روى عن المهدى المنتظر . ثم ينقلب الى أسلوب خطابى يريد به التوبيخ ورد المتبعين للمهدى عن اتباعه . وهو يضرب المثل بحركات المهدية التى قضت عليها الدولة ، ويخص بالذكر ابراهيم السودانى الذى ادعى المهدية بالخرطوم واحمد

ابن عبيد مهدى الصعيد . وسوف يحل مؤكداً بمحمد احمد واتباعه ، فيما يقول ، ما حل بهؤلاء . ومثل هذا يرد فى رسالة الضرير وفى قصيدة الشيخ محمد شريف وعند غيرهما .

والفصل الثانى فى النهى عن اتباع محمد احمد ونصيحة من اتبعه . وقد بدأ بأن محمد احمد ليس المهدى وان اتباعه من الجهلة الذين باعوا دينهم وتمكن فيهم التوحش والرغبة فى النهب . ثم روى قصة امرأة عجوز ليس من ورائها طائل . ثم يطلب من القارئ ألا يقتدي بهؤلاء الجهلة ويحدد ان على تابعى محمد احمد ان يرجعوا عن اتباعه والا فان قوة الحكومة كافية لردعهم . وليس على الخارجين ان يغتروا بانتصاراتهم لأن هذه الانتصارات نجمت عن تهاون الضباط واهمالهم ولأن الحكومة يمكن ان توفر الرجال والسلاح بما يكفى للقضاء على الخوارج . ولا يصدقن هؤلاء بقول محمد احمد بأن الرصاص لا يصيب اتباعه لأن اصابته هو واصابة بعض كبار اتباعه يكذب مثل هذا القول .

والخاتمة : فى وجوب قتل الخوارج ونصر السلطان . وهو هنا يستشهد ببعض الآيات والأحاديث الدالة على ضرورة قتال الخوارج ويدعو القارئ على اساسها الى قتال محمد احمد وجماعته وقطع المعونة عنهم . ثم يميل الى ذكر افضال الحكم التركى على السودان وكيف كان السودانيون فى نعمة وكيف صاروا على يد محمد احمد فى محنة وان الحكومة لو لا شفقتها لأنزلت بهم العذاب وعاملتهم بأشد العقاب .

رسالة الغزى رسالة قصيرة ، وما يهمنا منها فى بحثنا عن الخصومة بخاصة هو الفصل الأول، وقد جاء القول فيه مقتصداً لأن الغزى كان يميل الى الأسلوب الخطابى ويريد ان يؤكد على قارئه مغبة اتباع محمد احمد وبالتالى التوقف عنه وعن مساعدته . وقد شدد فى ان الهزائم التى منيت بها قوات الحكومة ترجع الى تهاون الضباط واهمالهم وان الحكومة قادرة على توفير الرجال والسلاح لضرب محمد احمد . وقد دافع عن الحكم التركى وعن التقدم الذى اصابه السودان والنعمة التى حظى بها السودانيون – فيما ذهب – تحت حكم الخديو بعد ان عانوا من ظلم الحكام السابقين وبين كيف حصد السودانيون بحربهم الخراب والقتل والدمار . وقد ذهب الى ان الضرائب التى فرضت عليهم كانت قليلة وانها كانت أقل من النصاب الشرعى . وهذا بخلاف ما هو معروف عن الحكم التركى واستفحال الظلم والفساد فيه والغلو فى تقدير الضرائب وما كان يفرض من

اتاوات حتى هاجر الآلاف من مواطنهم . ولا يدرى المرء من يخاطب الغزى برسالته . هل يخاطب اتباع المهدى كما هو ظاهر من بعض فقراته ؟ واذا كان كذلك كيف له مخاطبتهم وهو يصفهم بالتوحش والتأخر وبيع دينهم وانهم نهابون . ام هو يخاطب الذين لم يتبعوا كما هو ظاهر ايضا من بعض فقراته . والغزى لا يشركك فى مصدره ، وكثيراً ما يأخذ من حديث ولا يريك هذا الحديث حتى تشاركه. وقد بنى رسالته على اساس ان رأس الدولة هو السلطان مع ان النصوص الواردة فى راس الدولة فى الاسلام تتعلق بالخليفة والامام . وسبب ذلك انه اراد ان يتسق كلامه مع السلطان العثمانى القائم . وفى مخاطبته لأهل السودان وفى بيان ما ناله السودان في العهد التركى تحس لغة الاجنبى الذى يمتن عليهم . ولكن عبارة الغزى جميلة عالية وتأخذك بلاغته هنا وهناك .

رسالة احمد الازهرى:

كانت رسالة السيد احمد بن اسماعيل الازهرى «النصيحة العامة لاهل الاسلام عن مخالفة الحكام والخروج عن طاعة الامام» الرسالة الثانية بعد رسالة شاكر الغزى فيما صدر من علماء الخرطوم بايعاز عبدالقادر باشا حلمى حكمدار السودان لنفى مهدية المهدى وتفريغ دعوته . وقد فرغ منها الازهرى فى صبيحة الجمعة ٢٠ شعبان ١٢٩٩/ ٧ يوليو ١٨٨٢م ، وتم طبعها بمطبعة الخرطوم الحجرية . وقد نقلها نعوم شقير فى تاريخه . وبدار الكتب المصرية نسخة من المطبوع ، وهى مجلدة بغلاف من الورق المزخرف بأصفر على ارضية سوداء ، وتتكون من ١٢ صفحة ، ولكن بعضها خال من الكتابة . وقد جاء فيها : «نشره ابنه محمد بشارة فى عهد عبدالقادر باشا فى ١٢٩٩» . وقد قتل السيد احمد قريباً من باره فى واقعة وقعت قبل ١٠ الحجة ١٢٩٩هـ / ٢٣ اكتوبر ١٨٨٢م. فاذا افترضنا ان الابن تولى طبع الرسالة بعد وفاة ابيه فان طبعها يكون فى اواخر الحجة سنة ١٢٩٩هـ . وقد صدرت دراستان عن هذه الرسالة ، اولاهما : «الصراع بين المهدى والعلماء» للدكتور عبدالله على ابراهيم ، وهى فى الاصل بحث اكمال قدم لقسم التاريخ بجامعة الخرطوم . وقد جاءت دراسة علمية عالية المستوى ، وصدرت منها طبعتان ولم تكن فى الطبعة الثانية مراجعة . والاخرى لرويرت كرامر بعنوان :

An Annotated Translation of the Letter of Ahmad Al-Azhari in Denunciation of the

the Sudanese Mahdi .

وهى رسالة ماجستير قدمت لمركز الدراسات الشرق اوسطية بجامعة شيكاغو فى اغسطس ١٩٨٤. وكان مرامنا تناول الدراستين فى هذا السفر لو لا انه تضخم وكاد ان يصبح موسوعة . وعسى ان نفعل ذلك فى بحث مستقل .

اما احمد الازهرى فهو ابن اسماعيل بن عبدالله الولى مؤسس الطريقة الاسماعيلية ، وهو من قبيلة البديرية الدهمشية ، ومولده بالأبيض . واهله أصلاً من دبة الفقرا ببلاد الشايقية ، وجده بشاره الغرباوى هو الذى هاجر الى كردفان . وقد جدد حفيده ميرغنى صلات الاسرة ببلاد الشايقية . ولاسماعيل مؤلفات كثيرة وضع لها ابنه وخليفته محمد المكى فهرساً ، ومنها مؤلفان عن المهدى المنتظر. وبعض هذه المؤلفات قد نشر. وابنه احمد ، الذى عليه كلامنا ، ولد فى الابيض فى ١٨١٠م وتعلم فى خلوة ابيه واخذ العلم على ابيه وبعض علماء كردفان . ثم سافر الى مصر والتحق بالازهر وقضى به نحو اثنى عشر عاماً ، طالباً اولاً ثم مدرساً ممتازاً . ثم عاد الى بلده فى ١٨٧٣م عن طريق دارفور مع قافلة تجارية وقضى وقتاً بالفاشر حاول فيه سلطان الفور ابقاءه هناك . وبعد عودته درس فى خلوة ابيه ، وعلى ما يقول فى رسالته فانه كان يدرس بها الشمائل الترمذية عند مجئ محمد احمد اليهم زائراً. وعند اندلاع المهدية كان احمد بالأبيض ، وقد خرج منها فى وقت مناسب لأنه تمكن من الوصول الى الخرطوم سالماً ، وكان ذلك حوالى ١٨٨١م . وعلى ما يقول فانه ادرك خطورة الموقف بعد وصوله للخرطوم . وكان عزمه الذهاب الى مصر الا انه بقى بالخرطوم بسبب حوادث المهدية وكتب رسالته التى نتناولها هنا . وفى ١٨٨٢م فصل قضاء الغرب – كردفان ودارفور – عن قضاء السودان لمواجهة الموقف المتفاقم بالغرب وعين احمد شيخاً للاسلام وقاضياً للقضاة فى الوظيفة الجديدة وليتصل بالمهدى فيما يقول ريتشارد هل . وقد صحب نجدة عسكرية كانت متجهة الى الأبيض ليتسلم عمله هناك ولكن الانصار قضوا على النجدة قرب باره وقتل احمد فيمن قتل . ولا يعرف تاريخ هذه الواقعة بشكل محدد ، ولم يذكره ونجت فى ثبته للحوادث ، واحمد هو الذى اخذ ابن شقيقته اسماعيل عبدالقادر مؤلف «سعادة المستهدى» و«الطراز المنقوش» الى مصر والحقه بالأزهر . ولأحمد كتاب فى انساب العرب بالسودان محفوظ بدار الوثائق القومية . وكتاب «كفاية العانى لرد المعترض على العارف التجانى» ، وهو مطبوع فى

١٩٦٠ فى ١٦ صفحة من الحجم الصغير وقصيدة عن آلات الرسول اوردناها فى كتاب «ادوات الملك والولاية فى السودان» و«خاتمة الازهرية» فى النحو ، وقصيدة قرظ بها كتاب «مشارق الانوار» لوالده وقصيدة مدح بها والده .

وابنه اسماعيل الازهرى (١٨٦٨-١٩٤٧) كان قاضيا وتولى الافتاء وكان من الشخصيات المرموقة فى اول العهد الثنائى . وحفيده اسماعيل الازهرى هو السياسى المشهور واول رئيس وزراء للسودان المستقل . ويذكر احمد الازهرى رسالة من المهدى اليه وهو بالابيض ولكننا لا نرى فى «الآثار الكاملة للامام المهدى» رسالة موجهة اليه . ولا يمكن الافتراض بأنه يشير الى نسخة من رسالتى المهدى الى اهل الأبيض لأنه غادر الأبيض قبلهما ولأن المهدى يتعرض فى رسالته الاخيرة الى علماء الخرطوم ومن ضمنهم احمد الازهرى بسبب ما ألفوه ضده مما يعنى ان الازهرى كان بالخرطوم منذ تاريخ أقدم . ولكن ربما ارسل له المهدى نسخة من منشور الدعوة الذى ارسله الى كثيرين .

ورسالة الازهرى ليست مقسمة الى ابواب او فصول مثل رسالتى الغزى والضرير وانما هى قطعة واحدة ، وهدفه منها كما يبينه هو النفع العام والنصح الدينى للمفسدين ، ورأيه فيمن اتبع المهدى انهم فعلوا ذلك بدافع الجهل ، ولو لا جهل العامة لما اتسعت ثورته . وقد نظر فى رسالة الغزى واستفاد منها . وبعكس الآخرين فانه يذكر بعض مشاهداته الخاصة كرؤيته لمحمد احمد فى الأبيض ليقوى بها حجته عن عدم شبهه للرسول .

واليك ملخص الرسالة :

بدأ الازهرى بالديباجة ، وهى تدور حول ما عليه كتابه من النصيحة وهدفه من الكتابة . ثم انتقل الى بيان وجوب بذل النصيحة من امثاله لمن هم يجهلون ما هم فيه ، وقد استشهد فى ذلك ببعض الأحاديث .

- ثم تكلم عن دواعى التأليف ، وهى :

١- تدارك نفسه والناس من اتباع وساوس محمد احمد الشيطانية وتسويلاته النفسانية مما يوقع فى الهلاك .

٢- ما تحقق عنده بعد وصوله الخرطوم من اتساع البلوى فى البلاد والخسائر فى الأرواح

والأموال .

٣- لا بد من نصح من اتبع محمد احمد لأن اتباعه جهلة اخذوا بما روج عن المهدية وما اصدر من رسائل . وهنا يسوق مناسبة كتاب المهدى اليه وانه لو وجده لرد عليه بالحجج التى ترجعه الى التسليم .

٤- ما بلغه من خطابات طالباً بياناً منه عن المهدية .

٥- سعى عبدالقادر حلمى لنصح الناس بنفى مهدية المهدى حتى يرجع الناس عن اتباعه.

٦- واجب القيام بالأمر بالمعروف ونصح المؤمنين .

ثم يدخل فى فذلكة عن الحكام مبيناً ان الله «اختار من عباده اناساً أولاهم اسرار المملكة وامر بطاعتهم » وهذا صدى لما قال شاكر الغزى فى رسالته .

وهو يبنى الحجج الأولى فى اعتراضه على المهدى على انه خارج على الامام ، لأن العلماء نصوا على حرمة الخروج على الامام وانه لا يعزل ولا تنبذ بيعته ولا يطرح عهده الا اذا أمر احداً بكفر او كفر هو ، لذلك لا ينبغى الإستماع الى دعوى محمد احمد لأنه يرتكب محرماً ، خاصة وهو لا يقدم دليلا عقليا او نقليا يؤيد ما يدعيه . ثم يعدد ما يناقض مهديته من ادلة يسوقها من المرويات عن المهدى المنتظر ، وقد وضعها على هذا الترتيب :

١- ان مولده بالسودان مع ان مولد المهدى فى المدينة .

٢- يذكر أوصاف المهدى المنتظر مستنداً على أحاديث الرسول وينتهى منه الى بعد أوصاف محمد احمد الجسمانية عنها ، ولكى يدلل على تأكيد الخلاف يسوق زيارة المهدى لخلوتهم بالأبيض وهم يدرسون الشمائل الترمذية وان شكله الذى رآه مخالف لما ورد عن شكل الرسول . اما قوله بوجود خال على خده الأيمن فلا يفيد بشئ مع عدم ثبوت الأوصاف الاخرى .

٣- يذكر انه علم بأن المهدى قال بخسوف القمر فى اول ليلة من رمضان وكسوف الشمس في النصف منه علامة لمهديته ، ورغم ان العلماء ذهبوا الى استحالة جمع الخسوف والكسوف على هذا الوجه فان عدم وقوع الخسوف والكسوف فى الوقت الذى حدده يدل على كذب دعواه اذا قال به .

٤- يسوق عن مختصر الشعرانى لابن العربى حديثاً بخروج المهدى «من ساحل البحر بموضع

يقال له ماسة من جبل المغرب» بعلامات وحوادث ثم يقول ان خروج المهدى لا يتفق مع هذا الحديث، ثم يطعن فى وزرائه لأنهم ليسوا على نحو ما يجئ وصفهم فى هذا الحديث . وانظر فى هذا ما يقوله ورد الحسن العبادى عليه .

٥- يسوق حديث «قائم آل محمد» عن علىّ بن ابى طالب ثم حديث السيدة ام سلمة زوج الرسول ثم يستخرج منهما ما يبطل دعوى محمد احمد . ثم ان الامام هو الخليفة وهو موجود الآن ولم يحصل اختلاف فى الخلافة . ودعواه بالخلافة الكبرى والمهدية مع وجود الخليفة وطلبه من الناس مبايعته فيه مخالفة للحديث . ولا ينبغى طرح عهد للخليفة مع انه لم يكفر. «ومما ذكرنا يعلم رد جميع الادلة التى تنقل عنه بأنه يستدل بها على ايجاب طاعته والزام موافقته لأنه لم تثبت امامية مع وجود الامام ، فجميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المعزوة اليه بأنه يستدل بها مسوقة فى غير موضعها» .

٦- جاء فى الروايات ان الله يصلح المهدى فى ليلة ، ومحمد احمد تعلم وتلقى الطريقة على يد الشيوخ .

٧- ان ظهور المهدى حسب حديث يرويه موقوت ببلاء شديد من السلطان فيخرج المهدى للانقاذ ويلجأ اليه الناس من شره ، ولكن لم يحصل البلاء ولم يلجأ الناس الى محمد احمد ، بل الكل ساخط على ظلمه وجوره .

٨- يذكر وزراء المهدى الذين ذكرهم ابن عربى ويقول ان هذه العلامة لم تقع .

٩- ان المهدى عند ظهوره ينادى ملك على رأسه «هذا المهدى خليفة رسول الله فاتبعوه» ، وهذا لم يحصل ، كما ان العلامات الواردة فى الحديث الذى يقول باجتماع ابدال الشام بنجباء مصر وعصائب اهل الشرق وانه يملك الدنيا ورايات خراسان الخ لم تقع .

١٠- انه لم يقع فتح الكنوز والغاء الجزية من الناس وحثى المال حثياً لمن يريده ، بل الامر بعكس ذلك والناس في بلوى من القحط والضيق .

١١- ان الروايات قالت بأن المهدى من آل البيت وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلاً وانه يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال وانه يصلى بعيسى وان النداء يعم وينفتح فم الاحاطة بظهوره وان الناس يفعلون بالقول ما يفعله غيرهم بالفعل فيفتحون القسطنطينية بالتسبيح

والتقديس ، ثم يقول ان كل ذلك لم يقع .

١٢- يتكلم عن رؤيته للنبى يقظة وتخليفه مهدياً على يده واخذه الأحكام منه وينتهى الى ان ذلك لا يؤخذ به ، ولا تقبل به الأحكام . « وقد نص أكابر العلماء على ان الولى يناط به حكم الظاهر ، فكيف ان ارتكب امراً مخالفاً لظاهر الشرع خصوصاً ان أدى الى سفك الدماء وتلف الاموال ... وقد نص اكابر الصوفية على ان الكشف اقسام وان بعضه يكون خاليا ، فكيف العمل به مع ايقاعه في المحذور» .

وكذا ينفى ترتب احكام على الرؤية ، وينفى عن الولى ارتكاب المخالفة ، ثم يوحى بأن رؤيته للنبى مجرد خيال .

١٣- يعترض على تكفير مخالفيه لأن ذلك لا يقول به احد لأن المهدية ليست بنبوة ورسالة وانما غايتها خلافة ، «فانكار اصل المهدى والشك فيه لا يوجب كفرا بمعنى الخروج عن الاسلام» .

وحاصل ما ينتهى اليه الازهرى ان : «الامام الخليفة موجود الآن ودولته منتظمة مؤيدة بوزرائه وجميع اهل الاسلام يخطبون باسمه فى المنابر». والخروج عليه حرام ، يقول : «مع ان اوصافه التى انعقدت بيعته عليها من اهل الحل والعقد باقية لم تزل عنه حرام على كل مسلم والذى يخرج عنه يكون باغياً ومحارباً لله ورسوله وساعياً بالفساد وتجوز مقاتلته ورده واقامة حد الشريعة فيه » .

هذا من جانب تحريم الخروج ، اما من جانب مهدية محمد احمد فانه لم يأت بحجة عقلية . وقد دل الاحتكام الى العلامات الواردة عن المنتظر فى المصادر الاسلامية ومقارنتها بأوصاف محمد احمد واحواله انه بعيد عنها .

رسالة الامين الضرير :

اسمه الكامل حسبما أورد فى رسالته:الامين بن محمد المحجوب الضرير . وهو ينتمى الى قبيلة المحس بجهات الخرطوم . وكان مولده بجزيرة توتى فى ١٢٣١هـ/١٥-١٨١٦ . وقد حفظ القرآن ثم تلقى العلم على مشايخ كان أبرزهم ابراهيم احمد ود عيسى الخزرجى بمسيده المشهور والذى تخرج منه عدد من مشاهير العلماء . ويقال انه اخذ العلم على الحسين زهرا ايضا ، ولكن المرء لا يحس بينهما بصلات الاستاذ والتلميذ . وكان على صلة بالشيخ احمد السلاوى القاضى المالكى الذى شجع عدداً من علماء السودان على التحصيل وألحق بعضهم بسلك القضاء . وقد استقر

السلاوى نهائيا بالسودان وخلق صلات بعيدة بالسودانيين ، متزوجاً احدى بنات الشيخ احمد الطيب البشير ومتوشجاً بوشائج حميمة بالكثيرين . وعلى ما نظن فانه وجد اهل السودان على المذهب المالكى وقريبين الى خلق اهل المغرب فتحمس لهم ولمذهبه . وقد تعهد اربعة بالذات بعنايته ، هم : احمد ابو على كاتب الشونة والزبير ود ضوة والشيخ الأمين ، وهؤلاء هم الذين اعدوا تاريخ كاتب الشونة بصوره المختلفة ، وابراهيم عبد الدافع الذى وضع معه تلخيص طبقات ود ضيف الله فى ارجوزة وشرح مع اضافة اولياء ظهروا بعد ود ضيف الله . وقد حققنا هذا السفر وتم نشره بعنوان «الذيل والتكملة» . وكان الأمين يلقى دروسه فى داره بالخرطوم وبجزيرة توتى فى فقه المالكية والحديث والتفسير والتوحيد والنحو ، وكان يدعو العلماء الوافدين الى الخرطوم من مصر لالقاء دروس على طلبته . وكانت له مدرسة اخرى فى رفاعة تخرج منها علماء مشاهير .

ارتقى الأمين سلم العلم بجهده الشخصى ، وهو مثال للعالم السودانى الذى اخذ علمه من مدارس السودان وظهر به عالياً. ولتفوقه فى العلم وصلاته القوية بالحكومة خلق له الحكمدار جعفر مظهر باشا وظيفة رئيس ومميز علماء السودان ، وهى وظيفة ليست مؤسسية لها اعباء ولكنها تضع صاحبها فى قمة علماء السودان وتجعل له مدخلاً الى الحكومة .

وكان الشيخ الأمين كاتباً مجيداً وعالماً متمكناً ، وقد ظهر تمكنه فى الكتابة والعلم فى رسالته التى كتبها فى نفى المهدية عن محمد احمد . وكان شاعراً فى مقدمة شعراء عصره ونشرت له الجوائب وروضة المدارس والوقائع المصرية بعض شعره . وله ذرية ذكرناهم فى كتاب «الحركة الفكرية فى المهدية» .

وكان المهدى يوقر الشيخ الأمين ويشهد له بعلمه . وظاهر انه كان متوسماً فى كسبه الى جانبه. وقد جرت بينهما مكاتبات المحنا بمحتوياتها ومناسباتها فى كتاب «الحركة الفكرية فى المهدية» . وقد بدرت منه بادرة عندما كتب الى المهدى مع جماعة من علماء واعيان الخرطوم مخاطبة يعلنون فيها تسليمهم بمهديته . وكانت هذه فى اواخر ايام حصار الخرطوم ، الا انها وقعت فى يد غردون واثارت غضبه . وكان الأمين من ضمن من أوصى المهدى بعدم المس بسوء ، وقد أجاره عند سقوط الخرطوم ابنه على الأمين الذى كان اميراً فى جيش المهدى واخذه الى المهدى فبايعه . الا انه لم يعش بعد ذلك طويلاً . وللشيخ الأمين أعمال هى :

١ ـ ديوان شعر فى مدح الرسول يتضمن اسماء سور القرآن على ترتيب المصحف الشريف .
٢ ـ ابيات فى حكم النون الساكنة والتنوين .
٣ ـ توصيل من جد الى تحصيل ارث الجد .
٤ ـ تهوين القدير الوارث فى تبيين ما يستحقه كل وارث .
٥ ـ قصيده فى نسب الرسول صلى الله عليه وسلم تقرأ من وجهين ، اى شطرين لكل بيت ثم ثلاثة اشطر للبيت نفسه .
٦ ـ جدول كبير من وجه واحد ، اوله : فهذا ايضاح لكل وارثين اجتمعا .

وقد صدر الأول والثالث الى السادس فى مطبوع يبلغ ٣٦ صفحة من الحجم الصغير، طبعته مطبعة التقدم العلمية بالقاهرة فى ١٣٣٠ هـ . وطبع الجدول بنفس المطبعة فى ورقة كبيرة على وجه واحد ، ويوزع مطبقا مع المطبوع . والثالث طبع فى مصر منفرداً. اما أبيات النون الساكنه فلم نقف عليه .

والكتاب الذى يهمنا فيما نحن فيه الآن ، وهو أهم مؤلفاته تاريخياً ، هو رسالته « هدى المستهدى الى بيان المهدى والمتمهدى » التى وضعها فى نفى مهدية محمد احمد ، وهى فى خطبة ومقدمة وخمسة أبواب وخاتمة . وقد جاء اسلوبه فيها هادئاً متمكناً رزيناً واضحاً ليس فيه شطط ولا تكلف ولا غلو فى الأخذ. وأبواب الرسالة ليست طويلة ، وهو يسبق المقدمة والخاتمة وكل باب بملخص قصير يعرف بالموضوع الذى هو مقبل اليه . وقد أورد فيها قدراً من الآيات والأحاديث والمرويات وبعضاً من شعره ، ثم أفاد بأن بعضاً من شعره منشور بالوقائع المصرية .

وقد كتب الأمين رسالته فى ١٢٩٩ استجابة – وان كان لا يذكر ذلك صراحة – لدعوة عبد القادر حلمى باشا لنفى مهدية المهدى ورد الناس عن اتباعه ، ومن ثم طبعت بمطبعة الخرطوم الحجرية فى السنة نفسها . وتوجد نسخة من هذا المطبوع بدار الكتب المصرية ، وهى النسخة الوحيدة من الاصل المطبوع ، وتبلغ ٢٦ صفحة ، وعنها اخذنا نصنا الذى نورده فى هذا الكتاب. ولم ينقل نعوم شقير فى تاريخه رسالة الأمين مع انه نقل رسالتى احمد الأزهرى وشاكر الغزى اللتين صدرتا بنفس المطبعة وطرفا من قصيدة الشيخ محمد شريف . وهذه الأعمال الاربعة صدرت فى مناسبة واحدة وفى موضوع يهتم له نعوم شقير وهو معارضة المهدية . ولعل

السبب فى عدم نقله لرسالة الضرير انه لم يقف على نصها اذ لو كان لطولها للجأ الى التلخيص او ايراد طرف منها . وقد ظلت الرسالة مجهولة حتى اكتشفنا وجودها بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية فى سنة ١٩٦٩ .

واليك ملخصاً لمحتوى الرسالة :

الخطبة : وهى ترد بغير هذا العنوان ، وانما أوسمناها نحن لأن عادة كتاب زمنه هى البدء بخطبة فيها ديباجة الكتاب وبعض ما يتصل بظروف التأليف والتصنيف . وهم فى الغالب يرسلونها بغير عنوان . وقد بدأها الشيخ الأمين بديباجة جميلة اومأ بها فى جانب منها الى هدف كتابه «صحبة نجوم الاهتداء وعلى كل متبع لهم وخصوصا علماء امته الذين بهم الاقتداء » ، وهل مبتغى رسالته الا ان تكون مهتدياً بصحابة الرسول ومقتدياً بالعلماء فتكون على الطريق السوى وبعيداً عن مسلك محمد احمد ! .

ثم ينتقل الى ظروف التأليف ومسببه فيقول انه « بالنظر الى ادعاء الكثيرين المهدية وقيام المهدية فى السودان وما ترتب عليها من خراب ولسؤال الكثيرين أراد ان يضع رسالة كاشفة للحق المبين تكون مرشدة الى الصواب » ، وهو يقول ان سبب الضلال واتباع المهدى هو ان العامة لا يعرفون كنه المهدية فينساقون بغير دراية . وهو لذلك يريد ارشادهم . وها هنا فرق بينه وبين شاكر الغزى الذى ذهب الى وصف اتباع المهدى بالتوحش والجهل . وهو يذكر من مدعى المهدية احمد عبيد مهدى الصعيد وابراهيم السودانى مهدى الخرطوم . ثم يتعرض الى اطراف كتابه ويقول انه فى مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة .

ويعطى الضرير كبير وزن لاضافة العدوى عبارة « والف» فى تاريخ مولد محمد الحسن العسكرى واعتبرها اساس حركة محمد احمد وغيره من طلاب المهدية فى تلك الفترة لما انها دلت على ان هذا هو أوان ظهور المهدى . ومن هنا كان افتتاح كلامه: «لما كثر فى آخر هذا القرن» وبناء خطة الكتاب كلها عليه . ثم تناولها بالنظر فى آخر أبوابه . ولكن الضرير لم يتنبه الى ان العدوى قصد بالزيادة والاسقاط قفل باب المهدية على الشيعة اعتماداً على الشعرانى .

المقدمة : وفيها يبين الخلاف بين العلماء حول المهدية ، اذ قال بعضهم بثبوت امامة المهدى المنتظر تمسكا بالاحاديث الواردة فيها لكثرتها ، وان كانت ضعيفة ، وبعضهم قال بنفيها نظراً لما

فى تلك الأحاديث من ضعف . ومن جملة ما تمسكوا به ما روى انه لا مهدى الا عيسى فتأوله المثبتون لها على تقدير صحته بأن المعنى لا معصوم الا عيسى . وقد بينها ابن خلدون وبين ما فيها من العلل بياناً شافياً وأوضح مذهب اهل الباطن فى هذا الامام وبين ان بعضهم تكلم فى تعيين وقته فمضى الوقت ولم يظهر وأطال فى ذلك وأجاد . ثم ان بعض القائلين بثبوت المهدى زعموا انه مضى فى العصور الماضية بناء على انه ثالث خلفاء بنى العباس اى المهدى بن ابى جعفر المنصور! قالوا ذلك مع ان الخليفة المهدى لم يطلب المهدية حقيقة وان لوح بها ابوه ولم يشايعه احد فى مهديته . ولكنا نلاحظ هنا ان الأمين لا يذكر مؤسس الدولة الفاطمية الذى ادعى المهدية وكان اساس القول بمهدى المغرب الذى يظهر بماسا السوس . ثم روى الأمين حديث ام الفضل الذى به يكون مهدى العباسيين . ثم يدخل فى مزاعم الشيعة ويأتى بملخص لمذهبهم فيها . وعموماً فان الأمين يعرض عرضاً تاريخياً مفيداً لحركات المهدية . وقد استعان فى ذلك بمصادر الحديث والتاريخ مثل الكامل لابن الاثير واخبار الدول للقرمانى وابن عساكر ووفيات الأعيان . والضرير هو الوحيد من بين علماء المعّارضة الذى انتبه الى أقوال الشيعة فى المهدى ، ولعله اراد ان يفسد بها الرأى على محمد احمد .

الباب الاول : وفيه يذهب الى ان المهدى ـ على القول بظهوره ـ من جملة الخلفاء العادلين . وهو هنا يجرى مجرى التيار العام لاهل السنة الذين يرون المهدى مجدداً مجتهداً فقط لأن الاسلام فى رأيهم اكتمل على يد الرسول ولا حاجة الى مزيد بالمهدى او غيره . والمهدى ولى لا يرتقى الى درجة الانبياء حتى نطلب لاثبات امامته معجزة . والخوارق التى تظهر له تكون كرامة كما لغيره من الاولياء . ولا يجوز للمهدى او لغيره خرق عهد الخليفة القائم الذى سبقت له بيعة اهل الحل والعقد. وقد نقل هنا حديث السيدة ام سلمة زوجة الرسول لأنه يبدأ بأن خروج المهدى عند اختلاف اثر موت خليفة . ثم قال فى نهايته نقلا عن البغوى الذى نقل نص الحديث منه انه لم يبلغ درجة الصحة وان كان أقرب الى معنى المهدى من غيره . ويلاحظ انه ينقل عن البغوى مع ان الحديث وارد فى سنن ابى داود وفى مقدمة ابن خلدون الذى يستند عليها ، ولعل السبب انه يريد ان يثبت قول البغوى بأن الحديث لا يبلغ درجة الصحة . ثم يبين ان المهدى لم يأت موافقاً لهذا الحديث من

كل جوانبه .

وما تثبت به خلافة الخليفة غير المتغلب اما بيعة اهل الحل والعقد او العهد من الخليفة الذى قبله. وشروط الخليفة مشهورة فى الفقه ، ومنها الاجتهاد ان وجد المجتهد والا فيكون أمثل المقلدين فى زمنه ـ ولكن هذا ما اراد الفقهاء ، اما الواقع فكان على الغلبة من الحاكم لمن يريد . وقد انتهى من ذلك الى نفى المهدية عن كلّ من ادعى المهدية ـ وبما فيهم محمد احمد هذا ـ اذ ليس احدهم يبلغ درجة أمثل المقلدين ـ دع عنك المجتهد الذى لم يبلغه السيوطى بعلمه الغزير . وكلامه ـ فيما ينص ـ فى مطلق من يكون خليفة ، اما فى خصوص المهدى فيتعين فى حقه الاجتهاد على ما ذكره كثير من الصوفية كابن عربى . ولكنا نعترض هنا لأن ابن عربى يقول ان المهدى يأخذ عن الرسول مباشرة وأنه ليس مبتدعاً او مجتهداً بحكم هذا التلقى المباشر ، بل يحرم عليه الاجتهاد لأن ما يتلقاه مباشرة من صاحب الشرع هو خالص الشرع لا شرع الاجتهاد . و انظر فى ذلك ما يقول الحسين زهرا . ونضيف الى ذلك ان ذكر السيوطى غير مناسب لأن السيوطى من الذين قالوا برؤية النبى التى ينكرها الضرير واخذ الاحكام عنه بل انه ذهب الى انه كان يراجع الأحاديث عليه .

ويقول الأمين : اما القول بأن المهدى يأخذ الأحكام من الرسول يقظة او فى المنام فذلك ان امكنه فى خاصة نفسه ولكنه بعيد عن ان تثبت به الاحكام التى يجريها كرهاً على الخاص والعام . وهاهنا خلاف بين الرجلين . الامين يقيس بقياس العلماء ويضع ضوابطهم والمهدى يجرى مجرى بعض الصوفية الذين قال انهم يأخذون احكامهم من الرسول مباشرة ويصححون عليه الاحاديث وانهم ما عادوا على المذاهب لتلقيهم المباشر من منبعه اى الرسول .

ومحصول الأمين من بابه هو : فالحاصل ان نصب الامام واجب على الامة فى جميع الازمان شرعا سواء فى ذلك المهدى او غيره مع الشروط المعتبرة فى الكتب المحررة . وظاهر من ذلك ومن بناء الباب ان المهدى بعيد عن ان يكون المهدى المنتظر ، بل هو خارج على الامام القائم .

الباب الثانى : وفيه يورد الأمين قدراً من تاريخ العثمانيين ليثبت ان خلافة الخليفة الحالى السلطان عبدالحميد الثانى خلافة شرعية قامت على الأصول المتبعة فى عزل من كان قبله لظروفه الصحية – وحتى بشهادة امه – وفى تعيينه وبيعته من قبل اهل الحل والعقد . ثم يسترسل فى

بيان التنظيمات التى ادخلها السلطان عبد المجيد فى دولاب الدولة وما ادخلها عبد الحميد نفسه . فهو اذاً خليفة على الوجه الشرعى وخليفة فاعل .

الباب الثالث : وهو فى بيان حرمة الخروج على الامام ووجوب مقاتلة من بغى عليه بالخروج ، ووجوب طاعته على جميع الامة والغاء زمام القيادة اليه . وقد استشهد هنا بأبيات من المقرى من «جوهرة التوحيد» وجملة من الآيات والاحاديث والمرويات من الأدبيات الاسلامية . وقد استرسل فى بيان الحكم الشرعى فيمن بغى وأجاد البيان على الوجه الفقهى .

الباب الرابع : وهو فى أوصاف الخديو محمد توفيق وعبد القادر حلمى باشا، وهو يأتى بخبر بعض شعره . وقد صار توفيق وليا للعهد فى ١٢٨٣هـ /٦٦ -١٨٦٧م وتيقن الناس جميعا بجدارته ثم صار خديوياً فى رجب ١٢٩٦هـ / ٢يونيو - ٢٦ يوليو١٨٧٩م . ووصل عبد القادر الخرطوم فى جمادى الآخر سنة ١٢٩٩هـ/ ١١ ابريل - ١٠مايو ١٨٨٢ . ومع ان وصف توفيق وعبد القادر بعيد عن موضوع المهدى والمهدية فانا ننقل طرفا منه لأن الحسن العبادى والعوام يتعرضان اليهما . يقول الأمين فى وصف توفيق : « شوهد منه من القيام بأمور الدين والسياسة سيما الرأى الصائب ما لم يشاهد من غيره من اولى المراتب والمناصب كما يعلمه كل من طالع الجرائد ولا سيما «الوقائع» و«الجوائب» ، وذلك كتعيينه يومين من الاسبوع لمن يريد الاجتماع به وكتسويته الديون التى سرت أهل الدوله والأجانب وكتكثيره من المدارس الخيريه العامة . . وتاكيد اجراء الاحكام على القوانين الشرعية» . اما عبد القادر فأوصافه «زادنا محبة فى افندينا محمد توفيق باشا بتوجيهه الينا هذا الفاضل الفائق فى هذا الوقت الذى نحن فيه من بعضنا فى غاية التعب والمضايق » .

الباب الخامس : وهو فى بيان ما يفتريه كثير من الناس الجهال من التباس الرؤيا الصحيحة بما يكون من الخيال . وقد ذهب فى بيان امر الرؤيا عند العلماء مستعرضا آراء جملة منهم ، وزبدته : من رأى احداً من الانبياء وهو يأمره بما يخالف الشريعة يكون ذلك نهيا له وزجرا وتهديداً وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم اذا لم تستح من الله فاصنع ما شئت ، فان ذلك ليس بأمر فعل وانما هو تهديد . ثم يتجه الى عرض آراء اهل الباطن ويبتدر بقوله : « لعل هذه الطائفة التى الفنا هذا الكتاب لارشادها للأوامر ونهيها عن المناكر تقبل كلام اهل الباطن قبولا صحيحا ، اذ هى

تتمسك بكتبهم دون كتب اهل الظاهر» ثم يدخل فى تفاصيل فى امر الرؤيا لا يعنينا هنا تتبعها . وبعدها يصل بنا الى امر يهمنا فيما نحن فيه وهو ان أكثر الذين يدعون هدا المقام يعتمدون على رآوى منامية ويصدقهم فيها أصحاب الجهالة وبذلك تكثر جموعهم ويشتهر صيتهم ويغفلون عن أمرين عظيمين أولهما مقابلة حكام الزمن لهم بالقوة وثانيهما سفكهم لدماء المسلين . ثم يشير الى خطورة الرؤيا على المتعبدين وينصح هؤلاء بمطالعة كتب الرؤيا للاهتداء .

اما رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بعد موته فقد استشهد بالمواهب نقلا عن السخاوى الذى قال بأنه لم يرد ذلك من احد من الصحابة ولا عمن بعدهم . وقد اشتد حزن فاطمة على ابيها ولم تره . وذكر بعض حكايات للصالحين يحتملها فى المنام وأفاد نقلاً عن آخر ان ما يحصل لهم يكون فى حال غيبة حس وغموض طرف لورود حال لا تكاد تضبطها العبارة . ومؤدى كل ما يقول انه قد « تبين ان دعوى رؤيته يقظة حدثت بعد القرون الفاضلة. ومعلوم انها لو كانت تقع ويعمل بما يلوح منها شرعاً لوقعت لأكابر الصحابة عند الاحتياج اليها ، وقد اهمهم امر الخلافة حتى قدموه على دفنه واختلفوا فيه اختلافاً شديداً ولم يدع احد منهم قولاً صدر منه بعد موته قبل مواراة ذاته الشريفة . فكيف يركن الى مقالة تحدث بعد هؤلاء الاخيار الذين عد لهم النبى المختار، وكيف تثبت تولية شخص على هذه الامة بما لم تثبت به امامة الصديق ولا غيره من الائمة» .

الخاتمة : وهو فى اصلاح سهو وقع فيه حسن العِدوى الحمزاوى عندما زاد الفاً فى تاريخ مولد محمد بن حسن العسكرى وجعله من ٢٥٥ الى ١٢٥٥ هـ ، وهذا جعل بعض قرائه يعتقدون بأن المهدى يولد فى ١٢٥٥ هـ وان هذا الزمن الذى فيه هو اوان ظهوره . ونحن نوضح ان زيادة العدوى الألف على مولد محمد الحسن العسكرى لم يكن سهواً كما قال الضرير وانما كان بغرض ابعاد ظهور المهدى عن سكة الشيعة اعتماداً على قول الشعرانى. ويبدو ان الضرير لم يقرأ نص العدوى جيداً لأن العدوى لم يقف عند زيادة الألف فقط وانما أبعد تاريخ الظهور ورواية العراقى ايضا . ولا يمكن اعتبار كل هذا سهواً .

بذلك يختم الكتاب ، ويعقب ذلك تقريظ محمد احمد العجب نثرا وشعرا .

ولعلك تلحظ من هذا العرض ان الأمين لا يذكر مهدى السودان صراحة وانما يعالج موضوع المهدية معالجة تاريخية . وقد ابتعد عن رصد العلامات التى وردت فى الروايات عن المهدى المنتظر

وقياس حال المهدى عليها كما فعل شاكر الغزى والازهرى . وانما يتناول الجذور مثل حركات المهدية فى التاريخ والرؤيا لتفريغ الدعوى من اساسها . وقد اعتمد فى تناوله على مصادر كثيرة الا ان أهمها كان مقدمة ابن خلدون ، وهو مصدر يأخذ المهدية كلها بالشك، بل بالرفض . وهو الوحيد الذى تقصى مصادر الاحاديث الواردة فيها مجتمعة وبدقة . ولذلك يوافق اتجاهه اتجاه الأمين فى تناوله ، اذ لا يشك من يقرأ رسالته فى انه لا يقبل فكرة المهدية وان قبلها فانما يقبل المهدى بإعتباره الخليفة العادل المجتهد فى الاطار السنى .

ومحمد بن الحسن العسكرى هو الامام الثانى عشر للشيعة الامامية ، وهو صاحب السرداب ، ويعتقد هؤلاء انه المهدى المنتظر والقائم ، وقد اختفى فيما يقولون فى السرداب فى سامراء ، وهم ينتظرون خروجه . ولكن غيرهم لا يسلمون بهذا ويقولون بأن العسكرى مات بغير عقب ، وقوم ينكرون ان تمتد حياة انسان لهذا المدى .

وللضرير رأى فى اولى الامر ، فانظره .

وهو يتكلم عن ضرورة العصبية لكل الحركات اتباعاً لقول ابن خلدون . ولكن عصبية المهدى ليست عنصرية وانما هى عصبية المؤمنين به ، وعصبية الاسلام كانت للرسالة ولم تكن لعنصر . وكون المهدى المنتظر من نسل الرسول ليست القضية انما مجرد علامة . والمهدى يقول انه من نسل النبى موحياً كعلامة حسبما ورد ولبيان الطهر والصدق وليس لأنه يطلب مؤازرة عصبية آل البيت والذين لم يكن لهم وجود مؤثر فى السودان . ولذلك لا يقبل منطق الضرير برفض مهديته لأنه لا يعتمد على عصبية آل البيت . وانما عصبيته التى يعتمد عليها هى عصبية رجال الدين والذين يصفهم بأن اقامة الدين هى حويتهم التى خلقوا لها .

قصيدة الشيخ محمد شريف نور الدايم

الشيخ محمد شريف نور الدايم ، شيخ الطريقة السمانية واستاذ المهدى ومرشده ، صفا الجو بينه وبين حواره محمد احمد لعشرين عاما ترقى فيه محمد احمد فى مراقى الصوفية على يده حتى بلغ مبلغ الخلافة وتسليك المريدين واكتسب شهرة بعيدة بين السمانية. وقد لحق بأقربائه واستوطن معهم الجزيرة أبا فاتسع نفوذه وطاب مقامه فزين لأستاذه حتى ارتحل الى بلدة

العراديب قريبا منه . وكما يحصل دائما فى الطرق أو بين الاصدقاء بدر خلاف سرعان ما تطور واتخذ أبعاداً بعيدة . وقد ذهب محمد شريف فى تفسيره للخلاف الى أنه تنكر محمد احمد لما أولاه اياه وخروجه عليه ، ثم ادخل فى ذلك امراً جاء بعد الخلاف بسنوات ، وهو المهدية ، اذ قال ان محمد احمد فاتحه بالمهدية فأنكر ذلك منه وطرده . وقال أصحاب المهدى ان الخلاف نشأ من غيرة محمد شريف مما بلغ اليه محمد احمد من الشهرة والنفوذ ، وقالوا ان محمد احمد استنكر من جهة شيخه أموراً لا تتفق مع السلوك الدينى ، منها حفل للختان أولمه بتوسع وسمح فيه باجتماع الرجال والنساء والطرب والرقص. وقد ظل المهدى نفسه صامتا ولم يقل شيئا عن الخلاف وسببه . وليس هناك طرف مستقل او مدرك لما وقع اعطى شهادته اللهم الا ان كان منهم بعض من اخذ منهم ونجت ونعوم واللذين على اقوالهما اعتمد المؤرخون . وقد قام الخليفة رضوان بالدور الأساسى فى مسرح الخلاف مدفوعاً من محمد شريف فيما يبدو . وعلى اثر المناوشات بين رضوان ومحمد احمد واتباعهما انقطع ما كان موصولاً وبدأت العداوة . ومن الجلى ان محمد احمد استنكر انحياز محمد شريف لرضوان وانقطع بسببه ثم طلب الغفران والعودة، ومن الجلى ايضا أن محمد شريف كان هو المشدد فى الخصومة ، ناصر رضوان ، بل وفيما يبدو حرّكه ، وشطب محمد احمد من الطريقة ، واحتج لدى الشيخ القرشى عندما قبله عنده وضغط عليه لفصله ، وحاول بتواصل تأليب الحكومة عليه ثم قام بالتبليغ عنه والالحاح على وضع حدّ له ، ثم واصل روح الخصومة المتأججة فى هذه القصيدة .

القصيدة طويلة طولاً بالغاً بلغ فيما تبقى منها ٣٢٣ بيتاً . فهى من أطول الأدبيات الشعرية فى السودان . وقد تناول فيها أغراضاً كثيرة يمكن اختصارها فى هذه النقاط :

١- وضعه - أى وضع محمد شريف - الأسرى ومكانته العالية صوفياً واجتماعياً .

٢- أجداده ودورهم فى الوعظ والارشاد والحكم قبل ذلك .

٣- علاقته بالحكومة فى الخرطوم والخديو بمصر .

٤- ولاؤه للنظام المصرى والخلافة العثمانية ووصية أبيه له بذلك .

٥- العلاقة بينه وبين محمد احمد عندما كان مريداً عنده .

٦- أسباب الخلاف بينهما .

٧- مآخذ السودانيين على الادارة المصرية مما كان سبباً فى الثورة عليها .

٨- ترشيح الزبير باشا لقيادة الحملة ضد المهدى وتقديم نفسه لقيادة حملة للقضاء على المهدى.

٩- القادة الذين يقفون داعمين للمهدى .

١٠- تصويره للمهدى كاذباً فى دعوته وفاسداً فى دينه وحكمه وكونه - أى محمد شريف نفسه - هو الأولى بالمهدية بحكم مرتبته الدينية .

١١- استغاثة .

ويضاف الى ذلك أسماء العلماء الذين قرظوا القصيدة .

وقد سلك الشيخ فى النظم مسلك العلماء الذين يعنون بالغرض ورصد ما يتصل به من الأمور بأكثر مما يعنون بالوزن والقافية والوجدان . وفى أخذه على المهدى يضخم سلوكه عنده عابداً وخادماً له ، وأحياناً يضع ذلك فى موضع الاحتقار ، ثم يضخم تنكره له ويسئ إليه فى أصله ومهنة آبائه وفقره . وقد كذبه فى كل ما دعا اليه ورماه بالفسق والفجور والمروق من الدين والمسلك السوى ، وجعل سبب ذلك كله فى التجبر والرغبة فى الكسب واشباع الرغبة وشيطان من الانس والجن صور له المنقلب ! وقد أسَفَّ فى بعض المواضع اسفافاً لا يليق برجل فى مكانته ، الاَّ أن ذلك مغبة الغضب من رجل عرف بالشدة والاعتداد بالنفس . ولا شك أن نجاح محمد احمد فى دعوته وارتفاعه قد أغاظه وزاد من حنقه .

وقد نظمت القصيدة استجابة لطلب من عبدالقادر حلمى باشا لعلماء الخرطوم للتأليف فى نفى مهدية محمد احمد ، وبينا لا يقول العلماء الآخرون - الغزى والازهرى والضرير - بأنهم كتبوا رسائلهم استجابة لهذه الدعوة فان الشيخ ذكر استجابته صراحة . ولا يوجد للقصيدة نص كامل موثوق به ، وهى لم تطبع بمطبعة الخرطوم الحجرية . انما نقل نعوم شقير فى تاريخه اطرافاً منها، ثم وقفنا على نسخة خطية بطرف الشيخ ضياء الدين العباسى حفيد محمد شريف ، وهى أطول نسخة ولكن سقطت بعض اطرافها . وبطرف الشيخ حسن الفاتح شيخ السمانية القريبية نسخة اخرى . ويقول ناقل نسخة ضياء الدين فى مستهل النص : « وهذه النسخة نقلت سرا بديم

ام درمان سنة ١٣٠٤ من النسخة التي كتبها الناظم بيده بعد ما كادت تضيع من الدفن في الارض كغيرها من الكتب ، وما فيها من البياض فهو مما ضاع في الارض من الأرضة بسبب الدفن». وعلى ذلك فان النقل جاء بعد سقوط الخرطوم واستقرار الحكم بعامين . ولكن القول بأن القصيدة كادت تضيع لا يمكن ان يقبل بسهولة لأن الناقل نفسه يقول بأنها عرضت على علماء وحازت على تقديرهم ، ومن ضمن هؤلاء الحسين زهرا الذى انفصم عن المهدية في تاريخ لاحق . وقد كان الشيخ محمد شريف حياً عندئذٍ ، بل انه عاش حتى ١٩٠٨ ، وبالطبع كان حفيا بقصيدته وبأن يقول ما شاء . ولا شك عندنا أنه كان يحتفظ على الاقل بنسخة كاملة منها وان غيره كان يحتفظ ثم صرف النظر عنها لتغير الحال وبعد المناسبة . وقد رأيت كثيرين يحفظونها غيباً . أو على الأقل اطرافاً منها . وعلى ما ترى فان نسخة الناسخ نسخت من أصل الشيخ في ١٣٠٤ ودفنت وتعرضت الى البلى ، ولما ادركها الناسخ كانت أطراف منها مبتورة . وقد اجتهد الناسخ في النقل وحاول ملء الاخرام في غياب نص آخر يستعين به . أما ناقل نسخة الشيخ حسن قريب الله فقد اعتمد على هذا النص نفسه ولكنه استعان ايضا بمحفوظه او بعون آخرين . واذ أن النسخة الاولى مصدرها الشيخ ضياء الدين حفيد محمد شريف فيمكن الافتراض بأن أسرة الشيخ لا تملك النص الأصلي أو نصاً كاملاً . والى هذه اللحظة لم يصلنا خبر بوجود نص كامل . وقد بحثنا في أضابير دار الوثائق بالخرطوم ودار الوثائق المصرية ولكن بغير جدوى . وحتى يجد جديد تبقى نسختنا باضافات الشيخ حسن قريب الله النسخة الوحيدة المتاحة . وقد بينا في تحقيقنا للنص مواضع السقط والطمس .

وتجئ في نهاية القصيدة أسماء العلماء الذين قرظوها ، وهم : محمد خوجلي حتيك قاضي عموم قبلي السودان (اى الخرطوم والطرف الشمالي من الجزيرة والنيل الأبيض حسب التقسيمات الادارية للسودان في أواخر العهد التركي المصرى) ، الأمين الضرير ، المفتي شاكر الغزى ، المفتي موسى الدليل ، محمد ابراهيم عيسى ، الحسين ابراهيم زهرا – وزاد هنا قوله «بعد رجوعه بقراءة الشيخ محمود الخبير عليه شيئاً من هذه الرائية» – عبد المطلب وقيع الله ، احمد الصاوى عبد الماجد ، حسيب الصديق المجذوب . وهذا يعني – ان صح أنها فعلاً عرضت

على هؤلاء – ان قصيدة الشيخ كانت تعرض على العلماء فى أيام المهدية ، ومع أن ذلك كان سراً فان المرء يتعجب من ضياعها الى هذا الحد . ونضيف الى ذلك أن نعوم شقير وقف عليها واستعان بها . وعلى ذلك لا يكون الضياع الاّ فى مقبل السنوات . ونرجو أن نقف عند اسم الحسين زهرا والقول برجوعه وتقريظه للقصيدة ، ففى ذلك ما يدل على تراجع زهرا عن مواقفه المؤيدة للمهدية ، وانقلابه الى معارضتها ، وأن معارضته وصلت حد معارضة المهدى ومهديته بالمستوى الذى عليه القصيدة من الطعن والعنف ، مع أنه هو نفسه مؤاخذ عليه فى جانب منها . الاّ أن واقعة تأييد زهرا ليست مؤكدة ، وربما زج باسمه لتقوية الحجة على المهدى ، وقد عاون على ذلك مقتل زهرا على يد الخليفة عبدالله ، وما راج من أقوال عن معارضته وندمه على دعم المهدية ، ولكننا لا نجد فى ادبياته ما يذهب الى الطعن فى المهدى فى الوقت الذى يشدد فيه على الخليفة فى قصائده الأخيرة .

وفى ظننا أن القصيدة لم تكن بطولها الحالى عندما نظمت استجابة للموقف وأن أطرافاً منها قد أضيفت فيما بعد . ودليلنا على ذلك أمران ، أولهما أن أطرافها لا تتوالى بنفس واحدة ، بل بها مواضع تنحرف عن المجرى العام للقصيدة ، بمعنى عدم الانتظام فى ترتيب الفقرات ، اما بتكرار ما سبق فى سياقه او بالنبو عن توالى الحقائق . وثانيهما شواهد وقعت بعد أيام عبدالقادر . وازاء النقطة الاخيرة نورد الملاحظات التالية :

١– طلب الشيخ إرسال الزبير باشا ليقود الحملة على المهدى ، وهذا مجاراة لطلب غردون . والأصل فى هذا الموضع هو طلبه ليقود هو الحملة ضد المهدى ، وقد رفض طلبه . وليس منطقياً أن يعرض قيادته وقيادة الزبير فى نفس الوقت . وعلى ذلك فان الاقتراح بمجئ الزبير قد أضيف الى القصيدة فيما بعد .

٢– ذكر الشيخ نيله للباشوية من الحكومة المصرية ، وكان ذلك على يد غردون ، وهذا يكفى لاثبات أن هذا مضاف .

٣– تكلم الشيخ عن الظلم الذى حاق بالسودان وأهله فى العهد التركى المصرى وقال انه كان سبب الثورة ، بل وذهب الى أن الحكام كانوا يَعِدون الخديو على العدل ثم يخلفون الوعد وراءهم

وينصرفون الى جمع المال . والظن أن مثل هذا لا يقال فى ايام عبد القادر ، وانما يقال بعد نجاح المهدية ، ولو قال هذا فى ذلك الوقت لارتكب جرما تطاله العقوبة عليه. ولاحظ أنه فى الخط العام للقصيدة يركز على محاسن الادارة المصرية وما ناله السودانيون من خير وان ذلك معرض للضياع بسبب المهدية .

٤- أشار الى ضغط الأسرة عليه لتعديل موقفه والتوجه الى المهدى حرصا على النفس والمال- فيما اذا صح فهمنا للبيت :

وحاصرنى بالقلعة الطيبية ال   بشير وحاج الماحى للمال والعمر

فان ضغط الأسرة عليه جاء والمهدى فى الطريق الى الخرطوم ، أى بعد مناسبة القصيدة بفترة طويلة .

٥- قوله : وأنبئت أنى لا أموت بسيفه   كما أخبر الكذاب وهو عن خضر

هذا القول لا يقال إلاّ بعد ان تستفحل المهدية ويخشى الشيخ مغبة خصومته .

٦- قال : ويشرب كأس الموت قبلى بدعوتى ، وهذا لا بد أن يكون بعد وفاة المهدى .

٧- القول بأنه لا يفوت المقرن يعنى الاضافة اثناء الحصار أو بعده .

٨- ذكر أن الحكومة عرضت على المهدى التحكيم الى عالم يعاونه بعض ذوى الدراية فى أمر مهديته ، فاذا صحت اتبعوه ، وان لم تصح تخلى هو عنها ، وانه رفض ذلك . وهذا يرجع الى مصدرين ، أولهما ما ذهب اليه احمد العوام عندما أخذ على الحكومة محاربة المهدى دون عرض أمره على العلماء ليبتوا فيه ، لأن الأمر فى الأساس أمر دينى ، فاذا جاء قولهم بتأييده بات على الجميع التأييد ، واذا جاء بغير ذلك بات على المهدى التسليم والاّ وجبت محاربته . والثانى جاء فى منشور علماء الخرطوم ، اذ قالوا تعالوا نحتكم الى العلم فى موضع مأمون ونتبين الحقيقة من خلال النظر . ولكن أياً منهما لم يقدم الى المهدى ، الأول طرحه فى نصيحته ، والآخرون خاطبوا به النجومى وعبدالقادر أم مريوم . وكلتا الحالتان وقعتا أثناء حصار الخرطوم ، والأقرب عندنا أن موقف الشيخ موحى من موقف العلماء ، لاستبعادنا وقوفه على نصيحة العوام أو مجاراتها فيما اذا وقف عليها . وعلى ذلك فان هذا الطرف مضاف أيضا .

٩- ذكر الشيخ عدداً من قادة المهدية ، ولكن بعض من يذكرهم انضموا الى المهدية أو

اشتهروا بعد مناسبة القصيدة ، وبالتحديد :

١- زقل ظهر فى المسرح بسقوط دارفور فى يده ، وكان ذلك بعد واقعة هكس .

٢- محمد الخير انضم الى المهدى بعد مجئ غردون ، وظهر فى المسرح بعد وصوله الى بلاد الجعليين عاملاً من قبل المهدى واستولى على بربر .

٣- احمد الهدى السوارابى أرسل لفتح دنقلا ، وقتل والخرطوم محاصرة .

٤- كرم الله شيخ محمد كرقساوى ظهر بعد سقوط بحر الغزال فى يده وكان ذلك بعد واقعة هكس أيضا .

٥- حمدان ابو عنجة ظهر أثناء حصار الأبيض ولكن شهرته جاءت بعد حصاره واحتلاله لأم درمان .

٦- ظهر عثمان دقنة فى الشرق فى أواخر ١٣٠٠هـ أى بعد فترة من مناسبة القصيدة .

وعلى ذلك يصح لنا أن نقول ان الشيخ وضع أصل القصيدة فى أيام عبدالقادر استجابة لطلبه واشباعاً لرغبته هو فى ايذاء المهدى والنيل منه ومن دعوته ، وأنه اضاف اليها اطرافاً فى أوقات تالية .

ولكن عبدالقادر لم ينظر الى القصيدة نظرته الى رسائل الغزى والازهرى والضرير ، فلم يقم بطبعها ، ربما لأن الشيخ لم يقدم الأدلة على الوجه العلمى - كما فعل العلماء - لدحض مهدية محمد احمد . بل واسوأ من ذلك دعاويه عن نفسه وموضعه الدينى ومواقفه مما لا يقبل فى مطبوعة حكومية ، ولعل أن يكون فى ذلك ما رواه على لسان رجال الدولة ازاء موقفه : المهدى الصغير أهمنا ، فكيف من المهدى الكبير على القطر ! .

ونرجو فيما يلى أن نستعرض بعض اطراف القصيدة استعراضاً سريعاً ودون أن نتقيد بالترتيب :

جاءت القصيدة فى النسخة التى بلغتنا بغير عنوان ، لأن الورقة الأولى منها ساقطة ، وقد سقط أيضا فى هذه الورقة الطرف الأول من عرض موضوعات القصيدة ، وهذا ما قمنا باستعواضه بالرجوع الى نص القصيدة . وقد أشار الشيخ فى نهاية ديباجته الى القصيدة بعبارة «نصيحتنا» ، وقال فى مكان آخر ان عبدالقادر رجاه بأن يكتب « نصيحة مستوفية». وقال موسى

الدليل فى تقريظه بنهاية القصيدة «نصيحته» . ويبدو من ذلك أن الشيخ عنون لقصيدته بعبارة « النصيحة » او ضمن هذه العبارة فى عنوان أطول . ومما يؤيد ذلك تركيزه فى الافتتاح على النصيحة وتكرار صفة النصيحة فى مواضع تالية . والنصيحة عنده مؤكدة بآيات وأحاديث يروى منها حديث « الدين النصيحة » ويعقب عليه بأنه مدار الاسلام لا يتجاوزه ، وأن النصيحة من أحسن ما يتقرب به الأنسان لربه . ثم يقول انه وضع موضع الناصح لأن آباءه وأجداده قاموا « بهداية كل ضال عن مهيع الرشاد » مثل محمد احمد واتباعه ولمعرفته « جميع ما فى السودان من أهل الهدى والايمان والضلال والبهتان» . ثم يشير الى امر محمد احمد فيقول انه عندما تقدم فى مراقى الطريق وشم رائحة نفحات الذكر تجبر وتكبر بتزيين شياطين الانس والجن وشدة الفقر ومرارة العسر فادعا دعواه» ، وهنا لا يذكر لفظ « المهدية » صراحة ، ولكن مراده فيها واضح . الاّ أن الشيخ يجانب الحق هنا ، لأن المهدية لم تكن واردة فى هذه المرحلة ، وانما كان الأمر خلافا داخل الطائفة ، اما بين الخلفاء للتنافس حول الحظوة عند الشيخ والمريدين واما بين محمد احمد وأستاذه بسبب صعود محمد احمد. وكانت النتيجة أنه خالف أمره وخرج عن يده بالكلية . وقد احتكم فيما يقول فى امره الى علية القوم بالمنطقة فى محاولة لرده عن ادعاء المهدية ، وعرض أن يشاطره فى جميع ما ملكت يداه ان رجع عن دعواه . وفيما يقول فان محمد احمد قام من اجتماعهم لمشاورة اصحابه ولكنه لم يرجع . ولكن ما احتكما فيه لم يكن المهدية ، وانما الصراع الذى دار بين محمد احمد ورضوان والعجب حقار الجضيعى . ولنا أن نسأل لماذا يشاطره فى املاكه فى امر لا يتصل بهذه الأملاك ولا بشخصه او طريقته !

ويصف الشيخ قوة قصيدته وأثرها فى خمسة أبيات فى أول القصيدة وفى ثلاثة أبيات فى آخرها : انها السلاح البتار الذى يقضى على المهدية !

ثم ان عبدالقادر أمره بأن يكتب نصيحة مستوفية تسر العلماء والمتقين وترهب الطغاة والباغين ، وهذا من بحر الابيات فى وصف قصيدته ، فبادر اليها طمعاً فى رضاء الله ورسوله وابتغاء مرضاة الخديو وحتى لا يحاسب او يلام ان هو قعد عن النصح الذى هو جدير به - انظر البيت ١٤ فى موضوع الاستجابة بطلب عبدالقادر .

ويكرر الشيخ مرة واخرى انه صاحب السر والولاية وان كل امر فى يده . ولكنه لم يقل كيف انفلت حواره وكيف رقاه دون ان يدرى عاقبة الامر ! وكيف بالقصيدة الهاماً من الله وقد جاءت بطلب الحاكم ! وقد ذهب فى مواضع كثيرة الى ان المهدية سوف تنتهى بالفشل والهزيمة ، وان من يدعم المهدى سوف يندم على فعلته ، يقول ذلك استقراء بالعقل او بالكشف او بالرؤيا . ثم يذكر اجداده مفتخراً بهم ، عشرة فى خدمة الدين ، ومن قبلهم كانوا حكاماً، وبالأخيرين يعنى بنى العباس . وهو من سلالة العباس عم الرسول وفاطمة بنته. وهذا الوضع هو ما يقابله بوضاعة اصل محمد احمد وصناعة آبائه فيما يقول . ولكن اسرة محمد احمد ايضا من الأشراف ، حسنيون وحسينيون وعباسيون ، وكانوا اهل علم وصلاح ، وفيهم حاج شريف المشهور . وليس فى حرفة النجارة وضاعة ، بل هى من حرف الأنبياء . وفى العلم يقول ان له المكانة العليا وعلم محمد احمد بالنسبة الى علمه كنقطة من البحر .

ثم يذكر موقف ابيه من الخديو وحكومته ، وما أوصاه به من الولاء لها وأنه ظل على هذا الولاء، وما ملكتهم الحكومة من الأراضى فى مناطق النيل الأبيض ، ثم موقفه من بداية المهدية ، وما قدم من تضحيات وما كوفئ به عوضاً عما فقده . ويقول انه طلب ان يقود جيشا لدحر المهدى، وان علاء الدين رفض طلبه قائلا : المهدى الصغير أهمنا ، فكيف من المهدى الكبير ! ولم يشأ هو أن يقوم بغير اذن : « وما طاب لى قط أن أقوم بلا أمر» . ويأتى مع هذه الدعوة اقتراحه بتكليف الزبير باشا رحمة بأمر القضاء على المهدى . ولا شك أن هذا مستوحى من طلب غردون للزبير .

وفى جملة من الأبيات يذكر صلة محمد احمد به ، كيف ومتى جاء اليه ، وكيف لازمه عابداً خادماً ، وكيف اغتر وعصى بأغواء الجن والانس وانعواجه بأول روائح الطريق . وفى موضع تال يذكر نقطة مهمة تتصل بالخلافات داخل اسرته بسبب محمد احمد ، او بسبب هذه الخلافات وتمهيدها لطريق محمد احمد . فقبل البيت ٢٤٦ يأتى عنوان نصه : «فصل فيما جرى عليّ من اخوانى أصحاب المهدى وهم عبدالمحمود والبشير وحاج المهدى وما وافقهم من الاعتقاد» . وازاء ذلك يقول الناسخ فى الهامش : « وهنا ثلاثة ابيات ضائعة من الأرضة بسبب الدفن فى الارض وان وجدت تلحق هنا بمحلها» . ولعل هذا ان يكون صدى لما يقال عن موقف الشيخ عبدالمحمود نور

الدايم الأخ غير الشقيق للشيخ مناصرة لمحمد احمد أو اعتراضاً على الحد الذى بلغه الشيخ من الصرامة حياله . وقد توحى خطورة هذا الموقف بأن الناسخ قصد ان يطمس هذا الأمر - تفاديا للحرج - فحذف الأبيات بحجة ضياعها بفعل الأرضة .

وبعد ان يذكر مظالم الترك فى السودان وفظائعهم يعفى الخديو من التبعة ، لأن الحكام يعاهدون الخديو على العدل ثم يتركون الوعد عند وداعه ويأتون لجمع المال بالظلم والجور . وقد ذهب شبيكة الى نفس التبرئة للخديوين . وفى عدة أبيات يمدح مصر وافعالها ويمدح السلطان العثمانى ، ويذكر أنه يأتى فى مجلسه النيابى الذى كونه بمن ينوبون عن مصر والشام .

ثم يذكر سنده ، فهو أخذ عن أبيه فى مكة ، وقد الزمه بالشرع والذكر وعاهده بالروضة فى المدينة بطاعة السلطان . ثم تمم له فى المدينة القطب أبو الحسن السمانى وسلمه أمره فقام به مأذونا منه فى كل مذهب وفى الطرق السبع وفى مطلق الذكر وفى كل ما أتى به المختار ، وهذا ادعاء واسع . ولا يذكر هنا - بالطبع - أخذه هو ووالده الشيخ نور الدايم عن الشيخ القرشى كما يجئ فى سلسلة محمد احمد فى تخليف احد المريدين . ويقول الشيخ عبد المحمود نور الدايم فى كتاب «ازاهير الرياض» انه اخذ على الشيخ القرشى ثم رجع الى نسبته فى الطريق الى ابيه (٣٠) .

ويورد الشيخ جملة من المآخذ على المهدى ويحكم بها عليه بالخروج ، وهى :

- غشه لمن تبعه من الجهلاء والمفسدين بدعوى المهدية .
- ينسب أكاذيبه الى التلقى عن الله وعن الرسول والخضر .
- الوعيد بالخسف والمسخ لأعدائه ، وهذا كذب .
- كم من قدير من سلاح ومن تبر ، ولم ندر ما يعنى به الاّ ان يقول انه لم ينتصر لصلاح أو مهدية وانما لما حصل من السلاح والمال فى جبل قدير !
- أحل لنفسه زوجات الآخرين بغير عقد .
- الفصل بين الزوجين اذا تخلف أحدهما عن اتباع المهدى .
- زعمه بأنه سوف يصلى فى كل الجوامع حتى المسجد الأقصى .
- ادعاؤه أنه المهدى منتظر الورى كذباً .
- مخالفته لعلامات المهدى فى الجسم والاسم والسلوك ، ولم يفصل الأمر كما فعل علماء

الخرطوم فيما رأوه مخالفاً للأوصاف .

وفيما سماه شريعته أورد المآخذ التالية :

– يبغض أهل العلم وأولى النهى ويهوى شرار الناس .

– ما حرمه من المباحات، وما أباحه من المحرمات ، وما نهى عنه من الجائزات والواجبات، وتحت هذا الباب أتى بالآتى : ينهى النساء عن التزين بالحلى ، ومن تخالف ذلك ينتف شعرها ، ينهى عن التنباك كأنما وردت حرمته قاطعة ، ينهى عن العمل للدنيا كالتجارة والزراعة ، وكل عمل وانتاج ، ينهى عن المباح ويأمر بالمنهى ، ينهى عن البر والجود ، فساد للديانات كلها ، ينهى عن الحج وزيارة قبر الرسول والدرس والذكر ، يبيح حرام الدين كالزنا وسفك الدماء وارقاق الحر ، ينسخ حكم الله بالرأى والهوى ويامر بالقاء الشريعة فى البحر ، تفضيل أصحابه على صحابة الرسول حتى ابى بكر وعمر ، ارتكاب الموبقات ، اصحابه جهلة لا يعرف الواحد منهم غير اسمه ، لا عهد لهم ، يشربون الخمر ، يأتون الفواحش (وهنا أسف فى القول) . وهكذا يقدم الشيخ هذه القائمة الطويلة من المآخذ ، ونحن ليس من همنا أن نناقش ، او ان نؤيد او نكذب ، وانما اردنا ان نبين رأى الشيخ كما عرضه .

ثم يأتى بعلامات الساعة ومسار المهدية ، لا أخذاً من العلماء ، وانما اخذاً فيما يقول من النبى مباشرةً . ولاحظ أنه يأخذ من الرسول كما فعل المهدى ! وانما قال علامات الساعة لأنها مرتبطة بالمهدية لكون المهدى يظهر علامة للساعة. وهو يدحض مهدية محمد احمد ويضع مهديته ، لأنه كما يقول فى مكان آخر الأولى بالمهدية . يقول : يكون الأمر بيد الترك كما هو حالاً ويسميهم ملوك البسيطة وعمارها بالخير والبر . واذا كان كذلك فكيف الخطو الى الفساد الذى يعم قبل ظهور المهدية . الخطوة التالية هى خطوة محمد احمد وأتباعه من البقارة ، يقول : « ولا بد أن تأتى من الغرب عالة حفاة عراة كالبهائم فى القفر يؤمهم الأصهب وأن خروجه يكون من جزيرة منشأ الجور» . ثم يأتى فى الخطوة التالية زمان الهاشمى ، أى زمانه . ثم فى الخطوة التالية يظهر السفيانى بالظلم والجور ، وبعده الخطوة الحاسمة بظهور المهدى المنتظر « مولى الهدى .... بآياته الغر » .

أما أوصاف المهدى وعلاماته فهو يذكرها على هذا الوجه :

- انه من نسل فاطمة والعباس .
- له آيات وخرق عوائد تدل على انه المهدى دون قتل الناس او اسرهم .
- يحيى الموتى كعيسى .
- يدرى ما كان أخفى السر .
- يخضر فى كفه اليابس .
- ينادى مناد من السماء عليه بالهداية والخير .
- الاقتفاء بالرسول .
- يألفه مستوحش الصيد والطير .

وبعد المهدى يأتى مسيح الضلالة ، وهو الأعور الدجال ، بالملك والقهر . ثم يأتى عيسى بشرع محمد على اثر المختار فى الأمر والنهى . ثم يظهر يأجوج ومأجوج ، وهم من نسل آدم . تطلع الشمس من الغرب ويغلق باب التوبة ، تظهر الدابة التى بها نطق القرآن ، الخسفات الثلاثة ، خروج النار من قعر . وبعد مضى الأشراط يكون يوم القيامة ومقداره خمسون الف سنة على الفجار وعلى المؤمنين كوقت صلاة ، وهو يوم الهول ، ويشفع النبى فيعطيه الله وعده فى سورة الضحى: «وللآخرة خير لك من الأولى» .

وفى النهاية يحذر اهل السودان من مغبة اتباع محمد احمد وان عليهم اذا جاءهم هذا الانذار الا يجهلوا قدره لأنه مهتد بنور العلم والذكر ولا يتوهم بالسراب ، وان عليهم طاعة السلطان ، واذا كان الأمر بالعلم والشريعة فهو الأولى بحكم انه شيخ محمد احمد والذى هو بالنسبة اليه كنقطة من البحر . ثم يبين نهاية المهدية بعلامة قرآنية هى : «ليستخلفنهم» ، وصورة النهاية ان اهل الرياسة فيها سوف يختلفون عندما يأتى اليوم الموعود ويهزمهم جيش السلطان ودول اخرى ، ويرجع من ينجو من المفسدين الى غربهم فى فرقتين ويطاردهم اهل محبته - اى اتباع الشيخ - بالطعن والقتل والاسر .

وقد يؤخذ من كلامه عن المهدى والدجال وعيسى واشراط الساعة بالوجه الذى اورده انه اخذ ذلك من ابن خلدون .

الرد على العلماء

رفض المهدى الشروط والعلامات الواردة فى المهدى المنتظر باعتبار انها من وضع المتحدثين ، ولأنها متناقضة ، ولأنها مقيدة لقدرة الله تعالى القادر على ان يبعث المهدى متى يشاء واينما يريد وكيفما يختار . وقد دعم منحاه هذا بعبارتين نقلهما من محى الدين بن عربى واحمد بن ادريس تفيدان بأن المهدى يظهر بخلاف ما تصوره المتحدثون . وهذه خطوة جريئة لأن الناس سلموا بهذه العلامات حتى اصبحت موضع الحقيقة الثابتة . فالخروج عن هذا الامر المتفق عليه ليس امراً عادياً وانما هو جراءة . ثم انها خطوة متقدمة ، لأن هذه الشروط والعلامات تمثل فى الاصل اطروحات الاحزاب التى تنافست فى صدر الاسلام من أجل الوصول الى الحكم ، وهى بالتالى اطروحات محلية وحزبية ومنقطعة بزمنها . وابعاده للعلامات أعطاه الحرية ليتحرك وفق ظروفه ومعطيات مجتمعه . ولكن يبدو ان النقد المنظم الذى وجهه علماء الخرطوم حول مهديته قد أثاره ونبهه الى ضرورة معالجة تأثير هذا النقد القائم على عدم توافقه مع العلامات والشروط التى اضحت بتواترها مدى العصور قواعد ثابتة .

وقد عبر المهدى عن سخطه على نقد العلماء فى خطابه الى اهل الأبيض حينما حل بجوارها بقوله : « ولا تغتروا بالخطب التى الفها فى ذمنا وتكذيبنا علماء السوء كأحمد بن اسماعيل الولى وحسين مجدى والمفتى شاكر ومحمد ولد حتيك وولد الدليل وامثالهم ممن وقع فى عرضنا ، فهؤلاء ممن ادخل الله فى قلوبهم النفاق بحب المال والجاه . وقال صلى الله عليه وسلم : حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل . وجاء فى الاثر : اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم . وجاء فى بعض الكتب الالهية : لا تسال عنى عالما اسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق محبتى اولئك قطاع الطريق على عبادى . ولا يخفى عليكم ان العلماء ينكرون كثيرا من امور المهدى لانه ليس على معتقدهم الذى يظنونه ولأنه يخالف «مذاهبهم » الخ .

وقد اتجه بعد واقعة شيكان الى ان يكون الرد على العلماء بنفس اسلوب العلماء وان يكون كاملا ومستوعباً لكل الامور التى اثارها هولاء . وكانت الخطوة الأولى تكليف الحسن سعد العبادى الذى انضم اليه بعد هذه الواقعة بوضع كتاب يرد على المآخذ ويدلل على صدق مهديته . ثم عهد بنفس

المهمة الى الحسين ابراهيم زهرا. ومن هنا جاء المؤلفان المهمان «الانوار السنية» و«الآيات البينات»، غير ان للأخير أدبيات اخرى .

وكمثال لمأخذهما نورد العبارات التالية من الحسين زهرا :

يقول فى منشوره الى اهل النيل الأبيض والنيل الأزرق : « واما نصائح اهل البدعة التى وضعوها نظرا لما جعل لهم من المالية ، وقد صدوا بها كثيرا من الناس الضعفاء الايمان ، وهم الأعمى بصرا وبصيرة ، وتلميذه عوض الذى لم تكن فيه شائبة من شوائب الحرية ، وكذا ابن حتيك ومفتياه موسى السامرى والمجدى وابن القبة وابن برى وغيرهم من الاراذل المتطفلين للبرية » . ويقول فى التعقيب على نصيحة العوام : « الشيخ محمد الامين رئيس ومميز علماء السودان ، أقول : لا أدرى فيم هذه الرئاسة وهذا التمييز ، فانه لم يظهر له اثر منذ نيط به اسم هذه الوظيفة ... ولم يميز فى دين ولا دنيا ولا أزال عن احد من المسلمين فعلاً لا ولا غياً » .

وننتقل الى التعريف بالحسن العبادى والحسين زهرا ووصف بيانهما فى الرد على العلماء واثبات مهدية المهدى :

الحسن سعد العبادى

ولد الحسن سعد محمد العبادى فى بربر فى ١٨٤٤ ، وهو ينتمى الى قبيلة العبابدة وينسب الى الرباطاب بأمومة ابيه . وله اسرة ممتدة من الأحفاد من بينها شخصيات مهمة . ونحن لا نعرف عن حياته قبل المهدية الا زمالته مع المهدى فى خلوة الشيخ محمد الخير فى الغبش لثلاث سنوات . وقد انضم الى المهدى بعد هزيمة هكس فى شيكان فى ٤ محرم ١٣٠١هـ . ويبدو انه شرع على التو فى تأليف كتابه «الانوار السنية» لأنه فرغ منه فى ٥ رمضان ١٣٠١هـ ، اى بعد ثمانية شهور من هذه الواقعة . ولا شك عندنا انه وضع هذا الكتاب بتدبير المهدى ليواجه حملة علماء الخرطوم على مهديته ، وقد وقف عليه واجازه وتولى الخليفة طبعه بمطبعة المهدية الحجرية . وقد عينه المهدى اميرا على عبابدة بربر وألحقه بعامله محمد الخير ، ثم عينه الخليفة عبدالله فى ٣ رمضان ١٣٠٢هـ عاملاً على ابى حمد ووضع تحته كافة قبائل المنطقة باستثناء الرباطاب الذين ظلوا تحت قيادتهم التاريخية خوفاً من انعكاسات ضمهم الى قيادة اخرى . وقد خطا الخليفة هذه الخطوة اعتماداً على

ما زينه له الحسن بأن اهل المنطقة مؤيدون لتوليته عليهم . وفيما يبدو فان هدف الخليفة البعيد كان دعم تحريكه لقبيلة العبابدة فى جنوب مصر بقيادة الحسين خليفة ليكونوا نقطة انطلاق المهدية فى مصر ، ولا شك ان تعيين عامل من العبابدة فى ابى حمد والذى هو نقطة الالتقاء بين هؤلاء والسودان كان مما يقرب نحو هذا الهدف .

الا ان تولية الحسن حركت عصبية الرباطاب فتكتلوا ضده وقاطعوه حتى فى الصلاة واتصلوا بالخليفة محتجين . وقد استنكر الحسن غضب الرباطاب ووصفه بأنه الميل الى عصبية الطين – اى العصبية للدم – بدل عصبية الدين ، ولا شك أنه أصاب من حيث ارتكانه الى مضمون عقد المهدية ، الا ان الخليفة مال الى مصلحة الدين لتغليبه اهمية تأمين بغاز ابى حمد من مخاطر الغزو من الشمال والشرق عبر دروب العبابدة والبشاريين وبالتالى رفع الحسن وجعل العمالة لدقرشاوى ابى حجل والزمه والزم اهله بالمحافظة على البغاز .

رفع الحسن عن عمالة ابى حمد فى غرة القعدة ١٣٠٢هـ وضم الى النجومى الذى كان يتولى قيادة جيش الشمال ، ولكننا لا نعلم ما تم . وفى اواخر ١٣٠٤هـ – اى بعد عام – تم تعيينه اميراً على عيتباى وسواحل البحر الأحمر فجاهد فى ظروف حرجة امام نفوذ المخابرات المصرية ومعارضة قبائل ذات نفوذ وقلة ما بين يديه من قوة ، وكان مع ذلك مؤملاً انشاء عمالة مستقرة تدين بالولاء للمهدية وتنشيط التجارة مع الحجاز واستجلاب السلاح ، ولكن الخليفة ادرك صعوبة وضعه بغير طائل فأمره بالعودة برجاله من المنطقة فعاد الى ابى حمد . وهنا تجدد العراك بينه وبين قيادة الرباطاب . وقد اختلف لأسباب غير معروفة مع الخليفة وهرب الى الحجاز حيث انشأ فى مكة خلوة للتعليم . وقد بقى بالحجاز حتى سقطت المهدية فعاد والتحق بخدمة القضاء الشرعى وعمل لسنوات. وقد توفى حاجاً فى ١٩٠٣م .

كان الحسن عالما جليلا قوى التحصيل وجيد الانشاء فيما يشهد له كتابه . وكان ممن اخذ عليه العلم القاضى عبدالله احمد يوسف مؤلف «كتاب النخيل» . وكان الحسن من اتباع الطريقة التجانية ، وقد استوظف ادبياتها فى تناوله للولاية فى كتابه .

وضع الحسن كتابه «الانوار السنية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهدية » للرد على

هجوم علماء الخرطوم على مهدية المهدى وتكذيبها ، ويقف هذا العنوان الذى جعله لكتابه شاهدا على هذا الغرض . وقد حظى بقبول المهدى ، ثم طبع فى ٥ القعدة ١٣٠٥هـ فى مطبعة المهدية الحجرية . وقد عنينا بهذا الكتاب فعرفنا به وبمؤلفه فى كتابنا «الحركة الفكرية فى المهدية» لأهمية موقعه فى المطارحة التى قامت بين المهدى وخصومه ، ثم خصصنا كتابنا «العالم المجاهد الحسن سعد العبادى – كتاب فى الولاية والمهدية وامارة فى عيتباى» لدراسة موسعة ، وقد ضمناه كتاب «الانوار السنية» محققاً .

يبلغ كتاب «الانوار السنية» فى تحقيقنا ١١٨ صفحة ، وهو أطول ما صنف فى المهدية . ويتناول الطرف الاول منه الولاية وماهيتها وشروطها وموقعها . ويتناول الطرف الثانى المهدية فى عمومها ثم مهدية مهدى السودان والرد على المعترضين عليها .

استهل الحسن كتابه بخطبة ومقدمة قدم بهما القضايا التى يتناولها كتابه والغاية التى ينشدها منه . ثم خصص الباب الاول منه للتحذير من انكار المهدية على المهدى بالنظر الى اهليته ومقامه الدينى ، وخصص الأبواب الثانى والثالث والرابع للولاية . اتى فى الباب الثانى ببيان حقيقة الولى وشروطه ، وبه يحاول ان يثبت وجود الولاية ليدعم ولاية المهدى وترقيه الى أعلى مراقى الولاية ثم صعوده الى مرتبة المهدية . وفى الباب الثالث تناول ثبوت الكرامة لاولياء الله ، وهذا يقود الى الباب الخامس فى فضائل المهدى والى السادس فى كراماته . وفى الباب الرابع يتناول ثبوت رؤية الولى للرسول وتناول الاحكام منه ، وهذا هو عصب قضية المهدية ، وعليه اعتراض العلماء ، وحتى اذا قبلوا رؤية الولى للرسول فانهم لا يرتبون عليها حكما شرعيا باعتبارها حلماً ، وذلك لوجهين من الاعتراض ، اولهما ان الانسان ينقصه الثبات فى الحلم ولا يقبل ما يأتى منه ، وثانيهما ان الرؤية تجربة شخصية – اذا اتت – ولا تلزم غَير الرائى بنتائجها. ولكن الاولياء لا يعتبرون رؤيتهم للرسول وتلقيهم عنه حلما وانما يقولون انهم يرونه يقظة ، وهذا ما عليه الحسن . فاذا اثبت مقولة الاولياء فانه بالتالى يثبت للمهدى رؤية الرسول وتخليفه على يده وتلقيه الاحكام عنه ومصدر مؤهله الدينى العالى الذى يجعله فوق كل العلماء والأولياء . وبالحق فان هذه هى القضية الرئيسية لمهدية الصوفية .

وفى الفصول الخامس والسادس والسابع يتناول المهدية : الباب الخامس فى فضائل المهدى ، والباب السادس فى كراماته . اما الباب السابع ففى الرد على الحكام والعلماء الذين طعنوا فى المهدية ، وهو أهم فصول الكتاب وأطولها ، ويبلغ فى تحقيقنا ٥٨ صفحة . وقد جاء هنا بكل ما اعترض به المعارضون ، وكان مصدره رسالة المهدى الى يوسف حسن الشلالى الذى رد فيها المهدى على اعتراضاته ورسائل علماء الخرطوم وما يروجه المعارضون ومشاهداته الخاصة . وسبيله ان يثير الاعتراض ثم يرد عليه . وخلاصة رأيه بعد هذا العرض هى ان المهدى جاء كاملاً مستوفياً لشروط المهدية وعلاماتها حسبما روتها المصادر بحيث لم يترك فرصة لمنتقد الا اذا كان على ضلال مبيت . وقد تقصى القضايا المتصلة بمهديته بتفصيل معتمداً على أوجه الاعتراضات وعلمه بماهية المهدية وذهن نير يستوعب الشواهد والأدلة طوعا ويبلغ بها ما يريد . وهو قادر على التحكم فى الروايات على تناقضها واضطرابها وبعدها عن ارض السودان . ولكن الحيلة تخذله فى بعض المواقف – كما خذلت الحسين زهرا من بعده – لأن بعض العلامات مخالفة لحال المهدى . وقد ركب الحسن الشطط ليقول ان المهدى يشبه الرسول فى خلقه ولونه مع ان المهدى شديد الاسمرار بالمقارنة الى سمرة العرب التى يبنى عليها . ولا بد ان نلفت نظر القارئ هنا الى ان المهدى رفض العلامات والشروط التى عليها العلماء من الناحية المبدئية وبالتالى لا يبين اين اتفق حاله معها واين افترق . اما الحسن – ومن بعده الحسين زهرا – فان مهمتهما هى التوفيق بين حال المهدى والشروط والعلامات الرائجة ليدللا على ثبوت المهدية من واقع منطق العلماء المعارضين .

وقد التفت الحسن الى وضع العالم الاسلامى وما اصابه من وهن وتأخر وتغول اوربا عليه بالتوسع ، وفساد الخلافة العثمانية ، ومن دونها الخديوية ، وتنحيها عن الشرع واعتماد التشريع الوضعى محاكاة لأوربا وتعرض المجتمع الاسلامى الى مؤثرات أوربا وهبوط السلوك الخلقى وحاجة المسلمين الى الاتحاد ونظام يقوم على الاسلام والى قيادة اسلامية جديدة مؤهلة للارتفاع بالمسلمين ومواجهة التغول الاوربى ووجوب الجهاد على كل المسلمين وما يتصل بالسودان واحواله وما ادخله الترك من مفاسد وما استحدث على ايديهم من مساوئ وفظائع . وقد شدد الحسن فى

مؤاخذة حكم الترك عموما وفى السودان خصوصا .

وقد ذهب الى انه كان يتعين على المسلمين بالنظر الى حالهم هذا - حتى وان لم يظهر المهدى - ان يجاهدوا لازالة حكم الترك الفاسد وصد التغول الاوربى وان يقيموا دولة الاسلام على اصولها، ولكن الفرصة التى انتظرها المسلمون طوال تاريخهم لتجديد دينهم وبث الروح فيه قد اتيحت الآن بظهور المهدى . وها هنا يتفق الحسن مع العوام الذى كان متيقظاً مثله لخطر اوربا وتدابير الانجليز نحو مصر والسودان فى عرضه لازمة المسلمين والحاجة الى امام مسلم عادل تتوفر فيه الشروط وضرورة اتحاد المسلمين حوله واستنفار طاقاتهم لجهاد الكفرة ولكنه يفترق عنه عندما يسلم *للمهدى بالقياد بينما يركز العوام على الحاجة الى قائد سواء كان المهدى هذا* او غيره وذلك لأنه لا يلزم نفسه بمشروع المهدية الدينى .

وشاهد الأمر مما قدمنا ان الحسن استوفى النظر فى علامات المهدى المنتظر وشروطه ومطابقتها لحال المهدى ثم وضع القضية كلها فى اطار وضع المسلمين عموما واهل السودان ومصر خصوصا . وها هنا يظهر فارق الوعى بينه وبين العلماء الذين يجمعون العلامات والشروط ويرتبونها نقطة نقطة للوصول الى عدم المطابقة دون نظر الى الوضع العام . وقد ايدوا الخلافة العثمانية والخديوية بمسلمات شكلية واعتبروا الخروج عليها كفراً .

الحسين ابراهيم زهرا

يعتبر الحسين ابراهيم زهرا أشهر علماء المهدية وفى الصف الأول من شعراء الفصحى فى السودان ، وقد احتل مواقع مهمة فى المهدية كان آخرها منصب قاضى الاسلام . وقد أسهم فى بناء المهدية بآثاره القلمية شعراً ونثراً ، وكان له طرح علمى برز به بين المتحدثين عن مهدية المهدى المؤيدين والمعارضين . وبالنظر الى ذلك خصصنا له حيزاً فى كتابنا «الحركة الفكرية فى المهدية» ثم وضعنا كتاباً كاملاً عنه وهو « عالم المهدية الحسين ابراهيم زهرا واعماله» عرضنا فيه حياته وشخصيته وأفكاره ومواقفه وجمعنا فيه أعماله محققة ومقومة . ثم حققنا كتاب «نصيحة العوام» ونشرناه ، وفيه تعقيب الحسين على النصيحة ، وهذا يريك مقدار همنا بآراء هذا الرجل والوضع الذى نراه له فى فكر المهدية .

ولد الحسين فى قرية ام عضام بشمال الجزيرة غربى الحصاحيصا فى ١٨٣٣فى اسرة جمعت بين الزراعة والعلم ، وذلك بأحد عشر عاما قبل مولد صنوه الحسن العبادى . وقد تلقى تعليمه فى خلوة ابيه وخلاوى اخرى بالمنطقة ، ثم التحق بالأزهر الشريف بمصر وقضى به اعواماً نال فيها قدراً عالياً من التحصيل . وكان من بين ما درس المنطق ، وهذا ما عاونه فى حواره ودفعه لما ينكره العلماء فى امور المهدى . وبعودته من مصر انشأ مدرسته فى مدينة المسلمية ، والتى كانت مركزاً تجارياً مهماً ، وتخرج على يديه كثيرون فى فترة قد تبلغ نحو ١٧ عاما ، ومن هؤلاء عدد من مشاهير علماء السودان . وقد ذاع صيته العلمى وارتفعت مكانته الاجتماعية . ولما جاءت المهدية أيدها بغضا فى الادارة التركية القائمة ورغبة فى اقامة الشرع وكتب رسائل يدعو فيها الى تأييد المهدية ودعمها وكتب قصائد فى مدح المهدى وكتاب «الآيات البينات» دفاعاً عن مهدية المهدى وعقب على نصيحة العوام ليجر هذه النصيحة من موقعها المستقل الى جانب المهدية . وكان من مواقفه المهمة دعوته بأن يكون للعلماء موضع مهم فى المهدية وان تكون المواقع القيادية لهم لعدالتهم ، وحرصه على العلم وضرورته على عكس التيار الشائع فى المهدية مشايعة لمهدى الصوفية والقول بالختم والتلقى المباشر عن الرسول . وبعد سقوط الخرطوم وجهه المهدى على رأس وفد للاشراف على تسليم مدينة كسلا . وبانتهاء هذه المهمة سلم امور المنطقة الى عثمان دقنة عامل عموم الشرق وعاد الى ام درمان . وقد اسهم بالنظر فى بعض القضايا ، وكان منها قضية وادى شعير المشهورة. ولكننا لا نعلم ان كان معينا فى سلك القضاء او استدعى للنظر فى هذه القضية وحسب. وقد تبين انه لا أساس للقول بأن موقفه فى هذه القضية كان سبباً فى اعدامه لأن القضية سبقت الاعدام بأعوام فضلا عن ان الحسين لم يكن معترضاً على الحكم بل كان شريكا فيه .

وقد استدعاه الخليفة ليلقى دروساً فى الفرائض والحديث فى مسجده ، وربما فى موضوعات اخرى ، فقام بهذه المهمة لسنوات . وفى نهاية المطاف صار قاضى الاسلام بعد اعدام القاضى احمد على الذى تمتع بنفوذ واسع وقرب الى الخليفة حتى تمكن خصومه من تصفيته . وجاء الدور على الحسين نتيجة لخلافات فى اداء القضاء واحكامه فحوط ومات صبراً على نحو ما حل بالزاكى طمل والقاضى احمد على . وكانت وفاته فى ١٨٩٥م .

ان الأدبيات التى تناول فيها الحسين فكرة المهدية هى : رسائله المحررة الى جهات ، وكتاب «الآيات البينات فى ظهور مهدى آخر الزمان وغاية الغايات » ، وتعقيبه على نصيحة العوام ، وشعره .

اما شرحه لراتب المهدى فقد اقتصر على تناول الراتب باعتباره ادبا تعبديا ولم يتعرض الى فكرة المهدية .

وجاءت الرسائل المحررة الى جهات فى اوائل المهدية ، وهى موجهة الى العلماء اساساً وعموماً الى الجمهور . ومحصول الحسين منها ان امر المهدية امر شائك يصعب تحديد موقف ازاءه . ولكنه يقف بجانب المهدى ويدعو الآخرين الى هذا الموقف ، ونقاطه الرئيسية هى :

١- ان المهدى عريق النسب - ويعنى بذلك انه من سلالة الرسول لأن هذا من شروط المهدى الأولى - وقويم الخلق ، فلا مجال للشك فى صدقه ومنع عطاء الله عنه .

٢- ان الناس اختلفوا ازاءه فصدقه بعض وانكره بعض وتحير فيه بعض ثالث .

٣- لم يصل هو الى يقين ازاء مهديته ولكنه يقف الى جانبه ليكون له شرف اتباع المهدى المنتظر ودعمه فيما اذا ثبت انه المهدى حقاً وليكون له الاسهام فى القضاء على حكم الترك وبناء دولة الشرع اذا ثبت انه ليس المهدى .

وفى كتاب «الآيات البينات» بين انه وصل الى اليقين بمهدية المهدى لما ظهر من ظواهر الكون كظهور النجم ذى الذنب وتوالى انتصاراته بما لم يقع لاحد من قبل وبالذات انتصاره فى شيكان ، وقد اعتبر هذا الانتصار مصداقاً لنصر الله للمهدى وبالتالى علامة لمهديته . ثم دلل فى كلام طويل على مهدية المهدى .

وفى تعقيبه على «نصيحة العوام» والذى جاء وضعه بناء على توجيه المهدى ليجر العوام من موقفه الأقسط الى جانب المهدية باظهاره كمن يؤمن بمهدية المهدى ويرد على معارضة العلماء . وقد قام بهذه المهمة بدقة حتى انطلى ما ادخله على العوام على من نظروا فى هذه النصيحة .

وفى قصائده رحلته النفسية : دعم بأقوى ما يكون الدعم فى عهد المهدى ، ثم فتور فى اول عهد الخليفة ثم شك وتوجس ، ثم نكوص وانكار بأقوى ما يكون من العبارات .

وقد حمل على العلماء فى منشوره العام وخص الشيخ الأمين الضرير بالقسط الأكبر من الهجوم باعتبار انه رئيس ومميز علماء السودان بغير استحقاق وربما لقوة رسالته فى دحض المهدية . ثم حمل عليهم فى تعقيبه على «نصيحة العوام» ، وهنا ايضاً يخص الشيخ الضرير بقدر أكبر من الهجوم . وقد اتهم العلماء بأنهم كتبوا رسائلهم فى انكار المهدية ارضاء للترك لا بياناً للحق ومقابل ما ينالونه من مال وجاه .

وبالطبع فان مؤلفه المهم فيما نحن فيه هو « الآيات البينات » والذى وضعه ، فيما نرى ، بتكليف المهدى ليدحض أقوال العلماء فيه . وقد جاء مؤلفه بعد «الانوار السنية» للحسن العبادى ، وهذا مؤكد من اشاراته الى هذا الكتاب . وخطة زهرا هى بيان مهدية ابن عربى كما صورها فى الفتوحات المكية ثم التعرض الى مهدية المهدى على قياسها ، وفى النهاية ينتهى الى ان الامور التى ذكرها ابن عربى منطبقة فى المهدى .

ويبدأ زهرا بيانه بالقول بأن المهدى كامل فى الخَلق والخُلق وحكيم فى القول والفعل وحق فى ذاتياته وعرضياته وأحواله ، وقد ثبت ذلك كله بالمشاهدة . ويستمر زهرا فى وصف صفات المهدى حتى يقول : « فهو المهدى فى خلقه واخلاقه وافعاله وأقواله وجملة أحواله » . ثم ينتقل الى علاماته والتى تتطابق مع العلامات التى يذكرها ابن عربى . ثم ينتقل الى مناقشة القضايا المهمة فى فكرة المهدى المنتظر ، وهى تسعة نعوت حددها ابن عربى ، وهو يتناول هذه النعوت نعتاً نعتاً . ثم ينتقل الى قضايا مهدى السودان الخاصة ، واساس هذه القضايا هو ان هناك علامات تخالف ما عليه المهدى فى الصور المروية عنه مثل الشبه الجسمانى للرسول ومكان المولد ، وهناك علامات لم تحصل مثل الكسوف والخسوف وفق ترتيب محدد فى الأخبار ، وهناك امور تمت بوجه يخالف ما عليه خبر المهدى . ثم يدخل فى تفصيل هذه الأمور موضحاً ومدافعاً فى ١٤ نقطة .

وفى التعقيب على «نصيحة العوام» زاد على ما اخذه من ابن عربى اتصافه بصفة الانسان الكامل حسبما بين مؤيد الدين الحنفى ، ثم استدعى أقوال الجرجانى . وقال حيث ثبتت مهدية المهدى فينبغى النظر فى العلامات والشروط وفق هذه الحقيقة بقبول ما يتفق وحال المهدى ورفض ما يتعارض . وقال ايضا ان المهدى مستثنى من بعض العلامات .

وهكذا ترى ان الحسين ساح سياحة واسعة فى موضوع المهدية ودافع عن علم وتمكن ومقدرة عن مهدية المهدى وان كنا لا نقبل بعض معللاته وتقريراته .

خاتمة :

لقد جاء تناول الحسن العبادى والحسين زهرا لمهدية المهدى فى مستوى رفيع حجة وبياناً ، وبتقصٍ أكثر مما فعل العلماء المعارضون فى الامور والاحتكام الى المصادر الاسلامية والنزول بالمهدية الى واقع المسلمين ، وبذلك اسهما اسهاما بارزاً فى بيان مهدية المهدى وخلفيتها الدينية والتاريخية والاجتماعية ونافحا آراء العلماء بمقدرة وكفاءة رغم ان كثيراً من الاقوال التى استدعاها هؤلاء كانت تصب فى الاتجاه المعاكس ودافعا عن المهدى ورسومه بما جعل له قواما من الشرعة بعد ان كان بيد العلماء مدعياً ، درويشاً ، مخادعاً ، مخرباً . وقد اخذا عن حق وجدارة مكانهما فى الخصومة بأكثر مما للآخرين .

وقد جاء من بعد الحسن والحسين من تناول مهدية المهدى دفاعاً عنها ، مثل عبدالقادر ود ام مريوم و محمد خالد زقل ، ونحن نتعرض الى مواقف هؤلاء فى مواضعها .

محررات الامراء المحاصرين للخرطوم وغردون وعلماء الخرطوم :

ينتمى عبدالقادر ابراهيم ولد ام مريوم الى اسرة المريوماب والذين هم احفاد ولد مريوم المشيخى الذى يذكره كتاب الطبقات بقدر من الاستطراد والذى كان متشدداً فى امور السلوك ومهتماً بقضايا اجتماعية مثل الخفاض الفرعونى . وكان ابن خالة الشيخ خوجلى عبد الرحمن . ومن المؤسف اننا لم نقف على ترجمة عبد القادر فى اى مصدر ، وقد اغفله ريتشارد هِلّ فى قاموسه للتراجم او خلط بينه وبين آخر من التعايشة ، ومع انه صحح الاسم فى الطبعة التالية الى ام مريوم بدل ام مريم فى الطبعة الاولى فان الخلط بين الشخصين بقى على ما هو عليه . ومن الملاحظ انه اورد ترجمة جده حمد ولد ام مريوم تحت حماد، وكدنا نقول فى اول الامر انه اغفل هذا الجد ايضا لأننا لم نجده تحت حمد !

وقد تلقى عبدالقادر تعليمه على يد احمد عيسى الانصارى وتتلمذ على الحسن الميرغنى لفترة طويلة . وقد بنى مسجداً وخلوة للتعليم فى الكلاكلة وتخرج عليه عدد من العلماء كان منهم النذير

خالد . وكان سلفياً فى اتجاهه ولا يقبل الخرافات والدجل . وقد الف رسالتين فى الوعظ وارسلهما لكل رجال الطرق ، وهما : العسل النقيع فى احياء سنة الشفيع وكتاب الدليل الجملى . وله اوراد .

وكان عبد القادر عالماً ويتولى التدريس والقضاء على ايام الترك وعلى صلة بالشيخ العبيد بدر الذى يشير اليه العلماء فى منشورهم باعتباره شيخه . وترد اشارات اليه فى حوادث الخرطوم ايام الحصار ، وعادة يشار اليهٔ بقاضى الكلاكلة ، وهى بلدة بجنوب الخرطوم كانت بلده ومقره وهى تسمى الكلاكلة القلعة ، وفيها وقعت وقائع فى ايام الحصار، وعليها سميت «بوابة الكلاكلة» ، وكانت باباً يفتح من تحصينات الخرطوم جنوبا فى اتجاه الكلاكلة ، وموضعها الآن كبرى شارع الحرية او قريبا منه . وكانت الكلاكلة مكان التجمع الرئيسى للانصار قبل هجومهم على الخرطوم ، وصلى فيها المهدى صلاة الصبح بأنصاره ، ودفع بهم الى المدينة ففتحوها . وفيما يبدو فان عبدالقادر كان يتمتع قبل المهدية بموقع اجتماعى جيد باعتباره عالماً وقاضياً ولكونه من قبيلة مهمة بجوار الخرطوم ، وقد اولاه غردون عناية خاصة وتوقيراً . وفيما يذكر علماء الخرطوم فى منشورهم فانه كان فى اول الامر معارضاً للمهدى لأنه لم يكن فى نظره مستوفياً للشروط والعلامات ، وقد كتب فى ذلك – فيما قالوا – كتاباً الى شيخه العبيد بدر يقول فيه « ان من صدق بمهدية محمد احمد لزمه الكفر لأنه لم يأت حديث ولا خبر ولا اثر الا وهو مباين لخلق وخلق وحلية هذا الرجل ، فيلزم من تصديقه تكذيب الصادق والمصدوق عليه الصلاة السلام » . ولما جاء غردون فى مجيئه الأخير كان لعبد القادر مكان فى ترتيباته لمعالجة وضع السودان ، وقد جعله فى لجنة مع الشيخ الضرير للنظر فى مشاكل اهل الخرطوم . ثم ارسله مع استيوارت فى بعثة عسكرية الى جهات النيل الابيض . ولكن البعثة واجهت فى الدويم هجوماً عنيفاً فعادت الى الخرطوم واخبرت غردون بما جرى . ولكنه على نقيض عشم غردون وتوقع علماء الخرطوم انقلب الى المهدى وهرب ليلاً الى الكلاكلة. ولعله انجر الى التحول ، لأنه ادرك عواقب ما اعلن غردون من سياسات بالغة الخطورة ، وهو فى هذا مثل شيخ الشكرية الذى رفض ان يكون مديراً للخرطوم ومحمد الخير وقادة الجعليين واهل الشمال عموما الذين تحولوا الى المهدى بعد اعلان غردون عما يرتئيه من انسحاب بقوات الحكومة وتسليم السودان لاهله. وقد عسكر على رأس قوة كبيرة فى قرية سليم قرب الشجرة .

وكان مشتركا فى حملة اولاد العبيد بدر على الخرطوم ثم شارك فى حصار ابى قرجه ثم النجومى، وبعد سقوط الخرطوم عمل فى الجبهة الشمالية ثم عمل فى سلك القضاء وشارك فى مجالس العلماء واصبح من الوجاهات الدينية ، وكان فى مقدمة العلماء الذين صدرت ادانة الخليفة شريف باسمهم فى وثيقة مشهورة .

وقد توفى فى ١٩١٧م ودفن بالكلاكلة القلعة ، وله قبة بجوارها مسجد كبير تقام له فيه حولية سنوية .

اما عن الكتابة بين غردن والامراء المحاصرين للخرطوم فكان الامير محمد عثمان ابو قرجه هو اول من بدأها ، وذلك عندما جاء محاصرا للخرطوم بعد ان أسماه المهدى امير البحرين وارسله على رأس قوة كبيرة لمحاصرة الخرطوم بعد انحسار قوة ابناء العبيد ومن انضم اليهم من اهل الجزيرة ونواحى الخرطوم . وقد ورد ذكر جواب ابى قرجه الى غردون فى «تقرير نصحى باشا» عن حصار الخرطوم وفى «سعادة المستهدى» لاسماعيل الكردفانى ، ولكن نص الجواب لم يصل الينا ، وهو ليس من بين المحررات الملحقة ليوميات غردون . وجاء فى تقرير نصحى ان غردون لم يرد على ابى قرجه باعتبار ان « السيد لا يرد على عبده » فيما قال واعاد اليه جوابه ، الا ان ونجت اسقط هذه العبارة فى الترجمة التى نشرها فى مجلة السودان فى رسائل ومدونات .

وعندما جاء عبد الرحمن النجومى الى نواحى الخرطوم محاصرا تبودلت بعض الرسائل بينه وامرائه عبد الله النور وعبد القادر من جهة وغردون وعلماء الخرطوم من جهة اخرى ، انذاراً من الاولين وطلباً للتسليم ورفضاً من الآخرين وتحدياً . ورغم ان المكاتبة ما كانت لتعدل فى المواقف وتثمر بشئ نحو حل فانها كانت ضرورية لبدء التصادم وخلق حالة نفسية وبالأخص التأثير على المحاصرين فى الخرطوم . وقد بدأها النجومى وعبد الله النور برسالة الى غردون فى ١٢ ذى القعدة ١٣٠١هـ يقولان فيها انه غريب بين اهل السودان وان محاولاته لا ترد القدر عن مساره المحتوم ثم يخطرانه بقدومهما بجيش جرار وعدة وعزم ويرجوان ان يسلم لسلامته وسلامة من معه. ثم يذكرانه بمكتوبه الى المهدى عند مجنيه ومكتوب المهدى اليه والمحاولات التى جرت من بعد لنصحه وجره الى السلامة ويقولان انه اعرض عن كل ذلك لغيه وركونه الى الدنيا واستماعه الى

العلماء . وهما ينذران بقدومهما وتوقع وصول المهدى بنفسه بعد ايام ولا بد له ان يسلم او ان يواجه مصيره المحتوم الذى لا مفر منه ويحمل وزره ووزر من معه . وقد تعرضا الى العلماء ورمياهم بالتضليل فقالا : « وخاطبت سيد الجميع عليه السلام بعدم الامتثال مستدلا بآيات قرآنية واحاديث نبوية عن لسان كتُابك وعلمائك الضالين المضللين ، مستندا على ادلتهم التى هى بمعزل عنكم ، ومبناها وحقيقتها الآن فى المهدى عليه السلام واصحابه الكرام . واعلم يا حضرت الباشا ان كافة من معك من العلماء بالقفرة ضالون لعلمهم بالحقيقة وعدم النصيحة لك ، وما ذلك الا لحبهم فى الجاه والمال الذى حازوه منكم بالفن والفساد » . ثم : « ان العلماء الموجودين معك بالقفرة ، وانت مقتد باقوالهم ، جميعهم اولادهم واهاليهم الآن من جند المهدى . وعندما تحصل لهم المضايقة يتركوك وحدك ، وظواهرهم معك وبواطنهم معنا ، واخباركم متصلة الينا بواسطة اهل البندر . فلا يغروك العلماء والتجار والخدما ، فانك عند الوقوع فى القبضة لا يساعدوك ولا يوازروك » .

ثم تلى ذلك كتاب عبد القادر الى غردون فى ١٨ ذى القعدة ١٣٠١هـ ، وفيه يقول انه لم يستجب لندائه بالتعاون بالرغم منْ حسن رأيه فيه ومواقفه الطيبة لأنه آمن بالمهدى وركن الى امر الله ، وهو يدعوه من موقع الحرص وجزاء توقيره اياه ان يراجع نفسه ويسلك طريق السلامة لنفسه ولمن معه لأن مجئ النجومى بعدده وعدته وقدوم المهدى خلفه جعل الامر عليه ملحاً . وقد تعرض الى العلماء وحملهم مسئولية تضليله ، يقول : « وقد تركتم ما اوضحناه لكم مراراً وتكراراً وصرتم تسمعون كلام العلماء الذين غرتهم الدنيا بسرابها اللماع وانستهم انفسهم والمسلمين بخسيس المتاع مع ان عداوتهم وتكذيبهم للامام المهدى المنتظر عليه السلام ثابتان ومنصوص عليهما فى الكتب القديمة ولهم علم بذلك ، وان ضلوا فلينظروا طالعة كتاب كشف الغمة عن جميع الامة للشعرانى . وبالتالى فان استماعه لما يقولون قد اوقعه فى وقائع وخسائر . ثم يقول فى حاشية انه يرسل مكتوبه مع ابنه سليمان وانه رتب مع الامراء سلامة وصول الرسائل .

وجاء رد غردون على رسالة النجومى وعبد الله النور فى ٢٣ ذى القعدة ، وفيه يقول : انه غريب فعلاً ولكن وجوده فى السودان جاء بمقتضى تعيينه من قِبل مصر وبريطانيا ولصداقته وشفقته على المسلمين ، وان العلماء لم يقولوا شيئا عن المهدى الا بمقتضى ما فى الكتب ، وانه لا يمكنهم

ان يعرضوا انفسهم الى النهب والبقاء تحت طائلة احكام المهدى ، وانه يكتب ما يكتب من عنده لا من عالم او غيره ، وانه يتعجب من تهديده بالسلاح وركونهم اليه مع ان المهدى كان يقول بهلاك اعدائه بغير سلاح . اما بالنسبة للاهالى والعلماء الذين معه فانه لا يحجرهم للبقاء معه وبالتالى فان بقاءهم لمعارضة ما يقوله المهدى .

وبالنظر الى ما قاله الاميران وعبد القادر فى مراسلاتهم عن موقف العلماء وضلالهم وتضليلهم لغردون فقد ارسل العلماء رسالة توضح موقفهم من مهدية المهدى وسبب اعتراضهم عليها ونحن نعالج امرها أدناه .

وجاءت المكاتبة الاخيرة من عبد القادر الى غردون فى غاية ذى القعدة ، وفيها انه لم يستمع الى ما وجه اليه من النصح وانه بات منكراً ومكذباً للمهدية ، انه ما حمله على ذلك الا العداوة التى بين المسلمين والكفار واقوال علماء السوء ، وان كل ما يسمعه من اخبار هراء ، وان الانصار على عزم اكيد لدحره ولا نجاة له الا بالتسليم ، وهذا ما يرجوه ان كانت له معه محبة كما ذكر . وهو يرد هديته اليه لأنه رد هدية المهدى ، ويأسف لأنه والمحاصرين معه لا يعرفون احوال الانصار المعسكرين حول الخرطوم وقوتهم .

رسالة علماء الخرطوم

ونأتى الى رسالة علماء الخرطوم والتى يسميها ناقلها بيوميات غردون « جواب محرر » ، وبما ان مادتها أهم مما يكون فى جواب محرر فاننا سميناها رسالة باعتبار انها تتضمن قضايا عامة ، وهى صادرة من العلماء : الشيخ الامين الضرير رئيس ومميز علماء السودان ، وشاكر افندى الغزى مفتى استئناف السودان ، وحسين المجدى مدرس العلم بجامع الخرطوم ، ومحمد خوجلى قاضى عموم السودان ، وموسى محمد مفتى الخرطوم ، وموجهة الى عبد القادر ولد ام مريوم والنجومى فى ٢٣ ذى القعدة ١٣٠١هـ ، وهو تاريخ رسالة غردون الى النجومى ايضا . وظاهر انها جاءت ردا على رسالة عبد القادر الى غردون فى ١٨ ذى القعدة ورسالة النجومى وعبد الله النور فى ١٢ ذى القعدة . وقد اعد مسودتها الأمين الضرير، ونحن نقول ذلك استنادا على الاسلوب ولجوء الكاتب الى مقدمة ابن خلدون ، ويمكن للقارئ ان يرجع الى رسالة الضرير فى المهدية ليرى

مصداق ما نقول . وفى ظننا ان هذه الرسالة من أحسن ما كتب فى معارضة مهدية المهدى وان كنا نرى فيها هنات هنا وهناك مما نشير اليها عند تحليل مادتها .

تبدأ الرسالة بديباجة جميلة قوية ترمى الى الغرض الذى تدور حوله الرسالة ، فالله قاصم من عاند دينه ، والمعاند للدين فيما يعنى العلماء هو المهدى واتباعه ، والسلام على من شادوا قواعد الدين وحفظته وخدامه والمنافحين لما يقوم به المهدى من هدم . انها ديباجة قوية البناء ، وكما قلنا فى موضع آخر فان علماء السودان اجادوا فى ديباجات كتبهم ورسائلهم بدقة التمثيل للقضية المعروضة وجمال السبك . ثم يثيرون هذه القضايا :

١- ان الاسلام قد اكتمل على يد الرسول ، ولا يقبل من بعد قولاً او فعلاً لم ينص عليه فى الكتاب والسنة ، واذا قال احد بالزيادة عليهما فانه يطعن فى القرآن ، اذ بعد الاكمال لا يتجدد شئ . وهذا يتوافق مع رأى اهل السنة الذين يرون ان يكون المهدى مجتهداً وحسب لكمال الاسلام اصلاً. ولكن المهدى لم يطلب زيادة او حذفاً او تعديلاً وانما اراد العودة الى الاسلام كما كان فى عهد الرسول وخلفائه الراشدين بعيداً عن المذاهب والطرق والاجتهادات وما ادخل من البدع والخرافات والمنكرات .

٢- جاء اجماع المسلمين على عدم الاخذ بالرؤيا اذا خالف الشرع ، والذى يقوله المهدى خارج عن هذا الاجماع. ولكن ما يقوله المهدى ليس الرؤيا وانما الحضرة يقظة والأخذ عن النبى مباشرة ، فالعلماء اعوذتهم الدقة هنا ، وكان عليهم ان ينكروا صراحة رؤية النبى مباشرة وترتب الحكم عليها، ولعلهم تفادوا ان يدخلوا فى امر قد يجر الى تفصيل وخلاف .

٣- تجاوز المهدى لحدود المجتهد وشروطه لكونه اولا تصدى لمهمته دون ان يستوفى شروط المجتهد ، وفى كونه ثانيا خرق الاجماع القائم على عدم تكفير من ينطق بالشهادتين ويعصم دمه وماله الا بحق الاسلام ، وحصر حق الاسلام فى الزنا فى حالة الاحصان ، وقتل النفس بغير حق والردة . ولكن المهدى اباح لنفسه تكفير من لا يؤمن به وكل من يخالفه واعتدى على الانفس والاموال . ولكن بلوغ درجة الاجتهاد ليس من شروط المهدى التى يرددها المتحدثون عن المهدى المنتظر ، بل الاصل فى مهدية المهدى انه ليس مجتهداً وانما يعتمد على التلقى المباشر عن الرسول.

وقال بعض المتحدثين انه يحرم على الولى الواصل الاجتهاد . وفى العلامات عند بعضهم ان المهدى رجل عادى ولكنه يتحول فى ليلة الى اعلم الناس . وقد احتج بعض المعارضين على المهدى بأنه خالف هذه القاعدة بتلقيه العلم طالباً وسلك الطريق مريداً .

٤- يعتبر المهدى فى حكمهم مرتداً لأنه فارق الجماعة وشق المسلمين وخرب الديار ونهب الاموال وسلط المسلمين بعضهم على بعض واباح قتل المؤمنين وهتك اعراضهم . لقد فصل العلماء اموراً اخذوها على المهدى ، ولكن هل يمكن من وجهة نظر الشرع ان نسمى من يأتى بهذه الامور مرتداً !

٥- ان غالب من مع المهدى مقهور بالخوف من القتل والهتك والاسر والسلب فيما اذا عارض او حاول الانفكاك . ومما يؤيد هذا ان الكثيرين ممن معه يلجأون الى رعاية الحكومة وحمايتها . فاذا رفعوا عن الناس اسلوب القهر لانفضوا عنه .

٦- ان وصف وزراء المهدى كما اوردها ابن عربى لم يتحقق ، وقد اختلف وزراء المهدى عن هذا الوصف فى كونهم عرباً وزادوا عما اورده عدداً . ولسنا ندرى اى وزراء للمهدى يقصدون !

٧- يستنكر العلماء وصفهم بالضلال وان اصحاب المهدى يعلمون ما لا يعلمه العلماء مع ان بينهم وبين ادنى المعرفة بوناً بعيداً . والا فكيف لا يرون عدم المطابقة فى مسألة الوزراء ، وكيف يصفون الحكمدار بالسعادة مع انهم يكفرونه - ما قاله المحاصرون جائز لان المخاطبة بالوظيفة واللقب من آداب المخاطبة . وقد خاطب المهدى غردون بعبارة « عزيز بريطانية والخديوية غوردون باشا » . وفى حالة اخرى نجد ان الانصار المواجهين لمحمد نصحى باشا فى شندى خاطبوه بعبارة « سعادة محمد باشا نصحى» مع انهم يأخذون عليه موالاته لغردون « الكافر الذى لا شبهة فى كفره وانتم مقرونين به ومنتظرون المدد من الانجليز وهم اعداء الله ورسوله واعداء المؤمنين » .

٨- يكذبون عبد القادر فى قوله بثبوت مهدية محمد احمد عنده من ابتداء ظهوره وانه من وزرائه منذ ثلاثين سنة لأنه يناقض ما اثبته بمكتوب بختمه الى الشيخ العبيد بدر يقول فيه ان محمد احمد باين كل علامات المهدى وان تصديقه تكذيب للرسول فيما ذكر من علامات .

٩- يستنكرون الدعاء للمهدى بعبارة « عليه السلام » ، وهذا موضع خلاف يدور حوله كلام

كثير، وقد تطرق اليه الحسن العبادى فى رسالته .

١٠- ان امر المهدى لم يثبت بمستند قاطع من الحديث او الخبر ، وقد استدعوا هنا ابن خلدون ورفضه للفكرة بحكم انه طعن فى الاحاديث الواردة فيه .

١١- قالوا ان مبدأ امر المهدية من الشيعة ، وهذا مأخوذ ايضا من ابن خلدون . وعلى ذلك وعلى ما سبق فان العلماء يسيرون على وجهة ابن خلدون فى انكار المهدية من اساسها .

١٢- اذا تم القبول بأمر المهدية فان محمد احمد لم يستوف ما قيل فيها ، اذ لم يظهر الخراسانى ولا السفيانى ، ولا الملك الذى يشير اليه بأنه المهدى ، ولم ينحسر الفرات عن جبل من الذهب ، ولا نشر الأمن !

١٣- المهدى لا تدعمه عصبية من اهله ، وهذا ما اخذه الضرير من ابن خلدون فى نشأة الدول . ولكن نشأة الدول شئ ونشأة العقائد شئ اخر . والا فعلى اية عصبية اعتمد الرسول غير عصبية الاسلام . ان عصبية الدين اذا استوت أقوى من عصبية الدم والطين ، اى القرابة والموطن ، وقد نجح المهدى لأنه نجح فى خلق هذه العصبية التى جمعت اشكالا والوانا من الناس تحت عقيدة واحدة .

١٤- طعنوا فى نسبة المهدى الى الاشراف ، وذهبوا فى اطار ضرورة العصبية الى انه يفتقر الى عصبية اهل البيت .

١٥- لو انصفوا لما صدقوا دعوى محمد احمد لمناقضتها للأدلة والبراهين ، وكان الواجب عليهم تقديم النصح للمسلمين بعدم اتباعه ورفع السلاح .

١٦- يوردون جملة من الأحاديث فى التآخى والوئام .

١٧- رجعوا الى كتاب كشف الغمة الذى ذكروه ولم يجدوا فيما ورد من نص فيه ما يؤيد ما ذهب اليه النجومى وعبد القادر ، فالذى عليه الكتاب ان مقلدة العلماء يعادون المهدى سراً ، ولا يقول انهم ضالون عن الحق ، وعذرهم فى ذلك ظنهم انه لا يوجد بعد ائمتهم احد يعلوهم فى العلم . وفيه ايضا وصف لامور يقوم بها المهدى فى نطاق المجتهد ، لانهم يقولون : « وهذا فى من بلغ درجة الاجتهاد حتى تاتى له المخالفة لما عليه الائمة ، وليس امامكم بالغا درجة الاجتهاد ، اذ لا

يعرف شيئا من علومه الستة الموقوف الاجتهاد على اتقانها » .

١٨- خالف المهدى امورا من القطعيات فى الدين .

١٩- نقلوا عن الشعرانى مولد المهدى فى سنة ٢٥٥هـ ، وهذا بعيد عن زمن المهدى . وبهذا لا يكون محمد احمد مولوداً فى هذه السنة وبالتالى لا يكون مهدياً وكان الادعى ان يطلب السلطنة .

٢٠- القول بكفر الترك امر لا مضمون له لأنهم فى السودان وليس بينهم تركى واحد ، ولكن المقصود بالترك فى لغة السودان هو الحكم الذى كان جاريا والفئة التى تقوم به وليس العنصر . وهدف المهدى ليس السودان وحده وانما كل العالم .

٢١- ياخذون على المهدى خذلان الدين وقتل المسلمين وهدم الدور والمساجد واحراق الكتب وقتل العلماء وقفل طريق الحج .

٢٢- ان المهدية قد اوشكت من نهايتها وعليهم ان يتدبروا أمرهم والا فانهم سيذكرونهم بذلك عندما يحين الحين . وهنا نقول ان العلماء والحكام كانوا يرون ان المهدية تسير الى نهايتها بهزيمتها وانفضاض الناس عنها - انظر ذلك فى قصيدة الشيخ محمد شريف !

٢٣- انهم يعرضون اقامة مناظرة مأمونة بين العلماء ليكون الكتاب والسنة فيصلا ، والا فليكن الدعاء من الجميع بأن يجعل الله اللعنة على الكاذبين .

٢٤- القول بانتصار الانصار فى الوقائع لا يسند حقاً ، واذا كان الحق لمن غلب فلماذا كان خروجهم على الدولة الغالبة التى استطالت على بلاد المسلمين !

٢٥- يستنكر العلماء تشبيه واقعتى المهدية الاولى والثانية بواقعتى بدر واحد ومساواة اصحاب المهدى بأصحاب الرسول .

ان ما دفع العلماء الى تحرير هذه الرسالة هو ما رماهم به النجومى وعبد القادر فى رسالتيهما بالضلال عن الحق وتضليل غردون ، ولذلك لم تذهب رسالتهم الى المحاججة حول المهدية بذكر تفاصيل العلامات والشروط وما يدور حولها وانطباق محمد احمد وعدم انطباقه وإن كان هذا هو درب الضرير الذى كتب الرسالة فى مأخذه ، وانما ذهبت بالقدر الأهم الى الدفاع عن موقفهم وارتكانهم الى الحق ورمى الطرف الآخر بالجهل والضلال وسكوتهم على تجاوز المهدى فى أمور جسيمة ، بل وحث الناس على متابعته ودعمه .

الفتوى الازهرية

صدرت هذه الفتوى فى ١٨ ذى القعدة ١٣٠٠هـ / ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٨٣م ، عن جماعة من علماء الازهر – لا عن الازهر بشكله المؤسسى – وعلماء يعملون ببعض مرافق الدولة المصرية . وقد وقع عليها مصدروها ، وهم الشيخ محمد العباسى المهدى شيخ الجامع الازهر ومفتى الديار المصرية ، وهو من الاحناف ، وستة من علماء الشافعية وعشرة من علماء المالكية واحد عشر من علماء الاحناف بخلاف الشيخ المهدى . وقد ذكر كل منهم اسمه ومذهبه ثم موقعه . ويلاحظ هنا ان علماء الشافعية علماء بالازهر وحسب بينما بعض علماء المالكية والاحناف يتولون مناصب اضافة الى انهم علماء فى الازهر ، وثلاثة من المالكية العشرة يتولون مشيخة الأروقة ، وستة من الاحناف يتولون مناصب فى الدولة . ولم يحضر اجتماع العلماء واعداد الفتوى الشيخ محمد الانبابى الشافعى الذى كان شيخا للأزهر قبل المهدى ، ربما لخلافه مع الشيخ المهدى . بل افتى بمفرده بما وافق هذه الفتوى فى ابطال دعوى المهدى . كذلك يلاحظ انه ليس من بين هؤلاء علماء من الحنابلة ، ولعل السبب فى ذلك قلة اتباع المذهب الحنبلى فى مصر وبالتالى ضعف نفوذهم فى الازهر وبين العلماء .

وكان الشيخ المهدى من المؤيدين للخديو توفيق ، وقد أخلص حتى فى وقت الشدة . فانه رفض التوقيع على فتوى من العلماء يؤيد عرابى ضد الخديو وفقد بذلك منصبه فى الازهر والافتاء الا ان الخديو حفظ له الجميل واعاده بعد القضاء على ثورة عرابى الى مشيخة الازهر وافتاء مصر .

وقد وقفنا على نص الفتوى فى دار الكتب المصرية واستنسخناه بيدنا . وشاءت المقادير ان نذهب الى الرباط لالقاء محاضرات فى مدرسة الاعلام وان نلتقى بالمرحوم محمد ابراهيم الكتانى الذى كنا تواقين للتعرف به بعد ان شوقنا الى ذلك صديقنا البروفسير مدثر عبد الرحيم . وقد اخبرنا الكتانى بأن رسالة من المهدى وصلت الى السلطان الحسن جد الملك الحسن الثانى يخطره فيها بمهديته ويدعوه الى الانتساب اليها فعرض السلطان الكتاب على العلماء وطلب نظرهم ، فاجتمع العلماء وبينهم ابوه واعدوا فتوى بنفى ما عرضه المهدى وبطلان مهديته ، وان اصل هذه الفتوى مكتوب بخط ابيه وانه يملك نسخة بهذا الخط ، ولم يقل لنا عندئذ ان بطرفه الفتوى المصرية.

ثم اتانا بعد ايام بنسخة من الفتوى المصرية وقال انها منقولة بخط ابيه . اما الفتوى المغربية فقد قال انه لم يجدها وانه جار فى بحثه عنها ، ولكننا لم نسمع منه عنها بعد ذلك . وفى ظننا ان الأمر اختلط عليه فحسب الفتوى المصرية مغربية لأنها منقولة بخط مغربى ، وربما بيد ابيه .

صدرت الفتوى كما قلنا فى ١٨ ذى القعدة ١٣٠٠هـ، وقد طبعت على ما جاء فى كتاب الدعاة بمطبعة الداخلية الجليلة . والنسخة التى وقفنا عليها بدار الكتب المصرية نسخة من هذه الطبعة . ثم طبعت على ما جاء فى كتاب الدعاة بمطبعة عموم السودان نقلا عن المطبوع بمصر فى ٦ محرم ١٣٠١/ ٧ نوفمبر ١٨٨٣م ، وعن هذه النسخة نقل كتاب الدعاة وهو كتاب « الدعاة من المتألهين المتنبيين والمتمهديين» الذى جمعه ونسقه وعلق حواشيه وجيه الفارس الكيلانى . وقد وقف الدكتور يحى محمد ابراهيم على الكتاب اثناء زيارته لمصر فى ١٩٩٣م ونقل لنا نص الفتوى والفصل الذى عقده عن المهدى . وجاء فى الكتاب ان الفتوى منقولة عن نسخة مطبوعة بالحجر « بمطبعة عموم السودان نقلا عن نسخة مما طبع بمطبعة الداخلية الجليلة فى ٦ محرم ١٣٠١» . وقد اختلفت النسخة المغربية ونسخة كتاب الدعاة عن النسخة المطبوعة فى مصر فى عنوان الفتوى ومقدمتها . اما فى نص الفتوى ذاته فلا خلاف . وفى ظننا ان النسخة المغربية منقولة عن المطبوع فى السودان سواء كان من أصل او من كتاب الدعاة نفسه . وثابت تاريخياً ان خطابات المهدى الى أهل المغرب لم تبرح السودان . يقول نعوم شقير فى ذلك : « ولكن لطف الله بعباده – ولم ندر وجه هذا اللطف – ولم تصل هذه الكتب الى أصحابها اذ الطبيب البنانى الذى عاد بها لم يبلغ بربر حتى كان المهدى قد مات وعلم الخليفة به فأرسل فى طلبه فاخذ منه الكتب وحبسه « حبس عين » فى ام درمان فبقى الى ان فتحها الجيش فى ١٨٩٨م فرأيته فيها ورأيت هذه الكتب بين اوراق الخليفة فسألت البنانى عنها فقال انه احتال على المهدى للتخلص منه فلم يقدر الله له الخلاص . وسألت عنها بعض المراكشيين المخاطبين فيها فاجابوا : لا علم لنا بذلك مطلقاً . واذا كانت الرسالة لم تصل الى السلطان الحسن فلا وجه لأن يقال بأنه عرضها على العلماء فافتوا . وظاهر انه ليس بالنسخة التى احضرها الكتانى ما يدل على صلة السلطان الحسن او العلماء المغاربة بها ، بل هى نسخة تم نقلها على يد عالم لمجرد اهتمامه .

وتقع الفتوى فى مرحلتين ، تمهيد وصلب الفتوى .

اما التمهيد فهو السؤال الذى أثار الفتوى . وقد بنى العلماء هذا السؤال بأنفسهم بناء على مكتوب من المهدى الى اهالى برور سواكن فى ٥ رجب ١٣٠٠هـ. ولا يذكر العلماء كيف بلغهم هذا المكتوب ولكن المرء لا يحتاج الى عناء ليصل الى ان ذلك جاءهم من الحكومة . وعلى ذلك يصح القول بأن طلباً من الحكومة وصل شيخ الأزهر لاصدار فتوى ، وان رسالة المهدى ارسلت اليه لتكون دليلاً على ما يفتون عليه . وقد انكب عليها العلماء واصدروا فتواهم . وهذا مما اخذه عليهم احمد العوام ، اذ ذهب الى انهم استجابوا الى رغبة الخديو واصدروا الفتوى حسب مشيئته لا حسب ما يقتضيه الشرع ، وانهم كيفوا السؤال من الخطاب حسب هواهم المبيت ، وان واجب هؤلاء لم يكن ما ذهبوا اليه فى الفتوى وانما كان نصح الحكومة بوقف الحرب . ثم يقول ان الفتوى جاءت متأخرة ، لأن المرغوب كان اخذ رأى العلماء عند بدء المهدية وقبل الشروع فى الحرب – اى قبل واقعة أبا . ثم ذهب الى ان الحكومة لجأت الى العلماء بعد ان اعيتها الحيل وتأكد فشلها فى الحرب بعد هزيمة هكس . ولكن العوام جانب الصواب هنا ، لأن واقعة هكس جاءت بعد الفتوى .

اما صياغة السؤال فانا نرى ان العلماء لخصوا رسالة المهدى تلخيصاً جيداً اتوا فيه بكل النقاط المهمة وبتعابير دقيقة لا تحس فيها بهوى ، اذ غرض السؤال هو التقرير بما فى الرسالة وليس معارضتها لأن المعارضة مكانها فى صلب الفتوى . وهذا بخلاف ما قال العوام . ولكن العلماء وقعوا فى خطأ عندما قالوا « بظهور دينه» ، فالمهدى لم يظهر بدين ولا قال هذا فى رسالته ، ولو قالوا « مذهبه » او نحواً من هذا لأدوا غرضهم . ومع ذلك فانا لا نحسب انهم قصدوا ان يقولوا ان المهدى يدعو الى دين جديد ، ولو ارادوا ذلك لبينوه واضحاً ومؤكداً فى صلب الفتوى . ونلاحظ ونحن نقرأ الفتوى ان العلماء كانوا يجهلون ما يجرى فى السودان وان كل علمهم قائم على هذه الرسالة . ولذلك لم يدعموا أقوالهم بأفعال المهدى وأعماله على نحو ما فعل احمد الازهرى وشاكر الغزى . وانظر فى ذلك قولهم « عثمان ابا بكر » ، هكذا دون ذكر اسم شهرته « دقنه » ، فهم لا يعرفون عثمان دقنه ولا لقبه مع انه مشهور به ، والمهدى فى رسالته اكتفى بعثمان ابى بكر ولم يذكر دقنه ، فنقلوا هذا وحسب ، ولو كانوا على دراية بمجرى الأمور لزادوا اسم الشهرة الذى

يعرف به ، بل لربما اكتفوا به دون ذكر كل الاسم . ونلاحظ ايضا ان العلماء معارضون للمهدى من اول الأمر ويبدأون بوصفه بالمتمهدى ، ويقولون رجل خرج عن طاعة خليفة الله فى ارضه .

ويبدأ صلب الفتوى على عادة المحررات الدينية بالبسملة والحمدلة . ثم تأتى فقرة قصيرة هى التمهيد للفتوى وبيان ما تنتهى اليه . أى انهم اطلعوا على الجواب فوجدوا ما تضمنه معارضاً للكتاب والسنة ومخالفاً لما عليه ائمة الأمة المحمدية ، ثم ذهبوا يعددون الأمور التى ذكرها المهدى فى رسالته واعترضوا عليها واحداً واحداً .

بدأوا بالخال فى خده الأيمن وقالوا انه مما يشترك فيه معه كثير من الناس . وقد اتفقوا فى ذلك مع احمد الازهرى الذى اعترض على علامة الخال بأنها لا تعنى شيئا فى غياب العلامات الاخرى . ثم قالوا ان راية النور التى يحملها عزرائيل فى حالة حربه غير محسوسة وبالتالى لا يؤخذ بها . ثم تكلموا عن الخوارق التى ذكرها وقالوا ان الخارق ليس دليلاً على الولاية وانه لا ينتقض القواعد الكلية ولا تنبنى عليها الاحكام الشرعية .

وقالوا عن رؤيته للنبى يقظة واخذه المهدية عنه ان رؤية النبى بعد موته ولو يقظة كرؤيته مناماً ولا تناط بها أحكام شرعية ، وان حياته الآن حياة أخروية لا تتعلق بها الأحكام . وحتى اذا تمت الرؤية وجرى ما ذكره فان القاعدة الاساسية ألا تكون الخلافة – ولو للمهدى – الا بمبايعة اهل الحل والعقد او بعهد الخليفة الذى قبله . وهذا ما لم يحصل للمهدى . وظاهر ان العلماء لا يوافقون على رؤية النبى يقظة ولكنهم لمجرد الحوار ذهبوا الى القول بأن رؤية اليقظة للنبى كرؤية المنام من حيث اعتماد الأحكام . وهذه النقطة جوهرية لأن بناء المهدية كله قائم عليها .

ثم ان الرؤية المذكورة – حتى وان صحت – تتعارض فيما رأوا – مع أصح حديث ورد فى المهدى المنتظر ، وهو حديث السيدة ام سلمة زوجة الرسول . وقد وصفوه بأنه حديث قاطع لعروق الاشتباه فى امر المهدى . وقد بينوا ما فيه من علامات المهدى فى مكان المولد ومكان الظهور وكيفية الظهور ومناسبته وكيفية البيعة له وما يحصل بعد ذلك من امور ، ثم انتهوا الى ان حال المهدى بعيد عما ذكر فى هذا الحديث وفى الأحاديث الاخرى وبالتالى « يتضح ان دعواه هذه باطلة وليس هو المهدى المنتظر ولا الخليفة وان دعواه رؤيته صلى الله عليه وسلم واخباره اياه بذلك لا

تثبت مطلوبه ولا ينظر اليها ولا يعول عليها» .

وانه لمن الغريب ان يذهب العلماء الى ان حديث ام سلمة أصح حديث ورد فى المهدى وانه القاطع فيه ، مع انه حديث مطعون فيه من عدة اوجه ، من الجهة التى روى عنها لأن البعض شكوا فى صدورها عن ام سلمة ، ومن جهة الاسناد لأن بعضهم طعن فى قتادة ، ومن حيث ان الحديث لا يذكر لفظ المهدى صراحة . وعبارة ابن خلدون نفسها تطعن فى الحديث ، ولكن العلماء اوردوا طرفاً منها وادخلوا الطرف التالى فى عبارة تالية . وقد يبدو للقارئ ان العلماء لم ينظروا جيداً فيما اراد ابن خلدون ولذلك خفى عليهم اعتراضه . قال ابن خلدون : «ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغمز . وقد يقال انه من رواية قتادة عن ابى الخليل ، وقتادة مدلس ، وقد عنعنه ، والمدلس لا يقبل من حديثه الا ما صرح فيه بالسماع . مع ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدى . نعم ذكره ابو داود فى ابوابه . وخرج ابو داود ايضا وتابعه .... » الخ . وقال علماء الازهر فى فتواهم : « قال ابن خلدون سنده متين على شرط الشيخين لا مغمز فيه ولا مطعن ، انتهى . وهو حديث قاطع لعروق الاشتباه فى امر المهدى الامام المنتظر على القول به . وذكره ابو داود فى ابواب المهدى . اذ قد صرح فيه بجملة علامات » الخ . وقصد ابن خلدون من قوله «ورجاله رجال الصحيحين » هو : صالح ابى خليل وعبد الله بن الحارث . وعبد الله بن الحارث هو الذى اشير اليه فى اول الحديث بعبارة عن صاحب ، ولذلك قال ابن خلدون عند ذكر عبد الله بن الحارث فى رواية ابى داود الثانية : فتبين بذلك المبهم فى الاسناد الاول . ويجئ طعنه فى الذى روى عن صالح وهو قتادة . وبذلك يكون الحديث مطعونا فيه من المصدر الذى ذكره العلماء وهو ابن خلدون. وعبارة « شرط الشيخين » من العلماء ولا يصح نسبتها الى ابن خلدون الذى لم يقلها . وما قال ابن خلدون فيما يقابل هذه العبارة هو « رجال الصحيحين » وهو يختلف عن عبارة العلماء معنى ولفظاً . وقد اسقطوا طعن ابن خلدون فى قتادة الذى روى الحديث واسقط الحديث به كما اسقطوا عبارة ابن خلدون بعدم ورود لفظ المهدى فى الحديث . ولا شك ان العلماء تعمدوا كل ذلك وركبوا الباطل ليصلوا الى ان هذا أصح حديث فى المهدى المنتظر وليقيسوا عليه حال هذا المهدى . والعبارة التالية أعجب . ذلك لأن ابن خلدون يقول : « نعم ذكره ابو داود فى ابوابه » ، وهذه العبارة

متصلة بما قبلها لا بما بعدها كما يعرض العلماء ، فابن خلدون يقرر ان لفظ المهدى لم يصرح به في الحديث ولكن كون ابى داود يورده في ابواب المهدى يدل على ان الحديث يعنى المهدى . اما العلماء فنصهم مرتبك ويذهب مذهباً بعيداً، اذ يقولون : « وذكره ابو داود في ابواب المهدى اذ قد صرح فيه بجملة علامات». والمعنى ان ابا داود ذكر المهدى وليس الحديث . وعلى ذلك فان قراءة العلماء في هذا الموضع لم تكن قراءة سديدة . ثم ان وضع قتادة لأحاديث المهدى مشهور ولا نظن ان ما ورد عنه يخفى عليهم .

ثم بعد ان فرغوا من حديث ام سلمة قالوا ان ابا داود صرح في ابوابه بجملة من علامات هي كالنجوم الباهرات ثم عددوا اموراً . وقد ذكرنا سوء فهمهم لعبارة ابن خلدون . ونزيد هنا انهم حقيقة لم يرجعوا الى ابى داود وانما اكتفوا بما ذكر ابن خلدون منه لأنهم لو رجعوا الى ابى داود لما وقعوا فيما أوقعهم الفهم الخاطئ لنص ابن خلدون . ونزيد ايضا ان الامور التى ذكروها باعتبارها جديدة استقوها من ابواب ابى داود التالية هي نفس الامور التى انتهوا اليها من تلخيصهم لحديث ام سلمة وان تغير ترتيبها وتعدل بعض عباراتها .

ثم قالوا ان المهدى ذكر في رسالته ان اهل الحل والعقد في بلده بايعوه على الخلافة وبذلك صار المهدى والخليفة. ويرد على ذلك بنص الحديث وهو «انه لا يقوم المهدى الا عند خلو الزمان من خليفة» ، بل ان اجماع العلماء على انه لا تصح بمبايعته مع وجود امام تقررت بيعته شرعا . ثم يقولون ان «الامام الموجود قد تقررت خلافته وتحققت امامته بمايعة اهل الحل والعقد من العلماء والأمراء والأكابر واطبق عليها عامة اهل اقطار المسلمين فلا تصح بيعة غيره مع وجوده » . وهنا نقول ان المهدى لم يقل في الخطاب الذى استندوا عليه ان اهل الحل والعقد بايعوه في بلده وانه بذلك صار المهدى والخليفة ، ولم يقل ذلك في اى مكان آخر . ان الذى عليه المهدى هو ان تخليفه مهديا تم على يد الرسول في حضرة وان اتباعه صدقوه وبايعوه . فالبيعة مترتبة على مهديته على يد الرسول وعلى ايمانهم بها وليس العكس . والمهدى لا يقول بأ هل الحل والعقد ولا يعترف بهم لأن ذلك من رسوم العلماء واهل الدولة . وقد ركب العلماء هذا المركب وابحروا بعكس الاتجاه لأنهم يريدون الارتكان على حرمة خروج المهدى في وجود السلطان العثمانى وبغير بيعة اهل الحل والعقد.

ثم تنتقل الفتوى الى امر المهدى بقتال الترك وانهم كفار وان اموال من حاربه واولادهم غنيمة وتقول ان ذلك تهور « تمجه الاسماع وتزجه الطباع ويغضب الله ورسوله ويبلغ به الشيطان مأموله لمخالفته لأصول الشريعة وفروعها ومباينته لنصوص ائمة المسلمين وجموعها» . وهنا يروون احاديث ومرويات عن الغزالى فى منع تكفير المسلم . ثم يستنكرون استباحة دماء المسلمين « المصلين المقرين بالتوحيد » ثم ينتقلون الى تكفيره للمنكرين لمهديته وكفر من عاداه وخذلان محاربه فى الدارين وان ماله واولاده غنيمة ويقولون ان هذه « دعوى لا دليل عليها ولا يثبت مطلوبه من قتال الترك الذين قام دليل المشاهدة على اسلامهم . ولا يغير ذلك ان يكون اخباره يقظة او مناما» . ثم يستطردون فى احكام ما يرد فى الحلم من امور . وآخر نقاطهم الآيات والأحاديث التى يستشهد بها المهدى فيقولون : «ما ذكره من الآيات والأحاديث مروجاً به دعواه محرف عن مواضعه مورد غير موارده » . ثم يختمون الفتوى بالمرغوب منها وهو : « فليلزم كل ذى لب سليم وعقل قويم وصراط مستقيم الحذر من خزعبلاته هذه وبذل الجهد فى مجانبته وتحصين القلب عن الميل الى شئ من اقواله وافعاله ، فانها ليست من الدين فى شئ ... بل يجب على كل مسلم اطفاء هذه الفتنة ومنعه عن اراقة دماء المسلمين بغير حق وصده عن ذلك بأى طريق » .

فالعلماء ينكرون على المهدى كل ما اتى به وينصحون الآخرين بألا يأخذوا بما يقول وان يحذروا منه ومن اقواله وهم يجوزون – وان كانوا لا يقولون صراحة – قتاله . ولكنهم ايضا لا يصرحون بأن الفتوى طلبت منهم من الخديو او من اى جهة اخرى .

ان الفتوى بالرغم من قصرها واعتمادها على رسالة واحدة من المهدى – ليست هى الأقوئ فى بيان مهديته – وبالرغم من جهل اصحابها بما يجرى فى السودان تضمنت قضايا كثيرة ومهمة وافتت فيها بشكل قاطع . ولكن بعض جوانبها لم تأت بالقوة المتوقعة فى فتوى صادرة من شيخ الازهر ومفتى الديار المصرية وكبار علماء مصر .

فتوى الانبابى

الشيخ محمد الانبابى من كبار علماء الشافعية بمصر ، وقد تولى مشيخة الازهر فى آخر ١٨٨١م بعد ان فصل العرابيون الشيخ المهدى العباسى الذى كان مواليا للخديو توفيق ورفض

التعاون مع العرابيين . وقد اعتمدوا الشيخ محمد عليش شيخا للمالكية ويوسف الحنبلى شيخا للحنابلة وعبدالله الدستاوى للحنفية والزموا شيخ الأزهر بمشاورتهم فى الشئون المهمة .

وعندما عاد الخديو الى السلطة بعد فشل الثورة العرابية رفع الانبانى واعاد العباسى الى المشيخة . وكان الشيخ عليش مناوئاً للخديو ، وفى صراعه مع غريمه الشيخ العدوى ناصر الخديو هذا الاخير . وبعد فشل الثورة العرابية اودع عليش السجن ومات فيه ، وهذا ما اشار اليه الحسن العبادى فى رسالته .

يبدأ نص فتوى الانبانى الذى بلغنا بنص الفتوى مباشرة ، وذلك بالغاء السؤال الذى دفع الى الفتوى وتلخيص رسالة المهدى الى اهالى برور سواكن التى اعتمدت عليها الفتوى لان الطابع اكتفى بما جاء فى مقدمة فتوى علماء الازهر . وهذا قد يعنى ان الانبانى اعتمد على نفس السؤال ونفس الملخص .

وقد بدأ الانبانى فتواه بديباجة منبئة بموضوعه ، وذلك بعباراته : هدانا سبيل الرشاد – محمد القاصم بسيفه اهل العناد – الراشدين والتابعين لهم فى تأييد معالم الشريعة والدين . وهو يتناول موضوعه فى مرحلتين ، مرحلة يعالج فيها ادعاء المهدية واخرى يعالج فيها ادعاء الخلافة الكبرى ، ثم يختم بما تترتب عليه الفتوى .

اما عن المهدية فانه يذهب الى ان حال محمد احمد لا يطابق ما فى الاحاديث والآثار الواردة فى المهدى المنتظر . وقد ساق فى ذلك ثلاثة احاديث واحدها الحديث المروى على لسان السيدة ام سلمة زوج الرسول ، والآخران لم ينقلهما احد ممن تكلم عن مهدى السودان ، وقد جاء الحديث الثالث غريباً وشاذاً فى مضمونه ، اذ يأخذ القوم وهم راجعون من الحج داء الكلب فتتقاتل القبائل قتالاً شديداً فيفزعون الى خيرهم وهو ملصق وجهه الى الكعبة ويبايعونه مهدياً وهو كاره . واستنادا على هذه الاحاديث يكون ظهور المهدى بأن يهرب الرجل المعنى من المدينة الى مكة ويبايعه اهل الحل والعقد ، ويكون ذلك بين الركن والمقام ، وان ذلك بعد موت خليفة الوقت والتنازع حول خلفه ، وان يكون كارهاً للبيعة . ثم يظهر ملك ينادى بمهديته ، وهذا ما يذكره الانبابى فى ثلاث عبارات غير موصولة وبخلافات : يخضر الغصن اليابس بعد غرسه فى ارض يابسة ، ويهبط الطير

باشارته ، ويخسف القمر وتكسف الشمس فى رمضان ، ويخرج الخراسانى ويموت فى بيت المقدس، وتظهر نار من قبل المشرق ، وينحسر الفرات عن جبل من الذهب ، ووجهه كالكوكب الدرى. هذه هى العلامات والأوصاف التى يشترط الانبابى ان تتحقق فى المهدى المنتظر وقد انتهى منها الى ان ادعاء محمد احمد المهدية ادعاء كاذب لأن هذه الأمور لم تتم فى حاله .

اما الخلافة الكبرى فمتوقفة على مبايعة اهل الحل والعقد ولا تصح المبايعة مع وجود امام شرعى . وبما ان الامام الشرعى موجود فلا تصح خلافة غيره . وهكذا يعتمد الانبابى شروط اهل السنة المتحفظة ولا يقبل الوجه الذى يظهر به مهدى اهل الشيعة بغتة فى غير الخليفة المتولى وعلامة للساعة .

ثم مال الى امور يذكرها المهدى ويسقطها على مخالفيه . فدعواه عن الترك وزوال ملكهم على يده وكفرهم غير متحقق بحكم ان الاتراك مسلمون ويقيمون ما على المسلمين من شعائر . ودعواه بكفر من يشك فى مهديته وخذلان من عاداه واستباحة دماء الناس واموالهم وأولادهم مخالف للشريعة . واخبار النبى بعد وفاته لا تثبت به حكم شرعى سواء كان فى يقظة او نوم ، وهذا الادعاء نفسه من قبيل تعمد الكذب على النبى ان كان يقظة لعدم جواز اخبار النبى بما هو من الكبائر . ودعواه بعلامة الخال لا تفيد الا مع العلاقات الاخرى فضلا عن ان الخال فى كثير من الناس ، وخروج الراية لا يفيد وان صح لأن الخارق قد يقع على يد غير النبى والولى ، بل وقد يقع من الفاسد لاستدراجه . وكون النبى اجلسه على الكرسى وامره بالتجهيز للقتال لا يعول عليهما . ثم ان الامر بقتال المسلمين لا يقبل منه لانتفاء المهدية وعدم قبول اخذه من الرسول .

يقيس الانبابى حال محمد احمد وأوصافه بالقياس الى الاحوال والأوصاف الواردة فى الاحاديث والآثار عن المهدى المنتظر وينتهى الى نفى مهديته وابعاد كل اقواله . وخلاصة ما يصل اليه: « ... علمت بطلان دعواه المهدية والخلافة الكبرى وكفر الترك والامر بقتالهم والتحريض على اهلاكهم ومخالفته لما عليه ائمة الهدى والرشاد واهل الحق والسداد ». وعلى ذلك فانه يختم الفتوى بتحذير كل مسلم من متابعته وبذل الجهد فى ردعه ومجانبته لأنه خرج عن الطريق المستقيم وحاد

عن سبيل الشرع القويم حيث انه احدث فى الدين ما ليس منه وتسبب فى اراقة دماء المسلمين . وهذا حد لم يبلغ الى الدعوى الصريحة بقتاله .

لم يشغل الانبابى نفسه بالمحاجة حول اصل فكرة المهدية وهل هى واردة فى الاسلام ام غير واردة ولم يتصد لسند الأحاديث الواردة فى المهدى المنتظر كما فعل علماء الازهر فى فتواهم ، وبذلك وفر على نفسه عناءً هو فى غنى عنه ، لأن مهمته اضحت قياس حال محمد احمد بما هو وارد فى الاحاديث والآثار . وسبيله ان يحدد ما يقوله محمد احمد عن نفسه او ما يراه هو من شروط المهدية نقطة نقطة فى كلمات قصيرة محكمة ويصدر احكامه فى عبارات تقريرية محددة كأن يقول انها لا تقبل او لا يعول عليها . وقد استشهد ببعض الأحاديث وبعض الاخبار ليدعم بمضمونها النقاط التى يثيرها ازاء مكان وكيفية ظهور المهدى ، فلما جاء الى الأوصاف الجسمانية والعلاقات سرد ما فى جعبته باعتبار ان محمد احمد فاقد لها .

ورغم ان بناء فتوى الانبابى يختلف عن بناء فتوى علماء الازهر فانها تتفق معها فى امور ، واحيانا ترد القضايا بنفس العبارات او ببعض تعديل ، وفى نفس الوقت يأتى الانبابى بأحاديث وعلامات لا ترد فى الفتوى الاخرى ، ويخيل الينا من هذا ان الشيخ الانبابى وقف على فتوى العلماء واخذ منها ما يستعين به فى بعض المواضع . واذا صح هذا الذى انتهينا اليه فلا يستبعد ان الانبابى لم يرضه الوجه الذى عرض به العلماء فتواهم فآثر ان يعرض الامر بشكل يرضيه ، ولكن يبقى ان السبب الأقوى فى انفراده هو خلافه مع الشيخ المهدى اثر ابعاده عن مشيخة الازهر لصالحه .

تقرير استيوارت :

هذا تقرير عن السودان اعده اللفتنانت كولنيل ج . د . استيوارت فى ١٨٨٣ بناء على تكليف الحكومة البريطانية للعرض على مجلسى البرلمان ، وهو تقرير بريطانى رسمى برقم Egypt No 11 (1883) ، ومحفوظ بدار الوثائق البريطانية ، ومنه نسخة مصورة بدار الوثائق السودانية ، وقد ارسل استيوارت الي السودان من قبل الحكومة البريطانية لاعداد تقرير عن

اوضاع السودان بعد ان استفحلت الثورة المهدية وتمكن باتصالاته الواسعة من جمع معلومات مستفيضة عن السودان وتكوينه جغرافيا وبشريا واحواله سياسياً واجتماعياً وادارياً . ومن ثم اعد تقريره الجامع . ثم عاد الى السودان فى ١٨٨٤ معاونا لغردون باشا فى مهمته الاخيرة . ثم ارسله غردون ليفيد السلطات بمصر بحال السودان والاوضاع التى يواجهها فأبحر ، ومعه قناصل واوربيون آخرون ، علي باخرة شمالا والعدو يواجهها على ضفتى النيل حتى اصطدمت بالصخور فى بلاد المناصير ولقى استيوارت ومن معه نهايتهم علي يد المناصير. كانت المهمة مغامرة خطيرة ، وقد فقد غردون اهم معاونيه بينما حصل المهدي من الوثائق التى كان يحملها استيوارت على ادق اسرار غردون . وهكذا منى غردون بخسائر فادحة .

يتكون تقرير استيوارت من جانبين ، اولهما يسرد تاريخ السودان منذ دخول العرب فيه وثانيهما تعريف بعصيان المهدي . ونسخة دار الوثائق التى وقفنا عليها لا تتضمن الجانب الثانى والذى هو مبتغانا . ويقول المسئول البريطانى الذى قدم التقرير الى مجلسى البرلمان ان استيوارت ختم تقريره ببعض الآراء والملاحظات العامة واقتراحات بشأن اوجه ادارة السودان مستقبلاً . ويذكر واربيرج ان استيوارت عرض صورة كالحة لمستقبل ادارة الترك للسودان بعد المهدية واوضح بتركيز الضرائب الباهظة والفساد في كل مناحى الادارة التركية وانتهى الى ان عدم جدارة الادارة التركية مسلم به الى الحد الذى لا يستلزم شرحاً . وفيما يبدو فان استيوارت لم يقدم شيئاً عن فكرة المهدية ذاتها وصرف كل نظره الى الادارة التركية التى تسببت فى نظره بفسادها وطغيانها فى اندلاع ثورة المهدي والتى لا ينبغى ان تعود لحكم السودان مرة اخرى .

عصيان المتمهدى (The Insurrection of the False Prophet)

هذا تقرير غير منسوب الى مؤلف ولكنه بالتأكيد لضابط انجليزى بدليل انه اعد باللغة الانجليزية . وفى ظننا انه ممن عمل فى شرق السودان لأنه يكتب عن المهدية عن قرب ، وهو ما لم يتيسر فى هذه الفترة الا للضباط الذين عملوا هناك . وهو محفوظ بدار الوثائق القومية تحت رقم : Cairint 1/1/15 .

وجه المؤلف اعتراضا واحداً على مهدية المهدى وهو ظهوره فى مغرب العالم الاسلامى – اى السودان مع ان الاصل فى ظهور المهدى المنتظر فى نظره هو ان يكون من مشرقه اى فى مكة . وفى ظننا ان الضابط حصل على هذا الاعتراض من مصدر ختمى واحتمالاً من محمد عثمان سر الختم الذى كان يتزعم مقاومة المهدية من سواكن ويستعين الحكام بخبرته . ويقول التقرير ان مهام المهدية هى : اقامة الاسلام القويم والاحتكام الى الشرع فى كل امر والمساواة الكاملة بين الناس واقامة مجتمع السعادة الكاملة للبشرية . والمهدية لا تقبل الا الخضوع لخطها وتحطم كل من يعترض عليها سواء كان مسلماً او مسيحياً . ويرجع التقرير كراهية المهدى للحكم المصرى لاستبداد وقسوة رجال الحكومة والطريقة المتعسفة فى جمع الضرائب ، ولكن التقرير بهذا التقدير يجعل المهدية مجرد رد فعل ويجهل الرسالة الدينية المنوطة بالمهدى المنتظر حسبما هو معروف اسلامياً . وبرنامج المهدية فيما يقول التقرير هو حوز السودان كله اولاً ثم الزحف على مصر والقضاء على الترك الكفار واعلان الالفية فى مكة وضم كل الدنيا للاسلام . ويقول التقرير ان اغلب مدعمى المهدية هم تجار الرقيق وخصوصاً البقارة ، ولكن المهدية ولدت فى النيل الابيض وفى دائرة الفقرا ورجال الطرق ولم يكن لتجار الرقيق يد فى قيامها .

محرر كتشنر الى بعض امراء واعيان شرق السودان:

استهل كتشنر نشاطه فى سواكن وجهات البحر الاحمر بهذا المحرر الذى ارسله الى بعض رؤوس اهل الشرق وقادة جيش المهدية به مستنكراً وجودهم فى اقليم يعتبره تابعاً للخديوية وباعتبار انهم دخلاء ومثيرى الفتن والخراب فى المنطقة ومستنكراً مهدية المهدى اعتماداً على المسوغات التى بينها. والذين خاطبهم كتشنر هم محمد ولد الهداب امير الهدندوة والامير خاطر الذى وصفه بعبارة «الامير خاطر من امراء التعايشة» ، وهو خاطر حميدان ، وزكريا الذى وصفه بعبارة « زكريا من امراء البقارة» ، وهو الامير عيسى زكريا، وشايب احمد، وعوض الكريم الذى سماه امير الجعليين ومحمد موسى . وربما كانت قائمة المخاطبين اطول ولكننا لم نقف الا على نسخ هؤلاء .

وكتشنر هو الجنرال هـ . هـ كتشنر الذى توج عمله فى السودان بقيادة الحملة المصرية الانجليزية التى انهت دولة المهدية ووضع عمد الادارة الثنائية .وقد ولد فى ١٨٥٠وبدأ عمله العسكرى بعد تخرجه فى فلسطين وقبرص . ثم التحق بالجيش المصرى فى ١٨٨٢ فى ادارة المخابرات ، واثناء حملة انقاذ غردون استقر بقرية ام بكول ليتشمم اخبار الداخل . ثم عين حاكما عاما على البحر الاحمر فى ١٨٨٨ وبدأ عهده بهذا الانذار ثم كرس جهده لهزيمة قوات عثمان دقنه، وقد جرح فى واقعة هندوب بقرب سواكن . واشترك فى واقعة توشكى التاريخية . ثم ترقى سردارا للجيش المصرى فى ١٨٩٢. وقاد حملة السودان من ١٨٩٦ حتى انتصاره التاريخى فى واقعة كررى فى ١٨٩٨ ، وقد حسم التدخل الفرنسى فى الجنوب فيما سمى بحادث فشودة . وكانت ابداعاته الباقية مد الخط الحديدى وانشاء كلية غردون والبدء فى دراسة انشاء مشروع الجزيرة . اشترك فى حرب البوير فى جنوب افريقيا . وبعدها عمل قائدا للقوات فى الهند ، ثم جاء الى مصر مندوباً ساميا وقنصلا عاما لبريطانيا . زار السودان لافتتاح كلية غردون وحضور الاحتفال بافتتاح خط الغرب للسكة الحديد . عند قيام الحرب العظمى الاولى عين وزيرا للحرب وقد مات غرقاً وهو متوجه الى روسيا .

– محمد الهداب امير ، الهدندوة ، وكان رجلا مهما . ولم نقف على ترجمته .

– خاطر حميدان وهو من قبيلة التعايشة وشارك فى حروب المهدية فى دارفور وعمل مع عثمان دقنه فى جبهة شرق السودان . اسر فى ام دبيكرات وتوفى فى ١٩٤٥ بنواحى سنجه . لم نقف على ترجمته .

– عيسى زكريا ، وهو من امراء البقارة واشترك فى حروب المهدية بدارفور ثم عمل فى شرق السودان مع عثمان دقنه . ولم نقف على ترجمته .

– شايب احمد ، من امراء الدناقلة وموطنه جهات النيل الابيض ، وهو اخ فضلو احمد الذى كان مقربا الى المهدى . عمل مع عثمان دقنه بشرق السودان وتولى قيادة مهمة فى معركة طوكر فى ١٨٩١ . لم نقف على ترجمته .

- عوض الكريم كافوت ، ظهر فى الوقائع حول كسلا ، لم نقف على ترجمته .

وقد ارسل الرد الى كتشنر عن هؤلاء من عثمان دقنه الذى اخطر الخليفة بالامر . وتوجد نسخ المحررات معا بينما يرد خبر المحرر والرد عليه فى محررات الامير عثمان دقنه . وكان من ضمن من كتب اليهم كتشنر محمد موسى وهو من اعيان الشرق المشهورين ، وكان عند وصول المحرر بام درمان فارسل عثمان دقنه محرره الى الخليفة وقد رد الخليفة عن محمد موسى وكلف عثمان دقنه بتوصيله الى كتشنر ففعل ما اريد منه . ولم يتلق عثمان دقنه رداً من كتشنر . ولم نقف على ترجمة محمد موسى .

ومحرر كتشنر يتضمن امرين :

١/ الاول سؤاله لماذا تركتم بلادكم وجئتم الى المنطقة التابعة اليه ونشرتم الفوضى والخراب .

٢/ بيانه ان المهدى ليس مهدياً بدليل ما يسوق من اسباب وانه خدعهم لاغراضه واهدافه .

والمؤكد ان الذى حرر المحرر من العلماء لأنه مدرك بقضية المهدى المنتظر وعلاماته الشائعة ، وربما كان من المنتمين الى المراغنة لأنه يشير اليهم بأنهم الأولى بمعرفة هذا الامر ويذكر ما لا قوه من ظروف الشدة .

منشور ناظر الداخلية المصرية :

منشور صادر من مصطفى رياض ناظر الداخلية المصرية بعد هزيمة توشكى مباشرة ليوزع على اهل السودان وبالخصوص فى شماله ، وقد ورد خبر هذا المنشور فى ثبت ونجت لحوادث المهدية مرة عندما وصلت نسخه الى حلفا ومرة ثانية عندما غادر بها عميلان نحو الجنوب لتوزيعها على الناس ، وهو نمط لمناشير الدعاية المصرية ضد المهدية ، فيه استغلال لجو الهزيمة ، ونيل من المهدية ، ومقارنة بين مصاعب الوضع وبين ما كان عليه السودان تحت الادارة المصرية ، وحث للناس على الثورة لازالة حكم المهدى والعودة الى الحكم المصرى .

بدأ المنشور بوصف رغد العيش ايام الخديوية ثم الخراب الذى عم السودان بسبب المهدية ، ثم اشار الى هزيمة توشكى وتوعد بما يتلوها من هزائم ، ثم تعرض الى المهدية وقيادتها وذكر منع الحج واشعال نار الفتنة ، وان كل المآسى راجعة الى اغراض الرؤساء . قال : ها انتم ترونهم

يحرضونكم على قتال امة مسلمة عاشت معكم أعواما مع حسن التمسك بالكتاب ، ثم روى حديثا : اذا شهر المسلم على اخيه فى الدين سلاحا فلا تزال الملائكة تلعنه حتى يغمده ، ثم ينذرهم بهزيمة توشكى ويطلب خضوعهم وتسليمهم ويذكر الجعليين والشايقية بما خصتهم بها الحكومة من نعم .

المراغنة والختمية

كان موقف المراغنة المعارض للمهدية قائما على موقف مبدئى وحفاظاً على موقع دينى ونفوذ اجتماعى يدر مالاً ويقيم ممتلكات واسعة غير مسبوقة لاسرة فى السودان حصلوا عليها بأريحية الاتباع ودعم النظام التركى ، ولم تجد الاسرة مثل هذه الحظوة فى اى بلد آخر حلوا فيه . وقد تبعهم فى معارضة المهدية اتباعهم فى الطريقة الختمية انسياقا واستجابة لحملتهم بصفة عامة ولمواقف خاصة بهم بعدم الايمان بالمهدية او كراهة صرامتها وعنفها . واصطلاحاً فان لفظ المراغنة يعنى اسرة محمد عثمان الميرغنى الختم من اصلابهم فيما يعنى لفظ الختمية هؤلاء والاتباع والطريقة نفسها .

وليس من غرضنا فيما نقدم ان نأخذ على المراغنة ومن ورائهم الختمية موقفهم المعارض للمهدية وان نصورهم وكأنهم ارتكبوا جرماً ولكننا نريد ان نبين هذا الموقف من زاوية التاريخ بأسبابه وبمداه كحدث تاريخى وحسب وفى اطار مواقف الخصوم والمؤيدين نحو المهدية ولا يهمنا من كان على خطأ ومن كان على صواب . ونحن نقوّم هذا الحدث باعتباره صراعاً بين قوة قائمة هى المرغنية وقوة جديدة صاعدة هى المهدية .

اما الموقف المبدئى فهو ان طريقتهم قائمة علي اساس ان جدهم محمد عثمان بلغ مرتبة الختم ، اى ختم الولاية علواً ، وهى مرتبة دينية لا تعلوها فى معتقد المراغنة واتباعهم الا مرتبة المهدى . وقد وضعوا ادبيات كثيرة تمجد وضعهم هذا واستجاب لها الاتباع بحرارة واستقر وضعهم الممتاز على ذلك . ومن هنا يمكننا ان ندرك وجه معارضة المراغنة لكل من يحمل راية المهدية ، والا فانهم فى زوال لا محالة . وكل من هو فى موضع لا يمكنه ان ينزل عنه لغيره الا بجبر لا يمكن دفعه .

وقد سلف القول عند الكلام عن تلاميذ احمد بن ادريس بأن محمد عثمان قال بأن احمد ابن ادريس هو المهدى وان السنوسى اعترض عليه وأسرع بالأمر الى احمد بن ادريس الذى نفي

مهديته وقال فى المهدى عبارة اصبحت مستند مهدية محمد المهدى السنوسى المزعومة . ولكن هذه الرواية جاءت من مصدر سنوسى ، وقد تكون مختلقة لمجابهة الميرغنى من جهة ولدعم مهدية السنوسى من جهة اخرى . وسواء صحت الرواية ام لم تصح فان وصول الميرغنى الى درجة الختم لا بد ان يستدعى نظره فى المهدية خصوصاً وقد نص صراحة على أنه - اى الختم - يلى المهدى فى المرتبة . ومما يدل ايضا على انشغال الميرغنى بالمهدية انه ذكر رجلا فى دنقلا يتوسم فيه الناس انه المهدى ، وقد نفى المهدية عنه .

وبصفة عامة فان المهدى ومجيئه كان مطروحاً عند كل التجمعات الدينية الكبيرة اما لمجرد البيان والفهم كقضية دينية واما تشوفا اليه . وقصة الرجل المتوسم فيه فى دنقلا من ادلة هذا الوجه وانتظار الناس لظهور المهدى . ومن هذا الوجه ما ذكره المهدى بأن الحسن الميرغنى اشار الى مهديته فى بعض دروسه وان محمد شريف نورالدايم كان ايضا يذكر المهدى فى دروسه ويقول بأن امدادهم من انفاس المهدى . وبالطبع فان اقوالهم عن المهدى ينصرف الى المهدى المنتظر الموعود به وليس الى شخص محمد احمد مهدى السودان . وقد طمح كل شيخ صاعد الى ان تكون المهدية من نصيبه او من نصيب ولده كما فعل السنوسى فيما يروى . وكل من لم يبلغ المهدية من رجال التصوف لعدم المؤهل حسب علامات المهدى او الخوف من عواقب اعلان المهدية والخروج على الانظمة القائمة او ضعف الحيلة كان يتعلق بختم الولاية او قطب الاقطاب او وزير المهدى او اى من الصيغ التى يعلو بها على اقرانه فى الولاية . وحسب المعتقد الشائع فان المهدى يظهر فى مكة بأوصاف وعلامات ، وحسب منطق المراغنة فان هذا لم يتم بالنسبة لمهدى السودان . ومن المستبعد اصلاً ان يقبل المراغنة سودانياً يعلو عليهم فى المرتبة الدينية او المقام الاجتماعى .

وفضلا عن ذلك فان المراغنة عرفوا بالغيرة والحدة مع خصوصهم ومنافسيهم وكل من يرونه خطراً عليهم ، ويستثنى من ذلك الحسن الميرغنى الذى تبنى علاقات الصداقة الممتدة . ولم يقع لأى من خلفاء الختمية ان يستقل بفرع خاص من الختمية كما وقع فى طرق اخرى لأن الصفة الاسرية لا يمكن تجاوزها الا بتجاوز الطريقة ذاتها ولكن بعض الاتباع التحقوا بطرق اخرى .

ان المراغنة عارضوا المهدية ولكنهم لم يبينوا اسباب نقضهم لها ، وقد اكتفوا بالقول بأن هذا

ليس المهدى او ان امره فتنة دينية . ولذلك فاننا عند دراستنا لموقفهم لا نسطيع ان ننتقل من مبدأ الرفض الى التفاصيل . وبالتأكيد فانهم كما تقدم يأخذون بالاسرار والاخذ المباشر من الرسول ولا يمكنهم ان يعترضوا على المهدى من هذا الجانب ولكن نقطتهم هى ان محمد احمد ليس المهدى المنتظر .

واذا كانت الطريقة الختمية قائمة على سند الختم والذى هو فى المرتبة التالية لمرتبة المهدى المنتظر فان ظهور المهدى يزيل تلقائيا سندهم وبالتالى تزول طريقتهم وبزوال هذه يزول النفوذ والمنافع والاملاك . وحسب صفة المهدى فانه يلغى المذاهب والطرق ويوحد الخلق تحت رايته . وهو المصدر للعلم وينسخ العلوم المتداولة ويبطل العمل بها . وهذا ما لم يرض به كثير من العلماء ورجال الطرق ، وكان ذلك مدعاة للتباعد المبدئى بين المهدى ورجال الطرق والعلماء وبما فيهم المراغنة .

وقد اصبح المراغنة أقوى جبهة معارضة للمهدية ، وبالطبع فانهم اعتمدوا فى صراعهم على حلفهم مع مصر ومن الموقع الجغرافى الذى يجعل مناطق نفوذهم قرب مصر فى شمال السودان ومناطق البحر الاحمر ، وطوال المهدية تلقى المراغنة الدعم المعنوى والمالى من مصر ، وقاموا من جانبهم بمناهضة المهدية والتى هى العدو المشترك لهم ولمصر . وفى النهاية كسبوا فى العهد الثنائى مكافأة لما قدموا ولدعمهم القوى للادارة الثنائية وضعاً أقوى مما كان لهم من قبل فى التركية .

لا بد ان المراغنة سمعوا كغيرهم بظهور المهدى فى الجزيرة ابا ، ولكننا لا نسمع لهم موقفا الا مؤخراً، واغلب الرأى انهم لم يعطوا اهمية للأمر . ثم تقدم المهدى وسجل انتصاراته وانتشر خبره فى الآفاق ، ولا بد انهم استيقظوا عندئذ . وقد كتب المهدى فى وقت مبكر الى اكبر رأسين للمراغنة فى السودان وهما محمد عثمان بن الحسن الميرغنى والبكرى بن جعفر الميرغنى بدعوته وطلب انتسابهما اليه . ولكنهما لم يستجيبا . وقد تحركا بعد ان تلقيا محررى المهدى فى محرم وصفر ١٣٠١هـ ووصلتهم بداية اعصار المهدية .

ان مواقف المراغنة ضد المهدية تقع فى ثلاث تحركات : تحرك محمد عثمان والبكرى فى كسلا والذى انتهى بانسحابهما ووفاتهما بعيداً عن السودان ، البكرى فى مكة ومحمد عثمان فى مصر ،

وتحرك المقاوة لعثمان دقنة من محمد عثمان تاج السر من سواكن وجهات البحر الاحمر ، وتحرك محمد سر الختم بن سر الختم الميرغني المقيم بمصر والذى نشط فى الدعاية للتأليب ضد المهدية وتحرك لدعم بيكر فى حملته فى البحر الاحمر . وقد فشل فى المسعيين .

التحرك الاول :

كرر المهدى فى مراسلاته الى محمد عثمان والبكرى القول بأنه كتب اليهم مراراً ، ولكن الذى بلغنا حقيقة مراسلة الى بكرى وثلاث مراسلات الى محمد عثمان والذى كان الرأس الاكبر وخلف والده الحسن الميرغني صاحب طاقية السودان فى تقسيم المناطق بين ابناء الختم . واليك عرضا لهذه المراسلات لأهميتها البالغة فى توضيح المواقف :

رسالة المهدى الى البكرى بن جعفر الميرغنى (١) :

اخطأ المهدى فى اسم البكرى فقال ابوبكر . وقد اشار الى خطاب البكرى اليه وابدى عدم تصديقه لقول البكرى بنية التسليم له واستنكر تكبره على الانضمام الى عثمان دقنه ، ثم اسقط تحججه بتوقفه عن التسليم لعدم رضائه بالانضمام الى دقنة بأنه لم يلزمه بذلك وانما خيره بين ان يكون مع دقنة او الهجرة اليه ، بل وانه فضل الهجرة ، ويقول عن اتباعه لعثمان : «لو رضيتم باتباع عثمان لما اضركم من ذلك شئ ولكان حزتم الفضل بدليل من تواضع رفعه الله » ، اى ان المهدى يدرك مقدار تعالى البكرى على دقنه ويستنكره . ثم يشير الى وضعه الدينى وانه من ابناء الآخرة وما يعنى ذلك ، اذ انهم « يفرحون بالخمول فى دار الدنيا بالفنا عن النفس دون الحياة ، فان كنتم على ما عهدناكم بحسب حسن الظن فدعوا عنكم التوانى والظنونات المختلجة فى فكركم من سماع قول المرجفين والجاهلين ... وقوموا احضروا لهذا الطرف بوصول هذا اليكم ». ثم : «واياكم والتسويف كما سلف ، فليس بالامانى يدرك المرء الشرف » . ثم يذكر مكاتباته المتكررة اليه والى محمد عثمان وعدم استجابتهما برد . ثم اورد واقعة ضبطه لمكاتباته ومكاتبات محمد سر الختم المشعرة بانكارهما لمهديته ويعتبر عرضه رغبة التسليم له مع انكاره لمهديته فى نفس الوقت ضربا من النفاق وعدم تسليم بقدرة الله فى ان يعطى ما يشاء لمن يشاء . وقد ورد خبر المكاتبات

---

(١) الاثار الكاملة رقم ١٨٧ ، مجلد ٥ ص ٣٢ ، ١٣محرم ١٣٠١الموافق ١٨٨٣/١١/١٤ .

المضبوطة فى خطاب من المهدى الى محمد عثمان خالد (١) الا ان هناك تبـاينا بين تاريخ هذا الخطاب وتاريخ رسالته الى البكرى .

ومن ذلك ترى ان المهدى يستنكر موقف البكرى ومحمد عثمان ازاء مهديته ويؤاخذ البكرى على الترفع على عثمان دقنة ويسقط حجته برغبة التسليم للمهدى والتوقف لعدم الرغبة فى الانضمام على دقنة ثم يواجهه بخطاباته بانكار مهديته . ومع ان استنكار المهدى واضح ومؤاخذته بائنة فانه احتفظ بهدوئه واحترامه للبكرى ووضعه الدينى .

رسالة المهدى الاولى الى محمد عثمان بن الحسن الميرغنى (٢) :

يذكر انه خاطبه مراراً ، ومع ذلك لم يأته رد جواب ولا رسول مخصوص ولا هاجر بنفسه كالمأمول فيه مع علمه بأن ظهور المهدى اختبار للمؤمنين فمن كان على صدق آمن وانضم طلبا لما عند الله . وهو حرى بعلم مهديته الذى لا يخفا على ذى بصيرة ، وهو « ادرى باشارة والده السيد محمد الحسن الميرغنى بمهديتى لأنك خليفته وعلى اثره » . ثم يختم بقوله : « وحيث فهمت جميع ما ذكر فلا عذر لك فى احد الامرين ، اما ان تهاجر الينا من غير التفات الى الثقل المعوق عند الله واما انضم انت ومن معك الى الطاهر المجذوب وعثمان دقنة وتكون معهم يداً واحدة » .

رسالة المهدى الثانية الى محمد عثمان بن الحسن الميرغنى (٣) :

بدأ المهدي رسالته بعتاب شديد : « وقد كاتبناك خاصة غير مرة رعاية لمقامكم وشفقة عليكم وظنا للخير بكم فما رددتم الينا جوابا ولا حضرتم للهجرة ولا حصلت منكم غيرة للدين باعمال حركة فى جهتكم وما ادرى ما المانع لكم من ذلك مع انكم اولى بالفرح بنا واجابتنا ونصرة دين الله تعالى من كل احد . فما الذى اخركم حتى فاتكم العوام وانتم العارفون واولو الشرف والمقام وذو الالباب». ثم : « وانت من اعظم من يعد ويظن بالصداقة والاخلاص لله فى مثل هذا الامر وما عهدتك انك تتباطى على قدر هكذا » ثم : « ومن المعلوم ان المهدية اختبار لمن يدعى الدين فكل من كان لدين الله الخالص صادقا لا يابى التعبد والانقياد والتواضع لحوز ما عند الله الدائم ومن كان

---

(١) الاثار الكاملة مجلد ٥ ، رقم ٨٠٧ ، ص ١٥٥، ٢٢ شعبان ١٣٠١ الموافق ٥ يونيو ١٨٨٥.

(٢) الاثار الكاملة مجلد ٢ ، رقم ١٩٩ ، ص ٥٨ ، ١٤صفر ١٣٠١ الموافق ١٨٨٣/١٢/١٥ .

(٣) الاثار الكاملة مجلد ٢ ، رقم ٣٩٠ ، ص ١٩٤ ، ٢٢ شوال ١٣٠١ الموافق ١٥ اغسطس ١٨٨٤ .

باطنه حب الجاه وما يجبى اليه من الهدايا والوظيفة عند غير الله مال الى ذلك وتوقف وصرف جماعة من الناس عن الدين الواصل ». ان عبارة ومن كان باطنه حب الجاه وما يجبى اليه من الهدايا الخ هى التى اوحت الى جون فول بأن المهدى اتهم محمد عثمان بالانشغال بجمع المال والتوسع فى الدنيا . ثم : « وانك يا حبيبنا ممن لم يكن دينه على حرف وكل ذلك انت خبير به وشأنك ان تربى من اتاك هكذا . فاستعمل ذلك وتبصر عاقبة امرك ... وانك من اعظم من يقبل النصح » . ثم يخيره بين الهجرة اليه ومحاصرة الترك ، ثم : « وكيف لمثلكم ان يركن الى الراحة وترف المترفين فى دار الظالمين » . وعليه اذا اختار الجهاد ان يتحد مع عثمان دقنة ومن معه من الامراء والا يخالفه فى شئ والا يتأنفوا من ذلك . ثم يختم رسالته بعبارة : « ولظننا ببراءة ساحتكم عن ذلك كاتبناكم من ابتدى امر المهدية ... وما نظن توقفكم عن الهجرة والجهاد الى هذه الآن الا بحسد الحاسدين وصرف المغرضين . فاذا بلغكم جوابى هذا فحققوا ظنى فيكم . وقد ذكرنا لكم ان ذا الكشف الصادق والدكم السيد الحسن اشار الينا مرارا وتكرارا بالمحلات وببعض الصفات التى تحققت . فبعد هذا فمثلكم اولى بالقيام بما لله وايثاره على جميع المشاهى ، والسلام» .

٤- رسالة المهدى الثالثة الى محمد عثمان الميرغنى (٤) :

ارسلت هذه الرسالة مع الحسين ابراهيم زهرا الذى ارسله المهدى على رأس وفد لاستلام كسلا، ويقينا فانها لم تصل لمحمد عثمان لأنه كان قد خرج من كسلا فى ٦رمضان ١٣٠١ / ٢٧ يونيو ١٨٨٤ اى بنحو عام قبل صدور رسالة المهدى ، الا انه بقي فى الدقا بشرقى كسلا فترة قبل ان يتحرك الى مصوع ثم مصر ليموت بها فى ١٠ربيع آخر ١٣٠٣ . ولكن ليس مهما عندنا وصول الرسالة الى محمد عثمان اذ المهم ما تعبر عنه الرسالة نحوه .

يقول المهدى انه اعتنى به كثيرا وخاطبه خطاب اهل المحبة غير مرة وعرفه بعظم منزلته عنده ورغب منه الاجابة لداعى الله وسرعة الحضور لحوز ثواب الهجرة وتأكد الصحبة ودوام المودة ولكنه لم يستجب وصمت كأنه لم يسمع بأمره اصلا مع ان ذلك قد شاع وذاع « وهو السبب فى خروجكم وارتحالكم من محل الى آخر » . وهو لم يكن متوقعا ذلك منه ، بل ان هذا لا يليق بمقامه . ويقول

---

(٤) الاثار الكاملة مجلد ٥ ، رقم ٧٧٠ ، ص٨٠ ، ١١ شعبان ١٣٠٢ الموافق ٢٧ مايو ١٨٨٥ .

له : « وقد سمعت باتيان الخلق اليّ من كل بلدة افواجا افواجا وزمرة زمرة حتى من البلاد البعيدة ... وكنت انت احق بالسبق والتقدم عليهم فى ذلك ». وعليه « فلتكن التوبة والانابة » . ويذكر له انه اوصى زهرا وجماعته « عليكم بملاطفتكم وشمول النظر عليكم منهم ومنع التعدى عليكم من اى احد كان وعدم حصول ادنى ضرر بكم لا فى انفسكم ولا فى اموالكم ولا فى احد من جماعتكم الخصوصيين وقبل هذا ارسلنا لكم الامان مرارا مع الحسن ولد البدوى حاشي وغيره ، فلا يكن لكم تأخير اكثر مما مضى واتقوا الله وسارعوا الى رضاه ، والسلام » .

هذه جملة محررات المهدى الى رأسى المراغنة بكسلا التى بلغتنا ، وكما ترى فان المهدى يكرر القول بأنه حرر اليهما كثيراً قبل هذه المحررات . وهذا ليس مستبعداً لأننا لا نتصور الا يكتب المهدى الى قيادة المراغنة حتى محرم ١٣٠١ مع انه ارسل عثمان دقنة بمحررات الى كافة اعيان الشرق وقبائله فى غرة رجب ١٣٠٠ هـ . وواضح ان المهدى يدرك مقام الرأسين ومكانتهما الدينية . وانسياقاً مع هذا فانه كان يتوقع ان يسرعا الى الاستجابة لدعواته باعتبار انهما الاولى بحوز السبق ، ولكنهما توقفا فى حين جاءه غيرهما من كل فج ومن كل لون . ويقول ان المهدية امتحان للناس فمن كان صادقا فى دينه انجذب اليها ومن كان منافقا حرص على ماله وجاهه وما يجبى اليه من الهدايا والوظيفة . ثم انه يحتج عند محمد عثمان على عدم تصديقه مع ان والده الحسن الميرغنى اشار اليه مراراً وتكراراً بالمحلات وببعض الصفات التى تحققت . وازاء احتجاج المراغنة على الحاقهم بعثمان دقنة ، وهو احتجاج قائم على المنافسة القائمة بين المراغنة والمجاذيب ، فان المهدى يتجاوز عن هذه الحساسية ويحتج بأنه لم يقيدهم بهذه التبعية وانما ترك لهم الخيار بين الانضمام لعثمان او الهجرة اليه . وهو يرى فضيلة الاتباع على قاعدة من تواضع لله فاز بالأجر والفوز بالاخوة فى الله والمودة الصادقة ، كما يرى من جانب آخر ثواب الهجرة اليه . فاياً اراد المسلم بمهديته فهو خير له ونعمة . ويدرك المهدى عدم ميل المراغنة نحوه ، بل ثبت له رفضهم من واقع حوادث الشرق وما رفعه عثمان دقنة ومحرراتهم التى ضبطت حتى انه اعتبر قول البكرى برغبة التسليم له نفاقا . ومع يقينه بموقف المراغنة الرافض فانه يحسن مخاطبتهم ويعطيهم الامان ويطمئنهم على النفس والاتباع والمال ويحاول الوصول الى قلوبهم لتتجه اليه . وقد اكد على حرصه

على سلامتهم وأوصى الامراء على مراعاة مقامهم وعدم مسهم بسوء . وقد نقل هذا الى محمد عثمان فى خطابه الأخير ليطمئنه . وعند ما رفع اليه عثمان دقنة مخالفة الشنقيطى والختمية استنكرها المهدى واعتبرها الحاداً ولكنه مع ذلك حرص على تأكيد عدم مسهم بسوء بهذه العبارة القوية : « واذا وقعوا فى قبضتكم فلا تفعلوا فيهم الا كل خير حتى يصلوا الينا لأن الصفح من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نحن على اثره » . ان هدف المهدى لم يكن تجريمهم او محاسبتهم وانما كان الاغراء لاستمالتهم نحوه . اما الجانب الآخر فكان مصراً على رفض المهدية ومحاربتها بكل ما امكن لأنها في نظرهم فتنة .

عندما وصل خطاب المهدى الى محمد عثمان وهو فى كسلا حدث اتباعه بأن مهديته باطلة وحذرهم من اتباعه . وفى عامى ١٨٨٤/٨٣ طاف الشرق ليحذر اهله ضد المهدية وينشر بينهم ان المهدية دعوة كاذبة وان عليهم دعم الحكومة . وقد اشترك كل المراغنة وخلفاؤهم فى الحملة . وعند تحرك مصطفى هدل من قلوسيت الى كسلا لحصارها تحرك محمد عثمان للمقاومة وارسل لرؤساء القبائل التابعة لنفوذه فجاءه عمارة ولد حمد ابوسن والشيخ ابراهيم ولد قلبوس على رأس شكرية نهر عطبرة ، وولد الفحل على رأس الشكرية النوايمة بالقاش ، والبنى عامر بقيادة ناظرهم على البخيت الذى هو من اخلص اتباع المراغنة ، والقادين جماعة احمد حجاج وبعض السبدرات جماعة على نورين وقسم من الحمران جماعة عجيل والحلانقة بقيادة عبدالقادر محمد ايله ، وقد بلغ القادمون نحو الف فارس بدروعهم ولبوسهم و٧ الف راجل . وبهؤلاء جد محمد عثمان فى الحرب وسجل بعض الانتصارات على المحاصرين . وكان يأمل فى دعم الحكومة لحملة المقاومة . ولما لم يأته الدعم ادرك ان مقاومته خاسرة فخرج من الميدان واتجه فى ٦ رمضان ١٣٠٢ الى الدقا الى الشرق من كسلا ، ومعه ابنه على الذى مكن لنفسه فيما بعد فى العهد الثنائى وبعده وتمتع بنفوذ واسع . ثم ذهب الى مصوع ثم الى مصر حيث توفى فى ١٠ ربيع الآخر ١٣٠٣ . وبخروجه تولى المقاومة ابن عمه البكرى بن جعفر ، ولكن القبائل انفضت ولم يبق معه الا قوة قليلة . وقد تمكن من تسوير بلدة الختمية والتى هى قصبة المراغنة ووضع نفسه فى وضع احسن للدفاع . واستجابة لطلب الحسن حاشى اجتمع البكرى بالثوار فى معسكرهم واشتد الجدال وغدر عوض الكريم

كافوت وانقض على خفراء البكرى وقتلهم ثم انقلب على البكرى نفسه فحماه الحاضرون واخرج من المعسكر مجروحاً . وعلى الاثر خرج من كسلا واتجه الى مصوع ثم سواكن ثم مكة حيث مات متأثراً بجراحه .

اما هدل فقد دخل الختمية واحتلها واتجه الحصار نحو مدينة كسلا . وبذلك اسدل الستار على التحرك الاول والذى دار اساساً على مدينة كسلا وحلة الختمية بجوارها .

وقد جاءت فقرات عن وقائع كسلا فى «مذكرات عثمان دقنه» نرى ان ننقلها لتكملة الصورة .

تحرك الختمية فى البحر الاحمر

سواكن : يقول : رسل عثمان دقنة فرقوا فى سواكن « المكاتيب الى اربابها وخصوصاً الخلفاء الختمية ورؤساءهم الخليفة الصافى والخليفة عبدالله [حمد نور] فدخلا عليهم اعنى المامورية واعطوهم كتبهم ونصحوهم فى الله غاية النصح . وهناك اذ ذاك شيخهم محمد عثمان ابن سر الختم فاتوا اليه مستشيرين له فيما يفعلونه وعرضوا عليه جوابات السيادة فعند ذلك امرهم ان يسلموا الجوابات الى التركى الذى فى الماموريه قايلا لهم لا شى يخلصكم من الحكومة غير تسليم الجوابات لهم والتبرى منها واعلامهم انكم لستم بصدد هذا الامر ففعلوا ذلك » (٥) – ومحمد عثمان ابن سر الختم هو الاخ الاصغر لمحمد سر الختم الميرغنى الذى يأتى ذكره فيما بعد . وكان محمد عثمان شاعراً مجيداً وتنشد قصائده فى حضرات الختمية .

سنكات : يقول « فكل من كان اذ ذاك فى البلد من سواكنية وبعض من العربان الذين كانوا معهم قد اخذوا البيعة منا الا خلفاء الختمية فلم يبايعونا بل اخذوا كتب السيادة التى هى للمامور والمحافظ وتوجهوا بها اليهم » (٦) ، وقد بين فيما يلى ان الخلفاء جاءوا يطلبون مهلة للسلطات لتدبير موقفهم واتفق الطرفان بعد محاورات على مهلة صغيرة ولكن جماعة عثمان لاحظوا نشاطاً فى تدبير الامور للمقاومة وادركوا انهم خدعوا لاعطاء فرصة للسلطات لتدابير الدفاع وبالتالى فان عثمان قام بهجومه .

محمود على : وهو زعيم قبيلة الامرأر ، وكان هو واولاده من أعدى اعداء المهدية ، وقد

(٥) مذكرات عثمان دقنه ، ص ٤٠ .

(٦) نفسه ، ص ٤٦ .

دخلوا فى معارك وخسرت القبيلة كثيرا من الرجال ومن بينهم ابنه محمد شيخ . الا ان ابناءه سلموا فى النهاية لعثمان دقنه .

ويقول عثمان دقنه ان محموداً كان ختمياً ويتحرك باغراء المراغنة (٧) وقد « وجد فى امتعته تقليد لختم عثمان دقنه » ، وبعد ذكر مواقفه يقول : « كيف ولم يكن بهذه البلاد من بادر بانكار المهدية وسارع بالمحاربة وتمادى عليها وامتد له الاستدراج مثله . فهو من اغراء الختمية وخلفائهم» (٨) .

الخلفاء : « واما خلفاء الختمية المتقدم ذكرهم فهم ما زالوا فى تنبيه العربان والسواكنية لمنعهم عن اتباع المهدية وصدهم عن سبيل الله » (٩) . ثم : « ومن جملة الهالكين خمسة السواكنية الختمية الذين كانوا مجتمعين باولئك المشركين وواحد منهم خليفة ووجد مع الخليفة المذكور بيرق امان من بوارق اعداء الله الترك شهادة على نفسه وذلك فى ١٨٨٤/٦/٢٦(١٠) . ثم : لما ان خلفاءهم وهم الصافى والصفرة وعبدالله حمد نور [...] ومشددون فى انكار المهدية ويعدونهم بنجدة انجليزية . اما شيخهم ابن سر الختم الميرغنى الخ (١١) . ثم : والخليفة عبدالله حمد نور يشترك فى تحرك (١٢) . ثم : « محاصرين لبنى عامر عثروا على بعض السواكنية الختمية المكذبين للمهدية الذين كانوا فى حماية الترك ومنحازين الى بنى عامر » - « وانكسر هؤلاء واتوا بهم الى توكر ووجدوا معهم بيرق امان من الترك لما ان فيهم خليفة من خلفاء الختمية شهادة على انفسهم بانهم تحت طاعة الترك وليسوا متبعين للمهدية . ومن جملة الهالكين واحد بسطجى متوجه بالبوسطة الى عقيق ومنها الى سواكن بالبحر . والبوسطة المذكوره هى من محمد عثمان بن السيد الحسن وابن عمه بكرى بن السيد جعفر وعلى بخيت شيخ بنى عامر كلها ومن ابناء اخيه ونحو ذلك الى ابن سر الختم الميرغنى الذى حضر من مصر الى سواكن لاضلال الناس كما سبق التعريف بذلك » (١٣) .

---

(٧) نفسه ، ص ٤٦ ، ٥١.
(٨) نفسه ، ص ١٩.
(٩) نفسه ، ص ٧٥.
(١٠) نفسه ، ص ٨٢.
(١١) نفسه ، ٩٩.
(١٢) مذكرات عثمان دقنه ، ص٨٥.
(١٣) نفسه ، ص ٩٣.

شخصيات مختلفة :

الشنجيطى : وهناك بسواكن واحد يسمى الشنجيطى احمد ، والمذكور ضال مضل قد اضل كثيرا من الناس وضل عن سواء السبيل . ولما اتى اليه جواب السيادة كتب على ظهره والعياذه بالله كلاما لا يكاد يصدر ممن له ادنى ايمان ورده الينا ... واذ رأى احدا ممن حاربناه قال له دعنى اقبل يدك التى حاربت بها عثمان وجماعته » (١٤) . والشناوى كان ينفق ماله على المعارضين للمهدية (١١) . والزبيدية والحباب كانوا معارضين (١٥) .

والملهيتكناب عاصون لان رئيسهم خليفة من خلفاء الختمية الخواص (١٦) .

هذا ما رواه عثمان دقنه عن نشاط الختمية المناهض للمهدية وقد اوردنا الفقرات عن الشنجيطى والشناوى والملهيتكناب لتكملة صورة المعارضين للمهدية فى البحر الاحمر حتى لا يظن القارئ ان الختمية كانوا وحدهم ضد المهدية فى الشرق . وكما ترى فان المقاومة كانت بقيادة محمد عثمان سر الختم وخلفاء الختمية حتى جاء محمد سر الختم من مصر وتولى القيادة . ومن بعده عادت القيادة كما كانت .-

مصادمات كسلا : « فتأهبوا للخروج واجتمعوا كلهم من كان منهم بالمديرية وهى الحلة التى كان ساكن بها محمد عثمان بن السيد الحسن ولكن المذكور الان قد انتقل منها الى حلة اخرى تسمى الدقا ببنى عامر شرقى كسله بينها وبين كسله مسافة يومين صحبت على بخيت شيخ بنى عامر الذى سبق انه مخالف للمهدية باسباب محمد عثمان المذكور لما انه من اخلص تلامذته ... اراد ان يكون مع بنى عامر ليحتمى بهم وليخرج من وسط بلاد الهدندوة ويكون مطرفا ليتمكن من الهرب الى مصوع لما ان الطريق الى مصوع لم يكن فيه الا بنى عامر والحباب وهؤلاء تلامذته ومخالفين للمهدية باسبابه . وكان متاخر فى حلة الختمية المحكى عنها ابن عمه بكرى بن السيد جعفر ولم يخرج مع ابن عمه المذكور منها لعدم اكتراثه بالفقراء وشدة تكذيبه بالمهدية فحث الترك كما سبق على الخروج الى الفقراء وصار قائدهم وكل من كان فى حلة الختمية من تلامذته الختمية

---

(١٤) نفسه ، ص ٧٥.

(١٥) نفسه .

(١٦) نفسه ، ٩٦.

امرهم بالخروج معه حتى لم يبق منهم الا القليل » (١٧) .

« اما شيخهم محمد عثمان السالف ذكره فهو قد خرج من المامورية قبل اشتداد المحاصرة وتوجه الى سواكن وهو الأن بنواحى مصوع يصد الناس عن اتباع المهدية (١٨) .

وعن الحصار ورغبة التسليم واعتراض محمد عثمان يقول : « الا ان محمد عثمان بن السيد الحسن الميرغنى مانعهم من التسليم . والمذكور مخالف مكذب لامر المهدية غاية التكذيب واضل كثيرا من الناس قبل الامير مصطفى وبعده » (١٩) .

تحرك محمد سر الختم : هو محمد سر الختم بن محمد سر الختم بن محمد عثمان الميرغنى ، ويشار اليه عادة فى تقارير المخابرات الحربية المصرية بمحمد الميرغنى او الميرغنى . وهو الاخ الاكبر لمحمد عثمان سر الختم الذى ورد خبره بسواكن سابقاً . وآل محمد سر الختم لم تكن لهم صلة مباشرة بالسودان بحكم ان مركزهم كان بمصر حسب التوزيع الاقليمى لابناء الختم . ولكن محمد سر الختم الابن تحمس وابدى عداءً شديداً للمهدية وولاءً قوياً للحكومة المصرية . وقد وجد الفرصة لاختفاء الشخصيتين المؤثرتين فى السودان وهما محمد عثمان بن الحسن والبكرى . ويبدو لنا من قوة تحمسه ونشاطه ووضع نفسه فى خدمة الدوائر الانجليزية التى تتعامل مع السودان انه كان طامعا فى تولى قيادة الختمية فى السودان بعد موت محمد عثمان نظراً لصغر سن ابنه على الميرغنى واحمد المقيم قسراً فى ام درمان .

ولنا فى نشاط محمد سر الختم ثلاثة مطالب هى : تحركه فى البحر الاحمر دعما لحملة بيكر ، ورسالته الى بعض اعيان الشمال ، ومنشوره الى عموم اهل السودان وبالخصوص اهالى شرق السودان .

تحركه فى البحر الاحمر :

جاء محمد سر الختم الى سواكن مع بيكر باشا الذى جاء لانقاذ شرق السودان من الوقوع فى يد عثمان دقنه بعد ان فقدت الحكومة قوتها فى المنطقة . وقد كلف الزبير باشا بالمجئ معه الا انه

---

(١٧) مذكرات عثمان دقنه ، ص٩٦.

(١٨) نفسه ، ص ٥٦.

(١٩) نفسه ، ص ٦٧..

اعتذر لأنه اشترط ان يكون مستقلا فى اعماله ولم تجب الحكومة مطلبه . وقد اعطى بيكر السلطتين العسكرية والمدنية على جميع بلاد السودان الشرقى وعهد اليه بارجاع الأمن . ولهذا جئ بمحمد سر الختم ليعمل بنفوذ المراغنة وسط البجا عوناً له .

وذكر نعوم شقير انه اشترط على بيكر البدء بالوسائل السلمية ، فاذا فشلت استعمل القوة. ولكن الوسائل العسكرية لم تكن متاحة . وبيان ذلك من شقير نفسه فى اول كلامه عن حملة بيكر : « فرأت الحكومة انها اذا لم ترسل اليها - اى الى سواكن - المدد فى الحال وقعت فى يد عثمان ، وهذا المدد لم يكن متيسرا ، فان الجيش المصرى القديم قد هلك فى شيكان كما علمت والجيش الجديد لم يكن بعد مدرباً على القتال فجهزت الحكومة حملة من عساكر الجندرمة والبوليس وعساكر الرديف وهى سلاحها الاخير وعقدت لواءها لباكر باشا » (٢٠) .

والحق ان الحكومة كانت تطمع فى تأثير محمد سر الختم على البجا وبنت على ذلك الآمال وظنت ان وجوده يدفع بهؤلاء الى السلام معها وان كلمته تكون مسموعة عند دقنه . وقد اعد له استقبال كبير عند مقدمه واحتفال وصف احد الرحالة الفرنسيين ضخامته . وصل محمد سر الختم سواكن فى ١٨٨٣/١٢/٣١ وبايعاز من بيكر كتب الى عثمان دقنه كتابا ينصحه فيه بترك الحرب ويخبره باتحاد الدول على قمع المهدية فاجابه عثمان بالرد التالى :

« الى الجناب الاكرم السيد الجليل محمد بن الاستاذ السيد محمد بن الاستاذ السيد محمد الميرغنى وفقنا الله واياه الى باب العلى .

فالذى نعلمكم به جناب الاكرم انه قد وصل جوابكم وفهم خطابكم الى آخر ما ابديتم من النصح العام وذلك على حسب ما بدا لكم لأن الدين مبناه النصيحة ، فجزاكم الله خيرا . وذكرتم انكم حضرتم بهذا الطرف من طرف الدول لاسكات هذه الفتن الكائنة بهذه الجهة وكون اننا قمنا فيها باسباب مفتنين ، فعلى حسب فهمكم حكيتم ما حكيتم . فاعلموا يقينا انه لما قمنا من الامام المهدى المنتظر عندنا اليقين الذى لا يشك فيه عاقل انه لو اجتمعت الخلائق باسرها ، شرقها وغربها ، لم يقدروا على مقاومة الايدى التى معها يد الله تعالى فضلا عما ذكرت لنا من اتحاد الدول لو كان

(٢٠) شقير ، ص ٤٢٦.

عندنا ادنى شك فى عدم نصرة الدين لما اقدمنا على هذا الامر . ولكن المطلوب من شيمكم الحضور لطرفنا لاجل المكالمة والمفاهمة فى الامر الذى جئنا به ، فان كان قصدكم احياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعد الكشف على حالنا تكونوا انتم بالخيار ، وان كان قصدكم تبليغنا اتحادية الدول فقد فهمنا ، والسلام ٧ربيع اول ١٣٠١ - ٦ يناير ١٨٨٤ (٢١) .

تحرك محمد سر الختم : يقول : وقد « كتب هو وخلفاؤه الى جميع العربان يخبرونهم بأن هذا الامر ليس الا فتنة محضة وليست هناك مهدية وامرهم بالرجوع عن هذه الحالة التى هم عليها وبالاتيان للحكومة طائعين وغير ذلك مما كتبوه فى جواباتهم » - « والمذكور ضال مضل ما اظن ان على وجه الارض احد انكر منه للمهدية ، ولا اخوه عثمان وخلفاءه ولا ابن عمه الذى بكسله » - «وكل من اتى اليه يأمره بالاغتسال ثلاثة ايام والتبخر باللبان والتبرى من المهدية ويامره بالاستغفار عما نواه من اتباع المهدى وان المهدى لم يولد فضلا عن ظهوره ويزعم ان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قلده بوظيفة اطفاء هذه الحركات . ويقول للناس هو وخلفاءه : اتبعونا ونحن المسئولين عن اعمالكم بين يدى الله . وكل من اراد محاربتنا من ترك او انكليز وعربان يعطيهم بيرقا يسميه بيرق النصر . وفى كل شهر يقول لهم ان عثمان يموت فى هذا الشهر . وفى بعض جردات الانكليز خرج بنفسه ، واذا اتاه أحد ممن كان قد انضم الينا من بعض الاعراب ضعاف العقول قال له : لا تدخل على زوجتك الا بعد استيفاء اربعين يوما مما انك قد اخذت البيعة على عثمان ولم يزل هددنا بتطابق دول الافرنج وتوافقهم على محاربتنا . ولغاية تاريخه فهو ثاوى بسواكن على هذه الحالة حتى انه قد صد بذلك كثيرا من الناس عن سبيل الله ، وله اقاويل عجيبة وغريبة لا تحكى ولا يمكن استقصاءه» (٢٢) .

وبعد ان وقف بيكر على خطاب عثمان الى محمد سر الختم ايقن ان رجاء السلم لن يثمر وانه لا بد من الالتجاء الى القوة ، وهكذا اندفع الى معركة التيب الثانية فى ٤ فبراير ١٨٨٤ وخرج بهزيمة ساحقة وصفها جاكسون فى كتابه « عثمان دقنه » بأن مثلها لم يقع فى تاريخ العسكرية .

وبفشله على التأثير على البجا وعلى عثمان وفشل بيكر عسكريا عاد محمد سر الختم الى مصر .

---

(٢١) نفسه ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨

(٢٢) مذكرات عثمان دقنه ٧٤ ، ٧٦ .

رسالتا محمد سر الختم الميرغني :

ارسل محمد سر الختم رسالتين الى بعض الختمية فى السودان مؤلباً اياهم ضد المهدية . اما الاولى فموجهة الى بعض الأعيان بالخندق فى ٨ القعدة ١٣٠٢ ، وآخرهما منشور عام موجه بالخصوص الى اهالى شرق السودان وعموما الى كل السودانيين ، وهى غير مؤرخة .

اما الاولى فقد عثر عليه ضمن اوراق عبد الله بك حمزة فى المتمة ، وتوجد نسخة مصورة منه بدار الوثائق واخرى بقسم التاريخ بجامعة بيرجن (NI 298 . 15 - 29a) . وكان الدكتور اندرس بيركلو الاستاذ بهذا القسم قام بدراسة اوراق عبد الله بك اثناء اعداده لاطروحته الجامعية عن الاحوال الاقتصادية فى منطقة شندى تحت الحكم التركى وبين اهمية هذه الاوراق ، ويقوم هو والدكتور مصطفى محمد على بترجمتها للنشر . ويشغل مكتوب الميرغنى صفحة وطرفا من صفحة اخرى ، وهو موجه الى : تمام اغا واخوانه والسيد عبد الله حمزة التاجر واخوانه وكافة تجار الخندق واهالى البلد . وقد اعتمدنا فى دراستنا على نسخة مصورة امدنا بها الدكتور على صالح كرار والدكتور مصطفى ، وكان خطها باينا . والكتاب مكتوب بخط كاتب بينما وقع الميرغنى بخطه فى اسفله . وظاهر انه كتبه بعد سماعه بموت المهدى ، اذ ان وفاة المهدى كانت فى ٨ رمضان ١٣٠٢ وكتابه مؤرخ فى ٨ القعدة ١٣٠٢ اى بعد شهرين فقط . وقد ظن ان وفاة المهدى اعطت الفرصة لسقوط المهدية وتحرك على هذا العشم . ولسنا ندرى ان كان له اتصال بغير هذا فى انحاء اخرى من السودان .

يقول الميرغنى :

- انه ترك الكتابة اليهم بسبب الاحوال الجارية فى السودان . ولسنا ندرى ان كان لمحمد الميرغنى اتصال بهم من قبل كما يوحى لفظ « ترك » ، ام هو يقصد انه كان ينبغى ان يكتب اليهم بصدد ما هم فيه الا انه لم يقم بذلك نظراً لظروف الحرب .

- يعشم ان تكون مادة الفتن انقطعت ــ وهذه هى فرصته للنشاط .

- يذكر ما حل بالسودان على يد المهدى من ظلم وفساد وما كان عليه السودان من الامن والرفاهية فى العهد التركى ثم ما حصل اثناء المهدية مما هو مخالف للشرع « والملة الاسلامية

والشفقة الانسانية » . ثم يروى جملة من الاحاديث فى ذم الفتن واثارتها ويقول على اساسها انهم خالفوا الله ورسوله وصاروا بغاة ومخالفين لما يجب عليهم من الطاعة .

– يشير الى صلتهم بجده وأبائه المراغنة وانهم كانوا مهتدين بارشادهم قابلين نصائحهم ومتمسكين بهديهم ومنقادين لاوامرهم وحضهم على طاعة « نواب الحضرة الخديوية التى هى نائبة عن الخلافة النبوية » وانهم كانوا متمتعين بالامن والرفاهية واسباب الكسب تحت ظل الخديوية .

– عندما حصلت الفتنة رأيتم باعينكم المصائب .

– بناء على ما ذكر « لا يسعنى السكوت لما تقتضيه الصداقة السابقة واخوة الايمان واخوة الطريقة والخوف من السؤال بين يدى الحق » . وهو يحرر هذا ليتعظوا وترجع عقولهم « وترحمون النساء الارامل وتعطفون على الاطفال الذى قتلتم آبائهم وتكفون عن سفك دمائهم التى سيسألكم الله عنها والتحفظ على اموالكم واموال غيركم وهذه نصيحتى لكم الواجبة علىّ شرعا »

– حرصا منه وشفقة عرض على الخديوية تعيين رجل له الكفاءة والجدارة والمعرفة باحوال السودان وسمى لها عبد القادر باشا حلمى الحكمدار السابق لقيادة الجيش القادم لقهر المهدية فاجاب الخديوى طلبه وسيصدر الامر بتعيينه والعفو مبذول لكل من تاب والسيف على رقاب من اصروا على الطغيان .

– يرجو ان ينور الله قلوبهم وعقولهم فيقبلوا نصحه .

اما الكتاب الثانى فقد عثرنا عليه فى دار الوثائق القومية المصرية ، ومنه نسختان بخط اليد . ولا خلاف بينهما الا فى موضع : « ادعى هذا الرجل انه مهدى هذه الامة الذى » وهو موجه الى اهل السودان على العموم والعلما والاشراف والرؤساء على الخصوص ، ويبدو ان الكتاب مسودة جرى اعدادها فى دوائر الحكومة المصرية – لم نهتد الى الجهة بالتحديد – ولكنه لم يعتمد ليصدر فى منشور رسمى يوزع فى السودان . والكاتب يتحدث احيانا بلسان الميرغنى واحيانا يضعه فى صيغة الغائب . واهم ما فيه ان الميرغنى يرى ان المهدية بلغت نهايتها بموت المهدى وان ذلك تأكد له بالاستخارة وانه سيقود جيشا مصريا للقضاء على المهدية . ونحن نستبعد ان تعتمد الحكومة المصرية الميرغنى على رأس جيش او ان توكل اليه الحرب فى السودان ، وقد توقفت من قبل من

دعم السيد محمد عثمان الأقرب والسيد بكرى فى كسلا كما توقفت عن دعم الشيخ محمد شريف فى توجهه لمحاربة المهدى . ولا يمكن اصلا ان تعطى الحكومة المصرية قيادة عسكرية الى غير عسكرى مؤهل ولكن الميرغنى كان مؤملا قيادة هذا الجيش وان تكون نهاية المهدى على يديه . ولو تم هذا لصار الرجل الأول فى قيادة الختمية فى السودان واضحى الشخصية الرئيسية فى امور السودان .

يقول الميرغنى :

- علم الله كل ما حصل فى السودان وعلم انقضاءها . وهذه فكرة سقيمة ! ولو قال : علم الجميع لكان أنسب !

- ما آل اليه حال السودان على يد المهدى حتى استوجب شفقة الحاسد فضلا عن المحبين وما اصابهم من صنوف البلوى . وهم لم يجنحوا الى هذا السبيل الا بالتضليل وانهم بمعزل عما يريد المهدى .

- لم يبال المهدى بما نالهم لأنه يسعى لمصلحته ، اذ يريد ان يكون سيداً له الكلمة العليا ، وهو ليس من الدين فى شئ لأنه : اراد تغيير معالم الدين واندثار آثاره وجعله وسيلة لمآربه وجعلهم مطية ، اباح لنفسه العقد على اكثر من اربعة من النساء ، غيّر الصلاة المفروضة ـ ولم نعرف ما يقصد بتغيير الصلاة - استباح العرض والمال والقتل بالنسبة للمخالفين ، اهان اهل الذمة الذين لجأوا اليه والاسلام يؤمنهم على دينهم وانفسهم وعرضهم ومالهم .

- هل علم المهدى ان هذا الدين القويم كان غير ما امر الله به حتى اراد ان يجدده من عنده بغيا وتعديا على الاصول الشرعية المنزلة من عند الله .

- بموت المهدى جاءت نهاية المهدية من الله رحمة بهم .

- مات المهدى بعد ان خلع الاسلام عنه وادعى بما لم يقم عليه دليل من الشرع . ادعى المهدية وملأ بلادهم جورا وعسفا لا قسطا وعدلا كما هو المبشر عند المهدى المنتظر .

- موته دون ان يظهر على يديه شئ من العلامات التى نص عليها العلماء وبدون ان يؤسس العدل فى السودان دليل على كذب دعوته .

ـ كانت امورهم قبله ميسورة والتجارة ممهدة .

ـ الحكومة المصرية فرع من فروع الخلافة الاسلامية .

ـ قررت الحكومة المصرية ترك السودان اجتنابا لاعدام الانفس وخراب البلاد وحتى يتبين لهم الرشد من الغى . هذا بالطبع بغير الواقع ، اذ اضطر المصريون الى الانسحاب . وقد وقفت تجارتهم – اى المخاطبين – وقلت مكاسبهم وصاروا فى فوضى .

ـ اخوانهم فى مصر والعلماء والصلحاء والاشراف بالخصوص اهتموا بالامر ومنهم خصوصا السيد محمد الميرغنى ، « فاستخار الله جلت عظمته من استكشاف امر بلادكم فظهرت له الاشارات الصادقة بان هذا الامر قد انقضى وان سيكون على يدى خمود تلك الفتنة وانطفائها »

ـ يذكرهم بركونه ايام كان بينهم اى عندما جاء مع بيكر وقضى اواخر ١٨٨٤ واوائل ١٨٨٥ بسواكن – الى انهاء المسألة بالسلام وانه لم يلجأ الى القوة فى بعض الاحيان الا عند استدعاء الحالة لها ـ ونحن لا نعرف متى استعمل القوة وما القوة التى كانت تحت يده ـ وعدم امكان التنحى عنها . وهو يظن انهم لم ينسوا جهده رغم تباعد الزمن .

ـ كلف الآن بإنهاء المسألة واعادة الامن ووضعت تحت يده القوة اللازمة من الرجال والعتاد ، ولم ير بدا من قبول التكليف ولا من التصميم على القيام باعبائه . وهو ينصحهم بقبول تدخله بالسلم حتى لا يضطروه الى استعمال القوة .

ـ يرجو ان يذكر اهل السودان وخصوصاً خدام الحكومة من المامورين والرؤساء والاعيان جمائل الحكومة عليهم وان يعتبروا بما حاق بمن شقّ الطاعة من الخوارج ، اذ قاتلهم المسلمون حتى هلك منهم الكثير وفاء الى الله من بقى منهم . وقد اجمع العلماء على قتال الخوارج ولم يقل احد منهم او السلف بتركهم وهو لا يرى ان ينال انصار المهدى ما خصص للبغاة من احكام شرعية . الخوارج كانوا معزولين عن المسلمين وغرروا واستحقوا ما خصص لهم من تخفيف فى الحكم عليهم ، اما اهل السودان فبينهم العلماء والصلحاء والاتقياء والاشراف وليس لهم عذر فى خروجهم والسعى خلف ادعاء محمد احمد ـ ولذلك لا يستحقون احكام البغاة المخففة .

ـ اتباع محمد احمد قسمان : قسم انحاز اليه للتخلص من شره وقسم انحاز طلباً للامور الدنيوية . والقسمان لا يقويان على المقاومة فضلا على ان الكل يترقب الفرص للتسلل منه .

- في اليقين ان الفرصة جاءت ولم يبق الا اقتطاف الثمرة .
- خير السبل للتخلص من المهدية هو الابتعاد عنها ونصح الآخرين بالابتعاد .
- يرجو ممن يقبل نصحه هذا ان يخابره باخلاصه للحكومة حتى يعرف المسالم من العاصى .

هذا مجمل ما في الخطاب الثاني ، وهو صادر بعد وفاة المهدى ، وربما في نفس الوقت الذى كتب فيه الى اعيان الخندق :

وقد انتهت محاولة الميرغنى بلا شئ ولا نسمع له صدى .

وكما يرى القارئ فان الميرغنى لا يقدم الا القليل في مجرى الحوار القائم بين المهدى والمخالفين، وقد جاء استشهاده بالحديث ضعيفاً لانه احيانا لا يلتزم بالنصوص. وفي تقديرنا انه لم يحرر الكتابين بشخصه .

وقد جاء في كتاب «جهاد في سبيل الله» (ص ١٣٨/١٣٩) ان محمد سر الختم عرض على النجومى وساطته بين الخليفة والخديو وان النجومى طلب مكتوباً بفحوى الصلح موجهاً للخليفة فرد عليه محمد سر الختم بانه حصل على موافقة الخديو وعلى تفويض ليكتب بالامر ، وكان فحوى الصلح :

١- ان تكون الحدود بين مصر والمهدية خور موسى باشا - على عدة اميال جنوب مدينة حلفا .
٢- اطلاق سراح الاسرى .
٣- ان يسمح بالتبادل التجارى .
٤- ان تفتح المهدية الطريق الى مكة .
٥- ان تقوم العلاقة بين البلدين على المودة .

وحسب الرواية فان النجومى رفع رسالة محمد سر الختم الى الخليفة وقام هذا بعرض الامر على رجاله ، وبعد تداول عدة ايام رفض طلب الصلح ، ومن هنا جاء تحرير انذار الخليفة الى الخديو والسلطان عبدالحميد .

ونقول : كان محمد سر الختم معادياً للمهدية على طول الخط ولم يكن بالرجل الذى يعمل للصلح، وما نظن ان الخديو كان يوكل مثل هذا الرجل الذى لا صفة رسمية له لمثل هذه المهمة ، وقبول الخديو بهذه الشروط والتى تعتبر اعترافا من قبله بكينونة للسودان مستقلاً عن مصر لا

يصدق ، ولم يكن فى مقدور الخديو ان يتبنى مثل هذا الامر دون مشاركة الانجليز . وما شأن الخديو بفتح الطريق الى الحج ، ولماذا تكون الحدود فى خور موسى باشا بينما آخر معسكر للانصار شمالاً فى بلدة صرص على عدة اميال من خور موسى باشا . وكان محررا الخليفة الى الخديو والسلطان عبدالحميد طرفاً من مخاطبة الدول المجاورة برسالة المهدى ، وليس فى محررات النجومى ومحررات الخليفة ووثائق المخابرات الحربية المصرية صدى لمثل هذا الامر . وقد انفرد مصدر كتاب « جهاد فى سبيل الله » بهذا الخبر ولم يذكره غيره من الرواة والمؤرخين ، بل ان محمد سر الختم ارسل عقب وفاة المهدى - كما تقدم - محررات الى بعض اهل الشمال محرضاً ضد المهدية وابلغ احمد محمد خير بالامر وتم التقصى الدقيق للقبض على من اوصلوا رسائله . وعلى ذلك فان هذه الرواية لا اساس لها .

السنوسية والمهدية :

١- محاولة الوصل وفشلها :

كان محمد بن على السنوسى أقرب المقربين الى الاستاذ الداعية احمد بن ادريس ، وهذا اعطاه وهجاً دينياً وصلة بالسودانيين الذين كانوا ينشطون فى مجال الدعوة . وقد اسس الطريقة السنوسية فى برقة الا انه قضى معظم وقته فى مكة مشغولا بالتأليف . وقد استبعد عن استاذه المهدية ونافح فى ذلك غريمة محمد عثمان الميرغنى . كذلك أبعدها عن نفسه وان كان بعض اتباعه توسموها فيه . ولكنه مهد لابنه الأول بعض ظروف اوحت بأنه توسم له المهدية . فهو قد اعد ليكون ميلاده فى جبل ماسا وفقاً لاعتقاد المغاربة بأن ميلاد المهدى يكون بماسا ، ثم سماه محمد المهدى. فلما كبر تعامل معه وكأنه المهدى القادم واطراه بعبارات تنم عن مهديته واضطر ابنه فيما بعد عندما نفى مهديته ان يدفع الحرج بقوله ان اقوال ابيه كانت مجرد تشجيع له . وقد خلفه المهدى هذا فى قيادة الطريقة وعمل على تدعيم الطريقة واتساعها ، واكتسب شهرة بعيدة . وقد شاع بين اتباعه انه المهدى المنتظر ، مؤيداً بأقوال ابيه ، وان كان هو نفسه نفى هذه الصفة عنه . وقد جاءت الاخبار بمهديته الى السودان عن طريق المنتسبين اليه من امثال ابراهيم شاع الدين الذى اوردنا خبره فى مكان آخر ، ومما يدل على ذلك ويؤكده قول المهدى فى كتاب اليه انه كان يترقب ظهوره لينتقل اليه باتباعه ويقوم بنصرته .

وقد كتب المهدى رسالة الى محمد المهدى السنوسى بعد استيلائه على الابيض واستقرار اوضاعه بها وتطور نظام الخلافة لاتباعه الى خلافة لخلفاء الرسول ، وفيها يخطره بما كان من امره بالسودان ودعوته الى الاصلاح الدينى وانه كان ينتظر ظهوره مهدياً لينضم اليه باتباعه لنصرته ، ثم جاءته المهدية وقام بأمرها وكان ما كان بينه وبين الادارة المصرية ، وان الرسول حدد له اولاً انه من وزرائه وان روحانيته تحضر معه فى بعض حضرات ثم ثانيا انه حدد خلفاءه الأربعة وعين ثلاثة من كبار اتباعه فى خلافة الصديق وخلافة الفاروق وخلافة الكرار وانه اوقف كرسى ذى النورين عثمان بن عفان له ، وانه يكتب اليه بهذا ويدعوه الى الهجرة باتباعه اليه او بالهجوم على مصر من الغرب (١) . وقد حمل الرسالة طاهر استحق الزغاوى فأوصلها الى السنوسى فى جغبوب .

ولكن السنوسى لم يرد على الرسالة وقيل انه قال لرسول المهدى : قل لمحمد احمد اننا كلانا لا نساوى التراب الذى كان يطأه عثمان بن عفان (٢) وروى عنه ايضا : اننى لم ابلغ منزلة الغبار الذى ثار فى انف فرس عثمان بن عفان فى احدى غزواته مع الرسول (٣) . وقد كتب له المهدى رسالة اخرى ارسلها الى سلطان وداى ليوصلها اليه .

ان رسالة المهدى الى السنوسى وثيقة تاريخية مهمة لانها بينت بنص واضح وظيفة الوزير فى مهدية السودان التى استنت بعد سقوط الابيض والعلاقة الروحية التى تربط بين المهدية السودانية والسنوسية فى منظور المهدى ولأنها بينت انشاء وظيفة خليفة خليفة الرسول التى جاءت بعد الوزارة وتسمية الخلفاء الاربعة . ان هذه الرسالة هى المستند الوحيد لكل هذه الامور المهمة .

وقد جدد الخليفة عبدالله الدعوة الى السنوسى ولكنه ظل على صمته .

وبالطبع فان استجابة السنوسى لو تمت لكان من شأنها ان ترفع من مقام المهدى عقدياً وان تعطى حركته اتساعاً جغرافياً وان تفتح جبهة فى الحدود الغربية لمصر بينما هو يهاجم من الجنوب. ولكن الاستجابة لم تأت ، بل ادى فشل المحاولة الى حرج ، وشاع بين الناس ان السنوسى اهمل الرد امعاناً فى الرفض .

---

(١) الآثار الكاملة ، مجلد ١ ، رقم ١١٥ و ١١٦ فى ٥ رجب ١٣٠٠ هـ / ١٣ مايو ١٨٨٣ .
(٢) شقير ، ص ٣٨٦ .(
٣) الدجاني ص ١٩ .

وعوداً الى اختيار المهدى للخلفاء يلاحظ ان خلفاء الرايات الثلاثة صعدوا الى الرتبة الجديدة بحكم سابقيتهم وقيادتهم لرايات الجيش ووضعهم القيادى عامة ، وقد جاء عبدالله فى المرتبة الاولى وجاء الحلو فى المرتبة الثانية . اما الخليفة شريف فقد جاء فى المرتبة الرابعة ، ربما لان المهدى اراد ان يحافظ على وجه الصلة بين الرسول وعليّ والصلة بينه وبين الخليفة شريف . فاذا صار قريبه الخليفة شريف الخليفة الرابع فانه يطابق حال عليّ بن ابى طالب قريب الرسول والخليفة الراشد الرابع . وكان الخليفة شريف أصغر سناً من الخليفتين ويجوز ان يجئ بعدهما .

اما الخلافة الثالثة والتى تقوم فى الاصل على راية القطب ابراهيم الدسوقى فلم يكن تحتها جيش ولم يكن اعطاؤها لرجل من الخارج مما يثير اشكالاً فى التدابير القائمة . وربما كان الخطو بهذه الخلافة نحو السنوسى قائما فى ذهن المهدى عندما رفض الاستجابة لالحاح الشيخ المنا للخلافة .

كانت للمهدى اهداف من عرض للخلافة على السنوسى، وهى :

١- كان محمد على السنوسى شخصية دينية لها مكانة عظيمة : كان فى مقدمة تلاميذ ابن ادريس وأكثرهم قرباً اليه ، وعند وفاة ابن ادريس مال اليه اغلب اتباعه ، وكان عالما جليلاً والف كثيراً ، وقد انشأ طريقته وزرعها فى برقة فاصبحت قوية الاركان وامتد نفوذها الى انحاء ليبيا ودآى والممالك المجاورة لها ، وكان له اتباع فى السودان . فاذا استطاع المهدى ان يميل ابنه نحوه يكون قد حقق مكسبا بقدر مكانة الرجل وجلاله .

٢- كان ابنه محمد المهدى ذا شهرة بعيدة . وكان الاعتقاد فى مهديته واسعاً وظل الناس ينتظرون اعلانه المهدية . ولكنه نفى عن نفسه المهدية . فاذا استجاب الى نداء المهدى فانه يكون قد اعطى المهدية وهجاً دينياً عظيما ويكون المهدى قد كسب مشروعية مهديته بانضمام هذا الذى ينتظر الجمهور اعلان مهديته .

٣- يعطى انضمام السنوسى قوة مادية ومعنوية هائلة للمهدى .

٤- يكسب المهدى استراتيجياً بدفع السنوسية للهجوم على مصر من الغرب بينما هو يهاجمها من الجنوب . وهذا هو ما طالب به السنوسى فى رسالته .

٥- كانت للسنوسى علائق قوية بالسلطان محمد يوسف سلطان ودّاى والسلطنات المجاورة له ،

وكانت عين المهدى ترمى نحو هذه الجهة لضمها الى المهدية .

ويبدو ان المهدى لم يكن مؤملا فى استجابة السنوسى ، او على الاقل استجابته الفورية ولذلك قال فى رسالته على لسان النبى : «الى ان يأتيكم - اى السنوسى - بقرب او طول» . وقد حاول ان يؤثر عليه باشراك السلطان محمد يوسف فى اتصالاته . ويبدو لنا ان تركيزه الأول كان التأثير على السلطان حتى يضمه الى مهديته . ولكن السلطان اتصل بالسنوسى يسأله الرأى فنصحه بألا ينضم الى المهدية والا يعاديها ، وان يبعد عن شرها بقدر حيلته . اما اذا جاءوه محاربين فليحارب. وقد وعى السلطان الدرس فابلغ المهدى بقبول مهديته وهادنه وارسل له مبلغاً بصفة هدية .

وبنظرة الى رسالة المهدى الى السنوسى نجد العناصر التالية :

١- انه اشار الى خطاب ارسله اليه قبل قيامه بالمهدية لما سمع باستقامته وانه واصحابه كانوا ينتظرون اعلانه المهدية لينتقلوا اليه وينضموا لدعوته ، وهذا ما توهم فيه شقير وجعل صدوره بعد اعلان المهدية . ولسنا ندرى كيف تصور شقير انتقال المهدى بانصاره الى السنوسى بعد ان اصبح مهدياً . وعبارته واضحة لا تعطى مجالا للبس : انه ومن معه من الاعوان كنا ننتظرك لاقامة الدين «اى المهدية» قبل حصول المهدية للعبد الذليل .

٢- الوصل الروحى بين المهدى السنوسى والمهدية : ولا زال التاييد يزداد من الله ورسوله وانت منا على بال حتى جاءنا الاخبار فيك من النبى صلى الله عليه وسلم انك من الوزراء لى ثم ما زلنا ننتظرك حتى اعلمنا النبى الخضر عليه السلام باحوالك وبما انتم عليه ، ولا زالت روحانيته تحضر فى بعض الحضرات .

٣- تخليف اربعة خلفاء لخلفاء الرسول وكان السنوسى فى الكرسى الثالث خليفة لعثمان ابن عفان ، وهذا اقتضى اما الهجوم على مصر من الغرب او الهجرة اليه بجماعته .

وفى خطاب حرره المهدى الى السلطان محمد يوسف نقف على ان مكاتبات دارت بين المهدى والسلطان وانه جدد الكتابة الى السنوسى . يقول المهدى : «كتبت لكم هذا احبابى لما احببتكم وكتبت بمثله الى الخليفة ولد السنوسى ليهاجر الينا وها هو طبق جوابكم هذا كتاب اليه فاذا وصلكم فارسلوا له من طرفكم من يوصله اليه ، وحيث انه واحد من الخلفاء الاربعة فانضموا اليه .. فاجتهدوا فيما اوصيناكم به من مراسلة الخليفة ولد السنوسى» .

ولم يكن متوقعاً اصلاً ان يستجيب المهدى السنوسى لطلب المهدى نظراً للاعتبارات التالية :

١- ان المهدى السنوسى بالرغم مما بذله والده لدعم مهديته كان معارضاً لفكرة قيامه بالمهدية .

٢- لم يكن وارداً ان تتبع طريقة قائمة الاركان وواسعة الانتشار لتنظيم آخر ، بل المتبع ان كل طريقة ترى نفسها ارفع من الطرق الاخرى وترنو الى ان ينضم اليها الآخرون .

٣- ان المهدى عرض عليه المنصب الثالث لاعوانه مما يقلل من شأن السنوسى .

٤- ان السنوسى كان يواجه وضعا شائكا نظراً للتغول الاوربى فى الجهة ولذلك لم يكن وارداً معاداة مصر والعثمانيين وقد مد اليه الجانبان حبل الوصل .

٥- انه لم يؤمن بمهدية المهدى ، وهذا ما اشار اليه بوضوح فى رسالته الى الخديو .

وعدم استجابة السنوسى برد خلق حرجاً شديداً فى معسكر المهدى ، وقد سكت المهدى عن الاشارة الى الامر ولكنه فيما ترى عاود الاتصال ، وفى عهد الخليفة زعم ابوجميرة انه خليفة عثمان ووعد بفتح طريق الحج وزحف على دارفور الا انه توفى فى الطريق ثم هزمت جماعته ، وقد تردد القول بأن آدم الاعيسر حاز على خليفة عثمان ولكن ليس هناك ما يدعم هذا من قبل المهدى . وقد وقف ونجت عند هذا الامر واستبعده . وهذا منصب من الخطورة بحيث تم التخليف فيه على يد الرسول وبالتالى لا يمكن رفع السنوسى وتخليف غيره الا من قبل الرسول ولا بد ان يصدر بذلك مكتوب .

وبرفض السنوسى الاستجابة لنداء المهدى مات مشروع المهدى بربط السنوسية بالمهدية وجنى ما هدف اليه من ورائه .

خطاب السنوسى الى الخديو :

وقد وضح موقف السنوسى بشكل ثابت ومؤكد بهذه الرسالة التى ارسلها الى الخديو رداً على مؤاخذته له لما بلغه من تأييد مهدية السودان . وقد وقفنا على نص الرسالة فى المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية . ويجد القارئ صدى لحرج الانصار من موقف السنوسى فى ادبيات ما بعد المهدية التى نوردها فى هذا الكتاب .

وملخص ما يذكره السنوسى ان ما بلغ الخديو بشأنه حيال المهدية بعيد عن الواقع وان غرض مصدره هو الدس بينه وبين الخديو ، وهو يستبعد ان يصدق الخديو ذلك . وهو يتعجب من ان يقال

انه ارسل خمسمائة رجلاً من العرب بلواء معقود لولد اسمه محمود لمساعدة المهدى ويثبت نفيه بأنه لا ولد له اصلاً . وازاء المهدى يقول :

١- انه مارق من الديانة مروق السهم من الرمية .

٢- انه اختلق الأكاذيب وجعلها آيته وليس ما يرويه عن نفسه الا خزعبلات وخرافات وتمويهات.

٣- انه لا يحتاج - يقول ذلك تهكماً - من يحمل عزرائيل رايته الى معونة البشر .

٤- انه سبق امثاله ممن خرجوا عن الطاعة عن جهالة وباءوا بالخسران وان المهدى لا بد واجد نفس المصير .

٥- يتبرأ من افترائه .

ثم يشير الى علاقة والده بالخديو والتى يريد ان يسير على منوالها .

رسالة محمد خالد زقل الى الخديو توفيق :

محمد خالد زقل ، من قرابة المهدى فى مرتبة عمه نسباً لا لزماً ، وقد وصفه المهدى فى بعض رسائله بعبارة «عمنا» . كذلك يصفه الخليفة فى بعض رسائله بعم المهدى . ويصفه ريتشارد هِلّ فى قاموسه بأنه ابن عمه . ولم نصل الى درجة القرابة على وجه التحقيق . وكان المهدى كثير التوقير له والعناية به . ومما يدل على ذلك ما كتبه فى مواساته عندما احرق سلاطين بيوته بالفاشر لما علم بانحيازه الى جانب المهدى (٤١) ، ومن انه امر كتابه بأن يأتوه بمراسلاته الى محمد خالد ليذيلها بخط يده تطييبا لخاطره (٤٢) . وهذا كان مما عاوننا على تحديد خط يد المهدى .

بدأ حياته تاجراً ثم لحق بخدمة الادارة التركية . ويبدو من مكتوب منه بدار الوثائق ، ان اسرته كانت بودّاى - شمال تشاد حالياً - وان تجارته بدأت هناك ، كما يبدو انه كان على صلة بالسلطان محمد شريف سلطان ودّاى ، وقد حاول ان يوظف هذه العلاقة لصالح المهدية عندما اصبح عامل المهدى بدارفور . ثم عمل بالتجارة فى دارفور ، وهذا مهد له الاتصال بالادارة التركية وان يلتحق بخدمتها . وقد اصبح مديرا على شكا ، وهنا عاون فى القضاء على سليمان بن الزبير باشا ، ثم اصبح نائباً لمدير دارا حائزا على لقب «بك» . ثم اصبح نائبا لسلاطين فى الفاشر ، ثم اتصل بالمهدى وفق تدبير منه ومن سلاطين الا انه انحاز اليه كليا وعين عاملاً على دارفور فى ١٠ محرم ١٣٠١ (٤٣) . وفى اول ولايته ضبط الاوراق المرسلة من مصر الى سلاطين وكتب على اثرها

رسالته الى خديو مصر التى نتعرض اليها هنا .

كان محمد خالد من الاشراف الذين تولوا الولايات الكبيرة ، بل هو اول عامل فى المهدية يتولى ولاية كبيرة . وكان موقفه قويا فى حياة المهدى ، الا ان تدابير الخليفة طالته فيما طالت قيادات الاشراف الاخرى . رفع عن ولاية دارفور وسجن فى فتنة الاشراف الاولى لاتهامه بالضلوع وركون الاشراف اليه والى القوات التى تحت قيادته . ثم اطلق من السجن وعين مع آخرين على ادارة شرق السودان بينما يتفرغ عثمان دقنة لامارة الجيش ، ثم عين عاملاً على دنقلا فى حركة لتقريب الاشراف ، ثم رفع ثم ارسل الى الرجاف مسجونا فى ١٨٨٩ وظل هناك حتى اطلق البلجيكيون سراحه عند احتلالهم للرجاف فى ١٨٩٧ . ومن هناك ذهب الى دارفور واستقر بها حتى قتله على دينار لتوجسه منه فى ١٩٠٣ .

من هذا السرد تتبين لك اهمية هذا الرجل ومكانته وتمرسه وقربه الى المهدى وانه عندما كتب رسالته الى الخديو - دون استئذان المهدى على ما تقضى به الاصول - كان يستند الى هذا الوضع .

وقد وقعت الواقعة التى ادت الى رسالته فى اوائل ولايته عندما ضبط قافلة تجارية قادمة من مصر عن طريق درب الاربعين ووجد معها عدداً من جريدة البرهان المصرية وخطابات من الخديو ومحمد شريف رئيس النظار المصرى ومدير دنقلا الى سلاطين وفتوى علماء الازهر فى دحض المهدية . وكان بالجريدة مقال يذهب الى ان دعوة المهدية ليست الا فتنة . ويبدو من رسالة زقل للخديو انه سمح للقافلة بالعودة . واستطراداً لهذا نقول اننا وقفنا على ما يدل على ان حركة القوافل بين دارفور ومصر لم تنقطع . فقد ذكر ونجت فى ثبته لحوادث المهدية انه وقع تصادم فى اغسطس ١٨٨٧فى واحة سليمة - على درب الاربعين غرب بلدة عبرى - مع قافلة من المغاربة قادمة لجلب العطرون ، وانه تحرك فى اول هذه السنة قافلة كبيرة تتكون من ١٤٠٠ جملا من غرب الفاشر ووصلت الى اسيوط بعد ٦٦ يوما . وتداول اهلنا خبر قافلة من رجال من قرية دال الواقعة غرب قريتنا سركمتو ذكروا باسمائهم وقالوا انهم تقابلوا مع قافلة اصغر من الكبابيش فاحتال عليهم هؤلاء وكتفوهم وقتلوا اغلبهم ونهبوا ما كان معهم . ويقال ان الانصار خرجوا وراءهم حتى جاءوا الى مكانهم وضربوهم وقتلوا منهم .

وقد وقفنا على خبر رسالة زقل الى الخديو فى كتاب من المهدى الى زقل نفسه (٤٤) رداً على اخطاره بضبط القافلة ووقوفه على المكاتبات وما كتبه الى الخديو . وقد اثنى عليه المهدى لما فعل ، ولم يؤاخذه على الكتابة للخديو دون استئذانه كما تقضى الاصول ، ربما لوضعه ومكانته ، وربما لأنه استحسن فكرة المخاطبة ومحتوى الرسالة . ثم وقفنا على صورة للرسالة فى المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية .

تتكون رسالة زقل من ثلاثة اطراف :

الطرف الاول ، وقد جاء رداً على ما اثاره مقال جريدة البرهان وفتوى علماء الازهر . وفيه يقول زقل للخديو ان الاخبار التى تصله عن المهدية اخبار مكنوبة وانه لذلك قصد ان يشرح له حال المهدى من اول امره وسيرته . وقد بين ان دعوته قائمة على الكتاب والسنة وازالة البدع وانه حصل له من النصر «ما لم يسمع بمثله قط» .

وفى الطرف الثانى تعرض الى المآخذ على الادارة التركية فى مصر والسودان ، ويمكن تلخيص هذه المآخذ على الوجه التالى :

– ان الادارة الخديوية عودت الناس على ارتكاب البدع والمحدثات لتنزل بهم الى مرتبة الرعية .

– ان الادارة الخديوية نسخت الشريعة وحكمت بالقوانين التى وضعت وفق الهوى وانه وجب بذلك الجهاد لازالة حكمها واعادة حكم الشرع ، وقد استشهد فى ذلك بالشيخ الدرديرى فى اجازته بمحاربة امراء مصر .

– توليه النصارى على المسلمين .

– تقليد كل محبوب عند النصارى والتشبه بهم .

– استجداد الكنائس بمدائن المسلمين ، والمقصود بهذه العبارة هو حركة التنصير التي بدأت فى عهد الادارة المصرية .

– مصادرة الارقاء من اسيادهم . وهنا نلاحظ انه لم يضمن فى احتجاجه منع تجارة الرقيق وقنصهم ، فالتجارة فى الرقيق مع الخارج والقنص قد وقفا فى المهدية ولم يجرؤ احد على ارتيادهما .

– الاعتداء على الاعراض من قبل الحكام والتشجيع على الفساد .

- الاعتماد على الكفار والاستعانة بهم على محاربة احمد عرابى وتفويض امر مصر الى الانجليز .

وفى الطرف الثالث يلخص المكاتبات التى ضبطها .

وقد روى للخديو القاعدة التى تقول بأنه ما تخاصم رئيس دين ورئيس دولة الا وتغلب رئيس الدين وانتزع الملك ، وهذا هو المصير الذى يراه للنزاع القائم بين المهدى والخديوية .

ويبدو ان زقل وجد بالفاشر عالما يقوم باعداد الرسالة .

ويذكر ابراهيم فوزى ان زقل ارسل نفس مكتوبه الى الخديو عندما تولى ولاية دنقلا (٤٥) .

احمد العوام ونصيحته :

احمد العوام مصرى من مدينة الاسكندرية ، وكان نشطاً في مناصرته للثورة العرابية ومعاداة الاحتلال الانجليزي لمصر ، وقد نقل الى الخرطوم منفيا لهذا السبب فوصلها والثورة المهدية تتقدم بينما تأفل امامها الادارة المصرية بالهزائم العسكرية المتتالية . وكان العوام ضد الخلافة العثمانية ويعتبر انها غير شرعية وفاشلة وفاسدة واوقعت النكبات على المسلمين ، والخديوية المستمدة منها تنطبق عليها نفس الاحكام ، وهى نظام قاهر للمصريين لصالح الفئات التركية ومتعسف . وكان معادياً للخديو توفيق لأنه يراه غير أهل لحكم مصر وتسبب فى احتلال الانجليز لمصر . وكان موقفه الثابت ازاء الوضع اسقاط الخلافة والخديوية واحلال قيادة اسلامية مؤهلة مجددة تحسن الحكم وتوحد المسلمين وتواجه التغول الاوربى . وكان على يقين بأن الانجليز بعد سيطرتهم على مصر يرمون الى السيطرة على السودان وان غردون عرابهم .

وصل العوام الخرطوم وواصل خطه المعارض للخديوية وعارض كثيرا مما كان يجرى فى السودان وفى دوائر الخديوية وهدف الى نقطة تواصل بين المهدى وبين خطه الذى ينشده فرفض ادانة المهدى والحكم عليه بالخروج على الامام وما يترتب عليه وعارض محاربته ودعا الى تسوية يحتكم فيها الى علماء عدول .

وقد اعلن عن موقفه فى صراحة فى كل منتدى ونشط فى دعوته وكتب القصائد والمنشورات وسجن من اجلها ثم اخرج من السجن واغرى بوظيفة غير انه لم يتراجع واتهم بمحاولة حرق مخزن للسلاح فأعدم .

فى هذه الظروف كتب العوام نصيحته المشهورة : «نصيحة العوام للخاص والعام من اخوانى اهل الايمان والاسلام» والتى تعتبر اهم وثيقة لبيان مواقع الوصل والبعد بين الثورتين المهدية والعرابية . وقد عنى نعوم شقير بالعوام ونصيحته فى تاريخه كحدث مهم اثناء حصار الخرطوم ، ورغم انه لم يقيم موقع العوام وفكره فانه لفت النظر اليه . وقد تناوله مؤرخان مصريان فى رسالتين للدكتوراه هما الدكتور محمد رشدى حسن فى « نصيحة العوام والعلاقة بين العرابية والمهدية – دراسة وتحقيق » والدكتور ابراهيم شحاته فى « مصر والسودان ووجه الثورة فى نصيحة العوام – دراسة مقارنة فى الأصول التاريخية للثورتين العرابية والمهدية واتجاهات الفكر الثورى فى عهديهما » .

وقد نظر المهدى فى النصيحة فوجدها فى «الموقع الأقسط دون غيرها من نصائح العلماء» ودفعها الى الحسين زهرا لينظر فيها « بسد خلل بزيادة او نقص عبارة » حتى تأتى النصيحة موافقة لخط المهدى ومناصرة له ، وقام هذا بمهمته فتدخل فى نص النصيحة وكتب عليها تعقيباً ، وتم طبع النصيحة بمطبعة المهدية حسبما أعد . وهكذا لم تصلنا النصيحة بالوجه الذى كتبه العوام وانما بالوجه الذى اراده زهرا .

وبالنظر للوضع القائم فى السودان اعتبر العوام ان المهدية ليست خروجاً على الامام لأن الخلافة العثمانية باطلة ووصف ثورة المهدى بأنها ثورة الشعب السودانى كله لا عصيان فرد يوسم بأنه خارج على الامام ، واستنكر تعامل الخديوية بالعداء نحو المهدية بدلاً من تحكيم العلماء على ما يدعيه المهدى واعتبرها مسئولة عن الحرب والخراب الذى حل بالسودان . وقد بين ان ما يطلبه هو المجتهد القويم سواء كان المهدى هذا أو غيره . وواضح من هنا ومن مواضع اخرى انه لا يؤيد الجانب الدينى من المهدية ولا يسلم بمهدية المهدى ، وقد تخلص من رفض المهدية بتأجيل الحكم على المهدى حتى يراه . ويلاحظ انه بالرغم من دعمه لثورة المهدى من موقعه المعارض للخديوية والمؤيد للثورة العرابية لم يبين اى اتجاه من العرابيين او من المهدى للالتقاء .

وفى تعقيبه على النصيحة أيد زهرا فيما رواه العوام مواقع الخذلان فى جانب الادارة المصرية وكل ما كاله العوام ضدها ، وكان اعتراضه الأكبر على قول العوام بنصرة الاسلام بمجدد سواء

كان المهدى هذا او غيره ، اذ اعتبر زهرا ان العوام بقوله هذا وسع الدائرة مع ان المهدى استوفى المهمة .

هذا مختصر لموقف العوام من المهدية بالقدر الذى يتطلبه موضوع هذا الكتاب ونحن ننصح الذين يطلبون المزيد عنه بالعودة الى كتابنا «نصيحة العوام والعلاقة بين الثورتين المهدية والعرابية» وكتابنا «عالم المهدية الحسين ابراهيم زهرا وأعماله » حيث تعرضنا الى «التعقيب على نصيحة العوام » ص ٥٦ - ٦٨ وعرضنا نص التعقيب ص ١٩٣ - ٢٠٩ .

اسماعيل بن عبدالقادر الكردفانى

ينتمى اسماعيل من جهة ابيه الى قبيلة الصواردة . وامه ابنة اسماعيل الولى مؤسس الطريقة الاسماعيلية وشقيقة احمد العالم الازهرى واحد أبرز العلماء المعارضين للمهدية . وبعد ان تلقى تعلميه الأولى بخلوة جده بالأبيض اخذه خاله احمد الى الازهر فاكمل به تعليمه . وعند عودته الى بلده عين مفتياً على كردفان . ولما جاءت المهدية انضمت الاسرة الاسماعيلية اليها وكان رئيسهم محمد المكى من سدنة المهدية حتى سقوطها ، ولم يشذ عن هذا السبيل الا احمد اسماعيل الذى عارض برسالته المشهورة التى نورد نصها ودراسة لها فى هذا السفر . وقد عمل اسماعيل بسلك قضاء المهدية مثل آخرين من اسرته ولكنه صعد المراقى وأصبح مقرباً للخليفة ، وقد توافق ذلك مع حملة العناية بآثار المهدى ، جمعاً لأدبياته ونشراً لبعض منشوراته وتدويناً لمجالسه . وكان من نصيب اسماعيل انه كلف بوضع سيرة المهدى وكتاب الطراز فى انتصارات الخليفة . وبعد ان أكمل هذه المهمة وارتفعت مرتبته حلت به نقمة الخليفة فجأة لأسباب ما تزال من قبيل التكهن ولا تصل الى يقين وارسل منفيا الى الرجاف فى ١٨٩٣ ومات بسجنها فى اوائل ١٨٩٧ . ان هذا الحادث المفجع لم يؤثر فى العلاقة القائمة بين الخليفة ومحمد المكى ، وهذا يعنى متانة هذه العلاقة .

وضع اسماعيل سفرين ، اولهما السيرة وهى « سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى » ، وقد وضع هذا العنوان معارضة لعنوان رسالة الأمين الضرير «هدى المستهدى الى بيان المهدى والمتمهدى» ، وثانيهما الطراز المنقوش بقتل يوحنا ملك الحبوش ، وهذا العنوان مستوحى عن عنوان: «الطراز المنقوش بمحاسن الحبوش» لعلاء الدين المدنى . اما موضوعه فانتصارات الخليفة

بيانا للمؤازرة الالهية والنصر الدائم الموعود به . وقد حلت النكبة بالمصنفين فاختفيا ، وقد كانت نسخهما مخطوطة ومحدودة ولا بد ان مقتنيهما قد تخلصوا منهما بعداً من الخطر ، سواء حظر الخليفة اقتناءهما ام لم يفعل ، الا ان نعوم شقير وصل الى نسخة نقل طرفها الأكبر محمد احمد هاشم ونقل بعض صفحاتها ناقل آخر لم يرد اسمه . وقد دون بيانات مفيدة عن الكتاب ورفع من شأنه . وقد نشرنا نص هذا السفر محققاً ونشر المؤرخ الاسرائيلى حاييم شاكد دراسة له باللغة الانجليزية مع ترجمة لأطراف مختارة كاملة او مختصرة ، كما صدر تحقيق للطراز .

وكتاب سعادة المستهدى يجمع بين السيرة والتاريخ وهدفه بيان صدق دعوة المهدية وانزالها منزلة التاريخ والواقع الدينى ، وهو اول كتاب يوضع عن تاريخ المهدية ، وبه ينال اسماعيل شرف الريادة والسبق . وقد جاء تاريخه عالى المستوى منهجاً واسلوباً وعده نعوم شقير - وهو خصم للمهدية - بمستوى ما كتبه كبار المؤرخين المسلمين .

وبالنظر الى مكانة اسماعيل كحليف للمهدية ، اسرياً وشخصياً ، ومكانة مؤلفه فى سيرة المهدى فانه يضحى مهماً ان نبرز موقفه من مهدية المهدى . ولا بد ان نتذكر بداية ان اسماعيل ازهرى التعليم كخاله احمد وبقية الازهريين من أمثال المضوى وانه مع ذلك يسلك مسلكاً آخر ويقف على النقيض منهم . وهذا يرينا ان مواقف المؤيدين للمهدى والمعارضين له تقوم على قناعات ومواقف شخصية لا على خلفيات التعليم او لون من العلم . ونقطة اخرى مهمة وهى ان اسماعيل لم يتعرض لفكرة المهدية فى كتاب الطراز ، وبالتالى فان الطراز يخرج من عنايتنا فى هذه النقطة .

يتكون « سعادة المستهدى » من خطبة ومقدمة وثمانية أبواب وخاتمة . وفى كل مرحلة من هذه المراحل يعرض اسماعيل طرفاً من المهدية او زاوية لها بما يحقق اثبات صدق دعوة المهدية ونفاذ رسالتها على الوجه الاكمل مطابقة لما ورد عن المهدية من علامات . وقد تعرض بشكل مباشر الى فكرة المهدية فى الاسلام ومهدية المهدى فى خطبة الكتاب ومقدمته وابوابه الثلاثة الاولى .

اما فى الخطبة فيقول ان كتابه فى سيرة المهدى جاء اقتداء باعتناء المسلمين بالسيرة النبوية ويدعو انصار المهدى الى العناية بسيرة المهدى اقتداء بالصحابة لما فيها من عبر .

وفى المقدمة جاء بمجموعة من الاحاديث والآثار الواردة فى المهدى ، وقد جعلها فى المقدمة لا

فى فصل من الفصول لأن مادتها ليست طرفا من سيرة المهدى وانما هى المستند لفكرة المهدية بصرف النظر عن القائم بدعوة المهدية . ويجئ الفصل الأول اعتماداً على احاديث وآثار المقدمة ليبرهن على مطابقة حال محمد احمد مع مستند فكرة المهدية ، وبالتالى فان هذا الفصل جزء اصيل من السيرة. ومن هذا السبيل الذى اتخذه يتبين ان الرجل يكتب عن وعى وفهم لمهمته .

وقد اورد اسماعيل فى المقدمة احد عشر حديثاً مشهوراً فى المهدى المنتظر الا الحديث التاسع : « المهدى طاؤوس اهل الجنة » ، فانه ليس حديثا مشهوراً ، بل ولا يقدم جانبا اثباتياً يقاس عليه ، لكنه يؤخذ بياناً لفضل المهدى المنتظر . ولم يتعرض اسماعيل الى اثبات هذه الاحاديث او بيان قوتها وضعفها كما يفعل المحققون وانما اكتفى برصد النصوص ، ولعله احتاط لنفسه من مغبة نقل شكوك المتشككين فى احاديث المهدى . وقال فى آخر رصده : فهذه خلاصة الاحاديث النبوية التى خرجها الائمة فى شأن المهدى عليه السلام فى آخر الزمان ، وهى عبارة مستوحاة من ابن خلدون . وليته لم يقل «الخلاصة» لأن الخلاصة فى النظر والرأى وليس فى رصد الشواهد ، ولو قال أهم او أثبت لجاء أدق . وفى الآثار المتعلقة بالمهدى المنتظر أورد أثرين عن علىّ ابن ابى طالب وعبارة من الفتوحات المكية لابن عربى ومروية من بعض السلف . وقد ختم هذا الطرف بعبارة : فهذا خلاصة ما جاء فى الآثار السلفية فعض عليها بالنواجذ ان كنت ذا بصيرة وروية . وفى نهاية المقدمة قال : وبالجملة فالأحاديث فى حق المهدى «قد بلغت مبلغ التواتر» فلا يرتاب فيها الا من حاد عن سنن سيد البشر . ولكنه باحالة الاحاديث الى التواتر قد اضعف القضية ولو تعقل لما جاء بهذه العبارة التى تقال فى موضع الرد على المتشككين فى احاديث المهدى المنتظر .

وكان مصدر الكردفانى فيما كتب عن المهدى المنتظر والاحاديث التى استشهد بها كتاب «نور الابصار » للشبلنجى .

وفى الباب الأول ، وهو أول السيرة حقيقة ، فانه يورد ما يحقق اتصاف محمد احمد بما ورد فى شأن المهدى المنتظر على ما بين فى المقدمة بالنصوص . ويقول اسماعيل فى ذلك « وانت هداك الله اذا تأملت بعين البصيرة وزكت منك السريرة تجد جميع ما ورد فى الآثار النبوية مطابقاً

ومتحققا فى السلالة الهاشمية سيدنا محمد المهدى بن عبدالله » ونحسب انه لم يلتزم الدقة هنا ، اذ كان عليه وفقا لما قدم من قبل ان يقول الاحاديث والآثار .

ثم يورد العلامات بما يطابق : أورد نسب المهدى لتحقيق انه من سلالة فاطمة بنت الرسول . ثم أورد الوصف الجسمانى وصفاته الاخرى ليدلل على المطابقة مع ما ورد فى الاحاديث والآثار ، وقال فى ذلك : « ان الله قد اكمل له المحاسن الخلقية وملأه بأحاسن الصفات الكاملة ومهبطاً لتنزيلات سحب الرحمات الهاطلة وذلك بطريق الوراثة المحمدية وبالنسبة بالذات الاحمدية » . ثم يروى بعض اخبار عن مهدى السودان بما يفيد غايته .

وفى الباب الثانى ذكر « نبذة من أخلاقه الشريفة وجملة دالة على كمالاته المنيفة وحفظ الله تعالى له من صغره الى بلوغه منازل الشرف ورقيه الى أعلى مراقى القرب والزلف وما خص به من خصائص الصفات واتحف به بدائع الكرامات ». وهذا برهان على ان محمد احمد مؤهل للمهدية من حيث النشأة والصفات .

وفى الباب الثالث بين « عباداته المنبئة عن كمال تشريف الله له فى سابق أزله برفع منار فضله واعلاء مقاماته الى ان اكرمه الله تعالى باظهاره مهدياً للبرية وليفوزوا باتباعه واقتفاء آثاره كل امنية» وهذا برهان أخر على المؤهل .

وما يتلو من فصول الكتاب ترصد الوقائع فى مواقعها المختلفة من مولد المهدى الى وفاته وارتقاء الخليفة عبدالله بمؤهلاته الدينية واحقيته الثابتة .

لقد جاء سفر اسماعيل هذا دعماً لمهدية المهدى تنزيلاً لسيرته لهذه المنزلة ، وقد أجاد بحق .

المضوى عبدالرحمن (١)

هذا رجل كثير التقلب فى مواقفه وأحواله ، وحياته نوع من الدراما من فرط تحولاته وتبدل حظوظه . وهو من بيت قادرى عريق ، جده ادريس ود الارباب احد بناة الطريقة القادرية فى السودان ومن أعمدة التصوف العاليه فيه . ومع ذلك لم يعرف للمضوى حماس لهذه الطريقة ، وقيل انه كان شاذلياً ، وقيل أيضاً انه كان ينكر بعض أمور على الطرق . وقد توقف عن المهدية اولاً لعدم

(١) اعتمدنا فى هذا الموضع على ما اورده نعوم شقير من اقوال المضوى وعلى مقال للاستاذ احمد عثمان محمد ابراهيم فى مجلة الدراسات السودانية – عدد ٢ ، المجلد ٣ ، يونيو ١٩٧٢ .

اليقين ، ثم التحق بها فى عقر دارها بقدير ، ثم نكص عندما عاد الى بلده سالما وانكرها ، ثم عاد اليها وحارب فى صفوفها فى حصار الخرطوم ، ثم نكص ثانية وهرب . واتصل فى مصر بالمخابرات الحربية وأفضى اليها بما عنده . وعند فتح دنقلا عين قاضياً ثم فصل ونفى ثم حددت اقامته وبقى فى موطنه حتى توفى .

ومع ذلك فان انكاره للمهدية امر ثابت ، وتجئ تقلباته نحوها بحكم الضرورة لا عن قناعه قلبية بالمهدية . وارتكاز هذا الرفض علمه ومنهجه فى النظر واحتكامه الى علامات المهدية . ومن هذا النهج كان بعده عن القادرية وقربه الى الشاذلية وبعض نظر فى الطرق .

ولد المضوى بالعيلفون ، بلد جده الشيخ ادريس ، فى ١٨٢٥، ودرس فى خلوتها وحفظ القرآن ، ثم اخذ العلم على الشريف محمود الشنقيطى بود الماجدى بشمال ابوعشر الحالية ، ثم اخذ التجويد وعلوم القرآن على الشريف محمد الأمين الهندى بالرهد على نهر الدندر ، وقد اخطأ الاستاذ احمد عثمان فى ظنه فقال بكردفان الا ان الرهد المقصود هنا هو الذى على الدندر ، ولكن ويا للصدف فان محمد الأمين مات برهد كردفان وهو مع المهدى . وكان الهندى ممن تخرج فى مدارس السودان وارتقى بجهده ، وكان ثبتا فى علوم القرآن وله مؤلفات فيها . وفى ١٨٧١ توجه المضوى الى مصر والتحق بالازهر الشريف ودامت دراسته به لثمانية اعوام . وعند عودته استقر بقريته قليلا ثم ارتحل ليستقر ببلدة ابو تيقه على الشاطى الشرقى للنيل الازرق بجنوب كركوج ويؤسس فيها حلقة للدرس بجانب العمل بالزراعة . ويلاحظ هنا انه لم يلتحق بوظائف الحكومة وبالتالى فان شهادته ضد المهدية ليست لمنفعة جارية يخشى زوالها بقيام المهدية وانما هى ما انتهى اليه علمه .

وعندما بلغه نبأ المهدية لم يحفل بها لأن الامر عنده مستبعد ، ثم انتصر المهدى على ابى السعود فى ابا وعلى راشد ايمن فى قدير وعلا شأنه واتسعت الأقوال بكراماته فعملت الحيرة فى قلبه : أهو المهدى حقا ام هو ضلال مضل ! وهذا كان حال كثير من العلماء ، وقد قال فيهم الحسين زهرا انهم بين مكذب ومصدق ومتحير . وقد عزم المضوى على الهجرة الى قدير ليرى بنفسه احوال المهدى ويستقر على يقين . قال : « هاجرت اليه فى جبل قدير لمشاهدته والوقوف على

حقيقة حاله فوجدت عنده جموعا كثيرة ينيفون على ١٥ الف مقاتل من اخلاط الناس بينهم عدد كبير من العلماء ورجال الدين جاءوا من شرق البلاد وغربها بالقصد الذى جئت لأجله ووجدت العلماء معه فريقين فريقاً اعتقد او تظاهر بالاعتقاد بأنه المهدى المنتظر لا ريب فيه ، وجميع العامة من رأى هؤلاء ، وفريقاً قالوا انه ساحر وانه انما فاز فى الحرب بسحره لا بمهديته . اما انا فقد رأيت منه اموراً حملتنى على الارتياب بأمره » .

ويقول المضوى ان المهدى عينه اميراً على جزيرة سنار وجعل تحته اميرين هما ود الصليحابى وود برجوب . ولسنا على يقين من هذه الامارة وما روى من اخبار ازاءها . فلما بلغوا الجبلين تحايل عليهما – فيما قال – وفارقهما ونقل اسرته الى موطنه العيلفون . وهنا ابلغ الناس بما رأى فى قدير وما انتهى اليه فى شأن المهدى . وكان ممن اطلعهم على الأمر عبدالقادر باشا حكمدار السودان والشيخ العبيد بدر . وقد اغضب انتكاسه المهدى واشار اليه ضمن جماعة من المخالفين مؤكداً وقوعهم فى القبضة لا محالة .

وبعد انتصاره المدوى على هكس باشا في شيكان ارسل المهدى لأهل الجزيرة والقبائل حول الخرطوم بحصار الخرطوم ، فانضم المضوى مضطراً الى المحاصرين وزحف مع ابراهيم والعباس ابنى العبيد بدر ونزلوا على الشايقية فى الحلفاية وفتكوا بهم واحتلوا مكانهم ، ثم نزل ابراهيم والمضوى بقبة خوجلى وحاصرا الخرطوم من الشمال بينما اجتاز العباس النيل الازرق ونزل بالجريف وحاصر الخرطوم من هناك . وبعد سقوط الخرطوم انضم المضوى الى المحاصرين لسنار تحت قيادة محمد عبدالكريم ، وكان المضوى من بين من أشاد الخليفة بدورهم القتالى هناك .

يختفى خبر المضوى بعد ذلك حتى هربه الى الحبشة ومن ثم الى مصر التى وصلها فى ١٨٩٠ . ويقول نعوم شقير فى سبب فراره اعتماداً على ما رواه له المضوى ان المضوى كان معارضاً لتجريد الخليفة عبدالله للخليفتين الحلو وشريف من سلاحهما وانه حرض الاشراف على رفض تسليم السلاح والعبور الى شرق النيل وتكفل بضم اهل الشرق والجزيرة اليهم وتدبير ما يلزم من المؤن ، ولما لم يوافقوه على رأيه خشى ان يبلغ التعايشى تحريضه فيبطش به . وقال انه لفق كتاباً بختم التعايشى قال فيه انه مرسل من قبله بأمر دينى وفر به الى الحبشة . ولكن لا يظهر اسم

المضوى فى حادث الاشراف ، وما يعرضه من دعم اهل الشرق والجزيرة وتدبير المؤن امر فوق طاقته . ولو كان له دور لعلم الخليفة ولا افلت ولا تمكن من الهرب .

ويقول احمد عثمان معتمداً على روايات شفوية انه كان مشتركا فى مؤامرة بعض رؤساء القبائل للقضاء على الخليفة فلما بلغه ان امره قد بان للخليفة وان نيته متجهة اليه باصر واستاذن من الخليفة لثلاثة ايام يقضيها بقريته ثم هرب سرياً . ولكنا نستبعد قصة المؤامرة القبلية ولا نرى ان يتجاوز الخليفة الى هذا المدى لو عرف بضلوعه فى مؤامرة ضده ، بل ولدفعه الاستئذان للشك وعدم التفريط فيه . اننا نحسب ان قصة المؤامرة مختلقة من قبل المضوى لتضخيم دوره ، وهذا هو حال امارته على الجزيرة فيما نحس ، ونرى ان سبب هربه هو ضيقه من الحال وكرهه للبقاء .

استقر المضوى فى دار الحمران على حدود الحبشة وقتاً ثم اتجه الى الحجاز ثم الى بيت المقدس ثم بلغ مصر فى ١٨٩٠ . وهنا اتصل بالمخابرات المصرية الحربية التى كانت ترصد اخبار المهدية وروى ما عنده ، وهذا ما دونه نعوم فى تاريخه . وقد انتسب الى الازهر مرة اخرى وواصل الدرس حتى ١٨٩٦ . ولما استولى كتشنر على دنقلا عين قاضياً بكورتى . وقد نقمت صحيفة مصرية لذلك وقالت كيف لمن حارب مصر فى ثورة ضدها ان يعين فى وظيفة مصرية . وبعد سقوط ام درمان استقال من وظيفته فى ظروف غير واضحة ونفى الى الناصر لثلاثة أشهر ثم عاد الى العيلفون واقام بها حلقة درس ثم حددت اقامته فى ام درمان للتوجس منه . وقد توفى فى ١٩٠٤ ودفن بالعليفون .

لقد المعنا سابقاً ان معارضة المضوى للمهدية نابعة من موقف مبدئى اساسه منهجه العلمى والاحتكام الى علامات المهدية . ونريد الآن ان ننظر فى اسباب معارضته التى ساقها لنعوم شقير .

قال المضوى : وأما أنا فقد رأيت منه اموراً حملتنى على الارتياب بأمره .

فأولاً : انى رأيته يؤثر اقاربه واخصائه (هكذا ، والصواب : اخصاءه) بالغنيمة على بقية جيشه ولا يقسم بينهم بالتساوى كما يطلب الشرع .

وثانياً: انى رأيت بعض انصاره نزلوا على تجار سائرين فى تجارتهم فقتلوهم واخذوا اموالهم ووزعوها بينهم ولم ينكر عليهم ذلك ولا قاصهم .

وثالثاً : انى رايته يقول ان من انكر مهديتى فقد كفر مع ان اركان الايمان فى الاسلام التى اذا انكر الانسان ركنا منها يعد كافراً هى ستة والايمان بالمهدى ليس منها .

ورابعاً : انى لم ار فيه شيئا من العلامات الاجمالية التى اعرفها عن المهدى .

ونقول : النقطة الاولى عن تقسيم الغنائم : هذه نقطة يصعب قبولها او ردها ، اذ لم يورد المضوى حادثاً محدداً وانما رمى حجته على العموم . وسوء توزيع الغنائم واقع فى كل حال بغرض او بغفلة ، وحتى الصحابة رضوان الله عليهم طالهم اللسان . وقد اشتكى الخليفة عبدالله من ايثار احمد سليمان امين بيت المال للأشراف أهل المهدى بالمد بينما يشدد على أهله البقارة ويعوزهم . والمهدى نفسه انكر هذا الايثار من قبل احمد سليمان وتبرأ منه ومن الاشراف فى خطبة جمعة مشهورة لا بد ان المضوى كان حاضراً او سمع بها ان لم يكن حاضراً . وهذا يكفى لنفى تهمة المهدى بايثار الأهل والاخصاء على غيرهم فى تقسيم الغنائم . ومن الوجهة الشرعية انكر البعض ان تحال الغنائم كلها الى بيت المال ويصرف منها على الجميع بدلاً من تقسيم الغنيمة على المحاربين مباشرة . وكانت سرقة الغنائم ، وتسمى الغل والغلول ، من قبل المحاربين مصدر شكوى من المهدى والخليفة فى عبارات تحذيرية مشددة ومنشورات مكررة ، كما ان بعضاً من الانصار كانوا يتظلمون من موقع لآخر من الانصبة التى وزعت بها . فالتجاوز فى تقسيم الغنائم واقع ، وفى كل مرة بسبب ، ولكن القول بأن المهدى نفسه آثر عن قصد اقاربه واخصاءه على غيرهم فى توزيع الغنائم امر من قبيل الطعن فيه بغرض الطعن وحسب . وانا لنعجب كيف يحتج المضوى هنا بالشرع فقط ولا يستدعى الحديث الذى يقول بأن المهدى يقسم المال بالسوية ، فالمساواة فى تقسيم الغنائم من علامات المهدى . وكان الأحرى بالطاعن ان يطعن بهذه النقطة الخاصة التى هى من علامات المهدى . وهى على كل حال تقوم على انكار المسلمين بعدم الانصاف فى توزيع الغنائم بحيث لا تكون المهدية وحدها . وقد تجاوز المضوى الدقة عندما قال بالتساوى فى تقسيم الغنائم ، لأن الغنائم تقسم بأنصبة محددة ، الخمس للامام والأربعة اخماس للمحاربين الذين تتجاوز انصبتهم من راجل الى فارس والى فرس . ولكن الذى كان فى مخيلة المضوى هو البعد عن الايثار فى التوزيع .

النقطة الثانية : لا تشير هذه النقطة الى حادث معين . وقال : « انى رأيت » وهذا مستبعد ، ولو قال : « انى سمعت » لكان أقرب الى واقعه . وكان المعمول به فى هذه الحالات هو التحقيق فى الامر والقطع بحكم والتدقيق فى ايراد الغنيمة لبيت المال . وعندنا ان حجة هذه النقطة لا تتعدى التأليف لمجرد التحجج .

النقطة الثالثة : التكفير ، المضوى مصيب هنا من غير شك من وجهة نظر الشرع ، وقد انكره على المهدى كثير من العلماء المعارضين . وقال علماء الازهر كيف يكفر محمد احمد الاتراك وهم قائمون بكل اركان الاسلام . ولكن ينبغى ان نحيط القارئ بما عليه الجانب الآخر من حجة : ففى الاحاديث الواردة فى المهدى المنتظر حديث يكفر مكذب المهدى . وقد نقله ابن خلدون فى فصله عن المهدى ونقله غيره . ولو استشهد المهدى بهذا الحديث او استند عليه فلا يمكن رده الا بطعن الحديث او انكار مهديته ، وفى هذا وذاك اخذ ورد بغير ان ننتهى الى وجه قاطع . ولكن المهدى لا يستشهد بهذا الحديث ويعفينا عن تبعاته . وكما قد رأيت فان تكفير المخالف وارد فى حضرة تنصيب المهدى على لسان الرسول ، وهذه اجازة المهدى مباشرة بالتكفير ، وانما حجة القائلين بهذا القول ان المكذب بالمهدى مكذب بحديث الرسول ومن ثم بالرسول نفسه وبذلك يكفر . وعلاوة على ذلك يأتى تكفير الترك اعتماداً على انهم بمحاربتهم المهدى يطفئون نور الاسلام .

ويحسن بالقارئ ان يرجع الى فقرة التكفير فى الفصل الثالث والى رسالتى الحسن سعد العبادى والحسين ابراهيم زهرا ورسائل العلماء المعارضين ومن ضمنهم علماء الازهر للوقوف على أوجه النظر حول هذه النقطة .

النقطة الرابعة : العلامات ، وهى أهم النقاط فى اعتراضه ، ولكنه لا يسوق شواهد الخلاف ويكتفى بأنه لم ير فى المهدى شيئاً من العلامات الاجمالية التى يعرفها عن المهدى المنتظر . وهكذا يبتر المضوى فى أهم حججه ولا يفيدنا بهذه العلامات الاجمالية وأوجه مناقضة المهدى لها والتى هى محط النظر للحكم له او للمهدى او عليه او على المهدى .

ادبيات ما بعد المهدية :

بين ايدينا بعض ادبيات كتبت فى اوائل العهد الثنائى لمواجهة ما كان يثار ضد المهدية من مسائل ، وقد جئنا بها بيانا لامتداد الطعن والرد عليه الى ما بعد سقوط المهدية . وهذه الأدبيات

خمسة، اولها فتوى محمد احمد هاشم ، واربعة من وضع يوسف احمد محمد عوض السيد وهو من قبيلة الفادنية وكان على صلة بالسيد عبد الرحمن المهدى . وقد جاءت القطع الأربعة في مخطوط اهداه الفادنية الى السيد الصادق المهدى وقام هو بارساله لنا للنظر وفيه والاستفادة ، اضافة الى هذه القطع الأربعة ، بعض منشورات المهدى وقصائد ومدائح واخبار ومرويات منقولة بخط يوسف نفسه . الا اننا كنا وقفنا على احدى القطع من قبل ونقلنا طرفا منها فى الحركة الفكرية . ويحسن بأسرته ان يجمعوا آثار هذا الرجل لأنه يستحق ان يبقى فى الذاكرة التاريخية ونحن من جانبنا سوف نساعد فى الارشفة وخدمة آثاره .

فتوى محمد احمد هاشم :

ينتمى محمد احمد هاشم الى اسرة الهاشماب المشهورة . وكان ابوه عالماً وقاضياً . وتولى اخوه الاكبر ابوالقاسم الكتابة للمهدى والخليفة ثم تولى القضاء فى العهد الثنائى ، ثم صار شيخاً للعلماء . ومن الموقع الأخير طور المعهد العلمى وخدم التعليم الدينى خدمة جليلة . وكان شاعراً مشهوداً له . واخوه الثانى الطيب عمل مؤدباً لشيخ الدين ابن الخليفة عبدالله . وفى العهد الثنائى التحق بالقضاء ثم صار مفتياً . وكان شاعراً مشهوراً، وبدار الوثائق بعض شعر له بخط يده ، وهو خط جميل . واخوه الثالث ابراهيم كان قارئاً للأدب وشاعراً يميل بشعره الى مدح الرسول (٤٣) .

اما محمد فقد ولد ببلدة الكمير ، موطن الاسرة الأصلى ، وهى قريبة من مدينة شندى . وكان مولده فى عام ١٢٤٠ هـ/١٨٢٥م . وقد تدرج فى تعليمه من مدرسة الى مدرسة : حفظ القرآن فى خلوة نورى قرب مروى ، واخذ التجويد على الشريف محمد الأمين الهندى والعلم على ابيه احمد هاشم وابراهيم ود عيسى الخزرجى والشيخ الحسين ابراهيم زهرا ، وعن هذا الأخير اخذ اخوه الطيب ايضا . ولم يشتهر محمد شهرة اخويه ابى القاسم والطيب . ثم امتهن التدريس ، قيل ناظراً ولكن هذا لا يكون ، اذ لا بد ان يكون مدرساً اولاً . وقيل : لما سقطت التركية ابتعد وقبع فى داره ، ولكن هذا بعيد لأنا لا نرى ان يقبع طول عمره ، ولو قال لفترة لقبلنا . وفى خبر ايضا انه عين فى مدرسة بربر ، ولما جاءت المهدية التحق هو واخوانه بخدمتها ، وجاء فى مذكرات بابكر بدرى انه عمل بالجبهة الشمالية ، وقد انيط به بيت المال فاداره بامانة ونزاهة . وفى سنة ١٩٠٠، على عهد

الحكم الثنائى ، التحق بالقضاء وعين قاضياً لمركز الخرطوم ، وفى هذا الموقع كتب فتواه . فلما كف بصره تقاعد عن القضاء وعين اماماً لجامع الخرطوم . وتوفى فى سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩١٠ .

وكان محمد شاعراً ومؤرخاً نظم تاريخ السمرقندى فى شعر وقيد بعض التدوينات التاريخية . هكذا قيل ولكننا لم نر الا مدونة عن تاريخ اسرة المهدى بجانب فتواه منقولة من القبانى . ويحمد له نقل كتاب اسماعيل الكردفانى «سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى » و«الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش» بخط يده . ومن صدف التاريخ ان نقله أصبح النسخة الوحيدة للكتابين وعليه صار اعتمادنا فى تحقيقهما . ثم كتب هذه الفتوى وهو قاض بمركز الخرطوم .

وقفنا على هذه الفتوى ضمن اوراق على المهدى فى ورقتين بحجم اكبر من حجم الفلسكاب . وفى الوجه الاول من الورقة الأولى فذلكة تاريخية عن اسرة المهدى ، وهى منقولة من كتاب «السودان المصرى والانكليزى» للقبانى . وفيه يرد قوله : وفى كتاب سيرته المطبوع بام درمان رفع هذا النسب الى الحسن السبط . ويقصد بهذا المطبوع «سعادة المستهدى» وهو لم يطبع . ولم يرفع المهدى نسبه بعد المهدية وانما كان هذا النسب معروفا عن اسرته من قبل مولده . ومثل هذا الافتراء كثير عند القبانى . وفى الوجه الثانى من الورقة يرد السؤال الذى يرد عليه محمد بالفتوى . وبالورقة الثانية الفتوى نفسها .

وقد جاء السؤال بخط غليظ تعمد صاحبه ان يخرج عن خطه المعتاد ، وجاءت عبارة السؤال بلغة ضعيفة كأنها تصدر من رجل محدود التعليم ، ووردت فيه عبارات عامية مثل : هما بمعنى هم ، وعالم بمعنى جماعة ، وهممنا بدل همنا ، ونحوى بدل نحو ، وذلك على مجرى النطق العامى . ولكن هناك ايضا بعض تعابير الفقهاء والمصنفين التى لا يمكن ان تصدر من رجل محدود التعليم مثل قوله «مسطور مؤلف فى ابواب» ، وفصول من مستنبط ومعقول» ، «ولسان حال ومقال اهل الديار السودانية والملة الاسلامية» ، و«ادام الله بقاهم ووفقهم لما فيه رضاه» ، و«اتبعوه أقوالاً وأعمالاً وأفعالاً واعتقاداً» . وعلى ذلك فان السائل على علم ببعض امور الفقه ، اما لانه فقيه او لانه مجاور للفقهاء ، وعلى معرفة بالجزيرة ابا ونواحيها وسكانها . وفضلا عن ذلك فاننا نكاد نشم رائحة محمد فى الاسلوب وخصوصاً فى مؤدى السؤال ، والا فأين محدود التعليم الذى يحدد سؤالاً على

هذا الوجه الشرعى الدقيق ! وهكذا نصل بالقرائن الى ان محمداً نفسه هو الذى وضع السؤال . ولكنه تعمد هذا الاسلوب الركيك فى صياغته وكتابته بخط غليظ متعمد التوجيه ، ويبدو واضحاً انه فكر فى موضوعه ثم اعد الفتوى ونقلها بخطه الجميل المتقن ثم سطر السؤال بهذا الوجه من اللغة والاملاء والخط فى الورقة الاخرى حتى لا يكون السائل والمجيب ويكون بعيداً من مغبة .

وصياغة الاسئلة مفصلة على الفتاوى كان متبعا عند العلماء ، احيانا لخلق المناسبة لتوضيح قضية ، واحيانا لتأتى الفتوى موجهة الى قصد معين . وهذا ما اخذه بعض العلماء على الفتاوى التى صدرت بعد فرض المذهب الحنفى فى مصر والسودان باعتبار ان المفتيين اصبحوا يفتون بما يملى عليهم من قبل الحكام . والى هذا ذهب احمد العوام فى اتهامه لعلماء الازهر الذين افتوا بتكذيب المهدى فى دعواه وخروجه على الامام ووجوب محاربته . وكان مما اخذه عليهم انهم حرروا السؤال بالوجه الذى ارادوا ليتسق مع خط الفتوى الذى باتوا عليه . وقد تلقف العبادى وزهرا هذا ورميا العلماء بما رميا من ذم وقدح . ولكن السؤال الذى وضعه العلماء كان تلخيصا دقيقاً لخطاب المهدى الذى وقفوا عليه . وحقيقة فان المرء ليس فى حاجة ليدس مزيداً على المهدى فى ما رآه فى الترك وحكومتهم وضرورة جهادهم بالسيف حتى يقيم شرع الاسلام بالوجه الذى تصوره . اما صاحبنا فكان قصده من الفتوى اصدار حكم على المهدية من وجهة نظر الشرع . وهو يختلف عن العوام .

وقد جاء السؤال موجهاً الى محمد والى من معه من العلماء «خدما الشريعة المحمدية» ، وهذا جانب آخر من التمويه . ثم وصف خط السؤال بقوله «عدم اتقان الرسم كالابتذال» ، وهذا تمويه آخر ، ووصف السؤال نفسه بأنه أبرد من الزلال . وبعكس السؤال فان الفتوى مكتوبة بلغة عربية فصيحة . وتجئ اطرافها مقيدة تقييداً فقهياً جيداً صياغة واستشهاداً واستناداً وتقريراً ، واملاؤها واضح ومنضبط ، الا انه كعادة زمنه يهمل اثبات الهمزات ، وقد اثبتنا بعضها فى نقلنا بغاية التوضيح . وفى اسلوبه سجع لا يبعدك عنه .

والفتوى تتكون من طرفين ، اولهما الذى اثار النظر ، والثانى النظر فى السؤال بالمناقشة واوجه الرأى ثم الوصول بها الى رأى محدد . والسؤال هو كيف ننظر الى المهدية وما تم فيها من امور

من وجهة النظر الشرعية ، هل هى شرعية ام غير شرعية ، وهذا يعتمد على حكمنا على المهدى وجماعته : هل هم كفار يحرم ما اتوا به ام هم مسلمون نقبل ما اتوا به وما ترتب عليه . ان صاحب الفتوى ينتهى الى انهم بغاة بحكم انهم خرجوا على النظام الاسلامى القائم ، والباغى لا يخرج عن الايمان بمقتضى آية الاقتتال بين المسلمين ، اذا امسك عن الحرب ترك ، ولا يحاسب على خروجه ، وقيل يؤدب . وانما ينظر فى فساده اذا أفسد بنهب او قتل . وعلى ذلك لا يسقط ما تم فى المهدية من أمور اذا كانت مبنية وفق الشرع .

لقد حدد السائل اسئلته على هذا الوجه :

أ- استباحة اموال المسلمين ، وهنا يلاحظ انه لم يذكر اموال النصارى والترك مع ان هذه ايضا محمية فى الدولة الاسلامية .

ب- سفك دماء المسلمين تحت طائلة تكفير المنكرين للمهدى مع ان المسلم لا يحل دمه .

جـ- الانكحة وما ينشأ عنها من حالات الزواج والطلاق والذرارى والمواريث .

د- الصلوات .

السؤال :

اشار السائل الى المهدى بالمتمهدى ، وهذا يدل على وجهة نظر ، اى انه يعترض على مهدية المهدى ويعتبره مدعيا وحسب . وقد جعل بداية المهدية فى ١٢٩٩ او ١٢٩٨هـ ، والتاريخ المحدد لتخليفه مهدياً هو اول شعبان ١٢٩٨ ولكنه تلقى الأشارة بها من ربيع الثانى . وعلى ذلك فان التاريخ الذى اراده هو ١٢٩٨ . وقال ان الشلك حاميون ، ونحن لا نظن ذلك ، لأنهم نيليون ، وهؤلاء بخلاف الحاميين الذين هم النوبة والبجا ومن اليهم . وقد وصف المهدى وصف من ينكر مهديته ويستنكر ما اتى به ، يقول : «فظهر رئيس الفتنة بينهم بصفة العابد والمتنسك ويزعم انه على طريقة الشيخ السمانى رضى الله عنه ثم العالم المتهتك فى آخر امره» . ومن هذا الموقف المعارض تنشأ قضيته التى يسأل عنها وهى ما ترتب على قيام المهدية وطاعة الناس لها وهل يعتبر ما عقدوه صواباً من وجهة النظر الشرعية فيصبح ما ترتب عليه صواباً ام فساداً ويسقط ما ترتب عليه . يقول : «فتعبدوا على مذهبه المستقل وائتموا به صلاة واتبعوه اقوالاً واعمالاً وافعالاً واعتقاداً

فى نكاح وطلاق وغير ذلك» . وقد صار همه عواقب هذا الاتباع : «فيما فعلناه معه عبادة نحوى الصلاة والنكاح وما نشأ من الذرارى وما سيحصل فى المواريث بسبب الحاق الذرية بآبائهم مع صحت النكاح التى تنبنى عليها عدة امور ، وبخصوص الصلاة أتجب اعادتها للمؤتم بهم ام لا» .

الفتوى :

لقد اتبع المفتى القوام التقليدى للفتوى الشرعية وجعل فتواه فى مرحلتين مرحلة التمهيد ومرحلة صلب الفتوى ، وجاء بناء المرحلتين على الوجه المعروف .

التمهيد :

ويبدأ التمهيد على عادة الأدبيات الدينية ، بل وكل محرر ذى جدوى عند المسلمين ، بالبسملة والحمدلة . ثم ينتقل الى تلخيص السؤال وتحديد الامور التى يفتى عليها . وقد حددت الامور على هذا الوجه : استحلال فروج النساء واستباحة اموال المسلمين وسفك دمائهم وفى انكحتهم وما ينشأ منها من ذرارى ومواريث وفى اعادة الصلوات الخمسة التى صليت خلفهم مع تكفير المسلمين. ولكن التكفير لم يأت ضمن ما طلب الفتوى فيه وانما فى وصف ما فعل المهدى . ولنا ان نتساءل هل المقصود به اعتبار الانصار كفاراً ام المقصود قول المهدى واتباعه بتكفير مخالف المهدى . ونحن نميل الى الاحتمال الأخير لأن المناسبة تتعلق بما خالف به المهدى . وعلى اى فان التكفير لم يترتب عليه ما يصحح مثل اعادة الصلوات والانكحة .

صلب الفتوى :

الاجابة مبنية على ما جاء فى آية الاقتتال : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » الخ . وقد شرح الآية شرحاً جيداً وبين مناسبتها معتمداً على كتب التفسير ثم استخرج منها الفائدة المتصلة بقضيته وهى تصنيف المحاربين فى الفئات الثلاثة المعروفة : الخوارج والبغاة وقطاع الطرق . وقد اخذ البغاة اولاً ووصف صنيعهم ثم بين حكم الشرع عليهم وهو قتالهم وحل دمائهم ، فاذا انهزموا لم يتبع منهم منهزم ولم ينجز على جريحهم الا اذا خيف من رجوعه ولا تصاب اموالهم ولا حريمهم، ولا يقام عليهم حد الحرابة اذا وقعوا فى الاسر بل يؤدبون حتى يتوبوا ، وما اتلفوه من مال ونفس ينظر فيه بالوجه الذى يذكره . ثم يوضح الفرق بين قتال البغاة وقتال المشركين فى احد

عشر وجهاً . ثم ينتقل الى المحاربين – وهم الخوارج – ويقول ان قتالهم كقتال البغاة الا فى خمسة امور يذكرها . وفى أخر هذا الموضع سقط ما ذهب بخلاف العلماء حول ما اخذوه من الزكاة والخراج عمن كان عليه . وحكم الشرع حيال هؤلاء هو ان ينصر الامام عليهم . ثم بين الفرق بين الخوارج والبغاة . وقد جرت مناسبة ركون الخوارج فى اعتقادهم بكفر من خرجوا عليه الى ما وقع من اتباع محمد عبدالوهاب في الحجاز اذ اعتقدوا انهم هم المسلمون وان من خالف اعتقادهم مشركون . وعلى نفس الوجه قاس حال محمد المهدى : «ادعى الامامة الكبرى لشبه ودلائل قامت لديه ورأى انه على الحق وغيره على الباطل كفراً وجرد سيفه واستحل الدماء والاموال وسبا ذرارى من خالفه وغنم امواله وفعل ما فعل . وحكم الخوارج عند جمهور الفقهاء والمحدثين حكم البغاة ، اى انهم مسلمون . الا ان بعض المحدثين ذهبوا الى كفرهم . غير ان آيات الاقتتال التى بدأ بها نظره تدل فى رأيه على عدم كفرهم وانهم مومنون . وعلى ذلك :

– الصلوات خلفهم لا تعاد متى ما جاءت على الوجه الصحيح .

– انكحتهم وطلاقهم صحيحة متى ما كانت على الوجه الشرعى .

– مواريثهم ماضية الا اذا اخلت قواعدها .

ولكن المهدى – تاريخياً – لم يستن فى هذه المواضع رسماً جديداً اللهم الا اعتبار طلاق ما قبل المهدية والتطليق اذا انضم احد الزوجين الى المهدى بينما بقى الآخر مع المخالفين له .

ثم ينظر فى بطلان القول بتكفير الباغى مستدلاً بأن فى الآية التى ذكرها دلالة على ان الباغى لا يخرج بالبغى عن الايمان ، وفيه دلالة على ان الباغى اذا امسك عن الحرب ترك لأنه فاء الى امر الله . ثم يعود الى حكم الباغى وما يكون عليه موقف المسلمين من قتالهم مع الخليفة او الابتعاد عن القتال كلياً وما يؤخذون به على خروجهم .

وكما ترى فان الفتوى جاءت مكتملة فى بيانها وبلغت مبلغها بالحجة والاستشهاد والبيان وان كآن سقوط اطراف منها افسد علينا بعض المواقع . وقد يلاحظ ان محمداً كرر فى الثلث الأخير بعض ما ذكر سابقاً حتى يظن ان بالنقل خلطاً ولكن النص صحيح على هذا الوجه . وسبب التكرار انه اراد فى الثلث الاخير ان ينفى كفر الباغى فأورد حججاً كان منها ما اقتضى تكرار

بعض ما قال سابقاً . وملاحظة اخرى وهى انه لم يشرح معنى قطاع الطرق ولا بين حكمهم . وسبب ذلك ان هؤلاء لا تداخل بينهم وبين البغاة مثل التداخل الذى بين البغاة والخوارج . لذلك يجوز له ان يسقط بغير اخلال لبناء الفتوى .

الاجوبة المسكتة للسيد احمد عبد الله الفاسى الذى آمن بالمهدى ولم يره :

وهو من وضع يوسف احمد محمد عوض السيد ، وقد وقفنا عليه فى مخطوط الفادنية الذى سلف ذكره . وقد حقق يوسف بهذا أكبر انجاز له فى هذا الميدان ، اذ انه وضع جملة القضايا التى شغلته فى موضوع المهدية وجعلها فى هذا الحوار الذى لا نشك فى انه متصور ولم يقع حقيقة، يقول انه التقى فى ١٣٠٦هـ بالمدينة المنورة برجل من اشراف فاس هو احمد عبدالله ووقع بينهما هذا الحوار ، وهو يسأل عما يحيره فى امر المهدى والفاسى يجيب بما يؤكد ، او قد يثير الفاسى موضوعا ويضع اجابته . وقد نشرنا بالاشتراك مع الدكتور كنوت فيكار ترجمة نص الاجوبة الى الانجليزية مع مقدمة وتعليقات .

واليك مسائله :

أ ـ انه رأى عند السلطان عبد الحفيظ سلطان فاس ما كتبه المهدى له ، وان السلطان مؤمن بالمهدى وانه استن فى حربه ضد الفرنسيين فى الدار البيضاء بسنة المهدى واتخذ السيف بدل البندقية .

ب ـ يؤكد وصول خطابات المهدى الى المغرب بعكس ما ذكره نعوم شقير .

ج ـ يذكر تسليم السنوسى بمهدية المهدى ويذكر اشارة الى كتاب السنوسى الى الخديوى .

د ـ القول بأن بيعة المهدى تكون بين الركن والمقام ، الرد : البيعة العامة للمهدى تكون بالمغرب ، اما البيعة بين الركن والمقام فبيعة خاصة بالخواص ، اى فى مكة اتفاقا مع الأحاديث المشهورة ، وهذا تخريج ليوسف لم يسبقه اليه احد ، والعبادى وزهرا يقولان ان هذه البيعة قادمة عندما يفتح المهدى مكة وبها تتم المهدية الكبرى ، وقال الانصار بعد وفاة المهدى فى رسائلهم ايضا انها تتم على يد خلفائه .

هـ ـ كون المهدى بشر بملك الارض ولم يحصل ، والرد : ان ذلك من اطلاق الكل على الجزء .

و ـ كون المهدى قال بأنه يصلى فى كل المساجد ، والرد : ان الولى يتصور بصور متعددة ويصلى حيث اراد .

ز ـ ظهور المهدى فى ابا مع ان المتواتر ظهوره فى المغرب الأقصى ، الرد : الجزيرة ابا التى ظهر فيها المهدى مغرب أقصى بالنسبة لمكة والمدينة ، وهذا هو نفس ما عليه العبادى .

ح ـ السؤال عن خلفاء المهدى وتتابعهم فى الحكم ، الرد : رابع الخلفاء هو السنوسى (انظر فقرة ج اعلاه) ، والخلافة وراثة النبى وليس المراد ان الخلفاء يحكمون ، والخليفة الحلو والخليفة شريف لم يحكما مع الخليفة عبد الله .

ط ـ كسر قبة المهدى على يد كتشنر لا يقدح فى المهدى ولا يتهدم به ، والمهم ليس البناء وانما «ما منحه للناس من الشجاعة والتوحيد وارشاد العباد الى طاعة الرب المجيد وما ادخلهم فيه من رتبة الشهادة التى هى فوق كل رتبة من رتب الصالحين» . وقد اجاد هنا من غير شك .

ى ـ ماذا يقول عن امامة المهدى لعيسى فى الصلاة كما فى بعض الأحاديث ، الرد: تجوز امامته ويجوز انها تمت .

ك ـ الملك الذى ينادى مشيراً الى المهدى كما فى الحديث ، الرد : النداء فى القلوب ، والناس لا يرون الملائكة ، وقد اتبعوا المهدى اتباعاً للنداء الذى وقع من الملك .

ل ـ ماذا يقول عن النعم التى قيل انها تعم فى زمن المهدى ، الرد : النعمة فى الشهادة وليست فى الأكل والشرب .

وهكذا يتبين كيف يحدد يوسف احمد محمد عوض السيد مواضع المؤاخذة والتردد فى سيرة المهدى بالقياس الى العلامات التى وردت فى الأدبيات عن المهدى المنتظر وكيف يحاول التوفيق بما ينفى الشك فى احوال المهدى ويثبت صدق مهديته .

كتاب الدلالة على المهدى :

يبنى المؤلف هذه الدلالة على جملة احاديث مصحوبة بأدبيات ، اولها حديث طويل موضوع على احوال السودان ومكيف على حوادث المهدية ، وهذا الحديث منقول فيما يقول عن كتاب « الكوكب العلى فى الحديث النبوى » للشيخ عبد الله الهندى . ولا شك عندنا ان كل ذلك موضوع بغرض

مناصرة المهدية . ومن اهم القضايا التى يعنى بها واضع الحديث قضية وزراء المهدى ووضع الخليفة عبد الله . وقد بدأ ذلك بذكر وزراء المهدى الذين يرد ذكرهم فيما يروى عن المهدى المنتظر وبالذات فيما ينقل عن محيى الدين بن عربى . يقول : « فيجتمعون اليه وزرايه ، فمنهم من يرفده بالعجب ومنهم من يرفده بالانكار» . والمقصود بالاول ادريس الذى قيل انه رفع عن الوزارة لغروره وانه استشهد ، وتدل الدلائل على انه فقد موقعه نتيجة لمنافسة غيره له ، هذا اذا كان امره حقيقة، وعندنا ان قصته كلها مختلقة . وذكر يوسف نفسه ان المهدى عين الاعيسر فى موضع السنوسى فى خلافة عثمان بن عفان ، ولكن لا دليل على ذلك . وكون ان الخليفة كتب الى السنوسى بنفس العرض يدل على ان خلافته كانت باقية. وقال ونجت انه سمع بخلافة الاعيسر لعثمان ولكن الخبر لم يؤيد فاهمله ، ولو وقعت الخلافة لدونت لانها امر مهم ويصدر من الرسول كما صدر تخليف عبدالله والحلو وشريف والسنوسى ، اما الذى ذهب لانكاره فالمقصود به السنوسى . وقد وصف الخليفة عبد الله بأنه « يرشد الضال ويرد الضلالة وتخشاه الجبابرة وتحبه الفقراء والمساكين واكثر توليته فى الناس ابناء جنسه قرابة وصهارة » .

والمتتبع لهذا الحديث فى قراءة متأنية يمكن ان يقف على كثير من القضايا التى يعنى بها واضع الحديث دفعا لما كان يوجه من نقد واتهام .

ثم يروى بعد ذلك ١١ بيتا ينسبها الى ابى عربى ، ولكن اولها رواية بتصرف لأبيات مشهورة من شعر الشيعة تنسب عادة للشاعر الشيعى كثير عزة ولكنها بالتحقيق للشاعر الحميرى ، وهو من شعراء الشيعة ايضا ، وهى :

الا ان الائمة من قريش	ولاة الحق اربعة سواء
على والثلاثة من بنيه	هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر	وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا	برضوى عنده عسل وماء

ونذكر ان استاذنا حسن عمر الازهرى المشهور بابن عمر حفظنا هذه القصيدة فى مدرسة حلفا

الوسطى وشرحها لنا ولكننا ما كنا عندئذ نعرف شيئا من امر الشيعة ولكن حب آل البيت كان يغمر القلوب ويشدنا الى الأبيات .

وتلى هذه الأبيات ٨ ابيات منسوبة الى الشيخ الطيب البشير ، شيخ السمانية ، فيها تنبؤ بأحوال مهدية السودان .

كتاب رد المنافقين :

وها هنا يذكر ايضا كتاب «الكوكب العلى فى الحديث النبوى» باعتباره مصدره فى الحديث ويكرر اغلب ما روى على وجه الحديث فى القطعة السابقة . ويأخذ خبر وزراء المهدى حيزاً واضحاً: ذكر ادريس الذى أبعد لغروره واستشهاده من بعد فيما قال ، ثم ذكر الخليفة عبد الله فالخليفة على الحلو فالخليفة السنوسى: «الذى خلفه رسول الله محل عثمان وعزله صلى الله عليه وسلم لانكاره» . ثم جلال الدين بن احمد وزيره فيما يقول فى الباطن . ويلاحظ هنا انه لم يذكر الخليفة شريف ، ثم روى طرفاً من سيرة المهدى واخباره فى شكل حديث . وما ذكره من خلافة ادريس ووزارة جلال الدين باطل تاريخياً وعقدياً .

رسالة الامامة الكبرى فى المهدى عليه السلام الشيخ الأكبر ابن عربى :

وهى رسالة موضوعة وضعت لاثبات ان المهدى المنتظر يظهر فى السودان . وقد اخذنا جانباً من نصها من المرحوم محمد السيد بن الخليفة عبدالله ، وكان من المهتمين بتاريخ المهدية وترك مدونات لم تنشر بعد بالاضافة الى كراسة مطبوعة ، وقد املاه علينا من محفوظه ، ثم قرأه علينا المرحوم محمد المهدى بن الخليفة عبدالله من محفوظه ايضا . وقد اوردنا هذا الجانب فى كتاب «الحركة الفكرية». ثم وقفنا على نصها فى مخطوط نصيحة الحق الموافق لهداية عبد الرحيم الصادق ، وذلك فى مخطوط الفادنية ، ومن هنا نقلنا النص الذى نسوقه . وصواب الاسم عبد الرحمن وليس عبد الرحيم ، والصادق لقب السيد عبد الرحمن ، اى ان يوسف دون ذلك للسيد عبد الرحمن المهدى .

وظاهر ان يوسف وقف على كتاب عنقاء مغرب لمحيى الدين بن عربى وانه استعان ببعض فقراته ثم شق طريقه الخاص فى خصوصيات مهدى السودان ، وقد أظهر براعة فى محاكاة اسلوب ابن عربى ، ولعل ان يكون هذا من أرفع ما كتب .

ابن خلدون : المقدمة ، الفصل عن الفاطمـــى (١)

فى أمر الفاطمى وما يذهب اليه الناس فى شأنه وكشف الغطاء عن ذلك :

اعلم ان المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على ممر الاعصار ، انه لا بد فى آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ، ويستولى على الممالك الاسلامية ، ويسمى بالمهدى ؛ ويكون خروج الدجال وما بعده من اشراط (٢) الساعة الثابتة فى الصحيح، على اثره، وان عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال ، او ينزل معه فيساعده على قتله ، ويأتم بالمهدى فى صلاته . ويحتجون فى هذا الشأن باحاديث خرّجها الأئمة وتكلم فيها المنكرون لذلك ، وربما عارضوها ببعض الاخبار . وللمتصوفة المتأخرين فى امر هذا الفاطمى طريقة اخرى ، ونوع من الاستدلال ، وربما يعتمدون فى ذلك على الكشف الذى هو اصل طرائقهم .

ونحن الآن نذكر هنا الاحاديث الواردة فى هذا الشأن وما للمنكرين فيها من المطاعن وما لهم فى انكارهم من المستند ، ثم نتبعه بذكر كلام المتصوفة ورأيهم ، ليتبين لك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى . فنقول :

ان جماعة من الائمة خرّجوا احاديث المهدى ، منهم الترمذى وابو داود والبزاز وابن ماجة والحاكم والطبرانى وابو يعلى الموصلى ، واسندوها الى جماعة من الصحابة مثل علىّ وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وابى هريرة وانس وابى سعيد الخدرى وام حبيبة وام سلمه وثوبان وقرة بن اياس وعلى الهلالى وعبد الله بن الحارث بن جزء ، بأسانيد ربما يعرض لها المنكرون كما نذكره . الا ان المعروف عند اهل الحديث ان الجرح مقدم على التعديل . فاذا وجدنا طعنا فى بعض

---

(١) نص فصل « فى امر الفاطمى وما يذهب الناس فى شأنه وكشف الغطاء عن ذلك » من الباب الثالث من مقدمة ابن خلدون . وقد نقلناه عن طبعة « كتاب الشعب » المصرية والصادرة باشراف الدكتور على عبد الواحد وافى (القاهرة ، بدون تاريخ) الفصل ٥٣ ص ٢٧٩ – ٢٩٦ وعارضناه بطبعة مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر (بيروت ١٩٦٧) الفصل ٥٢ ص ٥٥٥ – ٥٨٦ . ولم تتوافر بين ايدينا عند الاعداد طبعة لجنة البيان العربى التى صدرت بتحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى وتعد أوفى الطبعات ، لأن صديقاً عزيزاً استعارها منا وشاء ان تكون عنده ابداً . ولم نجدها عنـد غيرنا فى حدود اجتهادنا . وقد رمزنا للمصدر الأول بعبارة « الشعب » وللثانى بعبارة « بيروت » . وعلى عبد الواحد وافى عالم مصرى مشهور حقق المقدمة واصدرها بمقدمة جيدة . نال جائزة الدولة التقديرية المصرية فى آخر عمره . وقد توفى ١٩٩١ . وله مؤلفات علمية متينة وكثيرة . ومراجعته لطبعة « كتاب الشعب » تعطى هذه الطبعة اهمية .

(٢) اشراط : يعنى العلامات : بيروت .

رجال الاسانيد بغفلة او بسوء حفظ او ضعف او سوء رأى تطرق ذلك الى صحة الحديث وأوهن منها . ولا تقولن : مثل ذلك ربما يتطرق الى رجال الصحيحين (٣) ، فان الاجماع قد اتصل فى الامة على تلقيهما بالقبول والعمل بما فيهما ، وفى الاجماع اعظم حماية واحسن دفع . وليس غير الصحيحين بمثابتهما فى ذلك ؛ فقد نجد مجالا للكلام فى اسانيدها بما نقل عن ائمة الحديث فى ذلك .

ولقد توغل ابو بكر بن ابى خيثمة ، على ما نقل السهيلى عنه ، فى جمعه للأحاديث الواردة فى المهدى فقال : ومن اغربها اسنادا ما ذكره ابو بكر الاسكاف فى فوائد الاخبار ، مسندا الى مالك ابن انس عن محمد بن المنكدر عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كذب بالمهدى فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كفر» (٤) . وقال فى طلوع الشمس من مغاربها (٥) مثل ذلك فيما احسب . وحسبك هذا غلوا . والله اعلم بصحة طريقه الى مالك بن انس . على ان ابا بكر الاسكاف عندهم متهم وضّاع (٦) .

واما الترمذى فخرّجه هو وابو داود بسنديهما الى ابن عباس من طريق عاصم بن ابى النجود احد القراء السبعة الى زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى او من اهل بيتى يواطيء اسمه اسمى، واسم ابيه اسم ابى » .. هذا لفظ ابى دواد وسكت عليه . وقال فى رسالته المشهورة : « ان ما سكت عليه فى كتابه فهو صالح ». ولفظ الترمذى : « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتى يواطيء اسمه اسمى » ؛ وفى لفظ آخر : « حتى يلى رجل من اهل بيتى » ، وكلاهما حديث حسن صحيح . ورواه ايضا من طريق موقوفا على ابى هريرة ، وقال الحاكم : رواه الثورى وشعبة وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم . قال : وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة على ما أصلته من الاحتجاج بأخبار عاصم ، اذ هو امام من أئمة المسلمين . انتهى .

---

(٣) يعنى : البخارى ومسلم : الشعب .

(٤) فى بعض النسخ : ومن كذب بالدجال فقد كذب : الشعب ، فى بعض النسخ فقد كفر : بيروت .

(٥) مغربها : بيروت .

(٦) اى يكثر من وضع الأحاديث واختلاقها : الشعب .

الا ان عاصما قال فيه احمد بن حنبل : كان رجلا صالحا قارئا للقرآن خيرا ثقة ، والأعمش احفظ منه . وكان شعبة يختار الاعمش عليه في تثبيت الحديث . وقال العجلي : كان يختلف عليه في زر وابي وائل ، يشير بذلك الى ضعف روايته عنهما . وقال محمد بن سعد : كان ثقة الا انه كثير الخطأ في حديثه . وقال يعقوب بن سفيان : في حديثه اضطراب. وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم : قلت لأبي ان ابا زُرعة يقول : عاصم ثقة ، فقال : ليس محله هذا . وقد تكلم فيه ابن علية فقال : كل من اسمه عاصم سيء الحفظ . وقال ابو حاتم : محله عندي محل الصدق صالحُ الحديث ، ولم يكن بذلك الحافظ . واختلف فيه قول النسائي . وقال ابن حِراش : في حديثه نكرة . وقال ابو جعفر العقيلي : لم يكن فيه الا سوء الحفظ . وقال الدارقطني : في حفظه شيء . وقال يحيى القطان : ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدته رديء الحفظ . وقال ايضا سمعت شعبة يقول : حدثنا عاصم ابن ابي النجود وفي الناس (٧) ما فيها . وقال الذهبي : ثبت في القراءة ، وهو في الحديث دون الثبت ، صدوق فهم . وهو حسن الحديث .

وان احتج احد بأن الشيخين اخرجا له ، فنقول اخرجا له مقرونا بغيره لا اصلا . والله اعلم .

وخَرج ابو داود في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية فطر بن خليفة عن القاسم بن ابي مرة عن ابي الطفيل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من اهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا » .

وفطر بن خليفة وان وثقه احمد ويحيي بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم ، الا ان العجلي قال : حسن الحديث وفيه تشيع قليل . وقال ابن معين مرة : ثقة شيعي . وقال احمد بن عبد الله ابن يونس : كنا نمر على فطر وهو مطروح ولا نكتب عنه . وقال مرة كنت امر به وادعه مثل الكلب . وقال الدارقطني : لا يحتج به . وقال ابو بكر بن عياش : ما تركت الراوية عنه الا لسوء مذهبه . وقال الجرجاني : زائغ غير ثقة . انتهى .

وخرّج ابو داود ايضا بسنده الى علي رضي الله عنه عن هرون بن المغيرة عن عمر ابن ابي قيس ، عن شعيب بن ابي خالد ، عن ابي اسحق السبيعي قال : قال علي ونظر الى ابنه الحسين :

(٧) لعل كلمة « الناس » محرفة عن كلمة « النفس » : اي وفي النفس من ناحيته وناحية الثقة بكلامه ما فيها : الشعب ، كذا بالأصول ، ومقتضى سياق العبارة : وفي النفس ما فيها : بيروت .

« ان ابنى هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخُلق ولا يشبهه فى الخَلق يملأ الارض عدلا » . وقال هرون : حدثنا عمر بن ابى قيس عن مطرف بن طريف عن ابى الحسن عن هلال بن عمر ، سمعت عليا يقول ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطىء او يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وجب على كل مؤمن نصره ، او قال اجابته » .

سكت ابو داود عليه . وقال فى موضع آخر فى هرون : هو من ولد الشيعة ، وقال السليمانى : فيه نظر . وقال ابو داود فى عمر بن ابى قيس : لا بأس به ، فى حديثه خطأ . وقال الذهبى : صدق(٨) له أوهام . واما ابو اسحق السبيعى وان خرج عنه فى الصحيحين فقد ثبت انه اختلط آخر عمره ، وروايته عن عليّ منقطعة ، وكذلك رواية ابى داود عن هرون بن المغيرة . واما السند الثانى فابو الحسن فيه وهلال بن عمر مجهولان ، ولم يعرف ابو الحسن الا من رواية مطرف بن طريف عنه . انتهى .

وخرّج ابو داود ايضا عن ام سلمة وكذا ابن ماجة والحاكم فى المستدرك من طريق على ابن نفيل، عن سعيد بن المسيب ، عن ام سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المهدى من ولد فاطمة » . ولفظ الحاكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر المهدى فقال : « نعم هو حق وهو من بنى فاطمة » .

ولم يتكلم عليه بصحيح ولا غيره ، وقد ضعفه ابو جعفر العقيلى وقال : لا يتابع على ابن نفيل عليه ، ولا يعرف الا به .

وخرّج ابو داود ايضا عن ام سلمة من رواية صالح ابى الخليل عن صاحب له عن ام سلمة قال: « يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل من اهل المدينة هاربا الى مكة ، فيأتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، فيبعث اليه بعث من الشام ، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدال (٩) اهل الشام ، وعصائب اهل

(٨) فى القاموس : الصدق الصادق والكامل من كل شئ : الشعب .

(٩) فى القاموس : الابدال قوم بهم يقيم الله عز وجل الارض ، وهم سبعون : اربعون بالشام وثلاثون بغيرها ، لا يموت احدهم الا قام مكانه آخر من الناس : الشعب ، الابدال الاولياء والعباد ، سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد ابدل آخر به : بيروت .

العراق فيبايعونه . ثم ينشأ رجل من قريش اخواله كلب ، فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل فى الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقى الاسلام بجرانه (١٠) على الارض فيلبث سبع سنين ». وقال بعضهم : تسع سنين . ثم رواه ابو داود من رواية ابى خليل عن عبد الله بن الحارث عن ام سلمة ، فتبين بذلك المبهم فى الاسناد الاول . ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغمز .

وقد يقال : انه من رواية قتادة عن ابى الخليل ، وقتادة مدلس ، وقد عنعنه ، والمدلس لا يقبل من حديثه الا ما صرح فيه بالسماع . مع ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدى . نعم ذكره ابو داود فى ابوابه .

وخرّج ابو داود ايضا وتابعه الحاكم عن ابى سعيد الخدرى من طريق عمران القطان عن قتادة عن ابى بصرة عن ابى سعيد الخدرى (١١) قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المهدى منى اجلي(١٢) الجبهة اقني(١٣) الانف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، يملك سبع سنين » . هذا لفظ ابى داود وسكت عليه . ولفظ الحاكم : « المهدى منا اهل البيت ، اشم (١٤) الانف اقنى اجلى يملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما ، يعيش هكذا ، وبسط يساره واصبعين من يمينه السبابة والابهام وعقد ثلاثة » . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

وعمران القطان مختلف فى الاحتجاج به ، وانما اخرج له البخارى استشهادا لا اصلا . وكان يحيى القطان لا يحدث عنه . وقال يحيى بن معين : ليس بالقوى . وقال مرة : ليس بشئ . وقال احمد بن حنبل : ارجو ان يكون صالح الحديث . وقال يزيد بن زريع : كان حروريا (١٥) وكان يرى

(١٠) الجران مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره ، فاذا برك البعير ومد عنقه على الارض قيل القى جرانه ، والتعبير هنا كناية عن الاستقرار والتمكن : الشعب .

(١١) ورد فى « بيروت » بعد هذا قوله : من طريق عمران القطان عن قتادة عن ابى بصرة عن ابى سعيد الخدرى ، وهو تكرار لما سبق .

(١٢) اجلى : واسعها : بيروت ، ، فى القاموس : هو اجلى الجبهة واسعها : الشعب .

(١٣) اقنى الانف : مرتفع اعلاه محدودب وسطه : بيروت ، فى القاموس : اقنا الانف ارتفاع اعلاه واحديداب وسطه وسبوغ طرفه : الشعب .

(١٤) الشمم ارتفاع الانف : بيروت .

(١٥) الحرورية فرقة من الخوارج ينسبون الى « حروراء » ، قرية بقرب الكوفة كان بها اول اجتماع لهم : الشعب ، الحرورية فرقة من الخوارج ينسبون الى « حروراء » ، قرية قرب الكوفة : بيروت .

السيف على اهل القبلة . وقال النسائى : ضعيف . وقال ابو عبيد الآجرى : سألت ابا داود عنه فقال من اصحاب الحسن وما سمعت عنه الا خيرا . وسمعته مرة اخرى ذكره فقال : ضعيف ، افتى فى ايام ابراهيم بن عبد الله بن حسن بفتوى شديدة فيها سفك الدماء .

وخرج الترمذى وابن ماجة والحاكم عن ابى سعيد الخدرى ، من طريق زيد العمى عن ابى صديق الناجى عن ابى سعيد الخدرى قال : خشينا ان يكون بعض شيء حدث ، فسألنا نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ان فى امتى المهدى يخرج ، يعيش خمسا او سبعا او تسعا » ، زيد الشاك ، قال قلنا : وما ذاك ؟ قال : « سنين » قال : « فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدى اعطنى » . قال : فيحثو له فى ثوبه ما استطاع ان يحمله » . لفظ الترمذى قال : هذا حديث حسن . وقد روى من غير وجه عن ابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم . ولفظ ابن ماجه والحاكم : «يكون فى امتى المهدى ان قصر فسبع والا فتسع ، فتنعم امتى فيه نعمة لم ينعموا بمثلها قط ، تؤتى الارض اكلها ولا يدخر منه شيء . والمال يومئذ كدوس (١٦) فيقوم الرجل فيقول : يا مهدى اعطني! فيقول خذ » . انتهى .

وزيد العمى ، وان قال فيه الدارقطنى واحمد بن حنبل ويحيى بن معين : انه صالح ، وزاد احمد: انه فوق يزيد الرقاشى وفضل بن عيس الا انه قال فيه ابو حاتم : ضعيف ، يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال يحيي بن معين فى رواية اخرى : لا شيء . وقال مرة : يكتب حديثه ، وهو ضعيف . وقال الجرجانى : متماسك . وقال ابو زرعة : ليس بقوى واهى الحديث ضعيف . وقال ابو حاتم ليس بذاك ، وقد حدث عنه شعبة . وقال النسائى : ضعيف . وقال ابن عدى : عامة ما يرويه ومن يروى عنهم ضعفاء ، على ان شعبة قد روى عنه ، ولعل شعبة لم يرو عن أضعف منه .

وقد يقال ان حديث الترمذى وقع تفسيرا لما رواه مسلم فى صحيحه من حديث جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يكون فى آخر امتى خليفة يحثو المال حثوا لا يعده عدا » . ومن حديث ابى سعيد قال : « من خلفائكم خليفة يحثو المال حثوا» . ومن طريق اخرى عنهما قال : «يكون فى آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده » انتهى . واحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر

---

(١٦) يعنى : كثير ، « يكدس بعضه فوق بعض » : بيروت .

المهدى ولا دليل يقوم على انه المراد منها .

ورواه الحاكم ايضا من طريق عوف الاعرابى عن ابى الصديق الناجى عن ابى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تملأ الارض جورا وظلما وعدوانا ، ثم يخرج من اهل بيتى رجل يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا » .

وقال فيه الحاكم : هذا صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

ورواه الحاكم ايضا من طريق سليمان بن عبيد عن ابى الصديق الناجى عن ابى سعيد الخدرى، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج فى آ خر امتى المهدى يسقيه الله الغيث ، وتخرج الارض نباتها، ويعطى المال صحاحا، وتكثر الماشية ، وتعظم الامة ، يعيش سبعا او ثمانيا» يعنى حججا . وقال فيه : حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . مع ان سليمان بن عبيد لم يخرج له احد من الستة ، لكن ذكره ابن حبان فى الثقات . ولم يرد ان احدا تكلم فيه .

ثم رواه الحاكم ايضا من طريق اسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وابى هرون العبدى عن ابى الصديق الناجى عن ابى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تملأ الارض جورا وظلما فيخرج رجل من عترتى فيملك سبعا او تسعا فيملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما» .

وقال الحاكم فيه : هذا حديث صحيح على شرط مسلم . وانما جعله على شرط مسلم لأنه اخرج عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق . واما شيخه الآخر وهو ابو هرون العبدى فلم يخرج له. وهو ضعيف جدا متهم بالكذب، ولا حاجة الى بسط اقوال الائمة فى تضعيفه .

واما الراوى له عن حماد بن سلمة وهو اسد بن موسى ويلقب اسد السنة ، وان قال البخارى : مشهور الحديث ، واستشهد به فى صحيحه ، واحتج به ابو داود والنسائى ، الا انه قال مرة اخرى: ثقة لو لم يصنف كان خيرا له. وقال فيه محمد بن حزم : منكر الحديث .

ورواه الطبرانى فى معجمه الاوسط من رواية ابى الواصل عبد الحميد بن واصل عن ابى الصديق الناجى عن الحسن بن يزيد السعدى احد بنى بهدلة عن ابى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرج رجل من امتى يقول بسنتى ، ينزل الله عز وجل له القطر من السماء ، وتخرج الارض بركتها ، وتملأ الارض منه قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ،

يعمل على هذه الامة سبع سنين وينزل على بيت المقدس » .

وقال الطبراني فيه : ورواه جماعة عن ابى الصديق ، ولم يدخل احد منهم بينه وبين ابى سعيد احدا الا ابا الواصل ، فانه رواه عن الحسن بن يزيد عن ابى سعيد ، انتهى .

وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن ابى حاتم ولم يعرفه باكثر مما فى هذا الاسناد من روايته عن ابى سعيد ، ورواية ابى الصديق عنه . وقال الذهبى فى الميزان : انه مجهول . لكن ذكره ابن حبان فى الثقات . واما ابو الواصل الذى رواه عن ابى الصديق فلم يخرج له احد من الستة . وذكره ابن حبان فى الثقات فى الطبقة الثانية ، وقال فيه : يروى عن انس وروى عنه شعبة وعتاب بن بشر .

وخرّج ابن ماجة فى كتاب السنن عن عبد الله بن مسعود ، من طريق يزيد بن ابى زياد ، عن ابراهيم عن علقمة ، عن عبد الله قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ اقبل فتية من بنى هاشم ، فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذرفت عيناه وتغير لونه . قال فقلت ما نزال نرى فى وجهك شيئا نكرهه . فقال : « انا اهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وان اهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريدا وتطريدا ، حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود ، فيسألون الخير فلا يعطونه ، فيقاتلون وينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه ، حتى يدفعوها الى رجل من اهل بيتى فيملؤها قسطا كما ملأوها جورا . فمن ادرك ذلك منكم فيأتهم ولو حبوا على الثلج » ، انتهى .

وهذا الحديث يعرف عند المحدثين بحديث الرايات . ويزيد ابى زياد رواية ، قال فيه شعبة : كان رفاعا ، يعنى يرفع الاحاديث التى لا تعرف مرفوعة . وقال محمد بن الفضيل : كان من كبار ائمة الشيعة . وقال احمد بن حنبل : لم يكن بالحافظ ، وقال مرة : حديثه ليس بذلك . وقال يحيى ابن معين : ضعيف . وقال العجلى : جائز الحديث وكان بآخره يلقن . وقال ابو زرعة : لين يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابو حاتم : ليس بالقوى . وقال الجرجانى : سمعتهم يضعفون حديثه . وقال ابو داود : لا اعلم احدا ترك حديثه ، وغيره احب الى منه . وقال بن عدى : هو من شيعة اهل الكوفة ، ومع ضعفه يكتب حديثه . وروى له مسلم لكن مقرونا بغيره . وبالجملة فالاكثرون على ضعفه . وقد صرح الائمة بتضعيف هذا الحديث الذى رواه عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات . وقال وكيع بن الجراح فيه : ليس بشئ . وكذلك قال احمد بن حنبل . وقال ابو قدامة :

سمعت ابا اسامة يقول فى حديث يزيد عن ابراهيم فى الرايات : لو حلف عندى خمسين يمينا قسامة ما صدقته ، أهذا مذهب ابراهيم ؟ أهذا مذهب علقمة ؟ أهذا مذهب عبد الله ؟ واورد العقيلى هذا الحديث فى الضعفاء . وقال الذهبى : ليس بصحيح .

وخرّج ابن ماجة عن على رضى الله عنه من رواية ياسين العجلى ، عن ابراهيم ابن محمد بن الحنفية عن ابيه عن جده قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المهدى منا اهل البيت يصلح الله به فى ليلة » .

وياسين العجلى وان قال فيه ابن معين : ليس به بأس ، فقد قال البخارى : فيه نظر . وهذه اللفظة من اصطلاحه قوية فى التضعيف جدا . واورد له ابن عدى فى الكامل والذهبى فى الميزان هذا الحديث على وجه الاستنكار له ، وقال هو معروف به .

وخرّج الطبرانى فى معجمه الاوسط ، عن على رضى الله عنه ، انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أمنا المهدى أم من غيرنا يا رسول الله ؟ فقال : « بل منا ، بنا يختم الله كما بنا فتح ، وبنا يستنقذون من الشرك ، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة ، كما بنا ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك » . قال على : أمؤمنون أم كافرون ؟ قال : « مفتون وكافر » . انتهى .

وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال . وفيه عمر بن جابر الحضرمى وهو اضعف منه . قال احمد بن حنبل : روى عن جابر مناكير وبلغنى انه كان يكذب . وقال النسائى : ليس بثقة، وقال : كان ابن لهيعة شيخا احمق ضعيف العقل ، وكان يقول : عليٌ فى السحاب ، وكان يجلس معنا فيبصر سحابة فيقول هذا عليٌ قد مر فى السحاب .

وخرّج الطبرانى عن على رضى الله تعالى عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يكون فى آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب فى المعدن فلا تسبوا اهل الشام ولكن سبوا أشرارهم فان فيهم الابدال . يوشك ان يرسل على اهل الشام صيب (١٧) من السماء فيفرق جماعتهم ، حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم . فعند ذلك يخرج خارج من اهل بيتى فى ثلاث رايات ، المكثر يقول : هم خمسة عشر الفا ، والمقلل يقول : هم اثنا عشر ألفا ، وامارتهم أمت

---

(١٧) الصيب من الصوب وهو النزول ، يقال للمطر وللسحاب : بيروت .

أمت (١٨) ، يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك ، فيقتلهم الله جميعا ، ويرد الله الى المسلمين ألفتهم ونعمتهم وقاصيتهم ودانيتهم » اهـ.

وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال .

ورواه الحاكم فى المستدرك ، وقال : صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ، وفى روايته : « ثم يظهر الهاشمى فيرد الله الناس الى ألفتهم » . الخ ، وليس فى طريقه ابن لهيعة ، وهو اسناد صحيح كما ذكر .

وخرّج الحاكم فى المستدرك عن على رضى الله عنه ، من رواية ابى الطفيل عن محمد ابن الحنفية قال : « كنا عند على رضى الله عنه ، فسأله رجل عن المهدى ، فقال علىّ : هيهات . ثم عقد بيده سبعا ، فقال ذلك يخرج فى آخر الزمان ، اذا قال الرجل الله الله قتل . ويجمع الله له قوما قزعا كقزع السحاب (١٩) ، يؤلف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون الى احد ، ولا يفرحون بأحد دخل فيهم ، عدتهم على عدة اهل بدر ، لم يسبقهم الأولون ، ولا يدركهم الآخرون ، وعلى عدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النّهر (٢٠). قال ابو الطفيل ، قال ابن الحنفية : أتريده ؟ قلت نعم ! قال : فانه يخرج من بين هذين الاخشبين (٢١) . قلت لا جرم والله ، ولا ادعها حتى اموت ، ومات بها يعنى مكة » . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . انتهى .

وانما هو على شرط مسلم فقط ، فان فيه عمارا الدهنى ويونس بن ابى اسحاق ، ولم يخرج لهما البخارى ، وفيه عمرو بن محمد العنقزى ، ولم يخرج له البخارى احتجاجا بل استشهادا ، مع ما ينضم الى ذلك من تشيع عمار الدهنى ، وهو وان وثقه احمد وابن معين وابو حاتم والنسائى

---

(١٨) كانت هذه الكلمة « امت امت » كلمة السر بين افراد المسلمين فى غزوة بدر : بيروت ، كلمة « امت امت » كانت كلمة السر بين افراد جيش المسلمين فى غزوة بدر يعرف بها بعضهم بعضا ، وستكون كلمة السر بين اهل هذه الرايات – هذا وفى كثير من الاحاديث الخاصة بالمهدى يشبه انصاره بأهل بدر ، سيأتى فى الحديث التالى ان عدتهم على عدة اهل بدر : الشعب .

(١٩) القزع : قطع السحاب ، اى يجمع الله له الناس افواجا : بيروت ، القزع محركة : قطع من السحاب الواحدة بهاء ، والمعنى يجتمع الناس اليه افواجا ويلتئم بعضهم ببعض : الشعب .

(٢٠) الذين ورد ذكرهم فى قوله سبحانه : « فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر » البقرة ٢٤٩ : الشعب – قال هذا المصدر « قل فصل » وهو خطأ ، والصواب « فلما » .

(٢١) جبلا مكة ابو قبيس والاحمر : الشعب ، الاخشبان الجبلان المطبقان بمكة وهما : ابو قبيس والاحمر ، وهو جبل مشرف وجهة على قيقعان : بيروت .

وغيرهم ، فقد قال على بن المديني عن سفيان : ان بشر بن مروان قطع عرقوبيه (٢٢) ، قلت : فى اى شيء ، قال : فى التشيع .

وخرج ابن ماجة عن انس بن مالك رضى الله عنه فى رواية سعد بن عبد الحميد ابن جعفر ، عن على بن زياد اليمامى ، عن عكرمة بن عمار عن اسحاق بن عبد الله ، عن انس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نحن ولد عبد المطلب سادات اهل الجنة ، انا وحمزة وعليّ وجعفر والحسن والحسين والمهدى » . انتهى .

وعكرمة بن عمار وان اخرج له مسلم فانما اخرج له متابعة . وقد ضعفه بعض ووثقه آخرون . وقال ابو حاتم الرازى : هو مدلس فلا يقبل ، الا ان يصرح بالسماع . وعلى ابن زياد ، قال الذهبى فى الميزان : لا ندرى من هو ، ثم قال : الصواب فيه عبد الله بن زياد . وسعد بن عبد الحميد وان وثقه يعقوب بن ابى شيبة ، وقال فيه يحيي بن معين : ليس به بأس ، فقد تكلم فيه الثورى ، قالوا : لأنه رآه يفتى فى مسائل ويخطئ فيها . وقال ابن حبان: كان ممن فحش عطاؤه فلا يحتج به . وقال احمد بن حنبل : سعد بن عبد الحميد يدعى انه سمع عرض كتب مالك والناس ينكرون عليه ذلك ، وهو ههنا ببغداد لم يحج ، فكيف سمعها ؟ وجعله الذهبى ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم فيه .

وخرّج الحاكم فى مستدركه من رواية مجاهد عن ابن عباس موقوفا عليه ، قال مجاهد قال لى ابن عباس : لو لم اسمع انك مثل اهل البيت ما حدثتك بهذا الحديث ، قال ، فقال مجاهد : فانه فى ستر لا اذكره لمن يكره ! قال ، فقال ابن عباس « منا اهل البيت اربعة . منا السفاح ومنا المنذر ، ومنا المنصور ، ومنا المهدى » . قال : فقال مجاهد : بين لى هؤلاء الاربعة . فقال ابن عباس : « اما السفاح فربما قتل انصاره وعفا عن عدوه ، واما المنذر ، اراه قال ، فانه يعطى المال الكثير ولا يتعاظم فى نفسه ، ويمسك القليل من حقه ؛ واما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر مما كان يعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرهب منه عدوه على مسيرة شهرين ، والمنصور يرهب منه عدوه على مسيرة شهر ؛ واما المهدى فانه الذى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، وتأمن

(٢٢) هذا التعبير كناية عن التفانى فى الامر : الشعب .

البهائمُ السباعَ ، وتلقى الارض افلاذ كبدها » . قال . قلت وما افلاذ كبدها ؟ قال : « أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة » ، انتهى .

وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وهو من رواية اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن ابيه ، واسماعيل ضعيف وابراهيم ابوه ، وان خرج له مسلم ، فالاكثرون على تضعيفه » ، انتهى .

وخرّج ابن ماجة عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير الى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونهم قتلا لم يقتله قوم » . ثم ذكر شيئا لا احفظه ، قال « فاذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدى » ، انتهى .

ورجاله رجال الصحيحين ، الا ان فيه ابا قلابة الجرمى ، وذكر الذهبى وغيره انه مدلس، وفيه سفيان الثورى وهو مشهور بالتدليس ، وكل واحد منهما عنعن ولم يصرح بالسماع فلا يقبل ، وفيه عبد الرزاق بن همام ، وكّان مشهورا بالتشيع وعمى فى أخر وقته فخلط ؛ قال ابن عدى حدث بأحاديث فى الفضائل لم يوافقه عليها احد، ونسبوه الى التشيع، انتهى .

وخرّج ابن ماجة عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى من طريق ابن لهيعة عن ابى زرعة عن عمر بن جابر الحضرمى عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدى » يعنى سلطانه .

قال الطبرانى : تفرد به ابن لهيعة ، وقد تقدم لنا فى حديث عليٍّ الذى خرّجه الطبرانى فى معجمه الاوسط ان ابن لهيعة ضعيف وان شيخه عمر بن جابر اضعف منه .

وخرّج البزار فى مسنده والطبرانى فى معجمه الاوسط ، واللفظ للطبرانى ، عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يكون فى امتى المهدى ان قصر فسبع والا فثمان والا فتسع ، تنعم فيها امتى نعمة لم ينعموا بمثلها ، ترسل السماء عليهم مدرارا ، ولا تدخر الارض شيئا من النبات ، والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدى اعطنى ، فيقول : خذ » .

قال الطبرانى والبزار : تفرد به محمد بن مروان العجلى . زاد البزار ولا نعلم انه تابعه عليه احد ، وهو وان وثقه ابو داود وابن حبان ايضا بما ذكره فى الثقات وقال فيه يحيي بن معين :

صالح ، وقال مرة : ليس به بأس ، فقد اختلفوا فيه : قال ابو زرعة : ليس عندى بذلك ، وقال عبد الله بن احمد بن حنبل : رأيت محمد بن مروان العجلى حدث بأحاديث وانا شاهد لم نكتبها ، تركتها على عمد وكتب بعض اصحابنا عنه ، كأنه ضعفه .

وخرّج ابو يعلى الموصلى فى مسنده عن ابى هريرة ، قال : « حدثنى خليلى ابوالقاسم صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من اهل بيتى فيضربهم حتى يرجعوا الى الحق . قال : قلت وكم يملك ؟ قال : خمسا واثنتين . قال قلت : وما خمسا واثنتين ؟ قال : لا ادرى » ، انتهى .

وهذا السند ، وان كان فيه بشير بن نهيك ، وقال فيه ابو حاتم : لا يحتج به ، فقد احتج به الشيخان ووثقه الناس ولم يلتفتوا الى قول ابى حاتم : لا يحتج به . الا ان فيه رجاء ابن ابى رجاء اليشكرى ، وهو مختلف فيه . قال ابو زرعة : ثقة ، وقال يحيي بن معين : ضعيف ، وقال ابو داود : ضعيف ، وقال مرة : صالح . وعلق له البخارى فى صحيحه حديثا واحدا .

وخرّج ابو بكر البزار فى مسنده والطبرانى فى معجمه الكبير والاوسط عن قرة ابن اياس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتملأن الارض جورا وظلما . فاذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا من امتى اسمه اسمى واسم ابيه اسم ابى يملأها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما ، فلا تمنع السماء من قطرها شيئا ولا تدخر الارض شيئا من نباتها . يلبث فيكم سبعا او ثمانيا او تسعا » يعنى سنين ، انتهى .

وفيه داود بن المجبر بن قحذم (٢٣) عن ابيه وهما ضعيفان جدا .

وخرّج الطبرانى فى معجمه الاوسط عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من المهاجرين والانصار ، وعلى بن ابى طالب عن يساره ، والعباس عن يمينه ، اذ تلاحى العباس ورجل من الانصار ، فاغلظ الانصارى للعباس . فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم بيد العباس وبيد على وقال : « سيخرج من صلب هذا فتى يملأ الارض جورا وظلما ، وسيخرج من صلب هذا فتى يملأ الارض قسطا وعدلا . فاذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمى ، فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدى » ، انتهى .

---

(٢٣) ورد هذا الاسم محرفا فى جميع النسخ وقد صوبه دكتور وافى عن « تهذيب التهذيب » لابن حجر ، جـ ٣ ص ١٩٩ : الشعب .

وفيه عبد الله بن عمر العمرى وعبد الله بن لهيعة وهما ضعيفان ، انتهى .

وخرّج الطبراني في معجمه الاوسط عن طلحة ابن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ستكون فتنة لا يسكن منها جانب الا تشاجر جانب ، حتى ينادى مناد من السماء ان اميركم فلان » ، انتهى .

وفيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف جدا . وليس فى الحديث تصريح بذكر المهدى ، وانما ذكروه فى ابوابه وترجمته استئناسا .

فهذه جملة الاحاديث التى خرجها الائمة فى شأن المهدى وخروجه آخر الزمان . وهى كما رأيت لم يخلص منها من النقد الا القليل او الاقل منه .

وربما تمسك المنكرون لشأنه بما رواه محمد بن خالد الجندى عن ابان بن صالح ابن ابى عياش عن الحسن البصرى عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا مهدى الا عيسى ابن مريم » .

وقال يحيى بن معين فى محمد (٢٤) بن خالد الجندى : انه ثقة . وقال البيهقى : تفرد به محمد ابن خالد . وقال الحاكم فيه : انه رجل مجهول . واختلف عليه فى اسناده : فمرة يروى كما تقدم وينسب ذلك لمحمد بن ادريس الشافعى ، ومرة يروى عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا . قال البيهقى فرجع الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول ، عن ابان ابن ابى عياش وهو متروك ، عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو منقطع . وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب . وقد قيل فى « ان لا مهدى الا عيسى » اى لا يتكلم فى المهد الا عيسى، يحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به ، او الجمع بينه وبين الاحاديث ، وهو مدفوع بحديث جُريج ومثله من الخوارق .

واما المتصوفة فلم يكن المتقدمون منهم يخوضون فى شيء من هذا ، وانما كان كلامهم فى المجاهدة بالأعمال وما يحصل عنها من نتائج المواجد والاحوال ، وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة فى تفضيل عليّ رضى الله تعالى عنه والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبى

(٢٤) محد : الشعب ، وهو خطأ من الطابع .

صلى الله عليه وسلم ، والتبرى من الشيخين كما ذكرناه فى مذاهبهم (٢٥) . ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم ، وكثرت التآليف فى مذاهبهم . وجاء الاسماعيلية منهم يدعون الوهية الامام بنوع من الحلول وآخرون يدعون رجعة من مات من الأئمة بنوع التناسخ ؛ وآخرون منتظرون مجيء من يقطع بموته منهم ، وآخرون منتظرون عود الأمر فى اهل البيت مستدلين على ذلك بما قدّمناه من الاحاديث فى المهدى وغيرها .

ثم حدث ايضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام فى الكشف وفى ما وراء الحس . وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدة ، فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة وحلول الاله فيهم . وظهر منهم ايضا القول بالقطب والابدال ، وكأنه يحاكى مذهب الرافضة فى الامام والنقباء . وأشربوا اقوال الشيعة ، وتوغلوا فى الديانة بمذاهبهم ، حتى لقد جعلوا مستند طريقهم فى لبس الخرقة ان عليا رضى الله عنه ألبسها الحسن البصرى واخذ عليه العهد بالتزام الطريقة . واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم . ولا يعلم هذا عن عليٍّ من وجه صحيح . ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلى كرم الله وجهه ، بل الصحابة كلهم أسوة فى طريق الهدى ، وفى تخصيص هذا بعلى دونهم رائحة من التشيع قوية ، يفهم منها ومن غيرها مما تقدم دخولهم فى التشيع ، وانخراطهم فى سلكه .

وظهر منهم ايضا القول بالقطب وامتلأت كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك فى الفاطمى المنتظر . وكان بعضهم يمليه على بعض ويلقنه بعضهم من بعض ، وكأنه مبنى على أصول واهية من الفريقين . وربما يستدل بعضهم بكلام المنجمين فى القرانات ، وهو من نوع الكلام فى الملاحم ، ويأتى الكلام عليها فى الباب الذى يلى هذا .

واكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين فى شأن الفاطمى ، ابن العربى الحاتمى(٢٦) فى كتاب « عنقاء مغرب » وابن قسى فى كتاب « خلع النعلين » ، وعبد الحق بن سبعين ، وابن ابى واطيل تلميذه فى شرحه لكتاب « خلع النعلين » . واكثر كلماتهم فى شأنه الغاز وامثال ، وربما يصرحون فى الاقل او يصرح مفسرو كلامهم .

(٢٥) يحيل بذلك على ما ذكره فى الفصل السابع والعشرين من هذا الباب : الشعب .

(٢٦) يعنى محيى الدين بن عربى من اشهر الصوفية . وقد وصفه « بالحاتمى » تمييزا له عن القاضى ابى بكر بن العربى من اهل الاندلس والذى سيأتى ذكره فى الفصل الاربعين من هذه الطبعة : الشعب .

وحاصل مذهبهم فيه ، على ما ذكر ابن ابى واطيل : ان النبوة بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال والعمى ، وانها تعقبها الخلافة ، ثم يعقب الخلافة الملك ، ثم يعود تجبرا وتكبرا وباطلا .

قالوا : ولما كان فى المعهود من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب ان يحيا امر النبوة والحق بالولاية ؛ ثم بخلافتها ، ثم يعقبها الدجل مكان الملك والتسلط ، ثم يعود الكفر بحاله . يشيرون بهذا لما وقع من شأن النبوة ، والخلافة بعدها والملك بعد الخلافة : هذه ثلاث مراتب . وكذلك الولاية التى هى لهذا الفاطمى ، والدجل بعدها كناية عن خروج الدجال على اثره ، والكفر من بعد ذلك . فهى ثلاث مراتب على نسبة الثلاث مراتب الاولى .

قالوا ولما كان امر الخلافة لقريش حكما شرعيا بالاجماع الذى لا يوهنه انكار من لم يزاول علمه وجب ان تكون الامامة فيمن هو اخص من قريش بالنبى صلى الله عليه وسلم ، اما ظاهرا كبنى عبد المطلب ، واما باطنا ممن كان من حقيقة الآل ، والآل من اذا حضر لم يغب من هو آله . وابن العربى الحاتمى سماه فى كتابه « عنقاء مغرب » من تأليفه : خاتم الاولياء ، وكنى عنه بلبنة الفضة اشارة الى حديث البخارى فى باب خاتم النبيين . قال صلى الله عليه وسلم : « مثلى فيمن قبلى من الانبياء كمثل رجل ابتنى بيتا وأكمله، حتى اذا لم يبق منه الا موضع لبنة فانا تلك اللبنة»(٢٧) فيفسرون خاتم النبيين باللبنة التى اكملت البنيان ، ومعناه النبى الذى حصلت له النبوة الكاملة . ويمثلون الولاية فى تفاوت مراتبها بالنبوة ، ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الاولياء اى حائز الرتبة التى هى خاتمة الولاية ، كما كان خاتم الانبياء حائزا للمرتبة التى هى خاتمة النبوة ، فكنى الشارع عن تلك المرتبة الخاتمة بلبنة البيت فى الحديث المذكور . وهما على نسبة واحدة فيها. فهى لبنة واحدة فى التمثيل . ففى النبوة لبنة ذهب ، وفى الولاية لبنة فضة ، للتفاوت بين الرتبتين ، كما بين الذهب والفضة . فيجعلون لبنة الذهب كناية عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولبنة الفضة كناية عن هذا الولى الفاطمى المنتظر . وذلك خاتم الانبياء ، وهذا خاتم الاولياء .

وقال ابن العربى فيما نقل ابنُ ابى واطيل عنه : « وهذا الامام المنتظر ، وهو من اهل البيت من

---

(٢٧) ورد هذا الحديث فى البخارى (كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين) بالنص التالى : « مثل الانبياء من قبل كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فانا اللبنة وانا خاتم النبيين » : الشعب .

ولد فاطمة ، وظهوره يكون من بعد مضى (غ ف ج) من الهجرة » ورسم حروفا ثلاثة يريد عددها بحساب الجُمّل ، وهو الخاء المعجمة بواحدة من فوق ستمائة ، والفاء اخت القاف بثمانين ، والجيم المعجمة بواحدة من اسفل ثلاثة ، وذلك ستمائة وثلاث وثمانون سنة ، وهى فى آخر القرن السابع ، ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر حمل ذلك بعض المقلدين لهم على ان المراد بتلك المدة مولده ، وعبر بظهوره عن مولده ، وان خروجه يكون بعد العشر والسبعمائة فانه الامام الناجم من ناحية المغرب .

قال : « واذا كان مولده كما زعم ابن العربى سنة ثلاث وثمانين وستمائة فيكون عمره عند خروجه ستا وعشرين سنة » . قال : « وزعموا ان خروج الدجال يكون سنة ثلاث واربعين وسبعمائة من اليوم المحمدى ، وابتداء اليوم المحمدى عندهم من يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الى تمام الف سنة » . قال ابن ابى واطيل فى شرحه كتاب « خلع النعلين » : « الولى المنتظر القائم بامر الله المشار اليه بمحمد المهدى وخاتم الاولياء ، وليس هو بنبى وانما هو ولى ابتعثه روحه وحبيبه . قال صلى الله عليه وسلم : « العالم فى قومه كالنبى فى امته » . وقال : «علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل » . ولم تزل البشرى تتابع به من اول اليوم المحمدى الى قبيل الخمسمائة نصف اليوم . وتأكدت وتضاعفت بتباشير المشايخ بتقريب وقته ، وازدلاف زمانه منذ انقضت الى هلم جرا » . قال : وذكر الكندى(٢٨) ان هذا الولى هو الذى يصلى بالناس صلاة الظهر ، ويجدد الاسلام ، ويظهر العدل ، ويفتح جزيرة الاندلس ، ويصل الى رومية فيفتحها ، ويسير الى المشرق فيفتحه ، ويفتح القسطنطينية ، ويصير له ملك الارض فيتقوى المسلمون ويعلو الاسلام ، ويظهر دين الحنيفية (٢٩) ، فان من صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « ما بين هذين وقت » . وقال الكندى ايضا : الحروف العربية غير المعجمة ، يعنى المفتتح بها سور القرآن ، جملة عددها سبعمائة وثلاثة وأربعون ، وسبعة دجالية (٣٠) ، ثم ينزل

---

(٢٨) يقصد هنا الكندى الفيلسوف ابا يوسف بن اسحاق بن الصباح المتوفى حوالى٢٥٢ هـ:الشعب .

(٢٩) يذهب وافى الى ان هنا جملة ساقطة تقديرها : « ويصلى بالناس صلاة بين الظهر والعصر ، فان من صلاة الظهر .. الخ انظر جـ ٢ ص ٩٢١ : الشعب . قلنا : روى المصدر بالوجه الذى نقلنا . والمفروض ان تنتهى الجملة بعبارة « والعصر » ولا ينقل ما بعدها .

(٣٠) وردت كلمة « دجالية » هكذا فى النسخ التى بين ايدينا ولم نجد لها معنى فى المراجع التى لدينا ، الا ان يراد بها نسبة الى الدجال : بيروت .

عيسى فى وقت صلاة العصر ، فيصلح الدنيا وتمشى الشاة مع الذئب . ثم يبقى ملك العجم بعد اسلامهم مع عيسى مائة وستين عاما ، عدد حروف المعجم وهى (ق ى ن) ، دولة العدل منها اربعون عاما » . قال ابن ابى واطيل : « وما ورد من قوله لا مهدى الا عيسى ، فمعناه لا مهدى تساوى هدايته ولايته ؛ وقيل : لا يتكلم فى المهد الا عيسى . وهذا مدفوع بحديث جريج وغيره . وقد جاء فى الصحيح انه قال : « لا يزال هذا الامر قائما حتى تقوم الساعة او يكون عليهم اثنا عشر خليفة » ، يعنى قرشيا . وقد اعطى الوجود ان منهم من كان فى اول الاسلام ، ومنهم من سيكون فى آخره . وقال : « الخلافة بعدى ثلاثون او احدى وثلاثون او ستة وثلاثون » . وانقضاؤها فى خلافة الحسن واول امر معاوية ، فيكون اول امر معاوية خلافة اخذا بأوائل الاسماء فهو سادس الخلفاء واما سابع الخلفاء فعمر ابن عبد العزيز ، والباقون خمسة من اهل البيت من ذرية على ، يؤيده قوله(٣١) « انك لذو قرنيها » ، يريد الامة ، اى انك لخليفة فى اولها ، وذريتك فى آخرها . وربما استدل بهذا الحديث القائلون بالرجعة . فالاول هو المشار اليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » . وقد انفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى فى سبيل الله . والذى يهلك قيصر وينفق كنوزه فى سبيل الله هو هذا المنتظر حين يفتح القسطنطينية . فنعم الامير اميرها ونعم الجيش ذلك الجيش . كذا قال صلى الله عليه وسلم : «ومدة حكمه بضع » ، والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر . وجاء ذكر اربعين ، وفى بعض الروايات سبعين . فاما الاربعون فانها مدته ومدة الخلفاء الاربعة الباقين من اهله القائمين بأمره من بعده على جميعهم السلام » قال : « وذكر اصحاب النجوم والقرانات ان مدة بقاء امره واهل بيته من بعده مائة وتسعة وخمسون عاما ، فيكون الامر على هذا جاريا على الخلافة والعدل اربعين او سبعين ، ثم تختلف الاحوال فتكون ملكا » ، انتهى كلام ابن ابى واطيل .

وقال فى موضع آخر : « نزول عيسى يكون فى وقت صلاة العصر من اليوم المحمدى حين تمضى ثلاثة ارباعه » . قال : « وذكر الكندى يعقوب بن اسحق فى كتاب « الجفر » الذى ذكر فيه

---

(٣١) اى قوله عليه الصلاة والسلام لعلىّ بن ابى طالب : الشعب .

القرانات انه اذا وصل القران الى الثور على رأس ضح بحرفين: الضاد المعجمة والحاء المهملة (٣٢)، يريد ثمانية وتسعين وستمائة من الهجرة ، ينزل المسيح فيحكم فى الارض ما شاء الله تعالى » .
قال : وقد ورد فى الحديث ان عيسى ينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق ، ينزل بين مهرودتين ، يعنى حُلتين مزعفرتين صفراوين ممصرتين واضعا كفيه على اجنحة الملكين ، له لمة (٣٣) ، كأنما خرج من ديماس ، اذا طأطأ رأسه قطر (٣٤) ، واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، كثير خيلان الوجه . وفى حديث آخر : مربوع الخلق ويميل الى البياض والحمرة . وفى آخر : انه يتزوج فى الغرب ، والغرب دلو البادية ، يريد انه يتزوج منها وتلد زوجته . وذكر وفاته بعد اربعين عاما . وجاء ان عيسى يموت بالمدينة ويدفن الى جانب عمر بن الخطاب . وجاء ان ابا بكر وعمر يحشران بين نبيين » . قال ابن ابى واطيل : « والشيعة تقول انه هو المسيح مسيح المسايح من آل محمد . قلت وعليه حمل بعض المتصوفة حديث « لا مهدى الا عيسى » اى لا يكون مهدى الا المهدى الذى نسبته الى الشريعة المحمدية نسبة عيسى الى الشريعة الموسوية فى الاتباع وعدم النسخ » .

الى كلام من امثال هذا يعينون فيه الوقت والرجل والمكان بادلة واهية وتحكمات مختلفة، فينقضى الزمان ولا اثر لشيء من ذلك ، فيرجعون الى تجديد رأى منتحل كما تراه من مفهومات لغوية وأشياء تخييلية واحكام نجومية. فى هذا انقضت اعمار الاول منهم والآخر .

واما المتصوفة الذين عاصرناهم فاكثرهم يشيرون الى ظهور رجل مجدد لاحكام الملة ومراسم الحق ويتحينون ظهوره لما قرب من عصرنا . فبعضهم يقول من ولد فاطمة ، وبعضهم يطلق القول فيه . سمعناه من جماعة اكبرهم ابو يعقوب البادسى كبير الاولياء بالمغرب ، كان فى اول هذه المائة الثامنة ، واخبرنى عنه حافده (٣٥) صاحبنا ابو يحيى زكريا عن ابيه ابى محمد عبد الله عن ابيه الولى ابى يعقوب المذكور .

هذا آخر ما اطلعنا عليه او بلغنا من كلام هؤلاء المتصوفة ، وما اورده اهل الحديث من

---

(٣٢) علق الهورينى على ذلك بقوله : « الضاد عند المغاربة بتسعين والصاد بستين » والصاد لا داعى لذكرها هنا ، وكان الأوضح ان يقول: الضاد عند المغاربة بتسعين والحاء عند المشارقة والمغاربة بثلاثين ، فيكون المجموع ثمانية وتسعين : الشعب .

(٣٣) فى القاموس : اللمة بالكسر الشعر المجاورة شحمة الاذن ، جمعه لمام : الشعب .

(٣٤) فى القاموس : الديماس بفتح الدال ويكسر : الكن والسرب والحمام ، والأخير المقصود هنا : الشعب .

(٣٥) يعنى حفيد : الشعب .

اخبارالمهدى قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا .

والحق الذى ينبغى ان يتقرر لديك : انه لا تتم دعوة من الدين والملك الا بوجود شوكة عصبيه تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم امر الله فيه . وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التى اريناك هناك (٣٦) . وعصبية الفاطميين بل وقريش اجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ، ووجد امم آخرون قد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش ، الا ما بقى بالحجاز فى مكة وينبع بالمدينة من الطالبيين من بنى حسن وبنى حسين وبنى جعفر ، منتشرون فى تلك البلاد وغالبون عليها . وهم عصائب بدوية متفرقون فى مواطنهم واماراتهم وآرائهم يبلغون آلافا من الكثرة .

فان صح ظهور هذا المهدى فلا وجه لظهور دعوته الا بأن يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم فى اتباعه حتى تتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها .

واما على غير هذا الوجه ، مثل ان يدعو فاطمى منهم الى مثل هذا الامر فى افق من الآفاق من غير عصبية ولا شوكة الا مجرد نسبة فى اهل البيت ، فلا يتم ذلك ، ولا يمكن ، لما اسلفناه من البراهين الصحيحة .

واما ما تدعيه العامة والاغمار من الدهماء ممن لا يرجع فى ذلك الى عقل يهديه ولا علم يقيده ، فيتحينون ذلك على غير نسبة وفى غير مكان تقليدا لما اشتهر من ظهور فاطمى ، ولا يعلمون حقيقة الامر كما بيناه . واكثر ما يتحينون فى ذلك القاصية من الممالك واطراف العمران ، مثل الزاب بافريقية والسوس من الغرب . ونجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا بماسة لما كان ذلك الرباط بالمغرب من الملثمين من كدالة واعتقادهم انه منهم او قائمون بدعوته ، زعما لا مستند لهم ، الا غرابة تلك الامم وبعدهم عن يقين المعرفة باحوالها من كثرة او قلة او ضعف او قوة ، ولبعد القاصية عن منال الدولة وخروجها عن نطاقها ، فتقوى عندهم الأوهام فى ظهوره هناك بخروجه عن ربقة الدولة ومنال الأحكام والقهر ، ولا محصول لديهم فى ذلك الا هذا . وقد يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبيس بدعوة تمنيه (٣٧) النفس تمامها وسواسا وحمقا . وقتل كثير منهم .

---

(٣٦) يحيل بذلك على ما ذكره فى الفصلين الاول والسادس من هذا الباب : الشعب .

(٣٧) هكذا فى الشعب ، وفى بيروت : بدعوة يمية . وقال هذا المصدر فى الهامش : وردت كلمة « يمية » هكذا فى النسخ التى بين ايدينا، وهى تحريف ظاهر ليس لها معنى هنا ، ومقتضى السياق ان تكون العبارة : « بدعوة يكون تمامها وسواسا وحمقا » . وفى نسخة طبعة لجنة البيان العربى عن نسخة خطية : « بدعوة تمبينه النفس تمامها » : الشعب .

اخبرني شيخنا محمد بن ابراهيم الآبلي قال : خرج برباط ماسة لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من منتحلي التصوف ، يعرف بالتويزري نسبة الى توزر مصغرا ، وادعى انه الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من اهل السوس من ضالة وكزولة وعظم امره وخافه رؤساء المصامدة على امرهم ، فدس عليه السكسوي من قتله بياتا (٣٨) وانحل امره . وكذلك ظهر في غمارة في آخر المائة السابعة وعشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس ، وادعى انه الفاطمي ، واتبعه الدهماء من غمارة ، ودخل مدينة فاس عنوة وحرق اسواقها وارتحل الى بلدة المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم امره . وكثير من هذا النمط .

واخبرني شيخنا المذكور بغريبة في مثل هذا، وهو انه صحب في حجه في رباط العباد ، وهو مدفن الشيخ ابي مدين في جبل تلمسان المطل عليها ، رجلا من اهل البيت من سكان كربلاء ، كان متبوعا معظما كثير التلميذ والخادم . قال : وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات في اكثر البلدان . قال وتأكدت الصحبة بيننا في ذلك الطريق فانكشف لي امرهم ، وانهم انما جاءوا من موطنهم بكربلاء لطلب هذا الامر وانتحال دعوة الفاطمي بالمغرب . فلما عاين دولة بني مرين ، ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل لتلمسان ، قال لأصحابه : ارجعوا فقد ازرى بنا الغلط ، وليس هذا الوقت وقتنا . ويدل هذا القول من هذا الرجل على انه مستبصر في ان الأمر لا يتم الا بالعصبية المكافئة لاهل الوقت ، فلما علم انه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وان عصبية بني مرين لذلك العهد لا يقاومها احد من اهل المغرب استكان ورجع الى الحق واقصر عن مطامعه . وبقي عليه ان يستيقن ان عصبية الفواطم وقريش اجمع قد ذهبت لا سيما في المغرب . الا ان التعصب لشأنه لم يتركه لهذا القول . والله يعلم وانتم لا تعلمون .

وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعاة الى الحق والقيام بالسنة لا ينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره ، وانما ينزع منهم في بعض الاحيان الواحد فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنكر ، ويعتني بذلك ويكثر تابعه . واكثر ما يعنون باصلاح السابلة لما ان اكثر فساد الاعراب فيها ، لما قدمناه من طبيعة معاشهم (٣٩) ، فيأخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا . الا

---

(٣٨) البيات : الاغارة ليلا : الشعب .

(٣٩) انظر على الأخص الفصل السادس والعشرين من هذا الباب : الشعب .

ان الصبغة الدينية فيهم لا تستحكم ، لما ان توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما يقصدون بها الاقصار عن الغارة والنهب ، لا يعقلون فى توبتهم واقبالهم الى مناحى الديانة غير ذلك ، لانها المعصية التى كانوا عليها قبل المقربة ، ومنها توبتهم . فتجد تابع (٤٠) ذلك المنتحل للدعوة القائم بزعمه بالسنة غير متعمقين فى فروع الاقتداء والاتباع ، انما دينهم الاعراض عن النهب والبغى وافساد السابلة ، ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش باقصى جهدهم . وشتان بين طلب هذا الامر فى صلاح الخلق وبين طلب الدنيا (٤١) ، فاتفاقهما ممتنع ، ولا تستحكم لهم صبغة فى الدين ولا يكمل لهم نزوع عن الباطل على الجملة ، ولا يكثرون .

ويختلف حال صاحب الدعوة معهم فى استحكام دينه وولايته فى نفسه دون تابعه . فاذا هلك انحل امرهم وتلاشت عصبيتهم . وقد وقع ذلك بافريقية لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم ابن مرة بن احمد فى المائة السابعة ، ثم من بعده لرجل آخر من بادية رياح من بطن منهم يعرفون بمسلّم ، وكان يسمى سعادة ، وكان اشد دينا من الأول واقوم طريقة فى نفسه ، ومع ذلك فلم يستتب امر تابعه كما ذكرناه حسبما يأتى ذكر ذلك فى موضعه عند ذكر قبائل سليم ورياح (٤٢) . وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ، ويلبسون فيها وينتحلون اسم السنة وليسوا عليها الا الأقل ، فلا يتم لهم ولا لمن بعدهم شيء من امرهم . انتهى .

محى الدين العربى

مختصر الشعرانى لاشراط الساعة توطئة لاقوال ابن العربى فى المهدى :

المبحث الخامس والستون فى بيان ان جميع اشراط الساعة التى اخبرنا بها الشارع حق لابد ان تقع كلها قبل قيام الساعة :

وذلك كخروج المهدى ثم الدجال ثم نزول عيسى وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن وفتح سد ياجوج وماجوج حتى لو لم يبق من الدنيا الا مقدار يوم واحد لوقع ذلك كله . قال الشيخ تقى الدين بن أبى المنصور فى عقيدته : وكل هذه الآيات تقع فى المائة الاخيرة من اليوم

(٤٠) كلمة « تابع » ساقطة من جميع النسخ ، وقد عثرنا عليها فى « التيمورية» ، وهى مفرد فى اللفظ وجمع فى المعنى : الشعب – قلنا : وهنا وقع خطأ مطبعى اذ قال « اليمورية » . والتيمورية مكتبة خاصة مشهورة مودعة بدار الكتب المصرية .

(٤١) هكذا وردت هذه العبارة فى النسخة المسماة « بالتيمورية » ، وقد وردت فى غيرها محرفة وناقصة : الشعب .

(٤٢) فى القسم الخاص بتاريخ البربر من كتاب العبر : الشعب .

الذى وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم امته بقوله : ان صلحت أمتى فلها يوم وان فسدت فلها نصف يوم ، يعنى من ايام الرب المشار اليها بقوله تعالى : «وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون». قال بعض العارفين : واول الالف محسوب من وفاة على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه آخر الخلفاء ، فان تلك المدّة كانت من جملة ايام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته ، فمهد الله تعالى بالخلفاء الاربعة البلاد . ومراده صلى الله عليه وسلم ان بالالف قوة سلطان شريعته الى انتهاء الالف ثم تأخذ فى ابتداء الاضحلال الى ان يصير الدين غريبا كما بدا . وذلك الاضحلال يكون بدايته من مضى ثلاثين سنة فى القرن الحادى عشر فهناك يترقب خروج المهدى عليه السلام . وهو من اولاد الامام حسن العسكرى ، ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمسة وخمسين ومائتين وهو باق الى ان يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام ، فيكون عمره الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان وخمسين وتسع مائة سنة هكذا اخبرنى الشيخ حسن العراقى المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطلى بمصر المحروسة عن الامام المهدى حين اجتمع به ووافقه على ذلك شيخنا سيدى على الخواص رحمهما الله تعالى .

القول فى المهدى : مختصر الشعرانى لاقوال ابن العربى :

وعبارة الشيخ محى الدين فى الباب السادس والستين وثلثمائة من الفتوحات : واعلموا انه لا بد من خروج المهدى عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلئ الارض جورا وظلما فيملأها قسطا وعدلا ، ولو لم يكن من الدنيا الا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلى ذلك الخليفة ، وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضى الله عنها جده الحسين بن على بن أبى طالب ووالده حسن العسكرى بن الامام على النقى بالنون ابن محمد التقى بالتاء ابن الامام على موسى الرضى بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين بن على بن الامام الحسين بن الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه يواطى اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه المسلمون بين الركن والمقام يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخَلق بفتح الخاء وينزل عنه فى الخُلق بضمها اذ لا يكون احد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اخلاقه ، والله تعالى يقول وانك لعلى خلق عظيم . هو اجلى الجبهة اقنى الانف اسعد

الناس به اهل الكوفة ، يقسم المال بالسوية ويعدل به فى الرعية ، يأتيه الرجل فيقول يا مهدى اعطنى وبين يديه المال فيحثى له فى ثوبه ما استطاع ان يحمله ، يخرج على فترة من الدين يزع الله ما لا يزع بالقرآن ، يمسى الرجل جاهلا وجبانا وبخيلا فيصبح عالما شجاعا كريما، يمشى النصر بين يديه يعيش خمسا او سبعا او تسعا ، يقفو اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ ، له ملك يسدده من حيث لا يراه ، يحمل الكل ويعين الضعيف ويساعد على نوائب الحق ، يفعل ما يقول ويقول ما يفعل ويعلم ما يشهد ، يصلحه الله فى ليلة ، يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين ألفا من المسلمين من ولد اسحاق ، يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكا ، يبيد الظلم واهله ، يقيم الدين وينفخ الروح فى الاسلام ، يعز الله به الاسلام بعد ذله ويحييه بعد موته ، يضع الجزية ويدعو الى الله بالسيف فمن أبى قتل ومن نازعه خذل ، يظهر من الدين ما هو عليه الدين فى نفسه حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا لحكم به ، فلا يبقى فى زمانه الا الدين الخالص عن الرأى ، يخالف فى غالب أحكامه مذاهب العلماء فينقبضون منه لذلك لظنهم ان الله تعالى ما بقى يحدث بعد ائمتهم مجتهدا . وأطال فى ذكر وقائعه معهم . ثم قال واعلم أن المهدى اذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم ، له رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه ، هم الوزراء له، يتحملون اثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله تعالى له ، ينزل عليه عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقى دمشق متكئا على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره، والناس فى صلاة العصر فيتنحى له الامام عن مكانه فيتقدم فيصلى بالناس ، يامر الناس بسنة محمد صلى الله عليه وسلم ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويقبض الله المهدى اليه طاهرا مطهرا . وفى زمانه يقتل السفيانى عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه فى البيداء فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرها يحشر على نيته . وقد جاءكم زمانه واظلكم أوانه وقد ظهر فى القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قرن الصحابة ثم الذى يليه ثم الذى يلى الثانى ثم جاء بينهما فترات وحدثت أمور وانتشرت أهواء وسفكت دما فاختفى الى ان يجئ الوقت الموعود ، فشهداؤه خير الشهداء وامناؤه أفضل الامناء . قال الشيخ محى الدين وقد استوزر الله تعالى له طائفة خباهم الله له فى مكنون غيبه أطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وما هو امر الله عليه فى عباده وهم على أقدام رجال من الصحابة الذين

صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم من الاعاجم ليس فيهم عربى لكن لا يتكلمون الا بالعربية ، لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء ، واعلم ان المهدى لا يفعل شيئا قط برأيه وانما يشاور هؤلاء الوزراء فانهم هم العارفون بما هناك . واما هو عليه السلام فى نفسه فهو صاحب سيف حق وسياسة. ومن شأن هؤلاء الوزراء ان احدهم لا ينهزم قط من قتال وانما يثبت حتى ينصر او ينصرف من غير هزيمة . ألا تراهم يفتحون مدينة الروم بالتكبير فيكبرون التكبيرة الاولى فيسقط ثلثها ويكبرون الثانية فيسقط الثلث الثانى من السور ويكبرون الثالثة فيسقط الثالث فيفتحونها من غير سيف . وهذا هو عين الصدق الذى هو والنصر اخوان . قال الشيخ وهؤلاء الوزراء دون العشرة وفوق الخمسة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شك فى مدة اقامته خليفة من خمس الى تسع للشك الذى وقع فى وزرائه فلكل وزير معه اقامة سنة فان كانوا خمسة عاش خمسة وان كانوا سبعة عاش سبعة وان كانوا تسعة عاش تسعة اعوام ولكل عام منها أهوال مخصوصة وعلم يختص به ذلك الوزير فما هم أقل من خمسة ولا أكثر من تسعة . قال الشيخ ويقتلون كلهم الا واحدا منهم فى مرج عكا فى المأدبة الالهية التى جعلها الله تعالى مائدة للسباع والطيور والهوام . قال الشيخ وذلك الواحد الذى يبقى لا ادرى هل هو ممن استثنى الله فى قوله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وهو يموت فى تلك النفخة . قال الشيخ محى الدين وانما شككت فى مدة اقامة المهدى اماما فى الدنيا ولم اقطع فى ذلك بشئ لانى ما طلبت من الله تحقيق ذلك ادبا معه تعالى ان اسأله فى شئ من ذات نفسى . قال ولما سلكت معه هذا الادب قبض الله تعالى لى واحدا من أهل الله عز وجل فدخل علىّ وذكر لى عدد هؤلاء الوزراء ابتداء وقال لى هم تسعة فقلت له ان كانوا تسعة فان بقاء المهدى لا بد ان يكون تسع سنين فانى عليم بما يحتاج اليه وزيره . فان كان واحدا اجتمع فى ذلك الواحد جميع ما تحتاج اليه وزراؤهم وان كانوا اكثر من واحد فما يكون أكثر من تسعة فانه اليها انتهى الشك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله خمسا او سبعا او تسعا يعنى فى اقامة المهدى تشجيعا لخواص أصحابه ليطلبوا العلم ولا يقنعوا بالتقليد فانه قال ما يعلمهم الا قليل فافهم ! قال وجميع ما يحتاج اليه وزراء المهدى فى قيامهم تسعة أمور لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك وهى نفوذ البصر ومعرفة الخطاب الالهى عند الالقاء وعلم الترجمة عن الله وتعيين المراتب لولاة

الامر والرحمة فى الغضب وما يحتاج اليه الملك من الارزاق المحسوسة وغيرها وعلم تداخل الامور بعضها على بعض والمبالغة والاستقصاء فى قضاء حوائج الناس والوقوف على علم الغيب الذى يحتاج اليه فى الكون فى مدته خاصة . فهذه تسعة امور لا بد ان تكون فى وزراء المهدى من واحد فاكثر . واطال الشيخ فى شرح هذه الامور بنحو عشرة اوراق ثم قال واعلم ان ظهور المهدى عليه السلام من اشراط قرب الساعة كذلك خروج الدجال فيخرج من خراسان من ارض الشرق موضع الفتن يتبعه الاتراك واليهود ويخرج اليه من اصبهان وحدها سبعون الفا مطيلسين وهو رجل كهل اعور العين اليمنى كان عينه عنبة طافية مكتوب بين عينيه كاف فارا . قال الشيخ محى الدين فلا أدرى هل المراد بهذا الهجاء كفر من الافعال الماضية او اراد به كفر من الاسماء الا ان الالف حذفت كما حذفها العرب فى خط المصحف فى مواضع مثل الف الرحمن بين الميم والنون . (فان قلت) فما صورة ما يحكم به المهدى اذا خرج هل يحكم بالنصوص او بالاجتهاد او بهما، (فالجواب) كما قاله الشيخ محى الدين انه يحكم بما القى اليه ملك الالهام من الشريعة وذلك انه يلهمه الشرع المحمدى فيحكم به كما أشار اليه حديث المهدى انه يقفو اثرى لا يخطئ فعرفنا صلى الله عليه وسلم انه متبع لا مبتدع وانه معصوم فى حكمه اذ لا معنى للمعصوم فى الحكم الا انه لا يخطئ وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ، وقد أخبر عن المهدى انه لا يخطئ وجعله ملحقا بالانبياء فى ذلك الحكم . قال الشيخ فعلم انه يحرم على المهدى القياس مع وجود النصوص التى منحه الله اياها على لسان ملك الالهام بل حرم بعض المحققين على جميع اهل القياس لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهودا لهم فاذا شكوا فى صحة حديث او حكم رجعوا اليه فى ذلك فأخبرهم بالامر الحق يقظة ومشافهة . وصاحب هذا المشهد لا يحتاج الى تقليد أحد من الائمة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :«قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى». واطال فى ذلك ثم قال فللامام المهدى ايضا الاطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق تعالى ان يحدثه من الشئون قبل وقوعها فى الوجود ليستعد لذلك قبل وقوعها فان كان ذلك مما فيه منفعة لرعية شكر الله عز وجل وسكت عنه وانه كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام او على اشخاص معينين سأل الله تعالى فيهم وشفع وتضرع اليه فصرف الله عنهم ذلك البلاء بفضله ورحمته واجاب دعاءه وسؤاله .(فان قلت) فاذا

عمى الله تعالى عليه حكما فى نازلة ماذا يفعل؟ (فالجواب) اذا عمى الله تعالى عليه حكما فى نازلة ولم يقع له بها تعريف ولا كشف الحقها فى الحكم بالمباحات فيعلم بعد التعريف ان ذلك حكم الشرع فيها، فانه معصوم من الرأى والقياس فى الدين، اذ القياس ممن ليس بنبى حكم على الله فى دينه بما لا يعلم فانه طرد علة، وما يدرى العبد لعل الله لا يريد طرد تلك العلة ، ولو انه كان ارادها لابانها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وابان بطردها واطال فى ذلك . ثم قال واعلم انه لم يبلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم نص على احد من الائمة بعده ان يقفو اثره لا يخطى الا المهدى خاصة فقد شهد له بعصمته فى خلافته واحكامه كما شهد الدليل العقلى بعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له فى عباده. (فان قلت) فاذا نزل عيسى عليه السلام فمتى يموت وكيف يموت، (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة انه يموت اذا قتل الدجال وذلك انه يموت هو واصحابه فى نفس واحد فيأتيهم ريح طيبة تأخذهم من تحت اباطهم يجدون لها لذة كلذة الوسنان الذى قد جهده السهر واتاه فى السحر العسيلة سميت بذلك لحلاوتها فيجدون للموت لذة لا يقدر قدرها ، ثم يبقى بعدهم زعاع كغثا السيل اشباه البهائم فعليهم تقوم الساعة ، انتهى. واما طلوع الشمس من مغربها فقد ورد فى الصحيح مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون حتى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل . وطلوع الشمس من مغربها جائز فى العقل لا استحالة فيه فان الله قادر على ذلك ، والجهات بالنسبة الى قدرته متساوية وفى ذلك رد على نمروذ لما قال له ابراهيم عليه السلام فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الآية . قال الشيخ ابو طاهر القزويتى : واصحاب الهيئة والمنجمون يستحيلون طلوعها من المغرب فيقال لهم أليس الله تعالى قد اجرى العادة بان كل دوارة من رحى ودولاب اذا انتهى دورها ترجع منعكسة ثم تقف فيم ينكرون ان الله تعالى يعكس دوران الشمس عند انتهاء ادوارها ! قال تعالى : «والشمس تجرى لمستقر لها » والمستقر، مصدر بمعنى الاستقرار واللام بمعنى الى كما قال تعالى : «بان ربك اوحى لها» أى اليها . قال وعند وقوف الشمس فى وسط السماء تشقق السماء وتنكدر النجوم ويقولون فى المثل السائر الدولاب اذا تعطل تكسر . وهناك يظهر الشمس والقمر فى وسط السماء كالفرارتين ، وفى رواية اخرى كالثورين الاسودين، فاذا طلعا الى وسط السماء رجعا

نازلين الى المغرب لا انهما يغربان فى المشرق كما توهمه بعضهم ، وفى الحديث انهما يطلعان من المغرب مكورتين كالفراتين ، فلا ضوء للشمس ولا نور للقمر ، وما بين طلوع الشمس من مغربها الى نفخ الصور اقل من ان يركب الرجل المهر بعد النتاج ، (فان قيل) قد ورد فى الحديث انهما يطلعان ذلك اليوم من المشرق الى نفخ الصور (فالجواب) لا اعتبار بذلك الطلوع اذ هو طلوع اضطراب للوقوف والانتهاء لا طلوع دوب لهما بحساب ، وكذلك يكون حال كل دوارة اذا انتهى دورها تنعكس مرة وترجع اخرى ثم تقف ، هكذا سنة الله فى الخلق ولن تجد لسنة الله تحويلا . وتقدم فى مبحث الايمان ان الشمس اذا طلعت من مغربها اغلق باب التوبة فمن كان مؤمنا لا يدخل قلبه بعد ذلك كفر ومن كان كافرا لا يدخل قلبه بعد ذلك ايمان ، فراجعه . (فان قيل) فما الدليل على نزول عيسى عليه السلام من القرآن ، (فالجواب) الدليل على نزوله قوله تعالى : «وان من أهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته»، أى حين ينزل ويجتمعون عليه . وانكرت المعتزلة والفلاسفة واليهود والنصارى عروجه بجسده الى السماء . وقال تعالى فى عيسى عليه السلام : «وانه لعلم للساعة ، قرئ لعلم بفتح اللام والعين والضمير فى انه راجع الى عيسى عليه السلام لقوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا» ، ومعناه ان نزوله علامة القيامة .وفى الحديث فى صفة الدجال فبينما هم فى الصلاة اذ بعث الله المسيح بن مريم فنزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين يديه مهرذدبتان واضعا كفه على اجنحة ملكين ، والمهرذدبتان بالذال المعجمة والمهملة معا حلتان مصبوغتان بالورس. . فقد ثبت نزوله عليه السلام بالكتاب والسنة. وزعمت النصارى ان ناسوته صلب ولاهوته رفع ، والحق انه رفع بجسده الى السماء ، والايمان بذلك واجب ، قال تعالى: «بل رفعه الله اليه» . قال ابو طاهر القزوينى واعلم ان كيفية رفعه ونزوله وكيفية مكثه فى السماء الى ان ينزل من غير طعام ولا شراب مما يتقاصر عن دركه العقل ولا سبيل لنا الا ان نؤمن بذلك تسليما لسعة قدرة الله تعالى، واطال فى ذكر شبه الفلاسفة وغيرهم فى انكار الرفع ، (فان قيل) فما الجواب عن استغنائه عن الطعام والشراب مدة رفعه فان الله تعالى قال وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ، (فالجواب) ان الطعام انما جعل قوتا لمن يعيش فى الارض لانه مسلط عليه الهواء الحار والبارد فينحل بدنه فاذا انحل عوضه الله تعالى بالغذاء اجراء لعادته فى هذه الخطة الغبراء . وأما من رفعه الله الى السماء فانه يلطفه بقدرته ويغنيه عن الطعام والشراب كما اغنى الملائكة عنهما فيكون

حينئذ طعامه التسبيح وشرابه التهليل ، كما قال صلى الله عليه وسلم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى . وفى الحديث مرفوعا ان بين يدى الدجال ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها وفى السنة الثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها وفى السنة الثالثة تمسك السماء قطرها كله ، فقالت له اسماء بنت زيد يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين حينئذ ، فقال يجزيهم ما يجزى اهل السماء من التسبيح والتقديس . قال الشيخ ابو طاهر وقد شاهدنا رجلا اسمه خليفة الخراط كان مقيما بابهر من بلاد المشرق مكث لا يطعم طعاما منذ ثلاث وعشرين سنة وكان يعبد الله ليلا ونهارا من غير ضعف . فاذا علمت ذلك فلا يبعد ان يكون قوت عيسى عليه السلام التسبيح والتهليل والله اعلم بجميع ذلك .

واما خروج الدابة التى يقال لها الجساسة فقد ذكر الشيخ محى الدين فى الباب السابع والخمسين وثلثمائة فى قوله تعالى اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ما نصه : اعلم ان هذه الدابة تخرج من اجناد وهى دابة كثيرة الشعر لا يعرف قبلها من دبرها فتنفخ فى وجوه الناس شرقا وغربا برا وبحرا جنوبا وشمالا فيرتقم بنفخها فى جبين كل شخص ما هو عليه فى علم الله تعالى من ايمان وكفر فيقول من سمته مؤمنا لمن سمته كافرا يا كافر اعطنى كذا وكذا يغضب من ذلك الاسم لعلمه بانه مكتوب فى جبينه كتابة لا يمكنه ازالتها فيقول الكافر للمؤمن نعم اولا فى قضاء ما طلب منه فليس كلامها المنسوب اليها فى العموم سوى ما وسمت به الوجوه بنفخها وان كان لها كلام مع من يجالسها فى سائر اصحاب اللسان فهى تكلمه بلسانه عربيا كان او عجميا على اختلاف اللغات . وقد ورد حديثها فى صحيح مسلم فى حديث الدجال حيث دلت تميما الدارى عليه وقالت له انه الى حديثك بالاشواق . قال الشيخ وهى الآن فى جزيرة من البحر الذى يلى جهة الشمال وهى الجزيرة التى فيها الدجال ، قال وانما سمى الله تعالى رقمها فى وجوه الناس كلاما لانه افاد ما افاده الكلام ، ألا ترى العاقل من أهل النظر اذا اراد ان يوصل اليك ما فى نفسه لم يقتصر فى ذلك التوصيل على العبارة بنظم حروف ولا بد فان غرضه منك انما هو اعلامك بالامر الذى فى نفسه فوقتا بالعبارة اللفظية المسماة فى العرف قولا وكلاما ووقتا بالاشارة بيد او رأس او بما كان ووقتا بكتابة ورقوم ووقتا بما يريد الحق افهامك به فيوجد فيك اثرا تعرف منه ما فى نفسه ويسمى هذا كلاما ، فصح ان رقم الدابة يطلق عليه كلام والله اعلم . واطال فى ذلك فى الباب السابع

والخمسين وثلثمائة بذكر فوائد عظيمة فراجعها . واما رفع القرآن فروى البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود قال اقرءوا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع ، قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الناس قال يغزى عليهم ليلا فيرفع من صدورهم فيصبحون فيقولون لكنا كنا نعلم شيئا ثم يقعون فى الشعر . قال القرطبى وهذا انما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وبعد هدم الحبشة الكعبة . واما خروج يأجوج ومأجوج فهو ثابت بالنصوص القطعية وهو سد عظيم يصل اليه السواح . واخبرنى الشيخ عبد القادر الدشطوطى رحمه الله ان لسيدى ابراهيم المتبولى كل سنة سماطا يمدّه فوق هذا السد فيحضره جميع الاولياء والصحابة الاحياء والاموات ، قال وقد حضرت معهم مرات فقلت له وهل يسع السد هؤلاء الناس كلهم فقال نعم طوله سبعون ميلا وعرضه خمسون ميلا انتهى . واحوال مقدمات الساعة صنف الناس فيها كتبا كثيرة وانما يخصنا فى العقائد الاشارة بذكر طرف منها لاجل الايمان بها لا غير ، والله اعلم.

(خاتمة) ذكر الشيخ فى الباب التاسع والخمسين من الفتوحات فى معنى حديث الدجال يوم كجمعة ويوم كشهر ويوم كسنة وسائر ايامه كايامكم معنى يوم كجمعه ان الغيوم تكثر فى ذلك الزمان فلا ترى الشمس الا بعد سبعة ايام فتطلع الشمس وتغرب ولا يعلم ذلك الا ارباب الكشف وكذلك القول فى الشهر والسنة وليس المراد ان اليوم الواحد يمتد مقدار سنة مثلا لانه لو امتد لم يكن يلزمنا منه الا خمس صلوات فقط فى كل يوم وليلة . فلما تواترت الغيوم وتوالت تساوى فى رأى العين وجود الليل والنهار فظن الناس ان الشمس لم تغرب فى نفس الامر وهو من الاشكال الغريبة التى تحدث فى آخر الزمان ، فاذا حال الغيم المراكم بيننا وبين السماء كانت الحركات التى عملها أهل الهيئة باقية كما هى لم تختل ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقدروا لها أى للصلوات . فلما قرر الشارع أوقات الصلاة بالتقدير عرفنا ان حركات الافلاك على حالها لم يختل نظامها . قال ولو ان ذلك اليوم الذى كسنة يوم واحد ممتد لوجب علينا ان لا نصلى الظهر حتى تزول الشمس وما لم تزل الشمس لا نصلى الظهر ولو مكثنا اكثر من سنة فتحصل من هذا ان المعنى اقدروا لها من يوم واحد مثلا أى فى رأى العين لا فى نفس الامر . فانه فى نفس الامر مضى اليوم ولم يشهد به احد، وان اليوم الذى كسنة تطلع فيه الشمس وتغرب ثلثمائة وستين يوما، وكذلك القول فى الشهر ، والجمعة تمكث الشمس فيه لا ترى شهرا او سبعة ايام. قلت وهذا الذى ذكره الشيخ جلال الدين

خلاف ما يدل عليه ظاهر قوله فى الحديث فاقدروا له فليتأمل فان غالب الافهام على ان اليوم الواحد بطول المدة التى ذكرها فى الحديث من جمعة او شهر او سنة، والله اعلم بحقيقة الحال .

٣ - محيى الدين بن العربى (١)

مقتطفات من كتاب : « عنقاء مغرب فى معرفة ختم الاولياء وشمس المغرب» :

١- واين يكون من هذه النسخة الانسانية والنشأة الروحانية مقام هذا الامام المهدى المنسوب الى بيت النبى المقامى والطينى واين يكون ايضا منها ختم الاولياء وطابع الاصفياء، ص ٥ .

٢- اشراط الساعة واماراتها وحقائقها واشاراتها من طلوع الشمس من مغربها وروحانية مقصدها ومذهبها واغلاق باب توبة وابقاء ذلة وحوبة وتكليم ونفخ دابة ونزول مسيح وخسف وحبس بمهامه فيح وملحمة عظمى وفتح مدينة كبرى بتكبير وتهليل على مقتضى السنة لا بالمرهفات البيض ولا بزرق الاسنة وختم ولاية وروضة خضراء وسر نبوة ومحجة بيضاء ، ص ١٠ .

٣- وقد اوضح الله لنا العلامة بأنه خاتم الامامة ، اعنى الامامة المحمدية الجزئية لا الامامة المطلقة الكلية ، ص ١٦ .

٤- فلما اتى الختم برحيقه واوضح لى التسنيم مزاج طريقه فنظرت ختم اولياء الحق فى مقعد الامامية الاحاطية والصدق فكشف لى عن سر محتده وامرت بتقبيل يده ، ص ١٧ .

٥- وسماه لى بكتاب الكشف والكتم فى معرفة الخليفة والختم ، ص ١٨ .

٦- كما ان الختم ما ختم به على مقامك عند منتهى مقامك وكذلك اذا كنت فى زمانك الخاص بك بين اخوانك على ما كان عليه ممن تقدم عليه من صحابة النبى من العلم السنى والتجلى الكلى فقد لحق زمانك بزمانهم وصرت من جملة اقرانهم ، ص ١٩ .

٧- هل رأيت يا محمد هذه الاشارة فى تأخير الوزارة عن الامير فى وقت الامارة ، لولا خلافة الصديق لرجع الناس عن الطريق لعدم الكشف ومعرفة الصرف ، وهل الخلافة الا بعد ثبوت المستخلف ولهذا وقف المجادل ، ص ١٩ .

٨- وانما سميناه خاتما وجعلناه على الاولياء حاكما لأنه يأتى يوم القيامة وفى يده اليمنى محل

---

(١) عنقاء مغرب ، المطبعة الرحمانية بمصر ، بغير تاريخ ولكن تم نسخ اصله فى ١١ رمضان ١٣٥٢هـ (الموافق ١٩٣٤/١٢/١٨م) وطبع على نفقة محمد حسين الطماوى وقد اخذنا هذه المقتطفات مركزين على ما يخص بحثنا .

الملك الاسنى خاتم مثالي جسماني وفي يده اليسرى محل الامام الاسرى . خاتم ترابي روحاني وقد انتشر باليمين في زمرة اهل التعيين وقد انتشر باليسار مع اهل التمكين، ص ٢٠ .
وقد اخذنا هذه المقتطفات مركزين على مل يخص بحثنا .

٩- اعلم ان الامامة هي المنزلة التي يكون النازل فيها متبوعا ، وكلامه مسموعا ، وعقده لا يحل ، وغرب مهنده لا يفل ، فاذا هَمَّ امضى ولا راد لما به قضى ، حسامه مصلت ، وكلامه مصمت ، لا يجد المعترض مدخلا اليه ، وان رام اعتراضا عوقب عليه ، وقد اثبتها سبحانه كبرى واكبر وصغرى واصغر ، فأى منزلة كانت صغرت ام كبرت جلت ام قلت فان الطاعة فيها من المأموم واحدة ، والمخالفة لها فاسدة، اذ وقع التساوى فى الطريقة ، والاشتراك فى الحد والحقيقة وحكم الامام على قسمين لما كان الامام امامين ، ناطق ومضمن نطقا ، وصادق ومودع صدقا ، كالامام الذى هو الكتاب الصحيح الذى يشهد عليه بالتصريح ، فيحكم عليه الكتاب بما شاء كيف شاء . ولذلك قال الصادق المختار « فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار » . وكل ملك لا يكون فيه امام متبع فعما قريب ينخرب ذلك الملك وينصدع . ولهذا توفرت دواعى كل امة الى اتخاذ الائمة . وهكذا جرت الحكمة الالهية والنشأة الربانية ، ص ٥٧ .

١٠- وامام الصلاة امام فيها على اركانها ومبانيها فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا . ومن رفع قبل الامام فناصيته بيد شيطان . وكذلك القاضى امام فيما نصب اليه ، والقائد امام فيما قدم عليه ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فكل انسان امام فى بيته وبنيته ، والامام الاكبر المتبع الذى اليه النهاية والمرتجع وتنعقد عليه امور الائمة اجمع ، فكل امام لا يخالف فى امامته اذا ظهر بعلامته . وكل امام تحت امر هذا الامام الكبير كما انه تحت قهر القاهر القدير . فهو الآخذ عن الحق والمعطى بحق فى حق ، فلا تخذلوه وانصروه ووقروه وعزروه فانه الى هذه المنزلة الشريفة، ص ٥٨ .

١١- واعلموا ان المبايعة لا تقع الا على الشرط المشروط والعقد الوثيق المربوط ، كل مبايع على قدر عزمه ومبلغ علمه ، فقد يبايع شخص على الامامة وفى غيره تكون العلامة فتصح المبايعة على الصفات المعقولة لا على النشأة المجهولة فيمد عند تلك المبايعة للخليفة الناقص فى ظاهر الحس الخليفة المطلوب يده من حضرة القدس فتقع المبايعة عليها من غير ان ينظر بصير اليها ، فلذلك

يقع الاختلاف فى الامام المتعين لا فى الوصف المتبين فقل خليفة تجمع القلوب عليه ولا سيما ان اختل ما بين يديه فقد صحت المبايعة للخليفة وفاز بالرتبة الشريفة وان توجه اعتراض فلا سبيل الى القلوب المراض المنعوتة بالامراض ، ص ٦٠ .

١٢- ولما قال فاذا ظهر الامر فى مجمع البحرين ولاح السر المكتوم لذى عينين . (وصل) كأنه يشير الى ظهور النكتة الربانية فى هذه النشأة الانسانية فانه مجمع لبحرى الازل والكون والاين والعين . وقوله لذى عينين يشير الى صاحب الصفتين فمن فهم فقد فاز فوزا عظيما وكان بالله عليما . (فصل) ولما قال وقام سمى النبى وعن يمينه سمى الولى وذلك عندما تنعدم الخاء ويخط الالف فى السماء ويجرى وادى منى ويظهر الانسان فى الماء وتكون الشمس فى الجوزاء فاذا استوى الفلك على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين وقتل السفيانى وكان من الفاسقين ونادى الاب ابنه وقيل له انه ليس من اهلك انى اعظك ان تكون من الجاهلين . (وصل) اشار بذلك الى الارث النبوى والمقام البرزخى ورفع الحجاب الالهى فى قتل السفيانى وتحصيل المركب الاحساسى على الجودى الانبائى (فصل) ولما قال وكانت علامة ايمن الخد الخال المكرم الاسود (وصل) اشار الى الحجر الاسود الحالك وكونه يمين الواحد المالك فمن ثبتت له تلك العلامة فقد صحت له الامامة (فصل) ولما كانت المبايعة لهذا الامام بين الركن والمقام وليس وراءها من لرام ومرمى لرام (وصل) كذلك اذا كان واقفا بين مقام الخلة وركن من رام باضيافه سدا الخلة ، ص٦٧ .

١٣- فاذا اخذ فى هذا الرحيل فاطو بساطك ايها الخليل وسر بما معك من كثير وقليل ، فان لم يكن عندك قوة مال ولا طاقة لك بحمل العيال فسر الى معدن الامامة يحسو لك من المال ما استطعت ان تحمله ، وذلك ايضا له علامة مع جلاء الجبهه وقنى الانف وسيرته فى الملك بين اللين والعنف ، فاصحب ذلك الركب المحفوظ المصان الملحوظ فانه لا خير فيما يبقى بعده ولكن الخير امامه وعنده ، ص ٦٩ .

١٤- وبعد انقضاء هذه الدول يخرج الاعور وفى رجله عزل فيميت باذن الله فتنة ويحيى باذن الله ما امات وينزل الله له الغيث ويخرج له النبات وتاتى اليه الاموال وتنعقد عليه الآمال الا من امن وتحصن وتصبر واكل من الحشيش الجزر حتى ياتى الامر الالد فقتله عند باب لد ويظهر دمه فى الحربة ويسرع الانحصار فى الاوبة ويخرج من وراء السد اكثر عددا واقوى عددا فيدعو عيسى ابن

مريم صلى الله عليه وسلم على اولئك الامم بعد ما لم يتركوا بالارض ديارا وارسلوا السهام فى الجو ليقتلوا من فى السماء فيردها الله سبحانه وتعالى عليهم مخضوبة بالدماء فيسلط الله عليهم فى ليلة داء النغف فى اعناقهم فيموتون فى ليلة الى آخرهم ثم تخصب الارض ويكثر الزرع وتعظم الثمرة وتظل الرهط الكثير الشجرة وتحيى الشريعة المحمدية وتظهر الحقيقة الاحدية الى امد معلوم وقدر محتوم وتنفخ دابة وتطلع شمس ولا يقبل عند ذلك ايمان نفس ، ص ٧٠.

١٥- وهو النسب الاعلى الذى تقدم ذكره فى نكتة الشرف ، جهل من جهل وعرف من عرف ، ولما اشار من اشارته علم وطاعته غنم ، وهو الذى يلقى الامور ويشرح الصدور ، ان انبه على تعيين هذه النكتة وان ناتى بها كالساعة بغتة ، وذلك لتوفير داعيه من اذن واعية ، فلا بد من بسطها وحل ما قوى من ربطها ، وما ذكر الله فى كتابه فى هذا الختم من الاسرار وما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه من الاخبار ، وورد الامر بأن اذكر من الكتاب العزيز مقاماته وآياته ونلغز ايضاح اسمائه وصفاته ، فاعلم ايدك الله بكلمه ووهبك معالم حكمه واوضح لك سر قدمه ، ان الختم الذى يحمل لواء الولاية ويكون المنتهى للمقام والغاية انه كان ختما لا يعرف وكان له الامر لا يرد ولا يصرف فى روحانية متجسدة وفردانية متعددة ختم امرا جسيما فاستتر وختم امرا مقاميا فظهر ، فان ظهر بعده ولى فليس له المقام العلى ، فانه من جملة اتباعه وصحابته واشياعه. الا ترى الامر الالهى قد حكم ونفذ تقديره وختم فصير من كان نبيا عندما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم وليا بحسن الاستماع وحكم الاتباع والتحق بالامة وكان من بعض اطوار الغمة ، كذلك جرى هذا الحكم فى هذا الولى الآتى بهذا الختم العلى، فليس الختم بالزمان وانما هو باستيفاء مقام العيان ، وان كان لا بد ان يقارن حركة فلك هى زمانه ووقته واوانه فينسب الى الزمان من هذا الجانب ، وهكذا امره فى سائر المراتب ، ص٧٠.

مروية عن احمد بن ادريس فى المهدى(١)

« ثم انى سافرت الى مكة سنة ثمان وثلاثين ومائة (٢) حاجا فقدر الله اجتماعنا على الفاضل

---

(١) مجلة المناهل المغربية ، عدد ٦٦ ، يوليو ١٩٨٧ . مخطوطة الابتسام عن دولة ابن هشام للرحالة ابوالعلاء ادريس ، تقديم عبدالهادي التازى .

(٢) اى ١١٨٣هـ ، فانه يختصر الالف ، وذلك يوافق ما بين ٧ مايو ١٧٦٩ و ٢٦ ابريل ١٧٧٠ .

الخير العابد الناسك الحافظ المحدث ابى العباس الشيخ سيدى احمد بن ادريس ، اصله من المغرب من ميسور ثم انتقل الى مكة واستوطنها ، وزاد [.........] ، واشتهر بفضله عند اهلها وسارت بفضله الركبان [......] ، واتخذ الناس عنه وعم الأخذ عنه وانتشرت خلفاؤه فى اليمن والسودان ، وكان مسموع الكلمة عند ذوى السلطان . ثم انتقل فى آخر عمره الى اليمن [.......]، ويجلس فى المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة فيجتمع الناس عليه يستمعون منه الحديث والوعظ . وكان يفتى الناس رأيا ولا يقلد واحدا من الائمة الاربع ، اذا سئل عن حكم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فى ذلك ، فقال لا ادع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول مالك وابى القاسم، واعترض عليه بسبب ذلك الشيخ عمر البنانى من اهل مكة من علمائها المالكية ، وكان يشنع عليه . وتلاقيت معه فى جماعة من اهل فاس فى بيته باعلا مكة فسأله بعضنا عن ظهور المهدى ، وكان أصحابه يقولون هو المهدى ، فقال : ان لظهور المهدى علامات يظهر عند حدوثها ، وجعل يخبرنا بتلك العلامات وبمدة ايامه وعدله فى الارض وانتشار ولايته فى جميع الارض وبالمحاسن التى تظهر فى أيامه الى غير ذلك . قال لنا ومن علاماته ريح ترسل على الناس حمراء يموت منها آلاف وتحدث فى الناس صعقة باطنيه تموت منها آلاف وتسقط منها آلاف من النساء الحبالى . وايام المهدى هى احسن ايام الدنيا لما فيها من العدل والنعم . ويمكث اربعين سنة خليفة فى الارض . ثم قرأ الفاتحة وودعنا فانصرفنا عنه .

خبر بظهور المهدى بكسلا مرتبطا بوصول الختم اليها

قال كتاب الابانة النورية فى شأن صاحب الطريقة الختمية فى الفصل التاسع بعنوان : « فيما قيل فيه من البشائر قبل وجوده من الاولياء اهل الكشف والبصائر الباطنية » : .... ومنها ان الشيخ الحاج بالتاكه من قبيلة الحلنقة عرف بمجيئه وحرص على اخذ الطريقة عليه وترك كل ما كانوا مستمسكين به قبله من الطرق والاذكار ، ومتواتر عندهم ان صالحى تلك الجهات السابقين يقولون نرى نورا عظيما تحت ذيل هذا الجبل ولا بد ان يسكن تحت هذا الجبل ولى عظيم من اولياء الله تعالى وبعضهم يقول نرى ظل المهدى عليه السلام بدل النور المذكور .

مبشرات الختم

رسالة الختم فى بعض المبشرات ، تأليف السيد جعفر بن السيد محمد عثمان الميرغنى (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم به الاعانة بدءا وختما وصلى الله على سيدنا محمد ذاتا ووصفا واسما

هذه مبشرات الختم رضى الله عنه :

الحمد الله الملك القديم ، والصلاة والسلام على المورد العظيم وآله وصحبه الواصلين .

اما بعد ، فهذه رسالة فى بعض مخاطبات الختم رضى الله عنه ونفعنا به آمين ، واعنى به الختم الذى مقامه دون مقام المهدى ، الذى ليس فوقه احد من الاولياء الا المهدى المنتظر ، واما الختم الذى هو آخر ولى فذلك من تحت مقامه .

فمن مخاطباته التى خوطب بها (٢) : قال الختم : قيل لى ان من صحبك يموت على الولاية. قال الختم : قيل لى ان من سلم عليك تحاتت ذنوبه . قال الختم : قيل لى ان مقامك الوسيلة مع النبى وفاطمة والحسن والحسين والمهدى وانت السادس وليس احد معكم فيها بالسكنة (٣) ، ومن دخلها غيركم فانما يدخلها على سبيل الزيارة . قال الختم : قيل لى من رآك او رأى من رآك او رأى من رأى (٤) من رآك الى خمس لم تمسه (٥) النار . قال الختم : من (٦) سلم فوق جبهتى اعنى قبلّها(٧) ، وقيل لى : من سلم عليك فى هذا الموضع ، دخل الجنة . قال الختم : قيل لى ان

---

(١) وردت هذه القطعة فى كتاب الرسائل المرغنية (القاهرة ١٩٣٩) ، ص ١١٠ - ١١٢ وهى من وضع جعفر بن محمد عثمان الميرغنى الختم . وهناك قطعة مشابهة لها فى كتاب الابانة النورانية فى شأن صاحب الطريقة الختمية تأليف احمد بن ادريس الرباطابى ، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم (بيروت ١٩٩١) ، ص ١٦٣ - ١٦٦ . وفى الهوامش التالية نشير الى المصدر الاول بقولنا : جعفر ، وللثانى بقولنا : الابانة . والأصل الذى ننقله هو نص المصدر الاول ، والمعارضة بنص المصدر الثانى ، والمبشرات هى الرؤى الصالحة .

(٢) العبارة الى هذا الموضع لا ترد فى الابانة وهى مقدمة جعفر . ويبدأ الابانة بعنوان فى ذكر نذر من البشائر التى ذكرها هو بنفسه . وسبب الاختلاف ان نص جعفر رسالة كاملة تبدأ بالافتتاح والديباجة بينما نص الابانة فصل من كتاب . وترد فى مقدمة الابانة فقرة لا ترد فى نص جعفر وهى : « كان يقول ما قلت فى صلاتى السلام عليك ايها النبى الا وقال لى وعليك السلام ايها الابن الصالح ورحمة الله وبركاته ». ثم يمضى النصان معا .

(٣) بالسكنى : الابانة .

(٤) رآك ورأى : الابانة .

(٥) تمسهم : الابانة .

(٦) {من} جعفر .

(٧) { اعنى قبلها } الابانة .

معنى الختم على اربعة اوجه : الاول (٨) الختم النبوى ، والثانى الختم المهدى ، والثالث ختمى ، والرابع الختم الذى لا ولى بعده ، وهو فى آخر الزمان ، فعلمت من ذلك شأنى . قال الختم : قيل لى انه لم يقدر على معرفة حقيقتك احد من كبار الاولياء (٩) العارفين ، وكم عالج ذلك كثير من الاغواث وكبار (١٠) الافراد فلم يعرفوا حقيقة ذلك (١١) ، واعظمهم معرفة بك محيى الدين ابن العربى . قال فى عنقا مغرب فى معرفة ختم الاولياء وشمس المغرب : ان الصديق الاكبر تحت لواء الختم ، وان اول اسمه عين التعيين ، واخره قيومية التمكين (١٢) . قال الختم : قيل لى ان كرسيا لك (١٣) حول العرش بعد كرسى المهدى . واغلب هذه المبشرات لى وللمهدى (١٤) . قال الختم : قيل لى ان كل الاولياء ينظرون اليك وهم لا يبصرون حقيقتك ، لانك قطعة من النبُى . قال الختم: قيل لى انك تعطى راتبا لم يقدر على قراءته احد غير النبى والمهدى . قال الختم : قيل ما اعطيناه لك فلا يعطاه غيرك (١٥) ، لا مانع لما اعطيناك، ولا معطى لما منعناه من حالك لغيرك ، قال الختم : قيل لى انك اعطيت الارض فافعل ما شئت ، واحكم ما تريد . ومثل هذا وارد عن اهل الله كثيرا ، وله معان مطابقة للشريعة ظاهرا وباطنا ، اذا اوضحوها لمن يسأل عنها ظهرت له مطابقتها كنور الشمس فى الظهيرة . فمن فاته التحقق باحوالهم فلا يفوته التسليم لاقوالهم (١٦) . قال الختم : قيل لى ان موضعك فى الكثيب بعد المهدى وهو بعد النبى (١٧). قال الختم : قيل لى تارة تذهب فى النبى فلا ترى الا انك هو ، وتارة تغيب انت والمهدى وهو فى الحق فلا تظهر (١٨) الا انكم هو . قال الختم : قيل لى لا تموت حتى تحل فى الغوثية . قال الختم : قيل لى لو كان بعد النبى نبى لم

---

(٨) { الاول } الابانة .

(٩) { كبار الاولياء } الابانة .

(١٠) { كبار} الابانة .

(١١) فلم يقدروا على ذلك : الابانة .

(١٢) { قال فى عنقا مغرب . . . . . قيومية التمكين } الابانة .

(١٣) لك كرسى : الابانة .

(١٤) { واغلب هذه المبشرات لى وللمهدى } الابانة .

(١٥) يعطاه احد من غيرك : الابانة .

(١٦) بعد هذا يزيد الابانة قوله : ادخلنا الله برحمته مداخلهم وجعلنا من اهل مجالسهم آمين ، وهو اضافة منه .

(١٧) بعد المهدى والنبى صلى الله عليه وسلم : الابانة .

(١٨) يظهر: الابانة .

تكن الا انت والمهدى (١٩) . قال الختم : قيل لى ان جميع الاولياء يتمنون مقامك ، وكثير من اكابرهم(٢٠) يتمنون ان يكونوا من اصحابك . قال الختم : قيل لى ان من له عليك يد لم تجازه (٢١) بها نجازيه نحن عنك واقبل ما يأتيك . قال الختم : قيل لى انه يقع من الحق تجل (٢٢) يوم القيامة عام بك . قال الختم : قيل لى ان جميع ذريتك يخرجون صالحين وبشرت بواحد منهم (٢٣) يكون فى رأس الدواوين الالهية . قال الختم : قيل لى ان صورتك لم تزل بجانب النبى من اول الزمن (٢٤) . ولم تزل كذلك الى ما لا نهاية له . قال الختم : قيل لغوث من الاغواث هل تعلم احدا اكمل منك ؟ فاشار الى صورتى وصورة المهدى . قال الختم : قيل لى لم تزل الواردات والمبشرات لك والمخاطبات . وقيل لجدى : فالحمد (٢٥) لله الذى جعل هذا من ذريتك ، فحمد الله وسجد . قال الختم : قيل لى انك مختطف (٢٦) من نور النبى من ابتداء ما كان نوره (٢٧) . قال الختم : قيل لى انه معتنى بك من قبل وجود ابيك آدم بكذا وكذا سنة . قال الختم : قيل لى ان من صليت عليه غفر له . قال الختم: قيل لى انت خاتم اعلا مقام فى الولاية ، وليس فوقك الا المهدى واكمل داع بعد النبى الى الهداية ، ونظيرك المهدى .

وهذه بعض مخاطبات للختم رضى الله عنه وكلها له هو والمهدى الا شىء قليل ، وقد تركنا بعض الكلمات الكبار خوفا من عدم تسليم بعض الجهال بمقامات الاولياء رضى الله عنهم . ونسأل الله ان ينفعنا به آمين يا رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (٢٨) .

---

(١٩) { قال الختم : قيل لى لو كان بعد النبى نبى لم تكن الا انت والمهدى } الابانة .

(٢٠) وكثير منهم : الابانة .

(٢١) لم تكافئه : الابانة .

(٢٢) تجل من الحق : الابانة .

(٢٣) ان واحدا منهم : الابانة .

(٢٤) الزمان : الابانة .

(٢٥) الحمد : الابانة .

(٢٦) مقتطع : الابانة .

(٢٧) كان نورا : الابانة .

(٢٨) { وهذه بعض مخاطبات للختم . . . . وصحبه وسلم } الابانة ، وفى مكانه يقول الابانة : وهذا الذى ذكرناه نذر يسير من تحدثه بنعمة الله عليه .

حضرة تنصيب المهدى (١)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد ، فجزيل السلام الى عزيز المقام حبيبنا ذى الاكرام الاستاذ خليفة جدنا الشيخ محمد الطيب البصير ، وقاه الله من كل التكدير .

لا يخفى عزيز علمك ان من كان لله وخرج من حظه وهاجر الى الله لا يخشى من شيء و لا يخاف من احد ، فانه منصور ومضمون رزقه وموقى من شرور الخلائق بالوعد الصادق الذى لا يشك فيه الا منافق .

وحيث انك النائب عنا وكنفسنا فى جميع الامور لازم تشجع الاهل الى الهجرة الينا . وجميع من لم يصلنا فليبايعك ، وقد جعلت مبايعتك مبايعتى (٢) ، وانت الامين على حقوق الله تعالى (٣) . ولازم تزهد المحبين (٤) عن الاوطان والاموال ، فان الدنيا غرورة ، وما للعبد الا الاعمال الموافقة للكتاب والسنة (٥) . ومن لم يجتهد على ذلك بشق الانفس فى هذه الايام القريبة الزوال خسر الدارين ولا تنفعه الاموال والاوطان بل تبقى عليه الحسرة والندامة .

ومن البشائر التى حصلت لنا بعدك : انه حصلت لنا حضرة نبوية حاضر عليها محبنا الفقه عيسى (٦) ، فيأتى النبى صلى الله عليه وسلم ويجلس معى ويقول للاخ المذكور : شيخك (٧) هو المهدى ، فيقول : انى مؤمن بذلك ، فيقول صلى الله عليه وسلم : من لم يصدق بمهديته (٨) كفر بالله ورسوله ، قالها ثلاث مرات . ثم يقول له الاخ المذكور : يا سيدى يا رسول الله ، الناس من

---

(١) الآثار الكاملة للامام المهدى ، جمع وتحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، المجلد الاول (دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم ١٩٩١) ص ٧٦ - ٨١ . وانظر ملخصا للقطعة بنفس المصدر ص ٨٢ - ٨٣ .

(٢) للبيعة نص معروف يتعهد فيه المبايع بالولاء للمهدى وتنفيذ اوامره والامتناع عن منكرات تنص عليها . وقد ساوى المهدى هنا بين مبايعته شخصيا ومبايعة هذا النائب .

(٣) يقصد اموالهم وارواحهم .

(٤) اى اتباعه ، والعبارة مأخوذة من الصوفية .

(٥) هذه اشارة مبكرة الى ترك المذاهب والتراث المكتوب .

(٦) من كبار اتباع المهدى ، ولكن شخصيته ذابت ولا يعرف عنه شيء .

(٧) عبارة شائعة بين الصوفية استعملها المهدى انسياقا مع ما هو معهود .

(٨) هذا هو مستند تكفير المنكرين لمهديته .

العلماء (٩) يستهزءون بنا والخشية ايضا من الترك ، فيقول صلى الله عليه وسلم : والله والله والله ان قوى يقينكم ان اشرتم بأدنى قشة تنقضي(١٠) حاجتكم .

ثم يقول الشيخ عبد الله (١١) : يا سيدى الشيخ الطيب (١٢) ، نحن مصدقون بمهدية شيخنا والناس ليسوا بمصدقين ، فيقول الشيخ الطيب : ان شيخك حين ولادته عرفوه اهل الباطن والحقيقة انه المهدى ، فلما تم اربعين يوما عرفته النباتات والجمادات بأنه المهدى . ثم يقول الشيخ الطيب : الطريقة (١٣) فيها الذل والانكسار وقلة الطعام وقلة الشراب والصبر وزيارة السادات (١٤) ، فتلك ستة . والمهدية ايضا فيها ستة : الحرب والحزم والعزم والتوكل والاعتماد على الله تعالى واتفاق القول . فهذه الاثنا عشر لم تجتمع لاحد الا لك . ويقول : عظ قومك ألا يكون فيهم ثلاثة خصائل : الحسد والكذب وترك الصلاة ، ومن كان متصفا بواحد من هذه الثلاثة اتصف بالآخرين . ثم يقول : وحين قدومك الى قدير ، النساء تكون مستترة لا يتكشفن كالبقارة ، ولما تكن بين كردفان(١٥) وتقلى تعظ القوم بأجمعهم : فمن كان سائرا لوجه الله بلا علة فليمش معكم ، ومن كان سائرا لعلة لا يمشى ، ولازم ان تصلوا الى الملك (١٦) آدم بهيبة حسنة مع ترتيب الاذكار . فلما تصلوا قدير لازم تنفى عن قومك الصفات الثلاثة ولا يدخل معكم من كان فيه احداهن .

وثم يأتى الشيخ التوم (١٧) ويقرى عليّ السلام بالمهدية ويقول : اجتهد على قومك ان يكون الكبير ابا والصغير ولدا والمساوى اخا . وفى رمضان ادخل خلوة الاربعين فتبين لك فيها دسائس وغمائض .

وثم يأتى جدنا الشيخ البصير (١٨) ويقرى عليّ السلام بالمهدية ويتكلم بكلام فهمنا منه انه قال

---

(٩) انظر كيف يتصور خطر العلماء على حركته .

(١٠) انظر قوة هذا العزم .

(١١) يبدو انه الخليفة عبد الله الرجل القوى فيما بعد وخليفته بعد وفاته .

(١٢) يقصد الشيخ الطيب احمد البشير مؤسس الطريقة السمانية فى السودان .

(١٣) يقصد الطرق الصوفية ككل ، اى انه يعنى اسس الطرق .

(١٤) السادات هم شيوخ الطرق .

(١٥) لا يقصد الابيض بالذات ، وانما شرق كردفان ، حيث يكون مسيره فى طريقه من ابا الى قدير .

(١٦) هو الملك عمرآدم ام دبالو ملك جبال تقلى .

(١٧) ربما يقصد التوم ود بانقا وهو من كبار خلفاء الشيخ احمد الطيب البشير .

(١٨) الشيخ احمد البصير بن عبد الرازق من كبار خلفاء الشيخ احمد الطيب البشير وابنه محمد الطيب لعب دورا كبيرا فى قيام المهدية، وهو الذى يكتب له المهدى هذا الوصف لحضرة تتصيبه .

لى : اشدد الحزام على سنة النبى العدنان .

وثم يأتى الشيخ القرشى (١٩) فيقرى عليَّ السلام بالمهدية ويتكلم بكلام المفهوم منه انه يقول : كن ذاكرا ولمن معك ساترا ، فيقول الشيخ عبد الله : يا سيدى ، الناس منكرون فى مهدية شيخنا ، فيقول : ان النبى صلى الله عليه وسلم اعلمنى قبل مماتى بأن شيخك هو المهدى بذاته ، وقد كان اعلمنى الشيخ الطيب قبل مماته وقال : انك تدرك المهدى وتلاقيه وهو شيخك بعينه .

ثم يأتى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه الشيخ عبد القادر الجيلانى لابس جبة وعليها سيور ، فيقول الشيخ عبد الله : يا سيدى يا رسول الله ، الناس منكرون الجبة ويتعففون عنها ، أفهى سنة واردة عنك ام لا ؟ فيقول صلى الله عليه وسلم : وذات الانسان رقع : فى رأسه رقعة زرقاء وباطن شفتيه رقعة حمراء ، واسنانه رقعة بيضاء واظافره رقعة صفراء . ويقول صلى الله عليه وسلم : الرقع اربعة ، بيضاء وزرقاء وحمراء وصفراء ، ويقول صلى الله عليه وسلم : لولا انى خشيت عليك ان تصير مغشيا لأريتك جبب الخلفاء الاربعة .

وامر صلى الله عليه وسلم عزرائيل ويقول : من هذه الليلة اصحب المهدى لا تفارقه . ويقول صلى الله عليه وسلم للخضر عليه السلام : من هذه الليلة اصحب المهدى وكن فى قومه .

وهذه الليلة المذكورة التى حصلت فيها هذه الحضرة المباركة غرة شعبان ليلة الاربعاء . ثم تلى لنا جميع الاحوال الى دخول مكة ، ومنازعة اهلها ومبايعة الضعفاء والغرباء اولا وثم مبايعة الشريف ملك مكة وجميع اشرافها (٢٠) معه . الى هذا كفاية ، والسلام .

غرة شعبان سنة ١٢٩٨ (٢١)

منشور الدعوة : المهدى الى احبابه فى الله (١)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

---

(١٩) الشيخ القرشى ود الزين من كبار خلفاء الشيخ احمد الطيب البشير ونصير المهدى والمبشر به مهديا على ما يروى .

(٢٠) حسب مفهوم المهدى فان المهدية الكبرى تتم عند دخول مكة ، وهو ما عليه بعض الاقوال عن المهدى المنتظر .

(٢١) يوافق ذلك ٣٠ يونيو ١٨٨١ .

(١) الآثار الكاملة للامام المهدى ، مجلد ١ ص ١٣٥ – ١٣٨ . تعرف المناشير التى يعرض فيها المهدى اسانيد مهديته ومقاصدها بمناشير الدعوة ، وهذا المنشور يعتبر أهم هذه المنشورات ، واذا قيل « منشور الدعوة » اطلاقا فهذا هو المقصود به ، وقد صدر أصله فى اول المهدية (انظر الآثار الكاملة للامام المهدى ، مجلد ١ ص ٩٦ – ١٠٠) ثم عدل الى هذا الوجه الذى ثبت به . وانظر ايضا استخراجا منه فى ص ١٣٩ –١٤٣ .

وبعد ، فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى بن عبد الله الى احبابه فى الله المؤمنين بالله وبكتابه .

فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ولا يرضى بذلك نووا الايمان والفطن ، بل أحق ان يترك لذلك الاوطار والوطن لاقامة الدين والسنن ، ولا يتوانى عن ذلك عاقل لكون غيرة الاسلام للمؤمن تجبره .

ثم ، احبابى ، كما اراد الله فى ازله وقضائه تفضّل على عبده الحقير الذليل بالخلافة الكبرى من الله ورسوله . واخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنى المهدى المنتظر . وخلفنى عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مرارا بحضرة الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام وايدنى الله تعالى بالملائكة المقربين وبالاولياء الاحياء والميتين من لدن آدم الى زمننا هذا ، وكذلك المؤمنين من الجن . وفى ساعة الحرب يحضر معهم أمام جيشى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بذاته الكريمة وكذلك الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام . واعطانى سيف النصر من حضرته صلى الله عليه وسلم ، واعلمت انه لا ينصر عليّ معه احد ولو كان الثقلين الانس والجن .

ثم اخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن الله جعل لك على المهدية علامة وهى الخال على خدى الايمن . وكذلك جعل لى علامة اخرى تخرج راية من نور وتكون معى فى حالة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام فيثبت الله بها اصحابى وينزل الرعب فى قلوب اعدائى فلا يلقانى احد بعداوة الا خذله الله .

ثم قال لى صلى الله عليه وسلم : انك مخلوق من نور عنان قلبى ، فمن له سعادة صدق بأنى المهدى المنتظر . ولكن الله جعل فى قلوب الذين يحبون الجاه النفاق فلا يصدقون حرصا على جاههم ، قال صلى الله عليه وسلم : حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل . وجاء فى الاثر : اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم . وجاء فى بعض كتبه القديمة : لا تسأل عنى عالما أسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق محبتى اولئك قطاع الطريق على عبادى .

ولما حصل لى ، يا احبابى ، من الله ورسوله ، امر الخلافة الكبرى امرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى ماسة بجبل قدير وامرنى ان اكاتب بها جميع المكلفين امرا عاما .

فكاتبنا بذلك الامراء ومشايخ الدين فانكر الاشقياء وصدق الصديقون الذين لا يبالون فيما لقوه فى الله من المكروه وما فاتهم من المحبوب المشتهى بل ناظرون الى وعده سبحانه وتعالى بقوله : «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » (٢) .

وحيث ان الامر لله والمهدية ارادها الله لعبده الفقير الحقير الذليل محمد المهدى بن عبد الله فيجب بذلك التصديق لارادة الله . وقد اجتمع السلف والخلف فى تفويض العلم لله، فعلمه سبحانه لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين ، بل يمحو الله ما شاء ويثبت وعنده ام الكتاب . قال تعالى : «ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء» (٣) ، « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو»(٤) و « لا يسأل عما يفعل » (٥) « ويخلق ما يشاء ويختار» (٦) ، « يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (٧) . وقد قال الشيخ محيى الدين بن العربى فى تفسيره على القرآن العظيم : علم المهدى كعلم الساعة والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة الا الله . وقال الشيخ احمد ابن ادريس : كذبت فى المهدى اربع عشرة نسخة من نسخ اهل الله ، ثم قال : يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونه . وهذا لا يخفى علمكم ان التأليفات الواردة فى المهدى منها الآثار وكشف الاولياء وغير ذلك ، فيتخلف كل منهما كما علمت من انه « يمحو الله ما يشاء » الآية (٨) . ومنها الاحاديث ، فمنها الضعيف والمقطوع والمنسوخ والموضوع ، بل الحديث الضعيف ينسخه الصحيح ، والصحيح ينسخ بعضه بعضا ، كما ان الآيات تنسخها الآيات . وحقيقة ذلك على ما هى عليها لا يعرفها الا اهل المشاهدة والبصائر .

هذا ، وقد اخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن من شك فى مهديتك فقد كفر بالله ورسوله ، وكررها صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات . وجميع ما اخبرتكم به من خلافتى على المهدية الى آخره فقد اخبرنى به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة فى حال الصحة خال من الموانع

---

(٢) القصص ٨٣ .

(٤) البقرة ٢٥٥ .

(٥) الانبياء ٢٣ .

(٦) القصص ٦٨ .

(٧) البقرة ١٠٥ .

(٨) الرعد ٣٩ .

الشرعيـة لا بنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون ، بل متصف بصفـات العقل ، اقفو اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر فيما امر به والنهى عما نهى عنه .

والهجرة المذكورة بالدين واجبة كتابا وسنة ، قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » (٩) . وقـال صلى الله عليه وسلم : من فـر بدينه من ارض الى ارض ولو شبرا من الارض فقد استوجب الجنة وكان رفيق ابيـه خليل الله ابراهيم ونبيه محمد عليهمـا الصلاة والسـلام ، والى غيـر ذلك من الآيات والاحـاديث . واجابة داعى الله واجبـة ، قال تعالى : « واتبع سبيل من اناب اليّ » (١٠) .

فاذا فهمتم ذلك ، فقد امرنا جميع المكلفين بالهجرة الينا لأجل الجهاد فى سبيل الله او الى اقرب بلد منكم لقوله تعالى : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » (١١) . فمن تخلف عن ذلك دخل فى وعيد قوله تعالى : « قل ان كان آباؤكم وابناؤكم » الخ (١٢) ، وقوله : « يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفـروا فى سـبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضـيـتم بالحيـاة الدنيـا من الآخرة » الخ الآيتين (١٣) . فـاذا فهمتم ذلك فهلموا للجـهاد فى سبيل الله ولا تخافوا من احد غير الله لأن خوف المخلوق من غير الله يعدم الايمان بالله ، والعياذة بالله من ذلك . قال تعالى : « فلا تخشوا الناس واخشون » (١٤) . وقـال تعـالى : « فـالله احق ان تخشوه » (١٥) ، لا سيما وقد وعد الله فى كتابه العزيز بنصر من ينصـر دينه . قال تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » (١٦) . وقال تعالى : « الا تنصروه فقد نصره الله » (١٧) . وحيث ان لم تجيبوا داعى الله وتبادروا لاقامة دين الله تلزمكم العقوبة عند الله تعالى لانكم ادلة الخلق وازمتها فمن كان مهتما بايمانه شفيقا

---

(٩) الانفال ٢٤ .
(١٠) لقمان ١٥ .
(١١) التوبة ٢٣ .
(١٢) التوبة ٢٤ .
(١٣) التوبة ٣٨ - ٣٩ .
(١٤) المائدة ٤٤ .
(١٥) التوبة ١٣ ، قال « والله » والصواب « فالله » ، وقد صوبنا ضبطا للآية .
(١٦) محمد ٧ .
(١٧) التوبة ٤٠ .

بدينه حريصا على امر ربه اجاب الدعوة واجتمع مع من ينصر دينه .

وليكن معلومكم انى من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابى حسنى من جهة ابيه وامه، وامى كذلك من جهة امها ، وابوها عباسى ، والعلم لله ان لى نسبة الى الحسين. وهذه المعان الحسان تكفى لمن ادركه الله بالايمان ، فلا عبرة لمن يراها ولم يصدق بها ، هذا والسلام .

بعد ٢٤ رجب ١٢٩٩ وقبل ١٦ شعبان ١٢٩٩ (١٨)

الى علماء السوء (١)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

يا علماء السوء ، تصومون وتصلون وتتصدقون وتدرسون ما لا تفعلون ، فما سوء ما تحكمون . تتوبون بالقول والامانى وتعملون بالهوى . وما يغنى عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة . بحق اقول لكم : لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة . وكذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل فى صدوركم .

يا علماء السوء ، كيف يدرك الآخرة من لا تنقض من الدنيا شهوته ولا تنقطع عنها رغبته ! بحق اقول لكم : افسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم ، فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة . فأى الناس اخسر منكم لو تعلمون ! ويلكم متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون فى محلات المتحيرين كأنكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم . مهلا مهلا ! ما يغنى البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحشة معطل . كذلك ما يغنى عنكم ان يكون نور العلم فى افواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة . يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام ، توشك الدنيا ان تقلعكم من اصولكم فتكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم الى الملك الديان حفاة عراة فيجزيكم بسوء اعمالكم .

١٣٠٠ (٢)

---

(١٨) يوافق ذلك بعد ٦ ابريل وقبل ٢ يوليو ١٨٨٢ .

(١) الآثار الكاملة ، المصدر نفسه ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥ .

(٢) يوافق ذلك ما بين ١٢ نوفمبر ١٨٨٢ و ١ نوفمبر ١٨٨٣ .

رسالة المفتى شاكر الغزى :

فى بطلان دعوى محمد احمد المتمهدى» (١) :

خطبة (٢) :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى جعل السلطنة (٣) سرا من اسرار الالوهية وفرضا من الفروض الشرعية الدينية وجعل لزوم طاعتها فرضا لازما وامرا جازما ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بيّن الحلال والحرام وازال الشكوك والاوهام وعلى آله واصحابه السادة فى الاهتداء وشموس الاقتداء . فيقول العبد الفقير شاكر الغزى مفتى مجلس استئناف السودان ، بلغه الله اقصى منازل الرضوان :

لما كان ما ادعاه محمد احمد من المهدية بعيد (٤) عن الصدق بالكلية وصدقه فى مدعاه جهلة العوام والأوباش الطغام ، جمعت هذه الرسالة (٥) فى نصحهم وارشادهم من هذه الضلالة ، مرتبة على مقدمة وفصلين وخاتمة ، فأقول والله المستعان :

المقـــدمـــة : فى وجوب طاعة السلطان وولاة الامور :

اعلموا ، ايها الاخوان ، اصلح الله لى ولكم الشأن ، ان الدين والسلطان اخوان متلازمان ، فالدين هو الاساس والسلطان هو حافظه ومشيده ، وما لا حافظ له ضائع يعز تأييده ، فلا دين الا بالسلطان . فالسلطان فى الحقيقة هو القائم بحماية الدين وحفظ بلاد المسلمين ، وهو ظل الله فى ارضه ، وبه تقام شعائر سنته وفرضه . فهو خليفته على خلقه وامينه على رعاية حقه ، قد ارتضاه من خليقته وامرهم بطاعته . قال تعالى : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » (٦) .

---

(١) وردت رسالة شاكر الغزى فى تاريخ السودان لنعوم شقير ، تحقيق وتقديم الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم (بيروت ١٩٨١) ص ٦٢٠ – ٦٢٩ .

(٢) عبارة « خطبة » من عندنا .

(٣) قال السلطنة ولم يقل الامام او الخليفة لانه يرد الامر الى السلطان العثمانى، والسلطنة عنده من اسرار الله لانه يضعها حيث يشاء . واقامتها فرض وطاعتها لازمة والخروج عليها حرام .

(٤) بعيد : هكذا فى الاصل والسياق يقتضى : بعيدا .

(٥) قال جمعت هذه الرسالة ولم يقل الفت ولم يقل الكتاب . وموضوعه هو النصح والارشاد .

(٦) النساء ٥٩ .

وقال صلى الله عليه وسلم : عليكم بالسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشى كان رأسه زبيبة . وقال عليه السلام : تسمع وتطع وان ضرب ظهرك واخذ مالك .

واعلموا ان من أوضح الأدلة السالمة من الاعتراض الحاسمة ابواب الانتقاض ما ورد فى القرآن العظيم وسنة النبى الكريم من الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة والائتلاف وعدم النزاع والخلاف قوله :« واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » (٧) . وقال تعالى :« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٨) . وقال تعالى :« لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم » (٩) ، والمراد بحبل الله المعتصم به هو القرآن ، وهو اختيار جماعة من ائمة التفسير . ونقل عنه عليه السلام انه قال : « ان الله رضى لكم ثلاثا وكره لكم ثلاثا ، رضى لكم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله تعالى امركم . وكره لكم قيل وقال واضاعة المال » ، الحديث . وقال عليه السلام : « المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا » . وقال عليه السلام :« من حمل علينا السلاح فليس منا » . وقال عليه السلام : « من رأى من اميره شيئا فكرهه فليصبر فانه ليس احد يفارق الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية » .

واعلموا ان نور التآلف ينسخ ظلم العداوة من القلوب ويكون سترا من هجوم الحوادث وسدافى وجه الخطوب . وقديما شبت فى القبائل والعشائر نار العداوة فاحرقتهم وانبسطت يد المنازعة والمخالفة بينهم فمزقتهم واستلت فيهم سيوف الاحن والبغضاء ففرتهم (١٠) ولمعت بروق التقابل والتقاتل فتألقت . ثم هبت عليها رياح التآلف والاتفاق فأطفأت ضرامها وصرفت غرامها وشفت سقامها ونفت عنها آلامها وملامها فتبدلوا بالاساءة احسانا وبالمخالفة امانا وبالمنافرة اذعانا وبالنقيصة رجحانا ، فعادوا بعد التباين صوانا وأصبحوا بنعمة الله اخوانا .

فاذا علمتم ذلك وعلمتم ما تضمنته هذه الآيات الكريمة والاحاديث العظيمة من وجوب طاعة ولاة الامور وحرمة قتالهم والخروج عن طاعتهم ايقنتم ان من خرج عن الطاعة شبرا فقد عصى

---

(٧) الانفال ٤٦ .

(٨) آل عمران ١٠٣ .

(٩) الانفال ٦٣ .

(١٠) ففرتهم : هكذا فى الأصل ، ونظن ان الصواب : ففرقتهم - بالقاف .

الله ومات ميتة جاهلية . ولذا علمتم ايضا ما فى الخلاف والمنازعة والعداوة من الخراب والدمار ايقنتم ان الواجب عليكم الرجوع الى الائتلاف والاتفاق . فاتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . فتذكروا انفسكم ، رحمكم الله تعالى ، فان الذكرى تنفع المؤمنين .

الفصل الاول : فى بطلان دعوى محمد احمد المهدية :

ان بعض العلماء قال بظهور المهدى فى آخر الزمان واحتجوا لذلك باحاديث خرجها الائمة . وبعض العلماء انكرها وتكلموا فيها وربما عارضوها ببعض الاخبار . وللمتصوفة المتأخرين طريقة اخرى فى امره . ورمز بعضهم الى خروجه فى ج ف ج (١١) اشارة الى انه يخرج (١١) سنة ٦٨٣. ورمز بعضهم الى خروجه فى سنة ٧٠٠ وكسور وغير ذلك ، ولم يخرج . فللعلماء فيه قولان ، قول بخروجه فى آخر الزمان وقول بعدم خروجه .

وعلى القول بخروجه فهذا ليس زمانه . ومحمد احمد ليس هو المهدى المنتظر لمخالفته له فى اوصافه وفى مكان مولده ومكان خروجه ووزرائه ورجاله . فما ورد من ذلك ان مولد المهدى المنتظر ومظهره بمكة كما فى العرف الوردى (١٢) والصواعق (١٣) . وقيل مولده بالمدينة . وقال العلقمى : والقول بانه يخرج من المغرب لا اصل له . وعلى تسليم صحته فالذى قال بخروجه من المغرب قال انه يخرج بموضع يقال له ماسة وراء السوس الاقصى . وانتم لا يخفى عليكم ان مولد محمد احمد المهدى بدنقلة وخروجه بجزيرة ابا وجبل قدير . فقد باين المهدى فى المولد والخروج . وهذا دليل على بطلان دعواه وظهور كذبه وافترائه .

ومنها انه من عترته صلى الله عليه وسلم افرق الثنايا اجلى الجبهة وجهه كالكواكب (١٤) الدرى ،

---

(١١) قال : ج ف ج ، والصواب خ ف ج ، واصله من مقدمة ابن خلدون ، وقد اثبتها ابن خلدون كتابة وقال : الخاء المعجمة . ولعل ان يكون الخطأ مطبعيا . وهذا الرمز بحساب الجمل يبلغ ٦٨٣ ، اى ان المهدى يخرج فى اعتباره فى سند ٦٨٣ هـ . وفى هذه الفقرة صدى واضح لعبارات ابن خلدون . والفقرة الاولى من الفصل الاول الى قوله « فى امره » من الفقرة الاولى فى فصل ابن خلدون ، والطرف الثانى من الفقرة والتى تبدأ بعبارة « وقال ابن العربى فيما نقل ابن ابى واطيل » عند الكلام عن الصوفية ، وقال فيها ٧٠٠ وكسور بدل ٧١٠ .

(١٢) العرف الوردى فى اخبار المهدى ، كتاب للسيوطى .

(١٣) الصواعق المحرقة كتاب لابن حجر الهيتمى .

(١٤) هكذا فى الأصل ، والمقصود : كالكوكب . وقد نقل الحسن العبادى العبارة نفسها فى رسالته دون تصويب .

ومحمد احمد ليس كذلك . ومنها انه شاب اكحل العينين ازج الحاجبين اقنى الانف كث اللحية على خده الايمن خال وعلى يده اليمنى خال ، وهذه الاوصاف تباين اوصاف محمد احمد ، وهو ايضا برهان قاطع بعدم صحة دعواه وبطلانها . ومنها انه يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخَلق ويقرب منه فى الخُلق ، وانتم تعلمون ان لونه صلى الله عليه وسلم ابيض مشرب بحمرة كما فى الشمائل الترمذية ، ولون محمد احمد ليس بأبيض كما هو مشاهد لكم . فمن اعتقد ان لون نبينا صلى الله عليه وسلم كلونه فقد انتقصه وحكم منتقصه صلى الله عليه وسلم الردة حتى قال فى الشفاء (١٥) لا تقبل توبته . وهذا دليل ايضا على عدم صحة دعواه . وايضا لا يقارب خُلُقُه (١٦) صلى الله عليه وسلم لقتله المسلمين واستباحة اموالهم وحملهم على قتل بعضهم بعضا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك . ومنها انه ينادى عند ظهوره فوق رأسه ملك (١٧) : هذا المهدى خليفة الله فاتبعوه ، ومحمد احمد ليس كذلك . فكيف تتوهمون فى عدم صحة دعواه الباطلة وهذه الاحاديث تكذبه ! أكذبتم بأحاديث رسول الله والعياذ بالله تعالى !

ومنها ما اخرجه الحاكم فى صحيحه عنه عليه الصلاة والسلام ، قال : يحل بأمتى فى آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء اشد منه حتى لا يجد الرجل ملجأ فيبعث الله رجلا من عترتى اهل بيتى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يحبه ساكن الارض وساكن السماء (١٨) . وانتم لا يخفى عليكم ان شدة البلاء من السلطان وعدم الملجأ لم يوجدا ، فأنا وانتم فى رغد من العيش آمنين مطمئنين وملجأنا وملجأ العامة موجود ، وهو ولى النعم الخديوى الاعظم وسعادة افندم ناظر ديوانه وحكمدار عموم الاقاليم السودانية عبد القادر باشا، بلغه الله ما يشاء ، والمأمورون من تحت ادارته تلجأون اليهم فى مهماتكم فيأخذون بيد المظلوم وينتقمون من الظالم . فلا يتوهم حينئذ ظهور المهدى فى هذا الزمان ، لأن هذا الزمان ليس زمان ظهوره لوجود الملجأ

---

(١٥) يقصد كتاب الشفا لابن عياض .

(١٦) المفروض ان يقول خلقه خلقه ولكن يبدو ان احد اللفظين سقط فى الطبع .

(١٧) هذا الملك وارد فى حديث ام سلمة ، اذ يظهر عند بدء المهدية ويشير الى الرجل المقصود ويقول : هذا هو المهدى . وانظره فى رسالة الانبابى ادناه .

(١٨) يذهب مضمون هذا الحديث الى خروج المهدى فى عهد خليفة ظالم وهو بعكس القول بعدم الخروج على الخليفة وان جار . ولكن الغزى لم يتنبه الى ذلك ، ولو تنبه لما استشهد به لأنه يضعف حجته بعدم جواز خروج المهدى على السلطان القائم .

وفقد البلاء . وان كنتم تتوهمون انه المهدى فأين ملؤه الارض عدلا وقسطا كما فى الحديث ، بل والله ما ملأها الا قتلا وفسادا وخرابا كما هو مشاهد . واين حب ساكن الارض له ؟ هل يحب العاقل من يسعى فى الارض بالفساد وينهب ويقتل العباد؟ وهل يرضى احد بفقد الامن وقتل المسلمين بغير حق وتفريق كلمتهم !

فاعتبروا ، يا اولى الابصار ، وانظروا بعين الاستبصار واعتقدوا ان محمد احمد ليس مهديا وكذبوه فى دعواه لما بسطناه من الاحاديث . ولما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجال المهدى المنتظر الهيون من ابدال الشام وعصائب اهل العراق ، فهل رأيتم يا جهلاء المسلمين معه رجالا الهيون (١٩) (من) ابدال الشام وعصائب اهل العراق ؟ كلا والله ما معه الا جهلة العوام والاوباش الطغام كما هو ظاهر لكم . وهذا دليل ايضا يكذبه فى دعواه . ومنها انه يخرج لقتال يوسف السفيانى لا لقتال المسلمين ، ومحمد احمد انما يقاتل المسلمين ويقتلهم ظلما . فهل رأيتم فى كتاب الله او سنة رسول الله (٢٠) ان المهدى يقاتل المسلمين ويقتلهم وينهب اموالهم ؟ وهو انما يظهر لحماية الدين ونصرة المسلمين . واين السفيانى وجيوشه الذين خرج محمد احمد لقتالهم ؟ فهذا برهان آخر على ان دعوى محمد احمد زور وبهتان . ومنها ان المهدى يبايع وهو كاره لهذه البيعة ، ومحمد احمد يندب الناس الى مبايعته ويقتل من لم يبايعه . وهذا دليل على ضلال محمد احمد وبطلان دعواه . ومنها ان المهدى المنتظر لا يخرج عن الكتاب والسنة ، ومحمد احمد نبذ كتاب الله وراء ظهره ، والا فالكتاب والسنة لا تبيحان الخروج عن طاعة الامام والكذب والغش والتلبيس على المسلمين وقتلهم ونهبهم بلا حق ، والشرع لا يبيح قتل الكافر المؤمن والمعاهد ولا نهب ماله ، فأين العمل بالكتاب والسنة .

فهذه عدة ادلة نقلناها فى بطلان دعواه . فهل رضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل ! أم قبلتم الخروج عن سنن (٢١) الكتاب والسنة وانقلبتم على اعقابكم

(١٩) هكذا فى الاصل ، والسياق على : الهيين . وسقطت هنا عبارة « من » بين « الهيون » و « وابدال». وابدال الشام وعصائب اهل العراق يردون فى حديث ام سلمة لنصرة المهدى بعد خسف الجيش المرسل من الشام لضربه . والسفيانى الوارد من بعد وارد فى بعض الاحاديث . ولم نهتد الى المصدر الذى اخذ منه اسم يوسف .

(٢٠) نتعجب من قوله كتاب الله وسنة رسوله . فالمهدى لا يرد فى كتاب الله حتى نتكلم عن وضعه فيه . وقوله سنة رسول الله لا ينبغى ان يساق بهذا الوجه . ولو قال الاحاديث المروية فى المهدى لكان أدق . عبارة الغزى هنا متعجلة غير دقيقة .

(٢١) عبارة « سنن » هنا تبدو زائدة .

خاسرين ! أهكذا شأن المسلمين ! فكيف ترضون باقرار هذه المعاصى بين اظهركم ولم لا تغيرون هذا المنكر من بين اظهركم ! فيا ايها المسلمون انشدكم الله تعالى فى دينكم لا تغيروه بوساوس محمد احمد الشيطانية وهذياناته النفسية . فانا رأينا وسمعنا كثيرا من ادعى المهدية قبله ، كابراهيم السودانى ، فانه ادعى المهدية بالخرطوم واتخذ محمد الهراف وزيرا وتلاشى امره وبطلت دعواه بقوة الحكومة . وكذلك الشيخ احمد بن عبيد المدعى انه المهدى بصعيد مصر قد تلاشت دعوته الباطلة وفرقت جموعه العاطلة . وغير ذلك ممن ادعى المهدية ، بل النبوة ، بل الالوهية كالمقنع الكندى ، وبطلت دعواهم وكذبهم الكتاب والسنة فيها وانقطع امرهم . فاعلموا ان محمد احمد هذا قد تأسى فى دعواه هذه بمن ادعاها قبله وسيحل به ان شاء الله تعالى ما حل بهم . فاتقوا الله عباد الله وازيلوا هذا المنكر بما قدرتم لأنه ورد عنه عليه السلام : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يقدر فبلسانه فان لم يقدر فبقلبه وذلك اضعف الايمان . والله سائلكم عن ذلك .

الفصل الثانى : فى النهى عن اتباعه ونصيحة من اتبعه :

قد اوضحنا لكم السبيل السويّ ونقلنا لكم القول القوى مما ليس فيه شائبة توهم ان محمد احمد هو المهدى ، فلا يتبعه الا من استحكمت عليه عوائد التوحش ووقع فى ظلمات الجهل والطمع فى ايدى (٢٢) الناس وباع دينه بدنياه . فجملة اتباعه من حمقى العربان وحمقى الدراويش الذين ليس لهم مقصد الا النهب والسلب والقتل ، اذ انهم أضل من الانعام سبيلا ، لا بصيرة لهم ولا معرفة ولا دين . فما مثال هؤلاء الاتباع الا كمثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين ثبتت اسماؤهم فى الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع لها مملكة فلبست درعا ولبست على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الأبطال ابياتا وتعودت ايرادها بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيف تبخترهم فى الميدان وتحريكهم الأيدى وتلقفت جميع شمائلهم فى الزى والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها فى ديوان الشجعان ، فلما وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامر بأن تجرّد

(٢٢) هكذا فى الاصل ، والسياق على : والطمع فى ما فى ايدى الناس ، اى بسقط « فى » الثانية ، ولو قال : « فيما بأيدى الناس » لأصاب ما هو أحسن .

عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها ، فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هى عجوز ضعيفة زميتة لا تطيق حمل الدرع والمغفر (٢٣) ، فقيل لها أجئت للاستهزاء بالملك والاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم ! خذوها فألقوها قدام الفيل لسحقها فألقيت الى الفيل . وهكذا يكون حال الجهلة الطغام الذين لا يعرفون عاقبة ما هم فيه المغرورين الملبسين الذين سوّل لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وما كانوا مهتدين .

فاياكم ايها الاخوان ، الاقتداء بهؤلاء الجهلة والعمل بأعمالهم ، فيجب عليهم ان يرجعوا الى طاعة الحكومة ولا يقتدوا بشيخهم ابليس ، لأنه اذا كشف عنهم الغطاء واتتهم الجلل والمدافع والبنادق والرصاص لتمنوا الخلاص ولات حين مناص ! اذ ما من احد ينكر ان عساكر الحكومة هى مئات من الالوف ، وان الحكومة قادرة فى كل وقت على تجديد الوف الالوف من العسكر وتجهيزها بالمهمات الكافية الحربية وعلى تشكيل القوى العديدة ، وان حصول التلف لجزء من عساكرها لا يؤثر فى الحكومة شيئا ولا تعتد به ، لاقتدارها على تجديد اكثر منه فى اقرب وقت . فمجرد وقوع الفشل لبعض العساكر فى بعض الوقائع لتهاون الضباط واهمالهم لا يؤيد دعوى الشقى محمد احمد ، اذ لذلك امثال مضت ووقائع تقدمت . ألا ترون ما وقع من عساكر الحكومة مع العصاة الذين كانوا بجهة شكا ودارفور وغيرها ! ففى اول الأمر اوقعوا الفشل فى عساكرها ثم انتصرت عليهم عساكر الحكومة وعاد عليهم العصيان بالوبال والخسران وذهبوا فريسة عساكرها جزاء خروجهم عن الطاعة . وامثال هذا كثير يعلمه من شاهد الحوادث او سمع بها . فكيف يتصور بعقل عاقل ان هذا الشقى بمجرد اجتماع شرذمة من المفسدين عليه ، غايتهم السلب والنهب ، يقاوم حكومة لها مئات من الوف العساكر والجيوش ، قادرة بمنه تعالى على تسليحهم بأسلحة نارية وآلات حربية ! وهذا ما اعد لهم فى الدنيا ، وقد اعد الله لهم جهنم وساءت مصيرا جزاء خروجهم عن طاعة الله ورسوله وولاة الأمور وقتلهم النفس التى حرم الله قتلها ، ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها . فالله الله عباد الله ! عليكم بتقوى الله تعالى والعمل بكتاب الله وسنة رسوله . وارجعوا الى طاعة الله وطاعة الحكومة، ولا تتبعوا الاوهام الشيطانية والوساوس

---

(٢٣) كيف لا تطيق حمل الدرع والمغفر وقد جاءت وعليها الاثنان ! ثم ان القصة فارغة ولا تقوى حجته ، ولا ندرى لماذا أقحمها شاكر هنا.

الخرافية . وانشدكم الله فى دمائكم واموالكم ودينكم ألا تضيعوها بمتابعة محمد احمد الشقى . وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون .

الخاتمة : فى وجوب قتل الخوارج ونصر السلطان :

اعلموا ، ايها الاخوان ، قد اجمع ائمة الدين ان الخروج عن الطاعة من الكبائر . ولو جار السلطان لا يجوز الخروج عليه ويجوز له قتالهم . ويجب عليكم قتال الخوارج معه ونصرته عليهم لخلعهم ربقة الاسلام . قال صلى الله عليه وسلم : « من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » . وقال صلى الله عليه وسلم : « يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الاسنان سفهاء الاحلام ، يقولون من قول خير البرية ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان قتلهم اجر لمن قتلهم يوم القيامة » . وعنه عليه الصلاة والسلام قال : « سيكون فى امتى اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القول ويسيئون الفعل ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يرتد على فوقهم ، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قاتلهم وقتلهم، يدعون الى كتاب الله وليسوا منه فى شيء ، من قاتلهم كان اولى بالله منهم » .

فعليكم ايها المسلمون ان تنصروا الله تعالى بنصر سلطانكم . قال تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » (٢٤) . فيجب عليكم صيانة لدينكم وحفظا لأموالكم ودمائكم ان تقاتلوا هؤلاء الخوارج الدجالين وتقتلوهم حيث وجدتموهم وان تمنعوا كل من اراد الخروج معهم وتفرقوا جماعتهم وتمنعوا زيادتهم ويحرم عليكم جلب السلاح اليهم وكلما يؤدى الى قوتهم وزيادتهم حتى يرجعوا الى الحق ويعلنوا الطاعة . ولا يغرنكم قول محمد احمد الشيطان الغرور ان يخرج عليكم مدافع الترك وبنادقها ورصاصها ماء باردا لا نارا وانه يمسك سر النار لكم ، فهذا كذب وغرور وبهتان وزور لا صحة له ولا دليل عليه ، بدليل ان الرصاص من الترك اصابه فى كتفه ولم يقدر ان يجعله ماء على نفسه . فكيف يجعله عليكم ماء ! وهذا وزيره ولد المكاشف واحمد ولد طاها (٢٥)

---

(٢٤) محمد ٧ .

(٢٥) هذا دليل على ان تاليف الرسالة جاء بعد مقتل المكاشفى واحمد ولد طه . ولم يسم المهدى احدا منهما وزيرا ، والقول بوزارتهما قال به الغزى مجاراة لما ورد عن وزراء المنتظر . وقد جاراه الازهرى فى ذلك .

وغيرهم ممن كانوا بجزيرة ابا وغيرها وجميع من كان معهم من حزب الشيطان قتلهم الرصاص ولم يجعله عليهم ماء كما هو مشاهد لكل مطلع بالعيان .

فيا اتباع محمد احمد قد اوضحنا ما انتم عليه ومحمد احمد من الباطل مؤيدا بالكتاب والسنة ، وعلمتم حكم الله فيكم . فالله الله فى دمائكم ودماء المسلمين والدين ! فبادروا الى الحكومة بطلب العفو والأمان وتقربوا اليها بالسمع والطاعة وتوبوا الى الله تعالى وتوسلوا اليه باتباع اوامر الحكومة واجتناب نواهيها ، فانها تقبل متابكم وتعفو عن عقابكم وتشملكم بالرحمة والاحسان والعفو والامان . وها قد بذلت لكم النصيحة فاتركوا الافعال القبيحة . فكم للحكومة عليكم من الاحسان الجليل والغفران الجزيل ! فانها ربتكم فوق مهد عدلها وأدرّت عليكم وافر فضلها وخلصتكم من ملوككم الاولين الذين اتخذوكم عبيدا وخولا وعمرت بلادكم وامنت اوطانكم وكثرت زراعتكم بعد ان كانت بلادكم بغاية الخراب والبوار واموالكم وذراريكم للنهب والاسار لا تملكون خطيرا ولا حقيرا . والآن لله الحمد صرتم بفضلها وحسن سياستها فى غاية الامن والعمار وكثرة الغنى واليسار ومع ذلك فهى تنفق على عمار بلادكم وحفظ حياتكم المبالغ الوافرة من خزائنها العامرة ولاتحملكم دفع شيئ من ذلك . وما تأخذه منكم من المطاليب الميرية ينفق مع زيادة عليه منها فى مصالح بلادكم الضرورية . ومع هذا فلا يبلغ مطلوبكم نصف مطلوب مديرية من المديريات مع ان الله تعالى اوجب عليكم ان تدفعوا للحكومة زكاة سائمتكم من ابل وبقر وغنم وخراج اراضيكم . واذا حاسبتكم الحكومة على ما هو واجب عليكم دفعه شرعا اليها واخذت منكم على مقتضاها يكون اضعاف ما يؤخذ منكم من المطاليب الآن . فمع شمولها بهذه الشفقة والرحمة الخديوية كيف يليق بكم ان تقابلوها بالعصيان وتتبعوا حزب الشيطان واهل الفساد والبهتان وتسعوا فى خراب دياركم وقتل نفوسكم ونهب اموالكم ! فلولا شفقتها ورحمتها بكم لأنزلت بكم العذاب وعاملتكم بأشد العقاب . فاقبلوا هذه النصيحة . واسأل الله لى ولكم الهداية فى المبدأ والنهاية ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

رسالة السيد احمد الازهرى : « النصيحة العامة لأهل الاسلام عن مخالفة الحكام والخروج عن طاعة الامام » (١) :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خصّ من اصطفاه بالهداية ، وهدى من وفقه الى شبيل الرشد بمحض العناية ، والصلاة والسلام على حبيبه ورسوله الذى انزل عليه كتابه الذى لم يفرط فيه من شيء ، وعلى جميع آله واصحابه الناهجين منهاجه فى تبيين الرشد من الغيّ (٢) .

اما بعد ، فأقول وانا الذى من كل حول وقوة بريء ، الفقير اليه تعالى السيد احمد المعروف بالازهرى ابن الشيخ اسماعيل الولى الكردوفانى (٣) ، افاض الله تعالى عليّ وعلى المسلمين من فيض مدده الرحمانى :

انه لما كانت النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم من الدين ، وقد ورد ذلك فى الاحاديث الصحيحة عن سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وورد عنه ايضا : « من لم ينصح فى ديننا هذا فليس منا » ، اى ليس تابعا لسنتنا ، وورد عنه ايضا : « من لم ينصح فى ديننا هذا فبيعته منقوضة » ، وغير ذلك مما لا يمكننا ايراده هنا ، قد عن لى ان اتدارك نفسى والمسلمين من اتباع الوساوس الشيطانية واقتحام سبيل المهالك بالتسويلات النفسانية (٤) ، وذلك لما تحقق عندى من عموم البلوى التى انتشرت ببلاد السودان حتى ضاعت بسببها الالوف المكررة من دماء المسلمين واموالهم ، خصوصا فى جهات سنار وجهات كردوفان (٥) ، وانجبرت الحكومة العثمانية على بذل

---

(١) نقلنا النص عن تاريخ السودان لنعوم شقير ، تحقيق وتقديم الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم (بيروت ١٩٨١) ص ٦٢٩ – ٦٣٨ . وتوجد نسخة من اصله *المطبوع بالحجر بمجموعة السودان بدار الوثائق القومية المصرية* .

(٢) تبين الرشد من الغى هو هدفه من الرسالة ، فانظر كيف جاء به فى ديباجته .

(٣) الكردوفانى ، بزيادة واو بعد الدال على ما نحن عليه الآن . واصل اسم كردفان من جبل بقرب الابيض . والابيض اصله اللبيض . اى الابيض مع وضعه على اللسان العامى بحذف الالف واضافة لام ، واسماعيل الكردفانى فقيه متصوف سودانى ، وله مؤلفات كثيرة . وقد اخذ الطريق على يد محمد عثمان الميرغنى الختم عند زيارته للابيض ثم استقل بطريقته . خلفه على الطريقة ابنه محمد المكى وانحصرت رئاسة الطريقة فى نسله . وقد انحازت اسرة الولى الى المهدية ما عدا ابنه السيد احمد مؤلف هذه الرسالة .

(٤) يذكر المؤلف هنا وفيما يلى دواعى التأليف ، وقد اشار الى دعوة المهدى بعبارتى الوساوس الشيطانية وبالتسويلات النفسانية . ونظن انه اخذ ذلك عن الغزى .

(٥) تركزت الثورة حتى هذا الوقت فى سنار وكردفان .

التكاليف لتحصيل العُدَد والعَدد (٦) ، غيرة على الدين والاسلام (٧) واهله لأجل الذب (٨) وردع المفسدين بسطوة الدولة وقوة المدد . وحيث ان شتيت القبائل من العربان وغيرهم اغلبهم عوام ، وقد قام بأفكار ارباب العقول الضعيفة ما قام بها من الاوهام نظرا لما سمعوه من دعوى المهدية التى قام بها محمد احمد ، وصدور مكاتبات (٩) منه لبعض من يظن انه يعتمدها وتكون له كالمستند، وقد هيجت تلك الدعوى وما اشتملت عليه من المكاتبات فتنة عظيمة بين المسلمين حتى صار البعض منهم يقتل بعضا وينهب ماله من غير حق الاسلام ، وغاب عنهم ما حذر الشارع صلى الله عليه وسلم وصرح بأن ما كان مماثلا لما ارتكبوه لا يشك فيه بأنه حرام.

وكان قبل خروجي من محل وطنى كردوفان قد بلغنى ان مدعى المهدية المذكور قد خاطبنى بكتاب (١٠) ، وكنت حريصا على وجدانه والنظر لما اشتمل عليه من الخطاب ، ولكنى لم اجده ولم اجد احد يكيفه لى لكى ابنى عليه مخاطبة تشتمل على ما لا بد منه من النصيحة واوضح فيها ما يحتاج اليه من النصوص الصريحة ، رجاء منى بأنها ان وصلت اليه وتليت بين يديه فانه لا يسعه الا الرجوع الى الحق ومقابلة اولى الأمر بالسمع والطاعة وتسكين هذه الفتنة التى هاجت بين الخلق . وما كنت اظن اشتداد هذه الفتنة يبلغ هذه الغاية حتى مررت بجزيرة الخرطوم قاصدا التوجه الى مصر المحروسة (١١) . وبعد وصولى الى الخرطوم تراكمت على المخاطبات (١٢) بوصول

---

(٦) قال ان الحكومة العثمانية انجبرت على البذل مع انها لم تقم بشيء من ذلك . والمقصود هنا الخديوية ولكنه يضعه فى الحكومة العثمانية لرد الأمر الى الأصل ولأن موقفه قائم على خروج المهدى على السلطان العثمانى ونائبه .

(٧) هل هناك فرق بين الدين والاسلام حتى يقول هكذا ! نحسب انه يعنى بالدين الملة وبالاسلام المعتقد .

(٨) لا يوافقه الكثيرون على أن الحكومة حاربت غيرة على الدين والاسلام واهله ، وانما كانت تحارب من اجل السيطرة ، ولم يرسل محمد على جيشه الى السودان لدعم الاسلام وانما توسعا ، وما اقامه هو واولاده لم يكن حكما اسلاميا . وقد ذهب بعض العلماء الى ان حرب امراء مصر لم تكن للدين وانما للدنيا واجازوا الخروج عليها - انظر الدرديرى وعليش .

(٩) يشير الى المحررات التى اصدرها المهدى عن مهديته فى اول امره . انظرها فى المجلد الأول من الآثار الكاملة للامام المهدى.

(١٠) لم نقف بين آثار المهدى على كتاب خص به المهدى السيد احمد . وقد كتب المهدى لاهل الابيض كتابين اولهما نسخة من منشور عام (الآثار الكاملة ص ١٦٩ - ١٧٤) وليس به اسم السيد احمد او غيره ، وثانيهما الانذار الذى وجهه الى اهل الابيض من كتابه (الآثار الكاملة ص ١٧٥ - ١٧٧) وقد جاء بعد تأليف رسائل العلماء الذين انكروا عليه ومن بينهم السيد احمد . وهو يقول انه لم يقف على مكتوب المهدى مع انه كان حريصا عليه ، وحتى يرد عليه ، ولو كان حريصا حقا لاجتهد حتى حصل . والحق انه لم يعن بالرد الا بعد ان استفحلت الحركة وجاءت دواعى التأليف بطلب عبد القادر باشا . وفى ظننا ان المكتوب الذى يشير اليه كان مما كان يرسله المهدى الى العلماء فى اول امره وليس مكتوبا خاصا به ولا يستبعد ان يكون نسخة من منشور الدعوة .

(١١) يقصد بجزيرة الخرطوم مدينة الخرطوم وبمصر المحروسه القاهرة .

(١٢) هكذا ، ولا ندرى صحة ما يذكر من المخاطبات .

تلك البلوى والفتنة الى ما ليس له نهاية . ثم لما حضر صاحب الجلالة والشهامة والرأى السديد والتدبير الكامل والبسالة والفخامة ناظر الديوان وحكمدار عموم الاقاليم السودانية سعادتلو عبد القادر باشا (١٣) ، بلغه الله تعالى غاية الامنية ، بمركز الحكومة الذى هو فى الخرطوم ، وبسديد رأيه دبر الامور ورتب الترتيبات ونشر راية الامن واجتهد فى نشر ما يكون به اصلاح العموم . ومْن الجملة فان الواجب علينا القيام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والاجتهاد فى بذل النصيحة ، ودرء الشبه التى قامت بأفكار من ليس لهم قريحة ، بايراد الأدلة المأخوذة عن الاحاديث الصريحة واقوال اهل العلم المعتمد على اقوالهم الصحيحة ، عسى ان يكون فى ذلك نفع للعموم وردع للمفسدين بما يكون لهم من الدين معلوم (١٤) . وقد الفت هذه النصيحة التى سميتها النصيحة العامة لأهل الاسلام عن مخالفة الحكام والخروج عن طاعة الامام .

وعند شروعى فى ما قصدت بعون من عليه اعتمدت وقلت :

اعلموا ، ايها الاخوان فى الاسلام الراغبون فيما عند الله تعالى من الكرامة والانعام ، ان الله سبحانه وتعالى بيّن لعباده طريق الضلالة وطريق الهدى ، وانه مراقب لهم فى جميع احوالهم وافعالهم ولم يتركهم سدى ، واختار من عباده اناسا اولاهم اسرار الملكة (١٥) وامر بطاعتهم وجعل مخالفتهم مؤدية الى الوبال والتهلكة . قال تعالى : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » (١٦) . وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالسمع والطاعة وان ولى عليكم عبد حبشى » . وقد نص العلماء على ان الخروج عن طاعة الامام حرام . وقال عليه الصلاة والسلام : «من اطاع اميرى فقد اطاعنى ومن عصى اميرى فقد عصانى » . وقد نص العلماء ايضا على ان الامام لا يعزل ولا تنبذ بيعته ولا يطرح عهده الا اذا امر احد (١٧) ان يكفر او كفر هو اى الامام ، واما اذا لم يكفر فانه لا يعزل عن الامامة ولا ينبذ عهده ولا تطرح بيعته ولو زالت عنه العدالة واتصف بالفسق كما عليه اهل التحقيق . وحيث علمتم ما اوردته لكم من النصوص من ان طاعة

---

(١٣) عبد القادر باشا ، حكمدار السودان . ويلاحظ ان السيد احمد لا يذهب الى ان عبد القادر اشار اليه بالكتابة ، بل يقول بأنه قام بها من تلقاء نفسه باعتبارها واجبا . وقال « ناظر » ، اى وزير ، بلغة اليوم .

(١٤) غرضه من الرسالة النفع وردع المفسدين بالنصح الدينى ، وقارن هذا بما يقول الغزى .

(١٥) نحسب انه اخذ هذا عن رسالة الغزى .

(١٦) النساء ٥٩ .

(١٧) هكذا بالأصل ، والصواب : احدا .

الامام واجبة عليكم وان خروجكم عن طاعته حرام عليكم وانه لا يصح لكم نبذ عهده وطرح بيعته ولو اتصف بالفسق ما لم يكفر فكيف يسوغ لكم الاستماع لما نقل عن محمد احمد من دعوى المهدية والاغترار بما ينقل عنه من الاقوال فى المخاطبات ، مع ان دعواه المهدية ليس له دليل عقلى ولا نقلى يوافقه على صدقه فيها ! وها انى اذكر لكم ادلة تناقضه فى دعواه المذكورة :

اولها: ان محمد احمد المنقول عنه انه مدعى المهدية مولده ببلاد السودان ، وذلك معروف متواتر عند جميع من يعرفه من اهل عصره ، فضلا عن كونهم يعرفون اباه وامه ، وانهما مما يطلق عليهما اسم الدناقلة ، ولو ان ذلك نسبة الى البلد . ولم ينقل عن احد انه توجه الى مكة ولا الى المدينة . والذى ذكره العالم المحدث شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمى نزيل مكة فى كتابه «الصواعق المحرقة فى الرد على اهل البدع والزندقة» نقلا عن الامام عليّ كرم الله وجهه انه قال مولد المهدى بالمدينة .

ثانيها : ان المحققين من العلماء ذكروا من الحديث الذى اخرجه ابو نعيم : ليبعثن الله رجلا من عترتى أفرق الثنايا أجلى الجبهة ، اى منحسر الشعر عن جبهته . ومما اخرجه الرويانى وغيرهما : المهدى من ولدى وجهه كالكوكب الدرى اللون لون عربى والجسم جسم اسرائيلى ، أى طويل . وورد ايضا فى حليته : انه شاب أكحل العينين أزج الحاجبين أقنى الانف كث اللحية على خده الايمن خال ، انتهى . فهذه الصفات المذكورة فى صفات المهدى مفقودة فى محمد احمد المذكور . فانه حضر عندنا بكردوفان فى مدينة الابيض مركز المديرية وحضر عندنا بجامعنا (١٨) زائرا لنا ، وجلس مجلسنا ونحن نقرأ وقتئذ درس الحديث فى الشمائل الترمذية وهو بالمجلس الى ان فرغنا من الدرس ، وانه زارنا وطلب منا الدعاء وتوجه الى منزله ، ولم نر فيه شيئا من تلك الاوصاف بل انما هو عند جلوسه بمجلسنا لم نر منه الا الرزانة والخضوع والصمت ، وكان اذ ذاك فى الربيع الاول . ثم رجع الى جزيرة ابا واقام فيها اشهرا . ثم بلغنا انه تفوه بتلك الدعوى . وقيل انه قال انه له خال فى خده الايمن (١٩) ، فان ثبت ذلك مع عدم ثبوت بقية الاوصاف لم يفد شيئا .

(١٨) يقصد خلوة وجامع ابيه السيد اسماعيل بن عبد الله الولى والذى كان يدرّس به المؤلف عند زيارة محمد احمد (المهدى) . وفى الخبر ما يدل على دراسة الشمائل بهذه الخلوة ، ويبدو من النص ان محمد احمد (المهدى) زارهم فى الخلوة وفى المنزل . وكانت هذه فى الزيارة الأخيرة للأبيض قبيل المهدية او بأشهر منها فيما يقول .

(١٩) يبدو نفى اعتماد الخال بعيدا عن سياقه ، ولكن الخال من العلامات الجسمانية للمهدى .

ثالثها : ان الذى ذكره العلماء المحققون ان ظهور المهدى بعد ان يخسف القمر فى اول ليلة من رمضان وتكسف الشمس فى النصف منه ، ومثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والارض ، انتهى . ومن المعلوم ان محمد احمد المذكور تفوه فيما قيل بتلك الدعوى بجزيرة ابا فى شهر شعبان وان رمضان قدم ولم ينقل عن احد خسوف القمر فى اول ليلة منه ولا كسوف الشمس فى النصف منه (٢٠) . وذلك دليل واضح على ان المهدية التى ادعاها لم يظهر فيها ما يدل على دعواه .

رابعها : انه نقل عن الامام المحقق الجامع بين الحقيقة والشريعة الشيخ الشعرانى انه قال فى مختصره (٢١) : روى انه يخرج فى آخر الزمان رجل يقال له المهدى من أقصى المغرب يمشى النصر بين يديه اربعين ميلا راياته بيض وصفر فيها رقوم وفيها اسم الله الأعظم مكتوب فيها فلا تهزم له راية . وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له ماسة من جبل المغرب فيبعث هذه الرايات مع قوم قد اخذ الله تعالى لهم ميثاق النصر والظفر ، اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ، انتهى . وقد علمت ان محمد احمد المذكور لم ينقل عن احد انه رآه توجه الى أقصى المغرب ولم يكن بجبل المغرب بالموضع الذى يقال له ماسة ، بل ان المسموع الآن انه بجبل قدير من جبال الصعيد. وان قال قائل بأن جبل قدير هو الذى يقال له ماسة يرد عليه انه ليس بجبل قدير بحر له ساحل ولم يحصل منه بعث رايات بالصفات المذكورة ، وان من بيدهم الرايات الزاعمين انهم وزراء (٢٢) له قد اتضح لكل احد خذلهم وقتلهم على يد عساكر الحكومة ولم يأخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر .

خامسها : ان شهاب الدين احمد بن حجر قد ذكر مما اخرجه ابن عساكر عن عليّ كرم الله وجهه : اذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وسلم جمع الله اهل المشرق واهل المغرب ، فاما الرفقاء فمن اهل الكوفة واما الابدال فمن اهل الشام . ثم قال : وصح انه صلى الله عليه وسلم

---

(٢٠) ما يريده ان العلماء المحققين استبعدوا خسوف القمر اول ليلة من رمضان وكسوف الشمس فى النصف منه لأنه مستحيل الوقوع فلكيا . ولكنه يذكره لما بلغه ان المهدى تفوه به ، وهو ما لم يتم ويدل على كذبه فيما يقول . ويبدو انه يستبعد العبارة ، ولكنها تعتمد على حديث مروى . والحق ان المهدى لم يستشهد بهذا الحديث .

(٢١) يقصد مختصره لباب المهدى فى الفتوحات المكية لابن عربى .

(٢٢) لم يسم المهدى هؤلاء وزراء وانما هذا ما ذكره الغزى ، وقد اخذ الازهرى ذلك منه واحاله على هذا الوجه .

قال (٢٣) : يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة (٢٤) هاربا الى مكة ، فيأتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث (٢٥) اليه بعث من الشام فيخسفُ بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدال اهل الشام وعصائب اهل العراق فيبايعونه ، ثم ينشأ رجل من قريش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل فى الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، انتهى . ولا يخفى على العاقل ان الامام هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم موجود الآن فلم يمت ولم يحصل اختلاف فى الخلافة (٢٦) حتى يدعيها احد . فدعوى محمد احمد بالخلافة الكبرى والمهدوية مع وجود الخليفة وطلبه من الناس مبايعة فيه مخالفة لنفس الحديث المتقدم، فضلا عن كون نبذ عهد الموجود وطرح بيعته مع انه لم يكفر لا يجوز شرعا . ومما ذكرناه يعلم رد جميع الأدلة التى تنقل عنه بأنه يستدل بها على ايجاب طاعته والزام موافقته ، لأنه لم تثبت امامية مع وجود الامام ، فجميع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية المعزوة اليه بأنه يستدل بها مسوقة فى غير موضعها .

سادسها : ان الذى رواه الامام احمد وغيره : المهدى منا اهل البيت يصلحه الله فى ليلة ، انتهى . والمعروف عند جميع المعاصرين لمحمد احمد المذكور انه قد سلك الطريقة الخلوتية على يد الشيخ القرشى (٢٧) وعلى يد غيره ، وحضر مجالس العلم عند جماعة (٢٨)، فعلى تقدير اصلاحه من المشايخ المذكورين فانه لا يوافق ظاهر ما رواه الامام احمد فضلا عن كون الامام المهدى المنتظر من السودان (٢٩) ، ولم يعهد له شيخ ارشده بسلوك طريقة مخصوصة .

(٢٣) هذا حديث السيدة ام سلمة المشهور ، وقد عارضنا هذا النص بنص ابن خلدون فيما يلى .

(٢٤) من اهل المدينة : ابن خلدون .

(٢٥) فيبعث : ابن خلدون .

(٢٦) قال لم يحصل اختلاف في الخلافة ، ولكن اعتراض المعترضين قائم على بطلان خلافة بنى عثمان من الاساس وضعفهم عن الدفاع عن بلاد الاسلام فى مواجهة التغول الاوربى وليس لأنهم يختلفون حول خلافة خليفة بعينه .

(٢٧) انه اخذ السمانية – وهو يسميها الخلوتية اشارة الى اصل السمانية – من الشيخ محمد شريف نور الدايم وجاء الى الشيخ القرشى بعد ان اختلف معه .

(٢٨) اكبرهم وأهمهم محمد الخير عبد الله خوجلى بالغبش بغرب بربر .

(٢٩) لعله يستبعد بهذا ان يكون المهدى من السودان اصلا .

سابعها : ان الحاكم قد روى فى صحيحه : يحل بأمتى فى آخر الزمان بلاء شديد من سلاطينهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى لا يجد الرجل ملجأ فيبعث الله رجلا من عترتى اهل بيتى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يحبه ساكن الارض وساكن السماء وترسل السماء قطرها وتخرج الارض نباتها لا تمسك فيها شيئا ، انتهى . والمشاهد فى حكومة الدولة العثمانية لم يحصل من حكامها البلاء الذى ذكرناه حتى يخرج المهدى . والمشاهد الآن ان كل من وقع فى قبضة محمد احمد مدعى المهدية يسخط عليه لأنه يقتل رجاله وينهب ماله . فأين الاتفاق من ساكنى الارض على محبته فضلا عن الظلم والجور الذى حصل من بعض الناس لبعض واين العدل والقسط .

ثامنها : ان الامام الاكبر سيدى محيي الدين بن عربى الصوفى قال فى فتوحاته المكية : قد استوزر الله للمهدى طائفة خبأهم الله تعالى فى مكنون غيبه اطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وما هو الا امر الله فى عباده ، فلا يفعل المهدى شيئا الا بمشورتهم ، وهم على اقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا الله ما دعاهم اليه ، وهم من الأعاجم ليس فيهم عربى ، لكنهم لا يتكلمون الا بالعربية ، لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط ، هو أخص الوزراء ، انتهى (٣٠) . فعلم مما ذكره هذا الامام ان الجانين على انفسهم هم الذين عرضوا انفسهم للتلف حتى طهر الله تعالى الارض منهم بسيف الحكومة (٣١) ، كان ادعاؤهم الوزارة مجرد تسويلات نفسية ، وان ثبت ان محمد احمد قد خاطبهم بالوزراة المذكورة او اقرهم عليها فذلك دليل على عدم دعواه المهدية .

تاسعها : قال بعض ائمة التحقيق : وجاء فى بعض الروايات ، انه ينادى عند ظهوره فوق رأسه ملك : هذا المهدى خليفة الله فاتبعوه ، فتقبل عليه الناس ويشربون حبه ، وانه يملك الارض شرقها وغربها ، وان الذين يبايعونه اولا بين الركن والمقام بعدد اهل بدر ، ثم تأتيه ابدال الشام ونجباء مصر وعصائب اهل الشرق واشباههم ، ويبعث الله له جيشا من خراسان برايات سود نصرة له ، ثم يتوجهون الى الشام ، وفى رواية الى الكوفة والجمع ممكن ، وان الله تعالى يؤيده بثلاثة آلاف من الملائكة ، وان اهل الكهف من اعوانه . فالذى عليه الناس الآن من تمنيهم ظفر الحكومة بمحمد

---

(٣٠) انظر ما يقابل هذه الفقرة فى الفقرة الثانية مما نقلناه اعلاه من الفتوحات المكية لابن عربى وانظره فى منشور علماء الخرطوم .
(٣١) الاشارة الى احمد ولد طه والمكاشفى .

احمد ونصرتها عليه لازالة المفاسد التى حدثت بأسباب ادعائه هذه الدعوى ينافى نداء الملك واشراب محبته فى قلوب الناس .

عاشرها : قد ورد ان الكنوز تفتح فى زمن المهدى وانه يضع الجزية ويقتل من لم يسلم ، واجابوا بأن اتصاف سيدنا عيسى بذلك لا ينافى اتصاف المهدى بأن(٣٢) كلا منهما امام متبع ومقرر لشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحيث ان الكنوز تفتح فى زمانه فلا نفع لأخذ الجزية حينئذ حتى يشرع اخذها ، لأن الوسيلة اذا لم يترتب عليها مقصدها فلا تشرع . وورد فى رواية الترمذى ان الرجل يجيء اليه فيقول يا مهدى اعطنى فيحثى له فى ثوبه ما استطاع ان يحمله . واخرج احمد ومسلم : يكون فى آخر الزمان خليفة يحثى المال حثيا ولا يعده عدا . واخرج احمد الماوردى انه صلى الله عليه وسلم قال : ابشروا بالمهدى ، رجل من قريش من عترتى يخرج فى اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ، ويرضى عنه ساكن الارض والسماء ، ويقتسم المال صحاحا بالسوية ، ويملأ قلوب امة محمد غنى ويسعهم عدله حتى ان يأمر مناديا فينادى من له حاجة اليّ ، فما يأتيه احد الا رجل واحد ، فيأتيه فيسأله فيقول ائت السادن حتى يعطيك ، فيأتيه فيقول انا رسول المهدى اليك تعطينى مالا ، فيقول احث فيحثى ما لا يستطيع ان يحمله ، فيلقى حتى يكون قدر ما يستطيع ان يحمله فيخرج به فيندم ، فيقول انا كنت أجشع امة محمد نفسا ، كلهم دعى الى هذا المال فتركه غيرى ، فيرده عليه ، فيقول انا لا نقبل شيئا اعطيناه ، انتهى .

فمما ذكرناه فى سابع الأدلة وما ذكرناه هنا يتضح لكل عاقل ان الامر الآن بالعكس . فأين ارسال السماء قطرها واين اخراج الارض نباتها واين غنى القلوب واين اخراج الكنوز واين حثى المال واين فيضانه . بل ان الامر الآن لم تشاهد الا شدة من قلة الامطار وغلاء الاسعار وتكالب الناس فى الدنيا حتى ان بعضهم صار يقتل بعضا لأجل اخذ ماله . وبهذا يتضح لكل عاقل ان هذا الزمن ليس زمن الامام المهدى .

حادى عشر : قال شهاب الدين الامام احمد بن حجر قال ابو الحسين العبرى : قد تواترت الاخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بخروجه وانه من اهل بيته

---

(٣٢) لو قال « لأن » لأدى المعنى الذى يريد ، ولعل أن يكون « بأن » خطأ مطبعيا .

وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلا وانه يخرج مع عيسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجال بباب له بأرض فلسطين وانه يؤم هذه الأمة ويصلى عيسى خلفه، انتهى . وما ذكروه من ان المهدى يصلى بعيسى هو الذى دلت عليه الاحاديث كما علمت ، انتهى . وقال سيدى الامام محيي الدين بن عربى الصوفى الحاتمى الطائى الأندلسى فى كتابه بلغة الغواص فى مبحث سيدنا عيسى عليه السلام : وتمام ملكه موقوف على ظهور المهدى وبظهوره يعم النداء وينفتح فم الاحاطة ويسمع الرجل من شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما عمله اهل بيته من بعده وتدعوهم الاحجار والاشجار لليهود ويفعلون بالقول ما يفعله غيرهم بالفعل فيفتحون القسطنطينية بالتسبيح والتقديس ، انتهى . فأين ما ذكره هؤلاء المحققون من حال هذا الوقت ودعوى محمد احمد للمهدية ، فكيف يليق بعاقل تصديقه فيها !

واما ما نقل عنه بأنه ادعى انه مأمور من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه مصرح فى مكاتباته بذلك ، فان حاله لا يخلو اما ان يكون رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وامره بذلك ، فان صح ذلك فان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى المنام بذلك لا يصح له ايضا العمل به حيث كان يخالف ظاهر الشرع من الخروج عن طاعة الامام ونبذ عهده وطرح بيعته فضلا عن تأدية ذلك الى سفك دماء المسلمين وتلف اموالهم بغير حق الاسلام . وقد نص الفقهاء بأن الرجل اذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام واخبره بطلاق زوجته فانه تجوز له معاشرتها معاشرة الازواج ولا تحرم عليه ، وذلك لعدم ضبط النائم ، وان كان الشيطان لا يتمثل برسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم . واما ان يكون ذلك يقظة بطريق الكشف ، فان كان بطريق الكشف فانه لا يصح له ايضا ان يعمل به حيث انه مخالف لظاهر الشرع . وقد نص اكابر العلماء على ان الولى يناط به حكم الظاهر ، فكيف وانه ان ارتكب امرا مخالفا لظاهر الشرع يتبع فيه ، خصوصا ان ادى الى سفك دماء المسلمين وتلف اموالهم . وحيث كان ذلك فلا يصح لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر ان يوافقه على ذلك فضلا عن كون الدلائل الظاهرة تناقض دعواه المذكورة . وقد نص اكابر الصوفية على ان الكشف اقسام وان بعضه يكون خياليا ، فكيف بالعمل به مع ايقاعه فى المحذور .

واعجب من ذلك ما نقل عنه بأن من شك فى مهديته كفر ، فانه ان اراد بالكفر تغطية الحق

بالباطل فان ذلك لا يحصل الا اذا اتضحت له دلائل تصدقه فى دعواه ، والمكذب او الشاك لم يجد دليلا يعارض تلك الدلائل فضلا عن ان جميع الأدلة الظاهرة التى اطبق عليها المحققون مناقضة لدعواه المذكورة . وان اراد بالكفر الخروج عن الايمان فذلك لا يقول به احد لأن المهدية ليست بنبوة ولا رسالة وغايتها خلافة . فانكار اصل المهدية والشك فيها لا يوجب كفرا بمعنى الخروج عن الاسلام لما مال اليه بعض العلماء فى بعض طرق الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم : لا يزداد الأمر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة ولا على شرار الناس ولا مهدى الا عيسى بن مريم ، وان اوُل هذا الحديث بعض العلماء بأن معناه لا مهدى معصوم الا عيسى او لا مهدى على الاطلاق سواه يأتى بعده عيسى ، فضلا عن مهدية انسان مخصوص ادعاها فى زمن لم يقم دليل على حصولها فيه .

وحاصل الأمر ان الامام الذى هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم موجود الآن بقيد الحياة ، ودولته منتظمة مؤيدة بوزرائه ، وجميع اهل الاسلام يخطبون باسمه فى المنابر ، ويدعون له بالنصر والتوفيق بوجوده ، وانتظام دولته حاصلة لجميع اهل الدولة صيانة لدمائهم واموالهم . فالخروج عن طاعته ، مع ان اوصافه التى انعقدت بيعته عليها من اهل الحل والعقد باقية لم تزل عنه ، حرام على كل مسلم . وان الذى يخرج عن طاعته ويكون باغيا ومحاربا لله ورسوله وساعيا فى الارض بالفساد تجوز مقاتلته ورده عما هو عليه واقامة حد الشريعة فيه . فلا وجه الآن يجوز لكم معاشر المسلمين الخروج عن طاعة امير المؤمنين واتباع الباغين المفسدين . فان قابلتم ما قلته لكم بالامتثال وتركتم سبيل الضلال فالله سبحانه وتعالى يعفو عما سلف ويوفق الجميع لصالح الاعمال . وان ابيتم الا ما انتم عليه عاكفون فسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون .

هذا والحمد لله اولا وآخرا والصلاة والسلام على من جاء بالحق المبين وعلى آله وصحبه اجمعين.

كان الفراغ من تأليفها صبيحة يوم الجمعة المباركة لعشر ليال بقيت من شهر شعبان المكرم من شهور سنة ١٢٩٩ الف ومايتين وتسع وتسعين (٣٣) من هجرة اشرف المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين .

---

(٣٣) يوافق ذلك ٧ يوليو ١٨٨٢ .

رسالة الامين الضرير : هدى المستهدى الى بيان المهدى والمتمهدى: (١)

هذا كتاب الرسالة المسماة هدى المستهدى الى بيان المهدى والمتمهدى تأليف امام وقته بلا نزاع وتصنيف فريد دهره بغير دفاع شيخ الشيوخ ابو البركات والعرفان الشيخ الامين بن محمد ريس ومميز علماء السودان، نفعنا الله بعلومه وهداه ومتعنا بوجوده وملاه، آمين .

الخطبة (٢) :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى قدر فهدى ، وارسل أفضل انبيائه بالبينات والهدى ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه نجوم الاهتدا ، وعلى كل متبع لهم وخصوصا علماء امته الذين بهم الاقتدا .

اما بعد ، فيقول العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير المغترف من فيض ربه البصير الامين بن محمد المحجوب الضرير :

لما كثر فى آخر هذا القرن الثالث عشر (٣) من كثير من الناس المتظاهرين بالعبادة ادعاء مقام الامام المنتظر ، اعنى مهدى آخر الزمان الذى وردت به البشرى ، وهو القائم الذى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، وصدق هذه الدعوى كثير من الجهال ، اعتمادا على ما رأوه من العبادة فى ظاهر الحال ، وكثرت بهذا السبب حروب فى كثير من الجهات ، ولا سيما البلاد السودانية التى عظمت فى بواديها الجهالات ، فقد سفكت فيها دماء كثيرة من اهل الفساد حتى خرب بهذا السبب كثير من البلاد ، سألنى والحّ على بعض الاحباب الصادقين ان اؤلف رسالة كاشفة للحق المبين ، عسى ان تكون مرشدة من اطلع عليها الى الصواب ، قائدة من قبلها وعمل بما فيها الى السنة والكتاب ، فاجبت بعد التوقف والاستخارة هذا السؤال رجاء ان يكون هذا الصنيع ان شاء الله السميع من صالح الاعمال ، وسميتها « هدى المستهدى الى بيان المهدى

---

(١) نقلنا النص عن النسخة المطبوعة بالحجر بالخرطوم ، وتوجد النسخة الوحيدة لهذا الأصل بدار الوثائق القومية المصرية ، وبطرفنا نسخة مصورة ونسخة منقولة بخطنا . ولا ينقل نعوم شقير هذه الرسالة مع انه ينقل رسالتى الغزى واحمد اسماعيل الازهرى ، ولعله لم يقف عليها ، أو لأنها طويلة . وعنوان « سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى » الذى جعله اسماعيل الكردفانى لكتابه جاء معارضه لعنوان رسالة الضرير .

(٢) هذا العنوان من عندنا .

(٣) يعنى القرن الثالث عشر الهجرى وهو ما يوافق القرن التاسع عشر الميلادى تقريبا .

والمتهدى » (٤) ، فجاء اسما مؤرخا لهذا العام ، موضحا للغرض الذى سبق له الكلام ، وحصرت ذلك فى مقدمة وخمسة ابواب وخاتمة ، نسأله تعالى التوفيق الى الصواب وحسن الخاتمة :

المقدمة فى بيان الخلاف الواقع فى مقتضى هذه الدعوى وانه حصل فى اوائل القرون مثل ذلك او قريب منه من اهل الاهوى .

الباب الاول فى بيان ان المهدى المنتظر على القول بظهوره من جملة الخلفاء العادلين وفيما تثبت به خلافة الخليفة الذى يقوم بامور المسلمين وفى بعض شروط ذلك القائم الامين.

الباب الثانى فى بيان ما تثبت به خلافة خليفتنا الآن الذى هو المغازى عبد الحميد الثانى من خلفاء بنى عثمان .

الباب الثالث فى بيان حرمة الخروج على الامام ووجوب مقاتلة من بغى عليه ووجوب طاعته على الامة والقاء زمام القياد اليه .

الباب الرابع فى الاشارة الى اوصاف الخديوى الاعظم والمشير الافخم متولى جميع احكام الاقطار المصرية الآن وعزيزها الذى لم يختلف فى فضله وحسن سيرته وسريرته اثنان وفى بيان بعض احوال ناظر دواوين بلادنا البلاد السودانية الشارع فى ازالة ما طرأ عليها واعادة الامان اليها مع حسن النية .

الباب الخامس فى بيان ما يفتريه كثير من الناس الجهال من التباس الرؤيا الصحيحة بما يكون من الخيال .

الخاتمة فى اصلاح سهو وقع فى تأليف بعض الاعلام تفوت به شبهة بعض المدعين فى هذا الزمان لذلك المقام .

المقدمة :

المقدمة فى بيان الخلاف الواقع فى مقتضى هذه الدعوى وانه حصل فى اوائل القرون مثل ذلك او قريب منه من اهل الاهوى .

اعلم انه وقع خلاف بين العلماء ، فبعضهم قال بثبوت امامة المهدى المنتظر تمسكا بالاحاديث

---

(٤) وضع بأسفل الألفاظ ارقام الجمل ، هكذا : هدى ١٩ ، المستهدى ٥٥٠ ، الى ٤١ ، بيان ٦٢ ، المهدى ٩٠ ، المتمهدى ٥٣٦ ، وجملتها ١٢٩٩ ، وهكذا « اسما مؤرخا لهذا العام » فيما قال .

الواردة فيه ، وان كانت ضعيفة ، لكثرتها ، وبعضهم قال بنفيها نظرا لما فى تلك الاحاديث من العلل . ومن جملة ما تمسكوا به ما روى انه لا مهدى الا عيسى ، فتأوله المثبتون لها على تقدير صحته بأن المعنى : لا مهدى معصوم الا عيسى على نبينا وعليه السلام . وقد بين اكثر الاحاديث الواردة فيه الامام عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمة تاريخه وبين ما فيها من العلل بيانا شافيا ، وأوضح مذهب اهل الباطن فى هذا الامام ، وبين ان بعضهم تكلم فى تعيين وقته الذى يظهر فيه فمضى الوقت ولم يظهر ، واطال فى ذلك واجاد . فانظره ان شئت تظفر بالمراد . واشبه الاحاديث التى وردت فيه وبينها المذكور ما اوردناه فى الباب الاول وستمر به ان شاء الله .

ثم ان بعض القائلين بثبوت المهدى زعموا انه مضى فى العصور الماضية بناء على انه ثالث خلفاء بنى العباس اعتمادا على حديث من جملة المرويات (٥) . ففى المواهب اللدنية ما نصه : اخرج ابو نعيم عن ابن عباس ان ام الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال : انك حامل بغلام ، فاذا ولدتيه فأتينى به ، قالت : فلما ولدته اتيته به فأذن فى اذنه اليمنى واقام فى اذنه اليسرى والبأه من ريقه وسماه عبد الله ، وقال اذهبى بأبى الخلفاء . قالت فاخبرت العباس فاتاه فذكر له ذلك ، فقال : هو كما اخبرتك ، هذا ابو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدى حتى يكون منهم من يصلى بعيسى بن مريم ، انظر الشارح . فقد وصف المذكور مع كون اسمه محمدا واسم ابيه عبد الله بعدالة تامة . ففى بعض التواريخ فى ترجمته ما نصه : وكان المهدى يقول ادخلوا عليّ العلماء والقضاة واحضروهم عندى ، فلو لم يكن من حضورهم الا رد المظالم حياء منهم لكان خيرا كثيرا ، انتهى . وله فى العدل حكايات كثيرة .

واما ما يزعمه اهل الاهوى من الشيعة فوجوه عديدة ، منها ما يزعمه بعضهم من رجعة مولانا ومولى كل مؤمن عليّ بن ابى طالب كرم الله وجهه . ففى الكامل لابن الاثير ما نصه : قال عمرو بن الاصم قلت للحسن بن عليّ ان هذه الشيعة تزعم ان عليا مبعوث قبل القيامة ، فقال كذب والله هؤلاء الشيعة ، لو علمنا انه مبعوث قبل القيامة ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله ، انتهى . ثم قال المؤلف (٦) : وقد انقرض القائلون بهذه المقالة فيما نعلمه ، انتهى . ومنها ما يزعمه بعض آخر منه

(٥) يعنى الخليفة العباسى المهدى ابن ابى جعفر المنصور ووالد هارون الرشيد .

(٦) يقصد ابن خلدون الذى يأخذ عنه .

ان سيدنا عليا لم يمت . ففى اخبار الدول للقرمانى ما نصه : اخرج ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : لما قتل عليّ بن ابى طالب رضى الله عنه حملوه عليّ جمل ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينما هم فى المسير ليلا اذ ندّ الجمل الذى هو عليه فلم يدر اين ذهب ولم يقدر عليه احد . فلذلك يقول اهل العراق هو فى السحاب ، انتهى المراد منه . وهذا فاسد كالذى قبله . ومن ذلك ما يزعمه بعض الشيعة فى سيدنا محمد بن الامام عليّ المشهور بابن الحنفية من انه المهدى المنتظر . ففى وفيات الاعيان لابن خلكان فى ترجمة المذكور : والفرقة الكيسانية تعتقد امامته وانه مقيم بجبل رضوى . والى هذا اشار كثير عزة بقوله من جملة ابيات ، وكان كيسانى الاعتقاد :

وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا	برضوى عنده عسل وماء

وكان المختار بن ابى عبيد الثقفى يدعو الناس الى امامة محمد بن الحنفية ويزعم انه المهدى ، انتهى المراد منه . انظر بقيته ان شئت . وهذا كالذى قبله فى الفساد . ومن جملة الاقاويل الفاسدة ما شاع فى صاحب السرداب ابى القاسم محمد بن الحسن العسكرى ثانى عشر الائمة اهل البيت المشهورين ، نفعنا الله بحبهم وحب من يحبهم اجمعين . قال ابن خلكان فى تاريخه المذكور : وهو الذى تزعم الشيعة انه المنتظر والقائم والمهدى، وهو صاحب السرداب عندهم، واقاويلهم فيه كثيرة . وهم ينتظرون ظهوره فى آخر الزمان من السرداب بسر من رأى ، انتهى المراد منه . وفى بعض التواريخ ان اهل ذلك المحل يأتون بفرس مسرج فى كل يوم جمعة الى ذلك السرداب ويجتمعون وينتظرون خروجه حتى يولى اليوم واستمرت عادتهم المذكورة حتى ابطلها السلطان سليمان احد خلفاء بنى عثمان ، نصر الله دولتهم على اهل الفساد والطغيان ، آمين . وسيأتى فى الخاتمة ما يتعلق بتاريخ مولده ان شاء الله ، ومن الله التوفيق (٧) .

الباب الاول

الباب الاول فى بيان ان المهدى المنتظر على القول بظهوره من جملة الخلفاء العادلين وفيما تثبت

(٧) لاحظ الضرير كيف اضيفت عبارة « والف » فى التاريخ على يد العدوى الحمزاوى وكيف ادى ذلك الى كثير من الوهم وادعى بها بعضهم المهدية . انظر ادناه . وقد ثبت مادیلونق واقعة اضافة العدوى فى مقاله بموسوعة الاسلام الجديدة وذهب الى ان تدخله كان مقصودا هنا لقفل مدخل الشيعة بهذا السند .

به خلافة الخليفة الذى يقوم بأمور المسلمين وفى شروط ذلك القائم الامين .

اما كونه من الخلفاء العادلين فهو مما لا يشك فيه عاقل ولا يرتاب فيه الا جاهل ، اذ لا يرتقى الى درجة الانبياء حتى تطلب لاثبات امامته معجزة ، وانما الخوارق التى تظهر له تكون كرامة كغيره من الاولياء (٨) ، فلا تتأتى خلافته الا فى وقت ليس فيه خليفة سبقت له بيعة من اهل الحل والعقد ، كما هو صريح الحديث الذى فى سنن ابى داؤد ونقله البغوى فى مصابيحه فى الحسان (٩)، ولفظ ما فى السنن : حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثنى ابى عن قتادة عن صالح ابى الخليل عن صاحب له عن ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال : يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من اهل المدينة هاربا الى مكة فيأتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام (١٠) ويبعث اليه بعث من الشام (١١) فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدال الشام وعصائب اهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام (١٢) ثم ينشأ رجل من قريش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل فى الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقى الاسلام بجرانه الى (١٣) الارض فيثبت سبع سنين (١٤) ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون. ثم رواه ابو داود فى السنن ايضا عن ابى الخليل عن عبد الله بن الحارث عن ام سلمة فتبين بذلك المبهم فى الاسناد الاول . قال ابن خلدون فى مقدمة تاريخه لما تعرض للتكلم فى احاديث المهدى فى رجال هذا السند ما نصه : ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغمز ، وقد يقال انه من رواية قتادة عن ابى الخليل ، وقتادة مدلس ، وقد عنعنه ، والمدلس لا يقبل من حديثه الا ما صرح فيه بالسماع ، مع ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدى ، نعم

---

(٨) اى ان المهدى ولى بكرامة وليس نبيا بمعجزة .

(٩) المصابيح كتاب البغوى ، والحسان من الحسن ، وهو درجة فى الاحاديث ، وفى ذلك اشارة الى قسم الاحاديث الحسان فى مصابيح البغوى .

(١٠) فيبعث : ابن خلدون .

(١١) ابدال الشام : ابن خلدون .

(١٢) [بين الركن والمقام] ابن خلدون .

(١٣) على : ابن خلدون .

(١٤) وقال بعضهم تسع سنين : ابن خلدون .

ذكره ابو داود فى ابوابه ، انتهى ، قلت : قد نقله عنه البغوى فى المصابيح فى قسم الاحاديث الحسان كما سبق ، فلم يبلغ عنده درجة الصحة . ومع ذلك فهو اقرب اليها من غيره (١٥) . فلذلك اخترنا نقله فى هذا الباب . وقد ظهر منه امران شاهدان لمدعانا ، احدهما ظهور الاختلاف بعد موت خليفة الوقت ، والثانى كراهيته البيعة . فعلم بذلك انه لا يخرج على خليفة قبله ، وانه لا يتولى على الناس الا ببيعة اهل الحل والعقد له . وهذا كاف فى الرد على كل من خرج ممن بلغنا فى هذه السنة او قبلها من السنين كما لا يخفى .

واما ما تثبت به خلافة الخليفة غير المتغلب فهو امران (١٦) ، احدهما بيعة اهل الحل والعقد كما وقع للخلفاء الثلاثة ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان وعليّ بن ابى طالب رضى الله عنهم وعنا بهم ، والثانى عن الخليفة الذى قبله كما وقع لعمر بن الخطاب من ابى بكر رضى الله عنهما .

واما شروط الخليفة فهى مشهورة فى كتب الفقه . ومنها الاجتهاد ان وجد مجتهد ، والا يوجد فيكون أمثل المقلدين فى زمنه . وهذا الشرط ايضا يقضى ببطلان دعوى المهدية من جميع من بلغنا انه ادعاها ، اذ كلهم بعيدون عن ان يكونوا او واحد منهم أمثل المقلدين ، فضلا عن ان يتصفوا او احد منهم بأوصاف الاجتهاد الذى لم يسلم للامام السيوطى وامثاله من كبار علماء المتأخرين . اذ من شرطه التبحر فى علم تفسير القرآن العظيم والاحاديث النبوية ، بعلم الناسخ والمنسوخ من كل منهما ، والمصطلح الذى كاد ان يكون معدوما من جميع الدنيا (١٧) ، وذلك كله بعد التضلع التام من علوم العربية كالنحو والتصريف والمعانى والبيان وغيرها . وكلامنا فى مطلق من يكون خليفة . واما خصوص المهدى الذى كلامنا فيه فيتعين فى حقه الاجتهاد على ما ذكره كثير من الصوفية كابن عربى وغيره . فان قيل يمكنه ان يأخذ الاحكام من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فى

---

(١٥) يعنى اقرب الى الصحة من غيره من الاحاديث . وهذا الذى عليه خير من قول علماء الازهر الذين قالوا انه أصح الأحاديث . انظر ذلك فى فتواهم ادناه .

(١٦) اى فى الخليفة الذى يلى بالتتابع العادى بغير ثورة . ولك ان تسأل : كيف اذن قبلت خلافة بنى العباس ! انهم قتلوا الخليفة الاموى واستولوا بالقوة ! وهو يشترط فى الخليفة ان يكون مجتهدا او أمثل المقلدين فى زمنه على الأقل ، وهذا امر نظرى ولم يؤخذ به فى الواقع .

(١٧) لا يعنى بذلك علم المصطلح ، فهذا علم له قواعده وضوابطه وفيه كتب ، ولكن قصده وقصد من قالوا بذلك ان اوائل المحدثين كانوا قريبين الى عهد الصحابة ويعرفون الرواة معرفة مباشرة موثوقة وبموتهم ذهبت هذه الصفة واصبح المحدثون من بعدهم معتمدين على روايات لا على معرفة مباشرة ، وبذلك يكون حكمهم عليهم او لهم منقولا لا مباشرا . فالذى انعدم ليس العلم وانما الطبقة ذات الصلة والمعرفة المباشرة بالرواة .

اليقظة او فى المنام ، قلنا ذلك ان امكنه فى خاصة نفسه بعيد عن ان تثبت به الاحكام التى يجريها كرها على الخاص والعام ، كما سيتضح ذلك ان شاء الله تعالى من الكلام على احكام المنام.

فالحاصل ان نصب الامام واجب على الامة فى جميع الازمان شرعا ، سواء فى ذلك المهدى وغيره مع الشروط المعتبرة فى الكتب المحررة . قال الامـام المقرى فى اضـاءة الدجنة :

والنصـب للامـام بالشـروط ... فـرض بشـرع بالهـدى منـوط

وفى جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم اللقانى :

وواجـب نصـب امـام عـدل ... بالشـرع فاعلـم لا بحكـم العقل

نسأل الله ان ينفعنا بالمهدى صاحب الامانة ويكل ولى لله سبحانه .

الباب الثانـى

الباب الثانى فى بيان ما تثبت به خلافة خليفتنا الآن الذى هو المغازى عبد الحميد الثانى من خلفاء بنى عثمان ، اى ثانى من سمى بعبد الحميد منهم .

اما بالنسبة لمن تولوا قبله فهو الخامس والثلاثون على ما فى كنز الرغائب (١٨) ، ادام الله توفيقه ونصره وسهل الى الخيرات طريقه وامره ، اذ خلافته هى الاصل الذى ينبنى عليه ما بعده من حرمة الخروج عليه ووجوب طاعته والقاء القياد اليه .

اعلم انه لما خلع عم هذا الخليفة السلطان عبد العزيز ، المتولى بعد اخيه السلطان عبد الحميد ، بويع السلطان مراد الخامس ابن السلطان عبد المجيد بيعة صحيحة ، فبعد ايام قلائل حصل له مرض ، والحروب اذ ذاك قائمة اشد قيام ، فمكث المسلمون نحو ثلاثة اشهر يخفون مرض المذكور رجاء ان تزول منه تلك الاسقام ، فلما طال المرض وخشى من التمادى على هذا الحال اختلال الامور ، لا سيما اطلاع الاعداء الذين يزداد بهم الداء ، اجتمع من اهل الحل والعقد جمع كثير وبايعوا اخاه لأبيه السلطان عبد الحميد ، وهو بتلك المبايعة جدير .

وهاك صورة ما جرى فى ذلك على ما ذكره علامة العصر وفهامة الدهر ، الذى هو لأصول المعارف والسياسة فارس ، محمد الجوايب الشيخ احمد فارس فى الجزء الخامس من كتابه المسمى: كنز الرغائب فى منتخبات الجوايب . قال بعد ان ذكر كلامه فيما يتعلق بمرض السلطان

---

(١٨) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب كتاب لمؤلفه محمد الجوائب الشيخ احمد فارس .

مراد وتشوف من اطلع عليه بخلعه خوفا من ظهور الفساد ما نصه : فعرض على مولانا السلطان عبد الحميد كرسى السلطنة ، فابى مراعاة لوداد اخيه ، فانه يحبه حبا قلبيا ، وكان دائما يرافقه ، فلما اشتد مرض اخيه كان لا بد للوكلاء من ان يتداركوا مصالح السلطنة ، فاستقر الرأى فى المجلس الذى عقد يوم الاربعاء الماضى الموافق عشر شعبان على مبايعة اخيه مولانا السلطان عبد الحميد . وفى ذلك اليوم ارسل الى والدة السلطان مراد خان بعض المخدّرات وامام الحضرة السلطانية ليبلغوها ما استقر عليه راى الوكلاء والوزراء ، لأجل تسليتها وتسليمها لما قدره الله تعالى ، فارسلت الى جناب الصدر الاعظم رقيما تخبره فيه بأنها استصوبت ما استصوبوه . ثم فى صباح اليوم الثانى اعنى يوم الخميس اجتمعت الوكلاء والوزراء واعيان ارباب المناصب العلمية والعسكرية والملكية فى سراية طويقيو وتذاكروا فى حال السلطان مراد ، واستفتوا حضرة سماحتلو دولتلو سيدنا خير الله افندى شيخ الاسلام ، فافتى فى وجوب مبايعة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثانى ابن المرحوم السلطان عبد المجيد خان ، بنص الشرع الشريف . وفى الحال ارسل فى طلب مولانا المشار اليه ، ادام الله النعمة والعز عليه ، فحضر الى سراية طويقيو ، وبمعيته حضرة دولتلو رديف باشا قايم مقام السر عسكرية ، واليوم السر عسكراى ناظر الحربية ، فابتدرت الوكلاء والوزراء والعلماء لمبايعته . ثم قال العلامة المذكور بعد كلام يتعلق بالفرح بهذا السلطان ما نصه : وفى يوم الاثنين توجه جمع غفير من ذوى المناصب والمراتب الى سراية بشكطاش وبايعوا مولانا ودعوا له ، فنسأله تعالى ان يطيل عمره ويؤيد فخره ويديمه عزا للاسلام وملجأ للأنام بجاه خاتم الرسل الكرام ، انتهى .

فقد تقررت خلافته ، نصره الله ، تقررا تاما بمقتضى اتفاق اهل الحل والعقد من العلماء الاعلام وغيرهم . وقد اعتنى بما قلده اتم اعتناء . فانه اقتفى اثر ابيه المرحوم السلطان عبد المجيد خان الذى استدرك الخلل الواقع فى سياسة الدولة بضبطه للسياسات الشرعية بالتنظيمات الخيرية سنة خمس وخمسين ومائتين والف هجرية ، واصدر المنشور الموشح بالخط السلطانى المبين به اصول التنظيمات المشار اليها التى صارت اساسا لتصرفات الدولة وضمانا لحقوق الرعية كما فى اقوم المسالك للامام خير الدين باشا التونسى . ثم ذكر ، اى اعنى خير الدين المذكور ، خلاصة ترجمة ذلك المنشور ، وهو فى غاية الجودة والاحكام ، موافق لما فى الشريعة الغراء من الاحكام .

وقد زاد هذا الخليفة الحاضر ، نصره الله على كل معاند ومصادر ، بأمور كثيرة نافعة فى دولته العلية شهيرة ، كنشر القانون السياسى واتخاذ مجلس الاعيان والمجلس المسمى بمجلس المبعوثان وظهوره للناس الظهور التام ليتيسر له كمال الاطلاع على ما عسى ان يقع فى بعض الايام ، حتى انه كلما عرض مهم من الامور اتخذ له مجلسا ، وكان هو صدره دون غيره من الصدور . وبالجملة فما شوهد فى وقته من المشورة مع التيقظ التام لم يشاهد قبله فى ما علمنا من جميع الحكام . ومن اراد الاطلاع على ما له من المآثر والمناقب فليطالع الجرائد التى كثرت فى وقته واجودها واصدقها الجوائب ، اطال الله دولته العلية محفوظة من كل سوء وبلية .

الباب الثالث

الباب الثالث فى بيان حرمة الخروج على الامام ووجوب مقاتلة من بغى عليه ووجوب طاعته على الامة والقاء زمام القياد اليه .

قال الشيخ احمد المقرى فى اضاءة الدجنة عقب البيت السابق :

والسمع مفروض على الاعيان (١٩)	لأمره فيما سوى العصيان (٢٠)
اذ جاء لا طاعة للمخلوق فى	ذاك وفى ما عنه لا يخلو قف
ولا يجوز عزله ان طرأ	عليه فسق او بغى واجترأ
ولا الخروج عنه الا ان كفر	وحافر البغى هوى فيما حفر

وفى جوهرة التوحيد عقب البيت المار :

فليس ركنا يعتقد فى الدين	ولا تزغ عن امره المبين
الا بكفر فانبذن عهده	والله يكفنا اذاه وحده
بغير هذا لا يباح صرفه	وليس يعزل ان ازيل وصفه

انتهى .

وهذان النقلان من هذين الامامين ، اعنى اللقانى والمقرى ، كافيان فى وجوب طاعة الامام وتحريم الخروج عليه . كيف وقد وردت فى ذلك آيات واحاديث ، كقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم » (٢١) . فانه قيل ان المراد بأولى الامر الامراء

(١٩) يعنى جمع عين : اى جميع الناس .
(٢٠) العصيان هنا : الكفر ، اى لا يعصى الامام ولا تنبذ بيعته الا اذا كفر .
(٢١) النساء ٥٩ .

العادلون ، اى فيما امروا به ، فافهم ! وقيل هم العلماء العاملون . وقد سبق ان مدار نصب الامام على مبايعة اهل الحل والعقد الذين هم العلماء . وحينئذ فالمطيع للعلماء هو الممتثل لأوامرهم ، ومن جملتها امرهم باطاعة الامام الذى نصبوه . فقد تبين ان طاعة الامام واجبة يؤخذ وجوبها من هذه الآية . ولو حملت على ان المراد بأولى الأمر العلماء ، فافهم هذه الرقيقة ، فانى لم اقف على التنبيه عليها فى كتاب . ولعل هذا ونحوه مقصود قول القائل :

ان الاكابر يحكمون على الورى   وعلى الاكابر تحكم العلماء

واما الاحاديث فكثيرة حتى ان منها الحديث الذى فيه الامر بالسمع والطاعة للمتأمر ، وان كان عبدا (٢٢) . وقد ذكروا انه خرج مخرج المبالغة او محمول على المتغلب قهرا . واما وجوب قتال من بغى عليه فاصرح ما فيه قوله تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر الله » (٢٣) وان كان نزولها فى امر خاص (٢٤) كما فى الصحيحين للبخارى ومسلم ، اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وقد تكاثرت نصوص ائمة المذهب على وجوب قتال البغاة . ففى تنوير الابصار بعد ذكر ما يصير به الامام اماما ما نصه : فاذا خرج جماعة مسلمون عن طاعته وغلبوا على بلد دعاهم اليه وكشف شبهتهم ، فان تحيزوا مجتمعين حل لنا قتالهم بدءا حتى نفرق جمعهم ، ومن دعاه الامام الى ذلك افترض عليه اجابته لو قادرا ، انتهى المراد منه . وكتب الشارح عند قوله « عن طاعته » ما نصه : او طاعة نائبه الذى الناس به فى امان ، انتهى . وكتب المحتمى (٢٥) عند قوله « وغلبوا على بلد » ما نصه : الظاهر ان ذكر البلد بيان للواقع غالبا لأن المراد على تجمعهم وتعسكرهم، وهم لا يكونون الا فى محل يظهر فيهم قهرهم ، والغالب كونه بلدة ، فلو تجمعوا فى برية فالحكم كذلك . تأمل ! وكتب عند قوله « وكشف شبهتهم » ما نصه : اى بأن يسألهم عن سبب خروجهم ، فان كان لظلم منه ازاله ، وان لدعوى ان الحق معهم والولاية لهم ، فهم بغاة ، فلو قاتلهم بلا دعوة جاز لأنهم

---

(٢٢) ربما يقصد الحديث : عليكم بالسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشى كان رأسه زبيبة .

(٢٣) الحجرات ٩ .

(٢٤) اى الاوس والخزرج : هامش .

(٢٥) هذا غير واضح ولعله المجتبى .

علموا ما يقاتلون عليه كالمرتدين واهل الحرب بعد بلوغ الدعوة ، انتهى . وفى منهاج النووى ما نصه : هم ، اى البغاة ، مخالفوا الامام بخروج عليه وترك الانقياد او منع حق توجه عليهم بشرط شوكة لهم وتأويل ومطاع فيهم ، انتهى . فبين بهذا حقيقة البغاة . وفى شرحه (٢٦) تحفة المحتاج لابن حجر عند قوله « بشرط شوكة لهم » ما نصه : بحيث يمكن بها مقاومة الامام ، كذا قيل وفيه نظر ، واحسن منه قول بعضهم بحيث لا يسهل الظفر بهم ، وبعضهم : بحيث لا يندفعون الا بجمع جيش. ويؤيده قول الامام فى « قليلين لهم فضل قوة » ، انهم بغاة بالاتفاق . وانما يتحقق فضل قوتهم بما ذكر او بتحصنهم بحصن استولوا بسببه على ناحية . وكان المراد بالقليلين الذين هم محل الاتفاق احد عشر فأكثر ، بدليل حكاية ابن القطان وجهين فيما لو كانوا خمسة او ستة ، انتهى . وقال الشيخ خليل فى مختصره والشيخ الدردير شارحه ما نصه : الباغية فرقة اى طائفة من المسلمين خالفت الامام الذى ثبتت امامته باتفاق الناس عليه . ويزيد بن معاوية لم تثبت امامته لأن اهل الحجاز لم يسلموا له الامامة لظلمه ، ونائب الامام مثله ، لمنع حق لله او لآدمى وجب عليها كزكاة وكاداء ما عليهم مما جبوه لبيت مال المسلمين كخراج الارض ونحو ذلك ، او لخلعه اى خالفته لارادتها خلعه اى عزله ، لحرمة ذلك عليهم ، وان جار ، اذ لا يعزل السلطان بالظلم والفسق وتعطيل الحقوق بعد انعقاد امامته ، وانما يجب وعظه . وقوله « فرقة » جرى على الغالب ، والا فالواحد قد يكون باغيا. وقوله « خالفت الامام » يفيد انها خرجت عليه على وجه المغالبة وعدم المبالات (٢٧) به . فمن خرج عليه ، لا على سبيل المغالبة كاللصوص ، لا يكون باغيا فللعدل قتالهم ، وان تأولوا الخروج عليه لشبهة قامت عندهم ، ويجب على الناس معاونته عليهم ، واما غير العدل فلا تجب معاونته . قال الامام مالك رضى الله عنه : دعه وما يراد منه ، ينتقم الله من الظالم بظالم ثم ينتقم من كليهما . كما انه لا يجوز له قتالهم لاحتمال ان يكون خروجهم عليه لفسقه وجوره ، وان كان لا يجوز لهم الخروج عليه كالكفار ، اى كقتال الكفار ، بأن يدعوهم اولا للدخول تحت طاعته ما لم يعاجلوه بالقتال ، انتهى المراد منهما . فقد تبين مما اوردنا الحق السديد الذى لا يخفى على من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

---

(٢٦) اى فى شرح النووى .

(٢٧) هكذا ، والصواب بالتاء المربوطة : المبالاة .

الباب الرابع

الباب الرابع فى الاشارة الى اوصاف الخديوى الاعظم والمشير الافخم متولى جميع احكام الاقطار المصرية الآن وعزيزها الذى لم يختلف فى فضله وحسن سيرته وسريرته اثنان وفى بيان بعض احوال ناظر دواوين بلادنا البلاد السودانية الشارع فى ازالة ما طرأ عليها واعادة الامان اليها مع حسن النية .

اما الخديوى الاعظم والمشير الافخم فهو الشهم الهمام الذى كان له فى دينه واصلاح ملكه اعظم اهتمام ، افندينا ابو العباس (٢٨) محمد توفيق باشا ، بلغه الله من الخيرات كلما (٢٩) شاء وما يشا ، وقد كان ولى عهد ابيه من سنة ثلاثة وثمانين (٣٠) وظهرت فيه من ذلك العهد مخايل الخير بيقين حتى مدحته السادة الاعلام نظما ونثرا وتيقن جميع الناس انه جدير بالولاية واحرى ، وذلك قبل ان تصير الرياسة اليه حتى يقال قد عرف ما هو عليه . وكنت ممن مدحه مع آبائه الكرام ، وكان هو المقصد الاعظم بالكلام فى قصيدة قلتها فى جمعية المعارف التى كانت تحت حمايته الجليلة التى يأمن بدخولها الخائف . فمن ابياتها العامرة المتعلقة بتلك الحضرة العالية الفاخرة قولى :

فيا اولى الجمع اهل العلم انكموا ... فى نشر ما يرتضيه الله اخوان
ومصركم مصر والتوفيق حافظكم ... والمعتنى عارف والوقت ابان
اما حريتم بتوفيق العزيز حمى ... أبعد توفيق رب العز خذلان !

ومنها قولى فى الآخر (٣١) :

مخايل الخير فى توفيقه ظهرت ... أكرم بشهم له التوفيق عنوان
عين الافاضل لا تحصى فواضله ... أنه فاضل الاعيان محسان
صان المواطن توفيق العزيز كما ... حمى اولى العلم مهما كان او كانوا

---

(٢٨) يعنى عباس حلمى والذى صار خديويا على مصر بعد وفاة توفيق فى ١٨٩٢ . وقد زار السودان مرات . والجناح الذى نزل به فى القصر الجمهورى ما يزال يسمى جناح افندينا لانه حل به . وهو الذى افتتح ميناء بورتسودان . وكان على خلاف مع الإنجليز ، والبغض بينه وبين كتشنر كان معروفا ، وقد وقعت ازمة عند زيارته لحلفا . كان ظهيرا للزعيم المصرى المشهور مصطفى كامل . وقد فصل من الخديوية .

(٢٩) هكذا ، والصواب : كل ما .

(٣٠) اى سنة ١٢٨٣هـ .

(٣١) اى فى آخر القصيدة .

لذاك حسن ختام القول ارخه صون المواطن توفيق وعرفان (٣٢)

والقصيدة فى العدد المكمل عشرين وثلثمائة من الوقائع المصرية المطبوعة يوم الخميس الثامن عشر جمادى الاولى سنة ستة وثمانين ومائتين والف كما فى التاريخ (٣٣) . وفى قولى اولا صان المواطن وثانيا صون المواطن اشارة الى ما وقع فى توليته من الامنية ، وقد حصلت ولله الحمد ، نسأل الله ان يزيده توفيقا فى طرق العدالة وان يعز به الاسلام ويذل العدا له .

ثم بعد ان تولى تلك الرياسة وقام بأعباء هاتيك السياسة يوم الخميس السادس او السابع من شهر رجب الأصم عام ستة وتسعين بعد المائتين والالف شوهد منه من القيام بامور الدين والسياسة سيما الرأى الصائب ما لم يشاهد من غيره من اولى المراتب والمناصب ، كما يعلمه كل من طالع الجرائد ، ولا سيما الوقائع والجوائب ، وذلك كتعيينه يومين من الاسبوع لمن يريد الاجتماع به وكتسويته الديون التى سرت اهل الدولة والاجانب وكتكثيره المدارس الخيرية العامة التى ظهر خيرها ونفعها للخاصة والعامة حتى اتاها الناس بأولادهم بعد الاحجام وتكاثروا وتزاحموا عليها ، والمورد العذب كثير الزحام ، وكاعطائه الاذن لخطباء الجوامع حتى تصح صلاتهم وصلاة من اقتدى بهم بدون مخالف ومنازع ، وكتخفيفه كثيرا من الاثقال على الرعية وتأكيد اجراء الاحكام على القوانين الشرعية ، وكاختياره لتولية جهات مملكته من هو اولى واحق والتأكيد عليهم بمعاملة الرعية بالأصوب الأحق كما نالت بلادنا السودانية من ذلك الحظ الأوفر كما سنقف عليه ان شاء الله فيما يتلى عليك ويقرر .

وبالجملة فأوصاف هذا الهمام الفاضل لا تدرك لحاسب ولا يصل الى غايتها واصل ، بل كل من رام الثناء عليه من كل فج يقول لسان حال ذلك الطريق : حدث عن البحر ولا حرج ! زاده الله من فضله واطال نوم رعيته فى عدله ، آمين .

واما ناظر دواوين البلاد السودانية وما يتبعها (٣٤) ، الجالب لها من الراحة الدينية والدنيوية كل

---

(٣٢) بتولية عبد القادر حلمى حكمدارا عليها .

(٣٣) بحثنا عن هذا العدد من الوقائع المصرية فى مصر ولم نجده ، وبالتالى لم نقف على بقية القصيدة . وقد أفادنا الدكتور يحيى محمد ابراهيم الذى قام بالبحث عنه بتقرير عن المحفوظ من الوقائع بدار الكتب .

(٣٤) قال « ناظر دواوين البلاد السودانية وما يتبعها » ، وفى ذلك تجاوز . كان هو ناظرا للداخلية بمصر أى وزيرا لها . ولما جاء الى السودان صار « حكمدار عموم الاقاليم السودانية » وليس ناظر دواوين البلاد السودانية كما يقول ، وهذا تجاوز من المؤلف ربما ليسر به صاحبه — انظر العبارة ادناه فى تعقيب محمد احمد العجب .

ما ينفعها ، فهو الحاذق الذى فاق جميع الاقران ، الصادق الذى لا يدانيه فى صدقه ونصحه للحكومة والرعية انسان ، من يذهب بحسن تدبيره جيش الضلالة ويتلاشى ، مؤسس طرق العدالة سعادتلو عبد القادر باشا ، لا زالت اعداؤه مقهورة واولياؤه بحسن تدبيره منصورة .

وها نحن نقول فى بعض اوصافه التى لا تدرك لحاسب ما علمناه مباشرة بدون الواسطة التى يدخل فيها الصادق والكاذب ، وهو ان هذا المشار اليه ، الذى هو الآن مدار حكومتنا ومنافع بلادنا عليه ، لما وصل الى بلادنا يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الثانية عام تسعة وتسعين ومائتين والف علمنا وعلم كل من اطلع على بعض اوصافه ما زادنا محبة فى افندينا محمد توفيق باشا بتوجيهه الينا هذا الفاضل الفائق فى هذا الوقت الذى نحن فيه من بعضنا فى غاية التعب والمضايق ، وعلمنا بذلك صدق قول القائل فى نصحه ونصه حيث قال : ارسل حكيما ولا توصه ! وذلك انه بمجرد دخولنا عليه معاشر العلماء واستقرارنا فى مجلس سلامنا وتهنئتنا لديه قال لنا بعد رد السلام بأهنى واحلى كلام : ان فى مرادى ونيتى بعد تسكين هذه الحركات ان انظر فى امر المعارف ثم فى امور الزراعات ثم فى امر تأمين الطرقات لحصول التجارات ، ثم اتفرغ للتعديل والتساوى بين الاهالى بالمعروف . وكرر هذه المقالة مع التجار وغيرهم . فعلمنا من اول مجلس انه بكل خير موصوف . وما زال يزداد ما يظهر لنا من الاوصاف الجليلة الشاهدة له بكل خصلة فائقة فضيلة ، اذ هو يعطى كل مقام حقه الذى لا يليق بسواه حتى يقول كل مطلع عليه لم ار احدا فى هذا الخلق ساواه ، فهو فى محل الرفق واللين رفيق بالضعفاء والمساكين ، وفى وقت القوة والشجاعة قوى شديد البأس على المعادين والمعاندين . وهكذا فى كل وصفين متضادين كلاهما محمود ، ولا يقوى على ذلك الا من له قوة تامة على النزول والصعود . واما الكرم بحسن الانفاق وتخلقه بما يحسن من جميع الاخلاق فلا تدرك له فيها غاية . وهل لقطرات الغيث الوابل اذا همى فى الحساب نهاية . وهذه الاوصاف ونحوها ليست عليه قاصرة بل يوصى بها غيره ويحث عليها عساكره ، حتى انه مع تعليمه لهم طرق القتال وتشديده فى ذلك يوصيهم بالرفق بالرعية الذين لا يظهرون قتالا ولا قطعا للطرق والمسالك . واما عدله فى الاحكام وتثبيته حتى يسمع من الشاكى جميع الكلام فقد عرفهما فيه كل من دخل عليه وتأمل تأملا صحيحا فيما لديه ، بل ومن سمع سيرته واحواله يصدقنا فى هذه المقالة . والى الآن لم يتفرغ فى الحقيقة للقضايا ،

بل هو مشغول بدفع ما وجده فى البلاد من الشدائد والبلايا . غير انه لرفقه لم يقدر ان يرد ما يرد عليه من الشكوى ، وان كان باله مشغولا بما يسمعه من وقائع اهل الاهوى . ولو انكشف ظلام ليل هذا الفساد لأشرقت شمس عدالته فى جميع البلاد، وحينئذ يمكنه ان يدرك علم اوصافه الخاص والعام ويعلم يقينا كل احد من رعيته ان عدله عام . نسأل الله ان يكشف عنا هذه الشدائد الفادحة وان يطيل عمر هذا الشهم ويجعل ايامه ناجحة آمنة ويعلى مقامه دنيا واخرى ويمده بالتوفيق على فعل كل ما هو اولى واحرى ويفعل ذلك بنا حتى يأتينا اليقين ويرحم الله عبدا قال آمين.

الباب الخـــامس

الباب الخامس فى بيان ما يفتريه كثير من الناس الجهال من التباس الرؤيا الصحيحة بما يكون من الخيال .

اعلم ان العلماء الاعلام بينوا ما يكون رؤيا مما يكون اضغاث احلام ، وقسموا الرؤيا على اقسام كما ابينه لك ، فاصغ لما اورده من الكلام : قال صاحب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ما نصه : واعلم ان الناس فى الرؤيا على ثلاثة درجات : الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ورؤياهم كلها صدق ، وقد يقع فيها ما يحتاج الى تعبير ، ومن عداهم يقع فى رؤياهم الصدق والاضغاث : وهم على ثلاثة اقسام : مستورون فالغالب استواء الحال فى حقهم ، وفسقة والغالب على رؤياهم الاضغاث ويقل فيها الصدق ، وكفار ويندر فى رؤياهم الصدق جدا ، انتهى المراد منه . ومثله فى شرح البخارى ونقله شارح المواهب قبل هذا . وقال الفخر الرازى فى التفسير الكبير ما نصه : منامات الانبياء عليهم السلام على ثلاثة اقسام : منها ما يقع على وفق الرؤيا كما فى قوله تعالى فى حق رسولنا صلى الله عليه وسلم : « لتدخلن المسجد الحرام » (٣٥) ثم وقع ذلك الشيء بعينه، ومنها ما يقع على الضد كما فى حق ابراهيم عليه السلام فانه رأى الذبح وكان الحاصل هو الفداء والنجاة ، ومنها ما يقع على ضرب من التأويل والمناسبة كما فى رؤيا يوسف عليه السلام . فلهذا السبب اطبق اهل التعبير على ان المنامات واقعة على هذه الوجوه الثلاثة ، انتهى .

هذا ما يتعلق بالرؤيا على التعميم . واما ما يتعلق برؤيا النبى عليه افضل الصلاة وازكى التسليم فنقول فيه زيادة على ما يفهم من السابق : ان كثيرا من الناس الجهال اغتر بما فهمه من

(٣٥) الفتح ٢٧ .

قوله صلى الله عليه وسلم : « فان الشيطان لا يتمثل بى » من ان كل رؤية لشخص قيل لرائيها فى منامه ان هذا هو رسول الله تكون صحيحة ، ويكون ما امره به امرا حتميا عليه وعلى غيره من الناس . وهذا فهم فاسد لا يعتقده الا جاهل او معاند . وانما معنى الحديث ان الشيطان لا يقدر ان يتصور بنفس الصورة التى هى لرسول الله صلى الله عليه وسلم المبينة فى الشمائل وغيرها من الكتب ، بحيث لو رآه الانسان فى منامه وكان قبل ذلك رآه فى حياته او علم حليته صلى الله عليه وسلم علما صحيحا يكون به مساويا لمن رآه فى حياته ، تيقن بلا شك ان الشخص الذى رآه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شخص يشبهه ولم يستند الى من يخبره به فى المنام . وهذا قل ان يقع لغير الصحابة كما لا يخفى . فما رآء كمن سمعا ، البيت المشهور . ثم على تقدير حصول هذا المتعسر لو رآه الرائى حقيقة وامره بفعل شيء او تركه لم يجب عليه فعل ولا ترك ولا على غيره لعدم ضبط المنام . نعم قال الجلال السيوطى فى انموذج اللبيب : ومن امره بأمر فى المنام وجب عليه امتثاله فى احد الوجهين واستحب فى الآخر . اما ان امره الشخص المرئى بمحرم فقد ذكر بعض الاعلام انه من اضغاث الاحلام . ففى المواهب وشرحها فى تقسيم الاضغاث ما نصه : الثانى ان يرى بعض الملائكة يأمره ان يفعل المحرمات ونحوه من المحالات عقلا ، لأن العقل دل على عصمتهم من ذلك ، فلا يمكن وقوعه ، فهو من الاضغاث لا تعبير له ، انتهى بحروفه . وافاد مضمونه النووى فى شرح مسلم والفخر الرازى فى تفسيره المذكور ، ولا تنس قوله فى تقسيم رؤيا الانبياء . ومنها ما يقع على الضد كما فى حق ابراهيم عليه السلام . فانه رأى الذبح وكان الحاصل هو الفداء والنجاة . وهذا محمل حسن ، اعنى المحمل على الضد ، يسلم من الاحتياج الى حمل رؤيا الحرام على كونها من اضغاث احلام . وقد وقفت على بعض كتب التعبير فوجدت فيه التصريح بذلك . قال مؤلفه : ومن رأى احدا من الانبياء وهو يأمره بما يخالف الشريعة يكون ذلك نهيا له وزجرا وتهديدا لقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا لم تستح من الله فاصنع ما شئت » ، فان ذلك ليس بأمر على فعل وانما هو تهديد ، انتهى بحروفه .

واذا علمت ما لأهل الظاهر من النصوص الصحيحة فلنسرد عليك بعضا من كلام اهل الباطن من الاقوال الصريحة ، لعل هذه الطائفة التى الفنا هذا الكتاب لارشادها للاوامر ونهيها عن المناكر تقبل كلام اهل الباطن قبولا صحيحا ، اذ هى تتمسك بكتبهم دون كتب اهل الظاهر . فنقول : قال

فى كتاب الابريز الذى الفه الشيخ احمد بن المبارك فى ما تلقاه عن سيدى عبد العزيز الدباغ ما نصه : قال رضى الله عنه : واما من رأى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فى المنام فان رؤياه تنقسم الى قسمين : احدهما ما لا تعبير فيه ، وذلك بأن يراه على الحالة التى كان صلى الله عليه وسلم عليها فى دار الدنيا التى كانت الصحابة رضى الله عنهم يشاهدونه صلى الله عليه وسلم عليها ، ثم ان كان الرائى من اهل الفتح والعرفان والشهود والعيان فان الذى رأى هو ذاته الطاهرة الشريفة ، وان لم يكن من اهل الفتح فتارة تكون رؤياه كذلك ، وهو النادر ، وتارة ، وهو الكثير ، يرى صورة ذاته الشريفة لا عين ذاته . وساق كلاما يتعلق بتعدد الصور فى اماكن مختلفة. ثم قال القسم الثانى من رؤياه عليه السلام ما فيه تعبير ، والتعبير ها هنا فى درجات الظلام لا فى تأويل الرؤيا ، فانها على الحقيقة لا تأويل فيها . فان من رآه عليه السلام فقد رأى الحق . ولنشر الى درجات الظلام الواقعة فى ذلك فنقول من رآه عليه السلام وهو يحرضه على الدنيا فظلام ذاته فى الدرجة الاولى ، وهو سهو المكروه ، وانما كان فى هذه الرؤيا ظلاما لأن الذى عليه ذاته عليه السلام هو الدلالة على الحق الباقى سبحانه لا على الدنيا الفانية . ومن رآه عليه الصلاة والسلام وقد اعطاه مالا فظلامه فى الدرجة الثانية ، وهى سهو الحرام ، وانما كان الظلام هنا أقوى لأن اعطاء الفانى والتمكين منه أقوى من الدلالة عليه . ومن رآه عليه السلام فى موضع قذر فظلامه فى الدرجة الثالثة ، وهى عمد المكروه . ومن رآه عليه السلام شابا صغيرا فظلامه فى الدرجة الرابعة ، وهى عمد الحرام . ومن رآه عليه السلام كبيرا ولكن لا لحية له فظلامه فى الدرجة الخامسة ، وهى الجهل البسيط فى العقيدة الخفيفة . ومن رآه عليه السلام وهو اسود فظلامه فى الدرجة السادسة ، وهى الجهل المركب فى العقيدة الخفيفة . واعلم وفقك الله ان تمام تحقيق الكلام على الرؤيا والعجائب التى فيها موقوف على معرفة علم التعبير ، وهو من العلوم الموهوبة المستورة ، اى التى يجب سترها وكتمانها ، انتهى المراد منه بحروفه . وقد اطال الكلام قبل هذا الموضع فى الظلام الداخل على الذات وانهى درجاته التى هى فى الحقيقة دركات الى عشرة ، وبين العقيدة الثقيلة والعقيدة الخفيفة . فانظره ان شئت ترى العجب العجاب . وبالجملة فمن اراد كمال الاطلاع على الرؤيا المنامية وما قيل فيها فعليه من كتب اهل الظاهر بالمواهب وشرحها ومن كتب اهل الباطن بالابريز ، ففيها الكفاية لمن تولاه الله بحسن الهداية .

تنبيه : هذا الباب عليه مدار عظيم فى المقصود من هذه الرسالة اذ اكثر الذين يدعون هذا المقام يعتمدون على رآوى منامية وتصدقهم فيها اصحاب الجهالة ، وبذلك تكثر جموعهم ويشتهر صيتهم ويغفلون عن امرين عظيمين ، احدهما مقابلة حكام الزمن لهم بالقوة التى لا يستطيعون دفعها كما وقع كثيرا لمدعى النبوة فى الازمنة الماضية ، بل لمدعى الالوهية كالمقنع ، والثانى سفكهم لدماء المسلمين الذين يقاتلون معهم والذين يقاتلونهم . ولا ريب ان مرتكب هذا عمدا بعيد عن المقام المذكور بمراحل . بل البعض منهم يصدر منه ما هو شبيه بالجنون . فقد بلغنى ان بعض الدراويش يكون فى الموسم وقت اجتماع الحاج فيخطف سيفا مثلا من بعض الناس ويصيح انا المهدى انا المهدى ، حتى يؤخذ من حينه ويحبس ، وربما يقتل .

نعم لا يبعد ان تحصل رؤيا منامية لبعض المتعبدين الذين تكون الطاعة اغلب احوالهم ، وربما كانوا فى مقام الفناء الذى هو مقام النفس السادسة الخلوتية فتضره تلك الرؤيا حتى يسقط بها عن هذا المقام العالى ، نسأل الله السلامة ! فينبغى لصاحب هذا المقام ان يطالع كتب القوم ويتأمل غاية التأمل في ما وقع للاكابر من الاولياء من الشبه التى ردوها بالقواعد الشرعية ، كالشيخ عبد القادر ، نفعنا الله به . وحكايته فى ذلك مشهورة ، وفيها الكفاية ، نعوذ بالله من الجهالة التى تسد باب الهداية وافتح باب الضلال والغواية .

تنبيه آخر : من جملة الشبه التى ردوها بالقواعد الشرعية ما لاح لبعضهم فى اليقظة من الخيالات والهواتف التى تأمره بما يخالف الشريعة المرعية ، وربما استهواه الشيطان فاعتقد انها رؤية نبوية وان اقوالها الآمرة بالحرام شريعة مصطفوية . وها انا ابين لك فساد هذا الاعتقاد بما ينكشف به الضلال ويحصل به الرشاد . فأقول : قال صاحب المواهب اللدنية نقلا عن شيخه السخاوى ما نصه : واما رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بعد موته عليه الصلاة والسلام فقال شيخنا لم يصل الينا ذلك عن احد من الصحابة ولا عن من بعدهم . وقد اشتد حزن فاطمة عليه صلى الله عليه وسلم حتى ماتت كمدا بعده بستة اشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم ينقل عنها رؤيته فى المدة التى تأخرتها عنه . ثم ذكر حكايات لبعض الصالحين عن انفسهم يحتمل غالبها حصول ما ذكروه لهم فى المنام . وافاد نقلا عن الشيخ حسن الاهدلى ان ما يحصل لهم يكون فى حال غيبة حس وغموض طرف لورود حال لا تكاد تضبطها العبارة . ومراتبهم

فى الرؤيا متفاوتة ، وكثيرا ما يغلط فيها رواتها ، فقل ما تجد رواية متصلة صحيحة عن من يوثق به، واما من لا يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناما او غيبة حس فيظنه يقظة ، وقد يرى خيالا او نورا فيظنه الرسول ، وقد يلبس عليه الشيطان فيجب التحرز فى هذا الباب .

وبالجملة فالقول برؤيته صلى الله عليه وسلم بعد موته بعين الرأس فى اليقظة يدرك فساده بأو[جه] العقول لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه فى الاسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده الشريف فلا يبقى منه فيه شيء بحيث يزار مجرد القبر وسلم على غائب ، اشار الى ذلك القرطبى فى الرد على من قال بأن الرائى له فى المنام رؤيا حقيقية يراه بعد ذلك فى اليقظة ، قال وهذه جهالات لا يقول بشيء منها من له ادنى مسكة من العقول وملتزم شيء من ذلك مختل مخبول . وللشيخ مسلم شيخ الطائفة المسلمية :

فمن يدعى فى هذه الدار انه	يرى المصطفى حقا فقد فاه مشتطا
ولكن بين النوم واليقظة التى	تباشر هذا الامر مرتبة وسطى

وقال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى ترجمة شيخه محمد المغربى الشادلى : وكان ، يعنى صاحب الترجمة رضى الله عنه ، يقول فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة المراد برؤيته كذلك يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية ، لأن من بالغ فى كمال الاستعداد والتقرب صار محبوبا للحق ، واذا احبه كان نومه من كثرة اليقظة القلبية كحال اليقظة التى لغيره ، وحينئذ لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بروحه المتشكلة بشكل الاشباح من غير انتقال بانتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائى لكراماتها وتنزيهها عن كلفة المجيء والرواح ، هذا هو الحق الصراح ، انتهى .

فقد تبين ان دعوى رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة حدثت بعد القرون الفاضلة . ومعلوم انها لو كانت تقع ويعمل بما لوح منها شرعا لوقعت لأكابر الصحابة رضى الله عنهم عند الاحتياج اليها ، فقد اهمهم رضى الله عنهم امر الخلافة حتى قدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيه اختلافا شديدا ، ولم يدع احد منهم قولا صدر منه عليه السلام بعد موته قبل مواراة ذاته الشريفة. فكيف يركن الى مقالة تحدث بعد هؤلاء الاخيار الذين عد لهم النبى المختار، وكيف تثبت تولية شخص على هذه الامة بما لم تثبت به امامة الصديق ولا غيره من الائمة . ومما يدل على فساد

هذه الدعوى ايضا ما روى من ان المتولين لغسله عليه السلام لما حصل لهم الشك فى نزع قميصه القى الله عليهم النوم حتى سمعوا هاتفا يأمرهم بتركه ، ومع ان هذا ليس وقت منام . فلو كان لكلام اليقظة سبيل لكان باب مدينة العلم (٣٦) اولى به واوضح دليل . نسأل الله الحفظ من الغواية ثم التوفيق وحسن الهداية .

الخـــاتمـــة

الخاتمة فى اصلاح سهو وقع فى تأليف بعض الاعلام تفوت به شبهة بعض المدعين فى هذا الزمان لذلك المقام .

اعلم ان السهو المذكور وقع فى كتابين جليلين نافعين اشتهرا فى هذه الاعصار اشتهار الشمس فى رابعة النهار للامام العالم الجليل الحاذق النبيل جامع اشتات الفضائل الدافع عن السنة الغراء شبهات الغوائل الشيخ حسن العدوى الحمزاوى ، جعلنا الله ممن ينتفع به واليه يأوى ، آمين آمين : اولهما وهو الأسبق الأشهر مشارق الأنوار فى فوز اهل الاعتبار، وثانيهما وهو الأوسع الأنفع النفحات الشاذلية فى شرح البردة البوصيرية. قال فى كل منهما ناقلا عن العلامة الصبان ناقلا عن سيدى عبد الوهاب الشعرانى ما نصه : وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى اليواقيت والجواهر المهدى من ولد الامام الحسن العسكرى ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومايتين بعد الالف وهو باق الى ان يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام . هكذا اخبرنى الشيخ حسن العراقى المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة ووافقه على ذلك سيدى على الخواص ، انتهى بلفظه ما فى المشارق والنفحات بلفظه . والسهو الذى ذكرناه حصل فى محلين بالنسبة لما فى رسالة الصبان الاول بزيادة وهى قوله « بعد الالف » ، والثانى باسقاط « وهو ان الذى فى رسالة الصبان بعد قوله « المحروسة » نصه : عن الامام المهدى حين اجتمع به ووافقه الخ (٣٧) . وقد كشفنا اليواقيت والجواهر فوجدنا العبارة المذكورة مثل ما فى رسالة الصبان مع زيادة حسنة، وهى قول سيدى عبد الوهاب بعد قوله « بعيسى ابن مريم عليه السلام » فيكون عمره الى وقتنا هذا ، وهو سنة ثمان وخمسين وتسعماية ، سبعمائة سنة

(٣٦) يقصد : علىّ بن ابى طالب .

(٣٧) يعنى : اضاف بعد الالف وشطب ما يعنى ضبطه .

وستة سنين. وقد نشأ من زيادة بعد الالف ونقصان ما ذكرناه ضرر عظيم باعتقاد بعض من وقع عنده هذان الكتابان، او احدهما ان المهدى المنتظر ولد سنة خمس وخمسين ومائتين والف، وهذا اوان ظهوره بنص هؤلاء الائمة الثلاثة فى كتبهم ، فصدق المدعى لذلك المقام اعتمادا على هذا الكلام ونشر ذلك بين العوام حتى سفكت بهذا السبب دماء كثيرة وضاعت اموال غزيرة ، مع ان هذا التاريخ هو تاريخ مولد سيدنا محمد بن الحسن العسكرى صاحب السرداب الذى ذكرناه فى المقدمة . فالقول بأن صاحب اليواقيت اخبر بمولده فى زمن بعده ينافيه قوله « فيكون عمره الى وقتنا هذا » الخ ، بل افاد قبل هذا الكلام انه ينتظر خروجه فى القرن الحادى عشر ، سبحان من لا يعلم الغيب غيره . ولولا ان هذا الاعتقاد كثر وانتشر وصار يتكلم به كل من اطلع على احد هذين الكتابين المشهورين وخصوصا الاول . وقد تكلمت مع بعض من يدعى المعرفة بحضور بعض الاكابر واخبرته ان ما فى مشارق الانوار وقع سهوا لا ينبغى الاعتماد عليه ، فلم يقبل منى ما امليت ذلك فى هذا التأليف اذ ليس من شأنى اذاعة السهو والتحريف . ولكن اظهرت ذلك فى هذه الرسالة لأمرين ، الأول المسارعة الى ما ارجو ان يكون فيه حسم للفساد الذى كثر باضاعة الانفس والاموال فى هذه البلاد ، اذ ما يجده الناس مسطرا فى كتاب اقرب الى القبول مما يسمعونه حالة الخطاب ، الثانى ثقتى بهذا الامام الجليل (٣٨) الساعى فى دعاء الخلق الى سواء السبيل انه يسره ذلك الاصلاح ويستبشر به ويرتاح ، اذ هو من التعاون على البر والتقوى الذى ندب الشارع اليه وحض فى كتابه العزيز عليه .

نسأل الله ان يديم توفيقنا على اتباع السنة والكتاب وان يرشدنا الى جادة الطريق الموصلة الى الصواب وان يمنحنا حسن الختام فى كل قول وعمل ، ولا سيما عند استيفا الارزاق وتمام الاجل وان يصلى ويسلم على نبيه الفاتح الخاتم ، وعلى آله وصحبه السادة الاكارم ، وكل متبع لهم باحسان ما ارشد ناصح وما قبل النصح انسان .

وهاهنا انتهى تأليف هذه الرسالة سنة تسعة وتسعين ومائتين والف (٣٩) من هجرة من له اكمل وصف عليه افضل الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام ما تعاقبت الليالى والايام وتكررت

---

(٣٧) يعنى : اضاف بعد الالف وشطب ما يعنى ضبطه .

(٣٨) الامام الجليل هو الشخص الذى اشار اليه قبل قليل بقوله : بعض من يدعى المعرفة .

(٣٩) يوافق ذلك ما بين ٢٣ نوفمبر ١٨٨١ و ١١ نوفمبر ١٨٨٢ .

الاهلة والاعوام ، آمين ، آمين ، والحمد لله رب العالمين ، آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم حمدا لمن ارسل رسله بالهدى وصلاة وسلاما على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه الرشدا .

اما بعد ، فيقول الراجى نجح المساعى والارب محمد بن احمد المشهور بالعجب ان اولى ما توجهت اليه فكرة اولى العرفان ، واحق ما اعتنت به همم الائمة الاعيان ، لا سيما فى هذه الاوقات والازمان ، التى كثر فيها الفساد والطغيان ، نصح الامة خصوصا العامة ، وانقاذهم من المخاطر الطامسة بارشادهم الى ما فيه صلاحهم دنيا واخرى ، وتعليمهم ما يكون بحسب الوقت احرى ، ليخرجوا بذلك عن الغش والكتمان الوارد النهى عنهما عن سيد ولد عدنان . فلعل وعسى ان يحصل بذلك احياء السنة فيحرزوا فضيلة ما جاء من قول نبى الرحمة : من ادى الى امتى حديثا واحدا يقيم به سنة او يرد به بدعة فله الجنة . وما ورد عنه عليه الصلاة والسلام معها : نصر الله امرء سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها ، لكن بالرفق والتمهيد حسب العقول ، ليكون ذلك اجلب وادعى للقبول ، حسب ما هو صريح الآثار والقرآن العزيز وكلام الاخيار . وقد خاض بحار هاتيك المسالك فأخلص المخاض وانسجم وابل فكره فى تلك المهايع فازهرت بأقلامه الرياض فألف هذه الرسالة المسماة بهدى المستهدى الى بيان المهدى والمتمهدى بأتم ايضاح وارفقه واصرح بيان ، واوفقه كما ديدنه فى الافادة والتأليف وشيمته فى التالد منها والطريف تنزلا بحسب العقول ، وتوصلا لتفهيم ما انطوت عليه النقول ، امتثالا لما ورد على النصح من الدلائل من الآيات والاحاديث وآثار الاوائل ، وتنبها على احياء السنة التى هى خير الامور ، وتحذيرا من محدثات البدع التى هى شر الشرور ، وذلك لكثرة محبة نفعه للامة ، وسرعة انقاذه من الامور المدلهمة .

اريــد ارى دين النبــى محمـــد   يقـــام وديـن المبطليـــن يـــزول

من حاز قصب السبق وان كان الآخر وفاز بالتقدم فيه بلا مفاخر علامة العصر وفهامة الدهر من نحت المعانى من معادنها طوع يديه وحل مغلق المشكلات منقادا اليه ، ولا غرو فانه الطويل الباع فى العلوم الآخذ بالمنطوق منها والمفهوم شيخ الشيوخ بهذه البلاد وقطب معارف حاضرهم والباد سيدى ومولاى ابو البركات والعرفان الشيخ الامين بن محمد رئيس ومميز علماء السودان ، فنوّر الطروس بتلك الرسالة ونمقها بايراد احاديث بابها على ألطف حالة ، فهى الفريدة فى بابها العزيزة

لدى طلابها . وقد اوضح فيها البيان ببدائعه الحسان حسبما هو سننه فى المجال والميدان . فمناهل الفاظها العذاب صافية من شوائب التعقيد ورياض معانيها المفرحة للالباب مروية لمن كرع من نهرها الرائق المديد ، وهى لظلمات الجهل كاشفة وشجرة اهتداء ظلالها وارفة . هذا ولسان محاسنها ينطق عن مؤلفها الذى احسن تأليفها ومصنفها الذى اعجب فى ترصيفها حيث جمع فيها واوعى واقر العيون بما فيها وشنف السمع مع الايجاز والاختصار والايضاح والابتكار

فيا اهل ودى اننــــى ناصــح لكــم ازود الــردى عنكــم وامنعــه منـــعـا

واجلب للاخـــوان من كل جانـــب من الديــن والدنيــا والعــوارف والنفعا

كيف لا ومؤلفها الملقب بالأمين متصف بمضمون لقبه بيقين ، فلا تأخذه فى النصح لومة لائم . وهو باغرار الدين واحصانه افضل قائم .

امين لهـذا الدين امـن كمـا دعــى به احصنت سـبل الهـدى ومهـايعـه

كما انه زاد علاه جليل القدر والمحل وبدائعه سارت فى الاقطار سير المثل ، يتفجر من لسانه ينبوع البلاغة ويقتطف من خمائل بيانه نور البراعة . وذلك بهمة الشهم الهمام من فاق بحسن التدبير والاقدام ، من جل مرغوبه المنافع الخيرية ومطمح نظره انتشار المعارف وراحة الرعية الذى غردت بأحاديث صيته على الفنون الطيور البلبلية ، ناظر الديوان وحكمدار عموم الأقاليم السودانية عبد القادر حلمى باشا بلغه الله ما شاء وما يشا ، فمذ تشرفت بقدومه هذه الاقطار تفتحت بحسن شمائله منها الازهار ، ودرت المنافع واوسع الرعية ببساط العدالة ، واحكم الامور بحزمه وتلاشى جيش الضلالة .

امير له فى المجد اقصى مكانة تسامت لها بالنصر رايته الخضرا

فكانت أكف الضراعة مرفوعة لنظارته بالدوام مع بقاء عموم حكمداريته محفوفا بحراسة المقام . ولرغبة سعادته عموم النفع اصدر امره لهذه الرسالة بالطبع ، فقام حضرة ناظر المطبعة بالامتثال ورونق طبعها فانتظم كاللآلىء ، وهو من لثمرة الذكاء وحسن الادارة يجنى ، ومن محاسن اخلاقه عليه تثنى ، الفاضل الفخيم حسن افندى ابراهيم (٤٠) . ولما بدا بدر تمامه وفاح مسك ختامه قلت

---

(٤٠) ناظر المطبعة عند الطبع فى ١٢٩٩ هو حسن ابراهيم ، وهذا ما لم نقف على خبره .

مؤرخا الطبع ومثنيا على حسن الوضع :

نيل الرغائب فى الهدى مغروس — فاظفر به كيما تقر نفوسا

روح فؤادك من ازاهر روضه — بتردد التذكار فيه دروسا

واستجل للألباب من اصدائها — وارشف زلال بحاره القاموسا

وجه اليه منْ مطايا الفكر ما — يحق بفهم من هداه نفوسا

شمل الانام اريجه اذ صوغه — نظم الفوائد فى العقود نفيسا

قالت محاسن صنعه لما حوى — ما كان يعصم من وعاه نفوسا

مذ ابدع الفرد الامين بوضعه — وازال وهم نوى الحجا والبوسا

لرسالة حاكت بدور الافق اذ — كانت هدى صرفا لنا قابوسا

صارت اباطيل البغاة كأنها — سحر المدائن حين القى موسى

حبر جلا لذوى النهى من فكره — بتائج الهَدى الامين عروسا

قد جادّ من عليا الذكاء بدرة — اضحت لها هذى البلاد شموسا

بلد غدا بنظارة الديوان فى — تدبيرها السامى له محروسا

لم لا وعبد القادر الباشا لنا — بذكائه قد اسس التأسيسا

شهم له صيت تسامى رأفة — بمنابه كان العنا محبوسا

صدر علا فوق الصدور بحزمه — كأن الامان بأرضنا مغروسا

بل كان فى اوصافه فردا كما — كان الامين لعلمه ناموسا

مذ اشرقت اقطارنا امنا كما — بهدى الامين الطبع ضاء مانوسا

ولناظر الاطباع رونق طبعها — حسن علا اوج الفخار جلوسا

طبع الهدى قال التهانى ارخوا — فكر الامين قدر التأسيسا (٤١)

وكان طبعه بالمطبعة الاميرية الخرطومية السودانية الذى تحت ظل من تعطرت بثناه الاندية ، وقصرت عن حصر مكارمه الاثنية ، وارث الولاة الاماجد وحائز الملك والمجد والدا عن والد ، من

(٤١) وضع اسفل العبارات فى الشطر الثانى من هذا البيت أرقام الجمل ، هكذا : فكر ٣٠٠ ، الامين ١٣٢، قدر ٣٠٤ ، التأسيسا ٥٦٣، وجعل جملة ذلك ١٢٩٩ ، وهو تاريخ سنة التأليف والطبع معا .

زادت بولايته المعارف انتعاشا ، افندينا محمد توفيق باشا ، لازالت حضرته الخديوية العلية محفوفة بالعناية الربانية والايام مشرقة لشمس علاه ، الليالى منيرة ببدر جلاه ، وما برحت السودان ملحوظة منه بالانفال مشرقة عليها منه بوارق الاشماس بجاه سيد الانام صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الاعلام .

قصيدة الشيخ محمد شريف نور الدايم : النصيحة (١)

فهرس الفصول :

المقدمة

١ فصل فى بحرها ومآلها وما يتعلق بذلك .

٢ فصل فى احسان الحكومة علينا ورفعتها لنا بصدقنا معها وهذا بعض من جواهر الفاظها فى ذات اوامرنا كما ترى .

٣ فصل قال الناظم فيا انطوت عليه نيته مع الحكومة بسبب الاحسان والاحترام وحفظ المقام .

٤ فصل فى حقيقة تابعنا محمد احمد بن عبد الله النجارى الخناقى [....] .

٥ فصل فى بعض اخاريفه وغشه لمن اتبعه من الجهلاء والمفسدين .

---

(١) اعتمدنا على نسخة خطية عند الشيخ ضياء الدين العباسى حفيد الشيخ محمد شريف نقلت عن أصل ، وتوجد صورة منها بدار الوثائق القومية تحت رقم متنوعات ١/١٠١/١٥٨٢ ، وهى مكتوبة بخط واضح جميل غليظ القلم الا ان بها تلفا فى بعض المواضع من جراء سوء الحفظ ، فاضطربت بعض السطور واختفت بعض الكلمات . وكان الاصل الذى نقلت منه هذه النسخة مدفونا فى الارض لتكون فى مأمن من انصار المهدى ، فتعرض الى التلف بفعل الأرضة ، وقد حاول الناقل استعاضة ما فقد وابقى ما استعصى عليه ليتمه من يجد نسخة كاملة من القصيدة . وتبلغ النسخة ٣٥ صفحة ، منها اربع صفحات تتضمن فهرس فصول القصيدة . وفى كل صفحة ١٤ سطرا سواء كان شعرا او نثرا . وقد سقطت الورقة الاولى من النسخة وسقط معها عنوان القصيدة والطرف الاول من عناوين فصول القصيدة . وعلى ما نحتمل فان هذا الطرف كان فى ظاهر الورقة بينما كان وجهها خاليا من الكتابة ، او كان به عنوان القصيدة . وبآخرها سقط لا يعرف مداه ، وقد ذهب فيه طرف من التقريظات . ويوحى التعقيب فى نهاية صفحة ٣٣ بأن الصفحة التالية تبدأ بعبارة « او الخسف » ، ولكن الصفحة تبدأ بعبارة اخرى مغايرة . وقد يظن من هذا ان طرفا من القصيدة قد سقط هنا . ولكن عبارة « او الخسف » ترد بعد قليل فى سطر تال ، وهذا يعنى انه لا سقط ، ويكون التفسير الوحيد ان المعقب اخطأ هنا وجاء بعبارة « او الخسف » بدل العبارة التى تبدأ بها الصفحة التالية حقيقة . وبطرف الدكتور حسن الفاتح قريب الله شيخ الطريقة السمانية القريبية نسخة منسوخة بخط جميل من نسخة ضياء الدين ، وقد اشرنا اليها فى هذا التحقيق بالرمز :ق . وبهذه النسخة اغلاط لأن كاتبها يتصرف باجتهاده . ولم نستشهد بها الا لدى ضرورة . اما اصل القصيدة فلم نصل اليه ولم نسمع عن وجوده فى مكان ولم نجد له نسخة كاملة مع ان نسخها قد وزعت . وليس هناك خبر مؤكد بطبع القصيدة على نحو ما تم ازاء رسائل الغزى والازهرى والضرير ، بل الأرجح انها لم تطبع . وقد وقف نعوم شقير على نسخة من القصيدة وأورد فى تاريخه اطرافا منها ببعض تصرف لاصلاح الوزن فيما قال كما انه استعان ببعض ما رواه الشيخ محمد شريف بين فصول القصيدة . ويأتى ما نقله فى ثلاث دفعات : الدفعة الاولى عند كلامه عن مظالم الترك المصريين التى دفعت السودانيين الى السخط على نظامهم ، والثانية عند كلامه عن الخلاف بين الشيخ محمد شريف وبين تلميذه محمد احمد (المهدى) ، والثالثة عند كلامه الجامع عن المهدى ومهديته . ويبلغ كل ما اورده ٤٦ بيتا .

٦ فصل فى نسبه وشريعته ودعائه الى الله تعالى .

٧ فصل فى ملكه وماله .

٨ فصل فيما حَرّمه من المباحات وما اباحه من المحرمات وما نهى عنه من الجائزات والواجبات .

٩ فصل فى حضرته المشهورة وذاته ودينه .

١٠ فصل فى النصح للتجار والعمار ومن رأى ان هذه المهدية حق (٢) .

١١ فصل فى رؤسائهم .

١٢ فصل فى خطاب رجال الحكومة بالتحاكم بينهم وبين هذا المهدى (٣) واصحابه على الكتاب والسنة واعراضهم .

١٣ فصل واعلان لكل من على وجه الارض من مسلم وكافر وانس وجان (٤) .

١٤ فصل فى بعض الفتن التى اخبر النبى صلى الله عليه وسلم بها من بعده الى يوم القيامة(٤).

١٥ فصل فى نصيحة السودان على الخصوص .

١٦ فصل فى التحريض على قتال المهدى (٥) واصحابه المفسدين .

١٧ فصل فى خروجى عن الدعوى .

١٨ فصل فيما رأيت فيه من الرآوى الصادقة المعلومة لدى وما اخبرت به وما صح (٦) .

١٩ فصل فى اختلاف رؤسائهم وهزيمتهم ورجوعهم على طائفتين الى الغرب .

٢٠ فصل فى النهى عن تصديقه وذكر سلطان الاسلام بالاستانة العلية دار السعادة والاكرام .

٢١ فصل فى ذكر الحكومة المصرية وواليها وتركه (٧) وبعضا من نواته (٨) الكرام .

٢٢ فصل فى الترك (٩) .

---

(٢) بلغ السقط فى الصفحة الأولى الى هذا الموضع ، وقد اوردنا ما تقدم نقلا من عناوين الفصول التى ترد فى داخل القصيدة .

(٣) اختلف نص العنوان فى المتن ، اذ قال : هذا المتمهدى واصحابه بدل « المهدى » هنا ، ونظن ان « المتمهدى » أصوب باعتبار سياق المؤلف .

(٤) لا يرد هذا العنوان فى المتن ولم نجد ما يقابله من الأبيات .

(٥) قال فى المتن : على قتالهم .

(٦) عبارة : " اخبرت به وما صح " جاءت بخط دقيق فوق عنوان الفهرس ، وفى المتن انتهت العبارة عند : المعلومة لدى .

(٧) وتركهم : فى المتن .

(٨) نواتها : فى المتن .

(٩) لا يرد هذا العنوان فى المتن ، ونحسب ان الابيات المعنية طرف من ابيات الفصل ٢١ .

٢٣ فصل في ذكر عبد القادر باشا بالخصوص .

٢٤ فصل في ذكر اخي الزبير رحمت باشا العباسي (١٠) .

٢٥ فصل في بداية صحبة (١١) محمد احمد المتمهدى (١٢) معنا وحسن معاملته قبل الدعوى .

٢٦ فصل في حسن معاملته مع الله قبل الدعوى .

٢٧ فصل في بعض خداعه لنا وقناعتي من رجوعه ودعوتي عليه وعلى من وافقه على الفساد .

٢٨ فصل في افتائي فيهم بالضلال والكفر وانكاره لتربيتي عند سماع (١٣) نصيحتي بعد صحبة العشرين سنة وتوكلي على الله .

٢٩ فصل في بداية محاربته لبعضا من اتباعنا بالعلوب وهي مقدمية رضـــوان ومقدمية العجب حقار الجضيعى .

٣٠ فصل في مكاتبتنا للوالي محمد توفيق باشا وما كنت ارغب منه لله وفي الله بعد نزول عبد القادر باشا لأنه كان حصنا حصينا للسودان من كل عدو خوان .

٣١ فصل فيما جرا بيني وبين علاء الدين باشا من الموافقة بوصية (١٤) عبد القادر باشا وطلبي منه الاذن بالخروج عليهم وتوقفه بعد الرضا .

٣٢ فصل فيما جرا عليّ من خادمي المهدى (١٥) .

٣٣ فصل في سبب عصيان السودان ومتابعتها لمحمد احمد بلا دليل ولا برهان .

٣٤ فصل في العهود المأخوذة عليّ من والدى واستاذى (١٦) .

٣٥ فصل في علامات الساعة .

٣٦ فصل في ذكر محمد المهدى المنتظر الوارد فيه الاثر .

---

(١٠) قال في المتن : العباسي بمصر ، لأن الزبير عندها كان مقيما بمصر .

(١١) صحبت : هنا ، صحبة : المتن .

(١٢) لا يرد لفظ " المتمهدى " في المتن .

(١٣) سماعه : المتن .

(١٤) هنا : بوصيته ، وفي المتن : باعلام .

(١٥) هكذا هنا وبعده عبارة طويلة مكشوطة . وفي المتن : " ... عليّ من اخوانى " ، وبعده عبارة مكشوطة يظهر منها " المهدى وهم " ، وما عدا ذلك لا يظهر ، وبعد الكشط قوله : " وحاج المهدى وما وافقهم في الاعتقاد " . وقد اتممنا العبارة في المتن اعتمادا على : ق .

(١٦) في المتن يقول بعد هذا : " واسنادى في طريق القوم الصوفية ، رضي الله عنهم . ولا يرد هنا عنوان بعد هذا العنوان ، ولكن يرد في المتن عنوان : فصل في بعض ما انعم الله به على عبده وذكر السند ، وذلك في موضعه من القصيدة .

٣٧ فصل فى الاستغاثة .

وهذه النسخة نقلت سرا بديم ام درمان سنة ١٣٠٤ من النسخة التى كتبها الناظم بيده بعد ما كادت تضيع من الدفن فى الارض كغيرها من الكتب ، وما فيها من البياض فهو مما ضاع فى الارض من الارضة بسبب الدفن .

النص (١٧) :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد وآله وصحبه الاكرمين .

وبعد ، فاقول ، وانا العبد الفقير الى الله المعترف بذنوبه المضطر لرحمة مولاه ذو الظن الجميل به ، ابو هاشم (١٨) : محمد شريف نور الدائم الطيبى الحنفى (١٩) ، عفا الله عنه ، آمين : ان النصيحة قد وردت بها الآيات القرآنية والاحاديث النبوية : منها ما روى عن ابى رقية تميم ابن اوس الدارى ، رضى الله عنه ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الدين النصيحة ، قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ، رواه مسلم . وهذا الحديث عليه مدار الاسلام لا يتجاوزه ، وهى من احسن القربات (٢٠) الى الذات العلية ومن اعظم الاعمال الصالحة المرضية . والحمد لله على الوراثة من الآباء والاجداد (٢١) بهداية كل من ضال (٢٢) عن مهيع

(١٧) نقلنا النص حرفيا ، ولكنا فى المدة وضعنا « آ » بدل « اا » ، نحو آله بدل االه واثبتنا الالف حيث لا يضعه الناقل التزاما بالرسم القرآنى ، نحو : العالمين بدل العلمين .

(١٨) كنية للفخر باعتبار انه من سلالة بنى هاشم ، واسرته تفتخر ايضا بالنسب العباسى ، وابنه محمد سعيد اشتهر بلقبه : العباسى . وهى كنية بالمعنى اللغوى ايضا لأنه كان له ولد يسمى « هاشم » ، وقد مات صغيرا . روى لنا ذلك حفيده الدكتور مالك العباسى . والمشهور فى السودان بلقب " ابو هاشم " هو الاستاذ محمد عثمان الميرغنى الختم ، ومن الاقوال فى ذلك: ابو هاشم بحر العاشم . وللختم ولد يسمى هاشما .

(١٩) الطيبى نسبة الى جده الشيخ احمد الطيب البشير المبشر الاول بالطريقة السمانية فى السودان ومؤسسها ، والحنفى نسبة الى المذهب الحنفى الذى يتبعه العثمانيون وادخل فى السودان فى العهد التركى وطبقت احكامه خلافا لمذهب اهل السودان عموما وهو المذهب المالكى ومذهب البعض فى بربر وشرق السودان وهو المذهب الشافعى . والى اليوم تجرى بعض الاحكام فى السودان على المذهب الحنفى . وسوف يذكر محمد شريف فيما بعد ايضا انه على هذا المذهب . ولسنا ندرى هل كان حقا عليه ام ذكر ذلك مشايعة للنظام التركى .

(٢٠) اى ان نصح المسلمين من أحسن ما يتقرب به الانسان الى ربه .

(٢١) اشارة الى عمل آبائه واجداده فى خدمة الدين . انظر نسبه فى الشاعر السودانى محمد سعيد العباسى للدكتور احمد عبد الله سامى ، ص ٢٠ - ٢٣ .

(٢٢) هكذا ، والصواب اما : كل ضال ، او كل من ضل .

الرشاد ومعرفة احوال جميع ما فى السودان من اهل الهدى والايمان والضلال والبهتان (٢٣) .
وان محمد احمد المتمهدى (٢٤) *الدنقلاوى الخناقى* (٢٥) قد كان تلميذى وتابعى فى *طريق الرشاد* وخادمى فى كل ما هو لازم عشرون سنة . ولما سلك طريق السير وظهرت له معالم الخير وشم من رائحة نفحات الذكر تجبر وتكبر بتزيين شياطين الانس والجن (٢٦) ، وكذا شدة الفقر ومرارة العسر ، فادعا دعواه الشيطانية وخالف امرى وخرج من يدى بالكلية . فجمعت اليه القضات والنظار وما فى الاقسام الثلاثة (٢٧) من الاخيار وراجعته فى الرجوع عما ادعاه من الضلال واشهدت الله ورسوله والحاضرين ان رجع اشاطره فى جميع ما ملكت يدى من الاموال، فخرج من مجلسنا لمشاورة ما معه من الاصحاب فمنعوه من الاياب فثبت بذلك ان لا مفر من القدر . *فلما ايقنت من رجوعه* (٢٨) *اخذتنى الغيرة الاسلامية والشفقة الدينية على نصح العالمين* فى جميع الجهات من المذكور ومن وافقه من المفسدين بالحق المبين ، ولأن عموم اهل الذكر بالبر عهدتى ، وانا فى ذلك حتى امرنى شفاها سعادتلوا عبد القادر باشا (٢٩) بأن اكتب نصيحة مستوفية تسر العلماء والمتقين وترهب الطغاة والباغين . فبادرت اليها طمعا فى رضاء الله تعالى

---

(٢٣) يذكر ان هداية الضالين عن الرشاد كانت مهمة آبائه واجداده بحكم مواقعهم الدينية وانه ورث عنهم هذه المهمة ، ولكنه يشير بطرف خفى الى ان المهدى واتباعه مضلون عن الرشاد وانه يقوم بمهمة هدايتهم . ثم يضيف انه على معرفة بأحوال الناس فى السودان من راشدين ومضلين بحكم مقامه الدينى ، اى انه بتعبير القوم من اهل الكشف . وانظر مثلا ادناه قوله : ولأن عموم اهل الذكر بالبر عهدتى .

(٢٤) « محمد احمد » هو اسم المهدى الذى سمى به وقد عدله فى ١٢٩٩ الى محمد المهدى بن عبد الله. والمتمهدى صفة يلصقها به اعدائه لأنهم يعتبرونه مدعيا ، وقد سموا اتباعه بالدراويش والاشقياء . ويتبع محمد شريف نفس المنحى فيشير اليه بالمتمهدى .

(٢٥) الدنقلاوى نسبة الى بلده دنقلا ، وتقع دنقلا فى الولاية الشمالية ، والدناقلة ليسوا قبيلة وانما سكان اقليم دنقلا ، وهم فرع من فروع النوبة الثلاثة ، وهم يتكلمون لهجة نوبية خاصة بهم . والخناقى نسبة الى الخناق وهى منطقة تقع جنوب مدينة دنقلا وشمال جزيرة الاشراف التي يقطنها اهل المهدى ، اى ان الخناق ليس بلده . ويحاول محمد شريف بلفظ المتمهدى والدنقلاوى والخناقى النيل من محمد احمد .

(٢٦) يحاول محمد شريف هنا محاولة تغليف ما جرى بغلاف صوفى يعنى انه ضل قبل كمال الولاية بفعل الشيطان . وقال شياطين الانس والجن ، ومعنى ذلك انه يتهم بعضا باغوائه وربما كان مقصده تلاميذه .

(٢٧) يفصل الشاعر ادناه فى " فصل حقيقة تابعنا محمد احمد الخ " من اتى بهم من هذه الاقسام الادارية المجاورة للجزيرة ابا للنظر فى الخلاف بينه وبين محمد احمد .

(٢٨) هكذا ، والسياق على : عدم رجوعه .

(٢٩) عبد القادر باشا حلمى (١٨٣٧ ـ ١٩٠٨) ، جاء حكمدارا عاما على السودان وقائدا للقوات المصرية فى السودان بعد استدعاء محمد رؤوف باشا اثر اتساع الثورة المهدية. وقد بذل جهودا مشهودة لضرب الثورة واعادة النظام وحرض العلماء على دحض مهدية المهدى ، وكان من ثمار ذلك قصيدة محمد شريف هذه . راجع : هيل ، معجم الشخصيات ص ١٣ ـ ١٤ .

ورسوله صلى الله عليه وسلم وابتغاء مرضات ولى نعمتنا افندينا الخديوى المعظم (٣٠) ، نصره الله ورفع فى سماء المجد علاه . ولا ريب ان محمد احمد هو قايد الفتنة السودانية والمصيبة العظيمة الوطنية (٣١) ، منوها على انهم (٣٢) بعد الرغبة الشيطانية سيندمون ، وبعد الاقبال عليه باللعنة يرجعون .

ولعلمى انه ما بنا دعواه هذه الا لازالة فقره وعسره بأخذ الاموال وسبى النساء والاطفال وقتل من يخالفه من الرجال فأعلنت لهم بذلك واسررت فلم يصغوا للمقال ولم يرجعوا عما هم فيه من الضلال . وبالمعلوم ان الجاهل العطشان اذا تراءى له السراب فى الارض يتيقن انه البحر فيقصده بكامل همته ليزيل عنه بالشراب عطشه ، فاذا جاءه ولم يجده شيئا رجع . وجدير لدى انه سيقع بهم ما ذكرناه وسيظهر لهم ما حكيناه كما تضمنته نصيحتنا هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الله ناصحت العباد بما ادرى	وبينتها فى الرسم بالنثر والشعر	١
لئلا أحاسب أو ألام(٣٣) بكتمها	لأنى ارى ما لا ترون من الامر	
وذلك صندوق وما فيه من يدى	ومفتاحه عندى ولم يدره غيري	
وان لم اجاهر بالنصيحة انني	كمن يبصر الاعماء(٣٤) يسقط فى البير	
وحاشا وكلا أن اكون كمثله	ولى منزل الاجلال فى دولة الخير	٥

١ . فصل فى بحرها ومآلها وما يتعلق بذلك :

وجاء من البحر الطويل جمانها	وآياتها تهدى كما الانجم الزهر	
وأقوى من الجيش العرمرم منعة	ترى عندما تتلى على العاقل الحر	
وذلك الهام من الله منبىء	ولم يتأتى بالتدبر والفكر	
وتمحو ضلال المفسدين بهديها	وتنصر للشرع الشريف على النكر	
وتهدى الصراط المستقيم بنورها	وتوعد اصحاب الحكومة بالنصر	١٠

(٣٠) الخديوى لقب والى مصر ، والافندى هو من يلبس الملابس الافرنجية ، اى بخلاف الشيوخ وهو كناية عن رتبة وظيفية ايضا . وافندينا يقصد به الخديوى نفسه . والمقصود الخديوى محمد توفيق باشا ابن الخديوى اسماعيل باشا (١٨٥٢ - ١٨٩٢) ، وقد خلف والده فى الحكم اثر عزله فى ١٨٧٩ . وفى عهده قامت الثورة العرابية فى مصر والثورة المهدية فى السودان .

(٣١) وصف الشاعر الثورة المهدية بانها الفتنة السودانية الخ ، ولا نرى ان يصف المرء المصيبة بانها عظيمة ، ولو قال الكبرى لكان أحسن . وبالوطنية يعنى ما حل بالوطن ولكن العبارة بهذا السياق تذهب بعيدا عن غرضه .

(٣٢) يعنى اتباع المهدى .

(٣٣) فى الاصل : اولام ، وقد عدلنا اتساقا مع سياق الكلام الى او الام . وفى ق حسبما قرأنا .

(٣٤) يقصد : الأعمى ، وقد جعله الاعماء لمقتضى الوزن .

ولولا القضا ما ضل من بعدها فتـى هى النور للظلما هـى الماء للجمـر
وما قلتها هزلا على النـاس انمـا على الفصل والتحقيق بينت عن خبـر
وانى دعـوت اللـه جـل جلالـه ليهدى بها من ضل عن مهيع الخيـر
بأمر حكمدار العموم (٣٦) نظمتـها وبينت فيـها كـل شـىء كمـا ادر
وان تجدوا فى النظم خطأ فأعـذروا لما نحن فيه من حروب ومـن حصـر ١٥
انا الطيبى الخرطومى وضعا ونشـأة انا المدنى المكى جـوارا انا المصـرى
محمد شريف الاسم، واللقب والسنى ابو هاشم ، مولى عموم ذوى الذكـر
ولى عشر اجداد على العلم والتـقى وما فوقهم كانوا على الملك والقهر(٣٧)
فعوضهـم ارشـاده (٣٨) لعبـاده عن الملك بالشرع الشـريـف وبالذكر
وكل امـام نفـذ اللـه امـره يرتب ما يكفـى مـن الخيـر كالغير ٢٠
فطاب لنـا هـذا وطابـت نفـوسنا بطاعة مولانـا المؤيـد بالنصـر (٣٩)
ونحـن على بسـط بـآلاء ربـنا علينا وطيب العيـش والعلـم والذكـر
وفى الأصل والطرق المقـدس طيـبى وللزهر (٤٠) والعبـاس نسبتنـا فـادر
بذا حفظ الوالـى مقامـى وحرمتى ومن ذا تبعت الأمر فى كل مـا يجـرى
امام (٤١) الامام الأعظم ابو حنيفـة ومذهبنا البـاقى الـى آخـر الدهـر ٢٥
ومن كان فى جهـل بعلـم حقيقتـى فهـذا بيـان كافـى للـذى يـدر

٢ . فصل فى احسان الحكومة علينا ورفعتها لنا بصدقنا معها وهذا بعض من جواهر الفاظها فى ذات اوامرنا كما ترى :

لقد رفعـت قـدرى وقالـت صديقنـا محمد شريف باشا الامر فى القطـر
ضورى اضم حضرتلرى بنغند مز(٤٢) وقاسا معى كـل الشدايد فى البـر
فما ضاع مـن اموالـه نعطهَا لـه كذا الدين واستحقاقه الشهر بالشهر
مكـافـاة منـا لـه كـأصـولنـا ونوليه ما شـاء فـى البـر والبحـر ٣٠

---

(٣٥) تمزق الورق هنا بفعل الطى فاختل رسم الكلمات ، وقد صورنا الصفحة ثم قطعناها فى نفس الموضع ثم جمعنا طرفيها فتبين النص واضحا . وسوف نكتفى فيما يلى فى مثل هذا الموضع بعبارة : تمزق فى الورق .

(٣٦) لقب حاكم السودان عندئذ ، ويقصد به عبد القادر باشا حلمى الذى حثه على وضع القصيدة .

(٣٧) يذكر عشرة من اجداده خدموا الاسلام دعاة ، اما الحكام قبلهم فيعنى بهم – فيما نظن – الخلفاء العباسيين .

(٣٨) لا بد ان يكون « ارشادهم » ليتسق اللفظ مع السياق .

(٣٩) تمزق فى الورق .

(٤٠) اشارة الى فاطمة الزهراء بنت الرسول .

(٤١) هكذا ، والمقصود : امامى . انظر الحاشية ١٩ .

٣ . فصل قال الناظم فيما انطوت عليه نيته مع الحكومة بسبب الاحسان والاحترام وحفظ المقام :

لذاك امــوت واعيــش مكـرمـا	على طاعة السلطان والداورى المصرى(٤٣)
وعـاديت اعــداء الحكومـة كلهــم	الى ان يفيئوا او يموتــوا علـى الخسـر
ونفســى واتباعى ومــا ملكت يــدى	على عهـد ذى الاستـانة (٤٤) ملك الخيـر
وموتى على هــذا جدير وانــــه	لحفظ مقامـى والـديانــة والبـــــر
وقيدنى الاحسان والعيش والوفـــا	وكم مـات بالاحسان والعيش من حــــر ٣٥
ونسبتنــا فهريــة هـاشميـــــة	ودأب قريش لا يخونـــون فـــى الامـــر

٤ ـ فصل فى حقيقة تابعنا محمد احمد بن عبد الله النجارى الخناقى (٤٥) فى الدنيا والآخرة يومئذ بالناد المشهود الذى اجتمعت فيه القضات والنظار وجميع ما هنالك من الاخيار(٤٦) كعبد الرحمن اللبيح ناظر اللحويين وما معه من العشيرة واحمد جفون ناظر العرب الشانخاب وابراهيم بشير الكنزى ويوسف ابو جمعه ناظر قسم الجزاير والكوة ومحمد حسن قاضى الجهة وغيرهم من العمد والعمار بجزيرة ابا وكان ذلك ملما عظيما ، فما جرا فهو كما ترى :

فهاكم عبــاد الله قــولا مبينـــا	به فاسلكوا سبل النجات من الشـــر
الا ان هذا صاحب الناقة الــذى	يفوق على الدجال فى السفك والجــور
وكان لدينــا عيشــه صدقاتنـــا	وخادمنا عشرون عاما من العمر (٤٧)
لقد حصحص الحق وحينئذ انــا	تبرأت منه اليـوم فـى الســر والجـهر ٤٠

٥ ـ فصل فى بعض اخاريفه وغشه لمن اتبعه من الجهلاء والمفسدين :

اكاذيب ابداها فمنــها عــن النبـى	ومنها عن الله و منــها عــن الخضـــر
كاخباره بالخسف والمسـخ للعــدا	وكم من قديــر من ســلاح ومن تبـــر
ومن بعضـــها تحليــل كل جميـلة	ولو ذات بعــــل دون عقــد ولا مهــــر
ومنها روى فى (٤٨) زوجة المتخلف	ما لم يكن فــــى المسلمـين ولا الكفـــر

(٤٢) عبارة تركية لا نعرف معناها .

(٤٣) الداورى : لقب للخديوى محمد توفيق ، وسيرد هذا اللقب ادناه .

(٤٤) ذى الاستانة : يقصد به السلطان العثمانى فى الاستانة .

(٤٥) النجارى نسبة الى مهنة النجارة التى امتهنتها اسرة محمد احمد ، ويقصد الشاعر بالعبارة الحط من مكانة المهدى بنسبته الى هذه المهنة الوضيعة فى نظره . وقد سبق شرح : الخناقى .

(٤٦) لا تتوافر معلومات كافية عن الذين يذكرهم من بعد وعسى ان يقوم غيرنا بالبحث عنهم .

(٤٧) هذا البيت مما نقله نعوم شقير عند كلامه عن الخلاف بين محمد شريف ومحمد احمد ، وقال « عشرين » بدل « عشرون » .

(٤٨) قال نعوم شقير هنا «عن» بدل «فى» هنا .

ومنها اصلى فى الجوامع كلها   الى المسجد الاقصى ولم يدر ما يجرى   ٤٥

ومنها انا المهدى منتظر الورى   ولم يستحى (٤٩) من عالم السر والجهر

فوالله بالله وتالله كاذب   محالفه فى الاسلام والجسم والسير

وان كان ذا جروا الى الله لحيتى   وقولوا له هذا نهانا من الخير

وان لم يكن هذا الشقى وصحبه   من الكفر اين الكافرين اولوا الشر

ولا شك عندى فى المكافا والرضى   من الرب والمروب ثم ولى الامر (٥٠)   ٥٠

٦ ـ فصل فى نسبه وشريعته ودعائه الى الله تعالى :

هو المتمهدى الدنقلاوى فاعلموا   هو الخارجى السودانى ذى الظلم والجور(٥١)

هداه ضلال والاباطيل شرعه   مخالف للاسلام والملل الغير

دعاه الى الله رياء وحيلة   لعمركموا شر تظهر بالخير

وما هو الا شقوة ومصيبة   بما كسب السودان من عمل الشر(٥٢)

ويبغض اهل العلم ثم اولى النهى   ويهوى شرار الناس والجاهل الغمر   ٥٥

٧ ـ فصل فى ملكه وماله :

وما ناله فى المال والملك والعلا   جزاء بما قاساه من عمل الخير

وليس له فيما عدا ذاك من رجا   كما يرتجوا اهل العبادة والذكر

٨ ـ فصل فيما حرمه من المباحات وما اباحه من المحرمات وما نهى عنه من الجائزات والواجبات :

وينهى النسا عن حليهن وان بدا   بها حكمه عن رأسها ينتف الشعر(٥٣)

وينهى عن التنباك نهيا كأنما   اتى منعه فى الذكر من شدة الزجر

وينهى عن الكسب من الاخذ والعطا   وينهى عن الحرث وعن سبب الخير   ٦٠

---

(٤٩) هكذا وقد جعله نعوم شقير : يستح . والأبيات من ٤١ الى هذا البيت هى الأبيات ١ - ٦ من الطرف الذى ينقله نعوم شقير عند تعرضه للمهدى ومهديته .

(٥٠) عجيب من الشيخ ان ينتظر المكافأة من الحاكم (المربوب ثم ولى الامر) فى امر يراه مخالفا للدين ، كان ينبغى ان يجعل موقفه على الركيزة الدينية وحسب ، ولكن تركيزه الحقيقى على شخص المهدى وتصفيته وان يحقق ذلك وضعا اقوى عند الحكومة .

(٥١) طمس هذا البيت بفعل الطى ، وقد تبينا رسمه بصعوبة ، وبلفظ السودانى يقصد الشاعر وضاعة الاصل بتعبير ذلك الزمان ، باعتبار انه لا ينتمى الى قبيلة معتبرة .

(٥٢) هنا فكرة « شيطان مجلد بجلد انسان » .

(٥٣) هذا البيت والى البيت ٦١ هى الأبيات ٧ - ١٠ من الطرف الذى ينقله نعوم شقير عند تعرضه للمهدى ومهديته (ص ٦١٧) . وقد عدل فى نص البيت ٥٨ فقال :

وينهى النساء عن حليهن وان بدت   بها كان منه والحكم بالنتف للشعر

وقال فى البيت ٦٠ :

وينهى عن الارباح فى الاخذ والعطا   ويمنع عن حرث وعن سبب الخير

وينهى عن العلم وعن كل واجب ويأمر بالمنهي وينهى عن الامر
يذم .... في المجالس كلها وينهى عن الجود وينهى عن البر(٥٤)
وكان فسادا للديانات كلها فمن ذا يرى المغضوب يرجع للخسر
وينهى عن الحج وينهى عن النبي وينهى عن الدرس وينهى عن الذكر (٥٥)
يبيح حرام الدين كالمال والزنا وسفك الدما والبيع للمسلم الحر ٦٥
وينسخ حكم الله بالرأى والهوى ويأمر بالقاء الشريعة في البحر
فهل عجب من فوق ذلك يذكر وهل مخرج للمفسدين من الكفر

٩ ـ فصل في حضرته المشهورة وذاته ودينه :

وحضرته ناد الاذى ورجالها الشـ ـياطين ابناء السفاح مع السكر
واقبح خلق الله ذاتا ودينه هو الافك والتحسين للغش والنكر
فلو كان هذا الدين كنت اناله كما انه لي من اصولي بلا فخر ٧٠

١٠ ـ فصل في النصح للتجار والعمار ومن رأى ان هذه المهدية حق :

فوالله بالله وتالله انهم يسومونكم سوء العذاب من الجور
ولا ريب ان الحي منكم يرى الذي ذكرناه في الازواج والمال والعمر
وانبا قوم السوء بالنبا الذي هو السلب عن ثوب الديانة والطهر
كاخبارهم ان الجميلة فندك فيضرب زيد ثم عمر الى بكر
ويزعم بالجلّ المركب فضله على الانبيا الا الرسول فنو شطر(٥٦) ٧٥
وهم افضل الاصحاب من عهد آدم الى عمر الفاروق ثم ابى بكر (٥٧)
وفطرتهم يزنوا يلوطوا(٥٨) ويسرقوا ولم يصدقوا في القول من خشية البر
ولم يعرفوا لله غير اسمه فقط وان عهدوا عهدا فكالخط في البحر
ولم يتركوا شرب النبيذ وغيره من الموبقات المسكرات من الخمر

---

(٥٤) طمس هذا البيت بفعل الطى ، وبعد عبارة يذم عبارة ساقطة . وهذا البيت ليس مما ينقله نعوم شقير ولا ق .

(٥٥) هذا البيت والى البيت ٦٦ هي الأبيات ١١ - ١٣ مما ينقله نعوم شقير (ص ٦١٧) عند تعرضه الى المهدى ومهديته . ويقول نعوم شقير في البيت ٦٤ ويمنع عن حج بدل وينهى عن الحج ويمنع عن درس بدلا عن وينهى عن الدرس وفي البيت ٦٦ يقول ويقضى بدل ويأمر .

(٥٦) هذا هو البيت الرابع عشر فيما ينقله نعوم شقير عند تعرضه الى المهدى ومهديته .

(٥٧) يشير الى وضع اصحاب المهدى بالنسبة الى البشر وقولهم بأن الانصار خلفاء صحابة الرسول وان ادناهم في رتبة الجيلاني وان الخلفاء الاربعة الذين يلون المهدى هم خلفاء الخلفاء الراشدين . ولعله ايضا يشير الى تقديم المهدى على ابى بكر وعمر ، وهذا من بعض ما قاله بعض المتكلمين عن المهدى ، ولكن المهدى نفسه لم يقل بهذا ، وقد ناقش زهرا والعبادى في رسالتيهما هذا الامر، فارجع اليهما ان شئت . وفي هذا يقول علماء الخرطوم في منشورهم الى عبد القادر ام مريوم والنجومى « كما نستحى ان نرد مساوات امامكم للضعفاء ارقاء الدين الذين هم كالبهائم بل هم اضل بالخلفاء الراشدين » .

(٥٨) هذا اسفاف ، والمهدى وجماعته كانوا مشددين هنا ان جئنا الى الحق . واشتطاط الشيخ في الفقرة كلها واضح ، رحمه الله وغفر له.

وفى الامـــم الماضين ليس كمثلهم　　　سوى قوم لوط فـى الفواحــش والمكر　　　٨٠

١١ ـ فصل فى روسايهم :

فعامر ثم ابن البصيـر كـــذا زقــل　　　وثـم الضكيـر ثـم ابـــن ابى بكـر
وطــه ومَنّه والهـــدى وحسينهـــم　　　كذا كركساوى ثم ابى قرجه والشكر
وولد النجومى ثـم ابى عنجه هـاهـم　　　الذى افسدوا السودان بالبروالبحر(٥٩)
ولم يعلموا من جهلهـــم بضلالهـــم　　　وما ياتهم فى المـال والعـرض والعمـر

١٢ ـ فصل فى خطاب رجال الحكومة بالتحاكم بينهم وبين هذا المتمهدى على الكتاب والسنة واعراضهم :

الى المتمهدى ثم اصحابه اعلمـوا　　　تعالوا نـرد الدعوى للشرع كالامـر　　　٨٥
بتحكيم ذى علـم بشـــرع محمد　　　واربعة مـــن اكمل الناس فـى البــر
فـان تك دعواكم على الحق نتبع　　　والا فكونـوا تـابعين الـى الامـــر
فاعرض مهديهم واعرض صحبه　　　وقالوا كفى بالكبس والبيض والسـمر
وهـذا دليل قاطـع فـى ضلالهم　　　ولــم يتوهـــم بعــد ذلـك ذو فكـــر

١٣– فصل واعلان لكل من على وجه الأرض من مسلم وكافر وانس وجان .

١٤– فصل فى بعض الفتــن التى اخبر النبى صلى الله عليه وسلم بها من بعده الى يوم القيامة.

١٥ ـ فصل فى نصيحة السودان على الخصوص :

فيا ايها السـودان تالله تندمـوا　　　على ما فعلتم من ضـلال ومن مكــر　　　٩٠
كجبلة بن الايهم فـى الندامــة　　　وخبتم بكسر لـم يكن فيه من جبــر
فتوبوا الى الله جميعا واسلمـوا　　　عســى ولعـــل اللــه يغفــر للـــوزر
وما جركم للبغــى الا غناكمـــوا　　　فسوف تروا ما تكرهون من الضـــر
تموتون جوعا مثل ما كان سابقا　　　لاجدادكم ماتـوا من الجـوع بالجـور
ويرجع اشقاكم الى فعله الــذى　　　به كان معروفا من الفسق والخمـــر　　　٩٥
سينكشف الايهام عنكم وحيكـم　　　يرى زوره كالشمس فى اول الظهــر
ومن بعد هــذا المدح تاتـوا بضده　　　ومن بعد قدحى تشهدون على خيـــر
وان جاءكم هذا البيان فصدقـوا　　　وكونـوا علـى علـم ولا تجهلـوا قــدر
فانى بنور العلم والذكر مهتـــد　　　ولم اتوهم فى الســـراب مـن البحـر

---

(٥٩) يذكر الشاعر فى الأبيات ٨١ – ٨٣ عددا من قادة المهدية ، وهم بترتيبه :
عامر المكاشفي ، محمد الطيب البصير ، محمد خالد زقل ، محمد الخير عبد الله خوجلى ، عثمان ابوبكر دقنه ، الشريف احمد ولد طه، المنه اسماعيل ، احمد الهدى السوارابى ، الحسين ابراهيم زهرا ، كرم الله الشيخ محمد كركساوى ، محمد عثمان ابو قرجة ، عبد الرحمن النجومى وحمدان ابو عنجة . وعبارة «ذوالشكر» لا تشير الى اسم وانما دعت اليها القافية.

وهـذا خيـال والذى ارضه لكـم | تكونوا للسلطان فـى النهـي والامـر ١٠٠
وان قلتم الارشاد للدّين والهـدى | فهـذا كتاب اللـه مـع سنـة البـدر
ونحن لـه والمهدى مـن خـدماينـا | وقـد تعلمـوه بـى ونقطـة مـن بحـر
وقلت لكم فيئـوا فـوالـلـه فتنـة | وان لـم تفيئـوا لا سبيـل الـى العـذر

١٦ ـ فصل فى التحريض على قتالهم :

ألا غيـرة فـى الدين يا مسلمين لا | ألا غيـرة فـى اللـه والهتـك للستـر
اما مات خير النـاس طـه نبيكـم | الى كم تعيشوا فى الخداع وفى النكر ١٠٥
فقوموا عليـهم واقتلـوا كل مفسد | عسى ربكم يرضى عليكم من الخسر
ولو تعلموا مـن بعـض نيتـه بكـم | علمتـم بـأن المـوت خيـر مـن الغيـر
دعوا الحرص والمألوف وارضوا بيو | مكم فراحتكم فى الموت هذا او النصر
فوا حسرتـى ان مت قبل لقايـهم | على صافنات تنبت الرعب فى الصـدر
عليها ليوث الحرب صحبى وبعضهم | يفوقونـه فـى قـوة العـزم والصبـر ١١٠
فاسـألك اللهـم بالدعـوة التـى | دعاك بها موسى كليمك والخضـر
لتقتلهم بالسـيف من سـوء فعلهـم | وتملـوها عـدلا كمـا مليت جـور
نؤم بـه الرضـوان عنا ويكسنـا الـ | ـمقـدم اثواب الجـلالة والقهـر

١٧ ـ فصل فى خروجى عن الدعوى :

ولست بـذى دعـّوى وانـى تابـع | لقوم التقى اهـل الشريعـة والذكـر
وليس من الكشف الصريح مقالتـى | على الغيب فيما جاء فى النظم والنثر ١١٥
وذلك آيـات وحكمـة مهتـد | من شاء من نور الفراسـة والفكـر
وبالبعض يدرى الكل عند اولى النهى | وبالمطلـع يـدرون عاقبـة الامـر

١٨ـ فصل فيما اخبرت به فيه وما رأيت فيه من الرآوى الصادقة المعلومة لدى :

واخبرنـى مـن اعتقـده بـأنـه | سيزنى وفى العقبى يموت على الكفر
وفى اسوأ الحـالات يقبـض آيسـا | ولـم يتعدى شخصـه مقـرن البحـر
فاشمت بنا اعـداء ديـن محمـد | الا لعنة اللـه عليـهم مـدا الـدهـر ١٢٠
فسـاد لا فسـاد البـلاد كـاسمـه | من الخير والايمـان بالسوء والشـر
واعـوامـه داء واشهـره دهـم | وفيها يكون القبر اشهى من القصـر
ففتنتـهم عنـدى ليستخلفنهـم | بها تنتهـى واللـه اعلـم بالسـر(٦٠)

١٩ ـ فصل فى اختلاف روسايهم وهزيمتهم ورجوعهم على طايفتين الى الغرب :

ويختلفوا اهـل الرياسـة عندمـا | ينـادى منادى الخير للنـاس بالخيـر
ويهـزمهـم عبد الحميـد بجيشـه | وينصـر بالاسـلام والـدول الغيـر ١٢٥

(٦٠) طمس هذا البيت بفعل الطي ، ونحسب اننا قرأناه قراءة صحيحة .

ويرجع باقى المفسدين لغربهم … على فرقتين بالندامة والكسر
ويتبعهم آلى بكل موحد … على مذهبى للطعن والقتل والاسر
ليحظوا من الله بمحو ذنوبهم … ومن ملك الاسلام بالجود والبر
وان قوام الامر نجل مبارك … وتابع صدق بان فى الخير والشر

٢٠ ـ فصل فى النهى عن تصديقه وذكر سلطان الاسلام بالاستانة العلية دار السعادة والاكرام :

وفى طاعة السلطان رضوان ربكم … ففوزوا بها للخير والعز والنصر ١٣٠
دعوا قول افاك مضل مخالف … يفندكم فى الطاعة لولى الامر
وسلطان كرسى الدين من جد جده … وخادم بيت الله والمصطفى البدر
تقى نقى حاكم بالشريعة … وفى كل عام يندب الشامى والمصرى(٦١)
{حامي} الحرمين المكى والمدنى ومن … يكن فيهما بالخير فى العسر واليسر(٦٢)
وجود جميع الناس من بحر جوده … وابحرهم من بحر مولانا كالقطر ١٣٥
ولم اخش فيه قط لومة لايم … وودعتهم والجيش والحظ والعمر
فان مت حسن الظن بالله يكفنى … وان عشت فالسلطان يجبر لى كسري
وانى على علم بمعلوم فضله … ولم لى سواه ما اشد به ازري
هو الفاعل المعلوم بالله فى الورى … هو المفرد المرفوع فوق اولى الامر
باستانة الخير العلية قاطن … الى الله يرعى الحق فى السر والجهر ١٤٠
وقدمه المولى وآل محمد … وقام لدين الله كالنهى والامر
وآلاوه عمت لكل موحد … ولا سيما الاصحاب كالناظم الشعر

٢١ ـ فصل فى ذكر الحكومة المصرية وواليها وبعضا من ذواتها الكرام :

حكومة مصر زادها الله رفعة … وايدها بالعدل والعز والنصر
فمنها علوم الدين والعقل والذكا … وما حكمة الا وتعزى الى مصر
خديويها المعروف بالداور السنى … له العدل ميراث وفى الجود كالبحر ١٤٥
لقد هذب السودان حتى تمدنوا … ومن قبله كانوا على صفة الحمر
لقد زاد فى الانعام لى ولعترتى … بقدر الذى يكفينا نصرفه شهري(٦٣)
نقودا وعيشا والجزاير كلها … وشرقا وغربا ما نشاء من البر
وارض ابا كلا وما اتصلت به … من القوز للشوال بالبر والبحر
فيا مرحب الترك ملوك الجلالة … عليهم سحاب العدل يمطر بالخير ١٥٠
وقال النبى فى الثناء عليهم … حديثا بحرف الجيم فى المسند البدر
وقال على كرم الله وجهه … ستبكوا عليهم بالدموع مدا الدهر

---

(٦١) يشير الى مجلس الاعيان الذى اسس فى هذه الفترة فى الاستانة على نحو البرلمان وكان لكل بلد يتبع السلطنة مندوبون ينوبون عنه.
(٦٢) حامى الحرمين ، سلطان البرين ، خاقان البحرين : القاب فخريه اتخذها السلطان العثمانى .
(٦٣) يعنى انه كان يتلقى مرتبا شهريا .

وينصر جيش الترك دين محمد وسنته البيضا على منهج النكر
وما قاله الكرار من موجب البكا سياتى بلا ريب على الرق والحر
ومنه لعل الله ينجى بفضله وفى ملكهم نحظى ونحفظ بالقبر ١٥٥

٢٢- فصل فى الترك :

٢٣- فصل فى ذكر عبد القادر باشا بالخصوص (٦٤) :

الا ايها السودان قد طاب بركم بطلعة عبد القادر صاحب الامر
كريمٌ وعدل والكمالات وصفه لنصر افندينا لقد جاد بالعمر
بسنار وام دكت وتيق وغيرها وهم قاصدوه بالرصاص كما القطر
وما فارق الميدان فى كل وقعة وما رضى التاخير فى الحرب كالغير
حين التقى الجمعان اول ضارب على المفسدين الخارجين من .... (٦٥) ١٦٠
الى ان اصابته العدا برصاصة ونيشانهم قابض الى القلب فى الصدر
فردت باذن الله من عين قصدهم الى الساعة واللبس باللطف والبر
وما زال محفوظا بنية قلبه وما زال خواضا وما زال فى النصر
افندينا لو يعلم حقيقة حاله وهمته العليا لابقاه فى البر
وان مراد الله فوق مرادنا ولا رب الا الله يكشف للضر ١٦٥

٢٤- فصل فى ذكر اخى الزبير رحمت باشا العباسى بمصر:

زبير افندم ساد فيهم بامركم ومقبل للآلاء بالحمد والشكر
فان يرى افندم تندبوه لحربهم فعما قليل يأتكم نبأ النصر
زبير افندم من اياديكم التى بها دخلت فى سلك طاعتكم فور (٦٦)
هوالفضل وابن الفضل والفضل طبعه وميراثه ذا لا لزيد ولا عمر
هو الرفع والمرفوع من رافع السما ولا ريب من عاداه يخفض بالكسر ١٧٠
هو العلم المعلوم فى الارض كلها وكم جاءكم اغنى حقيرا من الفقر
هو الملك العباسى بضعة هاشم فيا حبذ النضرى خير بنو فهر

---

(٦٤) راجع وقائع الثورة فى عهد عبد القادر باشا فى تاريخ نعوم شقير ، ص ٣٥٦ - ٣٦٣ . وقد قاد عبد القادر بنفسه ثلاث وقائع هى : واقعة معتوق ، واقعة الداعى ، واقعة التبنة . وتمت الوقائع الأخرى بقيادة رجال ارسلهم عبد القادر عاقدا لهم القيادة وأهمهم صالح الملك . وفى تقديرنا أنه بولغ فى دور عبد القادر . وقول الشاعر : وما فارق الميدان الخ البيت لا يتسق مع هذه الوقائع ، والقول بأن النيشان حمى صدره من الرصاص مبالغة شاعر . وفى واقعة الداعى اصابته رصاصة فى جنبه وحطمت ساعته ولكن دون ان تنال منه شيئا ، وهذا الذى يشير اليه الشاعر بقوله : « الى الساعة واللبس باللطف » .

(٦٥) وقع طمس فى هذا البيت ولم نتبين منه الا الذى نقلناه . ولم ينقل ق هذا البيت . والبيت الذى قبله يتعرض فيما نحسب الى رؤوف باشا بقوله : وما رضى التأخير فى الحرب كالغير .

(٦٦) يشير الى ضم دارفور الى ادارة السودان على يد الزبير باشا .

٢٥- فصل فى بداية صحبة محمد احمد معنا وحسن معاملته قبل الدعوى :

لقد جاءنى فى عام عـــز لموضـع	على جبل السلطان فى شاطى البحر(٦٧)	
يروم الصراط المستقيم على يـدى	فبايعته عهدا على النهـــى والامـــــر	
وان يتخلــق بالمكـارم والوفـــا	كقوم الصفا اهــل الشريعـــة والذكــر	١٧٥
كما فى كتاب الله والسنة التـــى	بها جاء خيـــر المرسلـين مـــن البـــر	
فقام على نهج الهدايـة مخلصـا	ولازم للاذكار فـى السـر والجــــهر(٦٨)	
وبالغ فى كل الامـــور الحميـــدة	فقدمتـــه جهــلا بعاقبـــة الامـــــــر	
اقام لدينـا خادمـــا كل خدمـــة	تعز على اهـل التواضـع فـى السـير	
كطحن وعوس واحتطاب وغيـــره	ويهدى عطا من لا يخـاف مــن الفقـــر	١٨٠
بذا كان محبوب الفواد وراحتـــى	لكل مهـــم والمقـــدم فـــى امـــــري	
ونال مقام الخير من لحظة الرضا	وكان يساوى الالف من صادق حــر(٦٩)	

٢٦- فصل فى حسن معاملته مع الله قبل الدعوى :

وكم صام كم صلى وكم قام كم تلى	مـــن الله لا زالـت مدامعـــه تجـري	
وكـم بوضـوء الليل كبّـر للضحـى	وكم ختم القـرآن فـى سنـة الوتـــر	
لذاك سقى من مشرب القوم شربـة	بها كان محبوبا لدى الناس فى البر(٧٠)	١٨٥
ومنها بدا نـور الهدايـة باسمـا	واذعنــت المخلـوق للنهـــى والامـــر	
فقال انا المهدى فقلت لـه استقم	فهذا مقام فى الطريق لمن يـدرى (٧١)	
فسر بطريــق اللـه للـه واعتقـــد	وجاهد تشاهـد ما يسـرك فـى السـير	
وقال له الشيـطان بشـر ولا تخـف	فانـك منصـــور على البـــر والبحـــر	

---

(٦٧) هذا البيت وما يليه هما البيتان الاول والثاني مما نقله نعوم شقير عند كلامه عن الخلاف بين محمد شريف ومحمد احمد (ص ٣٢٤) . وقال هذا المصدر « زع » بدل « عز » هنا ، ولا فرق فى الحساب بين الأمرين ، إذ الكل يبلغ ٧٧ بنظام الجمل . وقد زادت نسختنا « رقم ٧٧ » بعد لفظ عز بيانا للعبارة . والعبارة تؤرخ على نظام الجمل لعام ١٢٧٧ هـ وهو تاريخ التحاق محمد احمد بمحمد شريف . وينقل نعوم هنا ٢٦ بيتا بين ٣٢٤ و ٣٢٥ .

(٦٨) الأبيات من هنا الى ١٨٠ هى الأبيات ٣ – ٦ مما ينقله نعوم شقير فى الموضع نفسه . وفى البيت ١٧٧ يقول هذا المصدر « الأنكار » بدل « للأذكار » ، وفـى البيت ١٧٨ يقول :

وأفرغ فى مهج المحاق جهده   فرقيته جهلا بعاقبة الأمر

وفى البيت ١٨٠ يقول : « ويعطى » بدل « ويهدى »

(٦٩) انظر هذا البيت وقبله لترى ما كان عليه الامر قبل الخصومة .

(٧٠) الأبيات ١٨٣ – ١٨٥ هى الأبيات ٧ – ٩ مما ينقله نعوم شقير فى الموضع نفسه . وفى البيت ١٨٥ يقول هذا المصدر : « منهل القوم» بدل « مشرب القوم » .

(٧١) الأبيات ١٨٧ و ١٨٩ – ١٩٣ هى الأبيات ١٤ و ١٨ ، ١٩ ، ١١ – ١٣ فيما ينقله نعوم شقير فى الموضع نفسه . وينص محمد شريف فى البيت ١٩١ على ان الخلاف بينه وبين محمد احمد وقع فى ١٢٩٥ هـ ، وهو ما أخذ به المؤرخون . وفى البيت ١٩٢ يقول نفس المصدر « أيس » بدل « ريس » .

وقد فهم القولين فهم اولى النهى ... ومال الى حب الرياسة والجبر ١٩٠
الى الخمس والتسعين ادركه القضا ... على ما مضى فى سابق العلم بالشر
بصحبة شيطان من الجن ريس ... وشيطان انس وافقاه على الضر
ولا تنس داعى الاحتياج فثالث ... وكم ساقط فى الشر من الم الفقر
فكان يؤوب القهقرى مقاتلا ... من الله اذا عشى عن النهى والامر
وقلت له من لين القول ما بدا ... وقد طال ما قاسيت فيه من الضير ١٩٥
وكنت كصياد دناها وافلتت ... وتاجر ملح بل فى لجة البحر
يقلب كفيه على ما اصابه ... ويضرب بالترجيع فى الخمس بالعشر
وامثاله فى السلب بعد العطا ... بعلم وقارون والملعون فى محكم الذكر

٢٧- فصل فى بعض خداعه لنا وقناعتى من رجوعه ودعوتى عليه وعلى من وافقه على الفساد (٧٢) :

وخادعنى بالقول كالمهد ابنكم ... ومحسوبكم فى الحب من عالم الذر(٧٣)
بكم ولكم نفسى وما ملكت يدى ... وانى جدير بالوفاء كما الاصر ٢٠٠
فقم بى لنصرالدين نقتل من عصا ... فانت لك الكرسى ولى الدول الغير(٧٤)
فقلت له دع ما نويت فانه ... وتالله شر قد يجر الى الخسر
فبدل حال البسط منى ضده(٧٥) ... .
فقال توكلت على الله قلت قد ... قطعت بان الشر اولى من الخير
وانى كمثل الماء فى الطبع بارد ... وان يتسخن كان كالنار فى الحر(٧٦) ٢٠٥
واما هلاكى عاجلا فدعوته ... بدعوة نوح والمعين على النكر
وان يستخفوا بى وان يقتلوننى ... فقبلى علىّ والحسين ولى امر (٧٧)

---

(٧٢) طمست اجزاء من هذا العنوان بفعل طى الورق وقد اهتدينا الى ما طمس بالعودة الى فهرس الموضوعات فى اول المخطوط.

(٧٣) هذا هو البيت ١٥ فيما نقل نعوم شقير فى الموضع نفسه وهاهنا صدى للبيت الأخير من القصيدة التى نسبها الى المهدى – أنظر الآثار الكاملة ، مجلد ١ ، ص ٥٥ .

(٧٤) البيت ١٦ فيما نقل نعوم شقير فى الموضع نفسه ، وقال نعوم شقير « دول » بدل « الدول » هنا . والبيت التالى هو البيت ١٧ فى نقل نعوم شقير فى الموضع نفسه .

(٧٥) سقط الشطر الثانى من البيت ، وجاء فى هامش المخطوط اشارة الى ذلك القول : هذا السطر والبيتين بعده ممن اكلته الارضة اذا وجدوا فليلحقوا . وفى نهاية هذه العبارة وقع طمس ، ويتبين من اللفظ التالى حرف الباء والميم وتقديره بمحلها ، وانظر نفس العبارة ادناه ـ هامش ٧١. ويلاحظ هنا ان هذا التعليق بخط يختلف عن خط ناقل القصيدة . كما يلاحظ أن بهذه الورقة ١٤ سطرا ، وهذا هو تسطير المخطوط ، فاذا سلمنا بسقوط بيتين مع الشطرة الساقطة فهذا يعنى أن ناقل المخطوط لم يدرك وجود البيتين والا لأوردهما فى الصفحة التالية .

(٧٦) البيت ٢٠ فيما نقل نعوم شقير فى الموضع نفسه ، وقد قال : « فقال انا كالماء » بدل « وانى كمثل الماء » و « واما يسخن » بدل « وأن يتسخن » ـ طمس البيت الذى يسبق هذا البيت وموضعه ظاهر ولم نتمكن من تبين شيء منه .

(٧٧) البيت ٢١ فيما نقل نعوم شقير فى الموضع نفسه .

وان يزدرونـــي او يسبونني عمـا فهذا جزاء المحسن لـــذوى الشـــر

٢٨- فصل فى افتائى فيهم بالضلال والكفر وانكاره لتربيتى عند سماعه نصيحتى هذه بعد صحبة العشرين سنة وتوكلى على الله :(٧٨)

ومـن ذلك النـادى ابـا وابيتـه وافتيت فيهـم بالضـلال وبالكفـر(٧٩)
بـذا انكر الافـاك تـربيتـى لـه وقال عن الجيلى وعن مصطفى البكـر ٢١٠
واسباب ذا نهيـى لـه ونصيحتى وافشاوها للنـاس بالنظـم والنثـر
سلوا السيف والقـدوم أانتما لمن فـان لسان الحال يخبر مـن يـدر
وتعلمـه السـودان طـرا بأسـرها وما جاء فيها للحكومة مـن مصـر
مريدى وخادم نعلى دون مشـارك وقد كان نجارا حقيـرا مـن الفقـر
ومن سوء ما ابداه ينسب استحى وما شانه الا كـريـح مـن الدبـر ٢١٥

٢٩- فصل فى ابتداء وقايعه وهى محاربته لاتباعنا بالعلوب لمقدمية الشيخ رضوان ومقدمية العجب حقار الجضيعى :

وانى اذنت الجيش ان يضربـوه ان اتاهم بما يهواه مـن واضح النكر(٨٠)
وقـد جاء للعلوب فـى سفهايـه وقـد رده الاتبـاع بالجبـر والقهـر
وكان من الاسـرا لديـهم بناقتـه ورايـاتـه والجيش قد صـار فـى البحـر
واعلمت للقايـم مقـام بحبسـه فما جاءنى من غير دع صاحب الخضر

٣٠- فصل فى مكاتبتنا للوالى محمد توفيق باشا وما كنت ارغب منه لله وفى الله بعد نزول عبد القادر باشا لأنه كان حصنا حصينا للسودان من كل عدو خوان :

وقد ضقت ذرعا من خطوب وشدة وللصدق والاطفا كتبـت الى مصر ٢٢٠
ليعلم واليـها شئونى ومـا بـدا من الدنقلى والمفسدين اولى الشر
وانى لارجوا ان اكـون انـا لهـا بأمر من الـوالى ومـن ملك العصر
فياتوا بـه بيض الوجـوه حسـانـها ببيرن افندم والذى جاء فى الامـر
ابو هاشم قـم للشقـى وصحبـه وجاهـدهـم حتى يفيئوا من الكفر
وفـى نيتـى امـا امـوت موحـدا واما بفضل الله اكـرم بالنصـر ٢٢٥
وقد بعت نفسى ثـم جيشى ابيتـه مرضـاتكم يـاداورى ويـا فخـر

---

(٧٨) طمست عبارات من هذا العنوان وقد استعنا عندها بفهرس الموضوعات فى اول المخطوط .

(٧٩) البيت ٢٢ مما نقل نعوم شقير فى الموضع نفسه ، وقد قال : « وافنيت فيه » بدل « فيهم » .

(٨٠) الأبيات ٢١٥ - ٢١٨ هى الأبيات ٢٣ - ٢٦ مما نقل نعوم شقير (ص ٣١٧) ، ونحسب انه يقصد بالجيش اتباعه لا جيش الحكومة، ويؤكد ذلك قوله : « وقد رده الاتباع » . وقال نعوم شقير فى البيت ٢١٧ « بناقة » بدل « بناقته » هنا ، وقال : « وكنت نصحت القيمقام بحبسه » بدل « واعلمت للقائم مقام بحبسه » هنا .

وابعدتهم عن نسبتي وطردتهم وعاديتهم لله في السر والجهر
وفي كل يوم ثم في كل ساعة اقول لعل الله يجبر لي كسر
فما جاءني ما كنت ارجو مجيئه وما طاب لي قط اقوم بلا امر
صبرت على الافراد والسب والجفا ومن نهب اموالي ضجرت عن الصبر ٢٣٠

٣١- فصل في ما جرا بيني وبين علاء الدين باشا من الموافقة باعلام عبد القادر باشا بحقيقتنا وصدقنا مع الحكومة وطلبي منه الاذن بالخروج عليهم وتوقفه بعد الرضا :

ولما رأى توفيق سعيي وحققت لدى اموري كلها ضد الامر
كجودي باموالي ونفسي ومن معي ونصح عباد الله بالنشر والشعر
وفديتنا للعسكر وسلاحهم وضباطهم والعيش في زمن العسر
لنا { لقب } باشا مكافاة لما عملناه في السودان بالسر ثم بالجهر
ومهدي ابا من بعد انصار حضرتي وتلك جيوشي يدرها كل من يدري ٢٣٥
وقال قد اقتضت علاء ارادتي سعادة استاذ باشا(٨١)
واعلمت للباشا بما كنت ارتجي فوافقني على الخروج من الفجر
وقمت على البسط المكمل والرضا وبت قرير العين منشرح الصدر
واعلم ناديه بما كان بيننا وبالغ في مدحي واطنب في ذكر
فقالوا له المهدي الصغير اهمنا فكيف من المهدي الكبير على القطر ٢٤٠
وهم يعلموا ان الحكومة ملجئي من الآبا والاجداد في كل ما يجر
ومن برها جاهي وعزي ورفعتي وذكري واملاكي ومالي من الخير
وقاسيت فيها للشدايد كلها لاني بها منها وعاقلها يدر
نجدت عساكرها بالفين اردب بمركزنا الكوا بأمر اولي الامر
وفاديت جما من رجالها عندهم فوا اسفا وخلصتهم بالمال من نصب الاسر ٢٤٥
لو كنت اعلم ما بدا لكنت مقيما كالاخلاء في مصر
وذلك تشريب ولست موبخا على اهل ودي في المقادير اذ تجر

٣٢- فصل فيما جرا عليّ من اخواني اصحاب [المهدي وهم عبد المحمود والبشير] وحاج المهدي وما وافقهم في الاعتقاد (٨٢) :

بليت باخواني وخادم حضرتي بلاء شديدا جاء من حيث لا ادر

(٨١) الأبيات ٢٣٠ - ٢٣٥ وردت في هامش صفحة ٢٦ من المخطوط بخط صاحب التعليق اعلاه (هامش ٧٤) . وقد سقط اللفظ الأخير من البيت الأخير منها . وهذا الناقل لم يحدد موضع هذه الأبيات ونظن حسب السياق أن موضعها هنا - واضح من هذا ومن التعليق السالف أن صاحب التعليق كان على علم بالقصيدة وربما كان يمتلك نصا أحسن من النص الذى اعتمد عليه ناقلنا .

(٨٢) شطب الناقل طرفا من العنوان ويتبين منه « المهدى وهم » ، وفي الفهرس في اول المخطوط ورد عنوان آخر هو : فصل فيما جرى عليّ من خادمي المهدي . وقد اوردنا « عبد المحمود والبشير » من ق .

وحاصرني بالقلعة الطيبية الـ بشير وحاج المهدى للمال والعمر(٨٣)
وانبيت اني لا اموت بسيفه كما اخبر الكذاب وهو عن الخضر(٨٤) ٢٥٠
ويشرب كأس الموت قبلى بدعوتى وبعد تمام البضع يرجع لى امر

٣٣- فصل فى سبب عصيان السودان ومتابعتها لمحمد احمد بلا دليل ولا برهان :

وان قدر الفعال شيئا اراده تحركت الاسباب حتما لكى يجر
علامة رفع الملك ظلم اولاته ويبقا مع العدل المصون من الجور
وما ابت السودان حكم الحكومة الى ان اتى ضعف المطاليب من مصر(٨٥)
فكالثلث والثلثاى للميرى وحده وللناظر والشيخ اضعافه فادر ٢٥٥
بضرب شديد ثم كتف مؤلم وبعدهما يلقون فى الشمس للحر
واوتاد ذى الاوتاد من بعض فعلهم واشنع من ذا كله عمل الهر(٨٦)
ويلعن دين المسلم فى اقل ما يكون ولو فى الماء من ساحل البحر
وانى نهيت البعض منهم فقال لى مقالت جبار عنيد من الكفر
ولو كان عندى ذلك اليوم مسند (٨٧) كمسندنا هذا لمات من الزجر ٢٦٠
ولم يعلم السلطان ما هو كاين ولا والينا هذا المعين فى مصر
ومعلوم عند المسلمين وغيرهم عدالة مولانا وواليه فى الامر
وان عين الوالى الى البر حاكم يعاهده عهدا على العدل فى البر
فيترك لعهد الوالى عند وداعه ويأتى لجمع المال بالظلم والجور

٣٤- فصل فى العهود المأخوذة عليّ من والدى واستاذى واسنادى فى طريق القوم الصوفية رضى الله عنهم :

وعاهدنى ابو هاشم (٨٨) وهو والدى على الاقتدا بالشرع والسير بالذكر ٢٦٥
وثالثها فى الروضة النبوية على طاعة السلطان فى السر والجهر

---

(٨٣) جاء فى الهامش ازاء هذا البيت بخط صاحب التعليقين السابقين قوله : وهنا ثلاثة أبيات ضائعة من الأرضة بسبب الدفن فى الأرض وان وجدت تلحق هنا بمحلها، اهـ . وقد كان ناقلنا مدركا لمقدار الطرف الضائع اذ ترك حيزا لثلاثة أبيات .

(٨٤) طمس البيت السابق لهذا البيت ولم يبق منه الا حرف الواو فى اوله .

(٨٥) هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية هى الأبيات التى نقلها نعوم شقير عند تعرضه لمظالم الترك فى السودان مما دفع السودانيين الى الثورة عليهم . وقد قال فى البيت ٢٥٢ « حكومة » بدل « الحكومة » ، والعبارة بعد « أتى » غير ظاهرة فى المخطوط ، وقد روى نعوم شقير عندها « ضعف » فاعتمدنا رواية نعوم ـ وفى البيت ٢٥٣ قال «والثلثين » بدل « والثلثاى » و « للشيخ والنظار » بدل « للناظر والشيخ » . وفى البيت ٢٥٤ قال « ومن بعده الالقاء » بدل « وبعدهما يلقون » . ويبلغ ما ينقله نعوم هنا (ص ٦١٧) ١٤ بيتا .

(٨٦) ذكر صاحب التعاليق اعلاها هنا فى الهامش قوله : اى جعل الكديس فى (....) به وقد رأيناه بقسم الخرطوم نظارة احمد اغا ابوزيد ـ والعبارة بين الخاصرتين غير ظاهرة . وفى ق : جعل الكديس داخل .

(٨٧) ورد فى الهامش شرح لهذه العبارة نصه : اى امر اليه استند ، وهو بخط المعلق نفسه .

٣٥- فصل فى بعض ما انعم الله به على عبده وذكر السند :

مـن فضـل ربـى حَجتـى وزيارتـى — بمكـة للقطب المولـى علـى الامـر
واوعـدنـى بـالاجتمـاع بطيبـة — لأجـل تمـام الاذن فـى عمـل الخيـر
ولمـا اتيـت زايـرا جدنـا النبـى — وجـدت الفتـى البكـرى يلمـع كالـدر
ابو الحسـن السمانـى قطب زماننـا — رضـع لبـان العلـم ذى سـند الـذكـر ٢٧٠
فتمـم لـى مـا كان اوعدنـى بـه — واوصانـى بالتقـوى وسلمنـى امـرى
وقمـت بـه مـاذون فـى كل مذهـب — وفى الطرق السـبع وفـى مطلق الذكـر
كما اننـى مـاذون فـى كل مـا اتـى — به احمـد المختـار مـن عمـل الخيـر
عن الغوث وابن الغوث استاذنا السيدى — امام الهدى بحـر النـدى سـيد البـر
ابـى وهـو شيخـى عـن ابيـه وشيخـه — عن العارف السمانى عن مصطفى البكرى ٢٧٥

٣٦ - فصل فى علامات الساعة :

وان شيت ترتيب العلامات كلـها — فخذها على التحقيق منى الى الحشر
بقول رسـول اللـه لا قـول عـالـم — ولا قـول نجام ولا قـول ذى جفـر
فـأولهـا التـرك ملـوك البسيطة — وعمارها بالخير فى البـر والبحـر
ولا بد ان تـأتي من الغرب عالـة — حفات عـرات كالبهايـم فـى القفـر
يـؤمهـم الاصهـب وان خـروجـه — يكون مـن الجزيرة منشـأ الجـور ٢٨٠
يليـهـم زمان الهاشمى وبعـده — سياتيهم السفيـان بالظلـم والجـور

٣٧- فصل فى ذكر محمد المهدى المنتظر الوارد فيه الاثر (٨٩) :

ومن بعدهم مولى الهدى صاحب الندى — محمـد المهـدى بـآياتـه الغـر
ونسبته العظمـى شـريف وسيـد — من الزهـرا والعبـاس يلمع كالـدر
وياتـى بآيـات وخـرق عـوايـد — تـدل عليـه دون قتـل ولا اسـر
فيحيي بها الموتى كعيسى بن مريم — ويدرى بها ما كـان اخفى مـن السـر
ويخضر فى كفيه من كان يابسـا — هشيما له فى الارض حـين من الدهـر ٢٨٥
ويسمع مـن نحـو السماء مناديـا — ينـادى عليـه بالهدايـة والخيـر
وآيـاتـه والاقتفـاء كجـده — ويالفـه مستوحـش الصيـد والطيـر
ودع عنك كذاب الجزايـر انـه — لذو فتنـة كالفاشـى والسفها الغيـر
ومن بعده يأتى مسيـح الضـلالـة — هـو الاعـور الدجـال بالملك والقهـر
وعيسى رسول الله ياتـى بشرعنـا — على اثـر المختار فى النهى والامـر ٢٩٠

---

(٨٨) هنا ذهبت عبارة « ابو هاشم » الى ابيه بعد ان كانت له من قبل ، والمقصود هنا النسبة الى بنى هاشم لا الكنية بولد . ووالده هو الشيخ نور الدايم بن الشيخ احمد البشير وخليفته .

(٨٩) طمست العبارة هنا وقد استعنا بفهرس الفصول فى اول المخطوط .

ويأجوج مع ماجوج من نسل آدم	ومن بعدهم قد يرفع الله للذكـــــر	
وبعدهم قد تطلع الشمس من ورا	ويغلق باب التوبة عن ذوى الـــــوزر	
ومن بعد هذا كله الدابــة التى	بها نطق القرآن فى محكم الذكـــــر	
. . . . فرعة ان كان جاء حديثـه	ولم تبقى ريع القبض شيئا سوى الكفر (٩٠)	
ومن بعدها الخسفات قال ثلاثــة	وثم خروج النار تخرج من قعـــــر	٢٩٥
وبعد مضى الاشراط يوم القيامــة	عظيم شديـد الهـول بالطـول والحر	
ومقداره خمسـون الفا معـــــددا	سنينـا على الفجـار والامـم الكفـر	
ويهتم رسل الله من ذلك الضنـــــا	وينســـون للاولاد والاهــل والغيـــر	
وان النبـى قـد يقـول انا لهـــا	ويسجد للرحمـن بالحمـد والشكـر	
فيعطيه كالميعاد فى سورة الضحى	ويرفع بالتكبيـر منشـــرح الصـــدر	٣٠٠
ويمضى على العبد المطيع لربـــه	كـوقت صلاة فـى السهولـة واليســر	
وتـم بحمد الله ما قـــد عنيتــــه	بنظم بديـع جاء فـى الحسـن كالـدر	
وحينئــذ ســرت رجــال الحكومــة	وكـل تقـى تـابع النهـى والامـر	
وسيئت وجوه المفسديـــن جميعهم	ولم يظهروا ما فى القلوب من الشر	
نصحت بنى آدم وقلت مـورخا(٩١)	....	٣٠٥

٣٨- فصل فى الاستغاثـة :

باسمائك الحسنى دعوناك فاكفنـا الـ	مصايب يا الله يا كاشف الضر(٩٢)	
وجد واعف عنـا مـن ذنـوب علمتـها	وانت عظيم العفو يـا عالـم السـر	
اليك تـوسلنـا بهـا فـى امـورنـا	وعفوك عما كان فى السر والجهـر	
وللديـــن والدنيـا وللعلـم والتقـى	وللهدى والتوفيـق فى عمـل الخيـر	
ونســالك اللهــم اهلك لجمعهـم	بصيحـة عـاد او بقاصمـة الظهـر	٣١٠
او القابض الطاعون كالجار فى المضى	او الطير ترميهـم او القتـل والاسـر	
علـى يــد مختـار ســرى مويــد	لشرع رسول الله فى النهى والامـر	
او الخسف او بالمسخ او ريح صرصـــر	تدمرهم كالأولين مـــن الكـفـر (٩٣)	

(٩٠) وقع طمس فى هذا البيت وسقط اوله وغمض اللفظان التاليان واللفظ الأخير سقط منه الطرف الأعلى من الكاف .

(٩١) سقط الشطر الثانى من هذا البيت ، وحسب تسطير الصفحة فان هناك بيتا آخر قد سقط بعد هذا البيت .

(٩٢) طمس هذا البيت وقد حاول المعلق قراءته وأثبت ما وصل اليه تحت البيت ولكن طرفا من هذا ايضا غير ظاهر . وقد تبينا ما اوردناه بعد صعوبة ونزعم ان قراءتنا صحيحة ما عدا لفظ الضر الذى اقترحناه فى موضع لا يظهر فيه شيء . وفى ق قال فى هذا الموضع : مصاب يا الله يا كاشف الغير .

(٩٣) سقطت الأبيات ٣١٢ الى ٣٢٣ فى ورقة فى النسخة المصورة عندنا وتبينا سقطها عند التحقيق، وقد ادركنا الذى ننقله من نسخة : ق.

باسمك يـا هـو يا سريـع الاجابــة	ما حوت الاسماء مـن اعظـم السـر	
فاجعلنـي الطافـي لجمـرة شرهــم	كما طفيت نار المضلـين فـى بـدر	٣١٥
لأحظى مـن اللـه بمحـو جرائمـي	ومـن ملك الاسـلام بالجـود والبـر	
ونصبح فى الامن على البسط والرضى	ونتلوها فى ذكر العجائب فى الدهـر	
وتنصـب اسـباب المعايـش كـلاً	ويفتح حج البيت والدرس والذكر (٩٤)	
تقـرر للتحريـر خيـر هـدايـــة و	تشفى الـى الادواء فـى الدنـف (٩٥)	
غبطنا بـها قـولا وحسبـك واعظـا	وطبنا بها نفسـا فطـاب لهـا شـكر	٣٢٠
ابو هاشـم السـنى ابـدى نصيحـة	الى الله لا للتبر والبذل من عمر (٩٦)	
ابـو هاشـم ايقظـت كل مسـهد	وميزت فى الحق النحـاس مـن التبر	
ابو هاشـم للخلـق جئـت بآيـة	كآيات موسـى ابطلت عمل السحـر	
لفظت لنـا يـا بحـر درا منضـدا	ولا غـرو فـي لفـظ الـى الـدر	

وبعد تمامها غرظها (٩٧) العلماء رضى الله عنهم اولهم محمد خوجلى حتيك قاضي عموم قبلى السودان ، ثم الشيخ الامين الضرير ريس ومميز العلماء بالسودان ، ثم المفتى شاكر افندى ، ثم المفتى موسى الدليل ، ثم الفقيه محمد ابراهيم عيسى ، ثم الشيخ الحسين ابراهيم زهره بعد رجوعه بقراءة الشيخ محمود الخبير عليه شيا من هذه الرائية ، ثم الشيخ عبد اللطيف وقيع الله ، ثم الشيخ احمد الصاوى عبد الماجد المالكى ، ثم الشيخ حسيب الصديق المجذوب ، ثم الباقون كلا باسمه لدى كقريظه (٩٨) .

ما قاله قاضى العموم محمد خوجلى حتيك المذكور :

اذ انـه ادرى بحـال مـريـده	دون السوى من عاقـل او سـالم(٩٩)
كشف الحجاب وقال هذا فانظروا	فـرأينا شيطـانـا بصورة آدم (١٠٠)
يا مـالك الاسـلام انت لـه ولـيي	كفـو كـريـم جـد بخيـر دايـم
وارفـعـه فـوق مقامـه اذ انـه	ما خاف فـى عليـاك لومـة لايـم

(٩٤) ترك ق فراغا بعد هذا البيت بما يشغل بيتا .

(٩٥) وقع سقط فى آخر هذا البيت .

(٩٦) انظر موقفه المبدئى هنا وقارنه بما سبق حيث كان يتوق الى جزاء السلطة .

(٩٧) هكذا والصواب : قرظها ، بالقاف .

(٩٨) سقطت هنا عبارة بفعل تآكل الورق ، وبقى منها تاء ورأس القاف ، وتقدير السقط عندنا : تقريظه .

(٩٩) سقط البيت الاول من تقريظ القاضى حتيك من جراء تآكل الورق ولكن بقى : شهد وكل حب ـ وقد ذهب آخر هذا البيت وظهر منه طرف من لام « عاقل » والف وواو بعده وخط لعله بقية س ، وتقديرنا للسقط هو : او سالم .

(١٠٠) لعله يثبت هنا قول محمد شريف المشهور المروى عنه : الدنقلاوى شيطان مجلد بجلد انسان ، وذلك عندما طرده من الطريقة . وانظر نفسها اعلاه .

ما قاله الشيخ محمد الامين الضرير ريس ومميز العلماء بالسودان :

خبث الزمان عليّ بالسودان   من دعوة تعزى الى شيطان(١٠١)

ما قاله المفتى موسى الدليل (١٠٢) :

شهدت كاهل العلم غيرى شهادة   اواديها فى اليوم الذى فيه اسال
فيرفع ابو هاشم بها فوق ما له   ويخفض منها كل من كان مبطل
نصيحته اعلا النصايح (١٠٣) كلها   وآياتها فى القلب بالحق تنزل
وفى زمن الشك اجاب سواله   برائية فيها البيان المكمل

ما قاله العلامة الشيخ حسين المجدى (١٠٤) :

رسالة من النجومي وعبدالله النور الى غردون (١)

بسم الله الرحمن الرحيم وبعد فمن عبيد ربهم عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور عملاء المهدي عليه السلام الى غوردون باشا وفقه الله للصواب آمين .

وبعد فالذى نعلمك به انك انت اولا غريب بهذه البلاد وبهذه الدولة ، وانت من اهل الفطانة والمعرفة العقلية بان ما يريد الله اظهاره لايمكن الثقلين كتمه ولو تظهاروا على ذلك، فالله متم نوره ولو كره الكافرون . وحيث انك اولا بحال حضورك بالخرطوم قد كاتبت الامام المهدى عليه السلام بالتسليم لامر الله ورسوله (٢) واعلمك بالحقيقة التى لا كذب فيها واوعدك انه بعد هذا ان لم تسلم لامر الله ورسوله فان حزب الله واصل اليك ومزيل لك عما شاركت به خالقك (٣) فاستدعيت ملك عباده مع ان الارض لله يرثها من يشاء من عباده الصالحين. ومع ذلك رددت لسيادته ردا غير المقصود (٤) والمفهوم منه عدم الامتثال والانقياد لما امرك به. ولارادته لك الخير قد انتظرك وامهلك

---

(١٠١) هذا آخر سطر فى الصفحة وتعقيب الصفحة : هلك الانام ، وهو بخلاف ما تبدأ به الصفحة التالية ، وهنا سقط آخر ذهبت به جملة من التقريظات .

(١٠٢) يسبق هذا طرف من بيت يتبين منه : « صفاتكم » و « وباله » .

(١٠٣) الاشارة هنا الى نصائح علماء الخرطوم – الغزى والازهرى والضرير – ونحسب ان هذا اضافة جاءت بآخرة ، والله أعلم

(١٠٤) لا يظهر الشيخ حسين المجدى فى مقدمة التقريظات ولعله يدخل ضمن عبارة : ثم الباقون وقد ضاع ما قاله .

(١) نقلنا هذا النص من نسخة يوميات غردون بالمتحف البريطاني بلندن ، وهى ليست اصلية ، ولعلها نقلت من الاصل بغرض الاضافة الى اليوميات ، ولسنا ندرى مكان الاصل .

(٢) لم يكتب غردون الى المهدى بالتسليم وانما كتب لوقف الحرب وبتعيين المهدى على كردفان ، انظر نص الخطاب فى الآثار الكاملة ، مجلد ٢، ص ٢٤٤ – ٢٤٥ ويبدو ان هنا سقطا بين عبارة « عليه السلام » و « بالتسليم »

(٣) يقصد كتاب المهدى الاول الى غردون الذى سلف ذكره بدليل « ردا غير المقصود » والمفهوم منه عدم الامتثال .

(٤) انظر هذا الرد فى الآثار الكاملة مجلد٢، ص ٢٤٦ – ٢٥٥ .

مدة من الزمن منتظر ان يرجع اليك عقلك وتتفطن فى امرك ولا تركن الى الدنيا ولا الى غرورها ولا ملكها الفانى . ولما طال الزمن وعلم منك الاصرار على عدم الامتثال قد عينا نحن العاملين المذكورين بهذا ، وأمَدّنا برجال ثقات من اصحابه ، يحبون الموت كحبكم الحياة ، يحتسبون فى قتالكم الاجر العظيم ، الموت احب اليهم من ابكار نسايهم وعقايل اموالهم ، الرجل الواحد منهم عند الهيج خير من الف رجل منكم ، واعطانا من العدة الحربية الذى انت ظان ان النصرة بها من الاسلحةالنارية والمدافع الكروبية والجبلية والصواريخ الحربية ما تنوقون به السوء ان صددتم عن سبيل الله . وثم لارادته لكم الخير لم يترككم على مكاتبته السابقة لكم وثم ارسل لكم رسله مع كتابه (٥) . وبالاخص قد ارسل لكم اثنين من الاربايون (٦) . ينصحوك ويعرفوك بالحقيقة رحمة بك وشفقة عليك وعلى من معك من الهلاك فى الدنيا وسوء العذاب فى الآخرة . وبعد هذا كله لددت واعرضت عن النصيحة طمعا فى ملكك الذى لا يدوم لك وعما قريب انت مفارقه طوعا كان او كرها . وخاطبت سيد الجميع عليه السلام بعدم الامتثال مستدلا بآيات قرآنية واحاديث نبوية عن لسان كُتّابك وعلمايك الضالون مستندا على ادلتهم التى هى بمعزل عنكم (٧) ومعناها (٨) وحقيقتها الآن فى المهدى عليه السلام واصحابه الكرام . واعلم ياحضرت الباشا ان كافة من معك من العلما بالققرة ضالون لعلمهم بالحقيقة وعدم النصيحة لك . وما ذاك الا لحبهم فى الجاه و المال الذى حازوه منكم بالغش والفساد . فان كان لك نور فى العقل فاصغ لنصيحتنا وبما ينصحك به الاخى جابر المسمى قبلا جورجى كلمتينو(٩) فان اتبعت وسلمت لامر الله ولرسوله فزت باجرك واجر جميع من معك. والا فلا يدخلك شك انت ومن معك بهلاككم فى هذين اليومين ، اذ سيد الجميع عليه السلام بعد اربعة او خمسة ايام ان شاء الله يحل ركابه الشريف بهذا الطرف ، وبوصوله اذا وجدكم على المخالفة فقد هلكتوا . وبما يستصوب لديكم فيدونا به مع رافعه، ١٢العقدة ١٣٠١ .

---

(٥) نفسه .

(٦) هكذا ، ولعله : الارباوبون ، والآن يقال : الاوربيون .

(٧) اى بعيد عن متناوله .

(٨) اى معنى الآيات والاحاديث منطبق فى المهدى واصحابه .

(٩) جورج كلامنتينو Calamantino ، اغريقى كان مقيما فى الابيض واستسلم عند سقوط المدينة وبايع المهدى وسمى «جابر» ، ارسله المهدى ومعه كوزى الذى بايع المهدى ايضا وسمى محمد يوسف مع مرسول المهدى بخطابه الى غردون عند بدء حصار النجومى للخرطوم ، ولكن غردون منع دخولهما الخرطوم لرفضه مقابلة من غير دينه .

ثم ونعلمك ايضا ياحضرت الباشا ان العلماء الموجودين معك بالقفرة ، وانت مقتد باقوالهم ، جميعهم اولادهم واهاليهم الآن مع جند المهدى وعندما تحصل لهم المضايقة يتركوك وحدك وظواهرهم معك وبواطنهم معنا . واخباركم متصلة الينا بواسطة اهل البندر فلا يغروك العلماء والتجار والخدما فانك عند الوقوع فى القبضة لا يساعدوك ولا يوازروك فاستمع لنصيحتنا باذن واعية - فيتاريخه

الختم

خطاب عبد القادر ابراهيم ام مريوم قاضى الكلاكلة الى غوردون(١)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

وبعد فمن عبد ربه الفقير عبد القادر ابراهيم قاضى الكلاكلة الى سعادت (٢) غوردون باشا والى السودان .

ثم ومما نعلم به سعادتكم ان ما انتم عليه من الحلم والشفقة على الاهالى واكرامكم لنا نحن بالاخص (٣) معلوم عندنا ومثبوت بالفعال من ابتدى حلولكم بالسودان فى المرت الاولى والثانية . هذه وما اعلنتم به بالمنشورات الصادرة منكم حال حضوركم بالسودان هذه الدفعة صار معلوما عندنا وعند الخاص والعام . لكن ثبوت حقيقة امر هذا الامام المنتظر عليه السلام عندنا من ابتدى ظهوره مانع لنا من قبول مكاتبتكم والعودة اليكم لاننا نعلم من حاله ما لم يعلموه العلماء الضالون عن طريق الحق . وحيث ان امر هذا الامام المهدى المنتظر عليه السلام مثبوت عندنا وعندكم (٤) فى الكتب القديمة فلا يمكنا ان نميل الى حسن اخلاقكم وتمام اكرامكم لنا بالانعامات والاحسانات ونترك امر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم . وكنا قبل ذلك خاطبنا سعادتكم بالمرات العديدة وفى كلا منها اوضحنا ما فيه الكفاية لمن له قلب . وفى جميع المكاتبات اوضحنا لكم طريق السلامة والنجات فلم تقبلوا ذلك ولم تنظروا الى عواقب الامور فيما دعوناكم اليه ، لانه سبب لسلامتكم من عطب الدنيا والآخرة انتم واهل البندر ، لان كثيرا منهم احبابنا واهليتنا . وقد تركتم

---

(١) نقلنا هذا من يوميات غردون .

(٢) مخاطبة غردون بعبارة « سعادت » من قبل عبد القادر هى التى انتقدها العلماء فى رسالتهم ادناه ، اذ كيف بغردون كافرا ومع ذلك يقال له سعادت .

(٣) هكذا فى الاصل .

(٤) كيف يقول « عندكم » لغردون بخصوص مثل هذه الكتب ، هذا بعيد ، وربما المخاطبة موجهة لعلماء الخرطوم .

ما اوضحناه لكم مرارا وتكرارا وصرتم تسمعون كلام العلما الذين غرتهم الدنيا بسرابها اللماع وانستهم انفسهم والمسلمين بخسيس المتاع ، مع ان عداوتهم وتكذيبهم للامام المهدى المنتظر عليه السلام ثابتان ومنصوص عليهما فى الكتب القدية ولهم علم بذلك، وان ضلوا عنه فلينظروا طالعة كتاب كشف الغمة عن جميع الامة للشعرانى فاعتمادكم على قولهم واستماعكم لكلامهم معما تحقق وعلم لكم ولكافة اهل العقول مما وقع ونزل بالجردات من الدمار والوبال هو عين الخطأ والعمى عن الصواب . وحيث اننا مازلنا فى شفقة عليكم وعلى اهل البندر ، وخصوصا امير العموم عبد الرحمن النجومى والامير عبد الله النور ومن معهما من الامراء حضروا بجيوش لا كفاءَ لها من جميع اصناف القبائل الذين صاروا تحت طاعة الامام عليه السلام وانتم فى غفلة عن انفسكم وعن اهل البندر ، فلزيادت الشفقة عليكم حررنا هذا لكم مكافاتا لما سبق منكم لنا من الاكرام وزيادت الاحترام، ونرجوا من الله ان يكون مقبولا ، وفضلا عن هذا كله ان ذات الامام الشريفه حضرت بشات ومعه الجيوش ما لا يحصى عددا وعن قريب حاضر بجيوشه للبندر ، فوجب علينا اعلامكم بذلك ، فلعل وعسى ان تقبلوا وتتركوا كلام المفسدين وتسلموا امركم لهذا الامام عليه السلام لانه لا شك انه هو المهدى المنتظر عليه السلام ، وان جميع الدول يصير هلاكها على يده لانه مويد ومنصور بقدرت الله ، ولا يغركم ما حصل بديم الجريف والشرق لان النبى محمد صلى الله عليه وسلم نصره الله وخذل جميع اعدائه بعد ان غزى غزوة بدر وغزوة احد المشهورتين ثم ادام عليه النصر الى ما شاء واراد ، مع ان ما وقع بالديمين المذكورين لا يساوى شيا بل لا يساوى عشر عشر المقتولين يوم حرابت الشيخ العبيد المعلوم عندكم وعند اهل البندر . وهذا ما نصحناكم به ان اراد الله لكم ولاهل البندر قبوله . واعلموا يا سعادت الغوردون اننا خاطبنا حضرت الامام المهدى فى حقكم ووردت افادته بما يوجب سروركم وتامينكم ان حصل منكم له الانقياد والتسليم . وها هى الافادة واصله لكم مع المسلمانيين المرسولين صحبت الفقرا الانصار القادمين اليكم الآن – ١٨ القعدة ١٣٠١ (٥) – ختم

تحشية : هذا الجواب كنا ارسلناه لسعادتكم مع الفقرا والانصار المرسولين من طرف سيد الجميع المهدى عليه السلام والمسلمانيين محمد يوسف وجرجوا كلامتين ، ولما صار منعهما من

---

(٥) يوافق ذلك ١٠ سبتمبر ١٨٨٤.

البوابة ها قد اعدناه لكم مع ولدنا سليمان المخصوص من طرفنا ومعه جواب من ملازمية الامام راغبين سرعة رد الافادة للامام . والامراء جميعا الموجودين اعطوا الامان امان الله ورسوله لمن ترسلوه اليهم للمخابرات اللازمة . وان توفق لسعادتكم يصير طلب ولدنا وصديقنا جورجى كلامتين لاجل تمام التعريف بيننا وبينكم لانه نو مفهومية وصداقة فى هذا الخصوص . وقد علم من جوابكم اننا اهل عقل وكان مقتضى ذلك ان تصدقونا فى خبر هذا الامام لاجل حصول الثمرة للجميع ، لكن نظن ان نسبتكم لنا للعقل فى غير محلها ، والله الموفق والهادى للصواب . وحرر فى تاريخه .

رد غردون الى النجومى وعبدالله النور (١) :

المحترم الشيخ عبد الرحمن النجومى

ورد لنا جوابكم مع الخواجه جورجى كلامنينو الذى تسمى جابر ، وما اوضحتوه به علم. وفى الواقع ان هذه الجهات ليس هى بلدنا وانا غريب فيها انما معين فيها حاكما من طرف دولتين عظام. ولذلك مجبور على رؤية مصالحها بحسب ما تقتضيه شئون صداقتى وشفقتى على المسلمين، وان كان انسان له رغبة ان يعمل درويش فنحن لا نمنعه . ومن جهة العلما الذاكرين عنهم بانهم كذابين وكلامهم جميعه فى غير محله فانهم ما قالوا شيء الا بحسب المنصوص عندهم فى الكتب ، بل وجميع علماء الاسلام مصرحين بذلك ، ولم يرضوا ان يناموا على الارض ويسلبوا الدراويش امتعتهم وعنقريبات نيامهم وتغيير ملابسهم المالوفين عليها منمذ نشات الاسلام . ومطلقا اننا لا نحرر جواباتنا المرسوله لحضرة محمد احمد او لخلافه على لسان كاتب او عالم بل هم من مقتضى القاموس الموجود عندى بالعربى والانجليزى ونمليهم كلمة كلمة فان كان لا يصدقوا ذلك ارسلوا لنا من طرفكم رجل عظيم عاقل ينظر كلامى اليه هل هو عن لسان كاتب او عالم ام لا . والدليل على ذلك كان سبق حضور ثلاثة اشخاص دراويش من طرف محمد احمد ومعهم الكسوة المرقعة ، وكلمتهم كلام كثير بالعربى ولم قبلة الكسوة ، افهل ذلك كان منى او من احدا غيرى . اما من جهة المدافع والسواريخ الذى يريدوا ضربنا بهم فمع انه موجود عندنا مثلهم كثير كنا نرا فى الجوابات ان المهدى يهلك الناس بدون مدافع ولا سواريخ ، فما هى الحقيقة ، ومن جهة كلام جورجى الرومى

---

(١) نقلنا هذا من يوميات غردون .

(٢) يوافق ذلك ١٥ سبتمبر ١٨٨٤.

الذى تكلم به فلا يكون لنا فيه نفع . وكذلك الاهالى والعلما الذين تقولوا انهم مظاهرين معنا وباطنهم معكم ويوم ما يحصل القتال يتركونا ويهرب عندكم فاننا ليس حاجرينهم بطرفنا ، ولا جابرنهم من التوجه لطرفكم، فتوجهه وعدمه على حدا سوى ، ولماذا لم يتوجهوا لمقابلتكم .

٢٣ العقدة غوردون باشا – الختم

رسالة علماء الخرطوم الى عبدالقادر ابراهيم ام مريوم والنجومى (١)

النص

صورة جواب محرر من العلماء الموضحة اسماءهم ادناه الى الشيخ عبد القادر وولد النجومى بتاريخ ٢٣ ذى العقدة ١٣٠١هـ (٢):

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله قاصم من عاند دينه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الذين شادوا قواعده واركانه المتينة .

اما بعد ، فقد انزل الله فى كتابه المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » (٣) وهى آخر اية نزلت على المختار ، فلا يسمع بعدها قول ولا يقبل فعل لم ينص عليه فى الكتاب والسنة . فلو كان هناك رؤيا يعول عليها فى نسخ حكم من الاحكام لزم تطرق التكذيب للكتاب العزيز ، اذ بعد الاكمال لا يتجدد شيء . وقد قام الاجماع على ان رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم اذا خالف مضمونُها الشرع لا يعمل بها وينبذ مقتضى الرؤيا . ومن شروط المجتهد المطلق ان لا يخرق الاجماع القائم على ان من نطق بالشهادتين فقد عصم دمه وماله الا بحق الاسلام كما ورد فى الحديث . وقد حصر حق الاسلام المذكور فى جملة من الاحاديث الصحيحة بانه الزنا حالة الاحصان ، وقتل النفس بغير حق ، والردة بعد الاسلام ، ومن المرتدين التارك لدينه المفارق للجماعه كما فى الاحاديث . وقد فارق مدعى المهدية الجماعة وشق عصا الاسلام وخرب ديار المسلمين ونهب

---

(١) وقفنا على هذا النص فى دار الكتب المصرية بالمجموعة التيمورية ، وهو مطبوع على صفحة واحدة فى صفين . ثم وقفنا على النسخة الملحقة بيوميات غردون بالمتحف البريطانى فاذا هى ليست الاصل كما كنا نتوقع وانما هى نسخة ، وذلك بدليل انه يقول : « امضا وختم » ، ولو كانت هذه أصلا لجاء الختم والامضاء طبعاً ورسماً كما هما فى الوثائق الاصلية بدل الاشارة اليهما فى موضعهما .

(٢) يوافق ذلك ١٥ سبتمبر ١٨٨٤.

(٣) المائدة ٣ .

امـوالهم وسلط بعـضـهم على بعض مما يوجب ارتدادهم ، حـيث اسـتـحلوا قـتل المؤمنين وهتك اعراضهم ونهب اموالهم ، وسموهم الكفرة بدون وجه مع اقامتهم شعائر الدين وسلوكهم الطريق المتين ، بل غالب الذين معه مقهورون بما رأوه من القتل والهتك والسلب والاسر ، وليسوا معه بالقلب والقالب ، بدليل انه ما مضت قلائل ايام الا وورد منهم من يستغيث بالحكومة من الجور والجوع والعرى .

وقد وردت جملة جوابات بعضها منكم ، بها كثرة اللحن (٤) مع ان الشيخ الاكبر يقول(٥): ان الله تعالى استوزر للمهدى طائفة الاهية خبأها الله .له فى مكنون غيبه اطلعهم كشفا وشهودا على الخلق وما هو امر الله فى عباده ، فلا يفعل المهدى الا بمشورتهم ، وهم من الاعاجم ليس فيهم عربى ولكن لا يتكلمون الا بالعربية ، لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط ، هو اخص الوزراء لا يزيدون عن تسعة ولا ينقصون عن خمسة لكل سنة وزير ، وعلم يختص به واحوال ، انتهى بلفظه(٦) . فاين هؤلاء الوزراء الاعاجم! ومن معكم يعتقد انه من العرب مع زيادتهم عن هذا العدد . ومع ذلك تنسبون العلماء للضلال عن طريق الحق ، وانكم تعلمون ما لم يعلموا ، مع ان بينكم وبين ادنى المعرفة بونا بعيدا ، وبه اثبات السعادة (٧) لدولتلو افندم الحكمدار والاقرار بكفره منكم ! وهل هذا الا من اجتماع النقيضين . وبه ان ثبوت حقيقة امر هذا المهدى المنتظر عليه السلام عندكم من ابتداء ظهوره مانع من قبول المكاتبات والعودة ببعض محاوراتكم انكم من وزرائه من مدة ثلاثين سنة . اين هذا مما حررتموه قريبا بختمكم لشيخكم العبيد من ان من صدق بمهدية محمد احمد لزمه الكفر لأنه لم يات حديث ولا خبر ولا اثر الا وهو مباين لخلق وخلق وحلية هذا الرجل، فيلزم من تصديقه تكذيب الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام . اليس هذا بخلف وقد جركم الميل الى الدنيا حتى قلتم فيه « عليه السلام » ، مع ان القطب عبد الغنى النابلسى قال فى كتابه الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية : ولا يفرد بالسلام غير الانبياء ، فلا يقال علىّ عليه السلام ، والاحياء والاموات فيه سواء غير ان الحاضر يخاطب به فيقال « عليك السلام » ، انتهى بلفظه .

---

(٥) يقصد بالشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى .

(٦) يقصد : المقدمة .

(٧) يستنكر مخاطبتهم غردون بلفظ «سعادة» مع انهم يأخذون عليه كفره .

وزعمتم ان امر الامام المهدى المنتظر مثبوت عندنا وعندكم فى الكتب القديمة ، فلا يمكنكم الميل الينا . وان عداوة العلماء وتكذيبهم للامام المهدى ثابتان ومنصوص عليهما فى الكتب القديمة ، وتريدون نظرهم لطالعة كتاب كشف الغمة عن جميع الامة للشعرانى، وهنا ان كنتم تريدون به الجهال الذين لا يدرون الكتب القديمة ولا كشف الغمة فذاك ، والا فليس فى جميع الكتب القديمة اشارة ولا عبارة تؤذن او تدل على المهدية(٨) ، بل قد انكرها فحول الرجال(٩) لما انه لم يصح فيها حديث ولا اثر ، ومبدأ امرها من الشيعة الذين يزعمون ان سيدنا محمدا بن الحنفية سيظهر وان اباه علىّ فى السحاب سيظهر . وعلى القول بثبوت المهدية فاين اخو متوليها الخراسانى الذى يوطىء له الارض قبل ظهوره ! واين السفيانى الذى يكون ملكا قبله ! واين اليد التى تظهر وبها كف تشير على ان هذا المهدى فاتبعوه ! واين انحسار الفرات عن جبل من الذهب ! وهل رأيتم فيه مصداق ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : المهدى لا يوقظ نائما ولا يهرق دما! والمشاهد لكم وللكافة انه اراق الدما وايقظ النائمين حتى تجرأتم فذكرتم انه يهلك جميع الدول . واذا كان المشاهد من حاله ما اخبرتم به ماله فما ثمرة السرور والنعمة بالتسليم اليه حيث ان المآل هو الهلاك . والكتب القديمة موجودة فاحضروا من يرينا ما ادعيتموه ، مع انا لم نجد بها اثرا لمدعاكم كما اوضحنا ، خصوصا انه معلوم لدى جميع الناس مُمن يعرف هذا الرجل المدعى المهدوية انه ليس له قبيلة ولا عصبيه مشهورة اصلا ، وان القبيلة التى هو منها قليلة جدا لا يتأتى بها نصرة لمن قام منها بامر من امور الدين (١٠) ، وقيامه منفردا مجردا عن العصبية الذى جعلتموه دليلا على صحة دعواه ، فهو فى الحقيقة اعظم شاهد على بطلانها . فقد ذكر الامام العلامة ابن خلدون فى المقدمات (١١) ما نقلنا لكم صورته حرفيا ، وها هى مرسلة لكم صحبة هذا .

---

(٤) حسبنا فى اول الامر ان هنا سقطاً ، ولكنا وجدنا الترجمة الانجليزية

Major - generd C. G. gordon at khartoum (Kegar paut Trench and co. 1885) p. 412 .

يطابق هذا النص والذى هو منقول من النسخة العربية . وفى ظننا ان الاضطراب يجئ من عبارة «مع ان » التى يدأت بها الجملة التالية .

(٨) يقصدون انه لم يرد فى الكتب ما يثبت فكرة المهدية بسند الى الرسول وذلك لان الاحاديث المروية مطعون فيها ، وهذا مأخوذ من ابن خلدون وهو مصدرهم فيما كتبوا .

(٩) يقصدون ابن خلدون ومن استشهد بهم فى اضعاف الاحاديث عن المهدى .

(١٠) هنا يعتمدون على العصبية التى جعلها ابن خلدون اساس الملك والدعوات ، ولكن المهدى اعتمد على العصبية الدينية لا العرقية .

(١١) يقصدون المقدمة .

ومنها تعلمون انه غير محق فى دعواه ، وان الدعوى الدينية من غير عصبية لا تتم ، لأن كل امر يحمل عليه الكافة لا بد له من العصبية ، وان اتباع الغوغاء والدهماء من الناس ليس بعصبية ، فان العصبية هى الاصل والاقربون الذين بهم يكون الالتحام . ولا يغركم فى ذلك دعواه انه من اهل البيت ، فان ذلك ليس بثابت معروف بين الناس ، ولو سلم ذلك فهل عاينتم وشاهدتم معه من اهل البيت عصبية تتأتى بها النصرة وتمام ما قام به من هذه الدعوة ، الى غير ذلك من الادلة والبراهين التى تقضى بعدم صحة دعواه ! فلو عاينتم بعين الانصاف واتبعتم الحق لما صدقتم هذه الدعوة ودعوتم الناس الى اجابتها بالوعيد بالقتل ونهب الاموال وغيرهما . وكان الواجب عليكم نصيحة المسلمين وعدم رفع السلاح فى وجوههم . ألم تقرأوا : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما » (١٢) وحديث : من حمل علينا السلاح فليس منا ، وامره صلى الله عليه وسلم بقتل من شق عصا المسلمين وامرهم واحد ، وحديث : المؤمن اخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه ، وحديث : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم شبك صلى الله عليه وسلم بين اصابعه ، وحديث : المؤمن من امنه الناس على اموالهم وانفسهم والمهاجر من هاجر الخطايا والذنوب ، وحديث : المؤمن مرآت المؤمن والمؤمن اخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه ، وحديث : من نظر الى اخيه المؤمن نظرة يخيفه بها فى غير حق اخافه الله يوم القيامة ، وحديث : المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى راسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله ، وحديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من امنه الناس على دمائهم واموالهم .

وقد نظرنا فى طالعة كشف الغمة فوجدنا ان مؤلفه قال فيها قد بشرنى الهاتف عليه السلام ببقاء هذا الكتاب الى خروج المهدى عليه السلام ينتفع به اصحابه ويستغنون به عن مراجعة المهدى فى اكثر الامور الدينية ، فانه عليه السلام (١٣) اذا خرج رفع الخلاف والآراء من الارض فلا يبقى امامه الا الدين الخالص ، ويعاديه سرا مقلدة العلماء الموجودين فى زمنه ، ولم يوجد فيها ان العلماء ضالون عن طريق الحق ، بل عذرهم فى ظنهم حين يرونه يذهب الى خلاف ما ذهب اليه

---

(١٢) النساء ٩٣.

(١٣) هذا مصدر الدعاء للمهدى بعبارة « عليه السلام » عند الانصار ، فليس للعلماء ان يستنكروها اذا جاءت فى جواب النجومى وعبد القادر . وترى فى النص الذى ينقله كثيرا مما ينكرونه على المهدى واتباعه . وان مثل هذه الامور ترد فى الادبيات المروية عن المهدى المنتظر ومنها استقى اتباع المهدى .

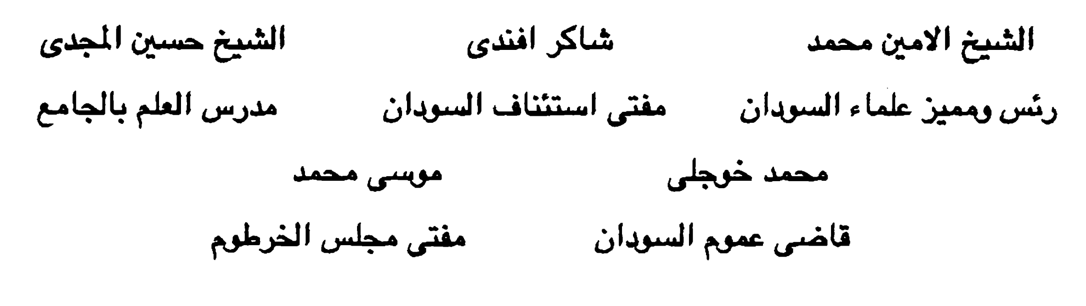
ائمتهم ، لاعتقادهم انه لا يوجد بعد ائمتهم احد يعلوهم فى العلم ، ولكنهم يدخلون تحت طاعته خوفا من سطوته ورغبة فيما لديه من المال ، فانه هو والنبى اخوان فلا ينازعه احد الا خذل ، وفى الحديث انه يقفو اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطيء فلا يحكم فى تحليل او تحريم الا بما كان يحكم به صلى الله عليه وسلم لو كان حيا ، وانه لا يقلد احدا من ائمتهم فى العلم ، والظن فى مثل هذا مما يجب العمل به ، وهذا فى من بلغ درجة الاجتهاد حتى تتأتى له المخالفة لما عليه الائمة ، وليس امامكم بالغا درجة الاجتهاد ، اذ لا يعرف شيئا من علومه الستة الموقوف الاجتهاد على اتقانها ، فضلا عن انه خالف القطعيات التى هى من ضروريات الدين . وقد نص الشعرانى نفسه الذى استدللتم بكتابه فى كتابه اليواقيت والجواهر ان المهدى من ولد الحسن العسكرى ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمسة وخمسين ومائتين ، وهو باق الى ان يجتمع بعيسى ابن مريم ، قال : «هكذا اخبرنى الشيخ حسن العراقى عن الامام المهدى حين اجتمع به ووافقه على ذلك سيدى على الخواص» ، انتهى بلفظه (١٤).

فاذا كان مولده سنة خمس وخمسين ومائتين ويتولى المهدية شابا كما فى الاحاديث ، وقد مضى من ذلك التاريخ الف وستة واربعون سنة ، مع ان عمر امامكم لا يبلغ عشر هذا السن ، فكيف تدعون تصديق الشعرانى لكم وضلالنا عنه مع انه مصرح بما يكذب هذه الدعوى ! فلو ادعى السلطنة كما اقبل لقوله وادعى لاتباع الناس له حيث ان الحكمدار هنا لم يمنع احدا يتوجه اليه ولا الى غيره ، بل الطرق مفتوحة لكل راغب ، ومع ذلك ما زالت الناس تحضر افواجا افواجا يريدون الاحتماء بالحكومة فتحميهم وتكرمهم وتنفق عليهم . والمتوجهون اليكم بعكس ذلك ، حتى الرسل ، وان شككتم فى ذلك فارفعوا حكم التغنيم وجبر التارك بسفك الدما ونهب الاموال على القتال ، وانظروا بعد ذلك من يتبعكم ، فلا شبهة فى انهم مجبورون ومقهورون على ذلك ، والاغترار بأن هذه من الدولة التركية فنحن وانتم الآن بالسودان ، وليس للدولة التركية احد هنا ، اذ لو حضرتم للخرطوم لا تجدون تركيا ، فعلى ما الحرب ! اخذلا للدين وقتلا للمسلمين ! ام هدما للدور والمساجد! ام احراقا لكتب الملة الاسلامية وقتل علمائها ! ام منعا للطريق عن سلوك سبيل الحاج ! افهكذا امر المهدية ! وحيث انه ثبت فى الصحيح ان الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين

---

(١٤) انظر ادناه تلخيص الشعرانى لمقال ابن عربى .

وعامتهم حررنا هذا لكم بذلك . والرجاء ان تعلموه وتعملوا به قبل ان يحيق بكم سوء افعالكم . فان هذا الامر قد قارب فراغه وانتهاءه ، وسنذكركم بذلك . وان لم يكفكم ما بسطناه فاحضروا علماءكم ووجوهكم للمناظرة بمكان يأمن فيه الفريقان . وها هو الكتاب والسنة فيصل بيننا، فيهد الله من يشاء ويضل من يشاء . وان لم تستحسنوا ذلك مع انه مأمور به فى قوله تعالى : « وان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول »(١٥) ، وان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فاذعنوا للمباهلة وتعالوا ندعوا ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . فان غركم ما ذكرتموه من قتل المسلمين بكردفان وبواقعة شيخكم العبيد ، فهذا لا ينسب شيئا بالنسبة لما وقع للمسلمين فى غزوة التتار وقتل بخت نصر لبيت المقدس وتخريبه وحرب تيمرلنك وغير ذلك مما هو مسطر فى الكتب مما يدرك لدا مطالعته . والحرب الاخيرة التى شوهدت من بنى الاصفر للمسلمين الى ما لا ينهى عددا . ولم تر المسلمون بالقتالات العظيمة وتخريب البلاد والثروة الفاضلة ضرراً فى الدين . الم تهدم الكعبة بالمنجنيق . الم يقتل الامام الحسين وآله بكربلاء! فان كان هذا يدل على ان من غلب بيده الحق فلم لم تتبعوا الدوله الغالبة التى استطالت على بلاد المسلمين ، مع ان الوقعتين اللتين ذكرتموها انما قتل من قتل فيهما عطشا وغشا، ومعلوم ان الحرب سجال . ونستحى ان نرد عليكم فى تشبيهكم بغزوة بدر واحد ، كما نستحى ان نرد مساوات امامكم للضعفاء ارقاء الدين الذين هم كالبهائم ، بل هم اضل ، بالخلفاء الرشدين . ولو ذكرنا ذلك لطال المجال ، فلنمسك عنان القلم عن الجريان فى هذا الميدان . وعلى الله قصد السبيل ٢٣ القعدة ١٣٠١ (١٦) .



الشيخ الامين محمد	شاكر افندى	الشيخ حسين المجدى
رئس ومميز علماء السودان	مفتى استئناف السودان	مدرس العلم بالجامع

محمد خوجلى	موسى محمد
قاضى عموم السودان	مفتى مجلس الخرطوم

---

(١٥) النساء ٥٩ .

(١٦) يوافق ذلك ١٥ سبتمبر ١٨٨٤.

من عبد القادر ابراهيم قاضى الكلاكلة الى غوردون (١)

كنا انذرناكم ثلاث مرات بما فيه الكفاية لاهل العقول وجميعه نظرا لمحبتكم فينا التى حكيتوها بجوابكم لاجل سلامتكم وسلامة المساكين والمسلمين بالبندر فلم تنفع فيكم الانذارات ولا العبارات ، وكل مرة تكاتبونا بما يفيد انتم مصممين على ما انتم عليه من التكذيب فى مهدية هذا الامام عليه السلام ، وما حملكم على هذا الباطل والتكذيب الا العداوة التى بين المسلمين والكفار واقوال علماء السوء الذين معكم بالخرطوم مع حب الرياسة والرغبة فى الحياة الدنيا وطمع البقاء فيها ، وهيهات هيهات . واعلموا ان جميع ما اخبرؤكم به المخبرون وانتم خابرتونا به فهو فى غير محله ، لانه لو كان هناك وقوع شيء لكنا اعلم به منكم ، لان البوسطة والمخابرات جارية ليلا ونهارا من جميع الجهات الداخلة تحت طاعة المهدى عليه السلام وعلى تقدير وقوع شى مما ذكرتموه فلا يوجب خللا فى المهدية . بل ان الامام عليه السلام منصور ولا شك انه يُهلك جميع اهل الطغيان والنفاق ولو بقى وحده بدون انسان معه كما دل على ذلك البرهان والعيان . ومثل هذه الاخبار الواردة بجوابكم لا تهش قلوب الانصار لا سيما امراهم فانهم والله فى غاية التصميم وقوة العزم وكل منهم يغدو ويروح راضيا بالموت ولا يرغبون بتزييف الاقوال والافعال ، بل مستعينون بالله فى جميع الاحوال ، لان هذه المهدية على حق ، والمهدى لا تنفع معه جيوش انكليزيات ولا اجزا كهربانيات ولا ذخائر جبخانات ، بل النافع الرجوع للحق وبعد الباطل بجميع اصنافه وتسليم الامر لهذا الامام عليه السلام ، فلا نجاة الا فى ذلك ، ولا سلامة الا فيما هنالك . فان كانت لكم معى محبة كما حكيتكم فاقبلوا قولى وانتفعوا به وسلموا انفسكم والمسلمين والا فستعلمون غدا من الكذاب الاشر . وصندوق الصابون المرسول مع رسولكم وصل الينا وها هو عايد ومردود اليكم لان ردكم لهدية الامام المهدى عليه السلام اوجب لنا رد هديتكم وكيف لا نردها وانتم رددتم هدية خليفة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فى الارض مع ان قبول الهدية فيه ما فيه من تاليف العقول الموجب لراحة النفوس . والحاصل ان هذا الجواب المرسول الآن ليس فيه الا زيادة الشماتة لانكم مع اهل البندر لو علمتم احوال انصار الامام عليه السلام المقيمين حول الققرة لما حررتموه بل لا يكون منكم الا التسليم فقط ان اراد الله لكم ولمن معكم السلامة. وهذا ما نصحتكم به والله الهادى

---

(١) نقلنا هذا من يوميات غردون .

للصواب واليه المرجع والمآب ، وحرر غاية القعدة ١٣٠١(٢) .

فتوى علماء الازهر (١)

صورة فتوى علماء مصر فى المهدى وهى مبنية على كتابه المتقدم (٢)

مقدمة

اجتمع جماعة من كبار علماء الازهر فى ١٨ ذى العقدة سنة ١٣٠٠هـ بدار العلامة الشيخ محمد العباسى المهدى شيخ الازهر ومفتى مصر فافتوا هذه الفتوى بعد ان صوروا سؤالا بنوا عليهم الجواب (٣) .

السؤال

ما تقول علماء الدين الحاملون لشريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين(٤) فى رجل خرج عن طاعة خليفة الله فى ارضه ، المبايع من اهل الحل والعقد من المسلمين، وانعقد اجماعهم على خلافته وامامته ، فاغرى بعض اهل الجبال(٥) فى بلاد السوودان

---

(٢) يوافق ذلك ٢٢ سبتمبر ١٨٨٤.

(١) وقفنا على نسخة مطبوعة بالحجر لهذه الفتوى بدار الكتب المصرية . ثم وقفنا على نسخة مغربية احضرها لنا الاستاذ الجليل محمد ابراهيم الكتانى – رحمه الله – عند زيارتنا للرباط لالقاء دروس فى مدرسة علوم الاعلام وقال انها بخط ابيه . ثم نقل لنا الدكتور يحيى محمد ابراهيم النص الذى طبع بمطبعة الحجر بالخرطوم نقلا عن كتاب الدعاة من المتألهين والمتنبيين والمتمهدين (ص ١ – ١٢) . وقد اعتمدنا فى هذا التحقيق النسخة القاهرية لانها الاصل الذى طبع اولا ثم عارضناها بالنسختين المغربية والسودانية . وقد رمزنا الى النسخة المصرية بالحرف ص والى النسخة المغربية بالحرف م والى النسخة السودانية بالحرف س .

(٢) ورد فى م و س عنوان آخر مختلف وهو : « افتاء علماء الازهر الاعيان فى ابطال دعوى مهدى السودان » .

(٣) ورد فى م و س مقدمة مختلفة ، مع بعض خلافات بينهما . وننقل فيما يلى النص مع بيان الخلافات فى مواضعها : وحاصله (هذه العبارة لا ترد فى س) قد اعتنى (عنى فى س) حضرات علماء الازهر الاعلام بتأييد الدين الحنيف فأجابوا عن السؤال الموجه اليهم (الى حضراتهم فى س) فى شأن مهدى السودان (زاد م هنا عبارة وخصوصا) بالادلة الشرعية القويمة (القوية فى م) والنصوص الاسلامية القاطعة والبراهين الواضحة فلم يبق بعد ريب فى ان ذلك الرجل من المفترين على الله المارقين عن جادة الحق. وقد اتفقت نصوص هذه الفتوى الشريفة (الفتوى من الشريعة فى م) على انه يجب على كل مسلم الحذر من اتباع دعواه الكاذبة والتباعد عنها وكف صاحبها بكل طريق . واعلم ان (وان فى س) هذه الفتوى المنيفة يجب على جميع المسلمين الاهتداء بهديها ، فان الذين امضوها (فى م امضواها) هم حضرة الاستاذ الاوحد العلامة الامجد الشيخ محمد العباسى المهدى شيخ (فى س : هم حضرات شيخ) الجامع الازهر ومفتى الديار المصرية وحضرات (لا يرد فى س عبارة حضرات) اعاظم العلماء الازهريين من الشافعية (فى س : علماء الازهر الشافعية) والمالكية والحنفية ، وليس منهم الا من هو قدوة متبعة فى علوم الدين الشريف وكلهم من افاضل العلماء واوائل (واماثل فى س) المحققين . والعلماء هم هداة دين الله والدالون على طريق الحق وائمة الصراط المستقيم . فمن اهتدى بهديهم نجا وكان من الراشدين ، جزاهم الله عن نصرة دينه خير الجزاء ونفع بهم وبعلومهم جميع المسلمين ، آمين .

(٤) [صلى الله . . . اجمعين] م ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه اجمعين : س .

(٥) يقصد بالجبال جبال البحر الاحمر .

وتحايل(٦) عليهم بزخارفه وتمويهاته وقاتل معهم جيش المسلمين ، وادعى الامامة العظمى وانه المهدى المنتظر ، وصار يكتب الى بعض تلك الجهات مكاتبات يدعوهم بها الى طاعته والقتال معه لعساكر امام المسلمين ونائبه(٧) .

ومن جملة ذلك ما كتبه خطاباً الى شيخ عربان فى جهة سواكن ومن تبعه(٨) مضمونه ، بعد ذكر (٩) البسملة والحمدلة والصلاة على سيدنا محمد وآله وذكر آيات قرآنية (١٠) واحاديث آمرة بالجهاد فى سبيل الله وناهية عن موالاة اعدائه تعالى ، انه ادعى الخلافة الكبرى لنفسه واخبار النبى صلى الله عليه وسلم بأنه المهدى المنتظر وانه اجلسه على كرسيه مرارا بحضرة الخلفاء والاقطاب والخضر عليه السلام وان الله تعالى ايده بالملائكة المقربين والانبياء والاولياء من لدن آدم الى زمننا(١١) هذا والمؤمنين من الجن وانه فى ساعة الحرب يحضر معهم امام جيشه سيد الوجود صلى الله عليه بذاته الكريمة وآتاه سيف النصر من حضرته صلى الله عليه وسلم وانه اعلم انه لا ينصر عليه معه احد ولو كان الثقلين من الانس والجن وانه صلى الله عليه وسلم قال له ان الله جعل له على المهدية علامة وهى الخال على خده الايمن وجعل علامة اخرى تخرج راية من نور وتكون معه فى ساعة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام . ثم قال له صلى الله عليه وسلم انه مخلوق من نور عنان قلبه ، وذكر ان من له سعادة صدق انه المهدى المنتظر ، وانه صلى الله عليه وسلم اخبره ان من شك فى مهديته كفر بالله ورسوله ، وان من عاداه كافر ، وان من حاربه يخذل فى الدارين وماله واولاده غنيمة للمسلمين ، وبشره صلى الله عليه وسلم بان اصحابه كاصحابه وان عوامهم لهم رتبه عند الله كرتبة الشيخ عبدالقادر الجيلى (١٢) ، وذكر ان الله قد ابطل حكم الترك بظهور دينه وفل شوكتهم وسماهم النبى صلى الله عليه وسلم كفارا ، بل هم اشد (١٣) الناس كفرا حيث انهم

---

(٦) وتحيل : م .

(٧) يقصد بنائبه خديوى مصر .

(٨) انظر هذا الخطاب فى الآثار الكاملة للامام المهدى - مجلد ١ بصفحة ٣٢٢ - ٣٢٥ .

(٩) [ذكر] م .

(١٠) [قرآنية] س .

(١١) زماننا : م .

(١٢) الجيلان : م .

(١٣) بل قال انهم اشد : م .

ساعون فى اطفاء نور الله تعالى ، وامر بالتجهز (١٤) لقتالهم لامر الله له به ، وبشره بخواص وبشائر لم تكن لمن قبله ، وانه وجه اليهم الشيخ عثمان ابابكر للاستعانة به على اقامة الدين وجهاد الكافرين ، وجعله اميرا عليهم ، الى آخر ما ذكره من امرهم بقتال من خرج عن طاعته وامرهم بمبايعته وزخرف به كلامه .

فما تقتضيه الاحكام الشرعية فى هذا الرجل وفى اوامره واجراءته ، افيدونا مأجورين .

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله مظهر الحق ومزهق الباطل والصلاة والسلام على رسول الله سيد الاواخر والاوائل .

اما بعد ، فقد اطلعنا على ما كتبه المتمهدى السودانى (١٥) الى بعض اهل سواكن المسطر مضمونه بهذا السؤال ، المخبر فيه بأنه المهدى المنتظر والخليفة الاكبر ، يحرضهم فيه على قتال الترك ومن معهم من المسلمين الخارجين عن طاعته ، فوجدنا ما تضمنه من ذلك معارضا للكتاب والسنة مخالفا لما عليه ائمة الامة المحمدية .

وذلك انه ادعى ان الله ايده بالخلافة الكبرى وان النبى صلى الله عليه وسلم اخبره انه المهدى المنتظر ، وآية ذلك خال على خده الايمن وراية من نور يحملها عزرائل حالة حربه ، وآتاه الله (١٦) سيف النصر فينتصر على كل محارب ، الى آخر ما ذكره ، وذلك لا يحقق دعواه ولا يؤيده شيئاً من صريح كلامه ولا فحواه ، اذ الخال المذكور يشترك فيه معه كثير من الناس ، والراية المذكورة غير محسوسة بشئ من الحواس .

على ان اظهار الخارق على يد غير نبى لا يستلزم ولايته (١٧)، بل (١٨) يكون على يد فاسق استدراجا . ورؤيته صلى الله عليه وسلم بعد موته ، ولو يقظة ، على القول بجوازها ، وايده ابن حجر وغيره ، كرؤيته مناما ، لا تناط بها احكام شرعية كما ذكره النووى فى شرح مسلم وصاحب

---

(١٤) بالتجهيز : س .
(١٥) السودان : م .
(١٦) [الله] س .
(١٧) ولايته : م و س .
(١٨) هل سقط هنا لفظ « قد » ؟

المواهب ، وقالا ان حياته صلى الله عليه وسلم حينئذ حياة اخروية لا تتعلق بها الاحكام ، وصرح ابن حجر كما نقله عنه المناوى فى شرح الشمائل ان هذه (١٩) من الخوارق التى لا تنتقض بها القواعد الكلية ولا تنبنى عليها الاحكام الشرعية ، انتهى . اى ومن القواعد الكلية ان لا تكون الخلافة الكبرى ولو للمهدى الا بمبايعة من اهل الحل والعقد او عهد خليفة قبله كما هو مقرر فى كتب مذاهب الائمة ، خصوصا وهذه الرؤيا (٢٠) ، بفرض حصولها ، متوفرة شروطها من تمام المناسبة بين الرائى وبينه صلى الله عليه وسلم من حيث الصفات والاحوال والافعال كما ذكروه (٢١) مخالفة لصريح أصح حديث ورد فى المهدية (٢٢) من انه يخرج من المدينة الى مكة ويبايعه الناس على كره منه بين الركن والمقام ويبايعه ابدال الشام وعصائب العراق ، وهو ما رواه ابو داود فى سننه وخرّجه البغوى فى مصابيحه عن ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : «يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من اهل المدينة هاربا الى مكة فيبايعه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث (٢٣) اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدال الشام وعصائب اهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام» (٢٤) الى آخره . قال ابن خلدون سنده متين على شرط الشيخين لا مغمز فيه ولا مطعن ، انتهى . وهو حديث قاطع لعروق الاشتباه فى امر المهدى الامام المنتظر على القول به . وذكره ابو داود فى ابواب المهدى ، اذ قد صرح فيه بجملة علامات هى كالنجوم الباهرات ، منها : انه يخرج من المدينة هاربا الى مكة ، ومنها انه يبايعه اهل الحل والعقد ، وان تلك المبايعة تكون بين الركن والمقام ، ومنها ان ذلك انما يكون بعد موت خليفة الوقت والتنازع فى اقامة خليفة غيره ، وانه يكون كارها لبيعته لا راغبا فيها ، فضلا عن ان يدعو الناس اليها . ولم يوجد فى هذا الرجل شئ من ذلك ولم يوجد ايضا غيره مما ذكر فى شأن المهدى فى الاحاديث الواردة فيه . وبذلك يتضح ان دعواه هذه باطلة وليس هو المهدى المنتظر ولا الخليفة ، وان دعواه رؤيته صلى الله عليه وسلم

---

(١٩) هذه اى رؤية النبى : م .

(٢٠) الرؤية : س .

(٢١) ذكروه : س .

(٢٢) المهدى : س .

(٢٣) فيبعث : ابن خلدون .

(٢٤) لا ترد عبارة « بين الركن والمقام » فى ابن خلدون ، ولعلها زائدة هنا .

واخباره اياه بذلك لا تثبت مطلوبه ولا ينظر اليها ولا يعول عليها .

ثم انه ادعى انه بايعه على الخلافة اهل الحل والعقد فى تلك الجهة وبذلك كان الخليفة والمهدى . ففى صريح الحديث المذكور ما ينطق برد دعواه هذه من انه لا يقوم المهدى الا عند خلّو الزمان من خليفة بل لو ادعى خلافة كبرى غير خلافة المهدى وانه بويع عليها لا تقبل هذه الدعوى ايضا مع اجماع العلماء على انه لا تصح مبايعة مع وجود امام آخر تقررت بيعته شرعا لحديث البخارى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال : « فوا للاول بيعته» وفى رواية : «فوا بيعة الاول» . وحديث مسلم : «من بايع اماما فاعطاه صفقة يده فليطعه ان استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» ، وفى حديث عرفجة : « فاضربوه بالسيف كائنا من كان » وذلك لما فيه من الشقاق وشق عصا المسلمين وكثرة الفتن . ولا خفاء ان الامام الموجود الآن قد تقررت خلافته وتحققت امامته بمبايعة اهل الحل والعقد من العلماء والامراء والاكابر واطبق عليها عامة اهل الاقطار من المسلمين فلا تصح بيعة غيره مع وجوده . واما امره فى جوابه المذكور الناس بقتال الترك ومن معهم وقوله فى ذلك الجواب انهم كفار بل اشد الناس كفرا وان اموال من حاربه واولادهم غنيمة للمسلمين فتهور تمجه الاسماع وتزجه الطباع ويغضب الله ورسوله ويبلغ به الشيطان مأموله لمخالفته لأصول الشريعة وفروعها ومباينته لنصوص ائمة المسلمين (٢٥) وجموعها ، فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان : «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دمائهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله» . وقال ايضا لمن قال له انما قالها تقية لنفسه وماله : «هلا شققت عن قلبه» ، منكراً عليه ما فعله من قتله مؤذنا له بأن مجرد النطق بالشهادتين منه كاف فى حقن دمائه وماله . وقال صلى الله عليه وسلم : « من كفر مسلما فقد كفر» وفى رواية « فقد باء بها احدهما». وقال الغزالى فى كتابه الفيصل : يجب ان تكف لسانك عن اهل القبلة ما امكنك ما داموا قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله غير مناقضين لها ، انتهى . واستباحة دماء المسلمين المصلين المقرين بالتوحيد خطأ ، والخطأ فى ترك الف كافر فى الحياة أهون من الخطأ فى سفك دم مسلم واحد كما ذكره الغزالى ايضا ، وقال صاحب المواهب فى آخره: ولا تكفر احدا من اهل القبلة الا بما فيه نفى الصانع القادر او اشراك (٢٦) او انكار ما علم

---

(٢٥) الاسلام : س .

(٢٦) او شرك : س .

مجيئه صلى الله عليه وسلم به ضرورة او انكار مجمع عليه كاستحلال المحرمات . انتهى .

ودعواه ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبره بأن من شك فى مهديته كفر بالله ورسوله وان من عاداه كافر وان من حاربه يخذل فى الدارين وماله واولاده غنيمة للمسلمين دعوى لا دليل عليها ولا تثبت مطلوبه من قتال الترك الذين قام دليل المشاهدة على اسلامهم ، لا فرق بين ان يكون اخباره الذى ادعاه يقظة ، على القول بجواز رؤيته صلى الله عليه وسلم بعد موته يقظة ، او يكون مناما ، اما الاول فلعدم جواز اخبار النبى صلى الله عليه وسلم بما هو من الكبائر ، وحينئذ تكون هذه الدعوى من قبيل تعمد الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . على انهم نصوا على عدم ترتب الاحكام الشرعية على مثل ذلك الاخبار بعد الموت كما تقدم ذكره ، واما الثانى فلعدم ثبوت الاحكام بالرؤيا المنامية كما صرحوا به ايضا ، وان كانت رؤيته صلى الله عليه وسلم فى النوم حقا لو توفرت شروطها لعدم ضبط المنام ، هذا اذا كان المخبر به غير مخالف للشرع ، واما الاخبار بهذه الدعوى المتقدمة من ان من شك فى مهديته بخصوصه كفر بالله ورسوله فقد ثبت مخالفتها للمقرر فى الشرع كما تقدم ، فلا يسوغ ذلك لجنابه صلى اللّه عليه وسلم الا ان يكون على الضد على حد ما ذكر فى بعض كتب التعبير ان من رأى أحدا من الانبياء وهو يأمره بما يخالف الشريعة يكون ذلك نهيا له وزجرا وتهديدا كما فى قوله عليه الصلاة والسلام : «اذا لم تستح فاصنع ما شئت» ، فعلم بذلك كله ان تكفيره لكل منكر مهديته وللاتراك ومن معهم من المسلمين خلاف للكتاب والسنة واجماع ائمة الهدى والرشاد واهل الحق والسداد . وما ذكره من الآيات والاحاديث مروجا به دعواه محرف عن مواضعه، مورد غير موارده ، فهو كما قال ابن عمر رضى الله تعالى عنه فى الخوارج فيما رواه البخارى فى صحيحه : انهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها على المؤمنين . واخرج البزاز بسند حسن عن عائشة قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخوارج فقال : « هم اشرار امتى يقتلهم خيار امتى» (٢٧) انتهى . ولا شك ان كل من شاركهم فى الوصف والفعل شاركهم فى الحكم . ومن البين ان فى ذلك اثارة الفتن وايقاد (٢٨) لنار المحن وتهييجا لنفوس

---

(٢٧) شرار امتى يقتلهم خيار امتى : م ، بزيادة ليست فى الاصل .

(٢٨) هكذا فى كل النسخ ولكن الوضع يقتضى : وايقادا .

المسلمين بقتل بعضهم بعضا . وقد قال صلى الله عليه وسلم : «الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها ».

وحيث كان من المحقق بطلان دعواه كفر عموم الترك وخليفة المسلمين الآن ونائبه فى الاقطار المصرية واتباعه المسلمين فليزم كل ذى لب سليم وعقل قويم وصراط مستقيم الحذر من خزعبلاته هذه وبذل الجهد فى مجانبته وتحصين القلب عن الميل الى شئ من اقواله وافعاله ، فانها ليست من الدين فى شئ . وقد قال صلى الله عليه وسلم : «من احدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد عليه». بل يجب على كل مسلم اطفاء هذه الفتنة ومنعه عن اراقة دماء المسلمين بغير حق وصده عن ذلك باى طريق . والخير كل الخير فى الاستمساك بعروة الشريعة الشريفة ، والشر كل الشر فى سلوك غير سبلها الوريفة . والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب (٢٩) .

تحريرا فى ١٨ ذى العقدة ١٣٠٠هـ

الفقير محمد عباسى المهدى الحفنى الحنفى عفى عنه

الفقير عبدالهادى نجا الابيارى الشافعى خادم العلم بالازهرى .

الفقير عبدالرحمن الشربينى ،، ،، ،، ،، .

الفقير محمد عيسى الغلماوى ،، ،، ،، ،، .

الفقير محمد العشماوى ،، ،، ،، ،، .

الفقير احمد شرف الدين المرصفى ،، ،، ،، ،، .

الفقير احمد المغربى (٣٠) الشرقاوى ،، ،، ،، ،، .

الفقير احمد الجيزاوى المالكى ،، ،، ،، .

الفقير احمد الرفاعى المالكى ،، ،، ،، وشيخ رواق الفيامية (٣١).

الفقير اسماعيل الحامدى المالكى ،، ،، ،، ،، ،، الصعايدة.

الفقير عبدالقادر المازنى المالكى ،، ،، ،، .

---

(٢٩) هنا تنتهى النسخة المغربية مسقطة اسماء العلماء الموقعين وموقف الشيخ الانبابى .

(٣٠) العربى : س ، ولسنا ندرى ان كان هذا من الاصل او مما جره اليه قلم الدكتور يحيى .

(٣١) رواق الضمة : س .

الفقير سليم مطر البشرى المالكى خادم العلم بالازهر وشيخ رواق الابتغاويه.

الفقير محمد البسيونى المالكى خادم العلم بالازهر .

الفقير حسن داود ،، ،، ،، ،، .

الفقير السيد على الببلاوى ،، ،، ،، ،، .

الفقير نصر مبارك العمرانى المالكى خادم العلم بالازهر .

احمد حنفى ،، ،، ،، ،، .

الفقير عبدالرحمن البحراوى الحنفى مفتى نظارة الحقانية خادم العلم بالازهر .

الفقير حسين الطرابلسى الحنفى مفتى عموم الاوقاف خادم العلم بالازهر

الفقير عبدالله الدرستاوى النابلسى الحنفى مفتى ضبطية مصر خادم العلم بالازهر .

الفقير عبدالقادر الرافعى الحنفى من اعضاء مجلس المحكمة الكبرى الشرعية خادم (٣٢) العلم بالازهر .

الفقير عبدالقادر الدليشانى الحنفى مفتى اعضاء مجلس المحكمة الكبرى الشرعية خادم العلم (٣٣) بالازهر .

الفقير راشد افندى الحنفى من اعضاء مجلس المحكمة الكبرى الشرعية خادم العلم بالازهر .

الفقير مسلم عمر الحنفى خادم العلم بالازهر .

الفقير حسين الخليل ،، ،، ،، ،، .

الفقير مسعود النابلسى ،، ،، ،، ،، .

الفقير حسونة النواوى ،، ،، ،، ،، .

الفقير صالح الطرابلسى ،، ،، ،، ،، .

انتهى

ولم يحضر معهم الشيخ محمد الانبابى الشافعى الذى كان شيخا على الازهر بل افتى بمفرده فى هذا الموضوع بما وافق هذه الفتوى فى ابطال دعوى المهدى هذا .

---

(٣٢) وخادم : س .

(٣٣) { الفقير راشد افندى . . . . خادم العلم } س .

فتوى الشيخ الانبابى (١)

هذا وقد افتى حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد الانبابى الشافعى ايضا فى هذا الموضوع ولكن لما كان السؤال فى هذه الفتوى ، لا يختلف عما اسلفناه من السؤال الاول اقتصرنا فى الطبع على الجواب من هذه الفتوى (٢) وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله الذى هدانا سبيل الرشاد والصلاة والسلام على سيدنا محمد القاصم بسيفه اهل العناد وعلى آله وصحبه الراشدين والتابعين لهم فى تاييد معالم الشريعة والدين . دعوى هذا الرجل انه المهدى المنتظر يردها احاديث وآثار وردت فى المهدى المنتظر ، منها ما اخرجه نعيم بن حماد عن قتادة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يخرج المهدى من المدينة الى مكة فيستخرجه الناس من بينهم فيبايعونه بين الركن والمقام وهو كاره» ، ومنها ما اخرجه ابن ابى شيبة والامام احمد وابو داود وابو يعلى والطبرانى عن ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه سلم ، قال :« يكون اختلاف عند موت خليفه فيخرج (رجل)(٣) من اهل المدينة هاربا الى مكة فيبايعه ناس من اهل مكه فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث (٤) اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدال الشام ، وفى نسخة ابدال اهل الشام (٥) ، وعصائب اهل العراق فيبايعونه» الى آخر الحديث ، واخرج نعيم بن حماد عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما : « يحج الناس معا ويعرفون معا على غير امام ، فبينما هم نزول اذ اخذهم داء الكلب فسارت القبائل بعضهم الى بعض فاقتتلوا حتى تسيل العقبة (اى بمنى) دما فيفزعون الى خيرهم فيأتونه وهو ملصق وجهه الى الكعبة يبكى كأنى انظر الى دموعه فيقولون هلم الينا فلنبايعك فيقول ويحكم كم من عهد نقضتموه وكم من دم سفكتموه فيبايع كرها، فاذا ادركتموه فبايعوه فانه هو المهدى فى الارض والمهدى فى السماء» .

ووجه رد ما ذكر لدعواه انه افاد انه يخرج هاربا من المدينة الى مكة ويبايعه اهل الحل والعقد

---

(١) نورد هذا نقلا عن كتاب الدعاة من المتألهين والمتنبيين والمتمهدين ص ١٢ – ١٧ .

(٢) يقصد انه استغنى عن نقل السؤال الموجه الى العلماء لوروده مع الفتوى الرئيسية ولكنه استغنى ايضا عن تلخيص العلماء لرسالة المهدى التى بنيت عليها الدعوى .

(٣) سقط هذا فى هذه الفتوى ، ونظن ان ذلك من خطأ النقل اذ لا نرى ان يقع الشيخ الانبابى فى خطأ كهذا .

(٤) فيبعث : ابن خلدون .

(٥) ورد نص هذه الاضافة فى بعض القراءات للحديث .

وان تلك المبايعة بين الركن والمقام وان ذلك انما يكون بعد موت خليفة الوقت والتنازع فى اقامة خليفة غيره وانه يكون كارها لبيعته لا راغبا فيها ولم يوجد فى هذا الرجل شئ من ذلك .

ويردها ايضا انه لم يوجد فى هذا الرجل علامات اخرى وردت فى المهدى المنتظر منها خروج غمامة على رأسه فيها مناد ينادى هذا المهدى خليفة الله فاتبعوه يظهر منها كف تشير الى بيعة المهدى ، واخضرار غصن يابس بعد غرسه له فى ارض يابسة ، وهبوط الطير على يده باشارته ، وكسوف الشمس فى نصف شهر رمضان وخسوف القمر فى اوله ولم يكونا منذ خلق الله السموات والارض ، وخروج رجل قبله من اهل بيته بالمشرق يحمل السيف على عاتقه ثمانية عشر شهرا يقتل ويمثل ويتوجه الى بيت المقدس فلا يبلغه حتى يموت ، ووجود نار عظيمة من قبل المشرق تطلع ليلا قبله تمكث ثلاثة ايام او سبعة ، وحسر الفرات عن جبل من الذهب ، وخروج ملك على رأسه ينادى ان هذا المهدى فاتبعوه وخروج السفيانى قبله ، وكون وجهه كالكوكب الدرى فى اللون ، وخروج مناد فى الحرم ينادى من السماء الا ان صفوة الله فى خلقه فلان ، يعنى المهدى ، فاسمعوا له واطيعوا .

ودعواه الخلافة الكبرى لا تقبل لأنها متوقفة على مبايعة اهل الحل والعقد ، ولا تصح مبايعة مع وجود امام آخر تقررت بيعته شرعا لحديث البخارى ومسلم ، واللفظ للأول : عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كانت بنوا اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبىَ خلفه نبى وانه لا نبى بعدى وسيكون خلفاء فيكثرون» ، وقالوا بما تأمرنا قال : «فوا ببيعة الاول» الحديث . ولما فى حديث مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : «ومن بايع اماما فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع ، فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » ، ولما فيه ايضا عن عرفجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم او يفرق جماعتكم فاقتلوه » ، اى اذا لم يندرء الا بالقتل وذلك لما فيه من الشقاق وشق عصا المسلمين وكثرة الفتن بين المؤمنين ولا خفاء ان الامام الموجود الآن قد تقررت خلافته وتحققت امامته بمبايعة اهل الحل والعقد من العلماء والامراء والاكابر واطبق عليها اهل الاقطار من المسلمين فلا تصح خلافة غيره مع وجوده .

ودعواه ان الله قد ابطل حكم الترك بظهور دينه وفل شوكتهم وان النبى صلى الله عليه وسلم

سماهم كفارا بل انهم اشد الناس كفرا لسعيهم فى اطفاء نور الله تعالى لا دليل عليها وتعليله غير متحقق بل هم (٦) مؤمنون حقا للاجماع على ان من نطق بالشهادتين فهو مؤمن فلا صحة لدعواه المذكورة حينئذ . وما تضمنته دعواه ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبره بأن من شك فى مهديته كفر بالله ورسوله ومن عاداه كافر ومن حاربه يخذل فى الدارين وماله واولاده غنيمة للمسلمين ، من كفر من شك فى مهديته وكفر من عاداه واستباحة دم ومال وولد من حاربه ، فهو مخالف لنصوص الشريعة ، فقد قال صلى عليه وسلم فيما رواه الشيخان : « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله » ، وقال ايضا لمن قال له انما قالها تقية لنفسه وماله : « هلا شققت عن قلبه » منكرا عليه ما فعله من قتله موذنا له بأن مجرد النطق بالشهادتين كاف فى اسلامه وحقن دمه وماله ، وللاجماع على انه لا يكفر احد من اهل القبلة الا بنفى الصانع القادر تعالى او اشراك او انكار ما علم مجيئه صلى الله عليه وسلم به ضرورة او انكار مجمع عليه كاستحلال المحرمات المجمع عليها . واخباره صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لا يثبت به حكم شرعى سواء كان فى يقظه او نوم رآه ام لا كما ذكروه على ان نسبة ذلك له صلى الله عليه وسلم من قبيل تعمد الكذب عليه ان كان يقظة لعدم جواز اخبار النبى بما هو من الكبائر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «من كذب علىّ متعمدا فليتبوّ مقعده من النار» . ودعواه ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبره بأن الله جعل له على المهدية علامة وهى خال على خده الايمن الى الامر الثالث (٧) لا تنتج مطلوبه لما علمت من انه لا يثبت بذلك حكم شرعى ، على ان الخال يوجد فى كثير من الناس ، فهو وحده غير كاف ، بل لا بد من وجود العلامات التى تقدم التنبيه على نبذة منها ، وخروج الراية وان كان خارقا للعادة على فرض حصوله لا يفيده ، اذ الخارق قد يكون على يد غير نبى وولى ، بل يد فاسق استدراجا ، وقد تحقق فسق هذا الرجل بدعاويه الباطلة وتهوراته العاطلة .

ودعواه ان النبى صلى الله عليه وسلم اجلسه على كرسيه مرارا الى الامر بالتجهز للقتال لا يلتفت اليها ولا يعول عليها ولا تفيده شيئا . واما امره بالتجهز لقتال الترك لامر الله له به والتحريض عليه فمخالف للنصوص .

---

(٦) فى الاصل : هو ، وصوابه : هم .

(٧) الامر الثانى هو : جعل لى علامة اخرى تخرج راية الخ والامر الثالث : انك مخلوق من نور عنان قلبى الخ .

اذا علمت ذلك علمت بطلان دعواه المهدية والخلافة الكبرى وكفر الترك واثمه بالامر بقتالهم والتحريض على اهلالكهم ومخالفته لما عليه ائمة الهدى والرشاد واهل الحق والسداد . ومن المعلوم ان فى صنعه اثارة للفساد وايقاظا للفتنة بين العباد فيلزم كل مسلم الحذر من متابعته وبذل الجهد فى ردعه ومجانبته ، فقد خرج عن الطريق المستقيم وحاد عن سبيل الشرع القويم ، حيث احدث فى الدين ما ليس منه ، فهو رد عليه وراجع اليه ، وتسبب فى اراقة دماء المسلمين واغضب بسوء صنيعه رب العالمين . والخير كل الخير فى التمسك بالشريعة والاتباع والشر كل الشر فى مخالفتها والابتداع والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . الفقير الى الله تعالى محمد الانبابى الشافعى خادم العلم بالازهر .

من محمد سر الختم الميرغنى الى اهالى الخندق (١)

بسم الله الرحمن الرحيم به الاعانة بدءاً وختما وصلى الله على سيدنا محمد ذاتا ووصفا واسما(٢) ، من رق مولاه الغنى محمد سر الختم الميرغنى .

الى تمام اغا واخوانه والسيد عبدالله حمزة (٣) التاجر واخوانه وكافة تجار الخندق واهالى البلد.

بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كنا تركنا مكاتبتكم بسبب الجارى بطرفكم . وحيث عشمنا فى الله تعالى ان مادة الفتن انقطعت، وربنا رضى عنكم ، وقد رأيتم ما حل ببلادكم من سفك الدما ، وهتك الاعراض وسلب الاموال ، وجلب الاهوال ، وجعل الحرائر المسلمات ارقاء غنيمة ، وشاهدتم هذا باعينكم ، وقد نظرتم فيما سبق قبل انتشار الفتن بدياركم حكم الحكومة المصرية ، وما بذلته لكم من الامن والمساواة فى الحقوق وكف يد الطغيان وقمع الفجرة المتمردين وفل شوكة المعتدين . والذى حصل منكم فى هذه السنين هو مخالف للشريعة المطهرة المحمدية والملة الاسلامية والشفقة والانسانية .

---

(١) خطاب من محمد ميرغنى سر الختم الى اهل الخندق ، نقلنا من اصل مودع بقسم التاريخ بجامعة بيرجن تحت رقم / 15 . N 1298 26a . عبارة « من رق » الى « اهل البلد » متباينة فى الحبر ، ويبدو من ذلك ان الرسالة محررة لترسل لجهات كثيرة وان هذا الطرف كان يضاف حسب من يوجه اليهم .

(٢) هذه ديباجة الختمية التقليدية .

(٣) عبد الله حمزة تاجر كان مشهورا . وقد جمعت وثائقه وخدمت علميا بفضل الدكتور اندرس بيركلو، استاذ التاريخ بجامعة بيرجن بالنرويج . اغا اسم وظيفة وتعنى ان تمام حاكم منطقة . ولعله ان يكون شيخ ناوه

وقد وردت الاحاديث الصحيحة عن سيدى(٤) البشر فى ذم الفتن والتعرض (٥) لها والدخول فيها كما ورد فى الحديث عن ابى بكرة ، قال قال عليه الصلاة والسلام : «انها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيرا من الجالس والجالس خيرا من القائم والقائم خيرا من الماشى والماشى خيرا من الساعى» ، قال يا رسول الله « ما تأمرنى به » ، قال «من كانت له ابل فليلحق بابله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له ارض فليلحق بأرضه » قال : «فمن لم يكن له شئ من ذلك!» ، قال «فليعمد الى سيفه فليضرب بحده على حرة ثم لينجو ما استطاع » . وروى حذيفة ابن اليمان عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال قلت : « يا رسول أبعد هذا الخبر شر !» قال : «فتنة عمياء صماء عليها دعاة على ابواب النار ، فان لم تجد يومئذ خليفة فاهرب حتى تموت ، فان تمت يا حذيفة وانت عاض على جذل خير لك من ان تتبع احدا منهم» ، فاقول يا اخوانى انتم خالفتم امر الله وامر رسله وصرتم بغاة ومخالفين لما يجب عليكم ، لانه تعالى قال : «واطيعوا الله والرسول واولى الامر منكم» . وقال صلى الله عليه وسلم : «من بايع اماما فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا رقبة الآخر» .

ولا شك عندكم فى ان جدى وابائى(٦) عاشروكم معاشرة الناصح الامين وارشدوكم فى دينكم ودنياكم وأخرتكم واجتهدوا معكم فى الله سبحانه وتعالى . وحين ما كنتم قابلين نصائحهم ومتمسكين بهديهم ومقبلين عليهم ومنقادين لاوامرهم التى هى امركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر مع حضكم على اطاعة امرائكم نواب الحضرة الخديوية التى هى نائبة عن الخلافة النبوية كنتم متمتعين بالرفاهية والامان ومتحصلين على اسباب السعادة والثروة والغنا . وكان المسافر منكم يخرق البرارى والقفار يبتغى فضل الله بتجارته من مصر الى خط الاستوا الى اقصى بلاد الفلاتة تحت ظل الحكومة الخديوية بالامن والطمان لا يرى ما يضره ويضر صالح تجارته حتى وانكم اسستم المشارع فيما وراء بحر الغزال ، هذا كله لا تنكرونه بسطوة الحكومة المصرية . وعند ما حصلت هذه الفتنة رأيتم باعينكم المصائب الجارية عندكم .

فبناء على ما ذكر لا يسعنى السكوت لما تقتضيه الصداقة السابقة واخوة الايمان واخوة الطريقة

---

(٤) سيدى : هكذا فى الاصل والصواب « سيد » بغير ياء .

(٥) التعرض : عبارة غير واضحة ، وهذه القراءة تقديرية .

(٦) يقصد بجده محمد عثمان الميرغنى الختم وبآبائى المراغنة بشكل عام .

والخوف من السؤال بين يدى الحق سبحانه وتعالى . وقد حررت هذا لكم لعلكم تتعظون وترجع لكم عقولكم السابقة وترحمون النساء الارامل وتعطفون على الاطفال الذين قتلتم ابائهم وتكفون عن سفك دمائكم التى سيسالكم الله عنها والتحفظ على اموالكم واموال غيركم . وهذه نصيحتى لكم الواجبة علىّ شرعا . ومن زيادة حرصى عليكم وشفقتى بكم اعرضت للحضرة الخديوية ، ادام الله بقاها وايد سلطانها ، التى هى نائبة عن امير المؤمنين بان تصدر امرها بتعيين رجل من رجال حكومتها جمع بين اليقين والقوة والرأفة وحسن السياسة ، حائزا لكل فضيلة دينية وسياسية وحربية وخبير باحوال السوان ، وله فيها الشرف التام والشهرة الكاملة ، ولما كان صاحب العطوفة ناظر الداخلية المصرية والبحرية سعادة عبدالقادر باشا حلمى الحكمدار السابق (٧) بطرفكم متحل بهاته الصفات الجليلة فتكرمت الحضرة الخديوية ، ايد الله سلطانها ، باجابة طلبى . وستعينه ان شاء الله ، رئيسا لجيوشها المظفرة المنصورة ، وهذا رحمة بكم وشفقة عليكم واقامة لحقوق الانسانية ونصرا للاطفال واخذا بثار القتلي وعطفا على النساء الارامل وانتقاما للمظلومين من الظالمين . وان شاء الله سيتوجه وسيكون سيفا من سيوف الله مسلولا على من خالفه . فمن اطاع وسمع وتاب فالله يحب التوابين . والعفو والسماح مبذول له من لدن المراحم الخديوية ، ايدها الله ، ولا يسئل عما مضى . ومن اصر على طغيانه فسينظر بعينه سطوة هذا الرجل الجليل . وانتم تعرفونه حق المعرفة، ولا ازيدكم ايضاحا فى شأنه ، وارجو الله ان يلهمنا واياكم الصوابَ وان ينور قلوبكم وعقولكم فى قبول النصيحة . ومنى عليكم السلام انتم وكافة القبائل والعمد والمشايخ والخلفاء المقيمين بطرفكم . ومن هذا الطرف كافة اخواننا يهدوكم جزيل السلام .

فى ٨ ذو العقدة ١٣٠٢(٨)　　محمد ميرغنى

منشور عام محمد سر الختم الميرغنى (١)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله القديم الاول الذى لا يزول ملكه ولا يتحول ، خالق الخلائق

---

(٧) لم يصدر تعيين لعبد القادر على السودان مرة اخرى ولم نسمع بمثل هذا التعيين فى مصدر آخر، ولسنا ندرى ان كان محمد الميرغنى حقا قابل الخديوى ودبر هذا الامر .

(٨) يوافق ذلك ٢٠ اغسطس ١٨٨٤ .

(١) نقلنا هاتين النسختين بخط اليد بدار الوثائق القومية المصرية وهما متطابقتان الا فى عبارة اختلف فى موضعها ، ونحن نشير ادناه الى موضعى الخلاف ، ويلاحظ انه لم يبدأ بديباجة الختمية ، وربما كان سبب ذلك انها اعدت بواسطة الحكومة المصرية .

وعالم الذرات ، منها كان منها وما هو آت ، والصلاة والسلام على من انار الكون بطلعته واظهر الدين بنصحه ونصيحته . وبعد ، فيا اهل السودان على العموم والعلما منكم والاشراف والرؤساء على الخصوص :

غير خاف عليكم انه لا يقع فى ملكه الا ما اراد ، ولا تكون الارادة الا طبق ما تعلق به العلم القديم . وقد علم الله جلت قدرته ما كان من امر الفتنة فى بلادكم فوقعت عليما ما علم لم تخرج عنه مثقال ذرة . ثم انكم رأيتم نتائجها بينكم ووقعها المسئ فيكم حتى استوجبتم شفقة الحاسد فضلا عن المحبين ، وآلت حالتكم الى تأخركم البين فى اموركم المعاشية الموصلة الى النعيم المقيم فى الدار الباقية . فكم سفكت الدما وطاحت الانفس والاموال ! وكل هذا وانتم فى غيبة عن منافعكم وانصراف عن فوائدكم مشتغلون بما لا يعنيكم من الامر . وفى اليقين انكم لم تجنحوا الى هذه الخطة من انفسكم ولم يصرِكم اليها الا ما رايتموه ممن قام فيكم بامر تلك الفتنة من الضلالات التى البسها الصور الدنيئة ، وانتم بمعزل عما يريد ، قال الله تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا تمسكم النار »(٢) ان لم يرد منكم الا ان كنتم له طوعا ولما يرضا وفقا ، وهو مع ذلك لم يبال بما يصيبكم من الضير فى طريق منفعته . اراد ان يكون سيدا باتعابكم وان تكون كلمته العليا ، فغرر عليكم الامر وخدعكم بما اوهمكم انه من الدين ، وهو ليس منه فى شئ . وكيف يكون ما دعاكم اليه من الدين القويم وهو قد اراد تغيير معالمه واندثار آثاره ، وجعله وسيلة لنيل مآربه ، واختاركم آلة لتنفيذ ما اراد . والا فمن اين جاء له ان الدين القويم يبيح العقد على ما فوق الاربعة من النساء ، وهو الامر الذى اباحه فكان خرقا فى دين الاسلام الشريف لا يرقع الا بالعدول عنه والرضوخ لاحكام الله التى تلقيناها عن الامين المامون عليه الصلاة والسلام . ومن اين جاء له تغيير الصلاة المفروضة على هذا الوجه الذى تلقيناه بالاجماع ، وقد قال صلى الله علية وسلم : لن تجمع امتى على ضلالة ، وقرر العلماء السابقون رضوان الله عليهم اجمعين ان من انكر مجمعا عليه فقد مرق من الدين القويم . واى شرع يجوز له ما ارتكبه فى المسلمين عند التغلب على بعض ديارهم من استباحة العرض والمال والقتل العام ، وهم يتفادون من هذا الشر بالنطق بالشهادتين ، وهو لا يكف عنهم ولا يفلتهم من الانتقام . وقد قال عليه الصلاة والسلام : «فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم

(٢) هود ١١٣ .

واموالهم» . واى شرع يجيز له اهانة اهل الذمة الذين لجئوا اليه . وقد كان عليه الصلاة والسلام يتركهم ودينهم ويكتفى منهم بالجزية ويؤمنهم فى نظيرها على النفس والعرض والمال . أفهل علم بأن هذا الدين القويم كان على غير ما امر به حتى اراد ان يجدده من عنده بغيا وتعديا على الاصول الشرعية المنزلة من عند الله !(٣)

وكما علم الله سبحانه وتعالى وقوع هذه الفتنة على يد هذا الرجل ، فقد علم تعالى شأنه زمن انقضائها وعود الامن فى مكان شبوبها ، رأفة منه وحنانا على عباده ورحمة بهم ان يدوم على الشقا والفناء والعناء . وعلم ان تلك الفتنة تنقضى بانقضاء نحبه كما جرت به سنة الله فى خلقه من بدء الخلق الى الآن من انه اذا اراد امرا هيأ اسبابه ، واذا اراد زواله ازال الاسباب فتزول المسببات ، فالحمدلله تعالى قد اراد الله بكم الخير ورفع الضير بقبض هذا الرجل من هذه الدار ، فقبضه على ما كان عليه وسيحاسبه على ما جرى على يده مما يخالف اوامره ونواهيه ويقتص منه لمن كانوا مستضعفين بين يديه ولم يراع فيهم حرمة ولا ذمة ولم يحفظ لهم عهدا ولا ذمارا : « انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون» (٤).

مات هذا الرجل عنكم بعد ان خلع الطاعة للكتاب العزيز وشق عصى جماعة المسلمين وادعى بما لم يقم عليه دليل من الشريعة المطهرة ولا من اقوال الائمة من السلف الصالحين ، ادعى انه مهدى هذه الامة الذى(٥) يخرج فى آخر الزمان ، يملأ الارض قسطا وعدلا مع انه ملأ بلادكم جوراً وعسفا وحمل اهاليها ظلما وعنفا ، وان موته الآن بدون ان يظهر على يديه شئ من العلامات التى نص العلماء عليها ، وبدون ان يؤسس العدل فى بلادكم ، فضلا عن تعميمه لجميع الارض ، لمن اكبر البراهين على انه كان كاذبا فى دعواه مغررا على كل من لباه . فلا حاجة بعد ذلك الى الاستدلال . وما منكم الا من يعلم ما كانت عليه بلادكم قبل ظهور هذا الرجل بين ظهرانيكم من سير الاعمال على ترتيب منتظم وطريق مستقيم . فكانت تجارتكم رائجة ولواء الامن على نفيس النفس والمال منتشر فى جميع انحاكم ، وكنتم فى راحة دائمة ونعمة وارفة فى ظل الحكومة التى هى فرع من

---

(٣) هنا تزيد احدى النسختين عبارة « ادعى هذا الرجل انه مهدى هذه الامة الذى » . وهذه العبارة ترد فى موضع تالٍ فى النسخة الاخرى .

(٤) يس ٨٢ .

(٥) هاهنا تكون العبارة التى اشرنا اليها فى هامش ٣ .

فروع الخلافة الاسلامية ، ادامها الله ملجا لعباده .

ولما كانت الحكومة المصرية دائما مشفقة بكم ورأت اصراركم على التمسك بما وسوس لكم به ذلك الرجل من التمويهات التى استولا بها على عقدكم ، وان محاربتها اياكم لا ينجم سوى اعدام الانفس وخراب البلاد ، فاجتنابا للوقوع فى هذا الامر وقررت ترك السودان حتى يتبين لكم الرشد من الغى ، وليس من يجهل منكم ما الت اليه حالتكم بعد ظهور هذا الرجل وقيامه بامر تلك الفتنة . فلم يكن غير قليل حتى وقفت تجارتكم وقلت بضائعكم وتعطلت اعمال مكاسبكم وصنايعكم ، وفرق بين الاولاد والامهات واصبحتم فى حالة يرثى اليها كل من سمع بها ولو لم يرها بالعيان . وصرتم فوضى لا سرات لكم فى الاحكام .

وقد علمتم ان الدين القويم ينكر على هذا الرجل كل ما اتاه وان حالتكم المعاشية قد صارت الى ما ينفر منه صنع العاقل ولا يرضاه ، ولا نظن بان الانسان يستديم على غيه بعد ظهور الخير والشر والفرق البين بين الامرين ، فان الله لم يودع الانسان عقلا ولم يميزه به عن سائر الحيوانات الا لاتباع الخير عند ظهوره واجتناب الشر عند تبينه ، وهذا هو ما دعت اليه الآيات الشريفة والاحاديث المنيفة وحث عليه الدين الاسلامى على صاحبه افضل الصلاة وازكى السلام .

هذا وان اخوانكم المسلمين من اهل الديار المصرية وسواها قد عناهم امركم فاشتغلوا بما سيؤول اليه وما تكون عقباه . وقد انفرد من بينهم السادة العلما والصلحا والاشراف ، خصوصا حضرة الاستاذ السيد محمد الميرغنى ، فاستخار الله جلت عظمته من استكشاف امر بلادكم فظهرت له الاشارات الصادقة ، بأن هذا الامر قد انقضى وان سيكون على يدى خمود تلك الفتنة وانطفائها . وان الله اراد تحويل حالكم الى الاصلاح بعد الفساد واستبدال عسركم باليسر وتعويضكم خيرا عما فاتكم من الفوايد والمنافع فى تلك المدة التى انقضت بأنقضاء ذلك الرجل ، والله الفعال لما يشاء . ولا حاجة بى لأن اذكركم بما كان منى ايام كنت بينكم من ركونى الى انهاء المسألة بالسلام رأفة بكم ورغبة فى اطمئنانكم واشتغالكم بمصالحكم التى تعود عليكم بالهدوء والسكينة ونعومة الحال . وانى لم الجأ الى القوة فى بعض الاحايين الا عند استدعاء الحالة لها وعدم امكان التنحى عنها ، وما ذلك الا اتباعا لما امر به الله تعالى فى شرعه القويم على لسان نبيه الكريم لقوله تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينها فان بغت احداهما على

الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى امر الله » (٦) واظنكم لم تنسوا من هذه المقاصد شيئا ولم تزل عن بالكم بتطاول الزمان .

فلتعلموا الآن اننى كلفت بانهاء مسألتكم واعادة الامن فيما بينكم وقد استعد لذلك الجيش الجرار وتهيات له المعدات الكافية من الذخائر والمدافع والاسلحة التى لا تخفى عليكم نيرانها ، ولم ار بدا من قبول هذا التكليف ولا من التصميم على القيام باعبائه . ومع هذا اردت ان اقدم لكم هذه النصيحة مؤملا ان تقابلوها بالسلم والاطمئنان ولا تضطرونى لاستعمال القوة معكم اذ لا يخفاكم ما انا عليه من الميل لنجاتكم وعمار دياركم ، ان اريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله .

فيا اهل السودان ، وانى لاخص من بينكم بالدعاء كل من خدم الحكومة المصرية من المامورين والرؤساء والاعيان ، تذكروا ما كان للحكومة من العناية بكم واغداق نعمها عليكم وموالاتها لكم بالبر والخيرات ، ولا تغفلوا عن شكر نعمها هذه اقتداء بالحديث القدسى الشريف وهو : «عبدى لم تشكرنى اذا لم تشكر من اجريت لك النعمة على يديه» ، وقابلوها بالاخلاص والولاء ، واستعيدوا ما فقدتموه من تلك النعم بالطاعة لها وامتثال اوامرها .

هذا وان لكم التاريخ الاكبر عبرة بمن خرج على الخلافة فى القرون الماضية اذ حل بهم الفنا ونزل بساحتهم الشقاء وصدق عليهم حكم الآية : « يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار » (٧) ، زين لهم الشيطان سوء عملهم فتألبوا على شق العصا والانفلات من الاحكام الشرعية فوسموا باسم الخوارج ، وقاتلهم المسلمون قتالا شديدا بحكم الله ورسوله حتى هلك منهم الكثير وفاء الباقون الى امر الله ، واجمع العلماء على وجوب قتالهم وان كانوا خصصوهم ببعض الاحكام من نحو عدم اقتفاء مهزومهم وعدم التجهيز على جرحاهم ، ولم يقل واحد من السلف الصالحين بتركهم على ما كانوا عليه .

وانى لارى ان ما اقترفوه واستوجبوا عليه عزلهم من المسلمين وتخصيصهم ببعض الاحكام التى منها وجوب قتلهم لا يغاير ما اقترفه هذا الرجل ومن قفاه فى هذا الطريق . فلهذا كان ما كان من امر مقاومتهم بالقوة والسلاح عملا بما اوجبه العلما فى نظائرهم السابقين ، مع ان اولئك الخوارج

---

(٦) الحجرات ٩ .

(٧) الحشر ٢ .

كانوا فى بدء الامر بمعزل عن علماء السنة المطهرة المقومين للدين المحافظين على اوامره ونواهيه ، فانتهز الاشرار منهم تلك الفرصة واغروهم على الخروج . وان اهل السودان ليسوا من هذا القبيل ، فان من بينهم العلما العاملون الذين تلقوا علوم الشريعة المطهرة وحافظوا على العمل بها فى بلادهم حتى عدت كلها من اهل السنة والجماعة وبينهم الصلحا والاتقياء والاشراف المنتسبون للنبى عليه الصلاة والسلام ، فليس لهم حينئذ عذر فى اتباع منهج هذا الرجل والسعى خلفه فى كل ما يريد .

وانتم تعلمون ان غالب من انحاز الى هذا الرجل ينقسم الى قسمين احدهما من تحيزوا معه للتخلص من شره وحفظ انفسهم وما لديهم من الاموال ، وثانيهما من انضموا اليه طلبا للامور الدنياوية والاسماء والالقاب ، وان كل الفريقين لا يكون له من القوة فى المواقع المقتضية لها ما يوصلهم الى غرض او ينالوا به الفوز على المغالبين ، بل ان كلا منهم يترقب الفرص للتسلل من هذه النسبة الشنعا ويحب الخلاص منها فى كل حين .

وفى اليقين ان الفرصة قد جاء جنيها ، فلم يبقى الا السعى فى انتهازها . والعاقل من يترقب الاوقات ولا يغتر بما فات . وان هذه الامور الديناوية التى طلبها احد الفريقين قد نالها الكثير منهم من لدن الحكومة المصرية وستواليها على المستحقين منكم لمن تحققها للصداقة والاخلاص .

وانى ارى ان احسن الطرق لكم فى التخلص مما انتم فيه هو تألبكم جميعا على تقديم الطاعة والتنصل مما كان منكم قبل الآن . وان يجتهد كل منكم بالتزام السكوت والاشتغال بما يعود على شخصه ومن معه بالمنفعة والرفاهية . كما يجتهد فى استمالة من يراه مخالفا للطريق المستقيم بما يبديه اليه من النصيحة والمواعظ ، وان اصر احد على عدم الامتثال والرجوع الى الحق فيعد باغيا ويجب على من قبل النصيحة ان يستعمل مع ما يقيه من شروره ويقيه حتى يصل الجيش لطرفكم ، وهنالك يعلم المفسدون اى منقلب ينقلبون .

ومامولنا من الله تعالى انه بذلك تستتب الامنية ولا يكون للباغين فى نيل مطلبهم مطمع فتنكسر شوكتهم ولا يجدون بدا من الرضوخ والامتثال ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة لله ولرسوله ولعامة المؤمنين . فهذه نصيحتى سقتها اليكم وانا على بينة من الامر ، معتقدا بان المسلم العاقل هو من ياتمر باوامر الله وينتهى بنواهيه ، ومن اذا تبين له طريق الشر

اجتنبه واذا تبين له سبيل الخير سلكة ، والا كان برا من السلام والعقل جميعا ، والله الفعال لما يريد .

هذا وعلى من تبين له الرشد واهتدى الى طريق السلام وقبل النصيحة ان يخابرنا باخلاصه للحكومة التى ستوافيه ما جبلت عليه من موالاة تبعتها ، وبمن اصر على العناد والمخالفة ليعلم انه باغ ومستحق بما يحق به من الهلاك قريب كما يعد كذلك من يتأخر عن مخابرتنا بهذا الاخلاص .

منشور من ناظر الداخلية المصرية مصطفى رياض الى السودانيين(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيد المرسلين

وبعد ، فلا يخفى عليكم ما كانت عليه بلادكم السودانية ايام الحكومة الخديوية من رغد العيش وراحة البال وما آلت اليه حالتها من الضنك والاضمحلال باسباب الفتنة المهدوية التى هى نتيجة اغراض الرؤساء وحب التظاهر من الاغنياء دون مبالاة منهم بما يترتب على ذلك من سفك الدماء حب التظاهر والضرر بالافراد وخراب البلاد . على ان ملتنا الغراء الاسلامية تأمر بالائتلاف والاتحاد وتنهى عن التنازع والسعى فى الفساد ، وأى فساد اعظم من ايقاد نار الفتنة بين المسلمين ! وقد غشكم اولئك الرؤساء تمويها باسم الدين ، وهم ابعد الناس عن معرفة شئ منه حتى اوردكم المهالك واكتسبوا بدماءهم اخوانكم من المسلمين حسن التمتع بنفوذ الكلمة ، وظنوا انهم صاروا من ارباب الممالك . أمن قواعد الدين منع الناس عن الحج وهو من الاركان الخمسة التى بنى عليها الاسلام ! وها انتم ترون اولئك الرؤساء يمنعون قوافل السودانيين عن اداء تلك الفريضة المبررة . أمن قواعد الدين التحريض على قتال المتمسكين بالكتاب والسنة من المسلمين ! وها انتم ترونهم يحرضونكم على قتال امة مسلمة عاشت معكم اعواما مع حسن التمسك بكتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم . وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا شهر المسلم على اخيه فى الدين سلاحا فلا تزال الملائكة تلعنه حتى يغمده» . أمن قواعد الدين تحريضكم على ان تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، وقد قال الله تعالى : « ولا تلقوا بأيدكم الى التهلكة» (٢) .

---

(١) وقفت على المنشور فى دار الكتب المصرية ، وبأعلاه ختم نقش عليه « نظارة الداخلية » وقد صدر بعد واقعة توشكى بدليل الاشارة الى النجومى ، اى بعد ١٨٨٩/٨/٣ . ووردت فى ثبت ونجت لحوادث المهدية اشارة الى ارسال هذا المنشور الى السودان وان مرسولا خاصا غادر به من حلفا فى ٢٤ اكتوبر ١٨٨٩ .

(٢) البقرة ١٩٥ .

فلا حاجة لاطالة الكلام على ما هم عليه اولئك الرؤساء من الاعوجاج عن الدين القويم ومخالفة جماعة المسلمين .

واعلموا ايها الاخوان ان ما حل بولد النجومى وقومه ، وقد اشتهر بينكم بالبسالة والاقدام ، مما يذكركم بعاقبة الامر الذى انتم فيه. والعاقل من اعتبر بغيره. فالنصيحة ان تعودوا الى قول القائل :

يقضى على المرء فى ايام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

فترجعوا عما انتم عليه مما اضرّ بلادكم ويتّم اطفالكم ورمل نساءكم ، كل ذلك خدمة لاغراض الرؤساء وابتغاء غاياتهم . والحق الذى يعلم الله ان الجناب الخديوى العالى ، نصر الله اعلامه ، اشفق على الرعايا من الآباء على الابناء ، حريص على راحة العباد واطمئنان البلاد . وقد ابى افتتاح بلادكم بالقسوة والعنفوان للدماء وشفقة بالفقراء . وكثيراً ما غير خاطره الشريف ما المّ بكم من الوبال وسوء الحال وتمنى ان ينعم الله عليكم بالهداية ويمنحكم من مراحمه ما يرجع بكم الى ما كنتم عليه من الرغد وصفاء البال . فاغتنموا هذه الفرصة الجليلة وقدموا لاعتاب حكومته الخضوع تفوزوا بالمساعدات الجمة والنعم الجزيلة ، ولا تنسوا الشرف الرفيع والمزايا التى خصتكم بها الحكومة السنية ، انتم واباؤكم من الشايقية والجعليين وغيرهم ، وما اصبحتم فيه من الذل والاهانة تحت احكام اناس كانوا يلجأون الى سطوتكم ويهابون سلطتكم . ففى ذلك الكفاية لمن رام الهداية والسلام .

مصطفى رياض

ناظر الداخلية

صورة كتاب الشيخ السنوسى للخديو محمد توفيق باشا يتبرأ فيه من المهدى نشر بالوقائع المصرية يوم الاثنين ١٢ جماد الاول ١٣٠١ / ١٠ مارس ١٨٨٤

وبعد ، فقد وصل لمستديم الدعاء للحضرة الخديوية الشريفة والقائم هو واخوانه بهذه الوظيفة ما افتراه المفترون ونقله المخبرون من ان العبد الفقير ارسل ولدا له اسمه محمود مستصحبا خمسماية رجل من العرب بلواء معقود لمساعدة القائم بالثورة فى البلاد السودانيه المارق من الديانة مروق السهم من الرمية الى آخر ما اختلقه الفتان وافتراه ويحسب انه قدح بذلك زند النميمة واوراه

ولم يدر الجهول بان للجناب الخديوى طود وقار لا تحيله الحركة لما جبلت عليه النفس الكامله من الحلم واليمن والبركة ومن البديهى ان النص يغنى عن القياس وباقمار الحقيقة تنجاب غياهب الالتباس فاقول رب هب لى من لدنك وليا يكون بى برا حفيا لانه ليس لى الان ولد موجود فضلا عن ان يكون قائد جنود فهذه ورب البيت فرية لا شك فيها ولا مرية .

وكيف يصح فى الاذهان شئ   اذا احتاج النهار الى دليل

ولعل بعض من لا يزعه دينه ولا ينهيه يقينه تسمى بهذا الاسم وركب عمياء فخسر مجموع صفتى الدين والدنيا ومعاذ الله ان تستميل احدا من العقلاء مثل هذا الاثيم الافكاك الضال الفتان السفاك ، على انه لا يحتاج الى البشر من يحمل عزرائيل عليه السلام رايته الى غير ذلك من الاكاذيب التى اختلقها وجعلها ايته ، ما هذه الا خزعبلات وخرافات وتمويهات وكم من منتبذ شذ فى الاعصار السالفة عن الجماعة وخرج بجهله عن السمع والطاعة فرجم بشهب الاسنة وباء بغضب الله لمخالفته الكتاب والسنة . اللهم انى ابرأ اليك من هذا المفترى وامثاله وحسبى سلوك ما كان عليه الاستاذ الوالد فى اقواله وافعاله وقد كان رحمه الله بعد رعاية الله مشمولا بنظر اولى الامر الى ان حل هذا المكان ولم نعدم بعده من الدولة العلية والسعادة الخديوية عوائد الاحسان وليس للداعى قدرة على مكافأة النعم الغزار التى يتقلب فيها وايادى الوصايا الحافلة من الدولة الخديوية على مصافيها واتصلت الا بحسن دعاء يرجو من الله قبوله لقوله صلى الله عليه وسلم من صنع منكم معروفا فكافئوه وان لم تقدروا فادعوا له . فلذا اتخذ الدعاء الصالح لها ولانجالها ولسراة امرائها وكماة رجالها وظيفة يحافظ عليها ويبادر فى اوقات الاجابة اليها والذى يقطع على الشمائل المولوية والشيم الخديوية ان تنظر الى الداعى لها بعين الرضا وان تدرأ عنه مثل هذه الترهات بصيقل معارفها الامضى ابقاها الله لمجد يشيد وانعام يجدد والسلام ختام . انتهى

محرر من كتشنر الى بعض امراء واعيان شرق السودان (١)

ارسل هذا المنشور بحرفه ايضا الى :

الامير خاطر من امراء التعايشة .

---

(١) توجد النسخ الموجهة الى هولاء بجموعة مهدية وكان من ضمن من كتب اليهم كتشنر محمد موسى وكان هذا عند وصول المحرر بام درمان فارسل دقنه محرره الى الخليفة ، وقد ارسل الخليفة رد محمد موسى لدقنه ليرسله لكتشنر ، ففعل هذا ما اريد منه ، ولكنه لم يتلق رداً من كتشنر .

الامير زكريا من امراء البقارة

الامير شايب احمد

الامير عوض الكريم ولد كافوت امير الجعلين(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين فى جمع قلوب المسلمين على كلمة الاسلام والحمدلله المالك لرقاب الانام لا يخرج عن حكمه كبيرا ولا صغيرا ولا عزيزا ولا حقير ، لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يغفل عن عمل المفسدين والصلات والسلام على رسوله سيدنا محمد الذى رؤوف رحيم بالمؤمنين وعلى آله واصحابه والتابعين لهم الى يوم الدين .

الى حضرة المحترم المكرم محمد ولد الهداب امير الهدندوة .

اما بعد السلام عليكم وعلى جميع عربانكم اخبركم بان قد بادرت بتحرير هذا المكتوب لكم للاستفهام منكم عنماذا تركتم البلاد وطنكم وجأتم لتكدير راحة عرباننا القاطنين فى جهاتنا تحت ظل الحكومة الخديوية السنية متحلين دماءهم واموالهم . والحال انهم مسلمين يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله . وقد ورد فى الحديث الشريف عن النبى عليه السلام ان من نطق بهاتين الكلمتين الشريفتين فقد عصم ماله ودمه فهل يجوز لمسلم ان يقتل اخاه المسلم . فان قلتم انهم خرجوا عن الاسلام فحاشاهم من ذلك بل انتم المخالفون لاوامر الله ورسوله لانكم اتبعتم الاكاذيب والكلمات المزخرفة التى ابتدعها الشقى محمد احمد الدنقلاوى واستخف بها عقولكم فاطعتموه وهيجتم الفتنة وفرقتم بين المسلمين مع انه قد ورد فى الحديث عن الرسول عليه السلام الفتنة نايمة لعن الله من ايقظها . ولو تبصرتم فى حالة دعواه المهدوية لوجدتوها مخالفة لاقوال الرسول لانه عليه السلام وصف المهدى بأنه مشابها له فى الخلقة ابيض مشرب بحمره واسمه كاسمه ويملك الارض شرقا وغربا ويفتح القسطنطينية مع سبعين الف من اصحابه بالتكبير والتهليل لا بسيف وحربه لكون القسطنطينية فى ذلك الوقت لا تكون فى ايدى المومنين . ومن اوصافه ان مبايعته تكون بين الركن والمقام وهو كاره لذلك فيبايعه الناس بعد خلو الارض عن خليفة الاسلام . فهل محمد احمد الدنقلاوى حاز صفه من الصفات والا ما هو الا كان رجل يكذب على الله وعلى رسوله لمنافعه الشحصية . وكم مثله من الاشقيا ادعوا المهدوية بعد ظهور النبى وحركوا الفتن ثم رجع امرهم الى الخراب والدمار حتى ذاقوا عذاب الدنيا وعذاب الاخرة لهم اشد . ثم انه لو كان هذا الدنقلاوى

(٢) من دقنه الى الخليفة فى ١٤ شوال ١٣٠٥/ ٢٥ يونيو ١٨٨٨ . يبدو ان كتشنر ارسل ايضا الى محمد موسى الخ .

حقيقة مهدى كان اول من يتبعه حضرة مولانا الخديوى المعظم وجلالة مولانا السلطان القايم بالخلافة عن الرسول عليه الصلات والسلام والوارث لمخلفاته الساطعة انوارها بدار الخلافة وساير المسلمين واهل الحرمين الشريف وخصوصا السادة المرغنية سلالة النبى فهم كانوا اول من ينشروا طريق المهدى المنتظر واتباع مذهبه اولا منما كابدوه من المشقات وضياع اموالهم ومقابلتهم بالاستحقار ، بل انهم ما زالوا متمسكين بدين جدهم . ثم ان كل عاقل علم ان بدعة ذاك الدنقلاوى ليس لها نتيجة غير خراب البلاد واتعاب العباد وجلب المصايب على السودانيين . فاظن ان كل واحد من الناس عربان وخلافه عرف حقيقة ذلك . وان الدنقلاوى كذاب انما استمروا على حالتهم وطغيانهم وخافوا من الرجوع الى طاعة الحكومة . وانا احمد الله على ان العد العديد من العربان والسودانيين الذين حضروا لسواكن مستامنين نالوا منا الامان وحظوا بالاكرام والاحسان وشاهدوا باعينهم ان الدين المحمدى لم يزل منصورا محترما ومتبوعا واعلامه خافقه فيسر المنظرين وان الكعبه المشرفه والقبر المنير ما زالا يسطع نورهما وتعم بركاتهما على سواكن ومن ذلك نال طالب الامان ما اراد وفاز بحسن العاقبة وتحقق سوء افعال من ضل عن دين الاسلام . فهل مع كل هذه البراهين تحبون الاستمرار عليما انتم عليه بعد ان فقدتم كل فرسانكم وخربتوا بلادكم وجعلتموها عرضه للمصائب الخفية التى لا نهاية لها بان جعلها صحراء خالية من الناس الا القليل الذى يقع تحت ايدى الحبشان ذليلا حقيرا نادما عليما فات . الم تعلموا ان وجود حكومة، ثابته ببلدكم يمكنها ردع العدو عنكم ومنع مطامع الحبشان عن بلدكم . هذا منما يؤيد ببلادكم السلم والامان . فالان اصغوا لنصيحتى ولا تعرضوا بلدكم للدواهى المستورة . والحذر ثم الحذر من الاعراض عنها بدعوة انكم اقرب الى الله بما انتم عليه من الغرور المخترع له الدنقلاوى لسلب اموالكم وقتل رجالكم واسرعوا لما فيه الخير والتقرب الى الصراط المستقيم وتذكروا ان يوم الموقف امام عرشه لا بد فيه من الحساب والسوال عن كل ما جنيتموه فى دنياكم ، وانا اطالب كلمن ارشد العباد الى طريق الضلال وخراب الديار واعرض عن النصيحة حيثما ان باب الامان مفتوحا عندى لكم فاسرعوا ، اليه وانا العبد الفقير بصفتى نائبا عن الحكومة الخديوية المؤيده هنا اصفح عنمن يحضر منكم ومنى اليكم السلام .

١٨ ربيع الثانى ١٣٠٥

كتشنر باشا

حكمدار عموم شرق السودان

ومحافظ سواحل البحر الاحمر

خطاب محمد خالد زقل الى الخديوى توفيق : فى ٥ جماد اول ١٣٠١ / ٤ مارس ١٨٨٤ - دار الوثائق المصرية (القلعة) محفظة رقم ١٠٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

وبعد ، فمن عبد ربه محمد بن خالد امير الديار الغربيه وعامل الامام المهدى بالسودان الى عظيم مصر محمد توفيق ابن اسماعيل ، وفقه الله الى الصواب وهديه الى اتباع الحق ، آمين .

اعلم ان الحق احق ان يتبع وانه اذا ظهر فكالشمس لا تخفى على احد الا على من لا يعرف الشمس . ولكن قد تنكر العينان ضياء الشمس من الرمد ، وينكر الفم عذوبة الماء عند السقم . ولا يتغطى الحق عن البصاير الا بارتكاب الظلم والمفاسد واتباع الهوى كما قال صلى الله عليه وسلم: الظلم مرته وخيم ، وقال صلى الله عليه وسلم : اربعه مهلكات وعد منها الهوى المتبع ، ومن اشد الحجب المانعة ان روية الحق اتباعه ملك الدنيا وصحبه لانه قل ان يوجد ملكا متنعما فى الدنيا وينقاد للحق من اول وهله ، وقد ذكر الله فى كتابه العزيز ما فيه عبره لكل ذى عقل من قصص الانبياء ومعاندت اهل الدنيا والملك لهم ومن داب نفس الانسان ميلها الى الباطل سيما الملك فانه يزيدها عتوا وضلالا. ولما بعث النبى عليه السلام كانت المداين مشحونه بالاحبار والرهبان والعلماء ويعرفونه كما يعرفون ابناءهم ولم يتبعوه ويصدقوه محبه فى الدنيا وحرصا على جاههم بل صاروا يعارضونه ويسبونه وتاره يرمونه بالجنون وتاره بالسحر وهم مع ذلك عارفون انه رسول الله كما حكى الله عنهم بقوله : « قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» (١). ومثبوت لديهم صداقته وامانته فى حال صغره ووجود العلامات المنعوت بها فى كتبهم ، وظهور المهدى كبعثه النبى عليه السلام . ومن كان له سابقيه سعاده وهداه الله الى التفكر فى امره لما قابله بالمحاربه والعدوان ورضا بسفك الدماء وعرض حكم الله وقدره النافذ من انكم تقولون بالسنتكم ان لو اجتمع الانس والجن على تحريك ذره لم يرد الله تحريكها فلن يقدروا ولا

(١) الانعام ٣٣ ، وقعت اخطا فى نقل الآية فصوبناها .

تعتقدون هذا بقلوبكم ولو كنتم تعتقدون ذلك لما فعلتم ما فعلتوه . اتعارضون امر رب العالمين الذى ان شاء الوجود من العدم ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقه الا يعلمها ولا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن الا بارادته. لقد صدق الله عز وجل حيث قال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور. ومن راء ليس كمن سمع ونحن شاهدنا ورابنا وفوزنا بذلك والحمد لله والشكر له على ما انعم به علينا . وانتم تسمعون بالاخبار ، ولا يخفى ان الاخبار المنقوله اغلبها يوجد كذبا خصوصا لمن يكون مثلكم لا يبلغوها اليه كما رؤها او سمعوها بل يوبوها على هوا انفسنكم الذى يقولون عليه بقرينه الحال ، وذلك اما خوفا من اذيتكم وشركم واما رغبتنا فيما ينالوه منكم من الحظوظ الدنيويه كما انه ديدن حكومتكم حيثما كانت سابق زياده الاخبار وتجليه الاحوال. وكان قصدى ان اشرح لكم حال المهدى من اول امره وسيرته وقصده وما حصل له من النصر الذى لم يسمع بمثله قط ، وكلما حضرت جرده من عساكركم يقطع الله دابرها على يديه حتى لا ينجوا منهم المخبر مع انهم حين قدومهم اليه فى غاية الاحتراز واتخاذ الوسايط التى تمنعهم من قوة الله التى لا يمنعها حذر المخلوق . وفى كل من الوقعات بعد موته تخرج نار من محلات طعن الرماح وضرب السيوف وتلك النار كانها الشموع تقود وتتاجج بالعظام حتى تحرق الجسم الى اخره ، ومع ان ذلك كرامه ظاهره وحجه قويه على كفر من خالف المهدى لم يعتبروا بهذا كله بل متمادين عليما انتم عليه من اول الامر . ولا فايده فى شرح ما هو معلوم كما بالغكم جميع ما وقع بمخابرتكم مع الحكمداريه . اما الذى اقوله لكم ولعلكم تعتبرون به وتتبعون ان المهدى دعواه للناس الى اتباع الكتاب والسنة وازاله البدع المحدثات التى عودتوا الناس ارتكابها وابحتوها . اما ان الله غيور على انتحاك حرماته وانه قاصم من عاند امره . وانتم تدعون المسلمين ان ينقادوا اليكم لتجعلوهم رعية وتولوا عليهم اعداء الله النصار الكلاب وخدماكم الذين تشبهوا بهم وشتان ما بين الثرى والثريا . وانا لنعلم انكم لقايلين ان الحركات الكاينه بالسودان هنا بامر المهدى عليه السلام من جمله شق عصى الاسلام وقايلين انكم ايضا لستم بكفار حتى يحل قتلكم واخذ اموالكم غنيمه وغير ما ذكر لكم اقوال كثيره مناقضين بها المهديه كما معلوم لدينا جميعا . وقد وجدنا مع جلابه دارفور التى حضرت من بحرى يومين تاريخه نسخه من جريده البرهان المصريه من جمله ما هو مذكور بها انه لا يرى دعوه المهدى الا فتنه فى الدين وان الاحاديث

الوارده فى المهدى كلها ضعيفه ولا يخلوا احد من روايتها من المطعن والمغمز ولا يصح الاستدلال بها لعدم بلوغها درجه الصحه وانه ما شاع هذا الاعتقاد بين العامه الا من يوم تغلب الفاطميين على مصر وكانه نافيا وجود المهديه فى الدنيا كليه وكل من اقوالهم واعتقاداتهم عندنا لها الجواب السديد . ولو تتبعنا ذلك لطال الكلام ولكن نضرب صفحا ونطوى كشحا عن اجابتكم لان الاجابة لا تنفعكم كما اخبر النبى عليه الصلاة والسلام السيد المهدى بان الترك لا تنفعهم المراجعه والمواعظ بل لا يطهرهم الا السيف . ولو كان لكم التفات للمراجعه كنتم حين ما بلغكم امر المهدى ارسلتوا اليه العلما والصلحا وارباب المعرفه ليستكشفوا حقيقة الامر ولما بادرتم بارسال العساكر الاقبياء اليه زعما منكم بان تأخذوه بالقوه الجبريه وما ذلك الا لاشد الضلال . الم تدرون ان يد الله فوق كل يد وبذلك فتحتم بابا اعياكم سده ورميتم سهما اعجزكم رده وظننتم ان ارسالكم العساكر فى كل الدفعات رايا منكم وتدبيرا وقد قيل سوء التدبير واذا انزل القدر لا ينفع الحذر . ولو كنا نحن على ضلال كما تزعمون لما حصل لنا النصر المبين وتمكنا من الارض وكلما اتى يوما يزداد الامر علوا وما ذاك الا اننا لله ومن كان لله [كان الله] له كما قال تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم » (٢)، وقال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا» (٣) . وان الله لا ينصر الباطل بل القايم بالباطل مخذول ومن ما مره عليه التجارب ان ما تخاصم ريس دين وريس دنيا الا ابحْتذب (٤) ريس الدين ما فى يد ريس الدنيا . وقبل ظهور المهدى جهادكم واجبا لمخالفتكم للشريعه كما نص الشيخ الدردير رضى الله عنه على ذاك بها فسجنتوه وصرتوا تحكموا بين عباد الله بالقوانين التى هى وفق هوا انفسكم ، ومن فعل ما شاء لقى ما ساء ، وتقلدتم بكل شىء محبوب عند الكافرين وتشبهتوا بهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : من تشبه بقوم فهو منهم . وقال صلى الله عليه وسلم : من احب قوم فهو منهم والمرء على دين خليله ، وعززتموهم واكرمتموهم واعليتم شانهم حتى سرا تعظيمهم واتصل بالجهات السودانيه واجريتم الحريه التى هى معناها الخروج عن قوانين الشرع وبذلك صارت البنت الحرة البكر تخرج من يد ابيها وتجاهر

(٢) محمد ٧ .

(٣) النور ٥٥ .

(٤) عبارة غير واضحة فى مصدرنا .

بالبغى والفساد ولا يقدر ان يمنعها وصار الرجل يتزوج الرجل الذكر مثله والرقيق يخرج من يد اربابه وخصوصا استحداث الكنايس بمداين المسلمين ومقاربتها للمساجد التى امر الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الى غير ذلك منما لا يحصى من البدع والمنكرات التى صارفين همتكم وافكاركم فى اجراها بهمه حكومتكم وصد من يتعرض لمنع ذلك وزاعمين ان هذا من حسن السيره وسلوك الطريق المعتدل . وقد تشاهد عيانا ان بعض الكافرين الذين ارسلتوهم حكاما بالسودان يفتض احدهم البنت البكر بالسوق واهلها ينظرون ويبكون ويخشون ضربه او قتله خشيه منما يحكمون به عليه فى ما بعد ويرون كظم غيظ ذلك اريح لهم من مقاسات التعب فى المستقبل ، وباسباب ذلك فقد صار الحال كما قال الله تعالى ظهر الفساد فى البر والبحر . وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج لغزوه بدر فلحقه رجل من المشركين فقال اريد ان اتبعك واصيب معك فقال اتؤمن بالله ورسوله قال لا فقال ارجع فلن نستعين بكافر ثم لحقه ثانيا وثالثا فيجيبه بمثل الاول ثم اسلم الرجل وتبعه كما هو مشهور. وهذا اصل فى ان لا يستعان بكافر . انظر هذا يخرج ليقاتل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فلم يرض به فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين . ولو ما انكم مثلهم لما وليتموهم واعليتموهم على المسلمين واستعنتوا بهم على خروج احمد باشا عرابى وفوضتوا امر مصر الى اعداء الله الكلاب الانقليز وملكتموهم رقاب المسلمين ، وقريبا انشاء الله يحصل الفرج لمن بها من المؤمنين ويذل الله كل جبار عنيد . وقد ضبطنا بوسته يومين تاريخه وبالاطلاع عليها وجدنا بها جواب محرر من مدير دنقلا بتاريخ ٢٤ ديسمبر ٨٣ ومرفوق معه جواب منكم نمرة ١٢٣ تاريخه ٢ ديسمبر برسم سلاطين الذى كان مدير العموم بيد مخصوص . اما البوسته الذى ارسلتوها لدارفور بيد سته اشخاص من عربان المغاربه فعند دخولهم الدار قبضوا عليهم عربان الزياديه واحضروهم الينا مع البوسته المذكوره ففتحناها ووجدنا من ضمنها جوابين احدهما منكم والثانى من محمد شريف ريس النظار مورخين غايه القعده ١٣٠٠. اما جوابكم فمضمونه انه كان متعسر عليكم الاطلاع على [...] حقايق دارفور نظرا لما اصاب طرق المواصله من المصايب وانه بلغكم الان ان اهالى دارفور فى امن وامان وعددتوا ذلك من حسن تدبيرات سلاطين المذكور وانكم مسرورين فى اظهار بسالته وشجاعته وثباته [...] (٥) باغراءات شيطانيه

(٥) عبارة غير واضحة فى مصدرنا .

بالنصايح التى تعطى اليهم يكن لها وقع وتاثير ويسمعون فى جذب قلوبهم الى ان ذكرتوا المهدى واقامته بكوردفان مع شرذمة من اصحابه واضرابه وارسالكم للعساكر والضباط وارباب النجده والهمه والمعرفه والتدابير والمدافع والجبخانات الكفايه وانه عن قريب تبلغهم الاخبار الساره ولا يكون لهذا الشخص تاثير ولا وجود وانكم ساعون فى ضعضعت رجاله وتلاشى قواه وبالاخر راغبين بذل جهده فى ثبات الاهالى واستعمال الطرق النافعه لذلك ليستوجبوا كمال الممنونيه منكم ومزيد الالتفات وجميع ما توضح به علم حرفيا . واما جواب ريس النظار مضمونه انه وصلت اليه جوابات من حكام دارفور واستعداد الحكومه لما يطلبوه منها من رجال واسلحه ونقود وارسال عدو الله حكسى الملعون وراغب ترتيب بوسته من دارفور بطريق الاربعين لحد باريز الى اخر ما ذكر جميعه علم . ومع تلك الجوابات اربعين نسخه مولفه من بعض العلما قايلين انها نصايح وذلك على صوره كتاب وجدوه من بعض كتب المهدى التى ارسلها للجهات ، فان ما فعلوه العلما المذكورين لا يخلوا من احدى وجهين ، اما ان يكونوا منكرين المهديه حقيقه او خوفا منكم ، فان كانوا منكرين فهم من من اضلهم الله على علمه لان علم المهدى كعلم الساعه ، ومن كان يدعو الى اتباع الكتاب والسنه كيف يبغضونه ، وما ذاك الا من الشقا والعياذ بالله تعالى . والعلما المذكورين اما ان يكونوا من الممازجين لكم المختلطين بكم واما من غيرهم ، فان كانوا من علماكم فذاك لا عبره لقولهم لان النبى صلى الله عليه وسلم قال : اذا رايت العالم بباب السلطان فاعلم انه لص ، فهم علماء السوء الذين صفة علمهم كالسراج الموضوع على ظهر البيت المظلم كما قالوا العارفين ، وان قيل انهم من العلماء الورعين فالورع لا يقول ذالك ابدا . ومن المعلوم ان من كان عالما حقيقة العلم لا ينكر المهديه مطلقا بل العلماء العارفون يقشعرون لهب الرياح من ارضه ويحنون اليه حنين الثكله وارواحهم متصله به لا شك . وقد تعجبنا من قولكم فى جواباتكم المذكورة لانكم ممنونين من اظهار بسالت عساكركم وتثبتهم للاهالى مع انه قبل قدوم احد اليهم من طرف المهدى فالعربان جاهروهم بالعصاوة وقتلوا منهم كثير حتى حشروهم بالمراكز ولم يقدر احد منهم ان يخرج من الاستحكامات . ولما ارسلنا السيد المهدى لدارفور بما معنا من انصار الدين فبعد دخولنا بها لم نلبث عشرين يوما حتى انقادت لنا جميعها واستلمنا ما بها من عساكر واسلحه وجبخانات ومدافع من المراكز المعلومه عندكم وهى ام شنقه وداره والفاشر وكبكابيه وكلكل وابوا قرين ، فمن سلم

منهم الامر لله ورسوله وقابلنا بالامتثال والطاعه اكرمناه واعذرناه وكان له ما لنا وعليه ما علينا ، ومن قابلنا بالمحاربه كمدير الفاشر وعسكره فوالله العظيم ما لبثوا معنا خمسه ايام حتى ملكنا الله رقابهم وخرجوا ممتثلين طايعين عنوه وقهرا ولم تنفعهم كثرت الجبخانات والمدافع وقوه الاستحكام . والحمد لله الذى صدقنا وعده بقوله فى كتابه المبين . «وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (٦)، والملك لله يعطيه من يشاء ، فمن تامل قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء [بيدك الخير] انك على كل شيء قدير» (٧) لم يعارض الله فى احكامه . وبعد احتلالنا للفاشر وجهات دارفور جميع سلاطين الغرب اذعنوا لنا بالطاعه والامتثال كسلطان دار سله وسلطان دار تامه وسلطان دار برقوا ، وكلا من هولاء سلطنة مستقله لوحدها ولم تدخل تحت طاعت احد .والسلاطين المذكورين كتبهم وصلت الينا ومن كان قريبا منهم تحرك قايما نحونا والان بالطريق . ولا عجب فى طاعت هولاء فانه قد بلغتهم احوال اصحاب المهدى واقدامهم على الموت وزهدهم فى الدنيا وبذل ارواحههم رغبة فيما عند الله واعلاء لكلمته العليا وانهم لا يقاتلون لملك الدنيا ولا لحظ انفسهم كما قصدى السيد المهدى ذالك بل لله وبالله وفى الله . ومن كان كذلك لا يغلبه احد . وانتم مع ذلك تريدون ان تقاتلون جنود الله وحزبه وتستعينوا عليه بالانقليز وخلافهم من اعداء الله وتسول لكم انفسكم النصر والعمران ، هذا عين الضلال وما ذاك الا من عدم نصح من تاتمنوه انهم اغوكم حتى اتلفتوا العباد بالمحاربه . وكلمن قتلوا من المساكين الذين جبرتوهم على القتال فسيتعلق الذنب بكم . وقد حضرنا يوم اهلك الله عدوه حكس على يد المهدى واصحابه وبعد انقضا اصحاب حكس الى اخره وجدنا منهم نحو الستين نفر احياء اخرجناهم من تحت اصحابهم وقد ماتوا موتا شنيعا لا يوصف وان شاء الله تكون عاقبت كل من خالف كذلك . وبعد تسكين روع احدهم يبكى ويعرفنا انه مجبور . فمثل هولاء ذنبهم يكون على من وان الله يسئلكم عنهم وعن النقير والقطمير . وما جبركم على هذا كله الا محبة الملك وزعما ان تدفعوا المهدى قبل ان يقدم اليكم بمصر وهذا من شدت خوفكم وامتلاء قلبكم رعبا منه ، ومن خاف سطوتك تمنى موتتك والمهدى بلا شك سيبلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها

---

(٦) الروم ٤٧ .

(٧) آل عمران ٢٦ .

فضلا عن مصر . وقد قيل لا تحاج من يزهلك خوفه ويملك سيفه وما ارا شبها لكم الا حال فرعون مع موسى عليه السلام كما حكى الله تعالى بقوله : « وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد » (٨) مع انه حين ما قال ذلك قلبه ممتلىء رعبا كما حكى المفسرون ، ولا زال يعلو امر موسى ويضمحل امر فرعون حتى اهلكه الله ولم يعتبر بالايات البينات . فكذلك انتم لم تعتبروا بل انتم كما قال الله تعالى : « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين » (٩). وما حررنا لكم هذا الا تذكارا ورجاء ان يهديكم الله وتتبعوا وردا لبوسطتكم المذكوره بيدى المغاربه ودعوه وانذار لكم سلمتم سلمتم وغنمتم بل ندعوكم كما دعى النبى صلى الله عليه وسلم ملك الروم بقوله : سلم تسلم ولك اجرك مرتين وان ابيت فانما اثم الروم عليك . فان كنتم مؤمنين بالله ورسوله وكان لكم من نفسكم زاجرا وواعظا فارفضوا جميع الاحكام التى مخالفه للسنه والكتاب وامروا بترك كل حرام بمدينه مصر وما يتبعها ومن اسلم من النصارى والمجوس فاليكن لكم ما له وعليكم ما عليه ومن ابا منهم الاسلام فاقتلوه لانه لا زمت لكافر فى زمن المهدى بل تبطلوا جميع الاديان وابقا دين الاسلام واحده وتسير الارض مسجدا طهورا من كل نجس وان فعلتم ذلك فقد نجوتم وفزتم بخير الدارين وان ابيتم وتجبرتم وكان قولنا هذا لديكم بالضرب على الحديد البارد فهيئ للبلايا جلبابا وتدرع للردايا اسبابا وحينئذ كالباحث عن حدفه بظلفه والجادع مارن انفه بكفه وما تلك على الله بعزيز وسترون اى منقلب تنقلبون ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الله وليس له من دونه اولياء اوليك فى ضلال مبين . فاذا وقفت على كتابنا هذا فكن لامرنا بالمرصاد ومن مالك على اقتصاد واقرا اول النحل وآخر ص (١٠) ، والسلام .

فتوى محمد احمد هاشم قاضى مركز الخرطوم بشأن مسائل شرعية ترتبت على المهدية(١)

السؤال :

---

(٨) غافر ٢٦ ووقعت اخطأ فى القل فصوبناها .

(٩) الانعام ٤ ، وقع خطأ فى النقل فصوبناه .

(١٠) اول النحل : اتى امر الله فلا تستعجلوه . واخر ص : ولتعلمن نباه بعد حين .

(١) وقفنا على القطعة فى اوراق على المهدى ، وهى مكتوبة بخط محمد احمد هاشم صاحب الفتوى ، وبعض اطرافها غير ظاهر.

سؤال عن لسان حال ومقال(٢) اهل الديار السودانية والملة الاسلامية الى حضرة مولانا الشيخ محمد احمد هاشم ومن معه من العلماء خدما الشريعة المحمدية ، ادام الله بقاهم ووفقهم لما فيه رضاه .

ايها السادات (٣) البارزون علماء الشريعة المحمدية نسألكم عنما يجب علينا ان نسأل عنه ويجب الافادة عنه ، وننشدكم الله الاعتناء بما نسأل عنه {......} (٤) الى مسطور مؤلف فى ابواب وفصول مستنبط من منقول ومعقول .

اما بعد ، فنقول : ان الفتنة السودانية بدؤها مكانا وزمانا فى سنت تسعة وتسعين ، ٩٩(٥) ، او ثمانية بجزيرة شلك الذين هما(٦) السودان الحاميون اصلا ووطنا المسماة ابا التى سكنها مع اهلها الاصليين بعضا من الدناقلة اقارب المتمهدى بما فيهم مهديهم ومعهم اخلاط كثيرون من العرب اهل البقر واقلبهم(٧) من قبيلتى دقيم وكنانة ، فهم على ابن حلوا(٨) خليفة المتمهدى(٩) الذى لقبه بخليفة الفاروق ، فظهر ريس الفتنة بينهم بصفة العابد المتنسك ويزعم انه على طريقة الشيخ السمانى رضى الله عنه ثم العالم المتهتك فى آخر امره ، وقام بدعوى المهدوية وكفر الجم الغفير من المسلمين وجعل كفرهم اساسا لاستحال(١٠) فروج النساء واستباحة اموالهم ودماهم ، وتابعه على ذلك جميع قبائل العرب رقبة (١١) ، وهاكذا(١٢) الى ان اتبعه عالم (١٣) الوطن فى جميع القبائل، منهم بالرقبة (١٤) ومنهم بالرهبة ، فلم يكن منهم يهودى ولا نصرانى ولا مجوسى (١٥) اذ ذاك

---

(٢) يقصد ما ترتب عن المهدية من امور شرعية .

(٣) بقصد السادات والصواب : السادة .

(٤) هنا نحو ثلاث او اربع كلمات غير ظاهرة .

(٥) كتب التاريخ رقما وكتابة .

(٦) هُمَّا : لفظ عامى بمعنى جماعة واصله هم ، وهل الشلك حاميون ! لا اظن .

(٧) يقصد : اغلبهم .

(٨) هكذا ، والصواب بغير الف ، وهذا كثيرا ما يرد .

(٩) المتمهدى : لفظ اطلقه على المهدى اعداؤه .

(١٠) ما يقصده هو : لاستحلال .

(١١) يقصد : رغبة .

(١٢) هكذا .

(١٣) اى جملة الناس .

(١٤) يقصد بالرغبة .

(١٥) يعنى الذين شايعوه مسلمون وليسوا نصارى او غيرهم .

مشايع ، بل هم اهل ملة الاسلام ، فتعبدوا على مذهبه المستقل وائتموا(١٦) به صلاة واتبعوه اقوالا واعمالا وافعالا واعتقادا فى نكاح وطلاق وغير ذلك ، الا النذر اليسير من العلماء يخفى امره بالانكار ويجتهد ما امكنه فى الاسرار (١٧) بنحوى الصلاة غيرها .

فالآن بحمد الله انكشف الامر وصار همننا (١٨) فيما فعلناه معه عبادة نحوى الصلاة والنكاح وما نشأ من الذرارى وما سيحصل فى المواريث بسبب الحاق الذرية بآبائهم مع صحت النكاح التى تنبنى عليها عدة امور ، وبخصوص الصلاة اتجب اعادتها للمؤتم بهم ام لا ؟

بالجملة فنرجوا الاجابة بالافادة عن شبهة {......} (١٩) فتنة الضلالة لا محالة هذا ولكم الثواب فى يوم المآب فى ازالة الارتياب ، والله الموفق للصواب .

ب- نص الفتوى :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الهادى للصواب والصلاة والسلام على من اوتى الحكمة وفصل الخطاب وعلى آل بيته وجميع الاصحاب .

وبعد ، فقد وقفنا على هذا السؤال الذى هو ابرد من الماء الزلال على ما فيه من عدم اتقان الرسم كالابتذال .

وحاصل ما وجدناه فيه منحصر فى عدة امور : استحلال فروج النساء واستباحة اموال المسلمين وسفك دمائهم وفى انكحتهم وما ينشأ منها من ذرارى ومواريث وفى اعادة الصلوات الخمس التى صليت خلفهم مع تكفير المسلمين .

فنقول ، وبالله التوفيق ، وهو الهادى الى سواء الطريق :

ان جميع ما ذكر فى هذا السؤال متكفلة برده آيات سورة الحجرات من قوله : «وان طائفتان

---

(١٦) فى الاصل اتموا ، فصوبناه .

(١٧) يقصد السر ، ولكنه جعله : الاسرار ، بمقتضى السجع ليكون مع « بالانكار » ، وهذا من دلائل ان الكاتب عالم وهو صاحب الفتوى نفسه .

(١٨) يقصد : همنا .

(١٩) هنا لفظ غير ظاهر .

من المؤمنين اقتتلوا » (٢٠) ، اى تقابلوا – والجمع باعتبار المعنى . وهذه الآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال ، وفيها دلالة على ان الباغى لا يخرج بالبغى عن الايمان ، وانه اذا امسك عن الحرب ترك لأنه فاء الى امر الله تعالى ، وانه يجب معاونة من بُغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة . وقوله : « انما المؤمنون اخوة » استئناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح ، اى انهم منتسبون الى اصل واحد ، وهو الايمان الموجب للحياة الابدية . وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه . وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج ، وقرئ بين اخوتكم واخوانكم . وفى قوله : « يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم » الآية {......} (٢١) . مناط الخيرية فى الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التى يدور عليها امر السخرية غالبا ، بل انما هو الامور الكامنة فى القلوب ، فلا يجترئ احد على استحقار احد ، فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فليظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه اللهتعالى . وفى قوله : « ولا تنابزوا بالالقاب » ، اى بئس الذكر الرقيع {.....}(٢٢) للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم فى الايمان واشتهارهم به ، فان الاسم ها هنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه بالكرم او باللوم ، ولا يخفى شدة النهى فى قوله : « ولا تجسسوا » اى لا تبحثوا عن عورات المسلمين . وفى الحديث : لا تتبعوا عورات المسلمين ، فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه . وقوله صلى الله عليه وسلم : اياكم والبغى ، فان البغى من عمل الجاهلية .

هذا ، والبغاة هم الذين يقاتلون على التأويل مثل الطوائف الضالة كالخوارج وغيرهم والذين يخرجون على الامام ويشقون عصا الاسلام ويمتنعون من الدخول فى الطاعة او يمنعون حقا وجب

---

(٢٠) الآيات هى : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين . انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون . ياايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون . الحجرات ٩ – ١١ .

(٢١) هنا عبارة غير واضحة مقدارها اربع كلمات .

(٢٢) هنا عبارة غير واضحة .

عليهم كالزكاة وشبهها . والحكم فيهم ان يدعون (٢٣) الى الرجوع الى الحق ، فان فعلوا قبل منهم ، وان ابوا قاتلوا لقوله تعالى : « فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى امر الله » الآية ، وحل سفك دمائهم، فان انهزموا لم يتبع منهم منهزم ولم ينجز على جريحهم الا ان يخاف رجوعهم ، ولا تصاب اموالهم ولا حريمهم ، وان اخذوا لم يقتلوا ولا يقام عليهم حد الحرابة ، بل يؤدبوا او يسجنوا حتى يتوبوا . واما ما اتلفوه فى الفتنة من النفوس والاموال ، فان كانوا بتأويل فلا ضمان عليهم ، وان خرجوا بغير تأويل فعليهم الضمان والقصاص فى النفوس والغرم فى الاموال .

وحاصل قتال البغاة يمتاز عن قتال المشركين باحد عشر وجها : اولها ان يقصد بالقتال ردعهم لا قتلهم ، الثانى لا يقتل من ادبر منهم ، الثالث لا يجهز على جريحهم ، الرابع لا تقتل اسراهم ، الخامس لا تغنم اموالهم ، السادس لا تسبى ذراريهم ، السابع لا يستعان عليهم بمشرك ، الثامن لا يصالحون على مال ، التاسع لا تنصب عليهم المحاليف ، العاشر لا تغرق ولا تحرق عليهم المساكن ، الحادى عشر ان لا تقطع اشجارهم .

وقتال المحاربين كقتال البغاة الا فى خمسة : الاول يجوز تعمد قتلهم ، الثانى يقتل مدبرهم ، الثالث يطالبون بما استهلكوا من دم ومال فى الحرب وغيرها ، والرابع يجوز حبس اسراهم لاستبراء احوالهم ، الخامس كلما اخذوه من الزكاة والخراج لا يسقط عنمن كان عليه كالغاصب خلافا لبعض العلماء {.....} (٢٤) من اهل البغى ، وعليه ان يترك الظلم وينصفهم {.....} (٢٥) على الظلم ولا يعينوا هذه الطائفة على الامام ايضا لأن فيه اعانة على خروجهم على الامام وان لم يكن ذلك لظلم ظلمهم ولا غيرهم ، ولكن لدعوى الحق والولاية فقالوا الحق معنا ، فهم اهل البغى ، فعلى كل من يقوى على القتال ان ينصر امام المسلمين على هؤلاء الخارجين لأنهم ملعونون على لسان صاحب الشرع . قال عليه الصلاة والسلام : الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها . وذكر القلانسى فى تهذيبه : قال بعض المشايخ لو لا علىّ رضى الله عنه ما درينا القتال مع اهل البغى . وكان علىّ ومن تبعه اهل العدل وخصمه من اهل البغى . وفى زماننا الحكم للغلبة ولا ندرى العادلة والباغية كلهم يطلبون الدنيا ، انتهى . وفى الاختيار : اهل البغى كل فئة لهم منعة يتغلبون ويجتمعون

(٢٣) هكذا .

(٢٤) هنا سطور مكشوطة فى الاصل مقدارها خمسة اسطر .

(٢٥) هنا عبارة غير واضحة مقدارها نحو نصف سطر فى الاصل .

ويقاتلون اهل العدل بتأويل يقولون الحق معنا ويدعون الولاية .

ثم الخارجون على الامام ثلاثة : قطاع طريق وبغاة وخوارج . والفرق بين الخوارج والبغاة ان البغاة يستبيحون دماء المسلمين وسبى ذراريهم بسبب الكفر ، اذ لا تسبى الذرارى ابتداء بدون كفر ، لكن الظاهر من كلام الاختيار وغيره ان البغاة أعم يشمل الفريقين . ولذا فسر فى البدائع البغاة بالخوارج لبيان انهم منهم . وان كان البغاة أعم . وهذا من حيث الاصطلاح . والا فالبغى والخروج متحقق فى كل من الفريقين على السوية . ولذا قال سيدنا علىّ رضى الله عنه فى الخوارج بغوا علينا . {وركونهم} فى اعتقادهم كفر من خرجوا عليه كما وقع فى زمننا فى اتباع عبدالوهاب(٢٦) الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين ، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة ، لكن اعتقدوا انهم هم المسلمون وان من خالف اعتقادهم مشركون واستباحوا بذلك قتل اهل السنة وعلمائهم حتى كسر الله تعالى شوكتهم وخرب بلادهم وظفر بهم عساكر المسلمين سنة ١٢٣٣ . ومثل هولاء قيام الفتنة والثورة السودانية لأن صاحبها محمد احمد ادعى الامامة الكبرى لشبه ودلائل قامت لديه ورأى انه على الحق وغيره على الباطل كفرا وغيره بتأويله لأنه ادعى الولاية الكبرى واعلن كافة من على وجه الغبراء سواء الحكومة او غيرها ، وسواء كان من اهل الملة الاسلامية او غيرها ، وسواء كان من جنسه او من غيره ، قريبا له او بعيدا ، وجرد سيفه لذلك واستحل الدماء والاموال وسبا ذرارى من خالفه وغنم اموالهم وفعل ما فعل . وحكم الخوارج عند جمهور الفقهاء والمحدثين حكم البغاة . وذهب بعض المحدثين الى كفرهم . وقد ذكر فى المحيط ان بعض الفقهاء لا يكفر احدا من اهل البدع . وقولهم بتأويل ، اى بدليل يوولون على خلاف ظاهره كما وقع للخوارج الذين خرجوا عن عسكر علىّ رضى الله تعالى عنه {.....} (٢٧) عليه بزعمهم انه كفر هو ومن معه من الصحابة حيث حكّم جماعة فى امر الحرب الواقع بينه وبين معاوية وقالوا : ان الحكم لله . وكمذهبهم ان مرتكب الكبيرة كافر لشبهة قامت لهم استدلوا بها مذكورة مع ردها فى كتب العقائد .

فالآيات السابقة فيها دليل على عدم كفرهم وانهم مؤمنون . فاذاً الصلوات خلفهم لا تعاد متى

---

(٢٦) يقصد اهل السنة اتباع الشيخ محمد عبد الوهاب .

(٢٧) هنا طمست عبارة او لعلها مشطوبة .

حصلت شروطها وسننها واركانها وفروضها ، وانكحتهم وطلاقهم متى حصل على الوجه الشرعى الوارد فى السنة والكتاب واقوال الائمة المجتهدين صحيحة . والمواريث على ما وردت ، الا ان يحرموا حلالا او يحلوا حراما او تكون الانكحة فاسدة او زنا محصنا فذلك حرام ، ومن يستحله يكفر . قال فى شمس الهداية : والآية الكريمة نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج تجالدوا بالعصى وبالنعال والايدى او بالسيف ايضا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليهم . والآية عامة فى جميع المؤمنين الى يوم القيامة . فان لم ترجع الطائفة الباغية عن بغيها فيجب قتالها حتى تمتثل حكم الله فى كتابه وهو المصالحة ورفع العداوة والطاعة لله ولرسوله ولأولى الامر، فان اطاعت فاقلعوا عن قتالها واسلكوها مسلك المؤمنين . وفى الآية دلالة على ان الباغى لا يخرج بالبغى عن الايمان ، لأن احدى الطائفتين فاسقه لا محالة اذا اقتتلا وقد سماهما مؤمنين وبه يظهر بطلان ما ذهب اليه المعتزلة والخوارج من خروج مرتكب الكبيرة عن الايمان ويدل عليه ما روى على كرم الله وجهه ورضى عنه انه سئل ، وهو القدوة ، فى قتال اهل البغى عن اهل الجمل وصفين أمشركون هم ؟ فقال : لا ، من الشرك فروا ! فقيل له أمنافقون هم ؟ فقال : لا ، ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا ، قيل فما حالهم ؟ قال اخواننا بغوا علينا ، فما أعلمه ، كرمه الله ، بمنازع القرآن . وفيه دلالة على ان الباغى اذا امسك عن الحرب ترك لأنه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغى عليهم بعد النصح والسعى والمصالحة بدلالة قوله : «فاصلحوا بينهما » ، فان النصح والدعاء الى حكم الله واجب عند وجود البغى من الطائفتين ، فلأن يجب عند وجوده عند احدهما اولى .

ثم اعلم ان الباغى فى الشرع هو الخارج على الامام العادل . وبيانه فى الفقه ما يذكر وهو انهم يدعون الى الحق بنصوص الكتاب والسنة وكلام الائمة ، فان فعلوا قبل منهم واقلع عنهم وان ابوا قوتلوا وحل سفك دمائهم ، فان انهزموا لم يتبع منهم منهزم ولا ينجز على جريحهم الا ان يخاف رجوعهم ، ولا تحل اموالهم، وحريمهم اولى بالحرمة لأنهم مسلمون ، وان اخذوا لم يقتلوا ولا يقام عليهم حد الحرابة لأنهم متأولون ، ولا يقتل منهم اسير بل يؤدب ويسجن حتى يتوب . وهل يغرمون مالا ام لا ، فيه خلاف بين المتأخرين ، فمن مبيح ومن محرم . ثم ان تحقق انهم لا يرجعون الا بالاغرام فيجوز بقدر المصلحة ، ومصرفه يكون فى المصالح العامة لهم ولغيرهم كبناء الاسوار

والقناطر وسد الانهار وكف النيران . عبدالباقى (٢٨) : الباغية فرقة من المسلمين خالفت الامام الأعظم لأحد شيئين ، اما لمنع حق وجب عليها من زكاة وحكم عليها من احكام الشريعة المتعلقة بالله او آدمى او خالفته لخلعه ، اى ارادتها خلعه اى عزله ، لحرمة ذلك عليهم وان جار ، فللعدل قتالهم ، وان تأولوا كقتال ابى بكر الصديق رضى الله عنه لمانعى الزكاة لزعم بعضهم انه عليه الصلاة والسلام اوصى بالخلافة لعلىّ رضى الله عنه وتأول آخرين ان المخاطب بأخذها المصطفى صلى الله عليه وسلم لقوله : « خذ من اموالهم صدقة » الآية . واما غير العدل فليس له قتالهم لاحتمال ان يكون خروجه لفسقه وجوره وان منع خروجهم عليه كما امر ، والعدل مثل عمر بن عبدالعزيز وجب على الناس الذب عنه والقيام معه ، اما غيره (فلا تجب معاونته . قال الامام مالك رضى الله عنه دعه) (٢٩) وما يراد منه يتنقم الله من ظالم لظالم ثم ينتقم من كليهما . وفى حاشية البنانى على عبدالباقى عند قوله : ومثل الباغية الخوارج . قال ابن عرفه : وقتال الخوارج ان بانوا ودعوا الى بدعتهم . قال الصقلى عن ابن سحنون : سن علىّ رضى الله عنه قتالهم ولم يكفرهم اذ لم يسبهم ولم يبح اموالهم . ولهم حكم المسلين فى امهات اولادهم ومدبريهم وعددهم ووصايهم ورد اموالهم لأربابها ان عرفوا وألا تصدق بها ان ايس منهم ولا قود عليهم ولا قصاص ولا حد ولا صداق فى استباحة فرج . الصقلى وبعض اصحابه : ان سبوا حرة او امة فأولدوها لحق الولد بابيه ، اذ لا حد عليه فى وطئه لتأويله : وولد الامة كولد مستحقة . وقوله : وورثه ان كان مسلما لأنه عن غير عدوان . والباغى المتأول ان اقام قاضيا وحكم حكما صوابا مضى حكم قاضيه لئلا تضيع الحقوق . وكذا ما ثبت عنده ولم يحكم به من بعده من غير قضاة اهل البغى بما ثبت عند قاضيه ، فان قيل : اذا كان حكمه صوابا فلا يتوهم عدم امضائه حتى ينص عليه ، قلت : لأنه لما خرج عن طاعة الامام ربما يتوهم عدم الاعتداد بما حكم به خصوصا فى الزكوات والحدود التى هى من متعلقات الامام .

هذا ما سمح به الخاطر فى هذه الايام لشغلنا بالدعاوى والاحكام .

١٣٢٠(٣٠) كاتبه محمد احمد هاشم ، قاضى مركز الخرطوم .

---

٢٨) هكذا السياق ، فلا يظن القارىء ان شيئا سقط بين النيران وعبد الباقى .

٢٩) هنا عبارة غير ظاهرة ، وقد اتينا بالعبارة التى نقلناها مما يقابل هذا الموضع من رسالة الضرير.

٣٠) يوافق هذا ما بين ١٠ ابريل ١٩٠٢ و ٢٩ مارس ١٩٠٣.

الاجوبة المسكتة للسيد احمد عبدالله الفاسى (١) الذى آمن بالمهدى ولم يره (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصحبه وسلم (٣) فاقول (٤) : انا (٥) العبد الفقير يوسف احمد محمد عوض السيد ، انه بفضل الله قد جمعتنى الاوقات السعيدة سنة ١٣٠٦ (٦) فى المدينة المنورة برجل شريف من اهالى فاس اسمه احمد بن عبد الله ، ولما عرفنى انى من اهالى السودان قال لى : هذا السيد الذى ظهر عندكم بالسودان هل هو المهدى (٧) المنتظر ؟ فقلت له نعم ، فقال لى (٨) رأيت كتابته (٩) ودرر الفاظه عند مولاى عبد الحفيظ سلطان فاس وتلقاها بالقبول وترك الحرب مع الفرانسة (١٠) فى الدار البيضاء بالبندق (١١) وصار يحارب بالسيف والحربة مثل المهدى عليه السلام (١٢) فقلت له : رأينا فى بعض التاريخ (١٣) ان كتابات المهدى عليه السلام لم (١٢) تصل الى فاس (١٤) فغضب وقال انا رأيتها (١٥) بعينى ، ثم قال لى توجهت لولد السنوسى بالبر ووصلته سنة ١٣٠٤ (١٦) وانا عنده بلغنى انتقال المهدى عليه السلام (١٢) ، وحضر رجل من وادى (١٧) اى برقو (١٨) وقال لولد السنوسى ان خليفة

---

(١) نسختان من المخطوط ، اولاهما من اوراق على المهدى وهى ما نشير اليها هنا بالحرف أ ، والثانية من مخطوط احضره القادنية للسيد الصادق ومحفوظ بدار الوثائق القومية وهى ما نشير اليها بالحرف ب . وقد نشرنا دراسة لهذه القطعة بالاشتراك مع الدكتور كنوت فيكار مع ترجمة انجليزية فى مجلة . Sudanic Africa - A Journal of Historical Sources Vol.

(٢) هذا فى ب فقط .

(٣) { الحمد لله ... وسلم } ب .

(٤) اقول : أ .

(٥) وانا : أ .

(٦) يوافق ذلك .

(٧) الامام المهدى : أ .

(٨) { لى } أ .

(٩) كتاباته : أ .

(١٠) فرانسا : أ .

(١١) { بالبندق } ، واظنه سقط ، وقال ب : البيضا بغير همزة .

(١٢) { عليه السلام } أ .

(١٣) يقصد تاريخ نعوم شقير ص ٥٩٧ .

(١٤) لفاس : أ .

(١٥) وقال د شى رأيته : ب .

(١٦) يوافق ذلك .

(١٧) وادى : أ ، اوديت : ب ، والمقصود : ودّاى .

(١٨) برقوا : أ ، برق : ب .

المهدى الخليفة (١٩) عبد الله ظالم فغضب ولد السنوسى غاية (٢٠) الغضب وبكى غاية (٢١) البكى وقال كيف تقول فى خليفة المهدى عليه السلام (١٢) هذا القول واخرج (٢٢) الرجل من المجلس واهين ، فلما (٢٣) عرف صدق ايمانى فى المهدى عليه السلام (١٢) قال لى يا يوسف صدقنى ولا تصدق غيرى ان ولد السنوسى مسلم للمهدى عليه السلام (١٢) ، وقد (٢٤) رأيت كتابة (٢٥) حضرة له من محمد توفيق باشا الخديوى يقول له فيها (٢٦) : اذكر المودة التى كانت بين والدى اسماعيل باشا ووالدك محمد السنوسى وذكر له بناءه (٢٧) له الجامع (٢٨) بجده (٢٩) وغير ذلك من الانعامات عليه (٣٠) وقال كيف تعاونوا علينا هذا (٣١) الرجل الذى ظهر بالسودان(٣٢) بارسالك له رايات وجيش كما بلغنا فكتب له(٣٣) جوابا مختصرا ان من (٣٤) معه جبريل وعزرائيل لا يحتاج (٣٥) الى عون امثالنا . فقلت له : استاذنك(٣٦) يا سيدى فى سؤالات (٣٧) فقال : سل ، فقلت له : رأينا فى بعض الاحاديث ان المهدى عليه السلام يبايع بين الركن والمقام فقال لى (٣٨) على البديهة ان بيعته بين الركن والمقام بيعة

---

(١٩) [الخليفة] ب .

(٢٠) غايته : ب .

(٢١) قايته : ب .

(٢٢) وخرج : ب .

(٢٣) ثم لما : أ .

(٢٤) [قد] ب .

(٢٥) كتابتا : ب .

(٢٦) [فيها] ب .

(٢٧) بناه : ب .

(٢٨) للجامع : ب .

(٢٩) مع جده : ب .

(٣٠) وغيره من انعاماته عليه : أ .

(٣١) تعاون هذا : أ .

(٣٢) فى السودان علينا : أ .

(٣٣) بارسالك له كما بلغنا مكتوب له : ب .

(٣٤) [من] ب . هكذا ونظن ان الاصل : لا يحتاج .

(٣٥) هذا هو فحوى موقف محمد المهدى السنوسى حيال المهدية كما يظهر فى اتصاله بالمصريين . وقد اوردنا فى هذا الكتاب نص مكتوب السنوسى الى الخديوى محمد توفيق . والظاهر ان يوسف كان على علم بمكتوبى الخديوى والسنوسى .

(٣٦) [استاذنك] ب .

(٣٧) السولات : ب .

(٣٨) [لى] ب .

خاصة (٣٩) بالخواص ، فان جميع الدنيا خطوة عند الاولياء وكلما يقع فى الوجود لا يعقد الا فى مكة محل الغوث ، فيكون بايع الخواص من اهل الله فى ذلك المكان . واما بيعته (٤٠) العامة ففى المغرب (٤١) . فقلت له : رأينا فى بعض الكتب ان المهدى يملك الارض فقال لى (٤٢) : اى بعض الارض من اطلاق الكل على الجزء ، قال تعالى : « وكذلك مكنا ليوسف فى الارض » (٤٣) اى ارض مصر ، وقال تعالى : « واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها » (٤٤) ، اى بنوا اسرائيل . ومعلوم انهم لم يملكوا الا مصر والشام . وقال (٤٥) : ومما يؤيد هذا القول ما ذكره الفخر الرازى فى تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب على قوله تعالى : « وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها » الآية (٤٦) . وكثير (٤٧) فى التنزيل ذكر الارض ، والمراد مكان مخصوص منها كقوله تعالى : « او ينفوا من الارض » (٤٨) ، اى من مواضعهم ، وقوله تعالى : « فلن ابرح الارض » (٤٩) ، يعنى الارض التى قصدها لطلب الميرة . فقلت له : بلغنا من غير تحقيق ان المهدى عليه السلام (٥٠) قال اصلى فى جميع المساجد ، فقال : هذه لا (٥١) اشكال فيها اصلا ، فان من لم يكن فى مقامه عليه السلام (٥٢) يتصور (٥٣) بصور متعددة ويصلى حيث اراد كما ذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى طبقاته فى مناقب سيدى عبد القادر الدشطوطى . ثم

---

(٣٩) خاصية : ب .
(٤٠) البيعة : أ .
(٤١) المقرب : ب .
(٤٢) { لى } ب .
(٤٣) يوسف ٢١ .
(٤٤) الاعراف ١٣٧.
(٤٥) قال : ب .
(٤٦) الاسراء ٧٦ .
(٤٧) وكثرا : أ .
(٤٨) المائدة ٢٢ .
(٤٩) يوسف ٨٠ .
(٥٠) { عليه السلام } ب .
(٥١) { لا } ب .
(٥٢) { عليه السلام } ب
(٥٣) ينظر : ب .

قلت له : ان بعض العلمـاء الذين فى قلوبهم مـرض يقـولون لنا ان المهـدى المنتظر يظهـر (٥٤) من المغرب الاقصى ، وابا التى ظهر بها هذا الامام ليست من (٥٥) الاقصى . فقال : لفظ (٥٦) الاقصى ، اى البـعيـد ، يطـلق على مسـافـة ثلاثين يومـا او اربعـين يومـا (٥٧) بالسـير المعـتـاد ، قـال تعـالى : «سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى » (٥٨) ، وبينهما مسافة ثلاثين يوما (٥٨) او اربعين يوما . فهذا الحديث الذاكر ان المهدى يظهر من المغرب الاقصى فان تكلم به النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة فان من (٥٥) المدينة الى ابا تزيد على هذا المقدار (٥٨) وعلى كل حال فهو مغرب اقصى ظهر به طبقا للاحاديث وانما (٥٩) من لم (٦٠) يجعل الله له نورا فما له من نور . قلت له : خلفاء المهدى ثلاثة فاين الرابع ؟ فقال : اربعة ورابعهم (٦١) ولد السنوسى ، فان كان حـضـر هكذا الذى نقص ذلك فـان المـراد من خلفـاء المهـدى عليـه السـلام (٥٠) لكمـال وراثتـه لجده صلى الله عليـه وسلم وليس المراد انهم يحكمـون ، فـان الخليـفـتين الاثنين الخليـفـة على ولد حلو والخليفة محمد (٦٢) شريف حامد لم يحكمـا (٦٣) مع الخليفـة عبد الله كمـا هـو معلـوم ، كمـا قـال سيـدى مـحيى الدين بن العربى فى الفتـوحـات : وهم على اقـدام رجال من الصـحـابة صـدقـوا مـا عاهدوا الله عليه الخ . فقلت له : ان بعـض المنكرين يقـولون لنا قـبة المهدى تكسـرت وتهدمت . فقال لى : دعنى (٦٤) من كلام (٦٥) المنكرين الجاهلين ، فـان اهالى السـودان اتتـهم نعمـة فلم (٦٦) يعرفوا قـدرهـا ولـم يؤدوا شكرهـا فـازالهـا الله منهم فـان بخـتنصـر لما خـرب بيت المقـدس وحـرق التـوراة

---

(٥٤) [يظهر] ب .
(٥٥) [من] ب .
(٥٦) لفظت : ب .
(٥٧) يوم : ب
(٥٨) المقدار شىء كثير : ب .
(٥٩) وان : ب .
(٦٠) لا : ب .
(٦١) فقال رابعهم : ب [فان كان حضر هكذا الذى نقص ذلك من] أ .
(٦٢) الخليفتين على حلو ومحمد : ب .
(٦٣) يحكموا : ب .
(٦٤) دعونى : ب .
(٦٥) وكلام : أ .
(٦٦) ولم : أ .

وهدم(٦٧) قبة سيدنا ابراهيم الخليل فان الطين اذا تهدم لم يتهدم مجد المهدى عليه السلام (٦٨) وما منحه (٦٩) للناس من الشجاعة والتوحيد وارشاد العبيد الى طاعة الرب المجيد (٧٠) وما ادخلهم فيه من (٧١) رتبة الشهادة التى هى فوق كل رتبة من رتب الصالحين (٧٢) كما قال تعالى : « مع الذين انعمت عليهم » (٧٣) من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما ان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يتهدم الثناء عليه على لسان الآخرين الى يوم القيامة وكل الملل تحبه وتنسب اليه وكفاه فخرا قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا » (٧٤) الى آخره ، ثم قال (٧٥) : وقد اشار الله تعالى الى الواقعتين التى حصلتا على بنى اسرائيل بقوله : «وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد » (٧٦) ، ثم قال : « فاذا جاء وعد الآخرة ليئسوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » (٧٧) . فقلت له رأينا فى بعض الاحاديث ان المهدى يصلى اماما بعيسى ، فهل هذا الحديث صحيح ام لا ؟ فقال : رأيت فى بعض الاحاديث ان غير المهدى عليه السلام (٧٨) من هذه الامة المحمدية من يصلى بعيسى فيكون ناسخا لذلك الحديث او يكون يصلى به كما قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى المنن : صليت اماما بعيسى والهمت انه هو ، فانه مذكور فى كتاب مشارق الانوار ان عيسى نزل فى حياة امه فلا مانع من تعدد (٧٩) نزوله . ثم قلت له : ان بعض العلماء المجادلين لنا بالباطل يقولون لنا (٨٠) ما تقولون

---

(٦٧) هدم : أ .

(٦٨) [عليه السلام] أ .

(٦٩) وما مثله : أ .

(٧٠) [وارشاد ... المجيد] ب .

(٧١) [فيه من] ب .

(٧٢) هى فوق رتبة الصالحين : أ .

(٧٣) الفاتحة ٧ .

(٧٤) النحل ١٢٣ .

(٧٥) ثم قال : أ فقط .

(٧٦) الاسراء ٤ - ٥ .

(٧٧) الاسراء ٧ .

(٧٨) [عليه السلام] أ .

(٧٩) تعديد : ب .

(٨٠) [لنا] ب .

فى هذا الحديث الذى يقول فيه (٨١) صلى الله عليه وسلم : اذا ظهر المهدى نادى فوق عمامته ملك : هذا خليفة الله فاتبعوه ، وقالوا (٨٢) عند ظهوره لم يحصل (٨٣) هذا النداء . فقال : ان(٨٤) النداء فى القلوب اى قلوب السعداء ، فانه من المعلوم ان الملك لا ترى ذاته ولا يسمع (٨٥) صوته الا معجزة لنبى (٨٦) او كرامة لولى والمهدى (٨٧) عليه السلام اتبعوه اغلب الخلق لما ظهر لا رغبة (٨٨) فى مال كان عنده ولا خوفا من سطوته لانه من المعلوم ان الحكومة (٨٩) فى ذلك الوقت اقوى منه سطوة فلم يخافوا سطوتها (٩٠) واتبعوه بل هو الا اتباعا (٩١) لنداء الملك حتى باعوا ارواحهم معه ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم ، قال تعالى (٩٢) : « ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم » (٩٣) ، وفى الحديث : اذا احب الله عبدا نادى جبريل فى السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه (٩٤) اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض فيحبه قلوب السعداء(٩٥) . فقلت له العلماء قالوا لنا (٩٦) ما تقولون(٩٧) فى تفسير هذا الحديث الذى يقول فيه صلى الله عليه وسلم : تتنعم امتى فى زمن المهدى نعمة لم يتنعموا(٩٨) مثلها حتى يتمنى الاموات الحياة (٩٩) لما يرون (١٠٠)

---

(٨١) { فيه } ب .
(٨٢) قالوا : أ .
(٨٣) ما حصل : ب .
(٨٤) ان : ب فقط .
(٨٥) سمع : ب .
(٨٦) للنبى : ب .
(٨٧) او كرامة للمهدى : ب .
(٨٨) ظهر رغبة لا رهبة : ب .
(٨٩) سطوته فلم يخافوا سطوة من الحكومة : ب ، ونظنه قد اختلط عليه النص .
(٩٠) { سطوتها } ب .
(٩١) هو الاتباع : ب .
(٩٢) مرضات الله العظيم : أ ، مرضات الله وتثبيتا من انفسهم قال تعالى : ب .
(٩٣) الانفال ٦٣ .
(٩٤) فيحبوه : ب .
(٩٥) الارض فى قلوب السعداء : ب .
(٩٦) السعداء ثم قالوا لنا : أ ، وورد اسفله استدراكا : اى العلماء .
(٩٧) تقول : ب .
(٩٨) لم يتنعموا : ب .
(٩٩) يتمنى الاحياء الاموات : أ ، قال فوق السطر : الاحياء مفعول معدم ، والاموات فاعل ، وهذا تعسف ، والسياق ما جاء فى ب .
(١٠٠) يرونه : ب .

لاهل الارض من خير . فقال: الخير هو الشهادة (١٠١) وليس المراد ما فهموا انه كثرة (١٠٢) الاكل والشرب ، والتنعم الذى جاء به (١٠٣) المهدى عليه السلام ينهى عنه ويحبب الجوع وغيره (١٠٤) تبعا لجده صلى الله عليه وسلم واصحابه كما هو معلوم (١٠٥) . ورأيت فى فتاوى الشيخ محمد عليش رحمه الله فى باب الجهاد فى الجزء الاول نمره ٣٣١ فما (١٠٦) من ميت يتمنى العودة(١٠٧) الى الدنيا الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة من ذى العرش المجيد فيطلبها ليزداد من الكرامة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث (١٠٨) فى الشهداء فى كتاب الموطأ للامام مالك رضى الله عنه (١٠٩) : لوددت (١١٠)انى اقاتل فى سبيل الله فاقتل ثم احيا فاقتل ثم احيا فاقتل ، هذا والسلام ، سنة ١٣٥٩هـ . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . انتهى رسمه يوم ١٢ جمادى الثانى سنة ١٣٥٥(١١١) .

الدلالة على المهدى

بسم الله الرحمن الرحيم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : يظهر المهدى المنتظر من بلاد الغرب ، له علامات ، ترم الملائكة الشياطين بالشهب فى عام ظهوره ، ويواطىء اسمه اسمى واسم ابيه كاسم ابى ، وهو ربيع القامة متماسك اللحم شبيه بابى بكر الصديق فى اثر عينيه ورفاء لحيته وكثرة تعلقه ، وشبيه بالامام على الكرار بصدره ، ومولده بجزيرة البحر ، ويتغرب فى اقليمه الذى ولد فيه ، ويتعلم على مشايخ عريقة ببلده ، ويتزوج ويولد له اولاد ذكور واناثى ويفضلون بعده ،

(١٠١) الخير الشهادة : أ .

(١٠٢) كثرت : فى المصدرين ، وعدلناه حتى لا يختلط على القارئ بجعل العبارة فعل ماضى .

(١٠٣) به : لا يرد فى أ .

(١٠٤) السلام ينهى عنه ويحبب الجوع وغيره : أ ، السلام احب اليه الجوع فى الله والشدائد وغيره : ب .

(١٠٥) كما المعلوم : ب .

(١٠٦) ما : ب .

(١٠٧) العود : أ .

(١٠٨) { فى الحديث } ب .

(١٠٩) { رضى الله عنه } أ .

(١١٠) لوريدت : ب .

(١١١) والختام فى أ هكذا : والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . انتهى رسمه يوم ١٢ من جماد الثانى سنة ١٣٥٥هـ .

ويملأ الارض عدلا ، ويحكم بشرعى وينسخ كثير من احكام العلماء لكثرة خطايهم فى الاجتهاد ، ويموت الامام المهدى المنتظر بمركز النيل الاعلا ويدفن بقرية بمرج البحرين ، انتهى .

وقول النسائى وابو داود وابو حرازه من كتابه : وفى رواية يخرج الامام المهدى بجزيرة يقال لها ابا ويهاجر منها الى الغرب الى جبل يقال له ماسا ، ويتبعه بديلم فيجتمعون الناس اليه بالجبل الاعلى ، فيجتمعون اليه وزرايه ، فمنهم من يرفده بالعجب ومنهم من يرفده بالانكار ، ويبايع الناس مبايعة السعادة ويلزم الله قلب كل سعيد محبته حتى يتوفى المهدى على خمس سنين بمجمع البحرين وخرطومها ، ويتولى الامر بعده خليفته المكنا اسمه بالتعبيد ، وقيل ادريس ، ويملك ويمشى بسيرته ويمكث اكثر مما مكث المهدى فى الدنيا والولاية ، ويرشد الضال ويرد الضلالة وتخشاه الجبابرة وتحبه الفقراء والمساكين ، واكثر توليته فى الناس ابناء جنسه قرابة وصهارة ، وتطول يده على المكان الذى دارت فيه سياحة الرضا وقرافة الاكملين ، ويموت طريدا غير المكان الذى مات فيه المهدى ويموت قتيلا باسلحة الذين يملكون بعده – رواه مسلم والبخار وابو داوود والترمذى من صحيح ابن حرازه منقول من كتاب الشيخ عبد الله الهندى بمكة المشرفة من الكوكب العلى فى الحديث النبوى . وابيات الشيخ محيى الدين ابن العربى قال :

اولات العدل من قريش اربعة سواء	هم الاصباط ليس بهم خفاءُ
وسبط لا يذوق الموت	حتى يقود الخيل ويعقد اللواءُ
فذاك محمد المهدى فاعلم	سيملك للسواحل والرمالُ
وفى وقته يظهر عظيم نجم	لها تشبى كمثل الرمح عال
ويزيل ملك القسطينه	بين جبل ديلم ودارفان
وقربون يقتل قبل طلوع الشمس	وتهزم القبيلة بالشمال
وبربر سوف ياتوها جيوشا	وتسفك الخيول مع الرجال
ويموت بمقرن البحرين	بارض وشل
ويتولى الامر من بعده رجلا	كثيف اللحية له شفتين كالهلال
ويملكها عشرون سنة	وعشرون مضاعفات النوال
العجب قسطته والمرقع لباسه	وفى وقته تذهب جميع الدول

انتهى .

وكلام الشيخ الطيب بن البشير امرح قال :

سيزول ملك الترك هذا بالذى رفعت مكانته على كيوان
ذاك الامام محمد المهدى يهدى كل العرب والعجمان
من نسل فاطمة البتول وحيد فرض الجلالة وسر اهل الشان
وسيخرج من غير شك يا فتا بجزيرة تعزى الى السودان
ويزيل كل سفاهة وضلالة بصوارم هندية اسنان
ويعيش فى الدنيا على ما شملته فى اللوح خمسا يا اخ الازعان
ويموت فى وشل فيا طوبى لمن يهوى اليه فى سر واعلان
فاحفظ كلام محقق فى كشفه ومطالع كل غيب باتقان

كتاب رد المنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الفعال المريد . المبدى والمعيد . ذو البطش الشديد . خلق العبيد . وجعل منهم شقى وسعيد . ومنافق فى نفاقه مريد . وجبارا عنيد . والصلاة والسلام على المشفع فى الوعيد . وعلى آله واصحابه اولى الراى البديد . وعلى الامام المهدى المربى الرشيد . الرجيح بالامة طرا باديها والمعيد . وعلى آله وصحبه العاملون بالتوحيد . وكذا الامام الصادق الوسيلة الى الله المجيد . خاتم سعادة السعيد . وعلى آله وصحبه لا لهم نديد . اما بعد فيا ايها المنافقين المعوقين ما مررتم بقوله تعالى : « الله اعلم حيث يجعل رسالته ، والمهدى مرسول من الله ووصيه رسول الله ولم يرسل حبيب الله الا بامر من الله . ومعلوم انه رسول المرسلين فامره برسالته الامام سميعا بصيرا متعالى علوا كبيرا بان بعث الامام الى الانام دليلا خبيرا ، سراجا منيرا فيما امر به . قام عليه السلام فهز الرمح وسحب الحسام وجدد الدين وشيد السنة والاسلام ولم يتهاون بامر ربه اللطيف . كلا ! والله وهو الابراهيمى الحنيف . فقوم الغرض واحسن القرض . وكثير ما يقول لاصحابه من اراد ان يكون ابراهيميا فليكون من تدبير نفسه بريا . ومن منازعات الله خليا . فصدع بما امروا به الملوك واهل السلوك ، والكبير والصغير ، والعزيز والحقير .

اعلموا انى قد تهيئت لاضحاد حججكم بالقرآن واوضح لكم اعلا بيان ، بقول الفصل ، وليس هو بالهزل . فالقرآن من قال به صدق وللباطل ذهق . ومن تركه ضل فى سواد البهيم . ومن اهتدى به فقد هدى الى صراط مستقيم . ومن حكم به عدل ومن خالفه اتخذل . وبعد فودامغكم بالاحاديث الصحاح وباقاويل الاكابر اهل الفلاح والنجاح كالشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى وائمة السنة

الاربعة كالداوودى والنسائى وابن ماجه وعبد الوهاب الشعرانى والترمذى وابا حامد الغزالى والحافظ بن حجر والنووى والسيد احمد بن ادريس والشيخ عليش والجيل فى كتابه الغفنية والجيلى واليافى والجزولى والتجانى والسيد محمد عثمان وابنه الحسن وعثمان فود والشيخ العوام والولى اسماعيل وابن خلكان وقصص الشوكان وابن كنانة وغيرهم وغيرهم لم احصاهم ، اقيفوا على كتبهم وما روى عنهم . ولكن إبين لكم واحدة من مائة . قال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى فمن اول سورة البقرة فى المهدى عليه السلام الم وآخر الربع يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وكذلك فى اى ما سورة وكأنه لعلم للساعة فيه عن محيىّ الدين والمفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسورة البينة فيه كلها والذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . فاما قال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ، قال هم الائمة الكذبوا النبى صلى الله عليه وسلم بمجىء المهدى عليه السلام . والمشركين ، قال هم اليهود والنصارى الجميع . منفكين، من الدين . حتى تاتيهم البينة ، المهدية والمهدى عليه السلام هو رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة ، يعنى بذلك القرآن الحكيم ، تنزيل العزيز الرحيم كالصراط والميزان مستقيم لا انعواج فيه . وما تفرق الذين اوتوا الكتاب ، اى الامة . الا من بعد ما جاءتهم البينة ، اى الشريعة من نفس المهدى عليه السلام بالقول والفعل . فالقائل النبى صلى الله عليه وسلم والفاعل المهدى عليه السلام بعينه . وما امروا ، هذه الامة المرحومة . الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، اى عدلاء باتباع الامام المهدى عليه السلام الفخيم والعمل بكتاب الله القويم وسنت نبيه الكريم باقتدائهم لطريق المهدى عليه السلام المستقيم فحذفتم قول ذو الجلال بالقيل والقال حتى اصبتم بالضلال . ابيتم الحق واتبعتم الاقاليد وكلام العبيد عن القرآن كلام الله المجيد . فلما امرهم الامام بالكتاب وكلام ربهم التواب ابوا الا ان يقلدوا عن مذاهبهم وطروقهم وتولوا وهم معرضون . قال : ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ، اى المعرضين من الفريقين جميعهم . فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، يعنى بهم اصحاب المهدى عليه السلام واتباعه والعاملون باقواله وافعاله . قال : اولئك هم خير البرية جزاوهم عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه . والاحاديث الصحيحة فى « الكوكب العلى» فهو عن ابا مسعود رضى الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه

وسلم تركت فى امتى ثلاثا اذا التبعتموهم فلن تضلوا تركت فيكم خلقى وروحى وروح الله ، فخلقى القرآن وروحه الامام المهدى عليه السلام وروح القدس عيسى عليه السلام . وقال صلى الله عليه وسلم المهدى له اسمائى من او اثنين وقيل ثلاثا او اربعا او خمسا او ماتان وواحد هن اسمائى كلها . وعنه صلى الله عليه وسلم قال سيظهرون مهديون ثلاثون ويعقبهم المهدى المنتظر عليه السلام اسمه كاسمى وقيل يجمع اثنين من اسمائى يظهر بغرب البيت الحرام وقرب البحر الاحمر ووسط النيلين الابيض والاسود ويهاجر الى غير المكان المتوطن به وحالته فى هجرته اكثرها رجوالية واصحابه فى وقت هجرته قليلون فمنهم من يهاجر له لسبق عنايته وسعادته ومنهم من يتخلف عنه وحكم المتخلفين منه وفى بعض غزواته القايل فيهم تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الآية ثم يعود الى ساحل البحر الذى خرج منه ويهاجر له كل من سبقت عنايته وسعادته اذا ابصره بالقبول وداوم عليه محبته ويهاجرون له . بعض اناس بضغاين كبار لسوء حظهم . وقال صلى الله عليه وسلم من حالت اهل الاعمال الكاسدة هى . ورواية عن صلى الله عليه وسلم قال سيظهر المهدى عليه السلام ببلد بالغرب وله علامات ترمى الشياطين بالشهب فى عام ظهوره ويواطى اسمه اسمى واسم والده وابيه فقط ، واما الام لا . فهو ربيع القامة متمسك اللحمة شبيها بالصديق فى اثر عينه ولحيته وكثرة تعلقه وشبيها بعلىّ الكرار بصدره ومولده بجزيرة البحر ويتغرب فى اقاليمه الذى ولد فيه ويتعلم على مشايخ عريقة ببلده ويتجوز ويلد له اولاد ذكور واناث ويفضلون بعده ويملأ الارض قسطا كما مليت جورا وظلما ومعنى ملا الارض لا كلها كما تقول بل ارضه التى مر عليها كقوله تعالى فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض لا كلها وقال من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فسادا فى الارض بل جزء منها من بعض اجزاءها وقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا بل القطر الواحد من اقطارها وقوله وكذلك مكنا ليوسف فى الارض كلها بل شيئا منها وقوله انا مهلكوا اهل هذه القرية الخ ، قال ان فيها لوطا بل جزء من الارض . وقوله : المهدى يحكم بشريعتى وينسخ كثيرا من اقوال العلماء واحكامهم لكثرت خطائهم فى الاجتهاد ويموت بمركز النيل الاعلا حد توتى سنة ٨٤٤ ويدفن بقربه . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : يظهر المهدى عليه السلام بجزيرة يقال لها ابا ويعرف بها وسيهاجر الى جبل يقال ماس ويتعبد بديلم ويجتمعون الناس اليه بالجبل الاعلا ووزراءه

خمسة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأبين لكم الخمسة ، اولهم خليفة الصديق الشيخ ادريس ولاه وعزله رسول الله صلى الله عليه وسلم لعجبه وقتل شهيدا ، والثانى عبد الله بن السيد محمد خليفة الصديق ، والثالث على بن محمد حلوا خليفة الفاروق ، والرابع محمد المهدى السنوسى ، خلفه رسول الله محل عثمان وعزله صلى الله عليه وسلم لانكار ، والخامس جلال الدين بن احمد ، وهو كما منعوت فى الكتب القديمة اسمه بالدين اذا اظهر المهدى عليه السلام بالغرب هو يكون وزيره فى الباطن فهو اسمر اللون كبير الجثة كبير السن لغته لغة الغرب الاقصى واذ ظهر عليه السلام من المشرق يكون ابيض اللون كبير السن كبير الجثة كالسابق ، وكان رضى الله عنه له قصصا لا يحيط بها قرطاس ، توفى ودفن بام درمان جيهت الغرب . وكما قال صلى الله عليه وسلم احدهم يرفد بالعجب والثانى بالانكار كما قلنا آنفا ويبايع اناسا مبايعة السعادة ويلزم الله قلب كل سعيد محبته حتى توفى لخمس بمجمع البحرين بخرطومهما ويتولى الامر من بعده خليفته المكنا واسمه بالتعبيد وقيل بالتحميد وقيل يقال له ادريس يملك الناس ويمشى فيهم بسير صاحبه ويمكث اكثر مما مكث المهدى عليه السلام فى الدنيا والولا يرشد الضالت ويرد الضلال وتخشاه الجبابرة ويحب الفقراء والمساكين واكثر ولاته فى الناس ابناء جنسه واقاربه وصهارته وتطول يده عن المكان الذى دارت فيه ، فيها ساحت الرضاء وقرافة الاكملين ويموت قتيلا باسلحت الذين يملكون بعده .

الحديث الرابع عنه صلى الله عليه وسلم عن مسلم والبخارى وابى داود والترمذى فى صحيح ابى حرازه رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى حتى ابتلت لحيته فبكوا الحاضرين لبكايه فبان لكل واحد منهم حزن بكاء نظيره ثم عرق صلى الله عليه وسلم عرقا له بهرة تتناثر كاللؤلؤ وتارة يخطلت (هكذا) اختلاطا شديدا فى بعض سريعا ثم رأينا العرق صفا والحزن تأخر عن وجهه صلى الله عليه وسلم وابدله الضد وضحك حتى بدت نواجزه وتباشرنا بمقالة السرور فقال عليا رضى الله عنه : ابكيتنا لبكائك يا رسول الله ماذا يا خبير السر ! فقال صلى الله عليه وسلم وجدت من اخـــى جبريل عن الجليل قال بعد الالف والثلثمائة من هجرتى عن انتهى الثلثمائة فارونا يظهر المهدى محمد احمد المنتظر من عترتى غرب البيت فى سواحل بحر النيل فيجد الفساد عام البلاد فيزيله قولا وفعلا وحربا ورعبا وبقرا وعناية وتميل اليه قلوب اكثر الناس ويسافر الى قرب المكان الذى ظهر فيه وكلما طال سيره طاب مسعاه ويشهر السيف ويقاتل كثيرا من

المضلين مسافة سبعة ايام من المكان الذى خرج منه ثم يموت كثير من اتباعه حتى المنافقين يظنون ان لهم النصرة عليه فيثبته الله ويعدل مرة اخرى وتحصل له النصرة ضربا ورعبا ثم تخالفه الروس من الرجال فيصرفه الله فيهم كما يشاء لما سبق لهم من الشقاء ثم يعدل مرة اخرى الى بحر النيل الذى خرج منه وتقابله فاتا باغية فينصره الله عليهم باعانة من الملائكة وبعضا من الجن ثم ينزل بمجمع البحرين فيلاقيه حرب فينصر عليه ويمكث هناك ويفرق بعض جيوشه يمينا وشمالا ويتجوز قبل رسالته ودعايته ويولد اولاد ذكور واناث ومن زوجاته ممن يعدن فى قبيلته ومنهن ممن يكونن فى بعض القبائل ومنهن ممن تسما كامه فاطمه الزهراء وفيهن ممن يقال لها حدّ سميت اسماء وهى كانت تزوج بها حمد ولد التلب ولم يعرس بها لصغر سنها وعزم بعد قتال المهدى عليه السلام يرجع يدخل بها فقتل فارسلها الشيخ محمد البصير من ضمن الغنائم للامام عليه السلام هى وخدمها فلما اوقفوها امام الامام قال لها عليه السلام ما اسمك فقالت حَدّ فقال لها سميناك اسماء فاذا رأيت عجبا يقظة فى احداس نسك قبل زواج احمد التلب فقالت ما رأيت شيئا وقال الامام عليه السلام قابلوها خليفة الكرار ليسألها فودوها لخليفة الكرار محمد شريف فحينما نظرها رحب بها وقال مرحبا بام المومنين الوالدة اسماء فسألها ما رأيت من خرق العوائد وانت فى حدث السن فقالت كلا قال ولا اليوم الا انت بالمنزل ومعك ابن خالك العظيم فقالت آمنت بالله يا سيدى ليلة القمر قال بلى قالت رأيت القمر نازل من السماء متمهلا مرفوق برجلين احداهما على يمين القمر والثانى بشماله فلما رأيتهم صرخت الخ . .

رسالة الامامة الكبرى فى المهدى عليه السلام للشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن العربى ، قدس الله سره ، المتوفى سنة ٦٣٨(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ان الامامة المنزلة من رب البرية يكون النازل فيها متبوعا وكلامه مسموعا وعقده لا يحل وعذب (٢) مهنده لا يفل ، كلامه مصمت وحسامه مسلط لا يجد المعترض مدخلا اليه ، ومن رام اعتراضا عوقب عليه ، فان نازعه الآخر هلك ، ولما كانت الشمس لا بد من تحول مطلعها وتبدل

(١) هكذا جاء عنوان هذه القطعة . وهذه القطعة ضمن ادبيات كثيرة على هذا المنوال من تأليف وبخط يد يوسف احمد محمد عوض السيد.
(٢) اى قوة ، انتهى : تعليق بالهامش بخطه .

موضعها وكان ذلك الامر هو الكنز الخفى بالبحر الغربى ولا يعرف حقيقة ذلك الكنز الا من كان روحا لا جسما او علمه الحق من لدنه علما ، فالذى يعرف حقيقة ذلك الكنز ومحل النجاة والفوز يسكن داره ويقيم جداره ولا يطلب منه اجرا ويحدث لمن انكر عليه منه ذكرا ، فاذا بلغ اليتيمان اشدهما وتوفى الابوار (٣) امدهما قامت دولة العز فهناك تنشر من الدين ازرته وتظهر عليه نصرته، ولكن تلك الشمس إلى المشرق رجوعها بعدما ينقض من المغرب طلوعها ، فاذا ظهر الامر بمجمع البحرين (٤) ولاح السر لذى عينين قام سمى النبى وعن يمينه سمى الولى وذلك عند انعدام الخا من حروف الهجاء وفى مقدمة العسكر جبريل وصاحب الراية عزرائيل وقد عطف اللواء المشرق نحو بلاد المشرق ورياح النصر تزعجه وبوارق الفتح تلهجه والملائكة به حافون وعليه مصطفون، فاذا اخذ الرحيل (٥) فاطوى بعد ذلك ايها الخليل وسر معه بما معك من كثير او قليل فانه لا خير فى من يبقى بعده ولكن الخير امامه وعنده فاذا ظهر الانسان بالما (٦) وكانت الشمس فى الجوزا اخذ هكسى الظما وامت به جنون الارض والسما وسال وادى منا وذلك فى التاسع لذى الحجة وقد ظهرت على المعاند الحجة حتى اذا جاء الفرد صفر ظهر الفساد فى البشر وتوالت ادوار النحوس فى الاكر فاياك أياك اذ ذاك فلربما حصل اللبس بوجود التعصب ودواعى النفس فلذا ننبه اهل الابصار والبصائر واما العوام فليس لنا معهم كلام لانهم تابعون لعلماءهم وعلماءهم اذ ذاك مقتدون بامراءهم ولا بد من حركة فلك هى زمانه ووقته واوانه ووبيع هو بامر السميع حد روحانيته مع التقديم وذاك من باب الحكمة لا من باب التحكيم ، وغردون مولد الانشا يقتل عند بى الانتشا فاياك اياك اذ ذاك اذ كانت القطوف دانيه والقرون الثلاثة بعد غ (٧) متوالية وكان قطف فوق قطف وركب عطف فوق عطف وانقض الامر وقيل ما بقى خبر ولا مير وتمسكوا بحديث النبى صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغهم عند انه لا ينقضى زمان إلا ويأتى شر منه وغفلوا القطوف دانيه والقرون الثلاثة بعد غ (٧) متواليه وكان قطف فوق قطف وركب عطف فوق عطف وانقض الامر وقيل ما بقى خير ولا مير وتمسكوا بحديث النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا بلغهم انه لا ينقضى زمان الا

---

(٣) هنا عبارتان غير واضحتين .

(٤) البحر الابيض والازرق ، انتهى : تعليق بالهامش بخطه .

(٥) اشارة لهجرته من قدير والابيض الى البحر ، انتهى : تعليق بالهامش بخطه .

(٦) اى الجزيرة لانها محاطة بالماء كما فى بعض الآثار ان المهدى يظهر من جزائر البحر ، انتهى : تعليق بالهامش بخطه .

(٧) اشارة الى الالف ، ، انتهى : تعليق بالهامش بخطه .

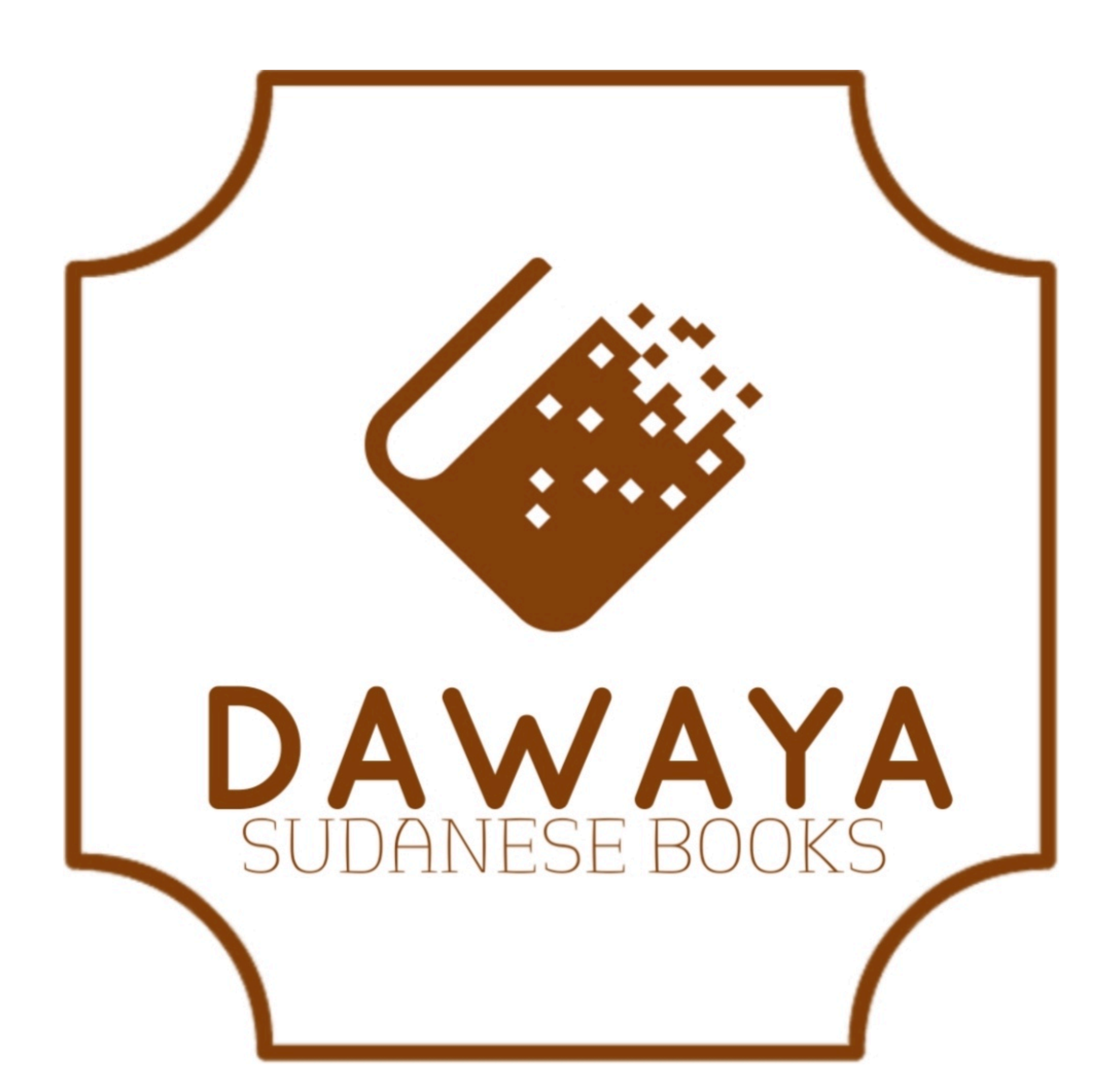
ويأتى شر منه وغفلوا عن القرن الرابع الذى هو زمن المهدى والولى وعيسى النبى فالعاقل يدخل السابع فى الثامن والثامن فى التاسع . واعلم لهذا الامام نورين ولفجره طلوعين ولشمسه شروقين وفى سماءه ظهورين ولعصر شمسه غروبين وفى حفظه عالمين يشركهما فى حكمه ويخص الآخر بحكم وله ميمين (٨) يخص منهما ميم العين وكان ذلك الامام قبل كنز لا يعرف فى روحانية متجسدة (٩) وفردانية متعددة اسمه جيم (١٠) ابوه من العجم لا من العرب آدم اللون اصهب من القصر الى الطول اقرب وجهه كأنه البدر الازهر على خده الخال المربع الاخضر تحت الاديم الانور وان نسيت اوضحه لك فى هذا العدد واقسم لك برب هذا البلد انه للسيد الصمد فانظره فى ثلاثين عدد وكن لشيطان جهلك شهابا رصد نسبه السنى شريف والصديق الاكبر تحت لواءه المنيف ، فاذا بلغ الامر منتهاه فالخليفة عبد الله فقواه الظاهرية هى العدد والباطنية عين المدد فان لم تعرف الضمير ولم تقف على التفسير فسوف يأتيك بقميصه البشير ، فهنالك تكشف كروبك ويرتد بصيرا يعقوبك فاذا ظهرت العلامات وحل ذلك الميقات فاحرم بميم موسى واشرب بعين عيسى ولا تحل من احرامك حتى تكمل معدودات ايامك وتيقن ان ذلك هو الامام القائل عليه الصلاة والسلام فى حق اصحابه لاصحابه الكرام دعونى عنكم فان للعامل منهم اجر سبعين منكم قالوا بل منهم قال بل منكم بل منكم فاياك اياك ان تقذف بك فى اليم عاصف هواك فيحيل بينك وبين بلوغ مناك فتخسر دنياك واخراك ، فلا تطع المكذبين ولا تطلع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم وعتل بعد ذلك زنيم فانه والله سيوثم بخرطومه وتحل به بلية شومه برسومه ، فمن خالف حرض ومن نازع طرد ومن فرط ندم ومن سلم فاز وسلم والحمد لله رب العالمين .

---

(٨) اى ملكين ، انتهى : تعليق بخطه .

(٩) اىَ عند الله ، انتهى : تعليق بالهامش بخطه .

(١٠) حسب اى محمد احمد لان محمد احمد بالجمل ١٤٥ وجيم حسب ١٤٥ ، انتهى : تعليق بخطه .


DAWAYA
SUDANESE BOOKS

فهرس المحتويات